

تأليف

إدريس بن بيدكين بن عبد الله التركماني الحنفي

كان حياً سنة (٧١٠ هـ / ١٣١٠ م) رحمه الله تعالى

وفي آخره ((رسالة في الفتوة)) وهي

الحجة والبرهان على فتيان هذا الزمان

للمؤلف نفسه

بتقريظ جماعة من العلماء منهم شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية الحنبلي

المتوفى سنة (٧٢٨ هـ / ١٣٢٨ م) رحمه الله

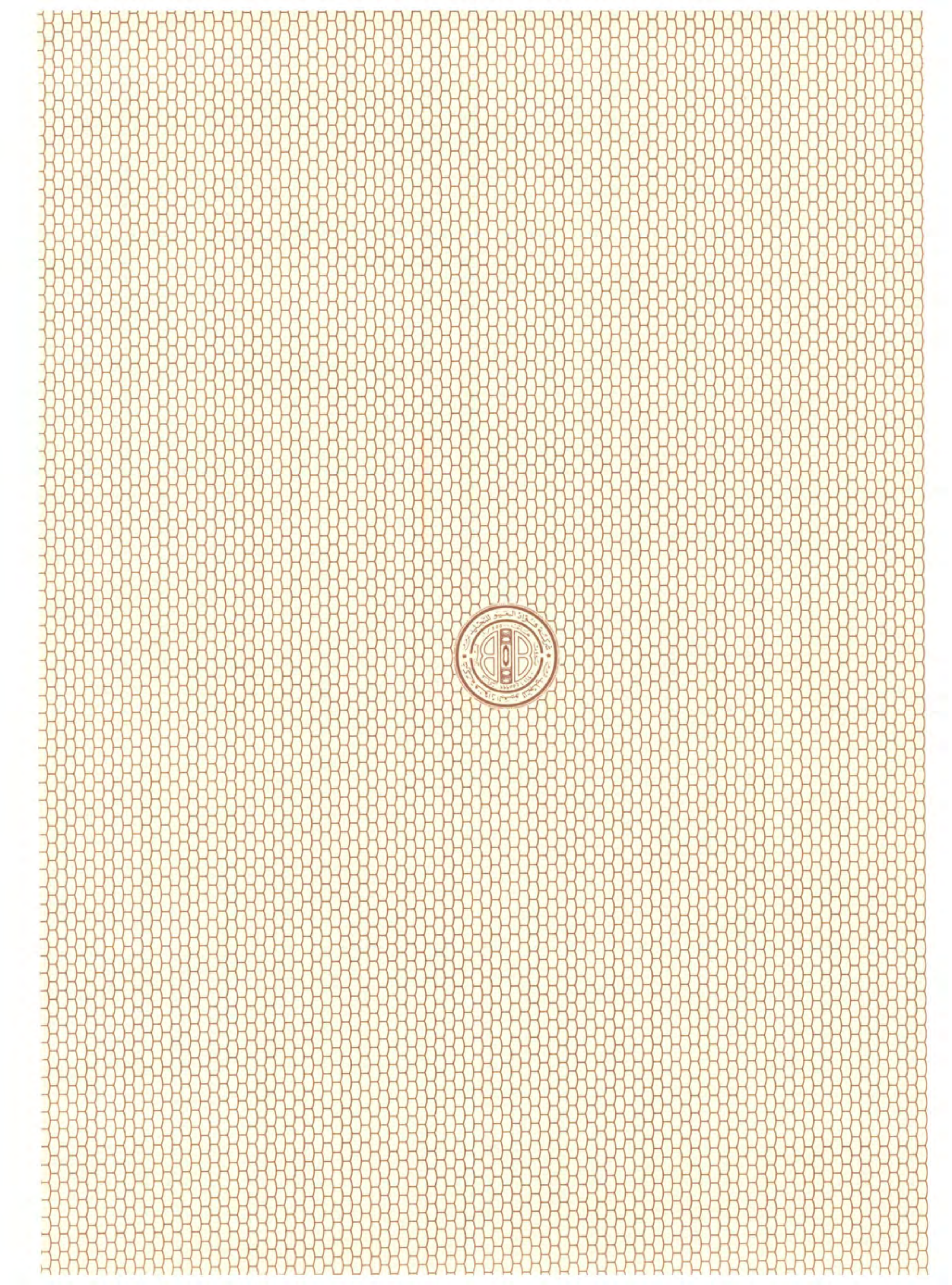
تحقيق

دار الكوثر للتراث

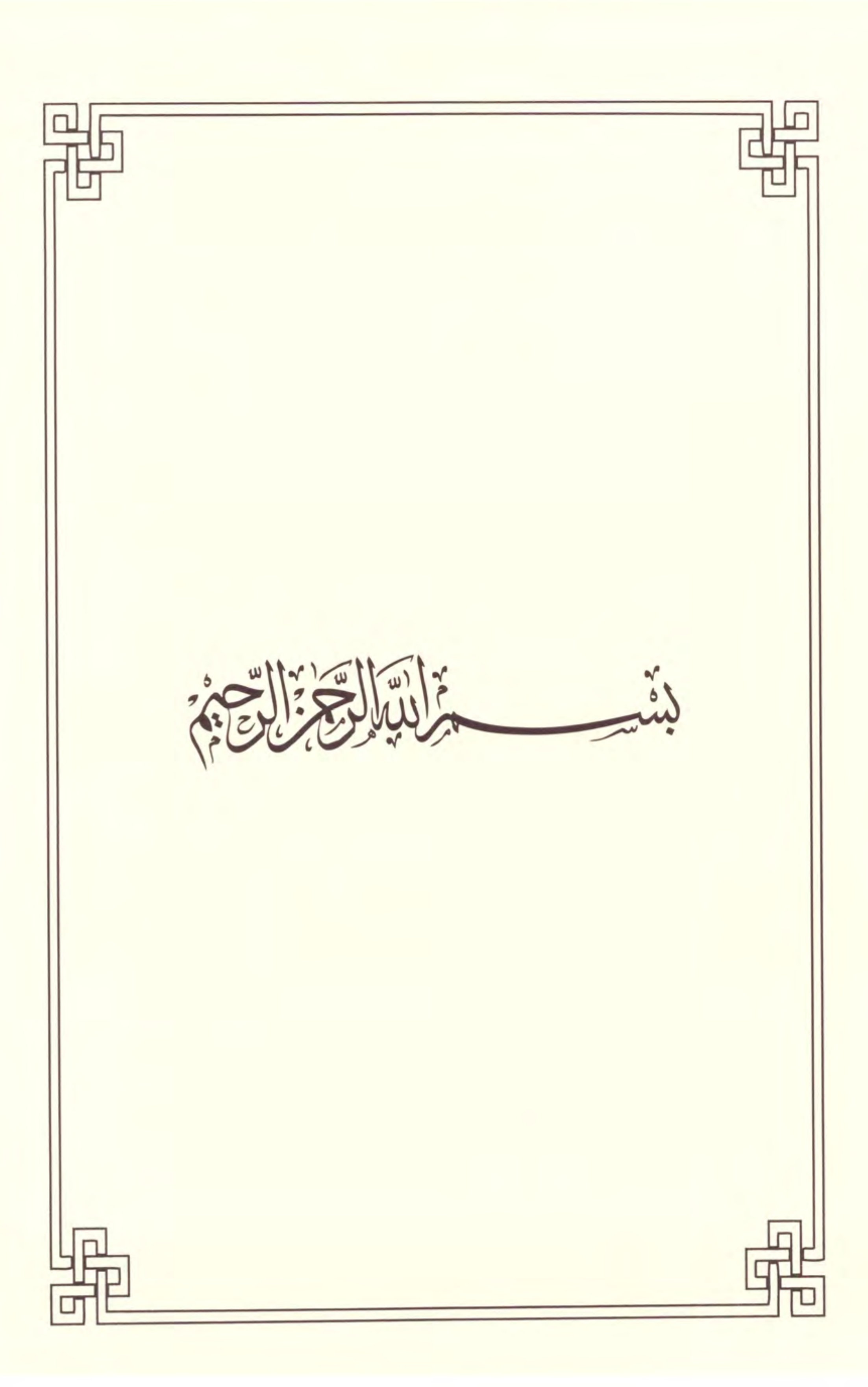
مراجعة وتقديم

عبد [illegible] التركماني

دار ابن حزم




اللمع في الحوادث والبدع


بسم الله الرحمن الرحيم



تأليف

إدريس بن بيدكين بن عبد الله التركماني الحنفي

كان حياً سنة (٧١٠ هـ / ١٣١٠ م) رحمه الله تعالى

وفي آخره ((رسالة في الفتوة)) وهي

الحجة والبرهان على فتيان هذا الزمان

للمؤلف نفسه

بتقريظ جماعة من العلماء منهم شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية الحنبلي

المتوفى سنة (٧٢٨ هـ / ١٣٢٨ م) رحمه الله

تحقيق

دار الكوثر للتراث

مراجعة وتقديم

عبد الجواد التركماني

دار ابن حزم

الطبعة الأولى
١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م



ISBN 978-614-416-382-5

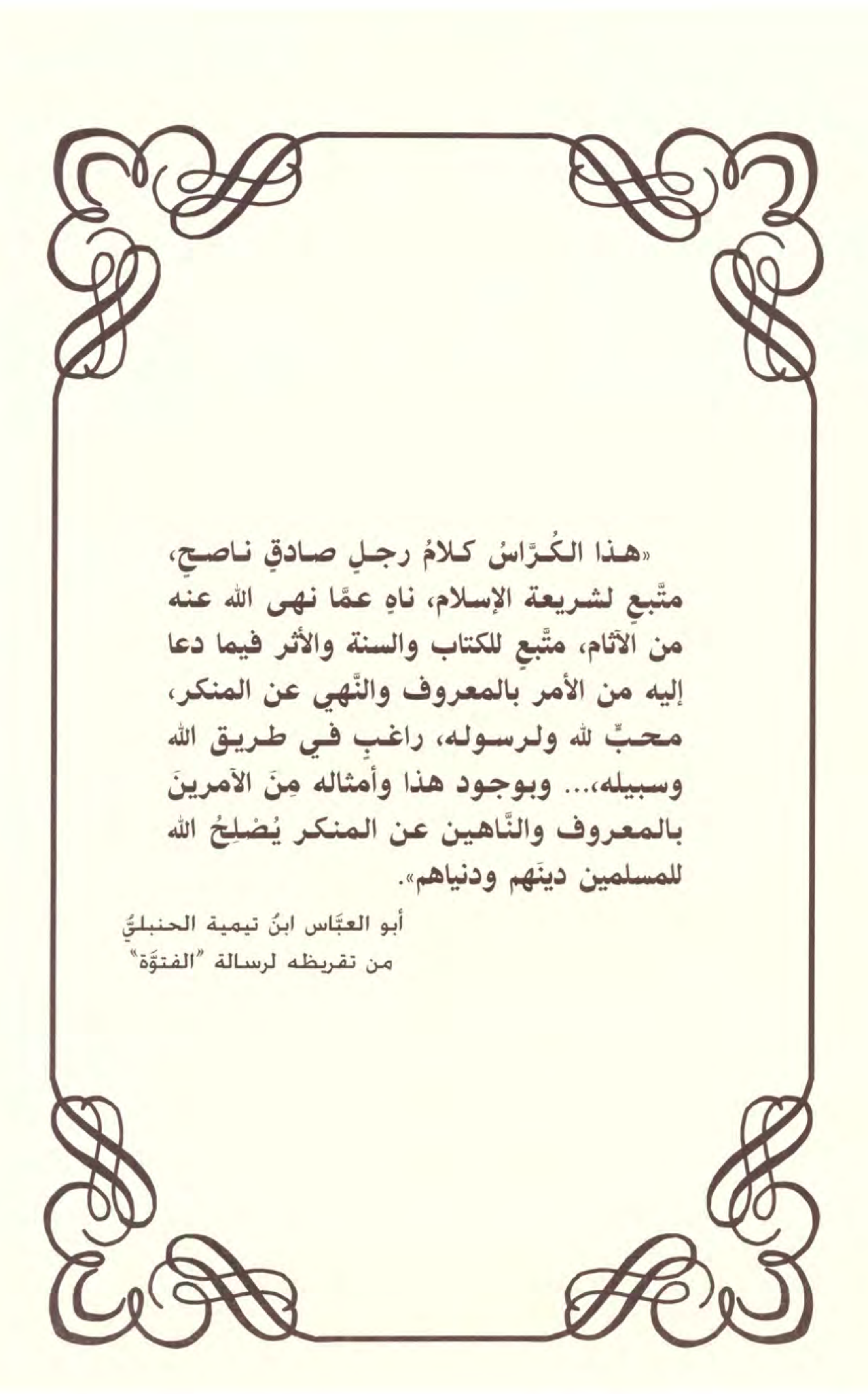
دار ابن حزم

بيروت - لبنان - ص.ب : 14/6366

هاتف وفاكس: 701974 - 300227 (009611)

البريد الألكتروني : ibnhazim@cyberia.net.lb

الموقع الإلكتروني : www.daribnhazm.com



«هـذا الكُـرّاسُ كـلامُ رجـلٍ صـادقٍ نـاصحٍ، متَّبعٍ لشريعة الإسلام، ناهٍ عمَّا نهى الله عنه من الآثام، متَّبعٍ للكتاب والسنة والأثر فيما دعا إليه من الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، محبٍّ لله ولرسوله، راغبٍ في طريق الله وسبيله،... وبوجود هذا وأمثاله مِنَ الآمرينَ بالمعروف والنَّاهين عن المنكر يُصْلِحُ الله للمسلمين دينَهم ودنياهم».

أبو العبَّاس ابنُ تيمية الحنبليُّ
من تقريظه لرسالة "الفتوَّة"



فهرس موضوعات الكتاب الإجمالي

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑



بين يدي الكتاب

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، إلٰه الأولين والآخرين، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه الأمين، بعثه رحمةً للعالمين، فبلَّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصح الأمة، وتركها على المحجَّة البيضاء والحقِّ المبين، صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فهذا كتاب «اللُّمع في الحوادث والبدع» لإدريسَ بنِ بَيْدَكِينَ التركمانيِّ: رجلٍ صادقٍ ناصحٍ، قد هداه الله تعالى إلى الحقِّ والهدى، وحبَّب إليه العلم الشريفَ، فتعلَّم اللغة العربية، وقرأ القرآن الكريم، وتفقَّه في السُّنن، وَجَدَّ في طلب العلم فحصَّل قدرًا صالحًا منه، وقرأ في سير الصالحين فتأثر بأخبارهم، وحرص على سلوك سننهم وآثارهم، فبادر إلى الأعمال الصالحة، وأعدَّ العُدَّة للدار الآخرة، ولازم الأشياخ من أهل العلم والتديُّن والصَّلاح فانتفع بصحبتهم، وسَمَتْ نفسُه الشريفةُ العالية إلى اللحاق بركبهم، فشارك في التعليم والدعوة، ونهض بما قدر عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وخلال سنوات طويلة من التنقل في الحواضر الإسلامية في بلاد الشام ومصر، والمجاورة في مكَّة المباركة؛ اطَّلع ابن بَيْدَكِينَ على الأحوال الدينية والاجتماعية، فآلمه ما وجد فيها من البدع والمنكرات والمخالفات في العبادة والمعاملة والسلوك، وأدرك

الفارق الكبير بين ما كان عليه المجتمع الإسلامي في صدره الأول من الاستقامة على هدي الكتاب والسنة والاجتماع عليهما، وما آلتْ إليه حالُ الأمة من ظهور البدع والمعاصي وتفرُّق أهلها جماعات متنافرة متدابرة، مع فساد أهل السلطة والقوة، وسكوت كثيرٍ مِنْ أهل العلم والحجة، فانبرى - بحماسة المتديِّن، وتجرُّد النَّاصح، وحُرقة المشفِق - لتأليف هذا الكتاب في الدعوة إلى اتباع الكتاب والسنة، والسير على نهج السابقين من السلف الصالح الطيِّب، ونبذ البدع والمعاصي والمنكرات، والإنكار على أهلها والداعين إليها، والتحذير من حالهم ومآلهم.

نحن بين يدي رجلٍ قد غلبتْ عليه الشَّفقةُ والرِّقَّةُ والرَّحمةُ والتواضعُ[1]. إنه عارفٌ بقدره، فليس هو من العلماء، لكنَّه طالبُ علم، عاملٌ بعِلْمه، مستفيدٌ في نفسه، مفيدٌ لغيره خاصةً من طبقة العامة الذين لا يجدون من يرشدهم ويعلِّمهم، وإذا حضروا مجالس العلماء حضروها للبركة؛ لأنهم لا ينتفعون بأكثرها، فما يذكرونه من مصطلحات العلم والخلاف فيه ليس بالنسبة لهم إلا مغاليق غير مفهومة!

نجد التركمانيَّ قد أضاف إلى كتابه مقدمة قصيرة عبَّر فيها عمَّا أشرتُ إليه من حاله، مبيِّنًا سببَ التأليف، وغرضَه منه؛ فقال: «سألني بعض الأصحاب أنْ أذكر له شيئًا من البدع المحدَثة، الخارجة عن طريق المسلمين، المخالفة للسُّنة والكتاب، فأجبته إلى ذلك، وسألت الله تعالى الكريم الوهَّاب الذي يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب أنْ يهديني إلى الحق والرُّشد والصَّواب، وأنْ يجعله خالصًا لوجهه الكريم ليحصل به النَّفع والخير والثَّواب، وعليه توكلت وإليه المرجع والمآب، وسميتُه كتابَ: «اللُّمع في الحوادث والبدع». غفر الله تعالى لقارئه ولمؤلفه، ولمن نظر فيه، وللسامعين، ولمن سدَّ خللًا وُجِد فيه إن اطلع، وكشَط شيئًا قاله المؤلفُ فخرَجَ بقوله عن الكتاب والسنة ووقع؛ لأنَّ المؤلف قليل العلم، كثير الجهل، غافل عن أهوال يوم المُطَّلَع».

---

(١) وإن كان يقسو - أحيانًا - في بعض عباراته وأحكامه.

ثم نجده يقول في مقدمته الثانية: «بدأت فيه وأنا نزيل مكة... وكنت وقت أن بدأت فيه ضعيفًا من جميع الجهات: من جهة البدن، ومن جهة العلم والعمل، والعربية، وبُعد الذهن، وقلة الكتب في هذا الفن، وما يرادفها من الأحاديث النبوية. وقد قلت بعض الأحاديث والحكايات بالمعنى، وقد جوَّز ذلك بعض العلماء، وفيه تيسير لمن قد حلَّ بقلبه الغفلة والعمى،..».

ومن هنا فلا عجب أن نجد في الكتاب خللاً في لغته الأدبية، وضعفًا في مادته العلمية، وأحاديث وأخبارًا لا تصحُّ، ومصطلحات صوفية منبوذة؛ فتلك هي منتهى علم ابن بَيْدَكِينَ، وهو محكوم فيه بالنشأة والبيئة والثقافة العامة لمجتمعه الذي غلب عليه أسلوب القصص والأخبار والترهيب والترغيب من غير تثبُّتٍ ولا تمحيص، وحسب التركمانيِّ أنه بذل جهده ناصحًا مخلصًا، فبيَّن كثيرًا من البِدع، وحذَّر من كثير من المعاصي والمنكرات، ورصد جانبًا كبيرًا من أحوال مجتمعه، ليسجلها بدقَّة وأمانة، أما ما كان في كتابه من جوانب النقص؛ فقد حرصنا على تقويمها من خلال تخريج الأحاديث وبيان مراتبها من الصحة والضعف، والتعليق على كثير من المسائل، فجاء الكتاب في صورة حسنةٍ؛ إن شاء الله تعالى، وبقيت أشياءُ للمستدرك والمتعقِّب، والتوفيق من الله تعالى وحده.

❋ ❋ ❋

إنَّ هذا العمل العلميَّ ثمرةُ تعاون نبيلٍ في خدمة التراث الإسلامي، فقد كنتُ أحرص منذ سنوات على إخراج هذا الكتاب ويحول انشغالي بمشروع تحقيق تراث ابن حزم دون ذلك، فرأيتُ أن أُسند العملَ في تحقيقه إلى الإخوة الأفاضل في دار الكوثر للتراث بمصر المحروسة، فأنجزوا ما يلزم من مقابلة المخطوطات، وضبط النصِّ، وتخريج الأحاديث، ثم أجريتُ مراجعة دقيقة لعملهم فصحَّحتُ واستدركت وقوَّمتُ، وأضفتُ جملةً من التعليقات ختمتها بحرف (ت)، وكتبتُ مقدِّمةً في ترجمة المؤلف والتعريف بكتابه.

ولعلَّ مثل هذا العمل يكون نموذجًا يقتدي به من استحكمتْ فيهم شهوةُ نشر الكتب من منتحلي صنعة التحقيق؛ فيتَّقون الله ﷻ فيمن تحتَ أيديهم من طلبة العلم الذين يعملون لهم في نسخ المخطوطات ومقابلتها وتخريجها وتوثيقها والتعليق عليها، فينسبُ أولئك كلَّ هذه الأعمال إلى أنفسهم، متشبِّعين بما لم يعطوا، وهم يقرؤون في تلك الكتب التي يخرجونها للنَّاس آياتِ ترهيبٍ وزجر تنخلع منها القلوبُ الحيَّةُ؛ كقول الله ﷻ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: ١ ـ ٦].

وبعد الانتهاء من عملنا في تصحيح الكتاب وفهرسته؛ وقفتُ على رسالة جامعية للدكتورة أسماء بنت داود العلواني في تحقيق قطعة من كتاب «اللمع» مع مقدمة دراسية، تقدَّمت بها إلى جامعة أم القرى بمكَّة المعظَّمة، سنة (١٤٣١)، وتقع الأطروحةُ في (٦٥٩) صفحة: (١٦٠) صفحة للدراسة، و(٣٢٤) صفحة للنصِّ المحقَّق، وهو من أول الكتاب إلى آخر فصل: (فيما يبتدع في المساجد والجوامع مما يفعله الكبراء...)، وهو إلى صفحة (٢٨٠) من طبعتنا هذه، وبعده (٦٩) صفحة ملحق دراسة الأسانيد(١)، وبقية الصفحات للفهارس والمصادر.

لقد جوَّدت الباحثةُ الفاضلة عملها في الدراسة والتحقيق، وأحسنت في ضبط النصِّ والتعليق عليه، وبذلت في ذلك جهدًا ظاهرًا موفَّقًا مشكورًا ـ جزاها الله خيرًا، وسدَّد قولها وعملها ـ، وليتها أتمَّت تحقيق الكتاب بتلك الرتبة؛ إذن لقدَّمت خدمةً جليلةً لهذا الأثر النفيس. ولا يُنقص من عملها ما يَرِدُ عليه من النَّقد، فليس من شرط الباحث أن لا يخطأَ، ولكن من شرطه أن يُخلص ويتقن ويبذل غاية جهده في التحقيق والتدقيق، بخلاف من خان

(١) لا أدري كيف قبلت جهة الإشراف على البحث أن تقوم الطالبة بإفراد بعض أحاديث الكتاب بدراسة موسَّعة؛ رغم أنَّ ذلك خارج عن تخصُّصها وموضوع بحثها، كما أن الكتاب لا يحتوي على أحاديث مسندة أصلاً، وإنما أرادت بذلك تخريجها.

أمانة العلم، مثل هدَّام السنة الذي أبلغتُ في التشنيع عليه في مقدمتي لكتاب: «حجة الوداع»؛ فهو يستحقُّ ذلك وزيادة.

جرت الباحثةُ على سنن من قبلها من طلاب الدراسات العليا في عالمنا العربي في كيل المديح والثناء على الكتاب الذي يحقِّقونه وعلى مؤلفه، والمهابة من إخضاعه للنقد والفحص والتحليل، ولعل البيئة التعليمية العامة هي التي تدفعهم إلى ذلك، فيتخرَّج طلاب ليس عندهم قلقٌ ولا وسوسةٌ علمية، لا يحسنون إيجاد المشكلات ولا معالجتها، لهذا فليس من عجبٍ أن نجد الباحثةَ تصف ابنَ بَيْدَكِينَ بالعالم، والعلامة، والإمام، ومن أعلام القرن الثامن الهجري. وكل هذه العبارات مبالغة ومجازفة، فصاحبنا لا يعدو أن يكون طالب علم غير متعمِّق فيه، لكنْ تميِّزُه حماسةٌ دينيةٌ، وحرصٌ وجدٌّ واجتهادٌ مكَّنه من تألِيف هذا الكتاب[1]. وقد سجَّلت الباحثةُ ـ على استحياءٍ ـ جملةً من ملاحظاتها النقدية على الكتاب، بما يتلخَّص في الأخطاء في بعض الأحاديث والآثار، وفي عزوها وتوثيقها، وبعض الأخطاء النحويَّة، والإكثار من استخدام الأسلوب الوعظي في ثنايا العرض والرد على البدع التي يسوقها المؤلف، وتقطيع سياق المسائل بالقصص والحكايات، وإطلاق عبارات كان الأولى بالمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ استعمال غيرها، كقوله عن يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام: «لما طمع في اللعب صار أمره إلى العبودية والبئر والسجن»، وتخصيص علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بعبارة: «كرم الله وجهه»، وبعض الألفاظ والأحكام القاسية التي يطلقها على بعض العصاة والمبتدعة، كقوله عن رجل كتب على يده آية الكرسي: «إنه إذا مسَّ موضع الآية من يده وهو جنب فإنه يفسق ويكون ملعونًا»، وقوله عن الحائض إذا مكثت في المسجد إنها: «فاجرة، فإن استحلت ذلك كفرت وخسرت الدنيا والآخرة». ووجود عدد من الأحاديث الضعيفة أحيانًا، والموضوعة نادرًا، وأن المؤلف لم يلتزم باصطلاح

---

(١) وأعرفُ في زماننا هذا عاميًّا، لا يحسن قراءة سطرين على الجادَّة، قد ألف بعض الكتب بجمع مادَّتها من الرسائل الجامعية، وبذل في ذلك جهده سنين طويلة، وأفلح ـ بعد إلحاح ـ في استكتاب جماعة من العلماء لتقريظ كتبه، والجنون فنونٌ! ومثله لا يبلغ في العلم مدَّ ابن بيدكين ولا نصيفه.

المحدثين في تصدير الأحاديث الضعيفة دون الصحيحة بألفاظ التمريض، وتكلُّفه السجع في بعض المواضع.

وذكرت الباحثةُ ملاحظةً أخرى مهمةً، لكنها لم تقف عندها، وهي: «إدخال عدد من المعاصي التي ليست ببدع في الكتاب، وتسميتها بدعًا». والحقيقة أن هذا خلل أساسيٌّ في منهجية التأليف، ولا يقف الأمرُ عند «عدد» ولا «بعض» التي أصرت الباحثة على استخدامها خلال الملاحظات السابقة، بل الأمر أعظم من ذلك، فالكتاب في عمومه في المعاصي والمنكرات، أما البدع - بالمعيار الأصوليِّ الدقيق - فقليلةٌ، والمؤلف لا يحقِّقُ الحدَّ بين البدعة والمعصية، ذلك لأنَّه يتناول المخالفات في المجتمع الإسلامي برؤية دينيةٍ، وعظيةٍ، إصلاحيةٍ، لهذا فهو يحكم على كل معصية ومنكر لم يكن ظاهرًا في المجتمع الإسلامي الأول، ولا هو من سلوك الصالحين الأتقياء البررة بأنَّها بدعةٌ. فمما ذكره التركمانيُّ بوصف البدعة: تعذيب الطير، وتخطي رقاب المصلين، والمرور بين يدي المصلي، ونقر الصلاة، والكلام في وقت الجمعة. وهذه أمثلة أشارت إليها الباحثةُ، وثمة أمثلة أخرى كثيرة جدًّا، منها: حلق اللحية، والوشْم والوصْل، ولطم الخدود وشق الجيوب، وثقب الأُذن والإحليل ولبس الحديد، ولعب الشطرنج، وقبول شهادة الكافر والفاسق ورد شهادة المؤمن، والشفاعة بغير حقٍّ، والظلم في الوصية، ومنكرات رماة البندق وأهل الصيد، والبيع في المسجد وتخطي رقاب المصلين، ومكث المرأة في المسجد الحرام، وترك النكاح مع القدرة، ومنكرات الأعراس والأفراح والولائم والموائد والمزح، والضحك في المقابر، وترك السلام والمصافحة، والشبع الزائد، وقطع الخبز بالسكين، والتكبُّر المذموم، ولبس الذهب والحرير، وعدم الغيرة والتبرج والاختلاط، وغير ذلك[1].

---

(١) راجع في كتابنا هذا: ٣٥، ١٢٩، ١٣١، ١٧٠، ٢١١، ٢٥١، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٢، ٢٨٤، ٣٢١، ٣٢٨، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٤٠، ٣٧٤، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٨، ٣٩٠، ٤٦١، ٤٨٠، ٥٢٠، ٦١٨، ٦٢٦، ٦٨٣، ومواضع أخرى.

لقد ارتبط ابن بَيْدَكِينَ بصورة المجتمع الإسلامي في القرون الأولى التي شهد لها النبيُّ ﷺ بالخيرية، فوجد في سنة النبي ﷺ، ثم في سير أصحابه الكرام وأئمة الدين والصالحين من بعدهم؛ الأسوةَ والقدوةَ والنموذجَ الذي ينبغي الاقتداءُ به، وإحياءُ آثاره ومآثره، لكنَّه كلَّما التفتَ إلى واقع المجتمع من حوله أصيب بالصَّدمة والذُّهول والخيبة، فقد كثرت المنكراتُ، وظهرت المعاصي، وعمَّ الجهلُ والظلم؛ إلا ما شاء ربُّك، فلا غروَ ـ إذن ـ أن يحكم التركمانيُّ على تلك المعاصي والمنكرات بأنَّها: «بدع»، نعم؛ إنها «بدع» بمعنى أنها دخيلةٌ على أخلاقيات المجتمع المسلم وسلوكه، حادثةٌ فيه بعد أن لم تكن، فهي بدع بالمنظور الأخلاقي والتاريخي والاجتماعي، وإن لم تكن بدعًا وفق التأصيل الأصولي، والتخريج الفقهي.

لن نعدم في الآثار السلفية إطلاق لفظ «البدعة» على بعض المنكرات الطارئة على سلوك الجماعة المسلمة، فقد كتب الخليفةُ الصالح عمرُ بن عبدالعزيز رَحِمَهُ اللهُ إلى عمر بن الوليد بن عبدالملك بن مروان ـ وكان لعَّابًا متنعِّمًا[1] ـ يُنكر عليه بعضَ فعاله، فكان ممَّا كتبه إليه قولُه: «وإظهارُكَ المعازفَ والمزمارَ: بدعةٌ في الإسلام»[2]. ومهما يكن فإنَّ اطلاق لفظ «البدعة» على المنكرات والمعاصي بعد تدوين الفقه واستقرار المصطلحات أمر غير مستحسن، وهو في التصنيف خللٌ منهجيٌّ يؤدي إلى الخلط وسوء الفهم.

وصنعت الباحثةُ ترجمةً للمؤلِّف، وأجادت في جمع مادتها من كتابه، وفاتتها موادُّ كثيرة، كما أنها أخطأت في أشياء، منها: أنها لم تستطع التعرف على شيخ المؤلف الذي أكثر في النقل عنه، وهو ابن عطاء الله السكندري، ولم تحدِّد تاريخ تقريظ شيخ الإسلام ابن تيمية لرسالة «الفتوة»، وهو خلال المدَّة من شوال (٧٠٩) إلى شوال (٧١٢)، ولم تعرف المقتول

(١) قاله الذهبيُّ في «تاريخ الإسلام» ٣/١٣٣ (١٩٩).

(٢) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٤٤٢١)، وفي «المجتبى» ٢/١٧٨، وصححه الألباني في «تحريم آلات الطرب» ١٢٠.

على الزندقة في القاهرة، وهو ابن البققي. وتابعت الباحثةُ خطأ البابانيِ في «هدية العارفين» في نسبة كتاب «اللمع» إلى سميٍّ للتركماني متأخر، فدمجت بين اسمي الرجلين ونسبهما، وهو وهم نبَّهتُ عليه في صدر ترجمته.

وأفادتْ بترجمة ابن بيدكين في «الأثمار الجَنِيَّة في أسماء الحنفيَّة» لملا علي بن سلطان القاري (ت: ١٠١٤هـ)، وهذا نصُّها: «إدريس بن عبدالله التركمانيُّ: له كتاب الفتوَّة قدر كرَّاسٍ ورقٍ صغير، وكتاب السَّماع المضرّ قدر كرَّاس أيضًا، حرَّم فيه السماع وشدَّده وأطنب في التغليظ، وسمَّاه كتاب: الحجة والبرهان على فتيان هذا الزمان»[١].

قلتُ: هذا وَهْمٌ من القاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فرسالة الفتوَّة هي «الحجة والبرهان...»، واسمها دالٌّ على موضوعها، فليس هو في السَّماع. ولعلَّ القاري هو مصدر الوهم لحاجي خليفة والبغدادي ـ كما سيأتي في ترجمة التركماني ـ.

وأحسنت الباحثةُ في انتقاد الطبعة الأولى والوحيدة للكتاب التي حققها الدكتور صبحي لبيب، وصدر سنة (١٤٠٦هـ) عن المعهد الألماني للآثار بالقاهرة، وفصَّلت القولَ بذلك بما لم أرَ التعرُّض له في مقدمتي هذه، وختمت انتقادها بمأخذ رأته في غاية الأهمية، وهو: «أن الهدف الذي سعى له كلٌّ من المحقِّق والمعهد الاستشراقي الذي تبنَّى العمل هو إخراج مرجع تاريخي يتحدث عن تاريخ مصر لحقبة من الزمان مضت، ويسلط الضوء على الشؤون الاقتصادية والاجتماعية في تلك الحقبة، مما يخالف مراد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ويهمِّش كثيرًا من فوائد الكتاب ويسلبها أهميتها، ويخرج بالكتاب عن موضوعه الأصلي الذي يعالج قضاياه، يجلي ذلك ما ورد عن هذا التحقيق في مبدأ تصديره حيث جاء فيه: «يصدر هذا المجلد عن البدع للتركماني ليصبح إضافة جديدة لسلسة: (مصادر تاريخ مصر الإسلامية) التي

---

(١) «الأثمار الجنية» الطبعة الهندية، ص: ١٦٦، الترجمة (١١٢)، وطبعة الوقف السني ببغداد (١٤٣٠هـ)، ص: ٣٥٦، الترجمة: (١١٣)، وليس فيها كلمة «المضر»، و«الفتوة» تحرفت في الهندية إلى: «الفتوى».

يصدرها المعهد الألماني للآثار بالقاهرة، ومديره الأستاذ الدكتور فيرنر كايزر، ويشرف عليها الأستاذ الدكتور هانز رويمر... ويرجع اهتمام المحقق بموضوع البدع إلى عام (١٩٤٥م) عندما بدأ بحوثه عن تاريخ الاقتصاد الإسلامي، إذ اتضح له أن دراسة كتب الحيل والعرف والبدع جزء لا يمكن إغفاله عند دراسة شؤون الاقتصاد والمجتمع الإسلاميَّيْن...». ويزيد الأمر توضيحًا ما ذكره مدير المعهد بعد ذلك في تصديره للكتاب حين قال: «حاول المحقق أن يقدِّم صورة واضحة المعالم عن قيمة (كتاب اللمع) كمصدر تاريخي هامٍّ [كذا، والصواب: مهمّ]...»، وقال ـ بعد ذلك في ختام التصدير ـ: «وبعد أن انتهت أعمال تحقيق اللمع اتصل بالمستشرق الأستاذ الدكتور رويمر راجيًا نشر التركماني في سلسلة مصادر تاريخ مصر...». ولا شكَّ أن عملاً هذا هدفه الذي بُني عليه ولأجله، ستكون الجهود المبذولة فيه، وبالتالي نتيجته في حدود الهدف وما يتفق معه، فالناحية التاريخية هي المحور الذي يهتمُّ به هذا المعهد، وللمحقق تحقيق آخر لكتاب تاريخي هو كتاب: «دول الإسلام الشريفة»، بالمشاركة مع المستشرق أولريش هارمان».

قال عبد الحق التركماني عفا الله عنه: ما ذكرته الدكتورة أسماء العلواني حقٌّ لا مرية فيه، فالمستشرقون ـ ومن لفَّ لفَّهم، وسار على نهجهم ـ ينظرون إلى الميراث الديني بأنه من نتاج الفكر الإنسانيِّ فحسب، لهذا لا يتدبَّرون ما فيها من الآيات والحجج، ولا تتأثر قلوبهم بما فيها من الحكمة والموعظة، وهَمُّهُم جمع المادة العلمية من مظانِّها وغير مظانِّها، لدراسة الأفكار والظواهر وتحليلها ورصد جوانبها التاريخية والحضارية والاجتماعية والاقتصادية، بعقليَّة مادية لا تقرُّ بالوحي، ولا تدرك آثار ربوبية الله تعالى وملكه وتصرفه وتدبيره في الكون والتاريخ والحياة بمقتضى علمه وحكمته وعدله ورحمته. فليس من عجب أن يُفني المستشرقون أعمارهم في دراسة الإسلام عقيدةً وشريعةً وتاريخًا ثم لا يُسلِمُ أحدٌ منهم إلا القليل النادر جدًّا، ولله في خلقه شؤون.

على أنه إذا كان المستشرقون قد غلو في القراءة التاريخية للتراث

الديني، فعلينا أن لا نغلو في رفض تلك القراءة بإطلاق، فإنها مفيدة جدًا في فهم سيرورة التاريخ الإسلامي، والتحولات الدينية والاجتماعية والأخلاقية التي طرأت على المجتمع المسلم، وارتباط ذلك بسنة الله ﷻ في الأمم والمجتمعات والأفراد، حيث كانت الأمة تنعم باجتماع الكلمة والعزِّ والتمكين وظهور الأمر؛ يوم كانت متمسِّكة بكتاب ربها ﷻ وسنة نبيها ﷺ، فلمَّا ضعفتْ صلتها بهذين الأصلين، وظهرت البدع في العقائد والعبادات، وشاعت المعاصي والمنكرات والمظالم في المعاملات والأخلاق؛ ابتلاها ربُّها بالفرقة والضعف وتسلُّط الأعداء وكثرة النوازل والفتن.

وهذه الجملة متقررة عند أهل العلم والإيمان؛ لكن ما أقلَّ الدراسات العلمية الجادة في هذا المجال، أما الكتب الفكرية التي تناولت هذه القضية في العصر الحديث فقد ظلَّت محكومة بنظرية الخلافة والحكم، وكأنَّها أساس لكلِّ خير وإصلاح في الأمة، والحقيقة أنها نتيجة وأثرٌ لإقامة الدين الحقِّ وتحقيق التوحيد والاتباع.

لهذا فنحن في حاجَّة ماسة إلى قراءة إيمانيَّة تاريخية في تراثنا الإسلامي لرصد المخالفات العَقْدِيَّة والشرعية والسلوكية في المجتمع الإسلامي، وربطها بما أحاطتْ به من نوازلَ وحوادثَ، وانتهت إليه من نتائج وأحوال. وإذا كانت مظنَّة المادة العلمية لهذه الدراسة هي كتب التاريخ والتراجم؛ فإنَّ كتبًا في فنون أخرى تحوي مادة أكثر أهمية، وأعمق دلالة، وأدنى إلى خفايا المجتمع الإسلامي، فمنها المصنفات في الحوادث والبدع، وكتب الآداب الشرعية، وكتب الرِّحْلات، وكتب الفتاوى والنوازل. ولكتاب ابن بَيْدَكِينَ أهمية خاصَّة بين هذه الكتب، لما أشرتُ إليه سابقًا من دوافع التأليف لديه، وصلته بمجتمع العامَّة.

يبدو أنَّ بإمكاني أن أجعل هذه الفكرة أكثر وضوحًا من خلال اقتباس نصٍّ قيِّم لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، استخدم فيه المادةَ التاريخيةَ للعظة والاعتبار وفهم ما آلت إليه أحوالُ المسلمين، حيث قال في رسالته «الفرقان بين الحقِّ والباطل»:

«وقد قيل: إن أول من عُرف أنه أظهر في الإسلام التعطيلَ الذي تضمنه قول فرعون هو الجعد بن درهم، فضحَّى به خالد بن عبدالله القَسْرِيُّ[1]، وقال: أيها الناس! ضَحُّوا! تقبل الله ضحاياكم، إني مضحٍّ بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليمًا، تعالى الله عمَّا يقول الجعدُ علوًّا كبيرًا. ثم نزل فذبحه، وشكر له علماءُ المسلمين ما فعله كالحسن البصريِّ، وغيره. وهذا الجعد إليه يُنسب مروانُ بن محمد الجعديُّ، آخر خلفاء بني أمية، وكان شؤمه عاد عليه حتى زالت الدولة، فإنه إذا ظهرتِ البدعُ التي تخالف دين الرسل انتقم الله ممن خالف الرسل وانتصر لهم، ولهذا لما ظهرت الملاحدة الباطنية وملكوا الشام وغيرها ظهر فيها النفاق والزندقة الذي هو باطن أمرهم وهو حقيقة قول فرعون إنكارَ الصانع وإنكار عبادته، وخيار ما كانوا يتظاهرون به الرفضُ، فكان خيارهم وأقربهم إلى الإسلام الرافضةُ، وظهر بسببهم الرفض والإلحاد حتى كان من كان ينزل الشام مثل بني حمدان الغالية ونحوهم متشيِّعين، وكذلك من كان من بني بُوَيْه في المشرق. وكان ابن سينا وأهل بيته من أهل دعوتهم قال: وبسبب ذلك اشتغلتُ في الفلسفة. وكان مبدأ ظهورهم من حين تولِّي المقتدر، ولم يكن بَلَغَ بَعْدُ، وهو مبدأ انحلال الدولة العباسية، ولهذا سُمي حينئذ بأمير المؤمنين الأمويُّ الذي كان بالأندلس، وكان قبل ذلك لا يسمَّى بهذا الاسم ويقول: لا يكون للمسلمين خليفتان. فلمَّا وَلِيَ المقتدرُ، قال: هذا صبيٌّ لا تصحُّ ولايته. فسمِّي بهذا الاسم. وكان بنو عبيد الله القدَّاح الملاحدة يسمَّون بهذا الاسم، لكن هؤلاء كانوا في الباطن ملاحدة زنادقة منافقين، وكان نسبهم باطلاً كدينهم، بخلاف الأموي والعباسي، فإن كلاهما نسبه صحيح، وهم مسلمون كأمثالهم من خلفاء المسلمين.

---

(١) من عظماء الأمة وأفذاذها، كان سيفًا مصلَتًا على الباطنية والشعوبية، ولي مكة سنة (٨٩) للخليفة الوليد بن عبدالملك رَحِمَهُ اللَّهُ، ثم ولاه هشام بن عبدالملك رَحِمَهُ اللَّهُ العراقَيْن (الكوفة والبصرة) سنة (١٠٥)، فأقام بالكوفة، وطالت مدَّته إلى أن عزله هشام سنة (١٢٠)، قُتل في أيام الوليد بن يزيد سنة (ت: ١٢٦) في قصَّة عجيبةٍ تدلُّ على نبله وشرفه وسؤدده، رحمه الله تعالى.

فلما ظهر النفاقُ والبدعُ والفجورُ المخالف لدين الرسول سُلِّطتْ عليهم الأعداءُ، فخرجت الروم النصارى إلى الشام والجزيرة مرةً بعد مرةٍ، وأخذوا الثغور الشامية شيئًا بعد شيءٍ، إلى أن أخذوا بيتَ المقدس في أواخر المئة الرابعة، وبعد هذا بمدة حاصروا دمشقَ، وكان أهل الشام بأسوإ حال بين الكفار النصارى والمنافقين الملاحدة، إلى أن تولَّى نور الدين الشهيد، وقام بما قام به من أمر الإسلام وإظهاره، والجهاد لأعدائه، ثم استنجد به ملوكُ مصر بنو عُبيد على النصارى فأنجدهم، وجرت فصول كثيرة، إلى أن أخذت مصر من بني عبيد، أخذَها صلاح الدين يوسف بن شادي، وخطب بها لبني العباس، فمن حينئذٍ ظهر الإسلام بمصر، بعد أن مكثت بأيدي المنافقين المرتدِّين عن دين الإسلام مئتَي سنة.

فكان الإيمانُ بالرسول والجهاد عن دينه سببًا لخير الدنيا والآخرة، وبالعكس البدعُ والإلحادُ ومخالفة ما جاء به سبب لشر الدنيا والآخرة. فلما ظهر في الشام ومصر والجزيرة الإلحادُ والبدعُ سُلِّط عليهم الكفار، ولما أقاموا ما أقاموه من الإسلام وقهر الملحدين والمبتدعين نصرهم الله على الكفار، تحقيقًا لقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الصَّف: ١٠ ـ ١٣].

وكذلك لما كان أهل المشرق قائمين بالإسلام؛ كانوا منصورين على الكفار المشركين من الترك والهند والصين وغيرهم، فلما ظهر منهم ما ظهر من البدع والإلحاد والفجور سُلِّط عليهم الكفار؛ قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـُۥٓاْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا

عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الإسراء: ٤ ـ ٨].

وكان بعضُ المشايخ يقول: هولاكو ـ ملكُ الترك التتار الذي قهر الخليفةَ بالعراق، وقتل ببغدادَ مقتلةً عظيمةً جدًّا، يقال: قتل منهم ألف ألف، وكذلك قتل بحلب دار الملك حينئذٍ، كان بعض الشيوخ يقول ـ هو للمسلمين بمنزلة بُخْتُ نَصَّر لبني إسرائيل. وكان من أسباب دخول هؤلاء ديار المسلمين ظهورُ الإلحاد والنفاق والبدع حتَّى أنَّه صنَّف الرازيُّ[(١)] كتابًا في عبادة الكواكب والأصنام وعمل السحر سماه: «السِّرُّ المكتوم في السِّحْرِ ومخاطبة النُّجوم»، ويقال: إنه صنَّفه لأُمِّ السلطان علاء الدِّين محمد بن تِكِش بن جلال الدين خوارزم شاه[(٢)]، وكان من أعظم ملوك الأرض، وكان للرازي به اتصال قويٌّ، حتَّى أنه وصَّى إليه على أولاده، وصنَّفَ له كتابًا سماه: «الرسالة العلائية في الاختيارات السماوية». وهذه الاختياراتُ لأهل الضلال بَدَلَ الاستخارة التي علَّمها النبيُّ ﷺ المسلمين كما قال جابرٌ ـ في الحديث الصحيح الذي رواه

---

(١) هو ابنُ خطيب الرَّي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين (٥٤٤ ـ ٦٠٦هـ)، أحد أئمة الأشاعرة، صاحب التفسير الشهير. وكتابه في السحر صحيح النسبة إليه، أثبته من ليس من أئمة السنة كالطبيب المؤرخ ابن أبي أُصيبعة (ت: ٦٦٨) في «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» ص ٤٦٩، وابن خِلِّكان (ت: ٦٨١) في «وَفَيات الأعيان» ٢٤٨/٤، لهذا قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «نقض المنطق»: «صنف الرازي كتابه في عبادة الكواكب والأصنام، وأقام الأدلة على حسن ذلك ومنفعته، ورغَّب فيه، وهذه ردة عن الإسلام باتفاق المسلمين، وإن كان قد يكون تاب منه وعاد إلى الإسلام». وقال الذهبي في «ميزان الاعتدال»: «في كتاب الرازي «السر المكتوم» سحر صريح، فلعله تاب من تأليفه إن شاء الله تعالى».
قلتُ: أورد ابن أبي أُصيبعة في ترجمته وصيَّة الفخر الرازي، وهي دالة على ندمه وتوبته، والله تعالى يتجاوز عنَّا وعنه.

(٢) كذا، وفيه خطأ، صوابه: «علاء الدِّين محمد بن تِكِش»، وتكش يلقَّب أيضًا بعلاء الدِّين، أما جلال الدين فهو حفيد هذا، واسمه: مَنْكُوبِرِي بن مُحَمَّد بن تكش. وكان الفخر الرازي على صلة بمحمَّدٍ المتوفَّى سنة (٦١٧)، أما ابنه منكوبري فقُتل سنة (٦٢٨). انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي ٥١٥/١٣ (٤٧٨)، و٨٥٥/١٣ (٤٥٢).

البخاري وغيره ـ: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارةَ في الأمور كلها، كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «إذا هَمَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر ـ ويسميه باسمه ـ خيرٌ لي في ديني ومعاشي، وعاقبة أمري؛ فاقدره لي، ويسره، ثم بارك لي فيه. وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي، وعاقبة أمري؛ فاصرفه عنِّي، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به». وأهل النجوم لهم اختيارات إذا أراد أحدهم أن يفعل فعلاً أخذ طالعًا سعيدًا فعمل فيه ذلك العمل لينجح بزعمهم، وقد صنف الناس كتبًا في الرَّدِّ عليهم، وذكروا كثرة ما يقع من خلاف مقصودهم فيما يخبرون به، ويأمرون به، وكم يخبرون من خبر فيكون كذبًا، وكم يأمرون باختيار فيكون شرًّا. والرازي صنَّف الاختيارات لهذا الملك، وذكر فيه الاختيار لشرب الخمر وغير ذلك، كما ذكر في «السر المكتوم» في عبادة الكواكب ودعوتها مع السجود لها، والشرك بها، ودعائها، مثل ما يدعو الموحدون ربهم، بل أعظم، والتقرب إليها بما يظن أنه مناسب لها من الكفر والفسوق والعصيان، فذكر أنه يتقرب إلى الزهرة بفعل الفواحش وشرب الخمر والغناء ونحو ذلك مما حرمه الله ورسوله. وهذا في نفس الأمر يقرِّب إلى الشياطين الذين يأمرونهم بذلك، ويقولون لهم: إن الكوكب نفسه يحب ذلك، وإلا فالكواكب مسخرات بأمر الله، مطيعة لله، لا تأمر بشرك ولا غيره من المعاصي، ولكن الشياطين هي التي تأمر بذلك، ويسمونها روحانية الكواكب، وقد يجعلونها ملائكة، وإنما هي شياطين.

فلمَّا ظهر بأرض المشرق ـ بسبب مثل هذا الملك ونحوه، ومثل هذا العالم ونحوه ـ ما ظهر من الإلحاد والبدع سَلَّط الله عليهم الترك المشركين الكفار، فأبادوا هذا الملك، وجرت له أمور فيها عبرة لمن يعتبر، ويعلم تحقيق ما أخبر الله به في كتابه حيث يقول: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ

أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] أي: أن القرآن حقٌّ. وقال: ﴿سَأُورِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، وبسط هذا له موضع آخر»[١].

بهذه الرؤية الإيمانية النافذة، والذَّوق الدِّينيِّ الحيِّ؛ يجبُ فهم سيرورة التاريخ الإسلامي وصيرورتها، والنَّظر إلى تقلُّباته، وتفسير ما عانى ويعانيه المسلمون من التفرق والضعف والجهل والتخلف وتسلط الأعداء، وبهذه القراءة لكتاب ابن بَيْدَكِينَ نستطيع أن ندركَ ما كانت عليه حال الأمة في تلك الأزمان من ظهور البدع والمعاصي والمنكرات والمظالم، فكانت سنة ربانية أن تحيط بها الفتن والنوازل، لعل أفضعها سقوط بغداد ـ عاصمة الخلافة العباسية ـ سنة (٦٥٦هـ)، على أيدي التتار والمغول، وتتابع الحملات الصليبية على بلاد الشام ومصر التي بدأت منذ سنة (٤٩٠هـ)، وذهاب سلطان الخلافة وهيبتها، وانتهاء أمرها إلى قوَّاد الجيوش من المماليك وغيرهم.

أما المدينة الطاهرة المقدَّسة مكَّة المباركة؛ فلم تكن الأوضاع الدينية والاجتماعية والسياسية فيها بأحسن حالاً من الحواضر الإسلامية الأخرى، وإن كان الله تعالى صانها من الاعتداء الخارجي، لكن ظهرت فيها منكرات عظيمة بسبب قلة أهل العلم وضعفهم، وفساد ولاة الأمر وبُعدهم عن حقائق الإسلام وأحكامه ومقاصده السامية، فلا عجب أن نجد ابن بَيْدَكِينَ قد ضاق صدره، وعظم أسفه على ما رآه من المنكرات في بيت الله الحرام، من ذلك: ما تبتدعه النسوة من السماع في مكة خير البقاع من غناء ورقص وضرب صدر وكشف قناع (ص: ٢٠٦)، والرقص والنطُّ والغناء في مسجد الخيف من منًى (٢١٠)، وما يفعله بعض العوام من نكاح المتعة في طريق الحجاز إلى انقضاء موسم الحج (٣٠٥)، وبثَّ مُرَّ الشَّكوى مما يفعله بعض المبتدعة تبعًا لأشياخهم فيحلقون ذقونهم، ويوصلون شعورهم، ويكوون أبدانَهم ويوشمونَها، فينقش عليها اسم المحبوب، ثم يدخل السقاية بهذا المكتوب، ويقول: ولقد رأيت فقيرًا بمكة قد وشم على ساعده آية الكرسي

---

(١) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» ١٣/١٧٧ ـ ١٨٢.

بكمالها، .. وترى بعضهم يثقب أنفه، وآخر يثقب إحليله، ومنهم من يتكبَّل بالسلاسل والحديد (١٣١)، ويقول: ونعوذ بالله من كل البدع والطغيان، ومن أخوة النسوان، ومرافقة المردان، والاشتغال عن الذكر والقرآن، بشيء من اللهو والهذيان؛ كالرقص على ضرب الدف والكف والغناء والألحان (١٣٢)، وينكر ما يفعله بعض العباد المتشبهين بأهل الجور والظلم والعناد في مكة خير البلاد: من أكل الوقوفات بغير حقٍّ، وتعطيل المدراس وسكناها بالأهل والأولاد (٦٢٧)، ويذكر التركماني أن مكة المشرَّفة ليست بمعدن لما يريده الإنسان من الكتب (٤٩٦)، ولعل أكثر ما ذكره من المنكرات هو مما شاهده في مكة، فقد ألَّف كتابه فيها، وما ذكره ابن بَيْدَكِينَ فقليل من كثير، وغيض من فيض، وقد سجَّل شيخُه شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية (٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ وصفًا كليًّا جامعًا لحال الديار المقدسة في زمانهم، فقال:

«وأما سكان الحجاز: فأكثرهم ـ أو كثير منهم ـ خارجون عن الشريعة، وفيهم من البدع والضلال والفجور ما لا يعلمه إلا الله، وأهل الإيمان والدين فيهم مستضعفون عاجزون، وإنما تكون القوة والعزة في هذا الوقت لغير أهل الإسلام بهذه البلاد، فلو ذلت هذه الطائفة [يعني: أهل الشام في جهادهم ضد التتار] والعياذ بالله تعالى، لكان المؤمنون بالحجاز من أذل الناس، لا سيما وقد غلب فيهم الرفض ومُلْكُ هؤلاء التتار المحاربون لله ورسوله الآن مرفوض؛ فلو غلبوا لفسد الحجازُ بالكلية»[(١)].

سنعلو على عصر ابن تيمية وتلميذه قرنًا من الزمان ونيِّفًا لنقرأ شهادة صادقة لرحالة أندلسي ذُهل بما رآه في مكة من فساد الأحوال. إنه الإمام الصالح الجليل محمد بن أحمد بن جُبَير الكناني البلنسيُّ (ت: ٦١٤) رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]، فقد حضر موسم الحجِّ لسنة (٥٧٩)، وكتب يقول:

«وأكثر هذه الجهات الحجازية وسواها؛ فرقٌ وشيع، لا دين لهم، قد

---

(١) «مجموع الفتاوى» ٥٣٠/٢٨.

(٢) هكذا وصفه الإمام الذهبي في «تاريخ الإسلام» ٤١٧/١٣ (٢٣٦).

تفرَّقوا على مذاهب شتَّى. وهم يعتقدون في الحاج ما لا يُعتقَد في أهل الذمة، قد صيَّروهم من أعظم غلاتهم التي يستغلونها: ينتهبونهم انتهابًا، ويسببون لاستجلاب ما بأيديهم استجلابًا. فالحاجُّ معهم لا يزال في غرامة ومؤونة إلى أَنْ ييسر الله رجوعَه إلى وطنه. ولولا ما تلافَى الله به المسلمين في هذه الجهات بصلاح الدين؛ لكانوا من الظلم في أمرٍ لينادي وليده، ولا يلين شديده، فإنه رفع ضرائب المكوس عن الحاج، وجعل عوض ذلك مالاً وطعامًا، يأمر بتوصيلها «مُكْثِرٌ»[1] أمير مكة، فمتى أبطأَتْ عنهم تلك الوظيفة المترتبة لهم عاد هذا الأميرُ لترويع الحاجِّ، وإظهار تثقيفهم بسبب المكوس. واتَّفق لنا من ذلك أن وصلنا جُدَّة، فأمسكنا بها خلال ما خوطب مُكثر الأمير المذكور. فورد أمره أن يضمَن الحاجُّ بعضهم بعضًا، ويدخلوا حرم الله، فإن ورد المال والطعام اللذان يرسمه من قبل صلاح الدِّين[2] وإلا فهو لا يترك ما له قبل الحاج. هذا لفظه، كأنَّ حَرَمَ الله ﷻ ميراثٌ بيده، محلَّل له اكتراؤه من الحاج، فسبحان مغيِّر السنن ومبدِّلها. والذي جعل له صلاح الدين بدلاً من مكس الحاج، ألفا دينار اثنان، وألفا أردب من القمح، وهو نحو الثمان مئة قفِيز بالكيل الإشبيلي عندنا، حاشَى اقطاعات أقطعها بصعيد مصر، وبجهة اليمن لهم بهذا الرسم المذكور. ولولا مغيب هذا السلطان العادل صلاح الدين بجهة الشام في حروب له هناك مع الإفرنج؛ لما صدر عن هذا الأمير المذكور ما صدر في جهة الحاجِّ. فأحقُّ بلاد الله بأن يطهِّرها السيفُ، ويغسل أرجاسها وأدناسها بالدماء المسفوكة في سبيل الله: هذه البلاد الحجازية، لما هم عليه من حَلِّ عُرى الإسلام، واستحلال أموال الحاجِّ ودمائهم. فمن يعتقد من فقهاء أهل الأندلس إسقاط هذه الفريضة عنهم فاعتقاده صحيح لهذا السبب، وبما يُصنع بالحاجِّ مما لا يرتضيه الله ﷻ، فراكب هذا السبيل راكب خطر، ومعتسف غرر. والله قد أوجد الرخصة فيه على غير هذه الحال، فكيف وبيت الله الآن بأيدي أقوام

---

(١) هو مكثر بن عيسى بن فليتة بن قاسم بن محمد بن جعفر الهاشمي الحسنيُّ، آخر أمراء مكة من بني فليتة.

(٢) هو المجاهد الكردي صلاح الدين الأيوبيُّ (ت: ٥٨٩) رَحِمَهُ اللَّهُ.

قد اتَّخذوه معيشة حرام، وجعلوه سببًا استلاب الأموال واستحقاقها من غير حِلٍّ، ومصادرة الحجاَج عليها، وضرب الذلة والمسكنة الدنيَّة عليهم، تلافاها الله عن قريب بتطهير يرفع هذه البدع المجحفة عن المسلمين بسيوف الموحدين، أنصار الدين، . . .»[1].

ويذكر ابن جُبير تعدُّد المحاريب والأئمة في المسجد الحرام، فيقول: «وللحرم أربعة أئمة سنية، وإمام خامس لفرقة تسمى الزيدية، وأشراف أهل هذه البلدة على مذهبهم، وهم يزيدون في الأذان: حي على خير العمل، إثر قول المؤذن: حي على الفلاح. وهم روافضُ سبَّابون، والله من وراء حسابهم وجزائهم، ولا يجمعون مع الناس إنما يصلون ظهرًا أربعًا، ويصلون المغرب بعد فراغ الأئمة من صلاتها. فأول الأئمة السنية الشافعي، وإنما قدمنا ذكره لأنه المقدَّم من الإمام العباسي، وهو أول من يصلي، وصلاته خلف مقام إبراهيم، ﷺ وعلى نبينا الكريم، إلا صلاة المغرب فإن الأربعة الأئمة يصلونها في وقت واحد مجتمعين لضيق وقتها، يبدأ مؤذن الشافعي بالإقامة، ثم يقيم مؤذنو سائر الأئمة، وربما دخل في هذه الصلاة على المصلين سهوٌ وغفلةٌ لاجتماع التكبير فيها من كل جهة، فربما ركع المالكي بركوع الشافعي أو الحنفي، أو سلم أحدهم بغير سلام إمامه. فترى كلَّ أُذُنٍ مُصِيخَةً لصوت إمامِها، أو صوت مؤذِّنه مخافةَ السهو. ومع هذا فيحدث السَّهوُ على كثير من الناس. ثم المالكيُّ وهو يصلي قبالة الركن اليماني، ثم الحنفيُّ وصلاته قبالة الميزاب تحت حطيم مصنوع له. ثم الحنبلي وصلاته مع صلاة المالكي في حين واحد، موضع صلاته يقابل ما بين الحجر الأسود والركن اليماني. . .»[2].

---

(1) «رحلة ابن جبير» ص: ٥٤، دار صادر، بيروت.

(2) «رحلة ابن جبير» ٧٨. ويُراجع عن هذه البدعة وإنكار العلماء لها: رحلة القاسم بن يوسف التجيبي السَّبتي (ت: ٧٣٠هـ): «مستفاد الرحلة والاغتراب»، و«إصلاح المساجد» للشيخ جمال الدين القاسمي، و«تاريخ عمارة المسجد الحرام» لحسين عبد الله باسلامة رَحِمَهُ اللهُ.

وهذه بدعةٌ قبيحةٌ شنيعةٌ، مُبكيةٌ مضحكةٌ، قد عجزَ العلماء والقضاة والمفتون عن تغييرها قرونًا طويلةً، حتَّى حقَّق الله ذلك على يد الملك الصالح عبدالعزيز بن عبد الرحمٰن آل سعود رَحِمَهُ اللهُ، فأزال المحاريب الأربعة، وجمع المسلمين على إمام واحد، وذلك في سنة (١٣٤٥هـ/١٩٢٦م).

والمقصودُ أنَّ هذا الكتاب، وما هو من بابته من كتب البدع والآداب الشرعية، وكذلك كتب التاريخ والتراجم والرحلات؛ مظنَّة معلومات كثيرة مهمَّة عن أحوال العالم الإسلامي، وبجمع تلك المادة العلمية بدقة وأمانة؛ يمكن تكوين تصور صحيح عن ماضي المسلمين وحاضرهم، على هدى من سنن الله الكونية والشرعية، بعيدًا عن متاهات الفكر والعاطفة والتفسير السياسي والماديِّ لحقائق الدين وآثاره.

❋ ❋ ❋

المكوِّن العلمي والديني لابن بَيْدَكِينَ مثير للاهتمام. نجد في شيوخه رجلان على طرفي النقيض في العقيدة والمنهج والدعوة، أولهما: ابن عطاء الله السكندري: صوفيٌّ جلدٌ، وثانيهما: أبو العباس ابن تيمية: إمام سلفيٌّ مصلحٌ. نستطيع أن نستنتج من خلال اقتباساته الكثيرة عن شيخه الأول، وتأثره بمواعظه، وصلته بمصادره والكتب التي كان يدرِّسها في مجالسه[1]؛ أنَّه لازمه مدَّة طويلة، وانتفع به في التديُّن والسلوك. أما صلته بابن تيمية فمتأخرة ومحدودة، ولا ندري إن كان أخذ عنه في دمشق قبل انتقاله إلى مصر، لكن الذي ندريه ـ ونحن منه على يقين ـ أنه اتَّصل بابن تيمية خلال وجوده في مصر من سنة (٧٠٥) إلى سنة (٧١٢)، ومن المؤكَّد أن تلك الصلة بدأت بعد خروج ابن تيمية من السجن في شوال (٧٠٩)، أي بعد موت ابن عطاء الله بأشهر.

إذا كانت اقتباسات ابن بَيْدَكِينَ عن ابن عطاء الله ظاهرة بيِّنة، قد

---

(١) قارن بما ذكره د. عبد الحليم محمود في مقدمته لكتاب: «لطائف المنَن» لابن عطاء الله السكندري، دار المعارف، القاهرة، ط: ٢، ص: ١١.

اهتدينا إليها في مصادرها؛ فإنَّنا لا نجد مثلها عن ابن تيمية، وربما يكون السبب في ذلك تأخر صلته به، وأفادت الباحثة أسماء العلواني أنَّ قول ابن بَيْدَكِينَ في النَّهي عن السَّماع (١٨٢ ـ ١٨٣): «فإن قال أحدهم: إن هذا السماع جعلناه شبكة نصطاد بها قلوب الغافلين... يقال له: شبكة مخرَّقة...إلخ»، يرد بعض عباراته في فتوى لابن تيمية في السماع[1]. وكذلك قوله: «وكذلك قول بعضهم: إن الملائكة والنبيين والصالحين تحضر هذا السماع...» إلى آخر حديث: «إنما نهيت عن صوتين فاجرين:...» بمقدار نصف صفحة، منقول ـ بتصرف يسير ـ من فتوى أخرى لابن تيمية[2]. وربَّما أمكن اكتشاف أمثلة أخرى مع شدَّة التحرِّي، وهو ما لم نفعله، على أننا وجدنا عنده اهتمامًا بموضوعاتٍ اهتمَّ بها ابن تيمية ضمن جهوده الإصلاحية، مثل النهي عن السماع البدعي، والرد على القرندلية والمرازقة والفتوة وغيرهم.

في رسالة الفتوة ـ وهي: «الحجة والبرهان على فتيان هذا الزمان» ـ بعض الشواهد على تأثر ابن بَيْدَكِينَ بشيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله تعالى، فقد استلَّها من كتابه «اللمع» حيث أفرد فيه فصلاً في الفتوة، فنجد في الرسالة المفردة التي قرَّضها ابن تيمية بعد التعديلات الدقيقة التي انتهى إليها ابن بَيْدَكِينَ إما بما استفاده من ملازمة ابن تيمية، وإما بتوجيه مباشر منه قبل أن يقرِّظ عليها، ونلاحظ أنه أول العلماء الأربعة في التقريظ.

نجد التركماني يقول في فصل الفتوة في «اللمع» (٢٢٩): «لأن النبي ﷺ نهى أن يحدَّ الرجلُ النظر إلى الغلام الأمرد، الحسن الوجه. ونهى أيضًا عن مجالسته، وأقام أمرد من بين يديه، وأجلسه خلفه. وقال سيد البشر: «كانت خطيئة داود النظرُ».». وهذا الحديث وما قبله لا يصحُّ، لهذا حاول تصحيح العبارة في الرسالة المفردة، فقال (٨١٧): «لأن الشعبي وغيره من مشايخ الأشياخ، كلٌّ منهم نهى أن يحدَّ الرجل...» فذكره ولم

---

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» ٦٠١/١١.

(٢) «مجموع فتاوى ابن تيمية» ٦٤١/١١ ـ ٦٤٢، وكتابنا هذا: ١٩٤.

ينسب شيئًا منه إلى النبي صلى الله عيله وسلم. ويترجح عندي أنَّه استفاد هذا من شيخ الإسلام، فقد قال: «وقد روى الشعبيُّ عن النبي ﷺ: أن وفد عبدالقيس لما قدموا على النبي ﷺ وكان فيهم غلام ظاهر الوضاءة، أجلسه خلف ظهره، وقال: «إنما كانت خطيئة داود عليه السلام النظر». هذا وهو رسول الله ﷺ وهو مزوج بتسع نسوة، والوفد قوم صالحون، ولم تكن الفاحشة معروفة في العرب، وقد روي عن المشايخ من التحذير عن صحبة الأحداث ما يطول وصفه»؛ على أن شيخ الإسلام بيَّن في موضع نكارة هذا الحديث[(١)].

ونجده في موضع آخر يقول في تفسير: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾ [الإنسان: ٨]: «نزلت في حقِّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو الفتى الكبير، روي ذلك عن أهل التفسير»، هذا في «اللمع» (٢٣١)، أما في الرسالة المفردة فقد عمد إلى حذفه، فنقدِّرُ أنَّ ابن تيمية أشار عليه بذلك، فقد قال رحمه الله في رسالة «فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه»: «وأما سورة ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾، وقول من يقول: إنها نزلت لما تصدقوا على مسكين ويتيم وأسير. ويذكرون أن ذلك كان لما تصدقت فاطمة رضي الله عنها بقوت الحسن والحسين. وهذا كذب؛ لأن سورة ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾ مكيَّةٌ بالإجماع، والحسنين إنَّما وُلدا بالمدينة بعد غزوة بدر، باتِّفاق أهل العلم»[(٢)].

ونجده بعد ذلك ينقل كلامًا طويلاً في الفتوة عن أبي العباس المرسي من كتاب «لطائف المنن» لشيخه ابن عطاء الله، ويذكر بعده وصفًا لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ـ فيه ما لا يصحُّ ـ، ثم يذكر فتوَّة إبراهيم ومحمدٍ عليهما الصلاة والسلام، وهو نصٌّ طويل في ثلاث صفحات (٢٣٢ ـ ٢٣٧)، وقد تخلَّص منه في الرسالة المفردة، وأعاد ربط الكلام في هذا الموضع بصياغة

---

(١) «مجموع الفتاوى» ٣٧٠/٢٨، ٢٤٨/٣٢، ٣٧٧/١٥، وكتابنا هذا: ٢٢٩، ٨١٧.

(٢) «فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه»، منشور في «مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة» المجلد (١٣)، العدد (٢٢)، (١٤٢٢هـ). وطبع مفردًا لدى دار الصحابة بمصر، (١٤١٢هـ)، ص: ٥٤.

حسنة (٨١٨ ـ ٨١٩). ونقدِّر ـ أيضًا ـ أن هذا الاختصار كان بتوجيه من ابن تيمية الذي لا يتسامح في ذكر روايات لا تصحُّ، خاصَّة عندما تضعف الردَّ على المخالفين لاحتجاجهم بها بغير وجه حقٍّ[١].

وزاد ابن بَيْدَكِينَ (٨٢٢) إشارة غير وافية إلى تاريخ حدوث هذه البدعة، وهو مما شرحه شيخ الإسلام في فتياه عن الفتوة[٢].

إذا كان ابن عطاء الله أعظم تأثيرًا في التكوين المعرفي والثقافي لابن بَيْدَكِينَ، فقد كان ابن تيمية ـ والدعاة من تلاميذه ـ أعظم وأبلغ تأثيرًا فيه لسلوك منهج الاعتصام بالكتاب والسنة، ومنابذة البدع وأهلها، والغيرة على حرمات الشريعة، ومن المحال أن يخرج من مدرسة ابن عطاء الله ـ وأمثاله من الصوفية الخرافية، المنحرفين عن السنة وأهلها ـ مثل ابن بَيْدَكِينَ بغيرته الإيمانية، وحماسته الدينية، وحرصه على تجريد الاتباع للأسوة والقدوة ﷺ، كما يشهد به جميع صفحات كتابه، فمادته كما قال (١٤٦): «في هذا الكتاب البدع المستجدَّة مما شاهدناه»، وقال (٧٩٠): «أردتُ أن يكون هذا الكتاب جميعه في ذكر من خرج عن الشرع وابتدع، فجعل الله سبحانه بعضه في ذكر من اتَّبع لنبيِّه وحبيبه، وذلَّ وخضع»، ويبثُّ مرَّ الشكوى من: «كثرة البدع وغربة الإسلام» (١٣٨)، ومن: «شيوع البدع وقلَّة إنكارها» (١٧٠)، ويبيِّن أن قلَّة إنكارها هي السبب في انتشارها (١٣٤)، لهذا يحثُّ ولاة الأمر على القيام بواجبهم في إزالة البدع وزجر أهلها ومنعهم (٢٣٩، ٥٤٦، ٥٥٣)، كما يحثُّ قراء كتابه على إزالة البدع إن قدروا على ذلك (١٣٩)، ويهدم أهم أسس التصوف فيؤكِّد على أنَّه: «لا ينبغي للمسلم أن يطيع شيخه ويعصي ربَّه ونبيَّه» (٤٩٣).

أما عقيدة ابن بَيْدَكِينَ في أسماء الله تعالى وصفاته وغيرها؛ فهي عقيدة سلفية في الجملة، على طريقة أهل السنة والجماعة في إثبات أخبار الكتاب

---

(١) يُراجع: «مجموع الفتاوى» ٤/٤٩١ ـ ٤٩٣، و١٨/٣٥٥ ـ ٣٧١، و«منهاج السنة» ٥/٢٨ ـ ٣٨.

(٢) «مجموع الفتاوى» ١١/٨٢.

والسنة من غير تحريف ولا تأويل ولا تعطيل، ومن غير تمثيل ولا تشبيه ولا تكييف. وقد أحسن ابن بَيْدَكِينَ فختم كتابه بنبذة في العقيدة نقلها من عقيدة الإمام أبي جعفر الطحاوي الحنفي (ت: ٣٢١هـ) المشهورة بالعقيدة الطحاوية (٧٩١ ـ ٧٩٧)، وفيها إثبات الاستواء، خلافًا لما وقع فيه من الخطإ أثناء ردِّه على المرازقة (٥٠١ ـ ٥٠٦)، ومهما يكن؛ فهذه مسالك دقيقة لا يُحسِن ابن بَيْدَكِينَ الخوض فيها، وحسبه ما نقله من «العقيدة الطحاوية» ففيه الدلالة الكافية لصحَّة معتقده، وموافقته لأهل السنة والجماعة[١].

أما في الفقه فهو حنفيُّ المذهب، وذلك بحكم البيئة والنشأة، وعامَّة التركمان حنفيَّة[٢]، وفي علماء المذهب جماعة مشهورة منهم، كالعلامة عثمان بن إبراهيم بن مصطفى المارديني (٦٥٠ ـ ٧٣١هـ)، وهو فقيه، من العارفين بالتفسير انتهت إليه رياسة الحنفية بالديار المصرية، وهو الذي قرَّظ لابن بَيْدَكِينَ على رسالته في «الفتوة»، وابناه: تاج الدين أحمد بن عثمان (٦٨١ ـ ٧٤٤هـ)، قاضٍ وفقيه، وعلاء الدين عليٌّ (٦٨٣ ـ ٧٥٠هـ)، قاضٍ وفقيه ومحدِّث، له: «الجوهر النقي في الردِّ على البيهقي»، ويُعرفُ ثلاثتهم بابن التركمانيِّ رحمهم الله تعالى جميعًا.

إذن؛ فلا عجبَ أن نجد ابن بَيْدَكِينَ ينسب نفسه: «الحنفيَّ»، وينقل في مواضع من كتابه (٢٧٨، ٣١٣، ٥٠٨، ٥٤٢) عن الفقيه الحنفي الشهير

---

(١) ترى د. أسماء العلواني أنَّ التركماني تعمَّد إغفال مواضع من العقيدة الطحاوية، فلم يقتبسها لأنه رآها منتقدَةً، فلم يذكر فيها مثلاً ما جاء في الطحاوية: «ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه، والإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان»، وكذلك ما جاء فيها: «والإيمان واحد، وأهله في أصله سواء»، وكذلك لما جاء عند عبارة الطحاوية: «ولا نشهد لهم بالجنة..»، استبدل بها رَحِمَهُ اللَّهُ قوله: «ونشهد لمن... شهد له النبي ﷺ بالجنة». ونجده في موضع آخر يصرِّحُ بعقيدة أهل السنة بأن الإيمان يزيد وينقص.

(٢) وإن كان في أعلامهم من ليس على المذهب الحنفي، كالإمام مؤرخ الإسلام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله الذهبي التركماني (٦٧٣ ـ ٧٤٨هـ)، فقد كان شافعيَّ المذهب رحمه الله تعالى.

أبي اللَّيث السَّمرقنديّ (ت: ٣٧٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، غير أنَّه غير متعصِّب لمذهبه، بل نجده ينقل من كتب الحنابلة أيضًا، كالمغني لابن قدامة (٢٢٣)، والمنتقى من الأخبار في الأحكام للمجد ابن تيمية (٤٠٥) في مسألة منع النساء من زيارة القبور، وخالف في ذلك الأصحَّ في مذهبه، كما خالف مذهب الحنفية وعامة الفقهاء في مسألة قراءة القرآن عند القبور (٤٢٤)، ونقل عن النووي رَحِمَهُ اللَّهُ (٧٧٩).

❋ ❋ ❋

قد يظنُّ بعضُ الناس ـ وبعضُ الظنِّ إثمٌ ـ أنَّني عُنيت بتحقيق هذا الكتاب ونشره بدافع قوميٍّ، لكون المؤلِّف تركمانيًا؛ فقد ابتلي أكثر الناس في بلاد الإسلام بالنَّزعات والنَّعرات القومية والقبلية والوطنيَّة، وتغذِّي ذلك أحزاب سياسية ومخططاتُ أعداء الإسلام لتمزيق الأمة وتقطيع أوصالها، وجعلها قطعانًا يسهل تسييرها والتحكُّم فيها. ولا أحتاج إلى التكلُّف في دفع ذلك الظنِّ الفاسد فقد بيَّنت في مقدمتي الدراسية لكتاب: «الأحاديث النبوية في ذم العنصريَّة الجاهلية» للشيخ عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم رحمه الله تعالى؛ ما يجب على المسلم من البراءة من تلك النزعات والدعوات الجاهلية لمنافتها لحقيقة الرضا بالله عَزَّوَجَلَّ ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ صلى الله عيله وسلم نبيًا ورسولاً. وفي تلك الدراسة وما في الكتاب نفسه من الأحاديث النبوية الزاجزة عن ذلك الاعتقاد والسلوك الجاهلي؛ حجة كافية، وموعظة بليغة لمن كان يبتغي وجه الله عَزَّوَجَلَّ والدارَ الآخرة، أمَّا من غفل عن الغاية التي خلق من أجلها، والمعنى الحقيقي لحياته ووجوده، وهو أن يعبدالله تعالى وحده لا يشرك به شيئًا، كما قال ربُّنا سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، وغفل عن العاقبة والمصير والحياة الحقيقية الأبدية إما إلى الجنة وإما إلى النار: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩]، ويوم لا ينفع عرقٌ ولا قومية ولا لغة ولا لون ولا جنس: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾ [الممتحنة: ٣]، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾، والناس فريقان لا ثالث لهما، فإمَّا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾، وهم أهل الإيمان الصحيح والعمل الصالح، وإما: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ [عبس: ٣٤ ـ ٤٢] ـ نعوذ بالله من حالهم ـ؛ فلا ينتفع ـ ذلك الغافل ـ بعلمٍ ولا موعظةٍ، أسأل الله تعالى أن يهدي قلوبنا، ويطهرها من الشرك والنفاقِ والرياء.

إنني أرى أنَّ اهتمامَ كلِّ قوم من الأقوام الإسلامية بلغتهم وميراثهم الإسلامي ـ إن سلمت النيات والمقاصد ـ أمرٌ حسنٌ، يُظهر عظمة هذا الدين الذي استوعب بسماحته وسعته ورحمته أقوامًا كثيرة مختلفة في ألسنتها وألوانها وأعراقها، فاجتمعوا على دين التوحيد أمةً واحدةً، وإخوةً مؤمنين، يتناصرون ويتراحمون ويتعاطفون، وتنعدم الفوارق بينهم كلمّا وقفوا بين يدي الله ﷻ، متَّجهين إلى قبلةٍ واحدةٍ، يدعون ربًّا واحدًا، ويقرؤون بالعربية كلامه المجيد، يسألونه الهداية إلى سلوك طريق واحد: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾، فلا يزيغهم عنه إلا ما يبتلون به من الجهل والغفلة أو يتلبَّسونَ به من أهواء النفس وشبهاتها وشهواتها.

نعم؛ فقد كان المجتمع الإسلامي مثالاً للتعددية القوميَّة والثَّقافيَّة، فلم يُمنَع أحدٌ من التحدُّث بلغته، ولا الالتزام بزيِّه وهيئته، ولا العيش على طريقة أسلافه؛ ما لم يكن في ذلك مخالفة لشريعة الله ﷻ، فتحقَّق فيهم قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾، وصار معيار التميُّز إقامة العبودية لله ﷻ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، فتسابقوا في خدمة عقيدتهم ودينهم، فكان منهم العلماء والأمراء والعبَّاد والزهَّاد والمجاهدون، بذلوا أموالهم وأنفسهم في نصرة الإسلام، وإعلاء كلمة الله ﷻ، فلا تجدُ علمًا من العلوم الشرعية والعربية، ولا ميدانًا من ميادين الجهاد والعمل والتَّضحية إلا وهم شركاءُ فيه: عربهم وعجمهم، أحمرهم وأسودهم، مشرقيِّهم ومغربيِّهم. وبذلك بارك الله في آثارهم، وأعلى

شأنهم، وأبقى ذِكْرَهُم، فهذه كتب التاريخ والتراجم والرجال والأنساب تزخر بسيرهم العطرة، وأخبارهم الطيبة، وأعمالهم الجليلة، وهذه مصنفاتهم في مختلف العلوم والفنون قد حفظ الله بها دينه وحجَّته على خلقه، ولو أنهم عملوا لغايات عنصرية بغيضة، أو من أجل رقعة أرض؛ إذن لطمس الله ﷻ آثارهم، ولم يكتب النفع والقبول لأعمالهم.

❋ ❋ ❋

أتممتُ كتابةَ هذه المقدِّمة الليلةَ الماضيةَ؛ فإذا بي أُفجَع بعدَ ظُهر هذا اليوم الأربعاء (٢٣) من شهر رجب (١٤٣٣هـ)، الموافق (٢٠١٢/٦/١٣م)؛ بوفاة والدي الشَّيخ ملا حقِّي بن عليٍّ بن غنيٍّ التُّركمانيِّ، في محلِّ مولده ونشأته وحياته: مدينة كركوك في العراق، أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يغفر له ويرحمه، ويجعله من أهل الجنَّة والنَّعيم المقيم.

أَجِدُ بين والدي الشيخ ملا حقي والشيخ إدريس بن بيدكين - رحمهما الله وغفر لهما - شبهًا من وجوهٍ، منها: كونهما من التُّركمان، وطلبهما العلمَ على كبر، وعنايتهما بالقرآن الكريم، وتفقُّههما على مذهب الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وغلبة الفقر والتواضع والانكسار عليهما، وحبهما للسنة، وبعدهما عن البدعة، وسلامتهما من بدع التصوُّف وانحرافات الفِرَق، وما كتب الله ﷻ لهما من القبول والحظوة عند النَّاس؛ لما وجدوا فيهما من الخير والصلاح ومكارم الأخلاق. ولم تكن عندهما عنايةٌ بتقييد تاريخهما وأخبارهما، وكانا يميلان إلى الخمول والسلامة، - أعني: ترك التكلُّف، وعدم حبِّ الظهور والتصدُّر، ولابن أبي الدنيا كتاب: «التواضع والخمول» -، وقيَّدا حصيلةَ علمها في مواعظ إصلاحيَّة، فألَّف ابن بيدكين كتابه هذا، وجمع والدي مجموعةَ خطبٍ ومواعظَ؛ نسأل الله تعالى أن ييسِّر لنا طباعتها قريبًا.

كان مولدُ أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سنة (١٣٥١هـ/١٩٣٢م) في محلَّة المصَلَّى بمدينة كركوك، ونشأ في قلعة كركوك في أسرةٍ صالحةٍ متديِّنةٍ، فقيرةِ الحال، فقد كان والدُه رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعمل حلاقًا في السُّوق الكبير، ويضطر إلى العمل أحيانًا في البناء، لهذا بدأ أبناؤه بالعمل في مقتبل عمُرهم، فكان والدي يعمل في الخِبازَة، ويخرجُ بعد الفجر لتوزيع الخبز، فحُرِمَ الدراسةَ

النظاميَّة المبكِّرة، لكن حبَّب الله تعالى إليه طلبَ العلم، فبدأ بختم القرآن الكريم في السادسة عشرة من عمره، وفي سنة (١٣٦٨هـ/١٩٤٩م) انتقل إلى بغدادَ، وبدأ بحفظ القرآن الكريم على المتصدِّر للإقراء في جامع المرادية الشيخ المؤذِّن ياسين (ولم يكن الوالدُ يتذكَّر تمام اسمه ونسبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ). فكان يعمل نهارَه في الخِبازَة، يضع المصحفَ الشرَّيف على طَرَفِ التنُّور: يخبزُ ويحفظُ، فإذا جاءَ المساء انصرف إلى شيخه، يعرض عليه تلاوته وحفظه، حتَّى أتمَّ حفظ القرآن الكريم في سنتَيْن، وحصل على الإجازة منه، وعاد إلى كركوك سنة (١٩٥٤م)، ولازم الشيخَ المقرئ ملا حَسُّون رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فعرضَ عليه القرآنَ حفظًا وتجويدًا مرَّتين.

وقد كان أكثرُ النَّاس في تلك الأزمان في غفلةٍ وجهالةٍ بالغةٍ، وكانت البدعُ هي الغالبة على أحوالهم، فكانتْ قراءةُ القرآن الكريم صنعةً يتعلَّمُها القارئ ليقرأ في المآتم والموالد، فيطرب الناسُ لصوته من غير فهم ولا تدبُّرٍ، وهكذا وجد الوالدُ نفسَه بعد تحصيله على الإجازة في التجويد والقراءات، لكن سمتْ نفسه إلى طلب العلم، والتفقُّه في الدِّين، فبدأ بالتَّعليم الدينيِّ في المساجد فدرس النحو والصرف والعقيدة والتفسير والحديث والسيرة والفقه الحنفي والفرائض وغيرها من العلوم والفنون على المشايخ المدرِّسين في مساجد المدينة، وأشهرهم: الشيخ ملا مجيد عريان، والشيخ العلامة ملا عبد المجيد القطب (ت: ١٤٠٦هـ) ـ وقد أدركتُه، وزرتُه مرارًا صحبةَ والدي في جامع النُّعمان بالسُّوق الكبير ـ، وكان والدي خلال تلك المدَّة يسافر إلى بغداد كلَّ أسبوع للقراءة على الشيخ عبد القادر الخطيب (ت: ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فأخذ عنه روايتَي حفصٍ وشعبةَ عن عاصم، وأجازه الشيخُ ترتيلاً وحفظًا. فلمَّا تخرَّج على مشايخه، وأجازوه، عُيِّن إمامًا وخطيبًا، فبدأ بالانصراف عن القراءة في المآتم والموالد، حتَّى تركها كليًّا، رغم شدَّة لوم أقرانه وأصحابه له، واستغرابهم لاعتزاله بعدما نال من الشُّهرة والقبول لحسن صوته وجودة أدائه، ولأنَّ تلك الصَّنعةَ كانتْ مصدرَ كسب مالٍ وفيرٍ، لكنَّه كان صابرًا على حال الفقر والحاجة.

واظب الوالدُ الشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على الإمامة والخطابة في عدَّة مساجد في

المدينة العتيقة، إلى أن نقل سنة (١٩٦٠م) إلى جامع الحاج إبراهيم بك التِّكريتيّ، وفي التاسع عشر من شهر محرَّم الحرام سنة (١٣٨٧هـ)، الموافق للتاسع والعشرين من شهر نيسان سنة (١٩٦٧م) صدر المرسومُ الجمهوريُّ عن رئيس الجمهورية - يومئذٍ - الفريق عبد الرحمٰن محمد عارف؛ بتوجيه جهة الإمامة والخطابة في جامع كركوك الكبير إلى والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وما زلنا نحتفظ بالنسخة الأصلية لذلك المرسوم، وله أهميته ودلالته، فإنَّ منصب الإمامة والخطابة في مسجد المدينة الجامع نيابةٌ عن وليِّ الأمر، ورغمَ علمانيَّة الدولة؛ فإنَّ ذلك الإجراء بقي في هيكل الدَّولة، وهو ممَّا ورثه النظام الجمهوري عن النظام الملكي، وورثه الأخيرُ من تنظيمات الدولة في العهد العثمانيّ. وفي سنة (١٩٨٠م) انتقل الوالد إلى جامع اليرموك، حتَّى أحيل إلى التقاعد سنة (١٩٩٧م)، واستمرَّ في الخطابة في مساجد المدينة؛ حتَّى أقعده المرضُ، رحمه الله تعالى وغفر له.

كان الوالدُ الشيخُ هادئ الطبع، كريم النفس، صبورًا عفيفًا، بعيدًا عن القيل والقال، لم نسمع منه في بيته أو مجلسه كلمةَ فحشٍ أو سبٍّ أو تنقُّص من أحدٍ، كان مسلمًا مسالمًا، قد سلم النَّاسُ من لسانه ويده، وأَمِنُوا بوائقَه، واطمئنُّوا إلى أخلاقه واستقامته، وأقرُّوا بفضله ونُبْله، وعلموا أنَّه غير منافسٍ لهم في دنياهم، ولا راغبٍ في جاههم، ولا ناظرٍ إلى أموالهم؛ فأحبُّوه واحترموه وأجلُّوه، ورأوا فيه القدوة الصالحة، ونموذج الشيخ الصادق؛ فهو كثير الصَّمت، عفيف اللسان، طاهر الأثواب، رفيع الأخلاق، مع تديُّنٍ وصلاحٍ، وثباتٍ على وجهةٍ واحدةٍ، رغم تقلُّب الأحوال وتتابع الابتلاءات والفتنِ، فقد ابتلي في نفسه بالأمراض الكثيرة منذ كهولته، وابتلي في أبنائه بمرض أربعةٍ منهم بمرض نزف الدَّم الوراثي (الهيموفيليا)، هذا مع قصر ذات اليد، وانتفاء أسباب العلاج والراحة، فكان يشكو حاله إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ولا ينزل حوائجه بالنَّاس.

أما خطبه يوم الجمعة فقد كانت مقصد المصلين من جميع فئات المجتمع، خاصة الشباب، فيمتلئ بهم المسجد الكبير وملحقاته، وكان يتقنُ إعداد خطبته، ويُحسن اختيار موضوعاتها، ويجوِّد إلقاءها، فكانت مدرسة

تربويةً، مؤثرةً، نافذة إلى أعماق القلوب.

اشتدَّت الأمراضُ على الشيخ الوالد خلال العقد الأخير من حياته، فكان ملازمًا لبيته، لا تنقطع عنه زيارات الأقرباء والأصدقاء والطلاب والمحبين الكثيرة والمتتابعة، حتَّى كان مرضُه الأخير قبل نحو ثلاثة أسابيع، فدخل في الغيبوبة، إلا أنه كان يستمِعُ - في أوقات متفرقة - للقرآن الكريم، وربَّما أشار إلى خطإِ القارئ عليه في التِّلاوة، وفي حالات الإفاقة النَّادرة كان لسانُه يتحرَّكُ بذِكْرِ الله ﷻ وحَمْدِه، حتى أتاه الأجل المحتوم في التَّاريخ المذكور، ومع أنَّ المدَّة بين موته والصلاة عليه كانت أقلَّ من أربع ساعات؛ فقد اجتمع لتشييعه حشدٌ كبيرٌ من جميع فئات المجتمع وقومياته، ودخلت المدينةُ كلُّها في حزنٍ ظاهرٍ على الوجوه، وأهلُ العلم والتديُّن والخير والصلاح يشهدون له بالخير، ويذكرونه بالجميل، وتلهج ألسنتُهم بالدعاء له، جزاهم الله خيرًا، وتقبَّل دعواتهم، وغفر لوالدينا ووالديهم، ورزقنا وإياهم حسن الخاتمة.

وإنَّ من خير ما أنعم الله تعالى على والدنا رحمه الله أنْ شرحَ صدره وهداه ووفَّقه إلى كتابة وصيةٍ موجزةٍ، عليها توقيعُه وختمُه، وقام أخي الحاج عبد الغني - أثابه الله - بقراءتها على الحضور بعد الدَّفن مباشرةً، فكانت بالغةَ التأثير فيهم، عظيمةَ النَّفع، إذ فيها الوصيةُ بتقوى الله ﷻ، ولزوم السنة، ومجانبة البدعة، فمنها قوله رحمه الله:

«أُوصي أبنائي وإخواني وأقربائي وأصدقائي جميعًا أولاً بتقوى الله وطاعته، ولزوم أوامره، وكثرة مخافته، ثم أوصي وأقول: أنا إذا متُّ تكون الجنازةُ والتعزية شرعيَّةً، يعني لا أريد مجالسَ الفاتحة، ولا مقرئي القرآن، ولا السجائر والقهوة، ولا أريد الحفلات، ولا أريد الخميس، ولا الأربعين، ولا الخمسين، ولا رأس السنة، ولا يوم العيد للسنة الأولى... وإنِّي أُشهِدُ الله تعالى أنَّني بريءٌ من كلِّ فِعْلٍ يخالفُ هديَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم من خروج النساء خلفَ الجنازة، والصِّياح، والعويل، والنِّياحة، وتشييد القبر بالرُّخام، والقفص الحديد، ولا أريدُ

الذهابَ إلى المقابر صباحًا ثلاثًا، فأرجو منكم الدُّعاء فقط من الله تعالى أن يرحمني ويغفر ذنوبي، وأسأل الله تعالى أن يوفِّق كلَّ من ينفِّذ هذه الوصية كما هي، وبريء ممن يخالف وصيَّتي أمام الله تعالى يوم القيامة».

قلتُ: فكانت هذه الوصيَّة خاتمةً حسنةً له، وأثرًا طيبًا، وهو فيها قدوةٌ صالحةٌ لأهل المدينة، وقد صارتْ حديثَ مجالسهم، فدفع الله تعالى بها شرًّا عظيمًا، إذ لولاها لعجز أبناؤه عن منع محبِّيه ومعزِّيه - وهم بالآلاف - أن يصنعوا بعض ما نهَى عنه في وصيَّته. وإنَّنا نقدِّر ونظنُّ فيه - ولا نزكِّيه على الله تعالى فهو أعلمُ به - أنَّ هذه الوصية كانت ثمرةَ إخلاصه وصدقه، وخشيته أنْ يدفنَ في مسجدٍ، أو يتَّخذ قبرُه عيدًا وضريحًا ومزارًا، كما يصنع بعض النَّاسِ بقبور الصالحين في كركوك وغيرها من بلاد المسلمين، والله المستعان.

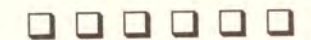
هذا ما جرى به القلمُ في هذا الموطن، وقد تملَّكني الحُزْنُ على فقد الوالد، وقد قيل: موتُ الأب قاصمةُ الظَّهر. فكيف مع بُعد العهد باللقاء، واشتداد ألم مفارقة الأهل والوطن، واستحكام وحشة الاغتراب، لا جعلنا الله تعالى من الشاكِين إلا إليه، هو ملجؤنا وملاذنا، لا حول ولا قوة إلا به.

اللهم اغفر لعبدَيْكَ: إدريس بن بيدكين وحقِّي بن علي وارحمها، واجعل القرآن العظيم شفيعًا لهما، وقائدًا لهما إلى الجنَّة، واحشرهما في زمرة النبيِّين والصدِّيقين والشهداء والصالحين، وحسُنَ أولئك رفيقًا. آمين. آمين. والحمد لله رب العالمين.

كتبه

عبد الحق التركماني

ليستر/بريطانيا





نبذة في البدعة والمنكر والمعصية

قال ابن منظور في «لسان العرب» (مادة: بدع): بدَع الشيءَ يَبْدَعُه بَدْعًا، وابْتَدَعَه: أنشأه وبدأه، وبدَع الرَّكِيَّة: اسْتَنْبَطَها وأحدَثها. والبِدْعُ: الشيء الذي يكون أولاً، وفي التنزيل: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩]؛ أي: ما كنت أولَ من أُرْسِلَ، قد أُرسل قبلي رُسُلٌ كثير. والبِدْعةُ الحَدَث، وما ابْتُدِعَ من الدِّينِ بعد الإكمال. قال ابن السكيت: البِدْعةُ كلُّ مُحْدَثةٍ. وفلان بِدْعٌ في هذا الأمر: أي أوّل لم يَسْبِقْه أحد. وأَبْدَعَ وابْتَدَعَ وتَبَدَّع أتى بِبدْعةٍ، قال الله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ [الحديد: ٢٧]، وبَدَّعه: نَسَبه إلى البِدْعةِ، واسْتَبْدَعَه: عدَّه بَديعًا، والبَدِيعُ: المُحْدَثُ العَجيب، والبَدِيعُ: المُبْدِعُ، وأبدعْتُ الشيء: اخْتَرَعْته لا على مِثالٍ، والبَديع من أسماء الله تعالى لإِبْداعِه الأشياءَ وإحْداثِه إيَّاها، وهو البديع الأوَّل قبل كلِ شيء، ويجوز أن يكون بمعنى مُبدِع، أو يكون من بَدَع الخلْقَ: أي بَدَأه، والله تعالى كما قال سبحانه: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧] أي خالقها ومُبْدِعُها، فهو سبحانه الخالق المُخْتَرِعُ لا عن مثال سابق. والبديعُ: المُبْتَدِع والمُبْتَدَع، وشيء بِدْعٌ ـ بالكسر ـ: أي مُبتدَع. وأُبْدِعتِ الإبلُ: بُرِّكَت في الطريق من هُزال أو داء أو كَلال، وأَبْدَعت هي: كَلَّت أو عَطِبَت، كأنه جُعل انقطاعها عما كانت مستمرَّةً عليه من عادة السَير إبْداعًا، أي: إنشاء أمر خارج عما اعْتِيدَ منها.

قال أبو العبَّاس ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البدعة في الدِّين: هي ما لم يشرعه الله ورسوله صلى الله عيله وسلم، وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا

استحباب، فأما ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب، وعُلم الأمرُ به بالأدلة الشرعية: فهو من الدين الذي شرعه الله، وإن تنازع أولو الأمر في بعض ذلك. وسواء كان هذا مفعولاً على عهد النبي ﷺ أو لم يكن، فما فُعل بعدَه بأمره؛ من قتال المرتدين، والخوارج المارقين، وفارس، والترك، والروم، وإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، وغير ذلك؛ هو من سنَّته»[1].

وقال أبو إسحاق الشاطبي رحمه الله: «البدعةُ: عبارة عن طريقة في الدين، مخترعةٍ، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه. وهذا على رأي من لا يدخل العادات في معنى البدعة، وإنما يخصها بالعبادات. وأما على رأي من أدخل الأعمال العادية في معنى البدعة فيقول: البدعة طريقة في الدِّين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية»[2].

وقال ابن رجب البغداديُّ رحمه الله: «المراد بالبدعة: ما أُحدِثَ مما لا أصلَ له في الشريعة يدلُّ عليه، وأما ما كان له أصلٌ من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعًا، وإن كان بدعةً لغةً. وفي «صحيح مسلم» عن جابرٍ رضي الله عنه: أنَّ النبي ﷺ كان يقول في خطبته: «إنَّ خيرَ الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمدٍ، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكل بدعة ضلالة». فقوله ﷺ: «كل بدعةٍ ضلالةٌ» من جوامع الكلم؛ لا يخرج عنه شيءٌ، وهو أصلٌ عظيمٌ من أصول الدين، وهو شبيه بقوله: «مَنْ أحدَثَ في أمرنا ما ليس منه فهو ردٌّ»، فكلُ من أحدث شيئًا، ونسبه إلى الدِّين، ولم يكن له أصل من الدِّين يُرجع إليه: فهو ضلالةٌ، والدين بريءٌ منه، وسواء في ذلك مسائلُ الاعتقادات، أو الأعمال، أو الأقوال الظاهرة والباطنة. وأما ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع، فإنَّما ذلك في البدع اللُّغوية، لا الشَّرعية»[3].

---

(١) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» ٤/١٠٧ ـ ١٠٨.

(٢) «الاعتصام» ١/٥٠.

(٣) «جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم» الحديث: (٢٨).

وقال ابنُ حجر العسقلاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمحدَثات - بفتح الدَّال - جمع محدَثةٍ، والمراد بها ما أحدث وليس له أصل في الشرع، ويسمَّى في عُرف الشرع: بدعةً، وما كان له أصل يدل عليه الشرعُ فليس ببدعةٍ، فالبدعة في عرف الشرع مذمومةٌ، بخلاف اللغة؛ فإن كل شيء أحدث على غير مثال يسمَّى بدعةً، سواء كان محمودًا أو مذمومًا، وكذا القولُ في المحدَثة، وفي الأمر المحدَث»[1].

وقال السيوطيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم - رحمَكَ الله -: أنَّ السنة في اللغة: الطريقُ، ولا ريبَ في أنَّ أهل النقل والأثر المتبعين آثار رسول الله ﷺ وآثار الصحابة، هم أهل السنة، لأنَّهم على تلك الطريق التي لم يحدث فيها حادث، وإنما وقعت الحوادث والبدع بعد رسول الله ﷺ وأصحابه. والبدعةُ: عبارة عن فِعْلةٍ تصادم الشريعة بالمخالفة، أو توجب التعاطي عليها بزيادة أو نقصان»[2].

وذهب ابن بيدكين في كتابه هذا إلى تقسيم البدع إلى الأحكام الخمسة، وهي الواجب والمندوب والمباح والمكروه والمحرَّم، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ (٧١): «اعلم أنَّ البدع على أقسام: مباح، وثواب، ومكروه، وحرام. فالمباح: ليس على فاعله جناح، والثواب: يقرب لرب الأرباب، وتارك المكروه عليه يثاب، وفاعل الحرام هو عبد مُدبِر مذموم، بالبعد والحرمان موسوم، والذي يُذكر في هذا الكتاب هو من البدع الذي يُذم فاعله، ولا يحمد قائله؛ لأن البدع تارة تكون في الأفعال، وتارة تكون في الأقوال».

قلتُ: فإن كان مراده بهذا التقسم المعنى اللُّغويَّ للبدعة، فلا بأسَ، فكلُّ أمرٍ حادث هو - في اللغة - بدعةٌ، ويكون في أمر الدِّين والدنيا، فقد يكون محمودًا وقد يكون مذمومًا. وإن كان مراده المعنى الشرعيَّ، فهو تقسيمٌ باطلٌ، لأنَّ الأمرَ الحادثَ: إما أن يكون له مستندٌ شرعيٌّ - من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس - فهو أمرٌ مشروعٌ، ولا يُسمَّى بدعةً، وإما أن لا

(١) «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» ١٣/٢٥٣ (٦٨٤٩).

(٢) «الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع» ٨٨.

يكون له مستندٌ شرعيٌّ؛ فهو بدعةٌ ولا بدَّ، وقد أخبر رسول الله ﷺ أنَّ كلَّ بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النَّار.

وأول من ذهب إلى تقسيم البدعة إلى الأحكام الخمسة الفقيهُ العزُّ ابنُ عبد السَّلام الشافعيُّ (ت: ٦٦٠) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: «قواعد الأحكام في مصالح الأنام»، وتبعه تلميذُه: القرَّافي المالكيُّ (ت: ٦٨٤) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: «الفروق»، وفصَّل الشاطبيُّ المالكيُّ (ت: ٧٩٠) رَحِمَهُ ٱللَّهُ القولَ في ردِّ هذا التقسيم في كتابه العظيم: «الاعتصام»، فليراجعه من أحبَّ دراسة المسألة.

ومهما يكن؛ فإن لابن بيدكين عباراتٍ جيِّدةً في إطلاق البدعة على كل أمر حادثٍ مخالف للكتاب والسنة، وأنها مذمومة مردودة. فنجده يقول ـ مثلاً ـ: «فمن عمل عملاً، أو تكلَّم بكلام، أو أشار بشيء؛ لا يوافق الكتاب والسنة والخلفاء الراشدين، وإجماع المسلمين: فهو بدعة وضلالة، وتردُّ على القائل أو الفاعل؛ لقوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». ويقول ـ أيضًا ـ: «وهذه الأشياء بدعة مخالفة لسنة النبي ﷺ وسنة صحابته، وسنة السلف الصالح من أمته، وكل بدعة ضلالة، وشر الأمور محدثاتها» ثم يستدلُّ بالحديث السابق.

أما المنكرُ فهو في اللغة اسم مفعول من أنكر، وهو: خلاف المعروف. والمنكر: الأمر القبيح. وأنكرت عليه فعله إنكارًا: إذا عبته ونهيته، وأنكرت حقَّه: جحدته.

والمنكر شرعًا: ما ليس فيه رضا الله عَزَّ وَجَلَّ من قول أو فعل.

والمعصية لغةً هي الخروج من الطاعة ومخالفة الأمر، يقال: عصاه معصية وعصيانًا: خرج من طاعته، وخالف أمره، فهو عاص وعصاء وعصي. وهي شرعًا: مخالفة الأمر قصدًا. قال البزدويُّ: المعصية اسم لفعل حرام مقصود بعينه.

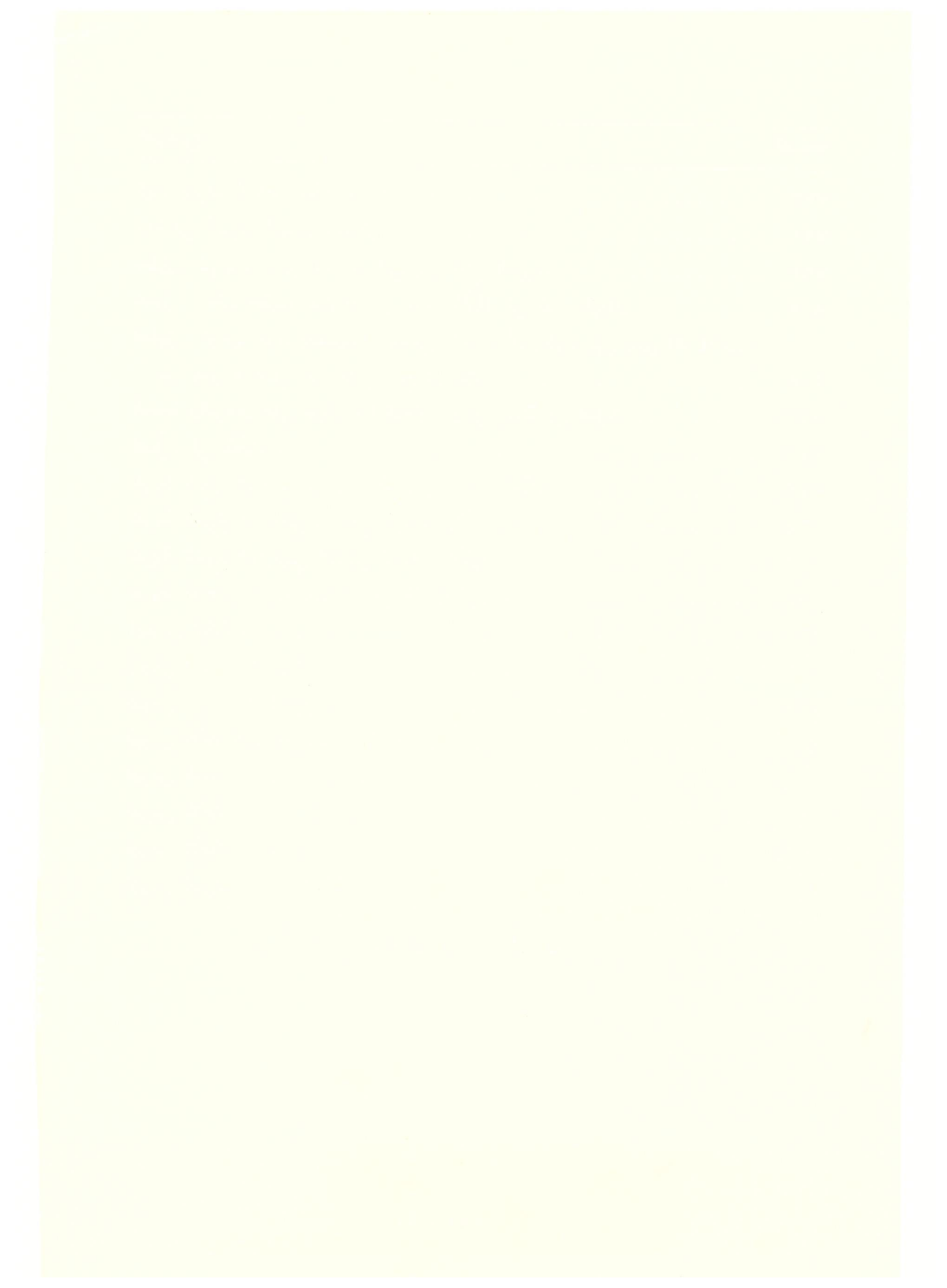
والعلاقة بين المنكر والمعصية أنَّ المنكر أعمُّ من المعصية[١].

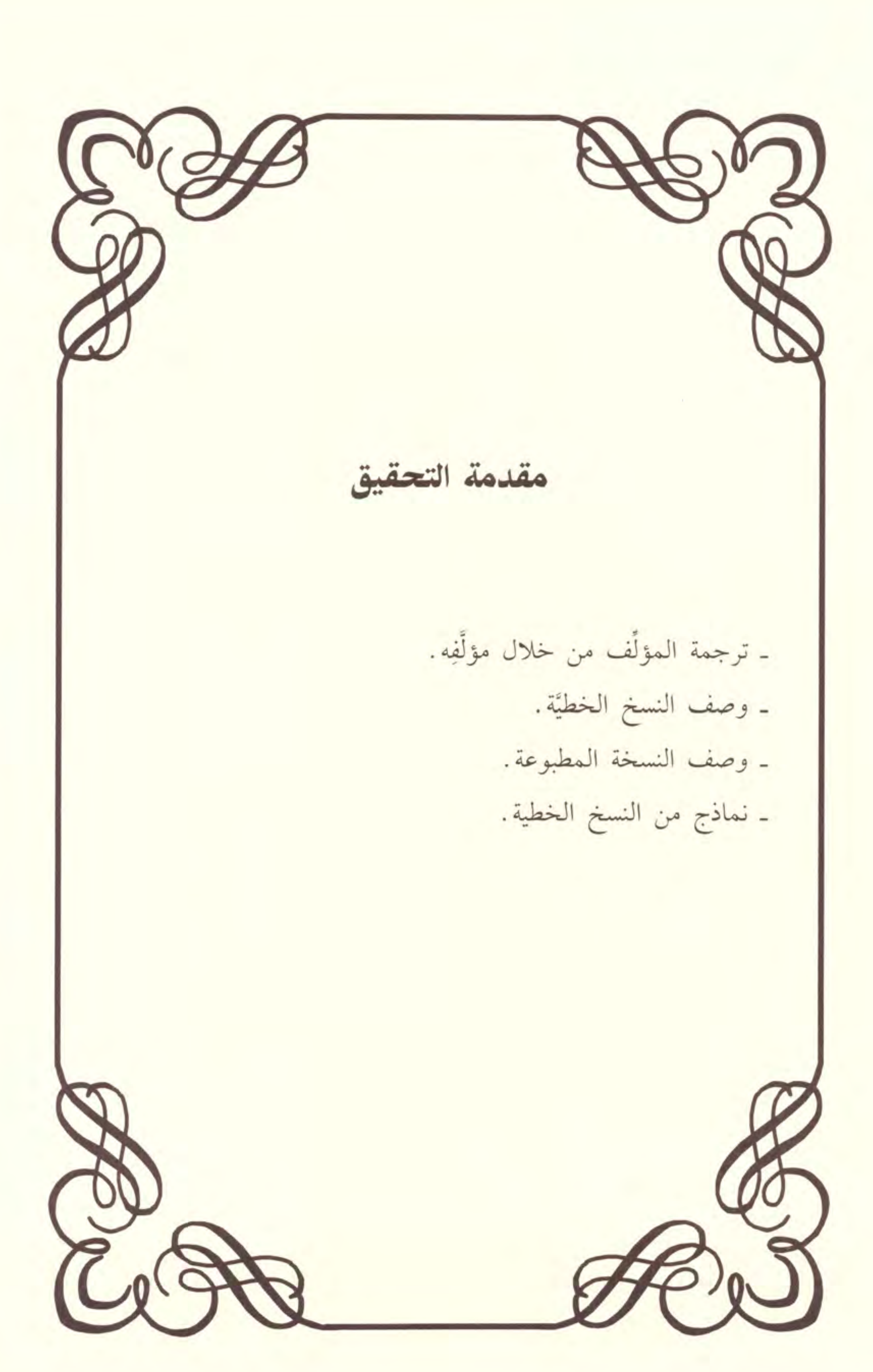
ويتبيَّن ممَّا سبق أن البدعة أخصُّ من المعصية، فالبدعة ما كان في أمر الدِّين بمعنى التقرُّب إلى الله ﷻ والتعبُّد والتديُّن، أما المعصية: فكل خروج عن أمر الشارع الحكيم ونهيه. لهذا فكل بدعة معصيةٌ، ولا يلزم أن تكون كلُّ معصية بدعةً، فالاحتفال بالمولد النبوي: بدعة ومعصية، والقتل والزِّنَى وشرب الخمر: معصيةٌ، وليست بدعةً. والمنكرُ أعمُّ منهما، فكلٌّ من البدعة والمعصية منكرٌ، مخالف للمعروف من السنة والشريعة. وإن لوحظ في «المنكر» أصل هذه الكلمة، وأنها مفعول من أنكَرَ؛ فيمكن القول بأنَّ المنكر ما يجب إنكاره وتغييره، وهو بهذا المعنى أخصُّ من المعصية وأعمُّ من البدعة، لأن كثيرًا من المعاصي تكون سرًّا بين العبد وربِّه، فلا يقع الإنكار. أما كونه أعمَّ من البدعة؛ فلأنَّ ما ينكر قد يكون بدعة، مثل تعظيم قبور الصالحين والبناء عليها تديُّنًا، وقد لا يكون بدعة لعدم قصد التديُّن فيه؛ مثل البناء على قبور الأقارب وتزيينها وإضاءتها، والله تعالى أعلم.



---

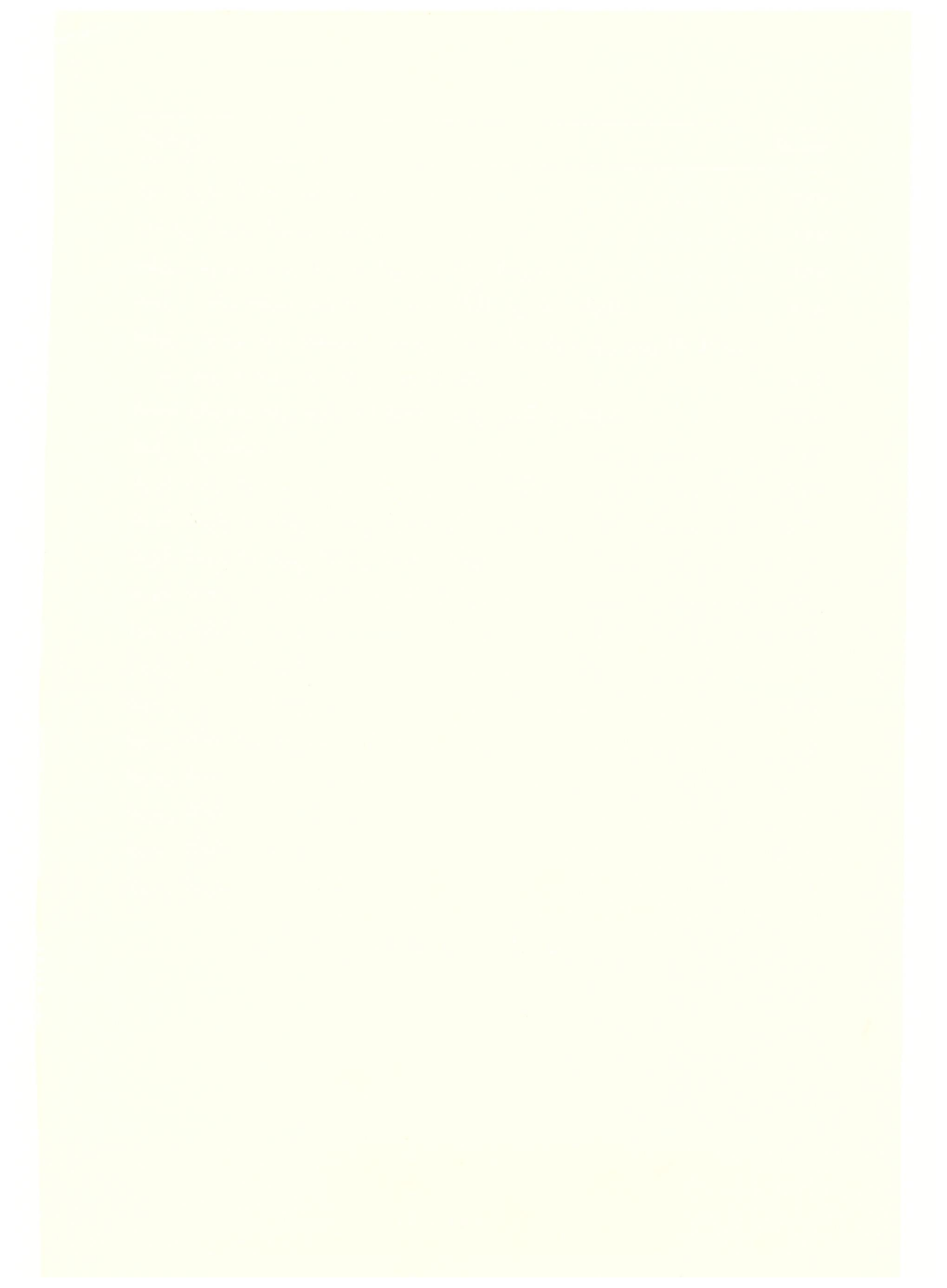
(١) «الموسوعة الفقهية الكويتية» مادة: (منكر)، ومادة: (معصية).





مقدمة التحقيق

- ترجمة المؤلِّف من خلال مؤلَّفِه.
- وصف النسخ الخطيَّة.
- وصف النسخة المطبوعة.
- نماذج من النسخ الخطية.





ترجمة المؤلِّف من خلال مؤلَّفِه

ابن بيدكين الذي لم يترجم له أحد:

ليس لنا أن نقف في كتب التاريخ والطبقات والتراجم على ترجمة لابن بيدكين إلا في إشارة غير وافية عند حاجي خليفة (ت: ١٠٦٧هـ) في كتابه: «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون»، فقد ذكر كتابنا هذا فقال:

«اللمع في الحوادث والبدع، لإدريس بن بيدكين التركماني الحنفي، ذكره ابن الشحنة في «هامشه» هكذا»[١].

ولكلمة «هكذا» دلالتها، فابن الشحنة لم يذكر عن ابن بيدكين أكثر من هذا، مما يؤكد إغفال المؤرخين لترجمته، وليس في إشارة ابن الشحنة كبير فائدة، لأنه قيَّدها - في غالب الظن - عن نسخة من كتاب ابن بيدكين، واستند إليه حاجي خليفة لعدم اطلاعه على الكتاب.

وابن الشِّحنة هو أبو الفضل محمد بن محمد الثقفي الحلبي، المعروف بابن الشحنة الصغير (ت: ٨٩٠)، له هوامش على «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» لأبي محمد عبد القادر بن محمد القرشي (ت: ٧٧٥)، وقد جوَّد الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو رحمه الله تحقيقه، معتمدًا على عدة

---

(١) «كشف الظنون» ١٥٦٢/٢، اسطنبول: ١٩٤١م.

نسخ خطيَّة ليس في شيء منها هوامش ابن الشِّحنة، وعُني تقي الدين بن عبد القادر التميمي الغزي (ت: ١٠١٠) في كتابه: «الطبقات السنية في تراجم الحنفية» بهوامش ابن الشحنة، فقيَّد جملةً من فوائدها، ورغم ذلك فقد أغفل إفراد ابن بيدكين بترجمة، مع أنه خصَّص فصلاً لمن اسمه: (أحمد شاذ، وإدريس، . . .).

لن نكون أكثر سعادة بإشارة أخرى نجدها عند إسماعيل بن محمد البابانِي البغدادي (ت: ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م) في: «هدية العارفين أسماءَ المؤلفين وآثار المصنِّفين»، فمن المؤكَّد أنَّه اطلع على كتب ابن بيدكين أو قيَّد المعلومات عنها من فهارس المكتبات التي اطلع عليها، وأخطأ في تسميته فقال:

«ابنُ التركمانيِّ: إدريسُ بن عبد الله المارديني القاهريُّ، صدر الدين الحنفيُّ، المعروف بابن التركمانيِّ. من تصانيفه: «الحجة والبرهان على فتيان هذا الزمان» في تحريم السماع، «كتاب الفتوة»، «اللمع في الحوادث والبدع».»[1].

فهذا وهم بلا شكٍّ، ابن التركماني ـ هذا ـ شيخ آخر متأخر، ترجم له النجم الغزي (ت: ١٠٦١) في «الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة»، فقال: «إدريس المؤرخ المارديني: إدريس، الشيخ الفاضل، العالم المؤرخ المنشئ صدر الدين المارديني القاهريُّ. توفي بها في سنة سبع ـ بتأخير الموحدة ـ وعشرين وتسع مئة»[2].

ابن بيدكين في دمشق:

وبعد يأسنا من الوقوف على ترجمة لابن بيدكين يسوغ لنا أن نجتهد في صياغة ترجمته من خلال الإشارات العابرة في ثنايا كتابه:

---

(١) «هدية العارفين» ١/١٩٦، اسطنبول: ١٩٥١م.

(٢) «الكواكب السائرة» ١/١٦٢ (٣٣٣) دار الكتب العلمية: ١٤١٨، وعند ابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب» ١٠/٢٠٧، دار ابن كثير: ١٤١٤.

أما اسمه فلا تختلف النسخ في أنه: إدريس بن بيدكين بن عبد الله التركماني الحنفي. وهو كما يدلُّ عليه نسبه من التركمان، وكانت مواطنهم في ذلك العصر في شمال العراق وبلاد الشام، خاصة في كركوك والموصل وحلب وماردين، فلعله ولد ونشأ في إحدى هذه المدن، وقد يكون من مناطق التركمان الأعجمية، أو من قبائلها الرحَّل في أذربيجان وما بعدها حتَّى وسط آسيا، وبهذا الاحتمال يمكن أن نفسِّر ضعفه في اللغة العربية، وليس من الصواب أن نستنتج من هذا أنه نشأ مشركًا وأسلم في وقت متأخر، فمن المعروف أن التركمان دخلوا في الإسلام سنة (٣٤٩هـ/٩٦٠م)[1]، واندمجوا سريعًا في المجتمع المسلم، وبرز لهم حضور واضح في التاريخ الإسلامي، وكان منهم أمراء وقضاة وفقهاء. والعبارة التي التقطها د. صبحي لبيب للاستدلال على تأخر إسلام ابن بيدكين ليست صريحة في تأييد هذه الدعوى، فقد كان رحمه الله يخاطب قارئ كتابه بقوله: «فاشكر ـ أيها المؤمن! ـ الذي منَّ عليك بخلعة الإيمان بعد سبع مئة سنة وكسور من الهجرة، وأحرمها غيرك وهو في الحضرة» (ص: ٥٩٧). وهذه المنَّة تصدُق على من نشأ في أسرة مسلمة، وعلى من أسلم بعد ذلك.

لقد نشأ ابن بيدكين بين قومه، ثم اختار طلب العلم، فتوجَّه إلى الحواضر الإسلامية العربية، فنجده يستحضر بعض التقاليد السيئة التي رآها أيام نشأته فيقول: «كما يفعله بعضُ فسقة التركمان فترقصُ المرأة مع الرجل وقد أحاط بهم الرجال من كل مكان» (ص: ٣٢٥). وهذه الرقصة ما زالت موجودة وتسمَّى في فلسطين: (الدبكة)، وقد يكون فيها اختلاط باصطفاف الرجال والنساء في صف واحد، بين كل رجلين امرأة، أو في صفين متقابلين صف للرجال وآخر للنساء كما في تركيا، وقد تكون من غير اختلاط.

نلتقي بابن بيدكين لأول مرةٍ في مدينة دمشق، حيث نجده يسجِّل بعض يومياته هناك فيقول: «وكان للمؤلف أخٌ صادق في حب الله ورسوله،

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير ٢٦٨/١١.

أخذ بعض التتار ماله، (وذلك كله في دولة الملك الظاهر ملك مصر والشام، فلما أخذ ماله)[1] وجعله راعيًا لخيله قال: فطلبت الهروب. . . .»
وساق القصة، وفيها دخول صاحبه إلى حلب، ثم تعرُّفه على شيخ صالح انتقل لاحقًا إلى دمشق بصحبة إسماعيليٍّ، أسلم على يديه، ولزم خدمته، ودفن من بعده بجواره، ثم قال: «وكان صاحب المؤلف يقرأ على هذا الشيخ، وانتفع عليه، . . وابتلي في آخر عمره بالفقر وبالأمراض، حتى يبست أصابع يديه ورجليه، وكان مع ذلك كله صابرًا شاكرًا ذاكرًا. . .»، ثم قال: «وكان قد ابتلَى الله تعالى هذا الشيخ العالم ببلاءٍ آخر، وهو شيطانٌ من الجن رد على الشيخ في قراءته، فلعنه الشيخ وكذَّبه، فأخذ الشيخ في عين المعاداة، فكان الشيطان لعنه الله إذا دخل الليل يرجف قلوبهم ويرمي عليهم الأحجار، فشكا ذلك للمؤلف، فإنه كان من جنسه ومن طلبته، قال: يا بني، يرمي علينا كل يوم قفتين. قال له: فكان يكسر شيئًا من الأواني أو يصيبكم أنتم؟ قال: لا، ولكن مراده أن يرجفنا. ويرميهم بالأحجار في وسط الدار، وكان للشيخ سُلَّمٌ، وفيه مسمار كبير، فقومه[2] وأخرجه ورما به في وجوههم، قال الشيخ: وكان عندي صندوق مقفول وفيه كتب، ففتح الصندوق ورمى كل ما فيه في وجوهنا، وكان يأخذ الغزل من بين يدي الزوجة ويغيب، ثم يرمي به على وجوهنا. قال المؤلف: فقلت له: أنا وفلان نجيء إلى بيت سيدي ونقرأ شيئًا من كتاب الله تعالى. فجئنا وقرأنا البقرة بكمالها، ثم دعونا الله سبحانه؛ فصدَّ الحقُّ الشيطانَ ببركة القرآن، وبعد ذلك ما قرب الدار»[3] (ص: ٧٣٤ ـ ٧٣٩).

قلتُ: هذه تفاصيل مهمة، لكن ابن بيدكين ضنَّ علينا بذكر الزمان والمكان، فلا ندري متى توفي الشيخ؟ وأين؟ لكنَّنا سنرجِّح ـ بظنٍّ غالب ـ أنه أقام في دمشق حتى توفي هناك رحمه الله، وشهد ابن بيدكين وفاته ثم

(١) هذه الزيادة من التركية والألمانية ولم ترد في المصرية.
(٢) أي الشيطان.
(٣) لا ترد هذه القصة في المخطوطة المصرية.

وفاة خادمه الذي دفن بجانبه رحمهما الله. لقد أدرك ابن بيدكين ذلك الشيخ العالم، وربَّما تعرَّف عليه بوساطة صاحبه وأخيه في الله، وكان تركمانيًا أيضًا، فطلب العلم عنده، كما يدلُّ عليه قوله: «فشكا ذلك للمؤلف، فإنه كان من جنسه ومن طلبته».

إن الوصف الذي ذكره ابن بيدكين عن حال الشيخ التركمانيِّ في أيامه الأخيرة يدلُّنا على أنه مات عن سنٍّ عالية، وهذا يتوافق مع تاريخ الحادثة التي وقعت لصاحبه، فالملك الظاهِر هو بَيْبَرْس العلائي البندقداري الصالحي (٦٢٥ ـ ٦٧٦هـ) لُقِّب أيضًا بركن الدين، تولى سلطنة مصر والشام سنة (٦٥٨هـ)، وله الوقائع الهائلة مع التتار والإفرنج الصليبيين، وفي أيامه انتقلت الخلافة العباسية إلى الديار المصرية سنة (٦٥٩هـ)، توفي في دمشق. فحادثة صاحب المؤلِّف وقعت بعد سنة (٦٥٨). وربما يكون الانتقال إلى دمشق وقع قبل سنة (٦٧٦)، وهناك التقى ابن بيدكين بذلك العالم التركماني، وبدأ بطلب العلم، ومخاطبة الشيخ له بقوله: «يا بني!»، يدلُّ على أن إدريس كان في ذلك الوقت في سنِّ الشباب.

ابن بيدكين في فلسطين:

وبعد سنوات نلتقي بابن بيدكين في مدينة الخليل[1]، فقد سجَّل لنا قصة مجذوب من مجاذيب الصوفية فقال: «رأيت رجلاً قد وَلِهَ بحبِّ الله تعالى، لا يزال يقول: لا إله إلا الله. ملء رأسه، ولا كان يسعه إلا رؤوس الجبال، فإذا أذن المؤذن العصر دخل الخليل وصلَّى مع المسلمين، وجلس ينتظر سماط الخليل عليه السلام، وما كان له شيء من الدنيا غير الرَّغيفين اللذين يأخذهما من سماط الخليل، فشكاه الناسُ لشيخ حَرَمِ الخليل عليه السلام ـ ويُعرف بالجَعْبَري ـ، وقالوا: هذا الفقير يؤذينا من قوة ذكره. قال الشيخ: لا تعطوه الخبز...» (ص: ٧٠٢).

---

(١) وهي قريبة من بيت المقدس من أرض فلسطين، وفيها مسجد وقبر ينسب إلى الخليل إبراهيم ﷺ، ولا يصح ذلك، كما لا تجوز تسمية الموضع بالحرم الإبراهيمي.

والجعبريُّ هو الشيخ الإمام العالم المقرئ شيخ القرَّاء برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري ثم الخليلي الشافعي (٦٤٠ ـ ٧٣٢) رحمه الله. وقد ذكر ابن كثير في ترجمته أنه اشتغل ببغداد، ثم قدم دمشق وأقام ببلد الخليل نحو أربعين سنة يُقرئ الناس، ودفن ببلد الخليل. فيظهر لنا من هذا أن ابن بيدكين دخل مدينة الخليل بعد سنة (٦٩٠)، فربما دخلها وهو في طريقه إلى مكة المشرَّفة، وقد يكون دخلها قبل ذلك وهو في طريقه من الشام إلى مصر.

ابن بيدكين في مصر:

ابن بيدكين لا يتوخَّى الدقة والتفصيل فيما يذكره، فقد ذكر جعبريًّا آخر، لكن إقامته في القاهرة، وهو الشيخ الزاهد إبراهيم بن مِعضاد بن شداد الجعبري، ولم يصرِّح بالسماع منه (ص: ١٦٠)، وصرَّح في موضع بالرواية عنه بواسطة من يثق به (ص: ٦٤٥)، فلا ندري هل أدركه صاحبنا أم لا؟ فقد توفي ابن معضاد في محرم سنة (٦٨٧) رحمه الله، وعدم معرفتنا بهذه التفاصيل الدقيقة يعيق رسم خريطة طريق واضحة لتنقلات التركماني. فقد يكون أقام في فلسطين ثم انتقل إلى مصر، وقد يكون الصواب عكس هذا، ولن نزعم أنه ـ خلال ذلك ـ أقام في الإسكندرية، وإن كان أبرز شيوخه إسكندرانيًّا، فمن المؤكد أنه التقى به في القاهرة، هذه المدينة التي حوت النشاط الأوسع من حياة ابن بيدكين، ففيها لقي الأشياخ، وجالس العلماء، ودخل في مناقشات مع بعض الفقهاء وغيرهم، كما كانت له صلات قوية بمجتمعه، وهذا جملة ما أذن لنا ابن بيدكين أن نطَّلع عليه:

شهد التركماني في القاهرة جهدًا محمودًا من أحد الولاة في القضاء على بدعة عيد الشهيد، فقال: «ولقد رأيت رجلاً يقال له: الخيَّاطُ، وكان متولِّي القاهرة، نهى النصارَى عن رمي شهيدهم في نيل مصر، ونهى المسلمين عن الذهاب إليه، وعن ذلك الاجتماع المذموم، والاختلاط، وهي والله مثوبةٌ عظيمةٌ تكون لفاعلها نورًا يوم القيامة، وجوازًا على الصراط. فلما توفي متولِّي القاهرة وطال الأمر، وتولى أمور المسلمين هذه الطائفة

المسْلِمَانيَّة؛ أظهروا المواسم والأعياد على رؤوس الأشهاد» (ص: ٥٦٦).

إن هذا النص يفيدنا أن التركماني استوطن القاهرة مدَّة، ولم يدخلها زائرًا عابرًا، فمتولي القاهرة المذكور هو الأمير علم الدين سنجر المسروري، توفي سنة (٦٩٥) أو (٦٩٨)، وكان بهذا المنصب قبل سنة (٦٨٦)، وقد بيَّنتُ في تعليقي المطول على هذا الموضع من الكتاب أن عيد الشهيد استمر العمل به حتى أبطله الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصوري سنة (٧٠٢)، ثم أعاده الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة (٧٣٨)، وتمَّ القضاء عليه نهائيًّا سنة (٧٥٥) بأمر الملك الصالح صلاح الدين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون (ت: ٧٦١) رحمهم الله تعالى.

ولم يذكروا في شيء من أخبار الخيَّاط ما يتعلق بأمر هذا العيد، فلعله تمكن من القيام بمنع جزئيٍّ لبعض مفاسده، فلما مات توسَّع الناس فيه مجدَّدًا، فاستوجب الأمر تدخل الأمير بيبرس، فأبطله بعد سنوات قليلة من وفاة الخياط رحمه الله. وقد شهد ابن بيدكين جهود الخيَّاط في محاربة ذلك المنكر، ونرجِّح أنه غادر القاهرة قبل وفاة الخيَّاط، ونَمَتْ إليه أخبار التوسُّع في الاحتفال بعيد الشهيد، فسجَّل ذلك في كتابه، ولم يتمكن من تسجيل إبطاله سنة (٧٠٢) من قبل الملك المظفَّر، لأنه انتهى من كتابه بعد ذلك بقليل، ربما في سنة (٧٠٣).

وفي القاهرة - أيضًا - وقعت للمؤلف رحمه الله حادثة مهمة تزيدنا قناعة بأنه مكث فيها مدَّة طويلة، يطلب فيها العلم، فقد قال رحمه الله: «ودخل المؤلف يومًا الحمامَ، فجاء رجل وجلس على جُرْنِ الحمام، والناس تحته ينظرون إليه، فرمى الفوطة مِن وسطه، فقال مؤلف هذا الكتاب له: يا أخي، قال ﷺ: «**الحياء من الإيمان**». فلم يلتفت لقوله، ولم يصلِّ على النبي ﷺ؛ فأخذ المؤلف الفوطة وستر عورته فأخذها بغيظ، ورمى بها ثانيًا، وقال: هذا يجوز في مذهب مالك بن أنس! فغضب المؤلفُ لمقالته ولقلة حيائه، وقال له: ذكرتُ لك النبي ﷺ فلم تصل عليه، وتفتري الكذب على

العلماء! البعيد زنديق، إن رميت الفوطة مرة أخرى قتلتك، ودعني أُقتل لأجلك! فتحوَّلَ إلى غير ذلك الجرن. ثم إنَّ المؤلف ندم على قوله له: «أنتَ زنديقٌ»؛ لأنه قرأ القرآن، واطلع على العلوم، وهو من الخيرات محروم، فما مضى إلا مدة يسيرة حتى شهد المسلمون بزندقته، وضرب القاضي رقبته في: بَيْنَ القَصْرَيْنِ، بالقاهرة. وهو قاضي المالكية، لَمَّا نَسَبَ الباطِلَ إليه؛ سلَّطه الله عليه. وقال بعض جيرانه: إنَّه سبَّ أمَّه بشيء قبيحٍ، فدعت عليه بسوء الخاتمة؛ أجارنا الله منها» (ص: ٣٦٣).

قلتُ: طالب العلم المبتدئ تكون عنده حماسة زائدة، وقد يطلق ألفاظًا لا يدرك لوازمها، فإذا تدرج في طلب العلم زاد علمًا بجهله، فندم على ما كان منه. وهذا لا يكون إلا بمضيِّ سنوات، ونستطيع فهم هذا من قوله عن نفسه: «لأنه قرأ القرآن واطلع على العلوم»، وكان قبل ذلك: «من الخيرات محروم»، وهذا ما حمله على الندم لاتهام ذلك المتهتِّك بالزندقة، لكن لم يطل ندمه، فقد اتُّهم بالزندقة فعلاً، وانتهى الأمر بحكم القاضي عليه بالقتل. ولم يذكر ابن بيدكين اسمه، لكن وفَّقنا الله تعالى للتعرف عليه، فهو: أحمد بن محمد البَقَقِيُّ المصريُّ، يلقب بفتح الدين، وقد ذكرت ترجمته وقصته مطولاً في موضعه، وتمَّ قتله في يوم الاثنين الرابع والعشرين من ربيع الأول سنة (٧٠١)، والقاضي المالكي هو ابن مخلوف (ت: ٧١٨).

وهذا التاريخ يورد علينا إشكالاً حول تاريخ الانتهاء من تأليف الكتاب في مكة لا القاهرة، وسنحقق القول فيه لاحقًا.

ويذكر ابن بيدكين بعض الأخبار من يومياته، ولا يحدد زمانها ولا مكانها، وهي في الأرجح وقعت له أيام إقامته في القاهرة، منها قوله: «ولقد قال لمؤلِّف هذا الكتاب رجلٌ معه طرفٌ من العلم: أخبار الصالحين كالجن؛ نسمع بهم ولا نراهم. قال له المؤلف: أنت يا أخي من الصالحين؟ قال: لا...» (ص: ٧٢٠).

ويذكر في موضع آخر ما يدل على منزلته الاجتماعية وسمعته الطيبة: «وكان لي أخٌ من جنس النظر، وكان يتَّبع الأثر، ويحب القرآن والخبر،

فطلب مؤلفَ الكتاب عند النزع، وقال للحاضرين: اقرؤوا القرآن حتى أسمع، . . .» (ص: ٢١٣).

وقد يذكر المكان ولا يحدد الزمان فيقول: «قال مؤلف الكتاب: صليت الجمعة بجامع الأزهر بالقاهرة، فقال رجل لفقيه: إن رجلاً دخل على شيخه، انفتح له الحائط فدخل منه، وسلم على الشيخ، فلما خرج عاد الحائط إلى ما كان عليه. فقال الفقيه: آه، الله ينفعنا بالشيخ. فقلت له: كيف ينفعك الله به وأنت تهزأ به؟! . . .» (ص: ٧٢١).

ابن بيدكين في مكة المشرَّفة:

وأخيرًا نلتقي بابن بيدكين في المسجد الحرام، وقد قدم للحجِّ واصطحب معه أهله، وطابت له الإقامة فاختار المجاورة: «وكان مؤلفُ الكتاب مجاورًا بمكة المشرَّفة هو وعيالُه» (ص: ٣٧٣). ولم يحتج إلى وقت طويل حتى يتعرف على البيئة المكية، فقد التقى بعلمائها، ورصد عوائد العامة فيها، فوجد فيها كثيرًا من المخالفات، فصحَّت نيته في تأليف كتابه هذا في موضوع اهتمَّ به، وجمع بعض مادته أثناء إقامته في القاهرة، يقول رحمه الله: «وهذا حديث صحيح، لكن قلته بالمعنى؛ لأنِّي نسيتُ أن أنقله على الوضع، وكثير من حكايات الصالحين ذكرتهم بالمعنى، وقد جوز هذا بعض العلماء، وهو تيسير لمن حل بقلبه الغفلة والعمى؛ فإني ألَّفته بمكة المشرفة، وليس هي بمعدن لما يريده الإنسان من الكتب» (ص: ٤٩٦)، إنه يعقد هنا مقارنة بين مكة والقاهرة في النشاط العلمي والاهتمام بالكتب.

ويُشعرنا ابن بيدكين أنَّ السنَّ قد تقدَّمت به، فمن المؤكد أنه الآن قد جاوز الخمسين حيث يقول: «ونسأل الله حسن الخاتمة بقدرته اللطيفة، فقد قرَّب الآجالَ، وبعَّد الآمالَ»، وفي نسخة: «فقد قرُب الأجلُ، وبعُد الأملُ» (ص: ٤٠٨)، وهذا يتوافق مع تاريخ التقائنا به في دمشق وهو شاب بين عامي (٦٦٠) و(٦٧٠)، إنه الآن في أوائل القرن الثامن، فنجده يختم كتابه بهذا الكلمات: «ووافق الفراغ من تأليفه في أشرف المكان، وأبرك الزمان، وذلك في مكة المعظمة، وفي شهر رمضان، في أوائل القرن الثامن من الهجرة المحمدية».

ونجد في ثنايا الكتاب توريخين مختلفين:

الأول في قوله: «فاشكر - أيها المؤمن! - الذي منَّ عليك بخلعة الإيمان بعد سبع مئة سنة وكسور من الهجرة» (ص: ٥٩٧).

والثاني في قوله - وقد ذكر حديث: «**صنفان من أمتي من أهل النار لم أرهما**: ...»: «وهاتان البدعتان [وفي نسخة: الخصلتان] المشؤومتان أخبر ﷺ عنهما قبل ظهورهما بستٍّ مئةِ سنةٍ وكسور من الهجرة المحمدية» (ص: ٣٠٨).

والحقيقة أن لا تعارض بينهما، فالأول خطاب للقارئ حال تصنيف الكتاب، والثاني إخبار عن ظهور تلك الخصلتين.

إن بنية ابن بيدكين الفكرية، وتكوينه الثقافي لا يُشعره بأهمية تحديد السنة، فيرضى بكلمتي: «كسور» و«أوائل»، وهما تدلاَّن - بصيغة الجمع هذه - على عدد من السنوات تبدأ من السنة الثالثة فصاعدًا، ولا يمكن - بحالٍ - أن تدلاَّ على رأس المئة الثامنة تحديدًا؛ كما ذهب إليه صبحي لبيب.

ونستنتج من هذا أن مجاورة ابن بيدكين امتدَّت إلى سنة (٧٠٣) على الأقل، وربَّما زادت على ذلك قليلاً. أما أول قدومه إلى مكة فكان قبل ذلك بمدة يسيرة لا نعرف قدرها، ودليلنا على ذلك قوله: «وقد قرأ خطيب مكة بعض هذا الكتاب على نزيل مكة وقاضيها» (ص: ٧٨).

وقد وقفنا على ترجمة الخطيب والقاضي من خلال النظر في كتب التراجم:

أما خطيب مكة: فهو تقي الدين عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن محمد ابن إبراهيم الطبري، كانت له عناية بالفقه، ولِيَ خطابة مكة سنين كثيرة، وتوفي سنة (٧٠٤) رحمه الله[1].

---

(١) «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» ٥/٩٩ (١٤٧٨)، و«ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد» للفاسي (١٠٩٥).

وقاضي مكة هو حفيد العلامة الفقيه الشافعيُّ الشهير محبُّ الدين الطبري (٦١٥ ـ ٦٩٤): نجم الدِّين أبو حامد محمدُ بنُ محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم الطبريُّ، ولد سنة (٦٥٨)، ووَلِيَ قضاءَ مكةَ في سنة (٦٩٤)، وهي السنة التي توفي فيها والده: جمالُ الدين محمد رحمه الله، فحمدت سيرته، واستمر إلى أن مات في جمادى الآخرة سنة (٧٣٠). وكان بارعًا في الفقه، وانتهت إليه رئاسة الفتوى في البلد الحرام، رحمه الله[١].

وكان والده ـ أيضًا ـ فقيهًا فاضلاً، له نظم حسن، وتأليف في المناسك، ولِيَ قضاء مكة سنين كثيرة، بعد القاضي عمران الشيباني وأصابه الفالج في آخر عمره، مات بمكة، بعد والِده: محبِّ الدين[٢].

وخطيب مكة وقاضيها يلتقيان في النسب ـ كما ترى ـ في عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم، وفي قول التركماني: «نزيل مكة» إشارة إلى أنَّ أصله غير مكيٍّ، وهذا صحيح، لكن إطلاق وصف النزيل عليه غير دقيق، لأنَّ استقرار هذه الأسرة في مكة يرجع إلى جدهم عبد الله، أو قبله، فقد ذكروا أن محب الدين الطبري ولد في مكة، والله أعلم.

عودة ابن بيدكين إلى مصر:

القراءة التحليلية للمعلومات الضئيلة التي نمتلكها عن ابن بيدكين تدلُّنا على أنَّه عاد إلى مصر بعد رحلة الحجِّ التي طالتْ، لأنَّه اختار المجاورة هناك لسنواتٍ يمكن تقديرها ـ في ظنِّنا ـ بما يزيد على ثلاث سنوات، حيث نلتقي به في مصر وقد استخرج من كتابه «اللمع» فصل الفتوَّة، وأفردها في رسالة صغيرة، أجرى القلم فيها بالحذف والتغيير والزيادة، ثم التمس من أشهر المفتين في المذاهب الأربعة التقريظ عليها، تأييدًا لمادتها، ونصرة

---

(١) «الدرر الكامنة» ٤٢٥/٥ (١٧٨٠)، و«العقد الثمين» ٢٧١/٢ (٣٨٥)، و«ذيل التقييد» ٢١٢/١ (٤٠٥).

(٢) «العقد الثمين» ٢٩٤/١ (٢٣)، و«ذيل التقييد» (٢٥)، وقد ماتا في سنةٍ واحدة، وهي سنة (٦٩٤)، لكن الابن مات بعد والده، رحمهما الله تعالى.

لمؤلفها في قيامه بين العامة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فقرَّظ له أربعة، هم: السنباطي الشافعي (٦٥٣ ـ ٧٢٢)، وابن تيمية الحنبلي (٦٦١ ـ ٧٢٨)، وابن التركماني المارديني الحنفي (٦٦٠ ـ ٧٣١)، والإخنائي المالكي (٦٥٨ ـ ٧٥٠)، وبهذا اكتسب ابن بيدكين «الشرعيَّة» في إنكاره بين العامة.

وهؤلاء العلماء كلهم مصريون، حاشى ابن تيمية، فإنه شاميٌّ، دخل مصر في تواريخ معلومة، وهذا ممَّا يعيننا على تحديد تاريخ تأليف الرسالة، ونتأكد من خلال ذلك أن ابن بيدكين قد عاد إلى القاهرة بعد رحلة الحجِّ.

لقد طُلب شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله إلى مصر في رمضان سنة (٧٠٥) بمكيدة من بعض خصومه من الصوفية والأشاعرة، فسجن في القاهرة حتى شهر صفر سنة (٧٠٧)، ثم أعيد إلى السجن في شوال من هذه السنة، ثم نفي إلى الإسكندرية في صفر (٧٠٩)، وبقي محبوسًا هناك حتى شوال (٧٠٩) إذ أفرج عنه، وأعيد إلى القاهرة، ومكث فيها إلى أن رجع إلى دمشق آخر شهر شوال سنة (٧١٢)، فكانت مدَّة إقامته في مصر سبع سنوات. ورغم أنَّه رحمه الله قد واصل وهو في السجن نشاطه العلمي في التأليف والفتيا، فإنه لم يحظَ بالتقدير اللائق به إلا بعد إعادته من الإسكندرية بأمر الملك الناصر محمد بن قلاوون (٦٨٤ ـ ٧٤١)، الذي تغلَّب على مصر سنة (٧٠٩)، وكان محبًّا لابن تيمية، عارفًا بمكانته وفضله، لهذا عجَّل بالأمر بإخراجه من السجن، واستقبله باهتمام وتكريم كبير.

قال علم الدين البرزالي رحمه الله: ولما دخل السلطان إلى مصر يوم عيد الفطر، لم يكن له دأب إلا طلب الشيخ تقي الدين ابن تيمية من الإسكندرية معززًا مكرمًا مبجَّلاً، فوجَّه إليه في ثاني يوم من شوال، بعد وصوله بيوم أو يومين، فقدم الشيخ تقي الدين على السلطان في يوم ثامن الشهر. وخرج مع الشيخ خلق من الإسكندرية يودِّعونه، واجتمع بالسلطان يوم الجمعة، فأكرمه، وتلقَّاه، ومشى إليه في مجلس حفل، فيه قضاة المصريين والشاميين، وأصلح بينه وبينهم، ونزل الشيخ إلى القاهرة، وسكن

بالقرب من مشهد الحسين، والناس يترددون إليه، والأمراء والجند وكثير من الفقهاء والقضاة، منهم من يعتذر إليه، ويتنصَّل مما وقع منه، فقال: أنا حاللتُ كلَّ من آذاني.

وقال القاضي جمال الدين ابن القلانسي ـ وكان حاضرًا في ذلك المجلس ـ: إن السلطان لما قدم عليه الشيخ تقي الدين ابن تيمية نهض قائمًا للشيخ أول ما رآه، ومشى له إلى طرف الإيوان، واعتنقا هناك هنيهة، ثم أخذه معه ساعة إلى طبقة فيها شباك إلى بستان، فجلسا ساعة يتحدَّثان، ثم جاء ويد الشيخ في يد السلطان، فجلس السلطان وعن يمينه ابن جماعة قاضي مصر، وعن يساره ابن الخليلي، والوزير، وتحته ابنُ صَصْرَى، ثم صدر الدين علي الحنفي، وجلس الشيخ تقي الدين بين يدي السلطان على طرف طراحته... ثم إن الشيخ بعد اجتماعه بالسلطان نزل إلى القاهرة، وعاد إلى بثّ العلم ونشره، وأقبلت الخلق عليه، ورحلوا إليه يشتغلون عليه، ويستفتونه، ويجيبهم بالكتابة والقول، وجاء الفقهاء يعتذرون مما وقع منهم في حقه فقال: قد جعلت الكلَّ في حلٍّ[1].

قلتُ: يتبيَّن لنا من هذا أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قد حظي بالمكانة اللائقة به في مصر مدة ثلاث سنوات فقط من شوال (٧٠٩) إلى أن غادرها متوجِّهًا إلى الشام في آخر شوال (٧١٢). وخلال هذه المدَّة توثَّقت صلة ابن بيدكين بشيخ الإسلام، خاصة أن شيخه الأول ابن عطاء الله؛ كان قد توفي قبل هذا التاريخ في جمادى الآخرة (٧٠٩). ويظهر أثر تلك الصلة في تقريظ ابن تيمية لرسالة «الفتوة»، وفي التعديلات التي أدخلها ابن بيدكين على رسالته متأثرًا بالتوجه العلمي لشيخه الجديد.

---

(١) نقل ابن كثير في «البداية والنهاية» ٦٠/١٤ كلام البرزالي وابن القلانسي بتمامه. وجميع ما ذكرته عن ابن تيمية في هذا المبحث منثور في كتب التاريخ والتراجم، وفي الكتب المفردة عن حياته، منها: «العقود الدرية» لابن عبد الهادي رحمه الله.

صلات ابن بيدكين بالعلماء والمشهورين في عصره:

١ ـ التركماني، شيخ عالم من حلب، انتقل إلى دمشق، ومات فيها، أخذ عنه ابن بيدكين، ولم يعرِّف به.

٢ ـ الشيخ الإمام العالم المقرئ شيخ القرَّاء برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري ثم الخليلي الشافعي (٦٤٠ ـ ٧٣٢) رحمه الله. التقى به التركماني في مدينة الخليل بعد سنة (٦٩٠).

٣ ـ الشيخ الزاهد إبراهيم بن مِعضاد بن شداد الجعبري (٥٩٧ ـ ٦٨٧) رحمه الله، لم يصرِّح بالسماع منه، ولعله لم يدركه.

٤ ـ تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الإسكندريُّ المالكي (ت: ٧٠٩)، صوفيٌّ شاذليٌّ، أخذ عنه التركماني في القاهرة، ولازمه، وتأثر به.

٥ ـ القاضي زين الدين علي بن مخلوف النويري المالكي (ت: ٧١٨)، ذكره في قصة المقتول على الزندقة أحمد بن محمد البَقَقِيُّ المصريُّ في الرابع والعشرين من ربيع الأول سنة (٧٠١). وابن مخلوف رحمه الله هو صاحب الكلمة المشهورة: «ما رأينا أفْتَى من ابن تيمية؛ سعينا في دمه، فلما قدر علينا عفا عنَّا».

٦ ـ خطيب مكة: تقي الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم الطبري (ت: ٧٠٤) رحمه الله.

٧ ـ قاضي مكة: نجم الدين أبو علي محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكرٍ الطبريُّ (٦٥٨ ـ ٧٣٠) رحمه الله.

٨ ـ ابنُ المرحِّل: الفقيه الأصولي النظَّار محمد بن عمر بن مكي، أبو عبد الله صدر الدين، المعروف بابن الوكيل (٦٦٥ ـ ٧١٦هـ) رحمه الله، عاصره التركماني في القاهرة، وأثنى عليه بقوله: «شيخٌ

راسخٌ في علوم الإسلام» (ص: ١٤٢)، ولم يصرح بالأخذ عنه.

٩ - شيخ الإسلام أبو العبَّاس ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام النُّميري الحراني الدمشقي الحنبلي (٦٦١ - ٧٢٨) رحمه الله. كتب لابن التركماني تقريظًا على رسالته في الفتوة.

١٠ - الفقيه الشافعيُّ قطب الدين محمد بن عبد الصمد بن عبد القادر السنباطي (٦٥٣ - ٧٢٢) رحمه الله. كان فقيهًا كبيرًا تخرَّج به المصريون، أفتَى ودرَّس، وتصدر للإشغال، وانتفع به الطلبة، وكان كثير النقل حافظًا للفروع ساكنًا متدينًا، وناب في الحكم في القاهرة، وولي الوكالة بالديار المصرية[١].. كتب لابن التركماني تقريظًا على رسالته في الفتوة.

١١ - العلامة الفقيه أبو عمرو عثمان بن إبراهيم بن مصطفَى المارديني (٦٦٠ - ٧٣١)، ويقال له: ابن التركماني. كان عالمًا بارعًا، متفننًا، تصدَّر للإفتاء والتدريس سنين، وكان شيخ الحنفية في زمنه في الديار المصرية، وصنَّف في فقه الحنفية[٢]. وهو ممَّن قرَّظ رسالة التركماني أيضًا.

١٢ - تقي الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى الإخنائي المالكي (٦٥٨ - ٧٥٠)، أخذ عن العلماء في القاهرة، واشتغل بالفقه على مذهب مالك وغيره، وتقدم وتميز، ثم ولي قضاء الديار المصرية للمالكية، مات في الطاعون العام رحمه الله[٣]. قرَّظ رسالة الفتوة أيضًا.

١٣ - نجم الدين أيوب الكردي، شيخ صوفيٌّ مخلِّطٌ، انتقل من مناطق الأكراد إلى دمشق سنة (٦٨٧)، وتحول إلى غزة سنة (٦٩٩)، ثم

---

(١) «طبقات الشافعية الكبرى» لابن السبكي ١٦٤/٩، و«أعيان العصر وأعوان النصر» للصفدي ٥١٢/٤. و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة ٢٨٩/٢، و«الدرر الكامنة» لابن حجر ٢٦٤/٥.

(٢) «الجواهر المضية» ٥٢١/٢ (٩٢٧)، و«تاج التراجم» لابن قطلوبغا ٣٠، و«الدرر الكامنة» لابن حجر ٤٩/٣.

(٣) «الديباج المذهب» ٢٢١/٢ (١٣٥٧)، و«الدرر الكامنة» ١٤٥/٥.

تحول إلى مصر. وقتل في معركة شَقحَب أو معركة مرج الصُفر، في رمضان (٧٠٢هـ) تجاوز الله عنه. ذكر ابن بيدكين من خبره، وأثنى عليه فقال: «وكان الشيخ صالحًا عارفًا بالعلوم» (ص: ٦١٢)، وهذا يدلُّ على معرفته به.

١٤ ـ الشيخ الزاهد الفقيه الواعظ الأديب عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميري المعروف بالديريني الشافعي (٦١٢ ـ ٦٩٤) رحمه الله. كان فاضلاً، عالمًا بالنحو واللغة والأصلَيْن، وله في كل فنٍّ فضل، وكان مع ذلك راضيًا ببذاذة الحال، توفي ببلدته ديرين ـ في غربية مصر ـ، ودفن فيها. وقد ذكر ابن بيدكين بعض أخباره (ص: ٤٥٨ ـ ٤٦٠)، ووصفه بالسيِّد. وسياق كلامه يدل على معرفته به.

١٥ ـ الشيخ الصوفي الضال أبو فارس عبد العزيز بن عبد الغني بن سرور بن سلامة المنوفيُّ الحسنيُّ (٦٠٧ ـ ٧٠٣)، أصلُه من الينبع، وانتقل سلفه إلى الإسكندرية، وسكن الصعيد مدة، وتعانى التصوف، فتقدَّم فيه، وروى عن المشايخ الذين لقيهم، وأخذ عن ابن عربي الصوفي، وكان على طريقته، صاحب أقوال منكرة. ذكر ابن بيدكين حكاية عنه في رؤيا علي بن أبي طالب، صدرها بلفظ: «يُحكَى عن السيد شرف الدين الكليمي: أنَّهُ رأى عليَّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه في منامه، فسأله عن حقيقة الفقر، فقال رضي الله عنه: قد سألني عن ذلك عبد العزيز المنُوفيُّ!...» ولم يبيِّن إن كان قد رآه أو سمع منه، فقد أدركه في مصر. (ص: ٦٨٧).

١٦ ـ القاضي شرف الدين إبراهيم بن عثمان الكُليني. لا نعرفُ ترجمته، وإنما له ذكر في بعض الكتب كما ذكرته في موضعه (ص: ٦٨٧)، وقد ذكره ابن بيدكين في الحكاية السابقة، والله أعلم بحاله وخبره.

ابن بيدكين بين ابن عطاء الله وابن تيمية:

يمكن عدُّ ابنِ عطاء الله السكندريِّ (ت: ٧٠٩) أبرز شيوخ ابن

بيدكين، وهو صوفيٌ اشتهر بكتابه: «الحكم»، وُلد ونشأ في الإسكندرية، وأخذ التصوف عن أبي العباس المرسي (ت: ٦٨٦)، وانتقل ـ ربَّما قُبيل هذا التاريخ ـ إلى القاهرة، فاستوطنها، وتصدَّر للتدريس والوعظ، ومات بها سنة: (٧٠٩)، ولا يُعرف تاريخ مولده، لكن ذكروا أنَّه مات كهلاً، والكهل من جاوز الثلاثين إلى نحو الخمسين.

يظهر من عبارات التركماني أنَّه كان شديد الإعجاب بابن عطاء الله والتقدير له، وأنه تأثر به تأثرًا بالغًا جذبَه إلى التصوف، وربطه برؤيتها ومصادرها، فنجده محسِّنًا للظنِّ فيهم، مدافعًا عنهم، ومع ذلك فقد تعمَّد عدم تسميته، والاكتفاء بوصفه: «شيخنا رحمه الله» (ص: ٤٤٣)، أو: «شيخنا رحمة الله عليه» (ص: ٣٠٠، ٣٤٦، ٤٩٧)، أو: «شيخنا رحمه الله وجميع المسلمين» (ص: ٩٥). وهذا الترحم يورد إشكالاً، لأن ابن عطاء توفي سنة (٧٠٩)، وقد انتهى ابن بيدكين من كتابه نحو سنة (٧٠٣)، فإما أنه كان يترحم عليه لأنه لم يعلم بأخباره بعد نُقلته إلى مكة، أو أنه أدخل عبارات الترحم في الإخراج الأخير لكتابه، خاصة بعد أن رجع إلى القاهرة ـ كما سنشرحه ـ.

لقد وفَّقنا الله تعالى إلى اكتشاف شيخ التركماني هذا من خلال صلتنا بكتب ابن عطاء الله، فبعض نقولات التركماني يرد بحروفه في كتب ابن عطاء الله، خاصة: «لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه أبي الحسن»[1]، وكذلك: «الحكم العطائية»، وقد بيَّنا ذلك في مواضعه[2]،

---

(١) وأبو العبَّاس هو المرسي (ت: ٦٨٦)، وأبو الحسن هو الشاذلي (ت: ٦٥٦) مؤسِّس الطريقة الشاذلية ـ نسبة إلى شاذلة قرية بأفريقية ـ، وقد أخرجه أهل المغرب من ديارهم، وكتبوا إلى نائب الإسكندرية: إنه يقدم عليكم مغربي زنديق، وقد أخرجناه من بلدنا؛ فاحذروه! لكنَّه تمكَّن من خداع أهل الإسكندرية بكرامات مزعومة، فنشر فيهم مذهبه.

(٢) راجع الصفحات: (٩٦، ١٨٢، ٢٣٣، ٢٧٧، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٥٨، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥).

ولاحظنا أن التركماني قد يخطأ أحيانًا في النقل، فينسب ما نقله ابن عطاء عن غيره إلى ابن عطاء نفسه، وهذا مفهومٌ في ضوء افتقار التركماني للدقة العلمية.

إن تعمُّد ابن بيدكين في إخفاء هويَّة شيخه له أسباب وجيهة، فهو لم يبلغ مرتبة من العلم تمكِّنه من تجاوز شيخه هذا، ولا تمكِّنه أيضًا من الدفاع عنه ومحاججة منتقديه؛ إذا ما أشهر اسمه، فعُرف به، ونسب إليه. ولعلَّ ابن بيدكين كان يدرك أيضًا أن ابن عطاء لا يسلم - في سلوكه على الأقل - من بعض المؤاخذات، فقد كان متحاملاً وباغيًا في خصومته لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨) رحمه الله تعالى، وظنُّنا أن ابن بيدكين كان يتابع أخبار تلك الخصومة، ويتأمل في وقائعها، حيث كانت في تصاعد، حتى حمي وطيسها في شهر شوال من سنة (٧٠٧)، إذ اتفق ابن عطاء مع شيخ الصوفية في القاهرة، ومعهما نحو الخمس مئة من المريدين على تحريض الدولة ضدَّ شيخ الإسلام رحمه الله، لكلامه في ابن عربي الضالِّ وغيره، فرُدَّ الأمر في ذلك إلى القاضي الشافعي، وعقد له مجلس، وادَّعَى عليه ابنُ عطاء بأشياء لم يثبت شيء منها. ومع ذلك انتهى الأمر بحبس ابن تيمية لإنكاره الاستغاثة بالنبي ﷺ[1]. ولعل ابن بيدكين قد شهد هذه الواقعة بعد عودته من رحلة الحجِّ.

لقد كان في شخصيَّة كلٍّ من الرجلين ما يجذب ابن بيدكين، فابن عطاء واعظ مؤثر، كان له رواج بين العامة. قال الذهبيُّ رحمه الله: كانت له جلالة عجيبة، ووقع في النفوس، ومشاركة في الفضائل، ورأيت الشيخ تاج الدين الفارقي لما رجع من مصر معظمًا لوعظه وإشارته، وكان يتكلم بالجامع الأزهر فوق كرسي بكلام يروِّح النفوس، ومزج كلام القوم بآثار السلف وفنون العلم؛ فكثر أتباعه، وكانت عليه سيما الخير. ويقال: إن ثلاثة

---

(١) «العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية» لابن عبد الهادي المقدسي، ص: ٢٨٦.

قصدوا مجلسه فقال أحدهم: لو سلمت من العائلة لتجردت. وقال الآخر: أنا أصلي وأصوم ولا أجد من الصلاح ذرة. فقال الثالث: إن صلاتي ما ترضيني فكيف ترضي ربي؟ فلما حضروا مجلسه قال في أثناء كلامه: ومن الناس من يقول... فأعاد كلامهم بعينه![1]

فلا عجب أن يتأثر به صاحبنا، وهو في عداد متعلِّمي العامة، ونجده يستذكر بعض تلك المجالس التي تركت في أعماقه أبلغ الأثر، فيقول: «وقال شيخُنا رحمه الله مرةً شيئًا غريبًا حتى أطرَب السامعين، وأخرق عقولَهم، ولقد رأيتُ في مجلسه من حُمِلَ في كساءٍ إلى بيته، فلمَّا تكلم وفرغ، قال بعض الفقراء: يا سيدي! هذا الكلام الذي قلتَه لم أسمعه منك، بل من الله تعالى! فقال الشيخ عن نفسه: اذهب بهذه القفَّة العظام من الوسط، فالمتكلم هو الله تعالى جلَّ ثناؤه وتقدَّست أسماؤه!» (ص: ٧٠٦). ولا شكَّ أن ابن بيدكين لم يكن يدرك ما وراء هذه الكلمة من معانٍ خطيرة![2]

أما ابن تيمية؛ فللتركماني عوامل أخرى في الانجذاب إليه، إنه كان يرَى فيه نموذج العالم الربَّاني المصلح، الذي تميَّز بانفراده - بين علماء عصره - بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[3]، لا يخشى في الله لومة لائم، فكان يلحظ الفرق بينه وبين غيره من علماء عصره الذي اختاروا الساكوتة على منكرات الولاة والعامة، وربما وافقوهم في عوائدهم. لقد تملَّكت التركماني حماسةٌ قويَّة في الإصلاح، ورغبة عارمة في تغيير واقع

---

(١) «الدرر الكامنة» ٣٢٤/١.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في أثناء تحذيره من عقيدة وحدة الوجود عند ابن عربي الصوفي: «يقر الأمر والنهي والشرائع على ما هي عليه، ويأمر بالسلوك بكثير مما أمر به المشايخ من الأخلاق والعبادات، ولهذا كثير من العُبَّاد يأخذون من كلامه سلوكهم، فينتفعون بذلك، وإن كانوا لا يفقهون حقائقه» (مجموع الفتاوى: ٤٦٩/٢).

(٣) وقد شهد بهذا المؤرخ الحجة ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» ٣٧/١٤؛ فذكر في وصف ابن تيمية: «انفراده بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

المجتمع الذي أنهكته البدع والمنكرات والفواحش، ولم تكن له ولاية شرعية، ولا مكانة اعتبارية تعينه على القيام بهذه المهمة، فكان يرَى في شخصية شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله نموذج القدوة والأسوة في مسيرة الإصلاح والتجديد. لقد وجده في كل ميدان: في دمشق مجاهدًا في معركة شقحب (٧٠٢)، ورآه بين العامة وفي الأسواق منكرًا على أصحاب البدع والفسوق من شاربي الخمور ولاعبي الشطرنج، ورفع إليه بصره في مصر فإذا هو أمام داعية إصلاحٍ يُعتدى عليه، ويحارب بالإشاعات والأكاذيب والدعاوى الباطلة، ويُسجنُ مراتٍ وهو صابر محتسب، لا ينقطع نفعه لأمته حتى وإن غُيِّب خلف أسوار السجن، فيرجع إليه الأمراء والعلماء فيما يشكل عليهم من النوازل، ويقرُّ له المنصفون من خصومه بالإمامة في العلوم، ويشهدون له بالخير والصلاح، والعدل والإنصاف، وعلوِّ الهمة، وسموِّ الأخلاق.

لا شكَّ أن هذا الجانب العملي من حياة ابن تيمية هو الذي جذب ابن بيدكين إليه، وربَّما عُني ببعض كتبه ورسائله المتعلقة بمسائل العبادة والاتباع والتزكية والسلوك، لكنه ـ بيقينٍ ـ لم ينفذْ إلى تلك المساحات العميقة من علوم ابن تيمية، فما له وللصفدية والأصفهانية وبغية المرتاد وبيان تلبيس الجهمية ودرء تعارض العقل والنقل، إذ يكفيه من ابن تيمية ما هو وثيق الصلة بمجتمع العامة، فلا عليه إذن أن يستلهم من ابن تيمية الردَّ على القلندرية أو المرازقة، أو ينسخ بعض رسائله في العبادات والسلوك.

نقف في مكتبة لايدن بهولندة على رسالة صغيرة تحمل الرقم (٢٢٨٩)، وتقع في سبع ورقات، عنوانها: «قاعدة في أفعال الحج تصنيف الشيخ تقي الدين ابن تيمية رضي الله عنه وأرضاه»، وكتب إلى اليمين من هذا العنوان: «هذه الرسالة بخط العلامة بيدكين بن التركماني الحنفي، تلميذ ابن تيمية الحرَّاني». وقد شُطب على هذه الجملة، ولعلها كتبت لاحقًا ثم شطب عليها بقلم حديث. وفي آخرها: «تمت بحمد الله تعالى وعونه في ليلة يُسفر صباحها عن سادس جمادى الآخرة، سنة ثمان وثمان مئة».

ونقف على رسالة أخرى في المكتبة نفسها، برقم: (٢٢٩٠)، في خمس صفحات، عنوانها: «قاعدة في الصبر للشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله ورحم جميع أموات المسلمين»، وإلى اليمين من العنوان كتب أيضًا: «هذه الرسالة بخط العلامة بيدكين التركماني، تلميذ ابن تيمية، مؤلف هذه الرسالة». وشطب عليها أيضًا[1].

وثمَّةَ مخطوطة أخرى في لايدن، وهي لرسالة «الفتوة» للتركماني - وسيأتي الكلام عليها - وفي صفحة العنوان منها وصف ابن بيدكين بأنه: «من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني، وقد قرَّظ له شيخه على هذه الرسالة». ولم يشطب عليه!

وخطوط هذه المخطوطات الثلاث - التي نجد فيها إصرارًا على وصف ابن بيدكين بتلميذ ابن تيمية - متشابهةٌ؛ ممَّا يدلُّ على أن ناسخها واحد، كما أن مصدرها واحد، فقد كانت في حوزة الشيخ الرحَّالة أمين بن حسن الحلواني المدني (ت: ١٣١٦هـ/١٨٩٨م) رحمه الله، ثم باعها ضمن ما باع من النفائس في هولندة لدار بريل الشهيرة، وهي محفوظة حاليًّا في مكتبة جامعة لايدن. وهي ليست بخط ابن بيدكين، لكنها - فيما أرجِّح بظنٍّ قويٍّ - نُقلت من نسخة ابن بيدكين نفسه، وكتب عليها ما يصدُق على تلك النسخة الأصلية، فاقتضى ذلك شطب ما لا يصدق على النسخة المنقولة، وتاريخها صحيح (٨٠٨)، فهي كتبت بعد ابن بيدكين بنحو قرن من الزمان. وربما يكون الشطب لأن النسبة إلى ابن تيمية كانت سبب تهمة في تلك العصور!

وفي صفحة العنوان لرسالة «الفتوة» من مخطوطة دار الكتب المصرية نجد تأكيدًا آخر على وصف ابن بيدكين بتلميذ ابن تيمية: «هذه الرسالة في الفتوة للعلامة إدريس بن بيدكين التركماني الحنفي، وهو من تلامذة شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني، وقد قرَّظ له شيخه على هذه الرسالة، . . .».

---

(١) سنورد صور المخطوطتين ضمن نماذج المخطوطات، والرسالتان طبعتا ضمن «جامع الرسائل» ١/١٦٥ - ١٧٤، و١/٢٠١ - ٢١٩. ت: محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد: ١٤٢٢.

ربما يكفينا تقريظ شيخ الإسلام ابن تيمية رسالةَ التركماني لنسلكه في عداد تلاميذه، وهذا ما صنعه الدكتور عبد الرحمٰن بن عبد الجبار الفريوائي في كتابه: «شيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده في الحديث وعلومه»، فقال في ذكر تلاميذه ١١٨/١: «وإدريس بن بيدكين بن عبد الله التركي [كذا!] الحنفي مؤلف كتاب «اللمع في الحوادث والبدع» تتلمذ على شيخ الإسلام». ثم أحال إلى كتابنا هذا، وقال: وفي آخره تقريظ لشيخ الإسلام على رسالة صاحب اللمع: «الفتوة».

وقد تكون في عبارة «تتلمذ على شيخ الإسلام» بعض المجازفة، لكن ينبغي أن لا نُشدِّد في شروط التلمذة عندما يتعلق الأمر بمثل ابن بيدكين، فتلك التلمذة لم تصنع منه فقيهًا ولا قاضيًا ولا عالمًا مبرَّزًا، إنه طالب علم مشارك، وحسبه أن ينال من التلمذة على شيخ الإسلام ما يناسب مرتبته.

لقد قدَّم لنا ثلاثة نصوص مهمة هي موضع اهتمام ابن تيمية: الأول: عن القرندلية أو القلندرية. والثاني: عن المرازقة. والثالث: عن الفتوة.

أما القرندلية: فقد أوجز التركماني القول فيهم، ولا أدري ما الذي منعه من التوسع في البحث رغم شدَّة بغضه لهم، وفي «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» ١٦٣/٣٥ ـ ١٦٦، مادة جيِّدة لم يقتبس منها التركماني شيئًا، وذكر أنهم «طائفة من الإفرنج»، ولا أدري مستنده في ذلك. ومهما يكن فقد وجد التركماني في ابن تيمية قدوة في مواجهة بدعة القلندرية، وقد قال العلامة ابن ناصر الدين الدمشقي في «الرد الوافر» ـ في ترجمة: الشيخ الإمام العلامة القاضي أبي البقاء محمد ابن سوار الأنصاري الخزرجي السبكي الشافعي (٧٠٧ ـ ٧٧٧هـ) ـ: حكى بعض من لقيته من الشيوخ العلماء أنه حضر مرةً مع قاضي القضاة أبي البقاء شيخ الشافعية درسًا ألقاه بالمدرسة الرواحية، وهي داخل باب الفراديس من دمشق، فجاءه جماعة من طائفة القلندرية يسألونه، فأمر لهم بشيء، وكان إذ ذاك حاكمًا بدمشق على القضاء بها، ثم جاءه طائفة أخرى من الحيدرية ـ وهو يتوضأ على بركة

المدرسة المذكورة ـ فسألوه، فأمر لهم بشيء، ثم جاء فصلى ركعتين، ثم قال: رحم الله ابن تيميةَ، كان يكره هؤلاء الطوائف على بدعهم. قال: فلما قال ذلك ذكرت له كلام الناس في ابن تيمية، فقال لي ـ وكان ثم جماعة حاضرون، قد تخلفوا بعد الدرس يشتغلون عليه ـ: والله يا فلان ما يُبغض ابن تيمية إلا جاهل أو صاحب هوى، فالجاهل لا يدري ما يقول، وصاحب الهوى يصده هواه عن الحق بعد معرفته به. قال: فأعجبني ذلك منه، وقبلت يده، وقلت له: جزاك الله خيرًا.

وأما المرازقة: فقد أفرد لهم ابن بيدكين فصلاً مطوَّلاً، وذكر تفاصيل مهمة عنهم، ولابن تيمية بحث مطول فيهم نقلته في موضعه، ويظهر من المقارنة بين كلامهما أن ابن بيدكين لم ينقل عبارات ابن تيمية بحروفها، لكنه استفاد منها، وزاد عليها، وأعاد صياغتها بأسلوبه، إذ نجد عندهما جملة كبيرة من الأفكار المتشابهة حول: تذبذبهم في الانتساب إلى الشافعية أو الحنابلة، وتركهم الجمعة والجماعات، وعدم قبولهم توبة الرافضي، واحتجاجهم في ذلك بحديث باطل، والإنكار عليهم بطاعة شيخهم والتعصب له في مخالفة الكتاب والسنة وأقوال الأئمة، وغلوهم في الاستثناء، وتكفيرهم لمخالفيهم واستحلالهم لدمائهم وأموالهم.

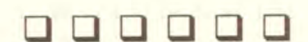
وأما الفتوة: فسنفردها بالبحث عند كلامنا على رسالة التركماني فيها، لكن نشير هنا إلى أن ابن تيمية قد استفتح تقريظه لها بثناء حارٍّ على ابن بيدكين فقال: «هذا الكراس كلام رجل صادق ناصح، متَّبع لشريعة الإسلام، ناهٍ عمَّا نهى الله عنه من الآثام، متبع الكتاب والسنة والأثر فيما دعا إليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، محب لله ولرسوله، راغب في طريق الله وسبيله... وهو فيه من أعظم المطيعين لله ولرسوله، القائمين بما أرضى الله ورسوله، ويجب على كل مسلم أن يرضى بما فعله من ذلك، ويعاونه على ذلك إذا احتاج إلى المعاونة بما يقدر عليه، وبوجود هذا وأمثاله من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر يُصلح الله للمسلمين دينَهم ودنياهم».

إن هذا الثناء يدلُّ بوضوح على معرفة شيخ الإسلام لابن بيدكين

وحسن ظنِّه في حاله وصفته، كما يدلُّ على أن شيخ الإسلام قد أعجب بحماسة ابن بيدكين في الأمر والنهي، ودعا إلى إعانته فيما هو بسبيله، وهذا يمثل نموذجًا من صلة ابن تيمية بعامة المجتمع، وبمجتمع العامة. وراجع ما كتبته في المقارنة بين كلام ابن تيمية وابن بيدكين في الفتوة، وما ظهر من أثر لابن تيمية في رسالة الفتوة المفردة، وهي الإخراج الأخير لبحث ابن بيدكين في هذه المسألة، والله أعلم.

وفاة ابن بيدكين:

كما ذكرتُ سابقًا: فإن صلة ابن بيديكين بابن تيمية امتدَّت لثلاث سنوات (٧٠٩ ـ ٧١٢)، كان ابن تيمية خلال تلك المدَّة أحد المفتين الرسميِّين في مصر، ومن هنا فإننا نقدِّر أن ابن بيدكين كان حيًّا في مصر بعد سنة (٧٠٩)، ولن نخوض بظنِّنا في تاريخ ومكان وفاته، ونكتفي بالتوجه إلى الله عزَّ وجلَّ بالدعاء أن يرحمه ويغفر له ويسكنه فسيح جناته، بمنِّه وكرمه.





وصف النسخ الخطيّة

١ ـ نسخة دار الكتب المصرية (ق):

تحمل رقم (٧٠١) تصوف، وتقع في (١٩٦) ورقة، وفيها في مواضع عدةً سقط بمقدار ورقة في كل موضع، نبَّهنا عليه في مواضعه. وهي بخط نسخ جميل ومقروء، ليس عليها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، لكنها نسخت قبل سنة (٧٧٩هـ/١٣٧٨م).

في صفحة العنوان: «كتاب اللمع في الحوادث والبدع، جمع العبد الراجي عفو الله عز وجل إدريس بن بيدكين التركماني الحنفي، عفا الله عنه بكرمه، آمين»، ثم صورة تملك كتبها: «عبد الله بن محمد بن أحمد الحنفي لطف الله به وبالمسلمين، سنة ٨٥٠ هجرية».

وفي آخر الكتاب: «تم كتاب اللمع بحمد الله تعالى ومنه، غفر الله لمؤلفه وكاتبه والواقف عليه ولوالديهم، ولجميع المسلمين، آمين. وصلى الله على محمد خير خلقه وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا». وفي طرف الصفحة تقييد لم أتمكَّن من قراءته لسوء التصوير، في آخره تاريخ: (٨٨٧).

وفي ظهر هذه الورقة: «ولد الولد المبارك إن شاء الله عبد الرحمٰن . . . صالحًا، يوم السبت الخامس والعشرين من رمضان سنة تسع وسبعين وسبع مئة. . . وتوفيت والدته في تلك الليلة، رحمها الله تعالى».

وتحته بخطٍّ مغاير: «بحمد الله وحده. طالع في هذا الكتاب الفقير إلى الله تعالى الراجي عفوه ومغفرته: محمد بن عبد اللطيف بن أحمد

الشهير بابن عبد السيد، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين، في ثالث عشر ذي الحجة الحرام، سنة إحدى وتسعين وسبع مئة، . . .».

وهذا تقييدٌ مهمٌّ، وهو لتاريخ المطالعة، وليس النسخ خلافًا لما فهمه صبحي لبيب، فالنسخة أقدم من هذا التاريخ بسنوات اللهُ أعلم بها، فهي قديمة، وقريبة العهد بالمصنِّف، ولعلها نسخت من نسخة المصنف، فسياق العنوان يدلُّ على أنه من كلام المؤلف الذي وصف نفسه بالعبد الراجي عفو الله عز وجل. كما أن هذه النسخة تخلو من التذييل القصير الذي استدركه المصنف في آخر كتابه بعد قوله: «تم كتاب اللمع»، فذكر مكان وزمان التأليف وبعض الدعاء.

٢ ـ نسخة مكتبة برلين بألمانيا (ب):

وهي من مجموعة المخطوطات الشرقية، برقم (١٦٨١)، وتقع في (٢٠٤) ورقاتٍ، وهي بخط نسخ جميل ومقروء.

في صفحة العنوان: «كتاب اللمع في الحوادث والبدع. تأليف العبد الضعيف إدريس بن بيدكين ابن عبد الله التركماني الحنفي، عامله الله تعالى وجميع المسلمين بلطفه الخفي، وغفر له بعفوه وكرمه وهو القادر الوفي، وصلوات الله ورحمته وبركاته على سيدنا محمد ما ظهر نجم أو خفي. قال المؤلف: أَلَّفتُ هذا الكتاب على القافية خوفًا من اللَّحن، ونسأل الله لنا ولجميع المسلمين العفو والعافية».

وتحته صورة تملك نصها: «ملَكَه من فضل الله العميم، الراجي عفو ربه الكريم: إسحاق بن إسماعيل بن عبد العظيم بن علي بن عمر. . . السبكي بلدًا، الشافعي مذهبًا، الأنصاريُّ نسبًا، عفا الله عنه، وغفر له، ولوالديه. . . من أحمد الخطابيِّ الكتبيِّ، بالقاهرة المحروسة، في جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين وسبع مئة». وكلمة (وثمانين) غير واضحة.

ولم أجد ترجمة السبكي، أما الكتبي، فقد ذكره ابن حجر، فقال: أحمد بن عبد الله الخطابيُّ الكتبيُّ، الناسخُ، كتب عنه ابن رافع من نظمه:

الراحمون لمن في الأرض يرحمهم من في السماء فباعد عنك وسواسا
وقل أعوذ برب الناس منه إذا لا يرحم الله من لا يرحم الناسا[1]

قلتُ: يظهر أن الخطَّابي نسخ هذه النسخة، ثم باعها للسبكي.

وفي هذه الصفحة صورة تملك آخر هذا نصها: «ملك العبد الفقير محمد الجمال القادري، سبط معروف الكرخي البابلي عفا الله عنه، في ذي الحجة سنة ١٠٣١».

ويخلو نهاية الكتاب من أيِّ تعليق للناسخ.

وفي الورقة الأخيرة تعاليق مختلفة بالتملك، وبالمطالعة، وبالنسخ عنها في سنة (٩٦٨)، وآخرُ في (١٠٠٩).

وعن هذه النسخة نُسخت المخطوطة التركية؛ كما صرَّح ناسخها في تعليقةٍ قيَّدها في آخر هذه النسخة، كما سيأتي.

٣ ـ نسخة متحف مولانا (خ):

هذه النسخة محفوظة في قسم المخطوطات بمتحف مولانا في مدينة قونية بتركية، برقم: (١٤٥٦)[2]، عدد أوراقها (٢٦٩) ورقة. وخطها حسن مقروء. وهي متأخرة، فقد فرغ منها ناسخها: أبو بكر بن الخطيب في: ١٠/١٢/٩٦٨هـ، الموافق: ٢٣/٨/١٥٦١م. ولم أقف على ترجمة الناسخ، لكنه ذكر أنه نسخها في قرية تيزَر، وهي من قرى سَرْمين، غربَ حلب على مسافة خمسين كيلو مترًا منها.

في صفحة العنوان: «كتاب اللمع في الحوادث والبدع. تأليف العبد الفقير إدريس بن بيدكين بن عبد الله الحنفي، عامله الله تعالى وجميع

---

(١) «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة» ١/٢٢ (٤٨٦).

(٢) ولا بدَّ أن أقيِّد هنا شكري وامتناني لمن تفضَّل بتصوير الكتاب من المتحف المذكور، وهو الشاب النَّبيه المهندس عمَّار التركماني، ابنُ أختنا الفاضلة الأستاذة يسرى التركمانية، وهم من نزلاء أنقرة، وفقهم الله، وسدد خطاهم، وأسعدهم في أولاهم وأخراهم.

المسلمين بلطفه الخفي، وغفر له بعفوه وكرمه، وهو القادر الوفي، وصلوات الله ورحمته وبركاته على سيدنا محمد ما ظهر نجم أو خفي. قال المؤلِّف: أَلَّفتُ هذا الكتاب على القافية، خوفًا من اللَّحن، ونسأل الله لنا ولجميع المسلمين العفو والعافية».

وختم الناسخُ الكتاب بقوله: «وذلك برسم السيد موسى الهندي بن عبد الله، وكان الفراغ من نسخه نهار السبت العاشر من شهور ذي الحجة سنة (٩٦٨)، وكاتبه: بو بكر بن الخطيب ـ بقرية تيزر ـ الشافعيُّ مذهبًا، غفر الله له ولوالديه ولمن قرأ في هذا الكتاب ورأى فيه خللاً وسدَّه، آمين».

وهذه النسخة منقولة عن النسخة الألمانية، فإنَّ الناسخ نفسه كتب في ظهر تلك النسخة ما نصُّه:

«نسخ هذا الكتاب المبارك الفقير موسىٰ بن بو بكر بن محمد الخطيب القناطري، الساكن يومئذٍ بقرية تيزر، بمدينة سرمين، خادم بني نوى، وكان بتاريخ سلخ شهر ذي الحجة من شهور سنة ثمان وستين وتسع مئة، غفر الله له ولوالديه ولمن كان السبب فيه، ولكافة المسلمين، آمين».

قلت: هذا موافق لما ذكره ياقوت في «معجم البلدان»: من أن «تيزر» قرية كبيرة من أعمال «سرمين» ولا اختلاف في تاريخ النَّسخ في التعليقتين، وإنما وقع الاختلاف في اسم الناسخ، والله أعلم بصحة ذلك.

٤ ـ نسخة الخزانة التيمورية (ت):

وهي لرسالة «الحجة والبرهان»؛ تقع في جزء مفرد في (٨) ورقات، وهي من الخزانة التيمورية الملحقة بدار الكتب المصرية، ورقمها: (٦٤).

في صفحة العنوان: «هذه الرسالة في الفتوة للعلامة إدريس بن بيدكين التركماني الحنفي، وهو من تلامذة شيخ الإسلام ابن تيمية الحرَّاني، وقد قرَّظ له شيخه على هذه الرسالة، وكذلك قرظ له عليه جميع مفاتي مصر القاهرة، في ذلك التاريخ سنة: ٨٠٨».

وكُتب على العنوان بخطٍّ آخر: «الحجة والبرهان على فتيان هذا الزمان».

وفي آخر الرسالة: «بلغ مقابلةً على أصله».

ولم يُذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، لكن في الغلاف الخارجي تقييد ولادة طفل في: ١١١٠/٩/١٠، وآخر في: ١١١٢/٩/١٧، ويظهر من نوع الخطِّ أن النسخة أقدم من هذا التاريخ بكثيرٍ.

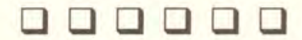
٥ ـ نسخة مكتبة لايدن بهولندة (ل):

وهي أيضًا لرسالة: «الحجة والبرهان»، محفوظة في مكتبة جامعة لايدن، برقم: (OR2994)، وتقع في خمس ورقات، وخطها حسنٌ مقروء.

ليس فيها اسم الناسخ، ولا تاريخ النسخ. وهي واحدة من ثلاث مخطوطات متشابهة في الخطِّ، انتقلت إلى هولندة من مصدر واحد، وهو الشيخ أمين المدني، وقد شرحت هذا فيما سلف.

في صفحة العنوان: «هذه الرسالة في الفتوة للعلامة إدريس بن بيدكين التركماني الحنفي، وهي بخطِّه، وهو من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية الحرَّاني، وقد قرَّظ له شيخه على هذه الرسالة، وكذلك قرظ له عليه جميع مفاتي مصر القاهرة، في ذلك التاريخ سنة: ٨٠٨». وقد شُطب على: «وهي بخطِّه».

والنسختان المصرية والهولندية متشابهتان تمامًا، بل متطابقتان، حتى في الأخطاء والبياضات ونحوها، ويظهر لي من خلال المقارنة بينهما أن المصرية منقولة من الهولندية، والله تعالى أعلم.





وصف النسخة المطبوعة

طبع الكتاب طبعة وحيدة فيما علمتُ في القاهرة، سنة (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، بتحقيق: صبحي لبيب، وصدر عن قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار في القاهرة، ضمن سلسلة مصادر تاريخ مصر الإسلامية التي كان يصدرها المستشرق هانز رويمر. وقد وقع كتاب «اللمع» في مجلدين، الأول: في (٧٠٠) صفحة، فيها مقدمة المحقق، ونصُّ الكتاب كاملاً، ورسالة الفتوة، ومقدمة باللغة الألمانية. والثاني: في (٥٦٣) صفحة للفهارس التفصيلية للكتاب.

ذكر المحقِّق أنه حصل على منحة دراسية من هيئة البحوث الألمانية عام (١٩٦٢م)، فبدأ باستنساخ مخطوطة برلين، وأعد دراسة عن الكتاب شارك بها في المؤتمر الدولي للدراسات الشرقية الذي عقد بمدينة دلهي عاصمة الهند عام (١٩٦٤م)، ولم يتمكن من الحصول على مصورة نسخة دار الكتب إلا في عام (١٩٨٠م)، أما نسخة قونية فلم يطلع عليها، ولم يشر إليها.

بدأ صبحي لبيب مقدمته بالكلام على مسألة البدع، وظهورها في التاريخ الإسلامي، واستعرض عددًا من المؤلفات في معالجتها. ولم يحسن البحث، لأنَّه أجنبيٌّ عن هذا الميدان الشرعي.

ثم انتقل إلى الكلام عن النسختين التي اعتمدهما في طبعته، وهي مخطوطة دار الكتب المصرية، ومخطوطة برلين.

وتكلَّم عن المؤلف، فذكر: (عدم عثوره على ترجمة لحياة التركماني، وبذلك أصبح من الضروري أن يجمع أخبار المؤلف من كتاباته)، ثم ساق جملة من النصوص الصريحة المتعلقة بالحوادث والأعلام الدالة على العصر الذي عاش فيه، ولم يحسن التعرف على كثير من الدلائل التي لم يصرح بها التركماني، مثل خطيب مكة، والقاضي فيها، وشيخه ابن عطاء الله السكندري الذي أكثر النقل عنه، إلى غير ذلك مما ذكرناه مفصلاً في ترجمتنا للمؤلف رحمه الله.

ثم تكلم عن موقف التركماني من البدع، ومنهجه في التأليف، وشرع في التعريف بفصول الكتاب، واستعراض موادها، مع شيء من المقارنة بجهود العلماء الآخرين.

لقد بذل الدكتور صبحي لبيب جهدًا مشكورًا في إخراج الكتاب، بمقابلته على المخطوطتين، وضبط نصِّه، ووقعت له جملة كبيرة من الأخطاء بسبب عدم تخصصه في العلوم الشرعية، فلم يُحسن قراءة بعض الكلمات، ولم يرجح بين اختلاف النسختين في أكثر المواضع، ولم يُعن بتخريج الأحاديث والآثار، بل اكتفى بالإشارة في فهرس الأحاديث إلى مواضع ما ورد منها في «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي». ولم يكن من همنا تتبع أخطائه، لكني أشير إلى نماذج ثلاثة منها:

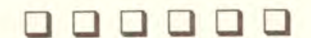
الأول: قول التركماني: «فكان أمير المؤمنين أبو بكر رضي الله عنه يقول: ليت أم عمر لم تلده» (ص: ٧٠). وعلق عليه بقوله: «ذكر الاسم (أبو بكر) في الهامش في مخطوط برلين، ولم يرد في مخطوط القاهرة»! وهذا وهم، والحقيقة أنه لم يرد في مخطوطة برلين أيضًا، وأن الإشارة الموجودة في حاشية الورقة تتعلق بالسطر اللاحق، والسياق يدل على أن المراد هو عمر بن الخطاب، وذلك ما ورد في مصادر الأثر، ولبيب لا يرجع إلى شيء من المصادر لضبط الأحاديث والآثار والأقوال ومقارنتها.

الثاني: قول التركماني: «في الأخبار: أن الجوارح عذاب النار» (ص: ٧٩)، وعلق عليه: «وردت في مخطوط برلين: «الخوارج كلاب. . .»».

ولم يزد على هذا، مع أن ما في نسخة برلين هو الصواب، وهو حديث مشهور معلوم.

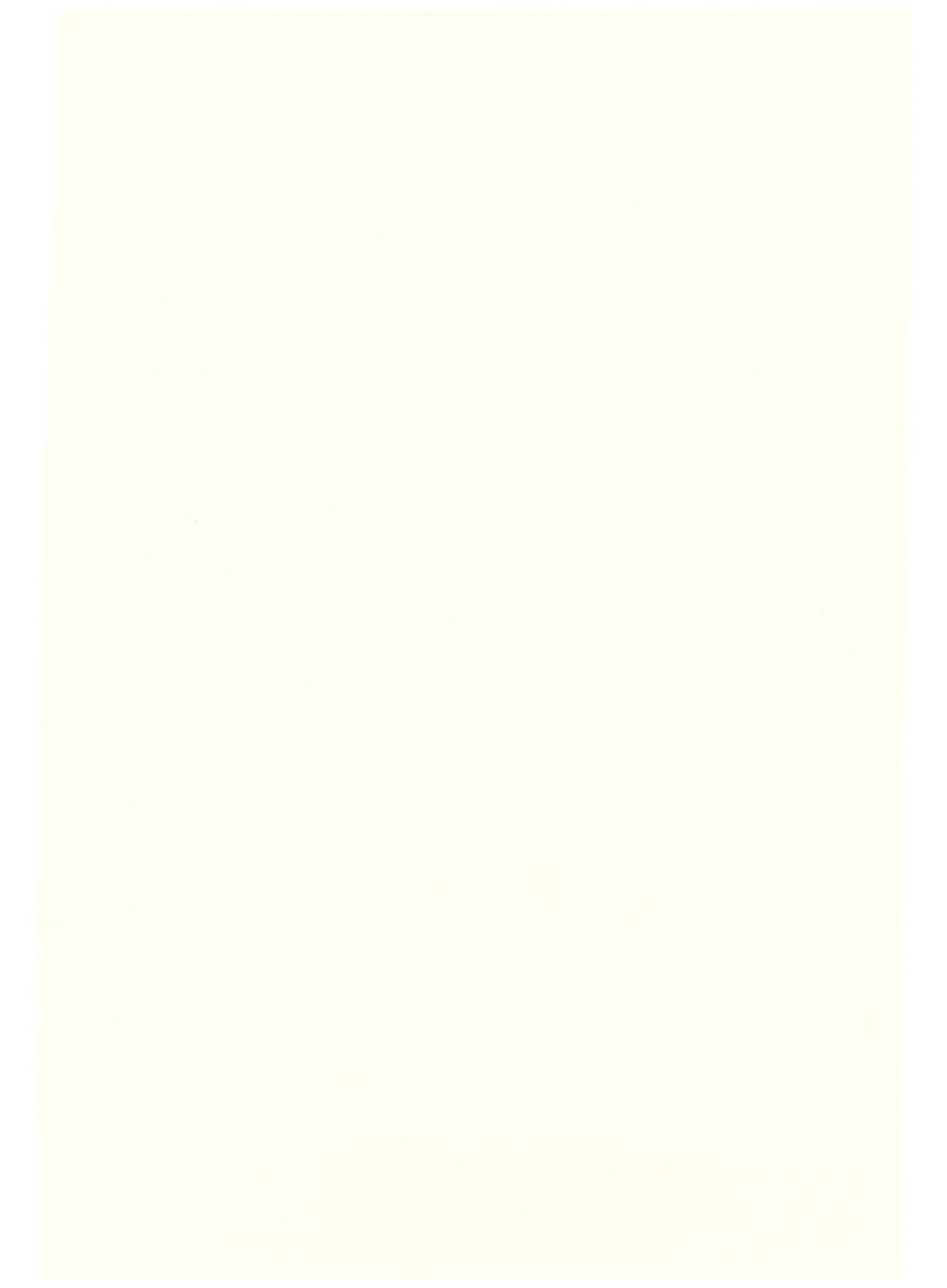
الثالث: وهو في قول التركماني: «ولا يجوز النذر للستِّ نفيسة؛ فما بالك بالنَّذر للديورة والبيع والكنيسة» (ص: ٥٤٨). فأقحم الدكتور صبحي لبيب في الجملة: (إلا)، لتصبح: «ولا يجوز النذر إلا للست نفيسة؛ . . .»، وهذه الزيادة ليست في النسخ، ولم يشر صبحي لبيب إلى اختلاف فيها في إثباتها، بل أثبتها قولاً واحدًا، وبنى على ذلك: (لا يجوز النذر إلا للستِّ نفيسة)، وجعل هذا عنوان الصفحة، وأعاد الكلام فيه في مقدمته، مع أن قوله: (فما بالك. .) كافٍ في الدلالة على عدم صحة هذه الزيادة.

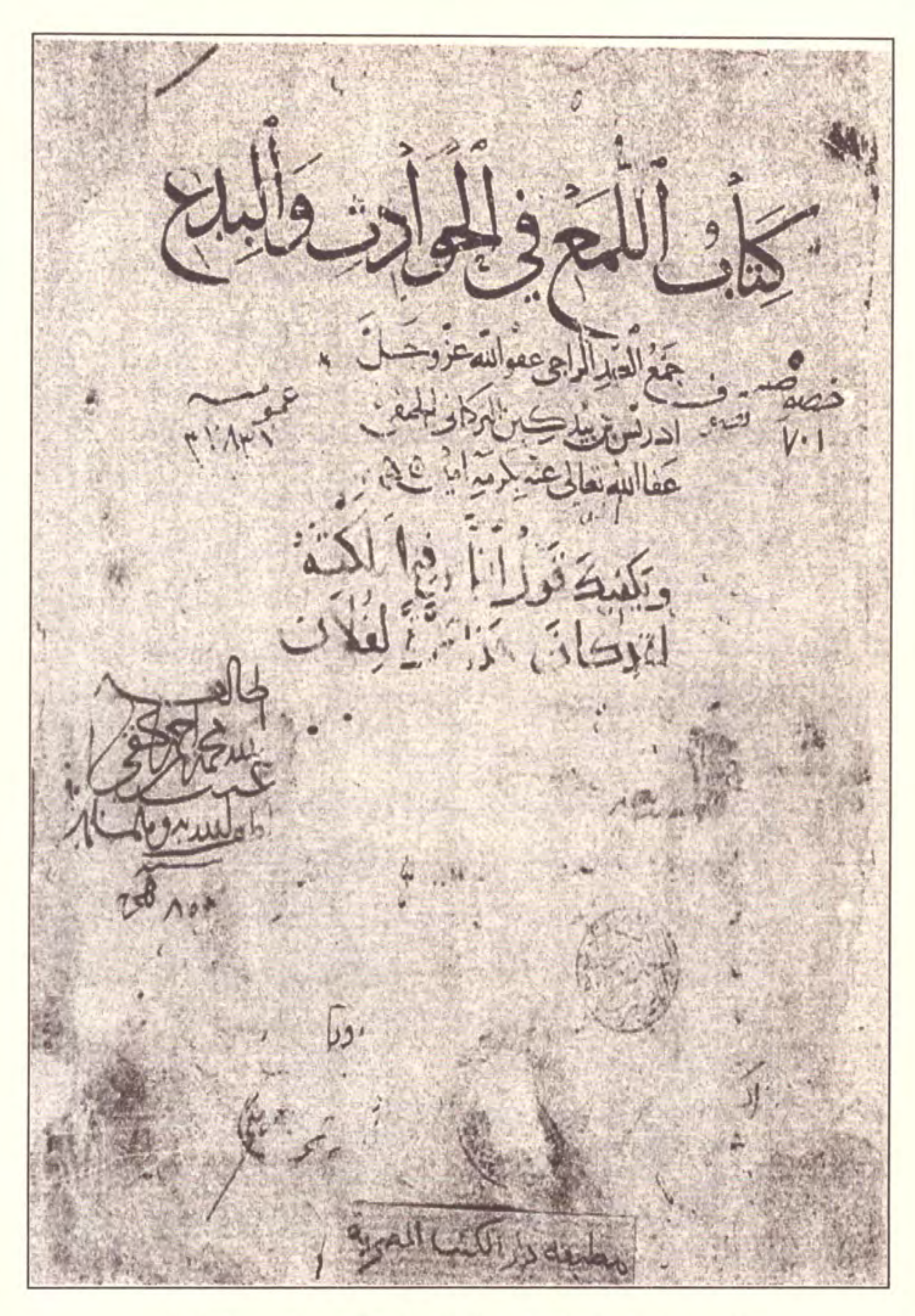
ومهما يكن؛ فليس لنا أن نبالغ في نقد عمله، لأنَّ وجهته في إخراج الكتاب كانت غير وجهتنا، فقد حاول أن يخرجه على طريقة المستشرقين في ضبط النص وفي الدراسة والفهرسة، وحاولنا أن نخدم الكتاب بما نراه أقرب إلى خدمة العلم الشرعي الشريف، وذلك بتخريج الأحاديث والآثار، والتعليق على ما يلزم من المسائل في المعتقد أو غيره، والله من وراء القصد.





نماذج من النسخ الخطية




كتاب اللمع في الحوادث والبدع

جمع العبد الراجي عفو الله عز وجل

ادريس بن بيدكين التركماني الحنفي

عفا الله تعالى عنه بكرمه آمين

١ - صفحة العنوان لمخطوطة دار الكتب المصرية (ق)

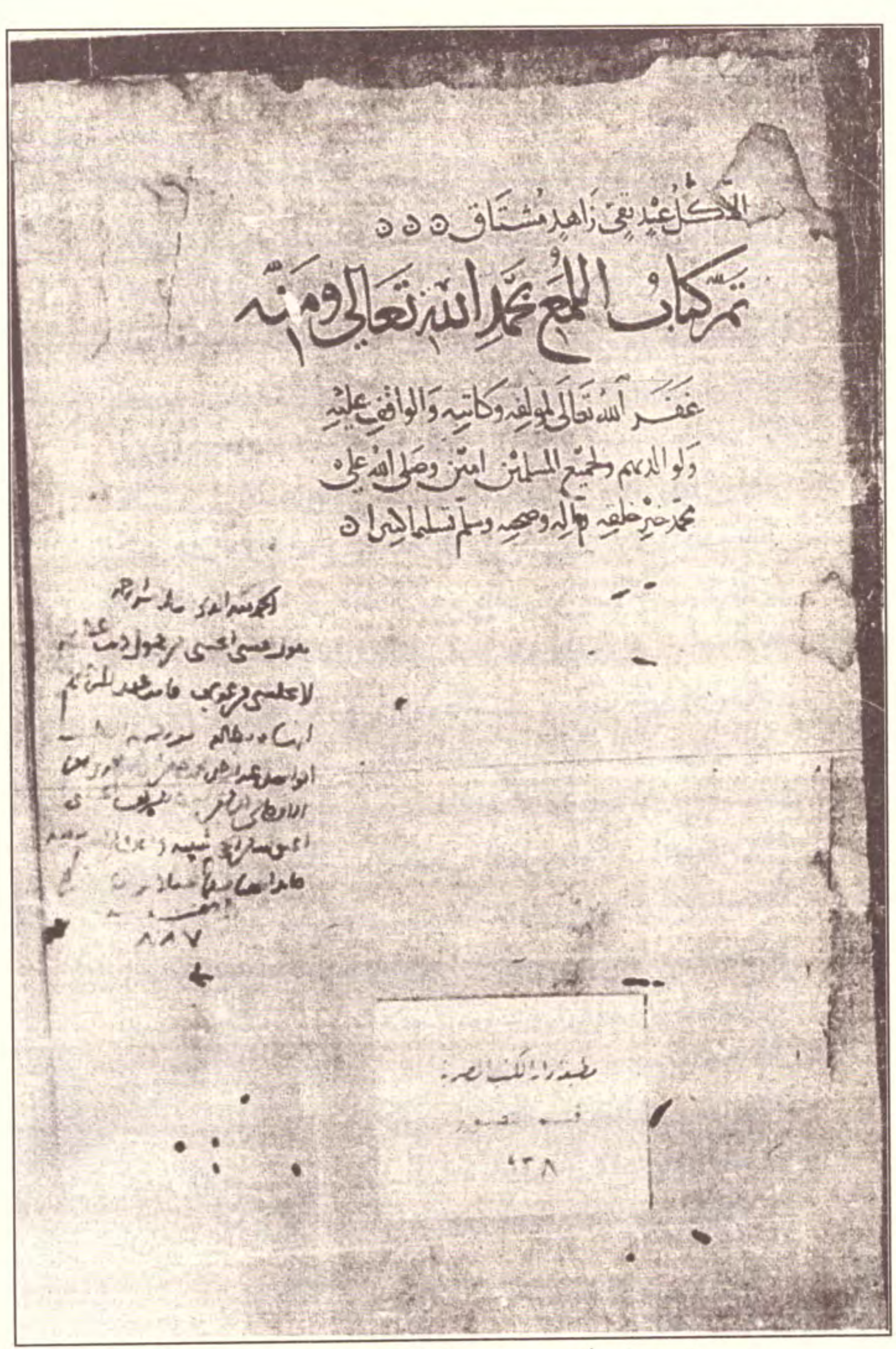
الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العـ[illegible]ـن والصلاة والتسليم على سيدنا محمد
خاتم النبيين وامام المرسلين وعلى جميع عباد الله الصالحين
قال المولف ادريس بن بيدكين بن عبد الله
التركماني الحنفي عامله الله تعالى وجميع المسلمين بلطفه الخفي
وغفر له بعفوه وكرمه وهو القادر الولي وصلوات الله ورحمته
وبركاته على سيدنا محمد ما ظهر نجم او خفي سالني بعض الاصحاب
ان اذكر له شيئا من البدع المحدثة الخارجة عن طريق المسلمين
المخالفة للسنة والكتاب فاجبته الى ذلك وسالت الله تعالى
الكريم الوهاب الذي يمحو ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب
ان يهديني الى الرشد والصواب وان يجعله خالصا لوجهه الكريم
ليحصل به النفع والاجر والثواب وعليه توكلت واليه المرجع
والمآب وسميته كتاب اللمع في الحوادث والبدع
فغفر الله تعالى لكاتبه وللمولف ولمن نظر فيه وللسامعين ولمن
[illegible] خللا [illegible] وخط شيئا قاله المولف يخرج بقوله
عن الكتاب والسنة ووقع لان المولف قليل العلم كثير الجهل
[illegible] فرحم الله من دعا له بحسن الخاتمة وان
[illegible]
[illegible] عدلك هديت بلا حيف [illegible]
[illegible] بسببك لي واعذر فلست بمعصوم من الغلط

٢ – أول كتاب «اللمع» في مخطوطة دار الكتب المصرية (ق)

فرمق بطرفه السماء وقالت أو هنى حك فيمن يزيد في موقف الذل وسوق
العبيد فقد حضر البايع والمشترى عدلك راض فاحكم ما تريد
فانظر ايدك الله تعالى الى اوصاف اولئك صار احدهم كالميت بين يدى
الغاسل لا يختار معه شيا وانت ابدا تقول كما يفعل الله تعالى بعبده
هو خير له وتزعم انك من جملة العبيد وانت تلوم الله سبحانه لك في كل
يوم لون جديد فقد خالف قولك فعلك يا من يدعى العبودية والرضى والتوحيد
قال الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون لانه
كذلك قول بعض الحذ... في ظاهر الامر ان الشيطان للانسان عدو مبين
وهو صديقه في الباطن فمثله كمثل من قال ان العسل مسموم ثم مد يده
لياكل منه فمن سب الشيطان بلسانه ثم ساعده بعمله ووافقه بما يهواه فهو
عبد الشيطان لا عبد خالقه ومولاه قال الله سبحانه ارايت من
اتخذ الهه هواه وقال الواحد للناس الم اعهد اليكم يا بني ادم
ان لا تعبدوا الشيطان وما اكثرنا الكلام الا لان طبع الادمي ثقيل
يحتاج الى تزويق الكلام والى التطويل ولو عمل باية من كتاب الله تعالى وهو
قوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الآية او عمل بحديث من احاديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما كان يحتاج الى غيره وهو قوله صلى الله عليه وسلم
من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فقد علمت ان النفس تهمله ولذلك
تعصى الله تعالى وتخالف اوامره الجليلة قال ابو يزيد لو ان زماني
بيد غيري كان احب الي من ان يكون زماني بيد نفسي وقال بعض العارفين
من ذاق طعم نفسه لم يفلح نسال الله العظيم الذي اذا اقطعنا انفسنا
ان يعقبنا حلاوته وحبه واعلم انه لا يجد طعم حب الواحد الجلال

٣ - الصفحة قبل الأخيرة من مخطوطة دار الكتب المصرية (ق)


الا كل عبد تقي زاهد مشتاق

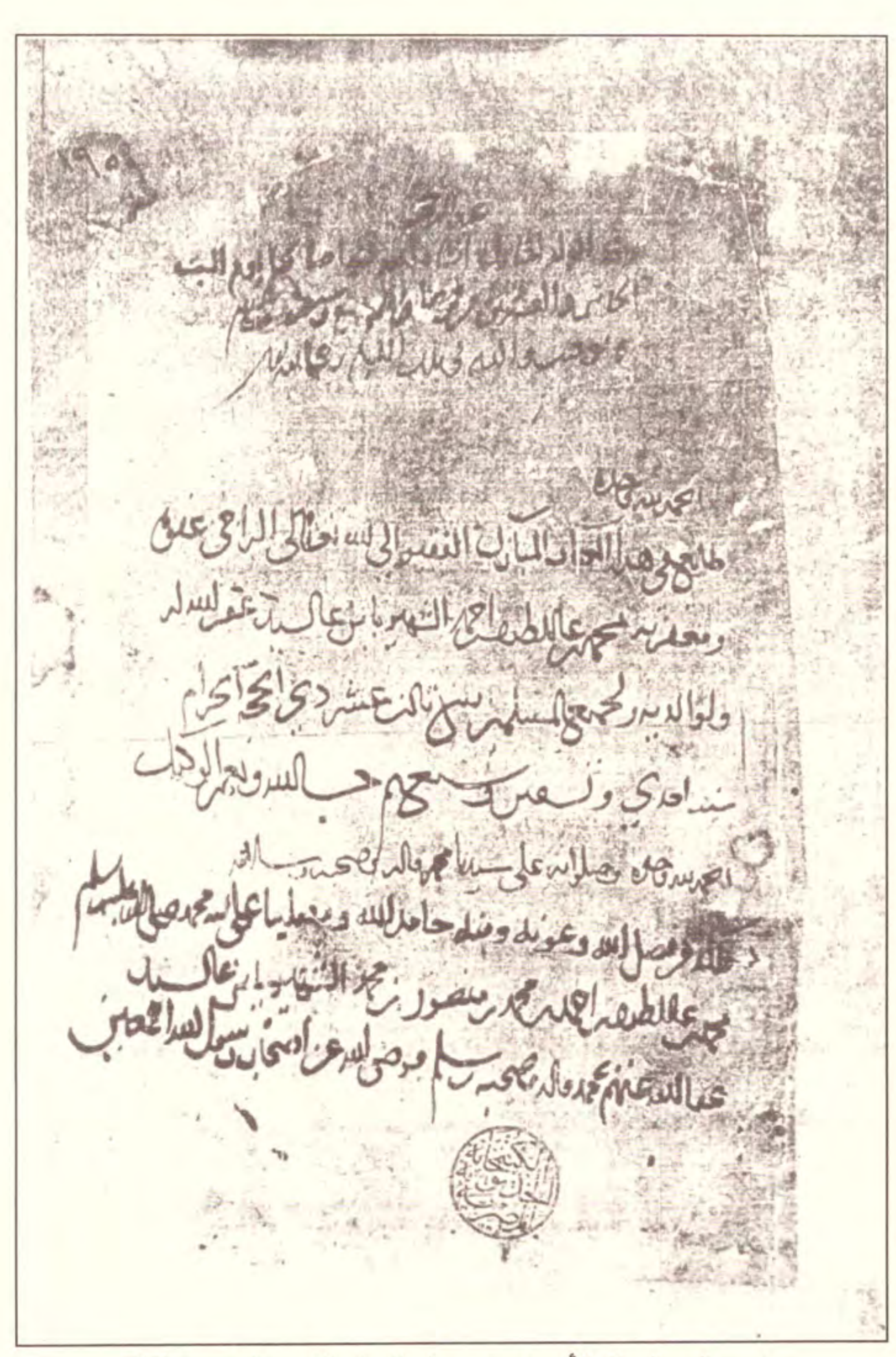
تم كتاب اللمع بحمد الله تعالى ومنه

غفر الله تعالى لمؤلفه وكاتبه والواقف عليه

ولوالديهم ولجميع المسلمين امين وصلى الله على

محمد خير خلقه وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

٤ - الصفحة الأخيرة من مخطوطة دار الكتب المصرية (ق)



٥ - ظهر الورقة الأخيرة من مخطوطة دار الكتب المصرية (ق)



كتاب اللمع في الحوادث والبدع

1460
47

كتاب اللمع في الحوادث والبدع تأليف
العبد الضعيف ادريس ابن بيدكين ابن عبد الله
الحنفي عامله الله تعالى وجميع المسلمين
بلطفه الخفي وغفر له بعفوه وكرمه
وهو القادر الولي وصلوات الله
ورحمته وبركاته على سيدنا
محمد ما طلع نجم
هذا الكتاب
ويسال الله لنا ولجميع المسلمين العفو والعافيه

1460
9-47
D 8
48

٦ - صفحة العنوان لمخطوطة متحف مولانا في قونية (خ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين وامام المرسلين وعلى جميع عباد الله الصالحين قال
المولى ادريس ابن بيدكين ابن عبد الله التركماني الحنفي عامله الله
تعالى وجميع المسلمين بلطفه الخفي وغفر له بعفوه وكرمه وهو
القادر الولي وصلوات الله ورحمته وبركاته على سيدنا محمد ما طرفت عين
وخفي سالني بعض الاصحاب ان اذكر له شيا من البدع المحدثة
الخارجة عن طريق المسلمين المخالفة للسنة والكتاب فاجبته الى ذلك
وسالت الله تعالى الكريم الوهاب الذي يمحو ما يشا ويثبت وعنده ام
الكتاب ان يهديني الى الحق والرشد والصواب وان يجعله
خالصا لوجهه الكريم ليحصل به النفع والخير والثواب وعليه توكلت
واليه المرجع والماب وسميته كتاب اللمع في الحوادث والبدع
غفر الله تعالى لقاريه ولمولفه ولمن نظر فيه وللسامعين ولمن
سد خللا وجد فيه ان اطلع او كشط شيا قال المولى لخروج بقوله
عن الكتاب والسنة ورفع الاذى المولى القليل العلم كثير الجهل غافل عن
اهوال يوم المطلع رحم الله من دعا له بحسن الخاتمة وان يجعله
ممن اطاع ربه وذل لعزته وعظمته وخشع لهيبته قال رحمه الله

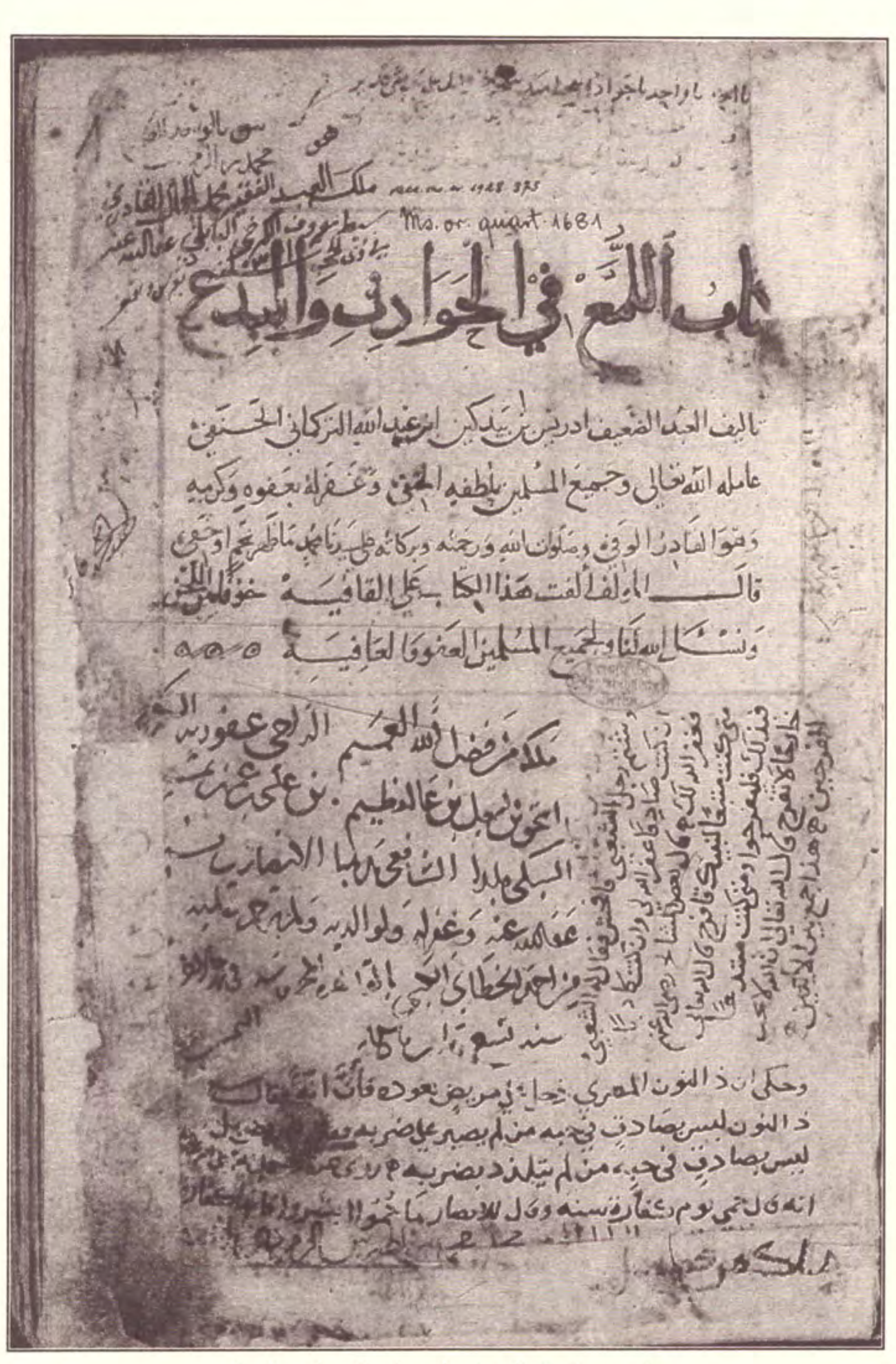
يا ناظرا

٧ - أول كتاب «اللمع» في مخطوطة متحف مولانا في قونية (خ)



منه يا رب العالمين واغفر ذلك بالوالدين والأقربين ولجميع الأ
صحاب والأحباب والمسلمين والله على كل شيء قدير والحمد
لله رب العالمين وصلواته ورحمته وبركاته على سيد المرسلين
وعلى جميع النبيين وعباد الله الصالحين من قرأ في أول هذا الكتاب
عذر المؤلف ولم يكثر العتاب حيث قال المؤلف
تمسك بحبل الله واتبع الهدى ولا تك بدعيا لعلك تفلح
ولذ بكتاب الله والسنن التي أتت عن رسول الله تنجو وتربح
وسافر بهذا الزاد تلقى سلامة وأمنا وخيرا حين تمسي وتصبح
غفر الله لكاتبه ورحمه برحمته الواسعة واجعل القرآن الكريم
أنيسه وشافعه آمين ولمالكه ولقاريه ولسامعه ولجميع المسلمين
وذلك برسم السيد موسى الهندي ابن عبد الله وكان الفراغ من نسخه
نهار السبت العاشر من شهور ذي الحجة سنة ٨٠٦ وكاتبه أبو بكر
ابن الخطيب بقرية تيزين الشافعي مذهبا غفر الله له ولوالديه ولمن قرأ
في هذا الكتاب ورأى فيه خللا وسده

٨ – الصفحة الأخيرة في مخطوطة متحف مولانا في قونية (خ)



Ms. or. quart. 1681

كتاب اللمع في الحوادث والبدع

تاليف العبد الضعيف ادريس بن بيدكين ابن عبد الله التركماني الحنفي

عامله الله تعالى وجميع المسلمين بلطفه الخفي وغفر له بعفوه وكرمه

وهو القادر الوفي وصلوات الله ورحمته وبركاته على سيدنا محمد ما طلع نجم واختفى

قال المولف الفت هذا الكتاب على القافية خوفا من اللحن

ونسأل الله لنا ولجميع المسلمين العفو والعافية

٩ - صفحة العنوان لمخطوطة برلين (ب)

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام
على سيدنا محمد خاتم النبيين وامام المرسلين وعلى جميع عباد الله الصالحين .
قال المؤلف ادريس بن بيدكين ابن عبد الله التركماني الحنفي عامله الله تعالى
وجميع المسلمين بلطفه الخفي وغفر له بعفوه وكرمه وهو القادر الوفي وصلوات الله
ورحمته وبركاته على سيدنا محمد ما ظهر نجم او خفي . سالني بعض الاصحاب ان اذكر له شيئا
من البدع المحدثة الخارجة عن طريق المسلمين المخالفة للسنة والكتاب . فاجبته
الى ذلك وسالت الله تعالى الكريم الوهاب . الذي يمحو ما يشاء ويثبت وعنده ام
الكتاب . ان يهديني الى الحق والرشد والصواب . وان يجعله خالصا لوجهه
الكريم ليحصل به النفع والخير والثواب . وعليه توكلت واليه المرجع والمآب .
وسميته كتاب اللمع في الحوادث والبدع . غفر الله تعالى لقاريه ولمؤلفه ولمن نظر فيه
وللسامعين ولمن سد خلله وجد فيه ان اطلع . وكشط شيئا قاله المؤلف فخرج بقوله عن
الكتاب والسنة ووقع . لان المؤلف قليل العلم كثير الجهل غافل عن اهوال يوم المطلع .
ورحم الله من دعا له بحسن الخاتمة وان يجعله ممن اطاع ربه وذل لعزته وعظمته وخضع .

يا ناظرا في كتابي حين تقرؤه عدلا هديت بلا حيف ولا شطط .
ان مر سهو فلا تعجل بسبك لي واعذر فلست بمعصوم من الغلط .

الحمد لله ذي الطول والمنة . وله الحول والقوة والمنة . الذي شهدت باحديته وفردنيته
السموات والارض ومن فيهن وكل يسبح بحمده ولكن لا تفقهونه . الذي اوجب محبته
ورضوانه ومغفرته لمن اطاعه وتمسك بالكتاب والسنة . الذي عهد لجميع انبيائه
ورسله ليؤمنن بنبيه وحبيبه صلى الله عليه وسلم ولينصرنه . واخذ ميثاق الذين اوتوا

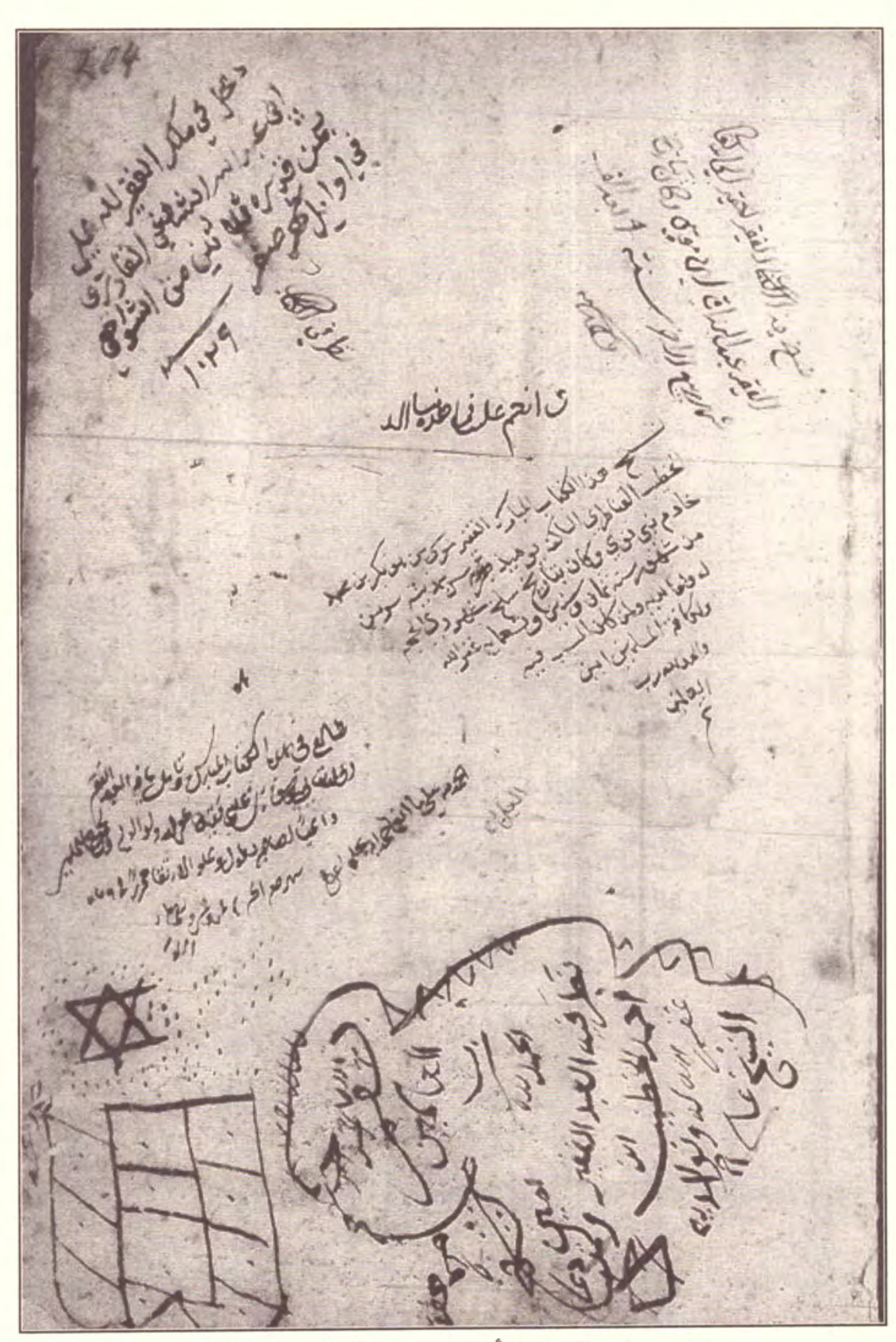
١٠ - الصفحة الأولى من مخطوطة برلين (ب)

والطمع . وكنت أريد أكتب شيئاً فيذهب الله تعالى بذلك الشيء ويلقي في بالي غيره
ويسهل علي ما سمعته من الفقهاء المرضية . ومن الفقراء المتبعين لخير البرية صلى الله
عليه وعلى آله وأقاربه وأزواجه وذرياته أهل الدين والورع والأخلاق المرضية .
وعلى أصحابه أهل الشجاعة والكرم المشبهين بالنجوم المضية . الحمد لله الذي وفقني
لجمعه وأعانني عليه . وأسأله أن يجمع أمري على التقوى ولا يجعله حجة علي يوم
أقف بين يديه . اللهم سهل لنا طريقاً توصلنا إليك . وارزقنا الراحة في قلوبنا
بالتوكل عليك . مثبتين على خدمتك . محققين بمعرفتك . متبعين لسنة رسولك
وارض عنا آخذين منه يا رب العالمين . وأصحاب ذلك بالوالدين والأقربين وجميع
الأصحاب والأحباب والمسلمين والله على كل شيء قدير . والحمد لله رب العالمين
وصلواته ورحمته وبركاته على سيد المرسلين وعلى جميع النبيين وعباد الله
الصالحين . من قرأ في أول هذا الكتاب عذر المؤلف ولم يكثر العتاب

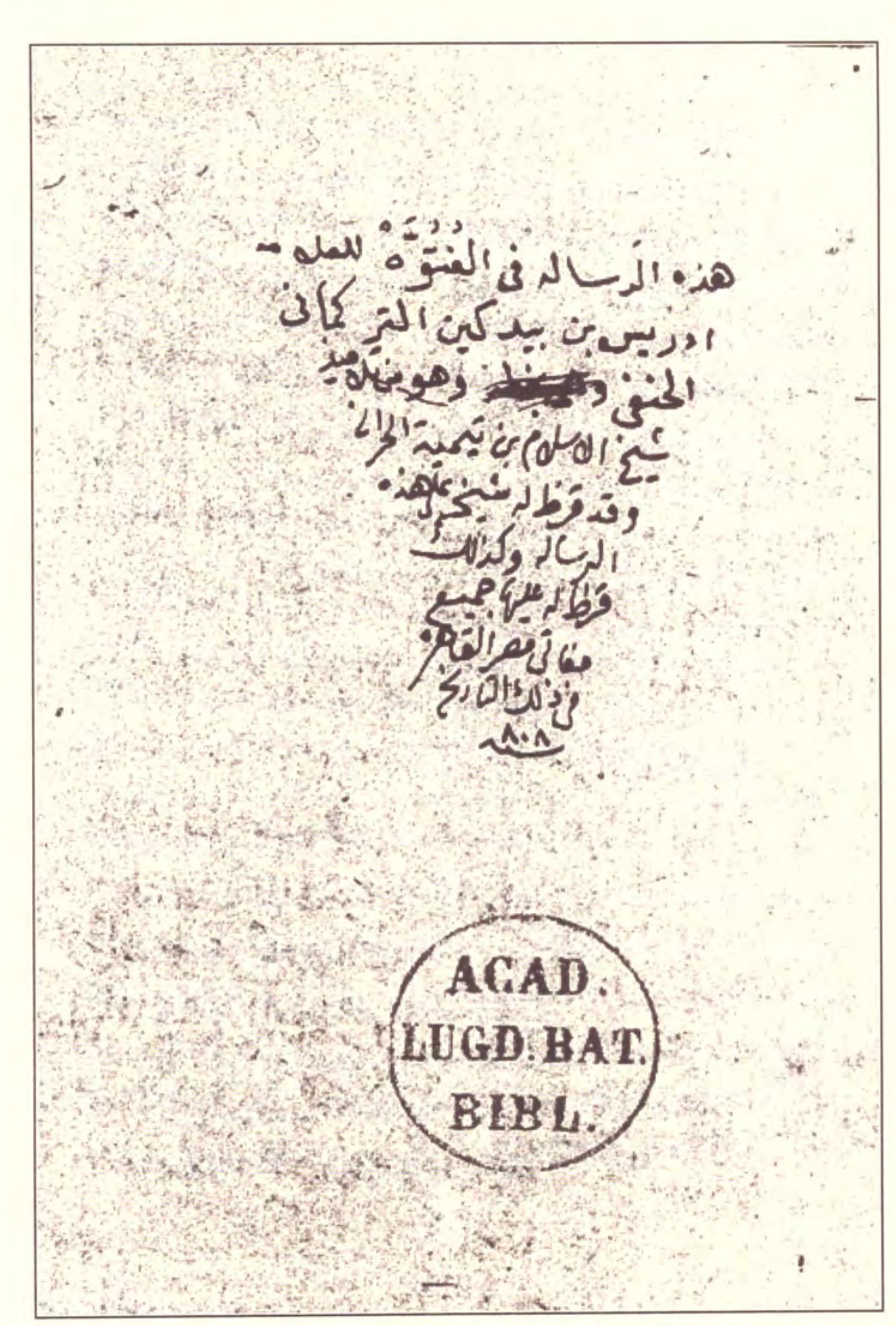
تمسك بحبل الله واتبع الهدى ولا تك بدعياً لعلك تفلح
ولذ بكتاب الله والسنن التي أتت عن رسول الله تنجو وتربح
وسافر بهذا الزاد تلقى سلامة وأمناً وخيراً حين تمسي وتصبح

غفر الله لكاتبه ورحمه برحمته الواسعة
واجعل القرآن الكريم أنيسه وشافعه
آمين . ولمالكه وقاريه
ولسامعه
ولجميع المسلمين
[illegible]

١١ - الصفحة الأخيرة من مخطوطة برلين (ب)



١٢ - ظهر الورقة الأخيرة من مخطوطة برلين (ب)


هذه الرسالة في الفتوة للعلامة
ادريس بن بيدكين التركماني
الحنفي [illegible] وهو من [illegible]
شيخ الاسلام ابن تيمية الحراني
وقد قرظ له شيخنا علي هذه
الرسالة وكذلك
قرظ له عليها جميع
علماء مصر القاهرة
في ذلك التاريخ
٨٠٨ه

١٣ - صفحة العنوان لرسالة «الفتوة»، مخطوطة لايدن (ل)

بسم الله الرحمن الرحيم   فصل في الفتوة قال الشيخ العبد الضعيف ادريس بن بيدكين التركماني
الحنفي عامله الله تعالى وجميع المسلمين بلطفه الخفي وثبته على الدين الحنيفي والمذهب الحنفي وصلواته على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلم ما ظهر نجم واختفى الفتوة هي الايمان والهداية قال سبحانه انهم فتية امنوا بربهم وزدناهم
هدى واتباع المبعوث بالرسالة قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم
والله غفور رحيم وقال الله عز وجل يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المومنين وقال واطيعوا الله
واطيعوا الرسول وقال سبحانه من يطع الرسول فقد اطاع الله وفي اية اخرى ومن يطع الله ورسوله فقد
فاز فوزا عظيما قال المفسرون من يطع الله في فرايضه والرسول في سننه فقد فاز فوزا عظيما وقال
تعالى تعظيما لمرتبة نبيه وحبيبه وتمكينا ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا فمن عمل بسنته
فقد اطاع ومن خرج عنها فقد عصاه فجنيد يخاف على من عصاه ان تكون النار ماواه لقوله صلوات
الله عليه وسلامه كل الناس يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن ابى قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني
فقد ابى والخروج عن الطريق من عدم التوفيق فاسلك الطرق ولو دارت ان اردت الوصول
واتت البيوت من ابوابها ان اردت الدخول والاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدع وقال
صلى الله عليه وسلم عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وطريق النبي صلى الله عليه وسلم قريب وتوصل
الى الحبيب فمن دخلها ادخله الله دار القرار ومن عدل عنها سلك الادبار يخاف عليه من عذاب النار
وسخط الجبار والخوارج كلاب النار كذا ورد في الاخبار عن السيد المختار الكامل الانوار صلى
الله عليه وسلم صلاة دايمة الى يوم القرار وقال الله سبحانه قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التورية
والانجيل وما انزل اليكم من ربكم معناه يا اهل كل كتاب لستم على شيء حتى تكونوا متبعين لا مبتدعين
والمبتدعين ليسوا من المتقين واعمالهم مردودة عليهم لقول رب العالمين انما يتقبل الله من
المتقين فاعمالهم اعمى لهم وافعالهم افعى لهم والفتى من اتبع والشيطان من ابتدع فمن يلبس
الفتوة ويجمع الجوع والمردان ويلبسهم لباسا ويشد تكة بيده ويسقيهم ماء وملحا ويمد لهم الخوان
فقد خرج عن السنة والقران وخالف في فعله هذا جميع الاديان واتبع طريق المغرورين الهالكين
المبعودين عن رحمة رب العالمين لانهم خرجوا عن طريق سيد المرسلين والصحابة المكرمين والايمة

الراشدين

١٤ - الصفحة الأولى من رسالة «الفتوة»، مخطوطة لايدن (ل)

4

لبغية البلاد فاكثر اهلها الفساد بلبسهم ونظرهم لمن لم يحل له النظر شرعا وبكذبهم على آل خير العباد فوقعوا في البدعة
والقطيعة والبعاد ومن رجع منهم بالتوبة تاب الله عليه ووصله به وهو الكريم الجواد فقد اوعد الله ذلك لمن تمسك
بحبله واتبع سنة نبيه وهو لا يخلف الميعاد قال بعضهم

تمسك بحبل الله واتبع الهدى ولا تك بدعيا لعلك تفلح
ولذ بكتاب الله والسنن التي اتت عن رسول الله تنجو وتربح
وسافر بهذا الزاد تلق سلامة وامنا وخيرا حين تمسي وتصبح

تم الكتاب بحمد الله وعونه بالعبد الضعيف ادريس [illegible] تجاوز الله عنه وعن جميع المسلمين وحشرهم في زمرة سيد المرسلين صلوات
الله عليه وعلى آله واصحابه وازواجه وذرياته وسائر الصحابة اجمعين في [illegible]

ومما كتب عليه الثلاثة المشايخ المنتسبون في المذاهب الاربع فسح الله لهم في مدتهم ونفع ببركتهم فالاول للشيخ الامام صورة خطه

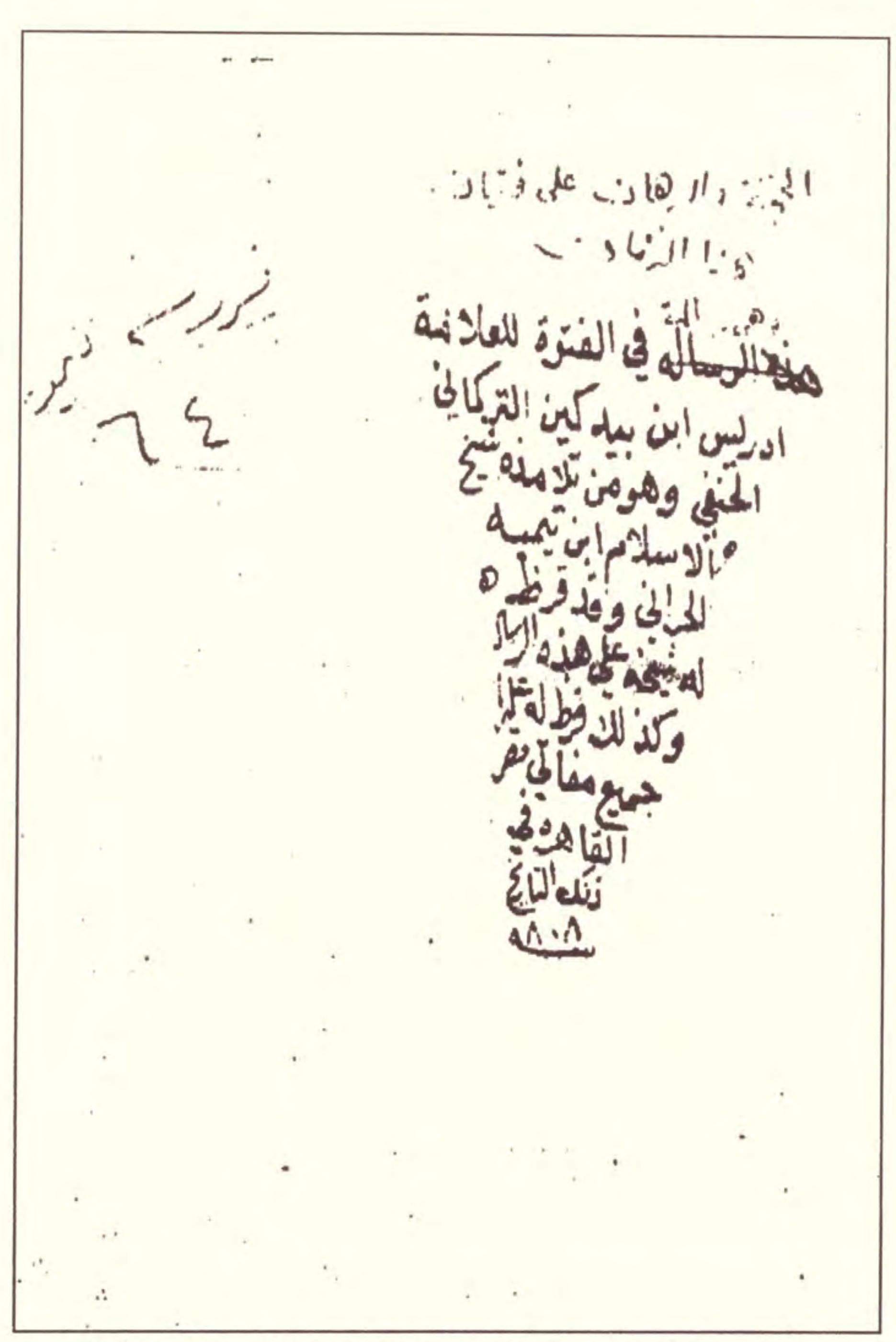
الحمد لله رب العالمين

هذا الكلام كلام رجل صادق ناصح متبع لشريعة الاسلام ناه عما نهى الله عنه من الآثام متبع للكتاب والسنة والآثار فيما
دعا اليه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر محب لله ولرسوله راغب في طريق الله وسبيله وما انكره من هذه الفتوة التي
تنسب الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه الماء والملح وتتضمن من الفواحش والعدوان ما لا يرضاه احد من
اهل الايمان وهو فيه من اعظم المطيعين لله ولرسوله القائمين بما ارضى الله ورسوله ويجب على كل مسلم ان يرضى بما
فعله من ذلك ويعاونه على ذلك اذا احتاج الى المعاونة بما يقدر عليه وبوجود هذا وامثاله من الآمرين بالمعروف والناهين
عن المنكر يصلح الله للمسلمين دينهم ودنياهم وهذه الفتوة باطلة باتفاق علماء المسلمين لا اصل لها عن علي بن ابي طالب ولا عن احد
ممن يقتدي به المسلمون في دينهم وهم لو لم يجتمعوا على محرم ولا بدعة وتعاون على اثم وعدوان لم يكن لهم ان يحدثوا عهودا
وشروطا غير ما عهد الله تعالى الى خلقه وامرهم به من كتابه وعلى لسان رسوله بانه يجب على كل مسلم ان يطيع الله ورسوله
فيفعل ما امر به ويترك ما نهى عنه فمن فعل ذلك كان من اولياء الله المتقين وهو مستحق لكرامة الله وثوابه في الدنيا والآخرة
ولا يحتاج مع ذلك الى ما احدثه المبتدعون فكيف اذا كانت فتوة الشيطان مشتملة على الاثم والعدوان من التعصب
بالباطل لاصحابهم والعدوان على من لم يكن من احزابهم والسعي من اسباب الفواحش والمنكرات التي هي من اعظم
المحرمات والواجب على المسلم ان يعامل المسلم بما امر الله به ورسوله كما قال صلى الله عليه وسلم لا تقاطعوا ولا تدابروا
ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا وقال المسلم اخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه
وقال والذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه من الخير ما يحب لنفسه وقال مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم
كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وقال المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا
وشبك بين اصابعه وقال انصر اخاك ظالما او مظلوما قيل يا رسول الله انصره مظلوما فكيف انصره ظالما قال تمنعه

١٥ - آخر رسالة «الفتوة» وفيه تقريظ ابن تيمية، مخطوطة لايدن (ل)

بالاخلاق الجميلة واجتناب كل رذيلة والقيام بحقوق الاخوان بحسب الطاقة والامكان
متابعا في ذلك كله النبي المصطفى وحسبنا الله سبحانه وكفى
وكتبه العبد الفقير الى الله ... محمد بن ابي بكر بن عيسى الحنائي المالكي عفا الله عنه ...

١٦ – الصفحة الأخيرة من مخطوطة «الفتوة» في مكتبة جامعة لايدن (ل)



هذه الرسالة في الفتوة للعلامة
ادريس ابن بيدكين التركماني
الحنفي وهو من تلامذة شيخ
الاسلام ابن تيميه
الحراني وقد قرظه
له شيخه على هذه الرسالة
وكذلك قرظ له ايضا
جميع مشايخ مصر
القاهرة في
ذلك التاريخ
سنة ٨٠٨

١٧ - صفحة العنوان لرسالة «الفتوة»، مخطوطة دار الكتب المصرية (ت).

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل في الفتوة تاليف العبد الضعيف ادريس بن
بيدكين التركماني الحنفي عامله الله تعالى وجميع المسلمين
بلطفه الخفي وثبته على الدين الحنيفي والمذهب الحنفي
وصلوات الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم ما ظهر نجم
واختفى الفتوة هي الايمان والهداية قال سبحانه انهم فتية
امنوا بربهم وزدناهم هدى واتباع المبعوث بالرسالة
قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم وقال الله عز وجل
يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المومنين
وقال واطيعوا الله واطيعوا الرسول وقال سبحانه من
يطع الرسول فقد اطاع الله وفي اية اخرى ومن يطع
الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما قال المفسرون من
يطع الله في فرايضه والرسول في سننه فقد فاز فوزا
عظيما وقال تعالى تعظيما للمرتبة نبيه وحبيبه وتكبيتا
ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا فمن عمل بسنته
فقد اطاعه ومن خرج عنها فقد عصاه فحينئذ يخاف
على من عصاه ان تكون النار ماواه لقوله صلوات الله
عليه وسلامه كل الناس يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن
ابى قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى والخروج
عن الطريق من عدم التوفيق فاسلك الطريق ولو دارت
ان اردت الوصول واتوا البيوت من ابوابها ان اردت الدخول
والاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة
قال صلى الله عليه وسلم عمل قليل في سنة خير من كثير
في بدعة وطريق النبي صلى الله عليه وسلم قريب وتوصل الى
الحبيب

١٨ - الصفحة الأولى من رسالة «الفتوة»، مخطوطة دار الكتب المصرية (ت)

لا تصحب أخا الجهل وإياك وإياه فكم من جاهل أردى حليما حين آخاه
واحذر أيها المسكين أن يغرك الشيطان بصحبته ليخلصك مما هو فيه
من البدعة والطغيان فتؤجر على ذلك فيجب عليك أن تصحبه
لتخلصه فتشتبك أنت الآخر وذلك لعلة ترك البغض لله
تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ولتسارعك من الشيطان
اللعين فيكون مثلك كمثل من يدل بعومه فيرى غريقا فينزل
ليشيله من الغرق فيأخذه الغريق وينزل به فيهلكا جميعا وقد
أهلك من قوم يونس عليه السلام ألوف لتركهم الأمر بالمعروف
وذلك لعلة أدبهم ولين لطفهم لأهل المعاصي ومداراتهم حتى
قال الله عز وجل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون
وكذلك هؤلاء الشبان المخالفين للواجب لهم مع النبي المختار
وللمؤمنين الأخيار فلن يقبل الله تعالى يوم القيامة منهم
الأعذار لما نبذوا الآيات والأخبار وأحدثوا في الدين ما ليس
منه وكذبوا على أهل بيت النبي المختار أكمل الأنوار صلوات الله
وسلامه عليه آناء الليل وأطراف النهار وأحدثت هذه
البدعة ببغداد ثم انتشرت لبقية البلاد فأكثر أهلها
الفساد بلبسهم ونظرهم لمن لم يحل له النظر شرعا ويكذبهم
على آل خير العباد فقد فعلوا البدعة والقطيعة والعناد
ومن رجع منهم بالتوبة تاب الله عليه ووصله به وهو
الكريم الجواد فقد أودع الله ذلك لمن تمسك بحبله
واتبع سنة نبيه وهو لا يخلف الميعاد قال بعضهم

تمسك بحبل الله واتبع الهدى ... ولا تك بدعيا لعلك تفلح
ولذ بكتاب الله والسنن التي ... أتت عن رسول الله تنجو وتربح
وسر نحو هذا الزاد تلق سلامة ... وأما وضيرا حين تمسي وتصبح

تم الكتاب بحمد الله وعونه تأليف العبد الضعيف إدريس
ابن بيدكين التركماني الحنفي عفا الله عنه وعن جميع المسلمين

٩ أوعد

١٩ - الصفحة الأخيرة من رسالة «الفتوة»، مخطوطة دار الكتب المصرية (ت)

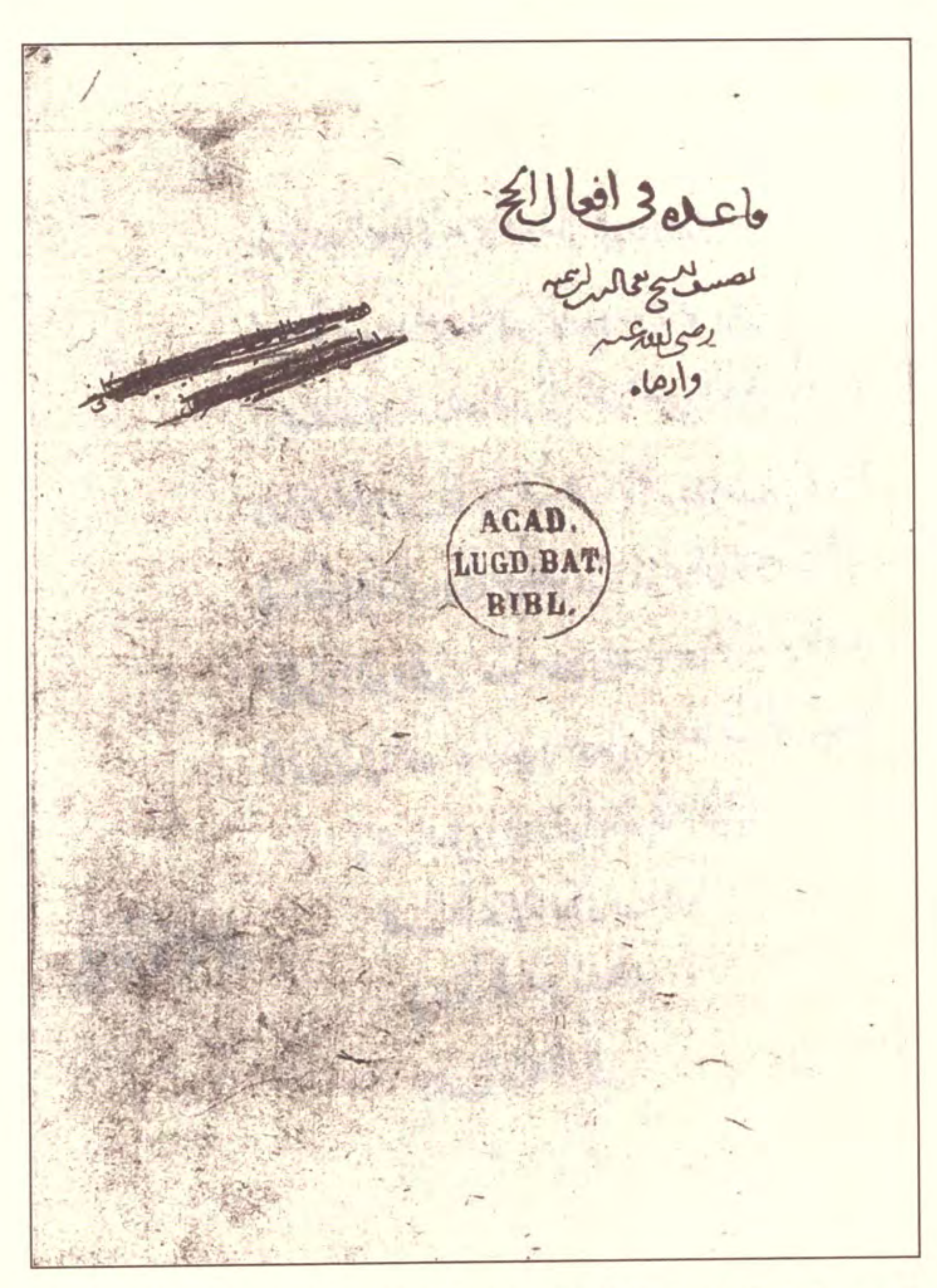
وقد كتب عليه السادة المشايخ المعتبرون في المذاهب الاربع فسح الله
لهم ونفع ببركتهم فالاول للشيخ ابن تيمية صورة خطه الحمد لله رب العالمين
هذا المكرس كلام رجل صادق ناصح متبع لشريعة الاسلام
ناه عما نهى الله عنه من الاثام متبع الكتاب والسنة والاثر فيما
دعا اليه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر محب لله ولرسوله
راغب في طريق الله وسبيله وما انكره من هذه الفتوة التي تنسب
السادة المشايخ
الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه
وبتضمن من الفواحش والعدوان ما لا يرضاه احد من اهل
الاحسان وهو فيه من اعظم المطيعين لله ولرسوله القائمين
بما ارضا الله ورسوله ويجب على كل مسلم ان يرضى بما
فعله من ذلك ويعاونه على ذلك اذا احتاج الى المعاونة
بما يقدر عليه بوجوه هذا وامثاله من الآمرين بالمعروف
الناهين عن المنكر يصلح الله للمسلمين دينهم ودنياهم وهذه
هين ج
الفتوة باطلة باتفاق علماء المسلمين لا اصل لها عن علي بن ابي
طالب ولا عن احد ممن يقتدي به المسلمون في دينهم وهم لو
لم يجتمعوا على محرم ولا بغيا وتعاونوا على الاثم والعدوان
لم يكن لهم ان يحدثوا عهودا وشروطا غير ما عهد الله تعالى
الى خلقه وارشدهم به من كتابه وعلى لسان رسوله بانه يجب
على كل مسلم ان يطيع الله ورسوله فيفعل ما امر به ويترك ما نهى
عنه فمن فعل ذلك فهو من اولياء الله المتقين وهو مستحق لكرامة
الله وثوابه في الدنيا والاخرة ولا يحتاج مع ذلك الى ما احدثه
المبتدعون فكيف اذا كانت فتوة الشيطان مشتملة على الاثم
والعدوان من التعصب بالباطل لاصحابهم والعدوان على من
لم يكن من احزابهم والسعي من اسباب الفواحش والمنكرات التي
هي اعظم المحرمات والواجب على المسلم ان يعامل المسلم بما امر الله به
ورسوله

٢٠ - تقريظ ابن تيمية لرسالة «الفتوة»، مخطوطة دار الكتب المصرية (ت)

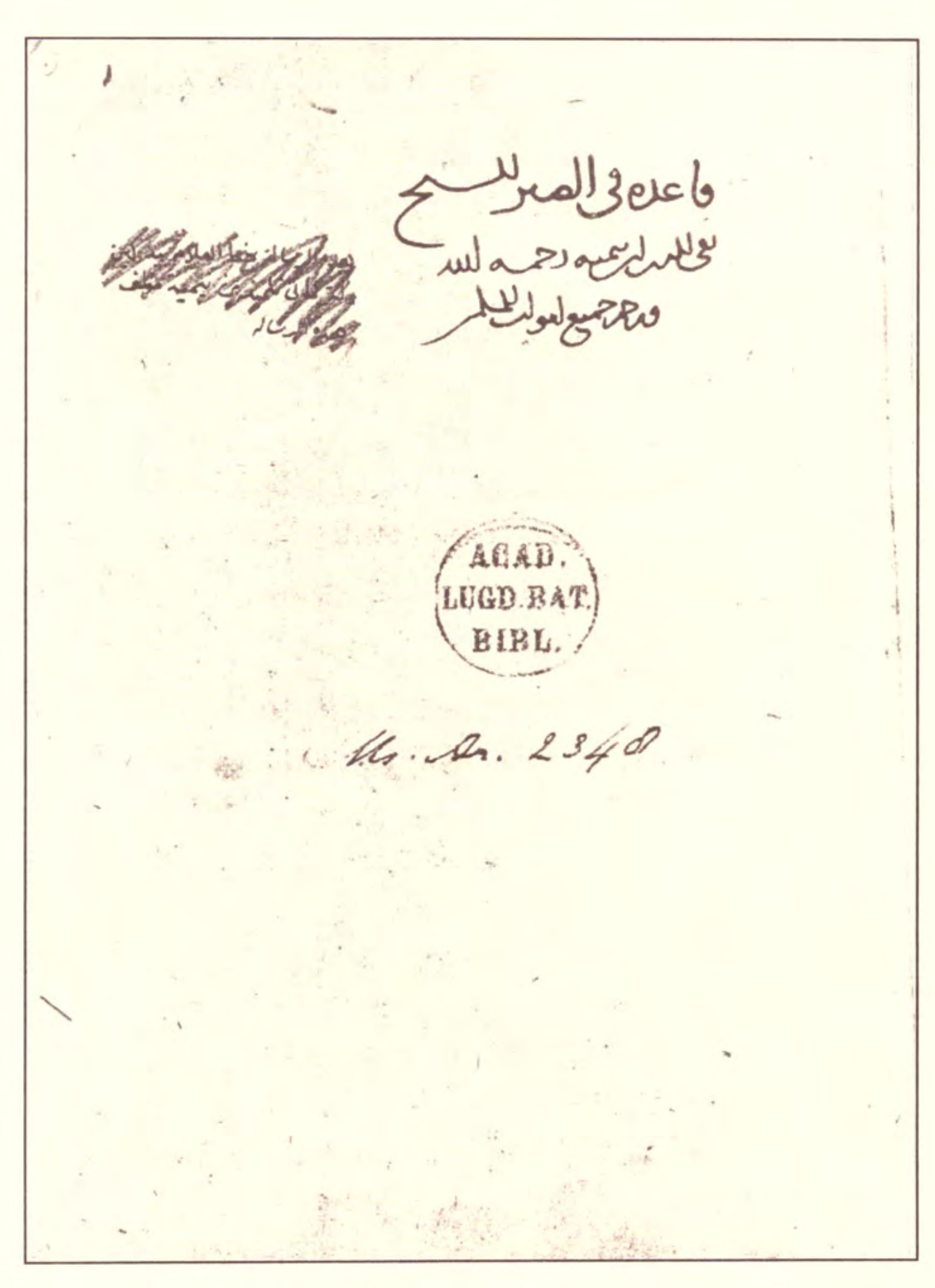
يقول العبد الفقير الى الله سبحانه وتعالى الحمد لله وحده وصلواته على سيدنا
محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين
ان هذه المقالة بدعة وضلالة ارتكبها اهل الفسوق والجهالة يتعين على
ولي الامر منعهم من ارتكابها وحسم هذه المفسدة وسد بابها
فان الفتوة بذل المجهود في رضى المعبود والاعراض عن الاكوان في رضى
الرحمن والغيرة للحق والقيام فيما وجب له من حق مع ترك
الالتفات في ذلك الى الخلق والتخلق بالاخلاق الجميلة
واجتناب كل رذيلة والقيام بحقوق الاخوان
بحسب الطاقة والامكان تابعا
في ذلك كله النبي المصطفى
وحسبنا الله سبحانه وكفى

بلغ مقابلة على اصله

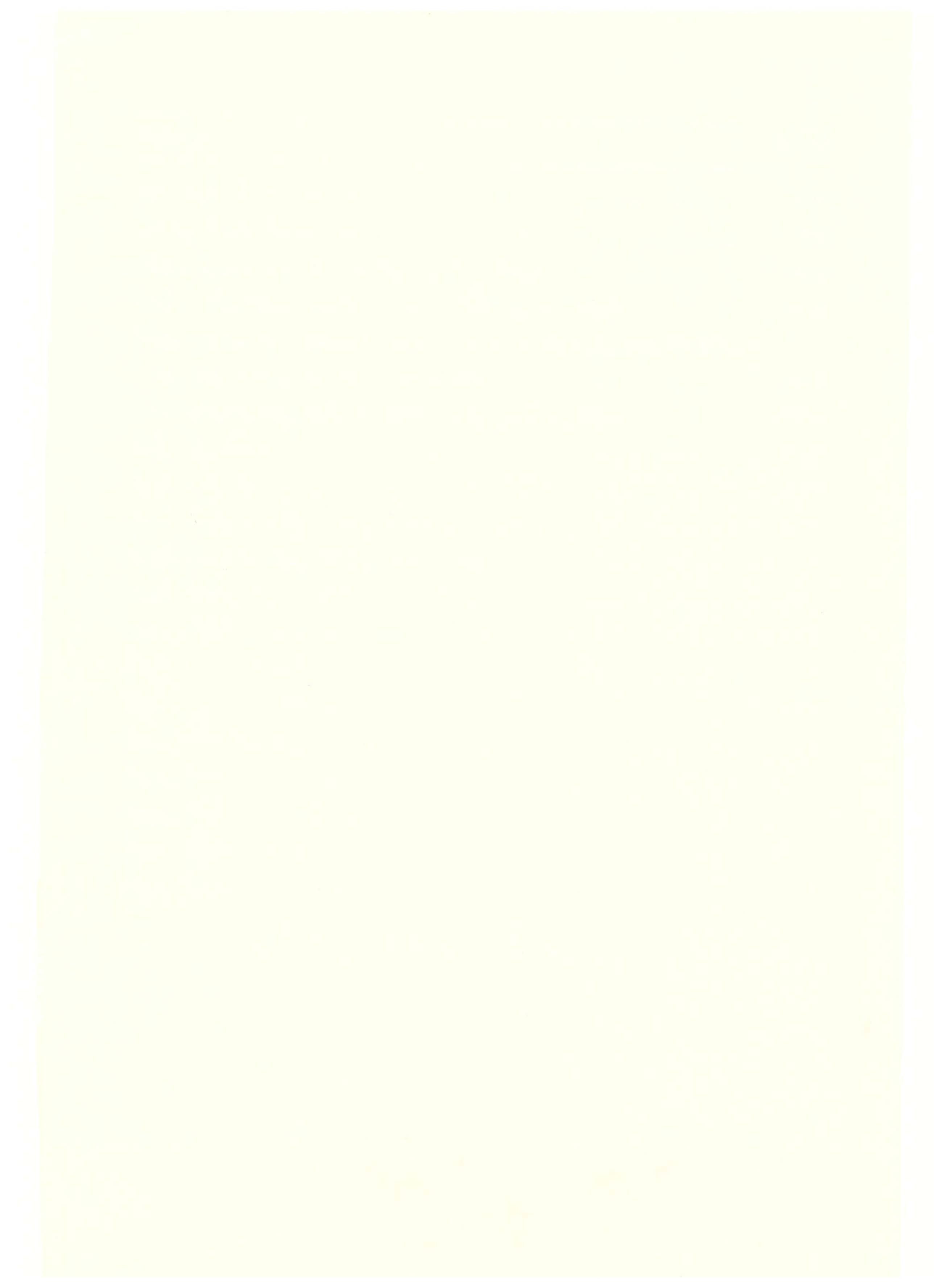
٢١ - الصفحة الأخيرة من مخطوطة «الفتوة»، دار الكتب المصرية (ت)



٢٢ - صفحة العنوان لمخطوطة «قاعدة في أفعال الحج لابن تيمية» في مكتبة لايدن، وقد كتب على اليسار: (هذه الرسالة بخط العلامة بيدكين التركماني الحنفي، تلميذ ابن تيمية الحراني)، ثم شطب عليها.


قاعدة في الصبر للشيخ
تقي الدين ابن تيمية رحمه الله

٢٣ - صفحة العنوان لمخطوطة «قاعدة في الصبر لابن تيمية»، وكتب على اليسار: «هذه الرسالة بخط العلامة بيدكين التركماني، تلميذ ابن تيمية مؤلف هذه الرسالة»، ثم شطب عليها.





تأليف:

العبد الضعيف

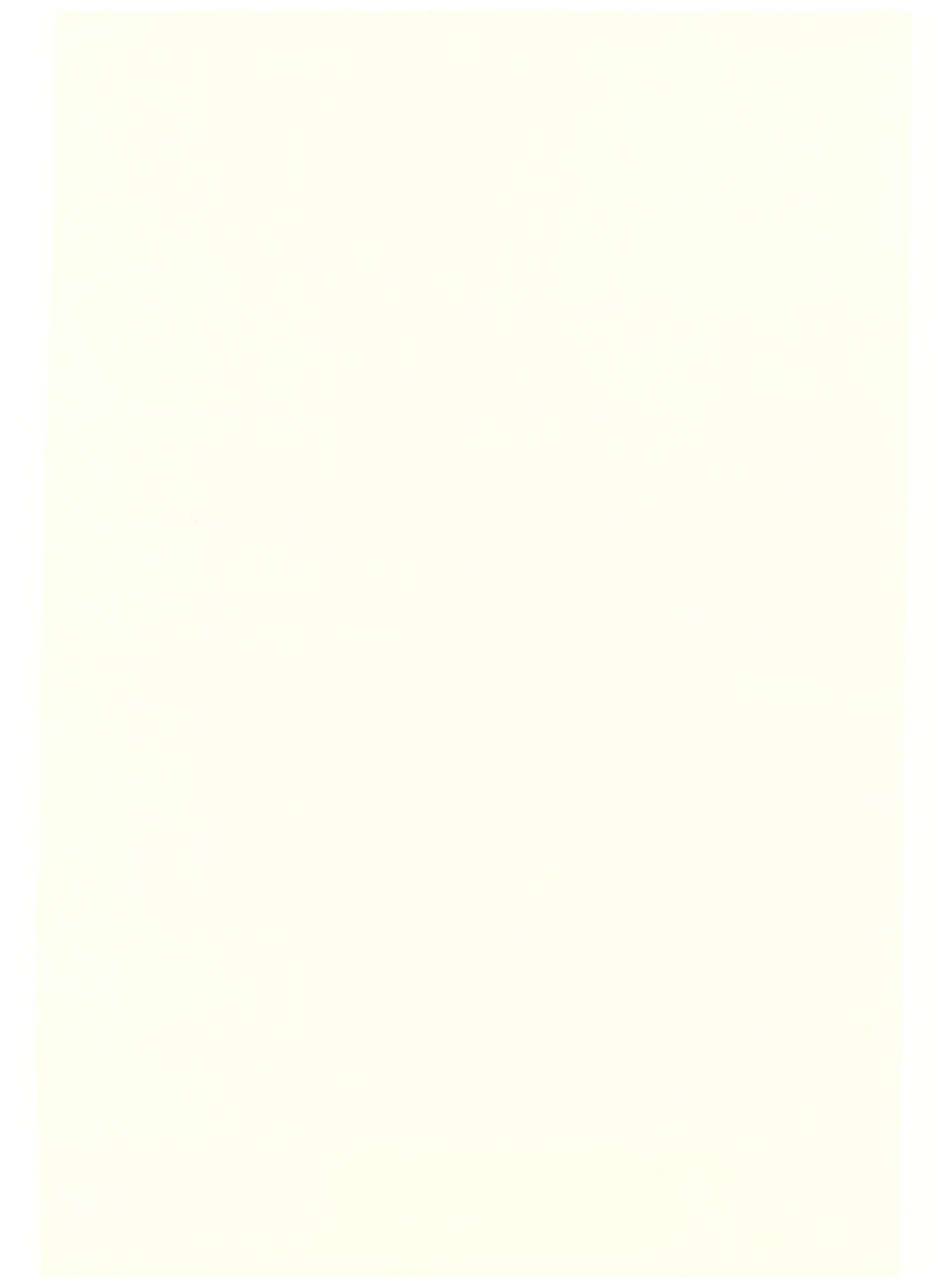
إدريس بن بيدكين بن عبد الله التركماني الحنفي

عامله الله تعالى وجميع المسلمين بلطفه الخفي، وغفر له بعفوه وكرمه وهو القادر الوفي، وصلوات الله ورحمته وبركاته على سيدنا محمد ما ظهر نجم أو خفي.

قال المؤلف:

ألَّفتُ هذا الكتاب على القافية خوفًا من اللَّحن،

ونسأل الله لنا ولجميع المسلمين العفو والعافية.





بسم الله الرحمن الرحيم

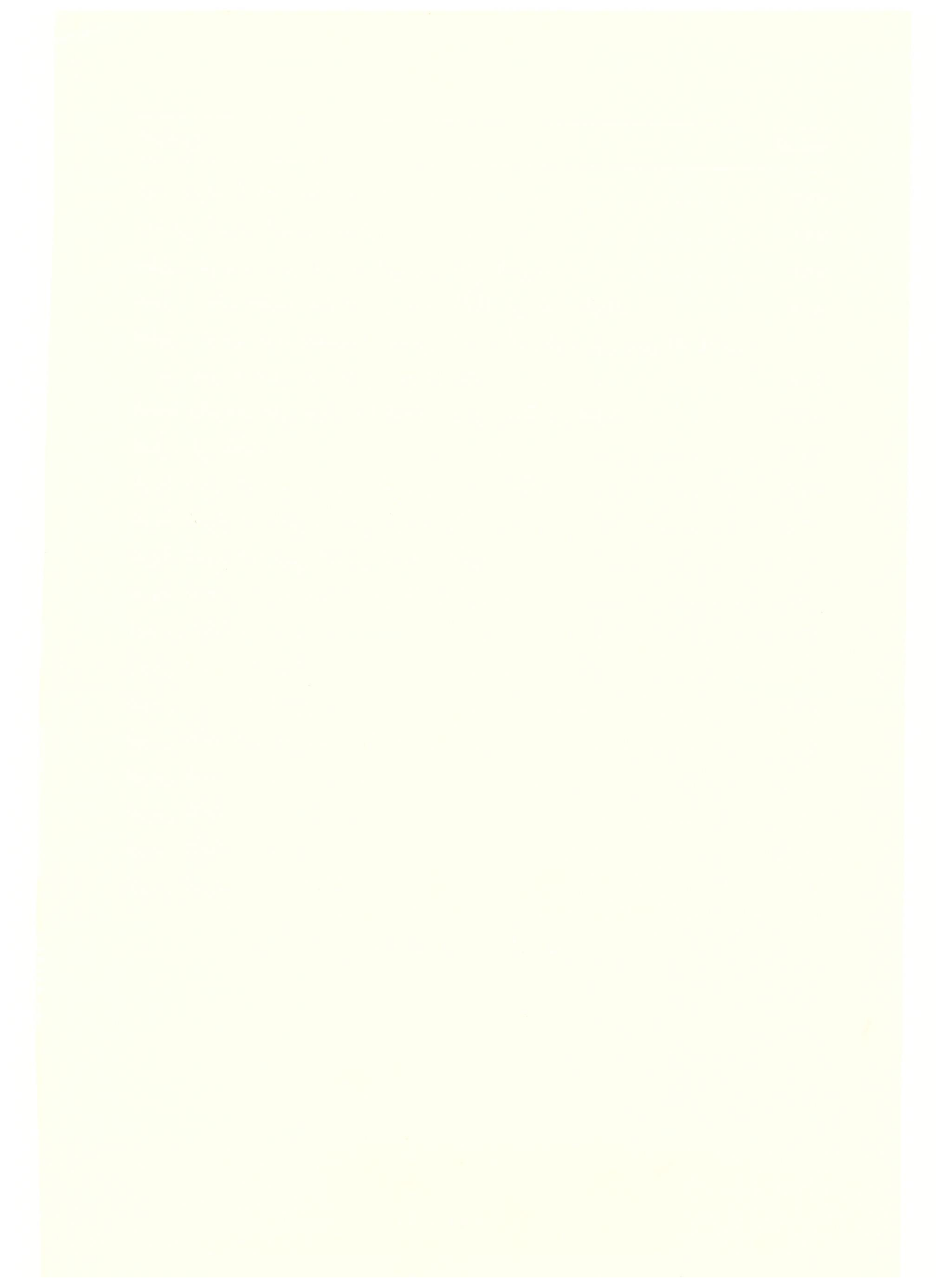
[مقدمة المؤلف الأُولى]

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والتَّسليم على سيدنا محمد خاتم النبيين، وإمام المرسلين، وعلى جميع عباد الله الصَّالحين.

قال المؤلِّفُ إدريس بن بَيْدَكِينَ بن عبد الله التركمانيُّ الحنفيُّ ـ عامله الله تعالى وجميع المسلمين بلطفه الخفي، وغفر له بعفوه وكرمه وهو القادر الوفي، وصلوات الله ورحمته وبركاته على سيدنا محمد ما ظهر نجم أو خفي ـ: سألني بعض الأصحاب أنْ أذكر له شيئًا من البدع المحدَثة، الخارجة عن طريق المسلمين، المخالفة للسُّنة والكتاب، فأجبته إلى ذلك، وسألت الله تعالى الكريم الوهَّاب الذي يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب أنْ يهديني إلى الحق والرُّشد والصَّواب، وأنْ يجعله خالصًا لوجهه الكريم ليحصل به النَّفع والخير والثَّواب، وعليه توكلت وإليه المرجع والمآب، وسميتُه كتابَ: «اللُّمع في الحوادث والبدع». غفر الله تعالى لقارئه ولمؤلفه، ولمن نظر فيه، وللسامعين، ولمن سدَّ خللاً وُجِد فيه إن اطلع، وكشَط شيئًا قاله المؤلفُ فخرَجَ بقوله عن الكتاب والسنة ووقع؛ لأنَّ المؤلف قليل العلم، كثير الجهل، غافل عن أهوال يومِ المُطَّلَع، فرحم الله من دعا له بحسن الخاتمة، وأن يجعله ممن أطاع ربه، وذلَّ لعزته وعظمته وخضع[1]:

يا ناظرًا في كتابي حين تقرؤه	عدِّل هُديتَ بلا حيفٍ ولا شطَطِ
إن مرَّ سهوٌ فلا تعجل بسبِّك لي	واعذر فلست بمعصومٍ من الغلطِ

(١) زاد في (خ): (حيث قال رحمه الله).





[مقدمة المؤلف الثانية]

الحمد لله ذي الطَّول والمِنَّة، والحول والقوة والمُنَّة، الذي شهدت بأحديته وفرديته السماوات والأرض ومن فيهن، وكلٌّ يسبح بحمده، ولكن لا تفقهنَّه، الذي أوجبَ محبَّتَه ورضوانه ومغفرته لمن أطاعه وتمسك بالكتاب والسنة، الذي عهد لجميع أنبيائه ورسله ليؤمننَّ بنبيه وحبيبه ﷺ ولينصرنَّه[1]، وأخذ ميثاق الذين أوتوا الكتاب بأن لا يكتموه؛ وليبيننَّه[2].

وأعدَّ سبحانه لمن اتَّبع نبيَّه بما لا عينٌ رأتْ، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب أحدٍ من الإنس والجِنَّة، وحشره مع متبوعه فأقر بذلك عينه، وجبر قلبه، وأضحك سِنَّه. وهذا الخيرُ ـ كلُّه ـ لمؤمنٍ عمل صالحًا وأحسن بالله ظنه، واتبع ما فرضه الله تعالى عليه وسَنَّه، وقضى على أهل الزيغ والبدع بالخذلان والبعد واللعنة، فتبرأ منهم الرسولُ وحُرموا الخيرات والوصول والجود والمنَّة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً توجب لقائلها

---

(١) يشير بهذا إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١].

(٢) يشير بهذا إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران: ١٨٧].

رضى الله والجنة، وتكون له يوم الفزع الأكبر وقايةً من النار وجُنَّة.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المبعوث بالرأفة والرحمة والحَنَّة[1]؛ أرسله والقلوب القاسية قد أطلقت في ميادين كُفرها وبدعها للأزمة والأعنة، والأنفس الأمَّارة بالسوء إلى غير الحق والرشاد مطمئنة، فجاهدهم ﷺ بسيف الصدق ورماح الحق والسِّهام والأسنة، فدخلوا في الدين، واتبعوا ما فرض الله عليهم وسنَّه، وسارَعوا لما سمعوا قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

فلو رأيت أحدهم إذا أظلم عليه الليل وجنَّه، من شدة خوفه كأن به وَلَهًا أو جِنَّة؛ فكان أمير المؤمنين رضي الله عنه يقول: ليتَ أمَّ عمرَ لم تلدْهُ[2]. وقال علي كرَّم الله وجهه: ليتني لم أكُ شيئًا[3]. ورأى أبو بكر الصديق رضي الله عنه تبنةً، فقال: ليتني كنت هذه التبنة[4].

فانظر رحمك الله إلى خوف هؤلاء القوم مع صحبتهم للنبي ﷺ واجتهاده في الدين، وجهادهم بين يديه، وبشارته لهم بالجنة. فيا حسرة من لعبت به الدنيا، وفاتته هذه الخيرات والمنة، ويا خيبة عبدٍ ادعى محبة الله ورسوله، ثم خرج عن حكم الكتاب والسنة، ويا سعادة عبد تخلَّق بأخلاق القوم وجعل سنة نبيه وحبيبه دأبه وفنه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، جُنَّة التوحيد وحصنه، صلاة تصلنا بهم وتدخلنا معهم الجنة.

---

(١) الحنَّة: رقة القلب، والرَّحمة.

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢٣٤)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٦٢١)، وابن شبة في «أخبار المدينة» (١٥٧٩).

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

والمروي عنه أنه انتهى إلى طلحة بن عبيد الله وقد مات فنزل عن دابته وأجلسه فجعل يمسح الغبار عن وجهه ولحيته وهو يترحم عليه ويقول: ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة.

أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» ١/١١٣ (٢٠٢).

(٤) لم أقف عليه من كلام الصديق رضي الله عنه، وإنما هو من كلام عمر رضي الله عنه. وقد سبق تخريجه. وتحرف في (خ) إلى (بتينة) و(التينة).

اعلم رحمك الله تعالى وإيانا وجميع المسلمين، أن البدع على أقسام: مباح، وثواب، ومكروه، وحرام.

فالمباح: ليس على فاعله جناح، والثواب: يقرب لرب الأرباب، وتارك المكروه عليه يثاب، وفاعل الحرام هو عبد مُدبِر مذموم، بالبعد والحرمان موسوم[1]، والذي يُذكر في هذا الكتاب هو من البدع الذي يُذم فاعله، ولا يحمد قائله؛ لأن البدع تارة تكون في الأفعال، وتارة تكون في الأقوال.

قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]. قال المفسرون: الكلم الطيب والعمل الصالح هو الموافق للسنة، وإلا فهو خبيث لا يرفعه الله إليه، ولا يضع كنفه عليه. ونسأل الله تعالى الخاتمة والمسامحة إذا وقفنا بين يديه، فقد علمت رحمك الله أن الكلم الطيب والعمل الصالح ما كان موافقًا للسنة، فمن أدركته المنَّة دخل في السنة، قال ﷺ: «**من أحيَى سنَّتي كان معي في الجنة**»[2]، فمن أراد المرافقة فعليه بالموافقة، ومن أحب أن يكون وليًّا لله سبحانه صاحبَ كشف واطلاع فعليه بالاتباع[3].

---

(١) في (خ): مرسوم.

(٢) أخرجه الترمذي في «جامعه» (٢٦٧٨)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٤٣٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

قال الترمذي: ذاكرت به محمد بن إسماعيل - يعني البخاري - فلم يعرفه.

وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٤٥٣٨).

(٣) لا شكَّ أن وَلاية الله لا تُنال إلا بالتوحيد والإخلاص والاتباع، ولا يكون العبدُ مخلصًا حتى يجرِّد عبوديته لربه عز وجل من كل غرض وغاية، سوى التقرُّب إليه سبحانه وابتغاء مرضاته، أما من كان غرضه (الكشف والاطلاع) ففي نيته وإخلاصه دخل وانحراف. ثم إنَّ (الكشف والاطلاع) من أوهام الصوفية وسخافاتهم ودعاويهم الكاذبة، حيث يزعمون أنهم بالعبادة والرياضة والزهد والتقشف تنكشف لهم الأسرار، فيطلعون على علم الغيب، ويعرجون بأرواحهم إلى السماوات العلى، فيطلعون على اللوح المحفوظ، ويعلمون الماضي والحاضر والمستقبل، ثم تقودهم هذه الجرأة إلى الاستخفاف بعلوم الشريعة، والإعراض عن حملتها، وجعل الأولياء في مرتبة الأنبياء، =

قال المولى الكريم: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١]، فقد تبين لك أن الخير كله والشفاء في اتباع النبي المصطفى، وقد نصحتك فيما قلته وكفى.

قال صلوات الله عليه وسلامه: **«الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة»**(١)، فمن ترك النصيحة يخاف عليه في عرصات القيامة من الحسرة والفضيحة، وقد جاء في الأخبار: **«من كتم علمًا نافعًا ألجمه الله**

= أو أعلى، فينسلخون من الإسلام جملة. قال الله تبارك وتعالى: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾﴾ [فاطر: ٣٨]، وأخبر عن نفسه بنفسه: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ [الرعد: ٩]، و: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [التغابن: ١٨]، وأمر نبيَّه ﷺ أن يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾ [النمل: ٦٥]، كما أمر نبيه ﷺ أن ينفي عن نفسه الغيب: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، ونقل عن مصطفاه عليه الصلاة والسلام أنه قال: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ [الأعراف: ١٨٨]. وقال نبيه مخاطبًا إياه: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦]، والآيات في هذا المعنى كثيرة جدًا، والأحاديث النبوية كذلك. ولكن الصوفية يقولون عكس ذلك متأثرين بالتشيع، وآخذين أفكارهم ومعتقداتهم، ولهم في ادعاء معرفة الغيب أقوال كثيرة، تجد جملة منها في: «التصوف: المنشأ والمصادر» لإحسان إلهي ظهير رحمه الله، و«تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي» للدكتور محمد أحمد لوح.

قلتُ: والمصنِّف ابن بيدكين رحمه الله قد دخل عليه هذا من مجتمعه وبيئته التي كان لسخافات الصوفية وجود قويٌّ وغلبة وتأثير فيها، فلم يستطع التخلص من تأثيراتها، رغم حرصه على اتباع السنة، واجتناب البدع، والمعصوم من عصمه الله تعالى. (ت)

(١) أخرجه الحميدي في «مسنده» (٨٣٧)، وأحمد في «مسنده» ١٠٢/٤ (١٦٩٤٠)، ومسلم في «صحيحه» (٥٥)(٩٥)، وأبو داود في «سننه» (٤٩٤٤)، والنسائي في «المجتبى» ١٥٦/٧(٤١٩٧)، وفي «السنن الكبرى» (٧٨٢٠) من حديث تميم الداري رضي الله عنه.

بلجام من نار»[1]. واسمع قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، فحينئذٍ يجب على كل من علم علمًا نافعًا أن يبينه ولا يكتمه؛ قال الله سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤]، فيجب على العلماء بالله والقادرين على الأمر بالمعروف وإعزاز الدين، وإخماد المبتدعين عملاً بقول رب العالمين. فجهاد العلماء بالعلم واللسان، وجهاد الملوك بالسيف والسِّنان، وكما لا يجوز للملوك إغماد أسلحتهم عن المشركين والملحدين، كذلك لا يجوز للعلماء إغماد ألسنتهم عن الزائغين والمبتدعين، فمن فعل ذلك[2] حرسه الله تعالى بعينه التي لا تنام، وطهره من الذنوب والآثام. فليس شيء أفضل عند الله تعالى من رد العبيد إلى الرب المجيد.

قال ﷺ: **«يا علي، لأنْ يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك مما طلعت عليه الشمس»**[3]، ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض[4]. فسبحان من رضي عن المتبعين فقرَّبهم منه وأدناهم، وسخط على المبتدعين فأبعدهم وأقصاهم، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (٢٦٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وقال الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه» (٥٦): ضعيف جدًا.
وقد صحَّ الحديث دون قيد النفع؛ فأخرجه أحمد ٢٦٣/٢ (١٠٤٨٧)، وأبو داود (٣٦٥٨)، والترمذي (٢٦٤٩)، وابن ماجه (٢٦١)، وابن حبان (٩٥) من حديث أبي هريرة: عن رسول الله ﷺ، قال: **«من كتم علمًا تلجَّمَ بلجام من نار يوم القيامة»**. وإسناده صحيح، وأخرجه ابن حبان (٩٦) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) يعني: قام بما يجب عليه. (ت)

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣٣٣/٥ (٢٢٨٢١)، والبخاري في «صحيحه» (٢٩٤٢)، ومسلم في «صحيحه» (٢٤٠٦)، وأبو داود في «سننه» (٣٦٦١)، والنسائي في «سننه الكبرى» (٨١٤٩) من حديث سهل بن سعد.

(٤) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤].

قال ﷺ: «**من نقل عني حديثًا واحدًا لأمتي لتقام به سنة أو لتثلم به بدعة فله الجنة**»[(١)].

قال الله عز وجل: ﴿وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٢].

المراد من هذا الحديث التعلم والإرشاد لطريق خير العباد، فلولا العلماء لصار الناس كالبهائم، فببركة العلم خرجوا من حد البهيمية إلى حد الإنسانية، ونسأل الله تعالى العلم والعمل وحُسن الخاتمة عند فروغ الأجل. فإنَّ الخاتمةَ والهدايةَ ليسا بكثرة العلم والرِّواية، والعلم والخبر لا يحجزان أحدًا عن القضاء والقدر؛ ليس لها من دون الله كاشفة. قال الله عز وجل: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ١٠٥]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣]، فيجب على العبد أنْ يتبرَّأ[(٢)] من العلم والعمل، ويجتهد في طاعة الله تعالى، ويسأله الخاتمة عند فروغ الأجل، فمن محا نفسه ولم يثبت لها علمًا ولا عملاً، أثبته الكريم الوهاب الذي يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب.

قيل لرسول الله ﷺ: أيدخل أحد الجنة بعمله؟ قال: «**لا**». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته**»[(٣)]. فأصغ أيها الطالب لقول سيد العلماء والعمال، فما بعد الحق إلا الضلال، ولأهل العلم باب في هذا الكتاب.

نرجع إلى مسألة السنة:

قال ﷺ لأبي هريرة: «**علِّم الناسَ القرآنَ وتعلَّمه؛ فإنك إن متَّ وأنت**

---

(١) أخرجه ابن شاذان في «مشيخته» (٤٦)، والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» ص١٢٠، وقال الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٣٧٢): موضوع.

(٢) كذا تقرأ في (ق)، وفي (خ): (أن لا يتبرأ). وفي (ب): (أن لا يترك شيئًا) وهي غير واضحة، فكتبت في الحاشية مجوَّدة. ويظهر لي أن ما في (ق) هو الصواب، ويوضحه قوله الآتي: (ولم يثبت لها علمًا ولا عملاً) يعني: لم يدَّع العلم والعمل، ولا منَّ على الله بعمله. (ت)

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٥٦٧٣)، ومسلم في «صحيحه» (٢٨١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرجه مسلم (٢٨١٧) من حديث جابر رضي الله عنه.

كذلك زارت الملائكة قبرك كما يزار البيت العتيق، وعلِّم الناس سنتي وإن كرهوا ذلك، وإن أحببت لا توقف على الصراط طرفة عين حتى تدخل الجنة فلا تحدث في دين الله برأيك»(١)، وقال عليه السلام: «**على خلفائي رحمةُ الله**»(٢)، قيل: ومن خلفاؤك يا رسول الله؟ قال: «**الذين يُحيون سنتي ويعلمونها عباد الله**»(٣).

ثم اعلم بأن جميع سنن النبي ﷺ عن الله تعالى لا من تلقاء نفسه. قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣ ـ ٤]، ولذلك تبرأ ﷺ ممن نبذ السنة، وقال: «**من أحيى سنتي كان معي في الجنة**»(٤)فهي زاد التقى وسبب لوجود اللقاء، قال الله سبحانه: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ۝١٦﴾ [الجن: ١٦] فالبدعة توجب الفرقة والقطيعة والشقاء. واسمعوا أيها المؤمنون قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝١١٥﴾ [النساء: ١١٥]، وقال ﷺ: «**كل الناس يدخلون الجنة إلا من أبى**». قالوا: ومن أبى؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»(٥). وقال صلوات الله عليه وسلامه: «**لا يؤمن أحدكم حتى**

---

(١) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» ٣٨٠/٤، وأبو طاهر السلفي في «معجم السفر» (١٢٣١). وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٢٦٥): موضوع.

(٢) من (ق)، وكذا (ب) لكن غيَّرها أحدُهم إلى: (عليه السلام خلفائي رحمة الله)، وفي (خ): (وقال عليه السلام خلفائي رحمة الله)، وألحق أحدهم ميمًا بأخر (رحمة). وفي مصادر التخريج: «اللّهم ارحم خلفائي». (ت)

(٣) أخرجه الخطيب في «جامع بيان العلم وفضله» (١٦٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٦١/٥١ عن الحسن بن علي. وأورده الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٧٤).

(٤) سبق تخريجه، وهو ضعيف.

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣٦١/٢ (٨٧٢٨)، والبخاري في «صحيحه» (٧٢٨٠) من حديث أبي هريرة.

يكون هواه تبعًا لما جئت به»[1].

وقال ﷺ: «**عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**»[2]وقال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[3]، وقال: «**من تشبَّه بغيرنا فليس منا**»[4].

فليس بعد اتباع النبي ﷺ وأصحابه السادة الكرام والطوالع العالية إلا البدع والظُّلَم المتوالية. قال ﷺ: «**أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**»[5].

فكل من اتبع النبي ﷺ وأصحابه دخل[6] الجنة دار القرار. والخوارج مصيرهم إلى النار؛ لما صح في الأخبار أن أمة محمد ﷺ ستفترق على

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٥)، والخطيب في «تاريخ بغداد» ٣٦٨/٤ من حديث عبد الله بن عمرو، وضعفه الألباني في «ظلال الجنة» (١٥).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده» ١٢٦/٤ (١٧١٤٤)، والدارمي في «سننه» (٩٥)، وأبو داود في «سننه» (٤٦٠٧)، وابن ماجه في «سننه» (٤٢)، والترمذي في «جامعه» (٢٦٧٦) من حديث العرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢٤٠/٦ (٢٦٠٣٣)، والبخاري في «صحيحه» (٢٦٩٧)، ومسلم في «صحيحه» (١٧١٨)، وأبو داود في «سننه» (٤٦٠٦)، وابن ماجه في «سننه» (١٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه الترمذي في «جامعه» (٢٦٩٥)، والطبراني في «معجمه الأوسط» (٧٣٨٠) من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ. قال الترمذي عقبه: هذا حديث إسناده ضعيف، وروى ابن المبارك هذا الحديث عن ابن لهيعة فلم يرفعه.

(٥) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٨٣/٢)، وابن منده في «الفوائد» (١١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وقال ابن عبد البر: هذا إسناد لا تقوم به حجة. وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٥٨): موضوع.
وأخرجه عبد بن حميد في «مسنده» (٧٨٣)، من حديث ابن عمر رضي الله عنه، وفيه حمزة الجزري؛ قال ابن معين: لا يساوي فلسًا. وقال أحمد بن حنبل: مطروح الحديث. انظر «تهذيب الكمال» ٣٢٤/٧. وقال ابن الملقن: هذا الحديث غريب؛ لم يروه أحد من أصحاب الكتب المعتمدة، وله طرق. انظر: «البدر المنير» ٥٨٤/٩.

(٦) في (ب): أدخل.

ثلاث وسبعين فرقة: فرقة ناجية والباقون إلى النار. قالوا: وما الفرقة النَّاجية يا رسول الله؟ قال: «**ما كنت أنا وأصحابي عليه**»[1]، فمن تبعهم سعد واهتدى، ومن خرج عن سنتهم أبعده الله من رحمته ولم يجمع شمله بهم فضل واعتدى.

قال الفضيل لبعض أصحابه: إياك أن تصحب من فيه أدنى بدعة فيعود شؤمها عليك[2].

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده» ٣٣٢/٢ (٨٣٩٦)، وأبو داود في «سننه» (٤٥٩٦)، وابن ماجه في «سننه» (٣٩٩١)، والترمذي في «جامعه» (٢٦٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وأمَّا قوله: «**ما أنا عليه وأصحابي**» فزيادة خرَّجها الترمذي في «جامعه» (٢٦٤١) من حديث ابن عمرو، وقال: حسن غريب. وانظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢٠٣) و(٢٠٤).

(٢) الإمام القدوة أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي، شيخ الحرم المكي، من أكابر العباد الصلحاء، كان ثقة في الحديث، أخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعي. ولد في سمرقند، ونشأ بأبيورد، ودخل الكوفة وهو كبير، وأصله منها. ثم سكن مكة وتوفي بها سنة (١٨٧هـ) رحمه الله. وله كلام كثير طيب في التحذير من أهل البدع ومن مجالستهم، من ذلك ما أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٢٦١ ـ ٢٦٨) بإسناده عنه قال: من أتاه رجل فشاوره فدله على مبتدع فقد غش الإسلام، واحذروا الدخول على صاحب البدع فإنهم يصدون عن الحق. وقال الفضيل: لا تجلس مع صاحب بدعة فإني أخاف أن ينزل عليك اللعنة. وقال: لا تجلس مع صاحب بدعة، أحبط الله عمله، وأخرج نور الإسلام من قلبه، وإذا أحب الله عبدًا طيَّب له مطعمه. وقال: صاحب البدعة لا تأمنه على دينك، ولا تشاوره في أمرك، ولا تجلس إليه، فمن جلس إلى صاحب بدعة ورَّثه الله العمى. وقال: إن لله ملائكة يطلبون حلق الذكر، فانظروا مع من يكون مجلسك، لا يكون مع صاحب بدعة، فإن الله لا ينظر إليهم، وعلامة النفاق أن يقوم الرجل ويقعد مع صاحب بدعة. وقال: الأرواح جنوده مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، ولا يمكن أن يكون صاحب سنة يمالىء صاحب بدعة إلا من النفاق. وقال: أدركت خيار الناس كلهم أصحاب سنة، وينهون عن أصحاب البدع. وقال: طوبَى لمن مات على الإسلام والسنة، فإذا كان كذلك فليكثر من قول: ما شاء الله. (ت)

نهى الشيخ عن ذلك لكي ينقذ أخاه من البدعة القبيحة؛ لما ورد في الأحاديث الصحيحة: «**إنَّ الدين النصيحة**»[1]. قال الله تعالى تكريمًا لنبيه وتعظيمًا: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

اعلم رحمك الله تعالى أن إثبات الكاف في قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ [النساء: ٦٥]، ونحوها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠] ما قال: «كأنما»؛ في فضله وشرفه كافٍ، وقال المولى تشريفًا لنبيِّه وحبيبه وتكريمًا: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وفي آية أخرى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١]، معناه: **أي يا محمد من أطاعك أطاعني، ومن بايعك بايعني، ومن أنكرك ما عرفني.**

قال المؤلف لهذا الكلام: بدأت فيه وأنا نزيل مكة زادها الله تعالى تعظيمًا وشرفًا، ومتعنا وجميع المسلمين بالحج المبرور وزيارة النبي المصطفى ويجعلنا وجميع المسلمين من أهل السنة والخير والوفاء.

وكنت وقت أن بدأت فيه ضعيفًا من جميع الجهات: من جهة البدن، ومن جهة العلم والعمل، والعربية، وبُعد الذهن، وقلة الكتب في هذا الفن، وما يرادفها من الأحاديث النبوية. وقد قلت بعض الأحاديث والحكايات بالمعنى، وقد جوز ذلك بعض العلماء، وفيه تيسير لمن قد حل بقلبه الغفلة والعمى، وقد قرأ خطيب مكة بعض هذا الكتاب على نزيل مكة وقاضيها، واختار بعض صلحاء مكة أن يكون لهذا الكتاب اسم فسميته كتاب: «اللمع في الحوادث والبدع». نفع الله به القائل والقارئ والناظر ومن استمع؛ وصلواته على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ما غاب نجم أو طلع.

اعلم يا أخي: أن الله سبحانه ندب عباده إلى الدخول في طريقٍ توصلهم إليه بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

---

(١) سبق تخريجه.

وحذَّر عن الانقطاع عنه بالدخول في طرق الأهواء والبدع فقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وهذه الآيات محكمات بإجماع المفسرين لم ينسخهن شيء؛ من عمل بهن دخل الجنة، ومن تركهن دخل النار. والناس لهم طرق: الكل تبعد عن الله تعالى، والطريق الموصلة المستقيمة هي طريق النبي ﷺ صاحب المعجزات والكرم والفضائل العميمة. قال الله تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤﴾ [يس: ١ ـ ٤]، وقال المولى الغفور: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ۝٥٣﴾ [الشورى: ٥٢ ـ ٥٣].

فعليك أيها المؤمن بالطريق المستقيم إن اخترت الوصول. وائت البيوت من أبوابها إن أردت الدخول.

واعلم رحمك الله أن طريق النبي ﷺ قريب، ويوصل إلى الحبيب، فمن عدل عنه وسلك الأوعار، يُخاف عليه من العار، ومن عذاب النار؛ لما ورد في الأخبار: **أنَّ الخوارجَ كلابُ النَّار**[1]. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: خط رسول الله ﷺ خطًّا، ثم خَطَّ إلى جانبه خطوطًا، ثم قال للخط الأول: «**هذه سبيل الله يدعو إليه**». وقال للخطوط: «**هذه سُبُلُ الشيطان على كل سبيل شيطان يهدي إليه**»، ثم قرأ: «﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ

---

(١) في (ق): (الجوارح عذاب النار) وهذا تحريف ظاهر، وحديث: «**الخوارج كلاب النّار**»؛ أخرجه الحميدي في «مسنده» (٩٠٨)، وأحمد في «مسنده» ٢٥٣/٥ (٢٢١٨٣)، وابن ماجه في «سننه» (١٧٦)، والترمذي في «جامعه» (٣٠٠٠) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.
قال الترمذي: هذا حديث حسن.
وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٣٤٧).

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]»[1]، فحذَّر من البدع ومحدثات الأمور.

وروى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: **«لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم»**. قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ فقال: **«فمن!»**[2].

ثم اعلم بأن الله سبحانه يحب المتبع ويبغض المبتدع. قال المولى الكريم: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

ومن أحبه الله تعالى أحبه من في السماوات والأرض، والمبغض بعكس ذلك، فاتبع رحمك الله ولا تخترع؛ لأن البدع اختراع الشيء من غير أصل سبق ولا مثال ولا ألف مثله. ومنه قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٠١]، وقوله: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩] معنى الآية: ما أنا أول رسول إلى أهل الأرض. وهذا الاسم يدخل فيما تخترعه القلوب، وفيما تنطق به الألسنة، وفيما تفعله الجوارح بهذا أخبرنا علماؤنا رضي الله عنهم أجمعين، فمن علامة المحبة لله تعالى اتباع أوامره، وترك ما نهى عنه.

قال الفقيه أبو الليث[3]:

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٤٣٥/١ (٤١٤٢)، والدارمي في «سننه» (٢٠٢)، والنسائي في «سننه الكبرى» (١١١٧٤). وحسنه الألباني في «المشكاة» (١٦٦).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٨٤/٣ (١١٨٠٠)، والبخاري في «صحيحه» (٣٤٥٦)، ومسلم في «صحيحه» (٢٦٦٩)(٦) عن أبي سعيد الخدري.

(٣) هو العلامة الفقيه أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ)، من أئمة الحنفية، ولقبوه بإمام الهدى، له تصانيف مشهورة، منها تفسير القرآن، وبستان العارفين، وخزانة الفقه، وتنبيه الغافلين، وغيرها. قال الذهبي في تاريخ الإسلام ٤٢١/٨: وفي كتابه تنبيه الغافلين موضوعات كثيرة.
والبيتان ليسا لأبي الليث، وإنما ذكرهما في «تفسيره» [آل عمران: ٣١] لغيره، فقال: «كما قال القائل»، وهما لمحمود بن الحسن الوراق كما قال الثعالبي في الإعجاز=

تَعصي الإلهَ وأنتَ تُظهر حبَّه ... هذا محالٌ في الفعالِ بديعُ
لو كان حبُّك صادقًا لأطعتَه ... إنَّ المحبَّ لمن يحبُّ مطيعُ

وعلامة محبة الرسول اتباع سنته؛ فالمحب من اتبع، والشيطان من ابتدع.

افرح أيها التابع لما خصَّك الله به من الخير والمنافع؛ فقد حصل لك المطلوب، وذهبت عنك الأحزان والذنوب.

الفرح هنا جائز؛ أما يفرح المملوك لهدايا الملوك؟! متى كنت متبعًا لنبيك فافرح؛ قال المولى: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ [يونس: ٥٨]، ومتى كنت مبتدعًا خارجًا لا تفرح؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦] وهذا جمع بين الآيتين.

أصبح بعض العصاة يومًا ونفسه تحب الطاعة وتكره المعصية، فقام من شدة فرحه يتبختر في بيته، والبيت لا يكاد يسعه، فقالت له زوجته: ما هذه المشية التي لم أرها على شمائلك من قبل؟ قال: ومن أولى منِّي بها، وقد أصبح لي مولى، وأصبحت له عبدًا. كان عبد نفسه صار عبد ربه، أما يحق له الفرح؟

فإذا كنت متصلاً[1] بربك فافرح ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ [يونس: ٥٨]، وإذا كنت بنفسك[2] لا تفرح ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦].

الثكلى لا يحق لها الفرح لفقد ولدها وإن كان لها ولدٌ غيره، فكيف يفرح من فقد ربه وما له غيره؟

= والإيجاز، وفي التمثيل والمحاضرة، وفي لباب الألباب، وأبو بكر ابن داود الظاهري في الزهرة، والمبرِّد في الكامل، والحصري في زهر الآداب وثمر الألباب، وينسبان للإمام الشافعي، ولأبي العتاهية، ولغيرهما. وفي جميع هذه المصادر: (في القياس) مكانَ: (في الفعال). (ت)

(١) ليست في (خ).

(٢) في (ط): بربك.

يحكى أن الشبليَّ[1] رأى امرأةً تصيح خلف جنازة ولدها وتقول: والله ما لي سواه. فصاح الشبلي وقال: آه! إن طردني من ليس لي سواه[2]. فقد علمت أن الله سبحانه علق طاعته بطاعة رسوله، وحكمه بحكمه، قال المولى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

وقرن اسمه باسمه فحيث ذُكر الله تعالى، ذُكر معه: لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله؛ وفي الأذان والإقامة إلى يوم القيامة.

فلا تخرج عن طريقه ـ أيها المؤمن ـ وعليك بالاستقامة، فلن يقبل الله سبحانه من أحد طاعة حتى تكون موافقة لصاحب الكرم والشجاعة والشفاعة، ولا يقبل من أحد لا إلٰه إلا الله حتى يعتقد أن محمدًا رسول الله.

فمن عمل عملاً أو تكلم بكلام أو أشار بشيء لا يوافق الكتاب والسنة والخلفاء الراشدين، وإجماع المسلمين فهو بدعة وضلالة وترد على القائل أو الفاعل؛ لقوله ﷺ: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»**[3]، ونعوذ بالله العظيم من مكابرة العقول، ومخالفة المنقول، ونسأله الحراسة من

---

(١) هو أبو بكر البغدادي، من مشايخ الصوفية، اختلف في اسمه، فقيل: دلف بن جحدر. وقيل: جعفر بن يونس. وقيل: جعفر بن دلف، أصله من الشبلية، قريةٌ. ومولده بسامراء. وكان أبوه من كبار حجاب الخلافة. وولي هو حجابة أبي أحمد الموفق، ثم لما عزل أبو أحمد من ولاية، حضر الشبلي مجلس بعض الصالحين. فتاب ثم صحب الجنيد وغيره، وصار من شأنه ما صار. قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ١٥/٣٦٧: وكان فقيهًا عارفًا بمذهب مالك، وكتب الحديث عن طائفة. وقال الشعر، وله ألفاظ وحكم وحال وتمكن، لكنه كان يحصل له جفاف دماغ وسُكر. فيقول أشياءَ يعتذر عنه، فيها بأوٍّ لا تكون قدوة. وكان رحمه الله لهجًا بالشعر الغزل والمحبة. وله ذوق في ذلك، وله مجاهدات عجيبة انحرف منها مزاجه. توفي ببغداد سنة (٣٣٤هـ)، عن نيف وثمانين سنة.

(٢) لم أقف على هذه الحكاية. وذكر الذهبي في السير ١٥/٣٦٨: قيل: إن الشبلي مرة قال: آهٍ! فقيل له: من أي شيء؟ قال: من كل شيء.

(٣) سبق تخريجه.

البدع والعمل بما نقول؛ فإن القول بلا عمل كقوس بلا وتر؛ أو كسحاب بغير مطر، وهو من حظوظ النفس وتسويل الشيطان، ومن قلة التوفيق ولزوم الخذلان؛ لأن النفس الأمارة ترى القبيح حسنًا. قال المولى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۖ﴾ [فاطر: ٨] الآية. وقال من لا يخلف الميعاد: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣]. وقال بعضهم في هذا المعنى:

يا غاديًا في جهله ورائحًا ... إلى متى تستحن القبائحا

يا عجبًا منك وأنتَ مبصر ... كيف تجنبت الطريق الواضحا

والنَّاس مكلفون إلى يوم القيامة بأن يقتدوا بمن ظللته الغمامة، ويتبعوه في أقواله وأفعاله، ويتأدبوا بآدابه.

فمن فعل ذلك جعله الله تعالى من أوليائه وأحبابه. ومن أبى صرفه الله عن رحمته وطرده عن بابه، وأذاقه أليم عذابه.

فمن أدركته المنة دخل في السنة؛ لأن المتابعة تثبت الاتصال، وعدمها يثبت الانفصال.

قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّىۖ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، يفهم من هذا أن من لم يتبعه ليس منه.

وقوله ﷺ: «**سلمانُ منَّا أهلَ البيتِ**»[1]، ومعلوم أن سلمان من فارس لكن لمتابعة المحبوب حصل له المطلوب، وعدم المتابعة للحبيب تبعد القريب. قال المولى حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ [هود: ٤٥]، فأجابه الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍۖ﴾ [هود: ٤٦].

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» ٤/ ٨٢ ـ ٨٣، والطبراني في «معجمه الكبير» ٦/ ٢١٢ (٦٠٤٠) من حديث عمرو بن عوف المزني.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٦/ ١٣٠: فيه كثير بن عبد الله المزني، وقد ضعفه الجمهور، وحسن الترمذي حديثه، وبقية رجاله ثقات. وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٣٧٠٤): ضعيف جدًا.

فالمتابعة تجعل التابع كأنه جزء من المتبوع وإن كان أجنبيًّا في النسبة إليه كسلمان رضي الله عنه.

وقيل للنبي ﷺ: من آلك؟ قال: «**كلُّ تقيٍّ**»[1]، فالمتبع هو من آل محمد ﷺ، والمبتدع ليس هو من آله لقلَّة حظه ولسوء حاله.

كان بعض الصالحين يبكي ويقول: إلهي لا أبكي لأجل المعصية؛ إني لا أصلح لها، لكن أبكي الذي كان هذا حظي منك.

وصح أن النبي ﷺ تبرأ من أصحاب البدع، فكل من قال: اللَّهم صل على محمد وعلى آل محمد كان للمتبع نصيب من دعاء المسلمين؛ لأنه من آل محمد ﷺ؛ فإذا ثبت هذا فينبغي لمن بصره الله تعالى وكحل عيني قلبه بنور الهدى أن لا يخرج عن طريق نبيه وحبيبه ولا عن طريق أصحابه الفرقة الناجية السعداء، ويجتهد بالتمسك[2] بسنتهم غاية الاجتهاد، وإن كرهت النفس ذلك وطال عليها المدى.

فمن أكره نفسه اليوم على متابعة نبيه وحبيبه يكون معه في الجنة غدًا، وقد صح في الحديث والآيات **أن الجنة حفت بالمكاره، وحفت النار بالشهوات**[3]؛ فاعمل على نجاة نفسك بالاتباع، ولا تبتدع، فتلقيها في المهالك[4] والردى، وتحشر يوم القيامة مع مَن ضلَّ واعتدى، ونعوذ بالله العظيم من الجهل بعد العلم، ومن الضلالة بعد الهدى، ونلجأ إليه من

---

(١) أخرجه الطبراني في «معجمه الأوسط» (٣٣٣٢)، والبيهقي في «سننه الكبرى» ٢/٨٣ من حديث أنس.
قال الحافظ في «فتح الباري» ١١/١٦١: إسناده واهٍ جدًّا. وقال الألباني في «ضعيف الجامع» (١٢): ضعيف جدًّا.

(٢) في (ط): على التمسك.

(٣) أخرج أحمد في «مسنده» ٣/٢٥٤ (١٣٦٧١)، وعبد بن حميد في «مسنده» (١٣١١)، والدارمي في «سننه» (٢٨٤٣)، ومسلم في «صحيحه» (٢٨٢٢)(١)، والترمذي في «جامعه» (٢٥٥٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**حُفَّت الجنةُ بالمكاره، وحفت النار بالشهوات**».

(٤) في (ط): المكاره.

مكابرة العقول ومخالفة المنقول، ونسأله الحراسة من البدع، والعمل بما يقول.

فقد كان الصحابة رضي الله عنهم إذا طرأ أمر وفيه مصلحة للمسلمين يتوقفون عن إمضائه خوفًا من البدعة، وهم القدوة المستضاء بنورهم، والهداة المهتدى بهداهم الذين[١] أدركتهم المنَّة، وشهد لهم النبي ﷺ بالجنة: أبو بكر وعمر وغيرهم من الصحابة[٢]، وهم القدوة لمن اقتدى، والنجوم لمن اهتدى.

ومع ذلك كله كانوا يتحرزون من إحداث شيء حتى يستشيروا فيه غيرهم، ويجتمع عليه رأيهم.

روي عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: أرسل إلي أبو بكر رضي الله عنه بعد مقتل أهل اليمامة وإذا عمر جالس عنده، فقال أبو بكر الصديق: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحرَّ[٣] في أهل اليمامة في قراء المسلمين، وإني أخشى أن يستحر[٤] القتل في القراء فيذهب كثير من القرآن لا يوعى، وإني أرى أن تأمر من يجمع القرآن. فقلت لعمر: كيف أفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هو والله خير. قال: فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري ورأيت الذي رآه عمر. قال زيد: [قال لي أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وكنت تكتب الوحي

---

(١) في (ط): إذا.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ١٨٨/١ (١٦٣٧)، وأبو داود في «سننه» (٤٦٤٩)، وابن ماجه في «سننه» (١٣٣)، والترمذي في «جامعه» (٣٧٥٧)، والنسائي في «سننه الكبرى» (٨١٩٣) من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمٰن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة»**. ولو شئت أن أسمي العاشر.
وصححه الألباني في «المشكاة» (٦١٠٩).

(٣) في (خ): استجر.

(٤) في (خ): يستجر.

لرسول الله ﷺ فاتبع القرآن فاجمعه][1].

قال زيد: والله لو كلفوني نقل جبل من الجبال، لكان ما أمرني به من جمع القرآن أثقل علي. قال: كيف كنتم تفعلون شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير. فلم يزل أبو بكر رضي الله عنه يراجعني حتى شرح الله تعالى صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. فتتبعت القرآن أجمعه من الرِّقاع والأكتاف، والأقتاب وصدور الرجال[2].

فانظر إلى مراجعتهم وقول بعضهم لبعض: كيف نفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟! وقد قرن النبي ﷺ بهم الهدى لمن اقتدى وأرشد إلى سبيلهم عند اختلاف الأهواء، وتشتت الآراء بقوله ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي**»[3]، وبقوله: «**اقتدوا باللذين من بعدي: أبو بكر وعمر**»[4].

ولا يشك أحد في عظيم نفع جمع[5] القرآن لأهل الإيمان. وفي زماننا هذا قد ظهر في البر والبحر الفساد، وشاعت البدع في المدائن والبلاد ولم ينكرها العباد.

كما جاء في «السنن» لأبي داود: أن جماعةً دخلوا على العرباض بن سارية وكان من الذين نزل فيهم: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ

---

(١) سقط من (خ).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ١٣/١ (٧٦)، والبخاري في «صحيحه» (٤٦٧٩)، والترمذي في «جامعه» (٣١٠٣)، والنسائي في «سننه الكبرى» (٧٩٩٥) من حديث زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه أحمد ٣٨٥/٥، وابن ماجه (٩٧)، والترمذي (٣٦٦٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٩٠٢)، من حديث حذيفة رضي الله عنه. وهو حديث صحيح، له شواهد مخرجة في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١٢٣٣).

(٥) في (خ): جمع منفعة.

﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٩٢]، وهو مريض. فقلنا له: جئناك زائرين وعائدين ومقتبسين. فقال عرباض: إن رسول الله ﷺ صلى بنا صلاة الغداة، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظةً بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، إن هذه موعظة مودع فما تعهد إلينا؟ قال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدًا حبشيًا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**»(١).

في هذا الحديث علومٌ كثيرة لا يسع جهلها.

منها: أنه أمرهم بالسمع والطاعة لمن ولي عليهم من أسود أو أبيض، حر أو عبد، ولا يمكن طاعة إلا في المعروف، ولا طاعة لمخلوق في معصية المولى الرؤوف.

وأعلمهم أنه سيكون بعده اختلاف كثير بين الناس، فأمرهم بلزوم سنته وسنة صحابته، والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين؛ فمن وفقه الله تعالى لزم السنة، وخالف النفس والهوى، ومن خذله دخل في البدع؛ فضلَّ وغوى. وهذا الحديث من معجزاته ﷺ؛ لأنه أخبر عما يأتي من الحوادث والبدع.

وقد أمر أمته بأن يعضوا على سنته وسنة صحابته عند فساد أمته بالنواجذ؛ لينجوا غدًا من الأهوال والشدائد، والعض هو التمسك الشديد لكي لا يفلت منه.

وحذرهم ﷺ من البدع وأعلمهم بأنها ضلالة.

فمن دخل في البدع فقد عصى الله تعالى، وخالف المبعوث بالرسالة. فمن خالف نبيه وإمامه تكون الجنة وراء ظهره والنار أمامه. فالجنة معدة لمن

---

(١) سبق تخريجه.

اتبع السنة، فاقتدوا ولا تعتدوا. قال الله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور: ٥٤]، وقد قيل لك: إن كنت تسمع اقتدِ، ولا تعتدِ، وقد كُفيت؛ لأن المقتصد في السنة خير عند الله تعالى من المجتهد في البدعة. فاتبعوا الآثار؛ فبهذه الألفاظ نطقت الآيات وجاءت الأخبار. فمن سمع وأجاب حشره الله تعالى مع متبوعه، وصار من الأحباب. ومن سمع وأعرض أعرض الله عنه فتعس وخاب. ومن كان حيًّا سمع. قال الله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ٧٠]، وميت القلب لا يسمع؛ قال المولى[1]: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الروم: ٥٢].

وقالوا فيمن هذه صفته:

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيًّا ولكن لا حياةَ لمن تنادي

فمن الناس أناس قد رسخت البدع في قلوبهم، وألفتها نفوسهم، ومزجت بلحومهم وعروقهم ودمائهم؛ لارتكابهم إياها على طول المدى، فلو سمع أحدهم ألف آية لم ينزل عنها أبدًا. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣]، وفي آية أخرى: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]، فمن لطف الله به اتبع واقتدى، ومن نكبه ابتدع واعتدى، وألقى نفسه للمهالك والردى، والله سبحانه لا يحب المعتدين، ولا يهدي كيد الخائنين.

والمبتدع هو خائن، ومن خان فقد هان؛ قال المولى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال: ٢٧].

فمن خرج عن طريق النبي ﷺ فقد خانه، فحينئذٍ يخاف على هذا الخائن أن لا يرزقه الله أمانهُ. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١].

قال المفسرون: لا تعملوا على خلاف الكتاب والسنة. وقال آخرون: لا تقدموا بين يدي الله ورسوله قولاً ولا فعلاً.

---

(١) في (ط): تعالى.

والألفاظ مختلفة والمعنى واحد؛ أي: لا تبتدعوا في أفعالكم ولا في أقوالكم. فمن خالف وابتدع يرجع وبال البدعة عليه يوم يوقفه الحقُّ بين يديه فلا يتقبل الله أعماله ولا يزكي أقواله، ولا يرفعهما إليه؛ لأن عمل المبتدع وقوله ليس بصالح.

وقد قال الله سبحانه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال صلوات الله عليه وسلامه: «**لا يقبل الله لصاحب بدعة صومًا ولا صلاة ولا زكاة ولا حجًا ولا عمرة ولا جهادًا ولا صرفًا ولا عدلاً، ويخرج من الإسلام كما يخرج السهم من الرمية، أو تخرج الشعرة من العجين**»[١]، فالخروج عن[٢] الطريق هو من عدم التوفيق كما قيل:

قــل لــمــن أعــرض عــنــا	إن إعــراضــك مــنــا
لــو أردنــاك لأضــحــى	كــل مــا فــيــك يــردنــا

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٦٨]، معناه: أي يا أهل كل كتاب لستم على شيء حتى تكونوا متبعين لا مبتدعين.

ولا يظن الجاهل أن المراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى فقط، والوصية لهما، بل ولنا أيضًا؛ لأن الله تعالى لا ينصح اليهود والنصارى ويترك المسلمين؛ ألم تسمع قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]، ومن جملة التقوى اتباع النبي ﷺ، والمبتدع لا يعد من المتقين، بل هو من جملة الفاسقين، وأعماله مردودة عليه لقول رب العالمين: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] والمتقي مَن اتبع، والشيطان مَن ابتدع، وما نكب الله تعالى

---

(١) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (٤٩) عن حذيفة.
وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١٨): إسناده ضعيف. وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (١٤٩٣): موضوع.

(٢) في (ط): من.

أحدًا وخذله إلا لقلة المتابعة، فدع عنك الجدال في هذا الباب والمنازعة؛ لا يصح لأحدٍ دعوى المحبة إلا بالمبادرة لطاعة المحبوب، وببركة المتابعة حصل لهم المطلوب.

قال المولى الكريم: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنفال: ٦٤].

فالأصل في جميع الأعمال والأقوال والأحوال هو اتباع الرسول، فما فات السالك الوصول إلا لتضييعه الأصول؛ لأن الله تعالى لا يحب أحدًا يأتيه إلا من طريق نبيه وحبيبه ﷺ وإلا رده خائبًا.

قال رسول الله ﷺ: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ»**، وكلما اجتهد المبتدع في بدعته أبعده الله تعالى من رحمته، قال الله سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨].

وقالوا فيمن هذه صفاتهم:

يا غاديًا في جهله ورائحًا ... إلى متى تستحسن القبائحا
يا عجبًا منك وأنت مبصر ... كيف تجنبت[1] الطريق الواضحا

وقال بعض الصحابة: أشدُّ الناس عبادة المفتون. واحتج بقوله ﷺ في الخوارج: **«يحقر أحدكم صلاته في صلاته وصيامه في صيامه، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية»**[2].

---

(١) في (ط): تجتنب.

(٢) أخرجه أبو داود في «الزهد» (٤١٦)، وابن وضاح في «البدع» (٦٢ ـ ٦٣) عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أنه قال: أشد الناس عبادة مفتون. وليس في الأثر احتجاج ذلك الصحابي بالحديث المرفوع، وقد ذكر الشاطبي في «الاعتصام» ١/٩٠ الاحتجاج بهذا الحديث، وهو صحيح أخرجه أحمد في «المسند» ٣/٦٥ (١١٦٢١)، والبخاري في=

وقال حذيفة رضي الله عنه: كل عبادة لم يتعبَّدْها أصحابُ النبي ﷺ فلا تَعَبَّدُوها؛ فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً[1].

وقال الأوزاعي رحمه الله: إن من ابتدع بدعةً خلَّاه الشيطان والعبادة، وألقى عليه الخشوع والبكاء يصاد به وهذا استدراج[2]. قال الله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٤٤] الآية.

فما أسرع نفوس الغافلين لما[3] يبعدها عن النفوذ إلى الله تعالى، وما أقعدها عن شيء يقربها إليه، وهو الخروج عن الطريقة المحمدية، والدخول في البدعة الردية، فمن خرج عن طريق سيد الأمم فقد زلَّت به القدم، وسيندم ندمًا لا آخر بعده، ولن ينفعه ذلك الندم، قال المولى الحليم: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾ [البقرة: ٢٠٩]، فترى العاصي والمبتدع أكثر اجتهادًا من الطائع والمتبع، فيمحق الليل كله في المعصية، والطائع لا يقدر على قيام بعضه، إلا بمعونة الله وفضله.

وبعض المبتدعين يتجمع على الباطل مثل اللعب بالنرد والشطرنج والقمار والرقص على آلة الطرب: كالشبابة، أو الكف، والطار، لا يمل من هذه البدع الملعونة الخارجة عن طريق النبي ﷺ، وعن طريق الصحابة الأخيار، والمؤمنين الأبرار، وبعضهم يعطي الكثير في هوى نفسه، ولا ينفق القليل في رضى الواحد القهار خوفًا من القلة والافتقار. وعند المعاصي لا يخاف الفقر ولا يخشى القلة ولا عنده خبر من العار، ولا من عذاب النار.

فانظر ـ رحمك الله ـ كيف يجتهد العاصي في معصيته؛ مع علمه أن الله

= «صحيحه» (٦١٦٣)، ومسلم في «صحيحه» (١٠٦٤)(١٤٨) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

(١) ذكره الشاطبي في «الاعتصام» ١/٤١٨.

(٢) ذكره الشاطبي في «الاعتصام» ١/٩٠.

(٣) في (خ): فما.

قد سخط عليه وأبعده من رحمته، وبعض أهل الطاعة لا يستطيع المكث في المسجد ساعة، مع علمه أن الصلاة تضاعف لأجل الجماعة، وتدعو له الملائكة[1]، والخطأ يذهب بالخطا، ويكون جليس الله سبحانه، ومتبعًا لصاحب المعجزات والشفاعة، والسجود يقرب لرب الأرباب، ودعاء الملائكة مستجاب، فاجتهدوا يا أولي الألباب. فالصلاة صلة بالله سبحانه، وتطهر صاحبها، ودعاء الملائكة لا يرد، جاء ذلك في حديث صحيح بلا كذب[2]، واسمع قوله تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩]، وهي طريق الأنبياء والأولياء، وكل طالب وعابد، وفي الحديث الصحيح: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**»[3].

---

(١) أخرج البُخاري في «صحيحه» (٤٧٧)، ومسلم في «صحيحه» (٦٤٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسًا وعشرين درجة؛ وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه: اللَّهم صل عليه اللَّهم ارحمه، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة**».

(٢) لم نجد حديثًا صريحًا في أن دعاء الملائكة مستجاب، وقد قال ابن بطال في «شرح صحيح البخاري» ٩٥/٢: «فمن كان كثير الذنوب، وأراد أن يحطها الله عنه بغير تعب؛ فليغتنم ملازمة مكان مصلاه بعد الصلاة، ليستكثر من دعاء الملائكة واستغفارهم له، فهو مرجو إجابته لقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]». وقال أيضًا ٤٣٩/٣: «ومعلوم أن دعاء الملائكة مجاب، بدليل قوله ﷺ: «**فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة؛ غفر له ما تقدم من ذنبه**». وهذا الحديث في «الصحيحين». وأخرج البخاري (٥١٩٣) من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه، فأبت أن تجيء، لعنتها الملائكة حتى تصبح**». فقال ابن حجر في شرحه: «فيه دليل على قبول دعاء الملائكة من خير أو شر، لكونه ﷺ خوَّف بذلك».

والمقصود أن تقرير قبول دعاء الملائكة يثبت بأدلة تفصيلية، وليس بنصٍّ صريح، والله أعلم. (ت)

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ٤٢١/٢ (٩٤٦١)، ومسلم في «صحيحه» (٤٨٢)(٢١٥)، وأبو داود في «سننه» (٨٧٥)، والنسائي في «المجتبى» ٢٢٦/٢ (١١٣٧)، وفي «السنن الكبرى» (٧٢٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٦٦٥٨)، وابن حبان في «صحيحه» (١٩٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فإن قال قائل: أنا ما سمعت قط دعاء الملائكة ولا رأيتهم. يقال له: يكفيك سماع رسول الله ﷺ وتبليغه ذلك إليك صدقةً منه عليك يثقل الله تعالى بها ميزانك، وتكون نورًا يسعى بين يديك، فبالصلاة وصل العمال، وهي عند الله سبحانه من أفضل الأعمال، وقام ﷺ في خدمة مولاه حتى تورمت قدماه[1]، كذا جاء في الخبر.

ورأى بعضهم الجنيدَ بعد موته في المنام فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: ذهبت تلك الإشارات، وتلاشت تلك العبارات، وما نفعنا إلا رُكيعات كنَّا نركعها في السَّحَر[2]. فقد علمت أن الصادق الأمين رأى الله تعالى وملائكته وسمع كلامهم، وكلام الروح الأمين، وسمع أيضًا كلام الملائكة بعض الصالحين، صح ذلك عن سيد المرسلين[3]. فكن مصدقًا بكرامات المؤمنين، ومتبعًا لخير النبيين، لكي يبعثك الله تعالى يوم القيامة من

---

(١) أخرجه الحميدي في «مسنده» (٧٥٩)، وأحمد في «مسنده» ٢٥١/٤ (١٨١٩٨)، والبخاري في «الصحيح» (١١٣٠)، ومسلم في «صحيحه» (٢٨١٩)(٧٩)، وابن ماجه في «سننه» (١٤١٩)، والترمذي في «جامعه» (٤١٢)، وفي «الشمائل» (٢٦١)، والنسائي في «المجتبى» ٢١٩/٣ (١٦٤٤)، وفي «السنن الكبرى» (١٣٢٥)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١١٨٢) من حديث المغيرة بن شعبة، قال: قام رسول الله ﷺ حتَّى تورمت قدماه؛ فقيل: يا رسول الله، قد غُفِرَ لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. قال: «أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا».

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٢٥٧/١٠، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٢٥٦).

(٣) يشير إلىٰ حديث سؤال جبريل عليه السلام النبيَّ ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان، وقد سمع الحاضرون من الصحابة كلامه وصوته كما في «الصحيحين». ولا شكَّ في رؤية النبيِّ ﷺ لبعض الملائكة، ومنهم جبريل عليهم السلام، وسماعه كلامهم. أما رؤيته لربِّ العالمين: فالصحيح الذي ينبغي الجزم به أنَّه ﷺ لم يرَ ربَّه عزَّ وجلَّ. أخرج مسلم في «صحيحه» (١٧٩) عن عبد الله بن شقيق قال: قلت لأبي ذر: لو رأيتُ رسول الله ﷺ لسألته، قال: عما كنت تسأله؟ قال: إذن لسألته هل رأى ربه؟ فقال: قد سألته أنا. قلت: فما قال؟ قال: «**نورٌ أنَّى أراه**». وفي رواية: «**رأيتُ نورًا**». وأخرج البخاريُّ (٢٣٣٤) عن عائشة رضي الله عنها قالت: من زعم أن محمدًا رأى ربَّه فقد أعظم الفرية على الله. لهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه، ولا ثبتَ ذلك عن أحدٍ من الصحابة، ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك، بل النصوص الصحيحة على نفيه أدلُّ. (مجموع الفتاوى: ٥٠٩/٦).

الآمنين؛ قال ﷺ: «**يقول الله عز وجل: ما تقرب إليّ المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، فبي يسمع وبي يبصر**»[(١)]. وفي حديث آخر: «**كنت له سمعًا وبصرًا ويدًا ومؤيدًا**»[(٢)]، وفي حديث آخر: «**يقول الله تعالى: اليسير من الرياء شرك، ومن آذى لي وليًّا فقد بارزني**[(٣)] **بالمحاربة**»[(٤)]، فإذا ثبت هذا فلا يستكثر في المؤمن التقي سماع كلام الملائكة إلا كل عبد شقي؛ لأن المؤمن يسمع بالله سبحانه ويبصر به، فلو صدق الطالب كما صدقوا لوصل كما وصلوا؛ لأن الصدق أول درجة السائرين، به ترفع الأعمال، وبسببه يكرم العمال، فما فات السالك الوصول إلا لتضييعه الأصول، وهو الصدق، واتباع الرسول.

فطهر أيها المؤمن أذنك من صمم[(٥)] الهوى، وعيني قلبك من عمى المخالفة، فحينئذٍ تسمع وترى، وتحشر يوم القيامة مع النبي ﷺ وأصحابه الطائفة المباركة الخائفة، فعين زنت، وأذن للباطل واللغو والغيبة والفضول صغت، لا تصلح هذه العين لرؤيا الملائكة، ولا هذه الأذن لسماع كلامهم.

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «**إن الله قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت، وأنا أكره مساءته**».

(٢) أخرجه البغوي في «شرح السنة» (١٢٤٩) من حديث أنس بن مالك في حديث طويل. وإسناده ضعيف جدًا، لكن هذا القدر منه قد يشهد له حديث أبي هريرة، انظر: «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١٧٧٥).

(٣) في (ط): بادرني.

(٤) أخرجه ابن ماجه في «السنن» (٣٩٨٩)، والحاكم في «مستدركه» ٤/١. قال الحاكم: هذا حديث صحيح ولم يخرج في الصحيحين.
وضعفه العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (٣٣٧٠)، وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (١٦٣٦). لكن بعضه في حديث أبي هريرة المذكور آنفًا.

(٥) في (خ): صم.

وقالوا في هذا المعنى شعرًا:

تقول رجال الحي تطمع أن ترى ... محاسن ليلى مت بداء المطامعِ
وكيف ترى ليلى بعينٍ ترى بها ... سواها وما طهرتها بالمدامعِ
وتطمع منها بالحديث وقد جرى ... حديث سواها في خروق المسامعِ

فإذَنْ لا تصلح كل عين لرؤيته، ولا كل أذن لسماع مخاطبته، ولا كل قلب لخشية الله ولمعرفته، ولا كل لسان لذكره، ولقراءة القرآن وتلاوته، ولا كل جسد لخدمته، إلا بتوفيق الله تعالى ومعونته، فمتى ما زاغ القلب عن طريق النبي ﷺ وسنته، خذله الله تعالى وأبعده عن رحمته.

قال المولى الكريم: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وقد علمت أن الله عز وجل قد أوجب على جميع العباد والعُبَّاد امتثال أمره والإمساك عن نهيه وزجره تعظيمًا له وتكريمًا. قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]، وقال الله سبحانه إجلالاً لقدر نبيه وحبيبه وتفخيمًا: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦].

فانظر رحمك الله إلى هذا الفضل العظيم، الذي خص الله تعالى به هذا النبي الكريم، فقد فضل الله سبحانه بعض الرسل على بعض، وفضل نبينا صلوات الله عليه وسلامه على الكل لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ومن رحم به غيره فهو أفضل من غيره.

قال شيخنا ـ رحمه الله وجميعَ المسلمين ـ: الأنبياء عليهم السلام

خُلقوا من الرحمة، ونبينا ﷺ عين الرحمة(١).

ورأى الشيخ أبو الحسن النبيَّ ﷺ في منامه فقال له: يا أبا الحسن، جعلك الله رحمةً في العالمين! فقال: ادع لي يا رسول الله أن يجعلني رحمة للعالمين. قال: ذاك أنا(٢).

وقوله: رحمةً للعالمين: العالم عبارة عن كل شيء سوى الله تعالى وصفاته. وقوله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»(٣)، والسيد من اتصف بالصفات العلية، والأخلاق السَّنية.

وقوله: «**ولا فخر**» ليعرف أمته منزلته، ويقطع وهم من يتوهم من الجهال أنه ذكر ذلك افتخارًا، فكان التواضع خلق النبي المختار، لا التكبر والافتخار. فلما خصه الله تعالى بهذه النعمة أمره الله تعالى بإظهارها فقال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: ١١]، كقول بعض الناس: لله علينا نعم كثيرة. فهذا ما زكى نفسه ولا مدح إياه، بل أثنى على خالقه ومولاه.

---

(١) لم يسمِّ المصنف شيخه هذا، وهو: ابن عطاء الله الإسكندري (ت: ٧٠٩هـ)، فقد قال في كتابه «لطائف المنن» (ص: ٦٢، دار البشائر): سمعتُ شيخنا أبا العبَّاس رضي الله عنه يقول: جميع الأنبياء خلقوا من الرحمة، ونبينا ﷺ عينُ الرحمة. ثم ذكر الآية من سورة الأنبياء. وأبو العباس هو أحمد بن عمر المرسي (ت: ٦٨٦هـ)، تلميذ أبي الحسن الشاذلي (ت: ٦٥٦هـ).

قلتُ: هذا الكلام من دعاوى الصوفية التي تفتقر إلى برهان شرعي، وليس لهم في الآية مستندٌ، فإنه سبحانه قد أخبر أنه بعث نبيه الكريم رحمةً للعالمين، فلو كان هو عين الرحمة لكان وصفه بها أولى. وإنما يتوسل الصوفية بمثل هذه المبالغة إلى عقيدتهم بوحدة الوجود. (ت)

(٢) أبو الحسن: هو علي بن عبد الله المغربي الشاذلي (ت: ٦٥٦هـ)، طُرد من بلاد المغرب متَّهمًا بالزندقة لكلامه على طريقة الصوفية، فانتقل إلى الإسكندرية، وصار له أتباع فيها، وإليه تنتسب فرقة الشاذلية. (ت)

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣/٢ (١٠٩٨٧)، وابن ماجه في «سننه» (٤٣٠٨)، والترمذي في «جامعه» (٣١٤٨) مطولاً من حديث أبي سعيد. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني.

ومنها قوله ﷺ: «**وبيدي لواء الحمد[1] يوم القيامة ولا فخر**»[2].

ومنها قوله ﷺ: «**آدم فمن دونه تحت لوائي يوم القيامة ولا فخر**»[3].

وهذه الخصائص تدل على علو مرتبته على آدم وغيره.

ومنها أن الله تعالى أخبره أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وما نقل أنه أخبر أحدًا بذلك؛ لأن[4] كل واحد من الأنبياء إذا طلبت منه الشفاعة في الموقف ذكر خطيته، ويقول: نفسي نفسي. فلو علم كل واحد منهم بغفران خطيته لم يوجل منها في ذلك المقام، فإذا أتى الناس إلى آدم عليه السلام وطلبوا منه أن يشفع لهم فذكر لهم خطيته وقال: بسبب خطيتي أُخرجتم[5] من الجنة، فدلهم على نوح عليه السلام، ونوح دلهم على إبراهيم عليه السلام، وإبراهيم على موسى، وموسى على عيسى، وعيسى على النبي ﷺ وعليهم أجمعين[6].

---

(١) في (ط): الفخر.

(٢) انظر تخريج الحديث السابق.

(٣) أخرجه أحمد (٢٥٤٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مطولاً. وإسناده ضعيف، لكن هذا القدر منه صحيح بشواهده.

(٤) في (خ): لا.

(٥) في (ط): أخرجني.

(٦) أخرجه أحمد ٤٣٥/٢ (٩٦٢٣)، والبخاري في «صحيحه» (٣٣٤٠) مختصرًا، ومسلم في «صحيحه» (١٩٤)(٣٢٧)، والترمذي في «جامعه» (٢٤٣٤)، والنسائي في «سننه الكبرى» (١١٢٨٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أُتِي رسول الله ﷺ يومًا بلحم، فرفع إليه الذراع - وكانت تعجبه - فنهس منها نهسة فقال: «**أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون بما ذاك؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون، وما لا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: ائتوا آدم، فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا عند ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا**=

فلو وقعت الدلالة أولاً على النبي ﷺ لم يبين[1] من نفس هذا الحديث أن غيره لم يكن له هذه الرتبة. وأراد الحق سبحانه أن يدل كل واحدٍ على من بعده، وكل واحدٍ يقول: لست لها. مسلمًا للرتبة غير مدعٍ لها، حتى أتوا عيسى فدل على رسول الله ﷺ فقال: «**أنا لها**».

ومنها: أنه أول شافع وأول مشفَّع[2]، وهذا يدل على تخصيصه وتفضيله.

= إلى غيري، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض، وسماك الله عبدًا شكورًا، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى إبراهيم ﷺ. فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، وذكر كذباته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى ﷺ فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى ﷺ: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا ولم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفساً لم أومر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى عيسى ﷺ، فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله، وكلمت الناس في المهد، وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه، فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى ﷺ: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر له ذنبًا، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ فيأتوني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدًا لربي، ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمتي أمتي. فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر ـ أو كما بين مكة وبصرى».

(١) في (ط): يتبين.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٣٨٦)، ومسلم في «صحيحه» (٢٢٧٨)(٣)، =

ومنها: إيثاره على نفسه؛ لأن الله تعالى جعل لكل نبي دعوة مستجابة، فكل منهم تعجل دعوته في الدنيا، واختبأ ﷺ دعوته شفاعةً لأمته[1]، فآثر أمته على نفسه ﷺ.

قال أبو علي الدقَّاق[2] ـ من مشايخ الصوفية المشاهير وعلمائها النحارير ـ وقد تكلموا في الفتوة على اصطلاحهم أنها غاية الكرم والإيثار فقال: إن هذا الخُلُق لا يكون بكماله إلا لرسول الله ﷺ؛ فإن كل واحدٍ في القيامة يقول: نفسي نفسي وهو يقول: «**أمتي أمتي**»[3].

ولما فتح الله تعالى على النبي ﷺ في حال حياته مكة وبلاد اليمن والطائف وجزائر العرب وما قرب من الشام والعراق وجلبت إليه من أخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يؤتى به الملوك إلا بعضه، وهادته الملوك من الأقاليم، فما استأثر منه شيئًا، ولا أمسك منه درهمًا. بل صرفه مصارفه وأغنى به غيره وقوى به المسلمين وقال: «**ما يسرني أن لي أحدًا ذهبًا يبيت عندي منه دينار إلا دينارًا أرصده لدَيْني**»[4]، وأتاه مرة ذهب فقسمه[5] وبقي منها ستة فدفعها لبعض نسائه فلم تأخذه، فما برح حتى قسمها وقال: «**الآن استرحتُ**»[6].

= وأبو داود في «سننه» (٤٦٧٣) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع**».

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢٠٨/٣ (١٣١٧٠)، ومسلم في «صحيحه» (٢٠٠)(٣٤١) من حديث أنس أن نبي الله ﷺ قال: «**لكل نبي دعوة دعاها لأمته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة**».
وقد ورد أيضًا من حديث أبي هريرة.

(٢) هو أبو علي الحسن الدقَّاق النيسابوري، أستاذ القشيري صاحبِ الرسالة، برع في العلوم الصوفية وفي الفقه واللغة، وتوفي ودفن بنيسابور سنة (٤١٠هـ).

(٣) ذكره ابن القيم في «مدارج السالكين» ٣٤٢/٣.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» ٤٥٧/٢ (٩٨٩٣)، ومسلم في «صحيحه» (٩٩١)(٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) في (خ): فقسمها.

(٦) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» ٢٧٣/٢ من حديث عائشة رضي الله عنها. وفي إسناده ضعفٌ.

ومات ﷺ ودرعه مرهونة على ستين صاعًا من شعير قوتًا لعياله[1]، واقتصر في مأكله ومسكنه وملبسه ونفقته، فكان يأكل ما حصل، ويلبس ما وجد، ويلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن والبُرد الغليظ[2]، ويقسم على من حضره أقبية الديباج المخوصة بالذهب، وغزا قومًا مرةً وكان ﷺ يقول: «**إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين**»[3]. فقتلوا رجالهم وأخذوا أموالهم وجمالهم، فأعطى ﷺ لطائفة من العرب لكل واحد منهم مئة من الإبل، فشق ذلك على بعض الصحابة. فقال: «**أما ترضون أن بني فلان يذهبون بالإبل وتذهبون أنتم بنبيكم إلى بيوتكم؟**»[4].

وكان جابر بن عبد الله يقول: ما سُئل ﷺ شيئًا فقال: لا[5].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢٣٧/٦ (٢٥٩٩٨)، والبخاري في «صحيحه» (٢٩١٦)، ومسلم في «صحيحه» (١٦٠٣)، وابن ماجه في «سننه» (٢٤٣٦)، والنَسائي في «المجتبى» ٢٨٨/٧ (٤٦٠٩)، وفي «السنن الكبرى» (٦٢٤٦) من حديث عائشة رضي الله عنها. وقد وهم فيه المصنف رحمه الله، ففي هذا الحديث وغيره: «ثلاثون صاعًا» لا: ستون.

(٢) انظر «الشفا» للقاضي عياض ٩٥/١.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٨٠٣١)، والبخاري في «صحيحه» (٣٦٤)، ومسلم في «صحيحه» (١٣٦٥)(٨٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٥٢١) من حديث أنس بن مالك.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢٧٩/٣ (١٣٩٧٦)، والبخاري في «صحيحه» (٤٣٣٣)، ومسلم في «صحيحه» (١٠٥٩)(١٣٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال: لما فتحت مكة قسم الغنائم في قريش فقالت الأنصار: إن هذا لهو العجب إن سيوفنا تقطر من دمائهم وإن غنائمنا ترد عليهم. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجمعهم، فقال: «**ما الذي بلغني عنكم؟**» قالوا: هو الذي بلغك ـ وكانوا لا يكذبون ـ قال: «**أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا إلى بيوتهم وترجعون برسول الله إلى بيوتكم؟ لو سلك الناس واديًا ـ أو شعبًا ـ وسلكت الأنصار واديًا ـ أو شعبًا ـ لسلكت وادي الأنصار ـ أو شعب الأنصار**».

(٥) أخرجه الحميدي في «مسنده» (١٢٢٨)، وأحمد في «مسنده» ٣٠٧/٣ (١٤٢٩٤)، وعبد بن حميد في «مسنده» (١٠٨٧)، والدارمي في «سننه» (٧٠)، والبخاري في «صحيحه» (٦٠٣٤)، وفي «الأدب المفرد» (٢٧٩)، ومسلم في «صحيحه» (٢٣١١)(٥٦)، والترمذي في «الشمائل» (٣٥٢).

وعن أنس أن رجلاً سأله فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى أهله وقال: أسلموا فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة[(١)].

وأعطى صفوان مئة من الإبل، ثم مئة، ثم مئة[(٢)]. وهكذا كان قبل أن يبعث.

وردَّ على هوازن سباياها، وكانوا ستة آلاف[(٣)].

وأعطى للعباس من الذهب ما لم يُطق حمله، وحُمل إليه تسعون ألف درهمًا فوضعت على حصير، فما رد سائلاً حتى فرغ منها[(٤)].

---

(١) أخرجه أَحمد في «مسنده» ٣/١٧٥ (١٢٧٩٠)، وعبد بن حميد في «مسنده» (١٣٢٣)، ومسلم في «صحيحه» (٢٣١٢)(٥٧)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٣٧١).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣/٤٠١ (١٥٣٠٤)، ومسلم في «صحيحه» (٢٣١٣)، والترمذي في «جامعه» (٦٦٦).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ٤/٣٢٦ (١٨٩١٤)، والبخاري في «صحيحه» (٢٣٠٧ - ٢٣٠٨)، وأبو داود في «سننه» (٢٦٩٣)، والنسائي في «سننه الكبرى» (٨٨٧٦) من حديث مروان والمسور بن مخرمة.

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٤٢١) تعليقًا، ووصله الحاكم في «مستدركه» ٣/٣٢٩ من حديث أبي موسى الأشعري: أن العلاء بن الحضرمي بعث إلى رسول الله ﷺ من البحرين بثمانين ألفاً - فما أتي رسول الله ﷺ مال أكثر منه لا قبلها ولا بعدها - فأمر بها ونثرت على حصير، ونودي بالصلاة فجاء رسول الله ﷺ يميل على المال قائمًا، فجاء الناس وجعل يعطيهم - وما كان يومئذ عدد ولا وزن وما كان إلا قبضًا - فجاء العباس فقال: يا رسول الله، إني أعطيت فدائي وفداء عقيل يوم بدر ولم يكن لعقيل مال، أعطني من هذا المال. فقال رسول الله ﷺ: **«خذ»** فحثى في خميصة كانت عليه ثم ذهب ينصرف فلم يستطع، فرفع رأسه إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ارفع عليَّ - فتبسم رسول الله ﷺ - وهو يقول: **«أما أحَدُ ما وعدَ الله فقد أنجز لي، ولا أدري الأخرى:** ﴿قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٠] **هذا خير مما أخذ مني، ولا أدري ما يصنع بالمغفرة»**.

قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في «الثمر المستطاب» (٣٠).

وعن أبي هريرة أن رجلاً أتى النبي ﷺ يسأله، فاستسلف له نصف وسق فجاءه الرجل يتقاضاه، فأعطاه وسقًا، وقال: «**نصفه قضاءٌ، ونصفه نائلٌ**»(١).

وأتاه معوِّذٌ بطبقٍ من تمر وقثاء، فأعطاه ما كفاه ذهبًا وحليًا(٢).

وهذا طرف من مكارم أخلاقه.

وأما حلمه وصبره فكان ﷺ لا يزداد مع كثرة الأذى إلا صبرًا، وعلى إسراف الجاهل إلا حلمًا، ولما كسرت رباعيَّته، وشُجَّ جبينه يوم أحد(٣) ـ لأنه كان أشد الناس بأسًا وأشجعهم وأقربهم إلى العدو، وجاء في الحديث: ما لقي ﷺ كتيبةً إلا كان أول من يضرب(٤) ـ؛ فلما شُجَّ جبينه وكسرت رباعيته شق ذلك على أصحابه، وقالوا: لو دعوت عليهم؟ فقال: «**إنِّي لم**

---

(١) أخرجه البيهقي في «سننه الكبرى» ٣٥١/٥، و«شعب الإيمان» (١١٢٣٧) عن أبي هريرة قال: أتى رجل رسول الله ﷺ يسأله، فاستسلف له رسول الله ﷺ شطر وسق، فأعطاه إياه فجاء الرجل يتقاضاه، فأعطاه وسقًا قال: «**نصف لك قضاء ونصف لك نائل من عندي**».
وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٤١٣).

(٢) أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٢٠٢)، والطبراني في «معجمه الكبير» ٢٧٤/٢٤ (٦٩٧) من حديث الرُّبَيِّع بنت معوِّذ قالت: بعثني معوِّذ بن عَفْراء بقِناع من رُطَب، عليه أجرٌ من قثَّاءٍ زُغْبٍ، إلى رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يَحبُّ القثَّاء، وكانت حِلْيَةٌ قد قدمتْ من البحرين، فملأ يده منها فأعطانيها.
وقال الألباني في «مختصر الشمائل» (١٧٣): ضعيف.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢٥٣/٣ (١٣٦٥٧)، وعبد بن حميد في «مسنده» (١٢٠٤)، ومسلم في «صحيحه» (١٧٩١) من حديث أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كُسرت رباعيته يوم أحد، وشجَّ في رأسه، فجعل يسلت الدَّم عنه، ويقول: «**كيف يُفلح قومٌ، شجُوا نبيَّهم، وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم إلى الله**»، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨].
والرباعية: السن التي بين الثنية والناب. والشج: ضرب الرأس وجرحه وشقه.

(٤) أخرجه أبو الشيخ في «أخلاق النبي ﷺ» (١٠٩) من حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه. وقال العراقي في «تعليقه على الإحياء»: في إسناده من لم أعرفه.

أبعث لعَّانًا، ولكني بعثت داعيًا ورحمةً: اللَّهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون»[١].

ونام ﷺ تحت شجرة قائلاً وحده، والناس قائلون في غزاة، فلم ينتبه إلا وغورث بن الحارث[٢] قائم والسيف في يده. فقال: من يمنعك مني؟ فقال: «**الله**»، فسقط السيف من يده. فأخذه النبي ﷺ وقال: «**من يمنعك منِّي؟**» قال: كن خير آخذ، فتركه وعفا عنه. فجاء إلى قومه فقال: جئتكم من عند خير الناس[٣].

وعفوه عن اليهودية التي سمته في الشاة بعد اعترافها[٤]، ولم يؤاخذ لبيد بن الأعصم حين سَحَرَه ـ وقد أُعلم به ـ ولا عَتَبَ عليه، فضلاً عن عقابه[٥].

---

(١) لم نقف عليه بهذا السياق، وقد أخرج البخاري في «الأدب المفرد» (٣٢١)، ومسلم في «صحيحه» (٢٥٩٩)، وأبو يعلى في «مسنده» (٦١٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قيل: يا رسول الله ادعُ الله على المشركين؟ فقال ﷺ: «**إنِّي لم أبعث لعَّانًا، ولكن بُعثتُ رحمةً**».

وأخرج البخاري (٦٩٢٩) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: كأني أنظر إلى النبي ﷺ، يحكي نبيًّا من الأنبياء، ضربه قومه، فأدموه، فهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: «**ربِّ اغفر لقومي، فإنهم لا يعلمون**».

وقد ذكرنا آنفًا لفظ حديث أنس في حادثة يوم أحد، فيتبيَّن من مجموع هذه الأحاديث أن السياق الذي ذكره المؤلف خطأ.

(٢) هنا بداية خرم في مخطوطة برلين إلى قوله الآتي: (لأن الأول أخرب آخرته لأجل دنياه، والثاني أخرب).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣/٣٦٤ (١٤٩٢٩)، وعبد بن حميد في «مسنده» (١٠٩٦)، والبخاري في «صحيحه» (٤١٣٦) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢/٤٥١ (٩٨٢٧)، والدارمي في «سننه» (٦٩)، والبخاري في «صحيحه» (٣١٦٩) من حديث أبي هريرة.

(٥) أخرجه الحميدي في «مسنده» (٢٥٩)، وأحمد في «مسنده» ٦/٥٧ (٢٤٣٠٠)، والبخاري في «صحيحه» (٥٧٦٣)، ومسلم في «صحيحه» (٢١٨٩)، وابن ماجه في «سننه» (٣٥٤٥) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سَحَر رسولَ الله ﷺ يهوديٌّ من يهود بني زريق ـ يُقال له لبيد بن الأعصم ـ حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أن=

وكذلك لم يؤاخذ عبد الله بن أُبي وأشباهه من المنافقين لعظيم ما نقل عنهم في جهته قولاً وفعلاً، بل قال لمن أشار بقتل بعضهم: «**لا يُتَحدَّثُ بأنَّ محمدًا يقتلُ أصحابَه**»(١).

وعن أنس قال: كنت مع النبي ﷺ وعليه بُرد غليظ الحاشية، فجبذه أعرابي جبذةً شديدة حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه. ثم قال: يا محمد احمل لي على بعيريَّ هذين من مال الله الذي عندك، فإنك لا تحمل لي من مالك ولا مال أبيك. فسكت النبي ﷺ ثم قال: «**المال مال الله، وأنا عبده**»، ثم قال: «**ويقاد منك يا أعرابي ما فعلتَ فيَّ**» قال: لا. قال: «**لم؟**» قال: لأنك لا تكافئ بالسيئة السيئة. فضحك النبيُّ ﷺ ثُمَّ أمر أن يحمل له على بعير شعيرٌ، وعلى الآخر تمرٌ(٢).

= يفعل الشيء وما يفعله. قالت: حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة دعا رسول الله ﷺ ثم دعا، ثم قال: «**يا عائشة، شعرت أن الله عز وجل قد أفتاني فيما استفتيته فيه، جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي - أو الذي عند رجلي للذي عند رأسي -: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب. قال: من طبَّه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر. قال: وأين هو؟ قال: في بئر أروان**». قالت: فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه، ثم جاء فقال: «**يا عائشة، كأن ماءها نقاعة الحناء ولكأن نخلها رءوس الشياطين**». قلت: يا رسول الله، فهلا أحرقته؟ قال: «**لا، أما أنا فقد عافاني الله عز وجل وكرهت أن أثير على الناس منه شرًا**». قالت: فأمر بها فدفنت.

(١) أخرجه الحميدي في «مسنده» (١٢٣٩)، وأحمد في «مسنده» ٣/٣٩٢ (١٥٢٢٣)، والبخاري في «صحيحه» (٣٥١٨)، ومسلم في «صحيحه» (٢٥٨٤)، والترمذي في «جامعه» (٣٣١٥)، والنسائي في «سننه الكبرى» (٨٨٦٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٧٥)، والنسائي في «المجتبى» ٨/٣٣ (٤٧٧٦)، وفي «سننه الكبرى» (٦٩٧٨) من حديث أبي هريرة قال: كنا نقعد مع رسول الله ﷺ في المسجد فإذا قام قمنا، فقام يومًا وقمنا معه حتى لما بلغ وسط المسجد أدركه رجل، فجبذ بردائه من ورائه، وكان رداؤه خشنًا، فحمر رقبته، فقال: يا محمد! احمل لي على بعيري هذين، فإنك لا تحمل من مالك، ولا من مال أبيك! فقال رسول الله ﷺ: «**لا، وأستغفر الله، لا أحمل لك حتى تقيدني مما جبذت برقبتي**». فقال الأعرابي: لا=

وجاء زيد بن سَعْنَةَ[1] قبل إسلامه يتقاضاه دينًا عليه، فجبذ ثوبه عن منكبه وأخذ بمجامع ثيابه وأغلظ له، ثم قال: إنكم يا بني عبد المطلب مُطْلٌ. فانتهره عمر وشدد له في القول، والنبي ﷺ يتبسم. وقال: «**أنا وهو كنا إلى (غير هذا منك أحوج يا عمر، تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي)**»[2]، ثم قال: «**لقد بقي من أجله ثلاث**[3] **وأمر عمر بقضية ماله ويزيده عشرين صاعًا لما روعه، وكان سبب إسلامه**»[4].

وجاء في الحديث أن جبريل عليه السلام نزل عليه وقال له: إن الله يُقرؤُك

= والله، لا أقيدك. فقال رسول الله ﷺ ذلك ثلاث مرات، كل ذلك يقول: «لا والله، لا أقيدك». فلما سمعنا قول الأعرابي أقبلنا إليه سراعًا، فالتفت إلينا رسول الله ﷺ فقال: «**عزمتُ على من سمع كلامي أن لا يبرح مقامه حتى آذن له**». فقال رسول الله ﷺ لرجل من القوم: «**يا فلان احمل له على بعيرٍ شعيرًا، وعلى بعير تمرًا**». ثم قال رسول الله ﷺ: «انصرفوا على بركة الله تعالى».

وإسناده ضعيف، ويغني عنه ما أخرجه أحمد في «مسنده» ١٥٣/٣ (١٢٥٤٨)، والبخاري في «صحيحه» (٣١٤٩)، ومسلم في «صحيحه» (١٠٥٧) عن أنس بن مالك، قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ، وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه جبذة، حتى رأيت صفح ـ أو صفحة ـ عنق رسول الله ﷺ، قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، فقال: يا محمد أعطني من مال الله الذي عندك! فالتفت إليه، فضحك، ثم أمر له بعطاء.

ويتبيَّن من هذا أن المصنف رحمه الله أخطأ في جعل السياق الذي ذكره من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. (ت)

(١) في (ط): شعبة. وزيد بن سعنة هو أحد أحبار اليهود، ومن أكثرهم مالاً، أسلم وحسن إسلامه، وشهد مع النبي ﷺ مشاهد كثيرة. وتوفي في غزوة تبوك مقبلاً إلى المدينة. انظر ترجمته في «أسد الغابة» (٣٩٩/١).

(٢) سقط من (خ).

(٣) في (ط): ثلث.

(٤) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٢٨٨)، والحاكم في «مستدركه» ٦٠٤/٣، والطبراني في الكبير (٥١٤٧) مطولاً. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد. وتعقبه الذهبي بقوله: ما أنكره وأرَكَّه.

وأخرجه الحافظ المزِّي في تهذيب الكمال ٣٤٥/٧ من طريق الطبراني، ثم قال: هذا حديث حسن مشهور في دلائل النبوة.

وأورده الألباني في «الضعيفة» (١٣٤١).

السلامَ، ويقول لك: إني أجعل هذه الجبال ذهبًا، وتكون معك حيثما كنت. فأطرق ساعةً ثم قال: «**يا جبريل، إن الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، قد يجمعها من لا عقل له**». فقال له جبريل: «**ثبّتك الله يا محمد بالقول الثابت**»[(١)].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان ﷺ يبيت هو وأهله الليالي المتتابعة طاويًا، لا يجدون عشاءً[(٢)].

وقالت عائشة رضي الله عنها: لم يمتلئ جوف النبي ﷺ شبَعًا قطُّ. ولم يبثَّ شكوَى إلى أحد. وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى. وإن كان ليظل جائعًا يتلوى طول ليلته من الجوع، ولا يمنعه صيام يومه، ولو شاء سأل جميع كنوز الأرض، وثمارها ورغد عيشها. ولقد كنت أبكي رحمةً مما أرى به، وأمسح بيدي على بطنه مما به من الجوع وأقول: نفسي لك الفداء، لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك؟ فيقول: «**يا عائشة، ما لي وللدنيا، إخواني من أولي العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم، وقدموا على ربهم، فأكرم مآبهم، وأجزل ثوابهم. فأجدني أستحي إن ترفهت في معيشتي أن يقصر بي غدًا دونهم، وما من شيء هو أحب إليَّ من اللحوق بإخواني وأخلائي**». قالت: فما أقام بعد إلا شهرًا حتى توفي ﷺ[(٣)].

---

(١) هذا الحديث ملفق من حديثين: الأول: أخرجه أحمد في «مسنده» ٥/٢٥٤ (٢٢١٩٠)، والترمذي في «جامعه» (٢٣٤٧) من حديث أبي أمامة: «**عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبًا، قلت: لا يا رب، ولكن أشبع يومًا وأجوع يومًا، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك**». وقال الألباني: ضعيف.
والحديث الثاني: أخرجه أحمد في «مسنده» ٦/٧١ (٢٤٤١٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٦٣٨) من حديث عائشة: «**الدنيا دار من لا دار له، ولها يجمع من لا عقل له**». وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (١٩٣٣): ضعيف.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ١/٢٥٥ (٢٣٠٣)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٥٩٢)، وابن ماجه في «سننه» (٣٣٤٧)، والترمذي في «جامعه» (٢٣٦٠)، وفي «الشمائل» (١٤٥). وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢١١٩).

(٣) أخرجه أبو موسى المديني مطولاً في كتاب استحلاء الموت، كما قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»، وأورده القاضي عياض في «الشفا» ١/١٤٢ ـ ١٤٣. =

ومن علوِّ مرتبته ﷺ: انشقاق القمر[1]، وكلام الشاة المسمومة، مع الشجرة وسعيها إليه[2].

= وهو حديث منكر، فيه ما يخالف الأحاديث الصحيحة، من ذلك عدم شبعه ﷺ، فهو غير صحيح على إطلاقه، فقد أخرج البخاري في الصحيح (٥٤١٦) حديث عائشة قالت: ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام البُرّ ثلاث ليال تباعًا حتى قبض. وأخرجه مسلم في الصحيح (٢٩٧٠)، بلفظ: لقد مات رسول الله ﷺ وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين. وبلفظ آخر: ما شبع آل محمد ﷺ يومين من خبز بُرٍّ إلا وأحدهما تمرٌ.

وقد صحَّ في أكثر من حديث أنه سأل عن الطعام، ودعا مرة بطعام فأُتي بخبز وأُدم من أدم البيت، فقال: «**ألم أرَ بُرمةً على النار فيها لحم؟**». أخرجه البخاري في الصحيح (٥٠٩٧)، ومسلم في الصحيح (١٥٠٤).

وكان ﷺ يستعيذ بالله من الفقر ويقرنه بالكفر، كما في قوله: «**اللّهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، وعذاب القبر**». أخرجه أحمد ٣٦/٥ (٢٠٣٨١)، والترمذي (٣٥٠٣)، والنسائي ٢٦٢/٨، وابن خزيمة (٧٤٧)، وابن حبان (١٠٢٨) من حديث أبي بكرة الثقفي رضي الله عنه.

وأخرج البخاري (٦٣٦٨)، ومسلم (٥٨٩) من حديث عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان يدعو بهؤلاء الدعوات: «**اللّهم فإني أعوذ بك من فتنة النار، وعذاب النار، وفتنة القبر، وعذاب القبر، ومن شر فتنة الغنى، ومن شر فتنة الفقر، . . .**».

وأخرج أحمد ٣٠٥/٢ (٨٠٥٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٧٨)، بإسناد صحيح من حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**تعوَّذُوا من الفقر، والقلة، والذلة، وأن تظلم، أو تظلم**».

وأخرج مسلم في «الصحيح» (٢٧٢٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللّهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**».

(١) أخرجه أحمد ١٦٥/٣ (١٢٦٨٨)، وعبد بن حميد في «مسنده» (١١٨٤)، والبخاري في «صحيحه» (٣٦٣٧)، ومسلم في «صحيحه» (٢٨٠٢)(٤٧)، والترمذي في «جامعه» (٣٢٨٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) كذا في النُسخ، وفي العبارة خلل، ومراده واضح، وهو كلام الشاة المسمومة معه ﷺ، وكذلك الشجرة:

أما حديث الشاة المسمومة؛ فأخرجه أبو داود في «سننه» (٤٥١٠) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. وقال الألباني في «ضعيف سنن أبي داود» (٩٧٢): ضعيف الإسناد. =

وكان يرى من خلفه كما يرى أمامه[1].

وظلَّلته الغمامة[2]، وكلَّمه الذئبُ والبعيرُ والأسطوانة[3]، وأحيى الله له

= وأما قصة الشجرة؛ فأخرجه الدارمي في «سننه» (١٦)، وأبو يعلى في «مسنده» (٥٦٦٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٥٠٥) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فأقبل أعرابي، فلما دنا منه قال له رسول الله ﷺ: **«أين تريد؟»** قال: إلى أهلي. قال: **«هل لك في خير؟»** قال: وما هو؟ قال: **«تشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله»**. قال: ومن يشهد على ما تقول؟ قال: **«هذه السَّلَمَةُ»**. فدعاها رسول الله ﷺ وهي بشاطئ الوادي فأقبلت تخد الأرض خدًّا حتى قامت بين يديه، فاستشهدها ثلاثًا فشهدت ثلاثًا أنه كما قال، ثم رجعت إلى منبتها، ورجع الأعرابيُ إلى قومه وقال: إنْ اتبعوني أتيتك بهم، وإلا رجعت مكثت معك.

وصححه الألباني في «المشكاة» (٥٩٢٥).

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ١٠٢/٣ (١١٩٩٧)، والدارمي في «سننه» (١٣١٧)، ومسلم في «صحيحه» (٤٦٢)، والنسائي في «المجتبى» ٨٣/٣ (١٣٦٣)، وفي «سننه الكبرى» (١٢٨٦)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٦٠٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. وهذا الحديث خاصٌ برؤيته من خلفه في الصلاة، لهذا قال محمد الحوت في «أسنى المطالب» (١٠٦٥): حديث كان يرى من خلفه كما يرى من أمامه؛ لم يثبت مطلقًا، وإنما كان ذلك في الصلاة، فإنه نهاهم عن الاختلاف عليه في الصلاة، وعلَّله بقوله: **«فإني أراكم من ورائي إذا ركعتم وإذا سجدتم»**، والقول بأنه كان له عينان في ظهره؛ باطل لا دليل عليه.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٧٦٩٦)، والترمذي في «جامعه» (٣٦٢٠) من حديث أبي موسى رضي الله عنه وهو حديث طويل فيه ذكر أبي بكر الصديق، وبلال بن رباح رضي الله عنهما.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢٨٦٢) قال: لكن ذكر بلال فيه منكر.

(٣) أخرج أحمد في «مسنده» ٨٣/٣ (١١٧٩٢)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٨٧٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٤٩٤) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: بينا راع يرعى بالحرة إذ عرض ذئب لشاة من شائه، فجاء الراعي يسعى فانتزعها منه. فقالَ للراعي: ألا تتقي الله تحول بيني وبين رزق ساقه الله إلي؟ قال الراعي: العجب للذئب - والذئب مقع على ذنبه - يكلمني بكلام الإنس ؟ قال الذئب للراعي: ألا=

الميت وكلَّمه، وكلمته الغزالة[1]، ونبع الماء من بين أصابعه حتى روي

= أحدثك بأعجب من هذا؟ هذا رسول الله ﷺ بين الحرتين يحدث الناس بأنباء ما قد سبق. فساق الراعي شاءه إلى المدينة فزواها في زاوية من زواياها، ثم دخل على رسول الله ﷺ، فقال له ما قال الذئب، فخرج رسول الله وقال للراعي: «**قم فأخبر**» فأخبر الناس بما قال الذئب. وقال ﷺ: «**صدق الراعي، ألا من أشراط الساعة كلام السباع الإنس، والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الأنس، ويكلم الرجل نعله، وعذبة سوطه، ويخبره فخذه بحديث أهله بعده**».

ولم أقف على حديث كلَّم فيه الذئب نبي الله ﷺ.

وأخرج أحمد في «مسنده» ١/٢٠٤ (١٧٤٥)، وأبو داود في «سننه» (٢٥٤٩) من حديث عبد الله بن جعفر قال: ردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه فأسر إليَّ حديثًا لا أخبر به أحدًا أبدًا وكان رسول الله ﷺ أحب ما استتر به في حاجته هدف أو حائش نخل فدخل يومًا حائطًا من حيطان الأنصار. فإذا جمل قد أتاه فجرجر، وذرفت عيناه. قال بهز وعفان: فلما رأى النبي ﷺ حنَّ وذرفت عيناه؛ فمسح رسول الله ﷺ سراته وذفراه؛ فسكن. فقال: «**من صاحب الجمل**» فجاء فتى من الأنصار فقال: هو لي يا رسول الله. فقال: «**أما تتقى الله في هذه البهيمة التي ملككها الله، إنه شكا إليَّ إنك تجيعه وتدئبه**».

وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٢٢٩٧) قال: صحيح على شرط مسلم.

وأخرج ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٤٠٧)، وأحمد في «مسنده» ٣/٣٠٠ (١٤٢٠٦)، والبخاري في «صحيحه» (٢٠٩٥) من حديث جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يخطب إلى جذع نخلة، فقالت له امرأة من الأنصار: يا رسول الله! إن لي غلامًا نجارًا، أفلا آمره يصنع لك منبرًا؟ قال: «**بلى**»، فاتخذ منبرًا، فلما كان يوم الجمعة خطب على المنبر، قال: فأنَّ الجذعُ الذي كان يقوم عليه كأنين الصبي، فقال النبي ﷺ: «**إن هذا بكى لما فقد من الذكر**».

(١) ذكر السيوطي في «الخصائص الكبرى» (باب آياته ﷺ في إحياء الموتى وكلامهم) ٢/١٠٣ جملة من الروايات، وليس فيها ما هو صحيح صريح.

أما قصة الغزالة: فأخرجها أبو نعيم في «دلائل النبوة» (٣٢٠)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٦/٣٥ من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في بعض سكك المدينة، فمررنا بخباء أعرابي، فإذا ظبية مشدودة إلى الخباء، فقالت: يا رسول الله، إن هذا الأعرابي اصطادني ولي خشفان في البرية، وقد تعقد اللبن في أخلافي، فلا هو يذبحني فأستريح، ولا يدعني فأرجع إلى خشفي في البرية، فقال لها رسول الله ﷺ: «**إن تركتك ترجعين؟**» قالت: نعم، وإلا عذبني الله عذاب العشار، فأطلقها رسول الله ﷺ، فلم تلبث أن جاءت تلمظ، فشدها رسول الله ﷺ إلى الخباء، =

الجيشُ كله بلا محالة[1]، ولم ينقل هذا عن أحدٍ من الأنبياء، ولا عن رسولٍ قد بعث بالرسالة.

وإن كان عيسى عليه السلام قد أبرأ الأكمهَ والأبرص مع بقاء عينه في مقرها، فالنبي ﷺ ردَّ العين بعد أن سالت على الخدِّ[2]؛ فصار معجزةً من وجهين:

أحدهما[3]: التمامها بعد سيلانها.

والثاني[4]: رد البصر إليها بعد فقده منها.

ومن ذلك أن الأموات الذين أحياهم النبي ﷺ من الكفر بالإيمان أكثر

= وأقبل الأعرابي ومعه قربة، فقال له رسول الله ﷺ: «**أتبيعنيها؟**» قال: هي لك يا رسول الله، فأطلقها رسول الله ﷺ. قال زيد بن أرقم: فأنا والله رأيتها تسيح في البرية، وتقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

قال ابن كثير في «تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب» (ص ١٨٨): إسناده ضعيف ومتنه فيه نكارة.

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣/ ٣٢٩ (١٤٥٢٢)، وعبد بن حميد في «مسنده» (١١١٥)، والدارمي في «سننه» (٢٧)، والبخاري في «صحيحه» (٣٥٧٦)، ومسلم في «صحيحه» (١٨٥٦)، والنسائي في «المجتبى» ١/ ٦٠ (٧٧)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٢٥) من حديث جابر بن عبد الله قال: عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة يتوضأ منها؛ إذ جهش الناس نحوه قال: فقال: «**ما لكم؟**» قالوا: ما لنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك قال: فوضع يديه في الركوة ودعا بما شاء الله أن يدعو قال: فجعل الماء يفور من بين أصابعه أمثال العيون قال: فشربنا وتوضأنا قال: قلت لجابر: كم كنتم؟ قال: كنا خمس عشرة مائة ولو كنا مائة ألف لكفانا.

(٢) أخرجه أبو يعلى في «مسنده (١٥٤٩)، والطبراني كما في «مجمع الزوائد» ٨/ ٥٢٥، وقال الهيثمي: رواه الطبراني وأبو يعلى من حديث قتادة بن النعمان بلفظ: «أنه سالت عينه على خده يوم بدر فردَّها رسول الله ﷺ فكانت أصح عينيه». ثم قال: وفي إسناد الطبراني من لم أعرفهم وفي إسناد أبي يعلى يحيى بن عبد الحميد الحماني وهو ضعيف.

(٣) في (خ): الواحدة.

(٤) في (خ): الأخرى.

عددًا ممن أحياهم عيسى عليه السلام بحياة الأبدان؛ وشتان بين حياة الإيمان وحياة الأبدان[1].

ومن ذلك أن الله تعالى يكتب لكل نبي من الأجر بقدر أعمال أمته وأقوالها وأحوالها، وأمة محمد ﷺ شطر أهل الجنة[2]، وقد أخبرنا تعالى أنهم: ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] فلله الحمد والمنة.

فمن الأنبياء من لم يرسل إلى أحد، ومنهم من أرسل إلى واحد، ومنهم من أرسل إلى قرية، ومنهم من أرسل إلى قومه خاصةً، ورسالة النبي ﷺ عامة للإنس والجن، فيأتي يوم القيامة بعض الأنبياء وقد تبعه رجل واحد، ومنهم من يتبعه رجلان، ومنهم من يتبعه رجال ونساء، ويلتفت ﷺ فيرى سوادًا عظيمًا فيقول: «**ما هؤلاء؟**» فتقول له الملائكة: هم أمتك، وهم قدر شطر أهل الجنة[3]. فإذا كان ﷺ نفع شطر أهل الجنة، وغيره من الأنبياء إنما نفع جزءً من أجزاء الشطر الآخر، فكانت منزلته في القرب على قدر منزلته في النفع، فجميع أعمال أمته وأحوالهم وأقوالهم وإيمانهم

---

(١) مثل هذه المقارنة المتكلفة لا داعي إليها، وفي خلق عيسى وكلامه في المهد من الآيات العظيمة الباهرة ما لم يكن لمحمدٍ عليهما الصلاة والسلام، فلكلِّ نبيٍّ ما اختص به من الآيات ومن المنزلة والفضل والتكريم، ولا شكَّ في تفضيل نبينا الكريم ﷺ على سائر الأنبياء، وقد آتاه الله تعالى أعظم الآيات وأجلها وهو القرآن الكريم. (ت)

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ١/٣٨٦ (٣٦٦١)، والبخاري في «صحيحه» (٦٥٢٨)، ومسلم في «صحيحه» (٢٢١)(٣٧٦)، وابن ماجه في «سننه» (٤٢٨٣)، والترمذي في «جامعه» (٢٥٤٧) من حديث عبد الله بن مسعود قال: كنا مع النبي ﷺ في قبة نحو من أربعين، فقال: «**أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟**» قلنا: نعم. قال: «**أترضون ان تكونوا ثلث أهل الجنة؟**» قلنا: نعم. قال: «**والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة؛ وذاك أنَّ الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة، وما أنتم في الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد ثور أسود ـ أو السوداء ـ في جلد ثور أحمر**».

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ١/٢٧١ (٢٤٤٨)، والبخاري في «صحيحه» (٥٧٥٢)، ومسلم في «صحيحه» (٢٢٠)(٣٧٤)، والترمذي في «جامعه» (٢٤٤٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٦٠٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وصلاتهم وصدقاتهم وجهادهم، وما من عامل من خير إلا وله ﷺ مثل أجره؛ لأنه هو الذي دل عليه، والدال على الخير كفاعله كما جاء في الحديث[1]. وقال ﷺ: «**من دعا إلى هدى كان له أجره وأجر من عمل به إلى يوم القيامة**»[2].

وقال ﷺ: «**الخلق عيال الله، فأحبهم إليه أنفعهم لعياله**»[3]. فمن عمل خيرًا أو دعا إلى خير أو سنَّ سنةً حسنة كان للنبي ﷺ أجر ذلك كله مضمومًا إلى درجته ومرتبته.

وكذلك من سنَّ سنةً حسنةً من أمته كان له أجر من عمل بذلك على عدد العاملين، ثم يكون هذا المضاعف لنبينا صلوات الله عليه وسلامه؛ لأنه دل عليه وأرشد إليه، ولأجل ذلك بكى موسى ﷺ ليلة الإسراء بكاء غبطة؛ إذ يدخل من أمة محمد ﷺ الجنة أكثر مما يدخل من أمة موسى ﷺ[4]، ولم يبك حسدًا، وإنما بكى أسفًا على ما فاته من مثل تلك المرتبة. وقد

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ١٢٠/٤ (١٧٠٨٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٤٢)، ومسلم في «صحيحه» (١٨٩٣)(١٣٣)، وأبو داود في «سننه» (٥١٢٩)، والترمذي في «سننه» (٢٦٧١) من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيح» (٢٦٧٦) من حديث أبي هريرة، بلفظ: «**من دعا إلىٰ هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلىٰ ضلالةٍ كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه؛ لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً**». ولم نجده باللفظ الذي ذكره المؤلف.

(٣) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٣٣١٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٤٤٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

قال البيهقي: تفرد به يوسف بن عطية وقد روي بإسناد ضعيف. وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (١٩٠٠): ضعيف. وقد ثبت الشطر الثاني من الحديث بلفظ: «**خير الناس أنفعهم للناس**». وهو مخرج في «الصحيحة» (٤٢٦).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢٠٧/٤ (١٧٨٣٣)، والبخاري في «صحيحه» (٣٢٠٧)، ومسلم في «صحيحه» (١٦٤)(٢٦٤)، والترمذي في «جامعه» (٣٣٤٦) مختصرًا، والنسائي في «المجتبى» ٢١٧/١ (٤٤٨)، وفي «السنن الكبرى» (٣١٣)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٣٠١) من حديث مالك بن صعصعة.

جعل الله سبحانه أمته أقل[1] الأمم الماضية عمرًا وأكثرهم أجرًا، وأعظمهم قدرًا. فعظم قدر هذه الأمة لرفعة قدر متبوعها، وقد حرَّم الله تعالى الجنة على جميع الأمم حتى يدخلها ﷺ وأمته.

قال ﷺ: «**أنا أول شافع، وأول مشفع، وأول من يأتي فيطرق باب الجنة، فيقول رضوان: من؟ فأقول: محمد. فيفتح لي، ويقول: بهذا أمرت لا يدخل أحد الجنة حتى تدخلها أنت وأمتك**»[2].

وقال: «**أنا أول من ينشق عنه القبر**»[3].

وقال: «**نحن الآخرون السابقون إلى الجنة**»[4].

فاشكر الله أيها المؤمن على هذه المنة، وإياك إياك أن تخرج عن الكتاب والسنة؛ لأن الناس كلهم يكلفون إلى يوم القيامة أن يتبعوا النبي ﷺ ويقتدوا به في أقواله وأفعاله. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١]. قال المفسرون: لا تعملوا على خلاف الكتاب والسنة.

وقال السيد الجليل سهل بن عبد الله التستري: كل فعل لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل[5].

---

(١) زاد في (ط): من.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ١٣٦/٣ (١٢٣٩٧)، وعبد بن حميد في «مسنده» (١٢٧١)، ومسلم في «صحيحه» (١٩٧)(٣٣٣) عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول محمد. فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك**».

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٣٨٦)، ومسلم في «صحيحه» (٢٢٧٨)(٣)، وأبو داود في «سننه» (٤٦٧٣) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع**».

(٤) أخرجه الحميدي في «مسنده» (٩٥٤)، والبخاري في «صحيحه» (٨٩٦)، ومسلم في «صحيحه» (٨٥٥) (٢١)، والنسائي في «المجتبى» ٨٥/٣ (١٣٦٧)، وفي «السنن الكبرى» (١٦٥٤)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٧٢٠)، وابن حبان (١٢٣٤) من حديث أبي هريرة.

(٥) انظر «الاستقامة» لابن تيمية ١٤١/٢.

فإلى أين تذهب أيها الطالب وخير الهدي هدي النبي ﷺ، وشر الأمور محدثاتها؟ فبهداه اقتده، ولا تتبع كل خارج ومبتدع وهارب؛ فإن اقتديت اهتديت، وبلَّغك الله سبحانه المأمول والمطالب، فالخروج عن الطريق هو من عدم التوفيق؛ لأنه كلما اجتهد المبتدع وسار، بعد عن الأوطان والديار.

كان في عصر[(١)] الحسن البصري شاب متعبد فأتاه الحسن وقال له: يا بني، القوم سبقونا على خيل دُهم وبقينا بعدهم على حمر دبرة. فقال الشاب: يا سيدي إن كنا نتبع أثرهم فما أسرع اللحوق بهم، وإن كنا لم نقف أثرهم فلا نلحق بهم[(٢)].

قال المؤلف: هذه الحكاية فيها شبه لقول الصحابة للنبي ﷺ: إنا نحب القوم ولما نلحق بهم. فقال: «**المرء مع من أحب**»[(٣)]، معناه: أي إذا سعيتم في أثرهم (ألحقكم الله بهم ببركة المحبة لهم أو السعي في أثرهم)[(٤)]، وإن كان عملكم قليلاً. ولا يدخل في حديث خير البرية المبتدع ولا من يترك العمل بالكلية، أمَّا المبتدع فلأجل بدعته، وأمَّا تارك العمل فلتعرضه لسخط الله ومخالفته؛ لأن الله سبحانه يحب الطائع المتبع، ويبغض العاصي والمبتدع، وإذا أحب الله عبدًا جعل صغير حسناته كبيرًا، وقليله كثيرًا، وإذا أبغضه لم يقبل منه شيئًا.

---

(١) في (ط): زمن.

(٢) لم أجده من كلام الحسن، وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ٦/٣٧٩ من كلام الثوري.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣/١٥٩ (١٢٦٢٥)، وعبد بن حميد في «مسنده» (١٢٦٥)، وأبو داود في «سننه» (٥١٢٧)، وأبو يعلى في «مسنده» (٣٢٧٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

وهو في الصحيح بغير هذا اللفظ أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣٦٨٨) من حديث أنس رضي الله عنه؛ أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة فقال: متى الساعة؟ قال: «**وماذا أعددت لها**» قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله ﷺ؛ فقال: «**أنت مع من أحببت**». قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: «**أنت مع من أحببت**». قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ، وأبا بكر، وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم.

(٤) ما بين القوسين ليس في (خ).

وقد ثبت عند المحققين أن كل عمل لا يوافق الكتاب والسنة فهو موافق لهوى النفس التي ترى القبيح حسنًا. قال المولى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ [فاطر: ٨].

وقال ﷺ: «**من أحب سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة**»(١)، فمن أراد المرافقة فعليه بالموافقة.

روى البخاري في كتاب الصلاة عن أم الدرداء قالت: دخل علي أبو الدرداء مغضبًا فقلت له: ما لك؟ فقال: والله ما أعرف فيهم شيئًا من أمر محمد ﷺ إلا أنهم يصلون جميعًا(٢). وكان اسم أبي الدرداء عويمر، وكان من أكابر الصحابة وعلمائها، وكان قاضي المسلمين بدمشق في خلافة عثمان رضي الله عنهما وعن جميع المسلمين، وحضر فتح قبرص، وشهد مع النبي ﷺ مشاهد كثيرة، فلما قتل المسلمون الكفار بقبرص بكى أبو الدرداء فقيل له: تبكي في مثل هذا اليوم، هذا يوم عيد؟ قال: يا هذا، ما أهون الخلق على الله إذا لم يطيعوا أمره(٣).

فأنكر هذا السيد أكثر أفعال أهل عصره، وهو الصدر الأول، فما بالك بزماننا هذا؟ وكان قد ولاه القضاء بدمشق عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يومًا لأهل دمشق: ما لي أرى علماءكم يذهبون، وجهالكم لا يتعلمون، وأراكم قد أقبلتم على ما تُكُفِّلَ لكم به وتركتم ما أُمرتم به، ألا إن قومًا بنوا شديدًا، وجمعوا كثيرًا، وأملوا بعيدًا، فأصبح بنيانهم قبورًا، وأملهم غرورًا، وجمعهم بورًا، ألا فتعلموا وعلموا، فإن العالم والمتعلم في الأجر سواء. ولا خير في الناس بعدهما(٤).

---

(١) سبق تخريجه

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ١٩٥/٥ (٢١٧٠٠)، والبخاري في «صحيحه» (٦٥٠).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٢١٦/١، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٨٦/٤٧.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٧٢٣)، وأحمد في «الزهد» (ص ١٤٣)، وأبو نعيم في «الحلية» ٢١٣/١.

وقال رضي الله عنه: اغد عالمًا أو متعلمًا أو متبعًا، ولا تكن الرابع فتهلك. قيل للحسن: ما الرابع؟ قال: المبتدع[1].

ونزل به ضيف في ليلة شاتية فأرسل إليهم الطعام، ولم يرسل إليهم بلحف، فعمد أحد الأضياف إليه ليلومه، فرآه جالسًا وامرأته ما عليهما من الثياب إلا ما يستر العورة، فرجع الرجل وقال لأبي الدرداء: ما أراك إلا بت بنحو ما بتنا به؟ فقال رضي الله عنه: إن لنا دارًا ننتقل إليه قدَّمْنا لحفنا وفرشنا إليها، ولو كان عندنا منه شيء لأرسلناه إليكم، وإنَّ بين أيدينا عقبةً كئُودًا، المخِفُّ فيها خير من المثقل، أفهمت ما أقول؟ قال: نعم[2].

وقيل له في مرضه الذي مات فيه: كيف تجدك؟ قال: أجد قلبي مطمئنًا بالإيمان. قالوا: فما تشتكي؟ قال: ذنوبي. قالوا: فما تشتهي؟ قال: مغفرة ربي. قالوا: نأتيك بطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني[3].

وقال عند وفاته: من يعمل لمثل يومي هذا؟ من يعمل لمثل ساعتي هذه؟ من يعمل لمثل مضجعي هذا؟ ثم قرأ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠][4]، فقالت زوجته: اللَّهم زوجنيه في الجنة. فقال لها: فلا تتزوجي بعدي. قالت: فإن احتجت بعدك آكل الصدقة؟ قال: لا، اعملي وكلي، ولما مات رضي الله عنه وجدوا في ثوبه أربعين رقعة، وكان عطاؤه أربعة آلاف درهم. قالت: فإن ضعفت عن العمل؟ قال: التقطي الحب والسنبل وكلي. فلما توفي ووافتْ زوجته العدة خطبها معاوية فأبت، وكان لها حظ من الجمال[5].

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٠٥).

(٢) أخرجه المعافى بن عمران في «الزهد» (٢١٠).

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٨٤/٣٣ من كلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ولم أقف عليه من كلام أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٢١٧/١، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٦٦٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٩٧/٤٧.

(٥) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٢٢٤/١ بنحوه، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٥٢/٧٠.

فانظر رحمك الله ما كان أحسن مقاصد القوم، وما قلت طرفًا من مكارم أخلاق هذا السيد إلا ليعرف قدره من جهله، وتبركًا للكتاب، ولنزول الرحمة على القائل والسامع من خزائن الكريم الوهاب.

قال الزهري: دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟ قال: ما أعرف شيئًا مما أدركت إلا هذه الصلاة، وقد أضيعت[1]. وكان رضي الله عنه من بعض خدام النبي ﷺ فخدمه سنين، فلم يقل له في شيء فعله لم فعلته، ولا في شيء تركه لم تركته؟[2].

قال: وما رأيت رسول الله ﷺ فارغًا قطُّ، إما يخيط ثوبًا لأرملة، أو نعلًا لمسكين[3].

ودعا النبي ﷺ لأنس عند وفاته بالبركة في عمره وولده وماله[4]، فعاش مدة طويلة، وصلى خلف أبي بكر في خلافته وعمر وعثمان وعلي ومن بعدهم من الخلفاء رضي الله عنهم أجمعين. وأخرج الله تعالى من ظهره مئة وثلاثين ولدًا، وكثرت الأموال والأولاد، وكان المسلمون يشدون له

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٥٣٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣١١٢).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ١٩٥/٣ (١٣٠٢١)، وعبد بن حميد في «مسنده» (١٣٦١)، والدارمي في «سننه» (٦٢)، والبخاري في «الصحيح» (٦٠٣٨)، وفي «الأدب المفرد» (٢٧٧)، ومسلم في «صحيحه» (٢٣٠٩)(٥١)، وأبو داود في «سننه» (٤٧٧٤)، والترمذي في «جامعه» (٢٠١٥).

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٠١/٤ من حديث عائشة رضي الله عنها، ولم أقف عليه عن أنس رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» ١٩٣/٣ (١٣٠١٣)، وعبد بن حميد في «مسنده» (١٢٦٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨٨)، ومسلم في «صحيحه» (٦٦٠)(٢٦٨) من حديث أنس رضي الله عنه قال: «دخل النبي ﷺ علينا، وما هو إلا أنا وأمي وأم حرام خالتي، قال: **«قوموا فلأصلي بكم»** في غير وقت صلاة، فصلى بنا فقال رجل لثابت: أين جعل أنسًا منه؟ قال: جعله على يمينه، ثم دعا لنا أهل البيت بكل خير من خير الدنيا والآخرة. فقالت أمي: يا رسول الله، خويدمك ادع الله له. قال فدعا لي بكل خير، فكان في آخر ما دعا به: **«اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه»**.

الرِّحال للزيارة، ولطلب الحديث والعلم والسؤال، وكان السادات يقبلون أقدامه ويقولون: أنت سيدنا وخادم سيدنا، ومات من أولاده في طاعونٍ واحدٍ ثمانون ولدًا[1]، فذهبت الأموال والأولاد فقال رضي الله عنه: أهلاً بحبيبٍ جاء على فاقة، لا أفلح من ندم[2].

فانظر إلى حسن صفات القوم. لو مات ميت في وقتنا هذا لأحاطت به البدع من كل مكان، وبالله التوفيق وبه المستعان، وسنذكر له بابًا في موضعه إن شاء الله تعالى.

ودعا أنس لرجل عطشت أرضه فجاءت سحابة فروت أرض الرجل وصهريجه ولم تسق أرض غيره[3].

وهذا السيد أيضًا أنكر أفعال أهل زمانه وجلس يبكي رحمةً لهم.

وقال المبارك بن فضالة: صلى الحسن الجمعة ثم جلس فبكى، فقيل له: ما يبكيك يا أبا سعيد؟ فقال: تلومونني على البكاء؟ ولو أن رجلاً من المهاجرين اطلع من باب مسجدكم ما عرف شيئًا مما كانوا عليه على عهد رسول الله ﷺ أنتم اليوم عليه إلا قبلتكم هذه[4].

فانظر وتأمل قوله؛ فإنه من العلماء العاملين، ومن كبار التابعين؛ فإذا كان الباطل قد ظهر في زمانه حتى ما بقي يعرف من الأمر[5] الذي كان عليه السادة إلا القبلة والشهادة، فما ظنك بأوقاتك هذه؟ فلو رأينا القوم لقلنا: مجانين، ولو رأونا لقالوا: شياطين.

وقال ﷺ: «**أنا في خير القرون، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم،**

---

(١) انظر «تاريخ خليفة بن خياط» (ص ٦٩).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» ٥٠٠/٤ من كلام حذيفة رضي الله عنه ولم أقف عليه من كلام أنس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» ٢١/٧، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٣٦٥/٩.

(٤) لم أظفر به مسندًا، وذكره ابن القيم في «إغاثة اللهفان» ٢٠٦/١.

(٥) في (خ): الأمور.

ثم الذين يلونهم»[1]، وقال: **«كل عام ترذلون»**[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ما من عام إلا وتظهر فيه بدعة وتموت سنة، حتى تظهر البدع وتموت السنن.

وزماننا هذا قد ظهر فيه البدع، والمتمسك[3] فيه بالسنة[4] له شأن عظيم عند الله سبحانه؛ لقوله ﷺ: **«المتمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مئة شهيد»**[5].

فالسنيُّ في الدنيا رشيد، وفي الآخرة سعيد، والمبتدع في ضلال بعيد.

وقال المبعوث بالرسالة: **«كلُّ بدعةٍ ضلالة»**[6]، فاحذر أيها المؤمن أن تخرج نفسك من نور السنة وتدخلها في ظلم الضلالة، فتكون من الهالكين بلا محالة. أتخرج أيها المؤمن من طريق سيد الأنبياء، وتدخل في طريق الأشقياء؟ أما سمعت قوله ﷺ: **«أنا سيد ولد آدم ولا فخر»**[7]، وقال: **«إن الله خلق الخلق نصفين، فجعلني في خيرهم، ثم جعلني في خير**

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣٧٨/١ (٣٥٩٤)، والبخاري في «صحيحه» (٢٦٥٢)، ومسلم في «صحيحه» (٢٥٣٣)(٢١٢)، وابن ماجه في «سننه» (٢٣٦٢)، والترمذي في «جامعه» (٣٨٥٩)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٦٠٣١) من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يأتي قوم من بعد ذلك تسبق أيمانهم شهاداتهم أيمانهم»**.

(٢) قال الزركشي في «اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة» (ص ٢١٥): لا يعرف هكذا إلا من كلام الحسن البصري في رسالته، ولعله روى بالمعنى من حديث أنس الذي رواه البخاري: **«لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم»**.

(٣) في (ط): التمسك.

(٤) في (ط): بالسنن.

(٥) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٤١٤)، وأبو نعيم في «الحلية» ٢٠٠/٨. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٤١٨/١: رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن صالح العدوي ولم أر مَن ترجمه وبقية رجاله ثقات. وذكره الألباني في «الضعيفة» (٣٢٧).

(٦) سبق تخريجه.

(٧) سبق تخريجه.

الفريقين، ثم جعل القبائل فجعلني في خير قبيلة، ثم جعل البيوت فجعلني في خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفسًا، وخيرهم بيتًا»(١).

وقال: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»**(٢). «**إن لي أسماء: أنا محمد وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب»**(٣).

ومن فضله الجامع: تأخُرُ الأنبياء يوم القيامة، ويتقدم ﷺ ويقول: «**أنا الشافع**».

ومن علو مرتبته أن الله تعالى نادى كل نبي باسمه، فقال تعالى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، ﴿يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ﴾ [هود: ٤٨]، ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ [الصافات: ١٠٤ - ١٠٥]، ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القصص: ٣٠]، ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ﴾ [المائدة: ١١٠]، ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦]، ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ [مريم: ٧]، ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢]، ﴿يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ﴾ [هود: ٨١].

ودعا الحق سبحانه نبيَّه ﷺ بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥﴾ [الأحزاب: ٤٥]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١﴾ [المزمل: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ [المدثر: ١]،

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٠٧)، والبزار في «مسنده» (١٣١٦) من حديث العباس. وأورده الألباني في «الضعيفة» (٣٠٧٣).

(٢) أخرجه أحمد ٤/١٠٧ (١٦٩٨٦)، ومسلم (٢٢٧٦)، والترمذي (٣٦٠٥) من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مالك في «الموطأ» (١٨٢٣)، وأحمد في «مسنده» ٤/٨٠ (١٦٧٣٤)، والبخاري في «صحيحه» (٣٥٣٢) و(٤٨٩٦)، ومسلم (٢٣٥٤)، والترمذي في «جامعه» (٢٨٤٠) عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه.

﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾ [طه: ١ ـ ٢]، ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤﴾ [يس: ١ ـ ٤].

كل هذه أسماء لهذا النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم(١).

وسماه ـ أيضًا ـ باسمين من أسمائه ليظهر للبشر ما خصَّه به من التعظيم وهو قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨](٢).

ومن التعظيم والكرامة أن قَرَن اسمه باسمه في الأذان والأقامة إلى يوم القيامة. ولا خلاف بين الأنام أن السيد إذا دعا عبده بأفضل أسمائه، كان ذلك مبالغةً في التعظيم والاحترام. ويكون أفضل من عبيد دعاهم بأسمائهم الأعلام.

(وأنشد لبعضهم:

يا قوم ثأري عند زهراء ... يعرفه الحاضر والنائي)(٣)

---

(١) الرسول والشاهد والمبشر والنذير والمزمل والمدثر ليست من أسمائه ﷺ، وإنما هي من أوصافه الشريفة، أما (طه) و(يس) فالصحيح أنهما من الحروف المقطعة في أوائل السور، وليسا من أسمائه ﷺ. (ت)

(٢) نقل الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» ١/٤٦٥ عن أبي بكر ابن فورك رحمه الله، قال: أعطاه الله تعالى هذين الاسمين من أسمائه.

قلت: هذا الاستنتاج غير صحيح، فليس من أسمائه ﷺ الرؤوف الرحيم، وإنما أفادت الآية إثبات هاتين الصفتين له، لهذا لم تذكرا بألف التعريف، وباب الأسماء أخصُّ من باب الصفات، والصفات بحسب ما تضاف إليه، فالرؤوف الرحيم: اسمان وصفتان لله عزَّ وجلَّ، غير مخلوقتين، ولا محدودتين، تليقان بجلاله وعظمته وكماله، وهما في حقِّ المخلوق صفة مشتركة بينه وبين بني نوعه وجنسه، مخلوقة محدودة مقيَّدة. ثم إن في أسماء الله تعالى وصفاته ما يجوز أن يسمى أو يوصف به غيره، كما في هذه الآية، وفي قوله: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ۝٢﴾ [الإنسان: ٢]، ومنها ما لا يسمى به غيره؛ كاسم الله والرحمٰن والخالق والرزاق ونحو ذلك.

وفي تزكية الله عزَّ وجلَّ لنبيِّه الكريم بأنه رؤوف رحيم؛ من التشريف والتكريم ما يغني عن تكلُّف مثل هذا القول. (ت)

(٣) في (خ): كان بعضهم يقول.

لا تَـدْعُـنِـي إلا بـيـا عـبـدهـا فـإنـه أشـرف أسـمـائـي

ومن التعظيم أن الله سبحانه أقسم بحياته، فقال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الحجر: ٧٢].

والقسم بحياة المُقْسَم به يدل على شرف (جاهه، وعلى شرف)[1] حياته، وعزتها عند المقسم، ولم يثبت هذا لغيره[2].

ولأجل حله بمكة المشرفة قال الواحد الأحد: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾﴾ [البلد: ١]، والمعنى: أقسم[3].

---

(١) ليست في (خ).

(٢) أخرج ابن جرير الطبري في تفسيره [الحجر: ٧٢]، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٤٨٧/٥ بإسناد حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ما خلق الله عز وجل، وما ذرأ من نفسٍ أكرم عليه من محمد ﷺ، وما سمعت الله تبارك وتعالى أقسم بحياة أحد إلا بحياته، فقال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

وقال ابن كثير في تفسيره: أقسم تعالى بحياة نبيه صلوات الله وسلامه عليه، وفي هذا تشريف عظيم ومقام رفيع وجاه عريض. (ت)

(٣) قال ابن الجوزي في «زاد المسير»: قال الزجَّاجُ: المعنى: أقسم، ولا دخلت توكيدًا، كقوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحديد: ٢٩]. وقوله تعالى: ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾﴾ فيه ثلاثة أقوال ـ والبلد هاهنا مكة ـ: أحدها: حل لك ما صنعت في هذا البلد من قتل أو غيره، قاله ابن عباس ومجاهد. قال الزجاج: يقال رجل حِلٌّ وحلال ومحل. قال المفسرون: والمعنى أن الله تعالى وعد نبيه أن يفتح مكة على يديه بأن يحلها له فيكون فيها حلاًّ. والثاني: فأنت محل بهذا البلد غير محرم في دخوله، يعني عام الفتح، قاله الحسن وعطاء. والثالث: أن المشركين بهذا البلد يستحلُّون إخراجك وقتلك ويحرمون قتل الصيد، حكاه الثعلبي.

وقال ابن كثير في «تفسيره»: هذا قسم من الله عز وجلَّ بمكة أم القرى في حال كون الساكن فيها حالاً؛ لينبه على عظمة قدرها في حال إحرام أهلها. قال خصيف، عن مجاهد: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾﴾ «لا» ردٌّ عليهم، أقسم بهذا البلد. وقال شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾﴾ يعني: مكة، ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾﴾ قال: أنت ـ يا محمد ـ يحل لك أن تقاتل به. وكذا روي عن سعيد بن جبير، وأبي صالح، وعطية، والضحاك، وقتادة، والسدي، وابن زيد. وقال مجاهد: ما أصبت فيه فهو حلال لك. وقال قتادة: ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾﴾ قال: أنت به من=

ومما يدلُّك على عظيم فضل الله عليه أن الله تعالى نهى أصحابه عن التقدُّم بين يديه، وأن لا يرفع أحد صوته عليه. فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾ [الحجرات: ٢، ٣].

وفي فضله ﷺ من هذا كثير. وله من المعجزات، ومكارم الأخلاق، ما لا تحصره الكتب والأوراق.

فكيف يفلح من يخرج عن سنته، أو يجعل له شرعًا غير شريعته؟ وقد قرن الحق سبحانه في اتباعه الهداية والفلاح، صلوات الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه، وأزواجه، وأتباعه ما غاب نجم ولاح. قال الله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. فمن أراد الخير والفلاح، فعليه باتباع النبي ﷺ وأصحابه ذوي الوجوه الملاح. فمن تبعهم بدَّل ليلَه بصباح. وأثبت أنه من أهل الدين والخير والصلاح. أي بُدل ليل المعصية بنهار الطاعة، قال بعضهم:

ليلي بوجهك مشرق	وظلامه في الكون[1] ساري
والناس في سُدف الظلام	ونحن في ضوء النهار

= غير حرج ولا إثم. وقال الحسن البصري: أحلها الله له ساعة من نهار. وهذا المعنى الذي قالوه قد ورد به الحديث المتفق على صحته: «**إن هذا البلد حرَّمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شجره، ولا يختلى خلاه. وإنما أُحلت لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، ألا فليبلغ الشاهد الغائب**». وفي لفظ آخر: «فإن أحد ترخَّص بقتال رسول الله فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم». والحديث في صحيح البخاري (١٠٤)، وصحيح مسلم (١٣٥٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. (ت)

(١) في (ط): الليل.

فمن سلك طريق القوم أحياه الله تعالى حياةً طيِّبةً في الدنيا والآخرة، وحشره معهم في الآخرة. قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، وأي حياة أطيب من اتباع النبي ﷺ، وسلوك طريقه وطريق أصحابه، ولكن حتى تكتحل البصائر بنور الهدى.

وقد جعل الله تعالى لنا ميزانًا نزن به أعمالنا. وهو ما شرعه الله تعالى في كتابه العزيز، وما شرحه[1] النبي ﷺ في سنته.

قال بعضهم:

وللشرع[2] ميزان فلا تك طاغيًا فيه ولا تك تخسر الميزانا[3]

فزن نفسك بميزان السنة والقرآن، ولكي يتبيَّن لك الزيادة من النقصان. قال الله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢]. وقال خير البرية: «**تركتُها بيضاءَ نقيَّةً**»[4]، فحُكَّ[5] نفسك على محكِّ الشرع، فإن كنت خبيثًا

---

(١) في (ط): شرعه.

(٢) في (ط): للمشرع.

(٣) كذا في (خ)، وسقط من (ق): (ممن)، وفي (ط): (تخسر الميزان).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٦٩٤٩)، وأحمد في «مسنده» ٣/٣٨٧ (١٥١٥٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٧٦)، والبغوي في «شرح السنة» (١٢٦)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أنَّ عمر بن الخطاب، أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه على النبي ﷺ فغضب، وقال: «**أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب! والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيًا، ما وسعه إلا أن يتبعني**».
والحديث حسنه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١٧٧).

(٥) في (ط): فخذ.

ظهر[1] خبثك، والطيب لا يظهر منه إلا طيب؛ فالجنة طيبة لا يدخلها خبيث. قال المولى: ﴿طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] .ومرادنا بالطيب المتبع، والخبيث هو المبتدع.

فإذا قرأت القرآن تبين لك هل أنت من أهل الخير واليقظة والإحسان؟ أم من أهل الشر والغفلة والطغيان؟ فقد وصف قومًا بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥)﴾ إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠)﴾ [المؤمنون: ١ ـ ١٠]، وأثنى الحق سبحانه على قوم بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤].

اعلم رحمك الله أن الخير والفلاح موقوف على الدين والصلاح. قال الله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤)﴾ [آل عمران: ١١٣ ـ ١١٤]، فمدح هؤلاء وذم آخرين بقوله تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩)﴾ [المائدة: ٧٩].

ووصف قومًا بمكارم الأخلاق، وقومًا بالكفر والنفاق. فقال تعالى في حق الأولى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٤]، وقال في حق الثانية: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥١]، وقال الواحد القهار: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]. قال رب العالمين: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠].

وقال في حق المبتدعين: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى

---

(١) في (ط): طهر.

﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥]. والنار جزاء لمن ظلم، وإن كان مسلمًا من خير الأمم، قال المولى إخبارًا عن قول قابيل، لما أراد قتل هابيل[1]: ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [المائدة: ٢٩].

والمبتدع هو ظالم لخروجه عن الطريقة المحمدية، ودخوله في البدعة الرَّدية، فقد تعدى الحدود، وأسخط المعبود، وشؤم ذلك عليه يعود، يوم لا ينفع مال ولا بنون، ولا يجزي والد عن مولود، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق: ١]، فظلمها الذي أوجب عليها غضب الجبار، وعذاب النار وذلك لعدوله عن الآيات والأخبار، ولخروجه عن طريق النبي المختار، والصحابة الأخيار، والمسلمين الأبرار، فصار الظلم[2] على أقسام: الكافر ظالم، والمنافق ظالم، والمبتدع والعاصي ظالم، والكل يذهب بالتوبة. وظلم آخر يحتاج الظالم أن يرضي المظلوم في الدنيا: كضرب، وسب، وغيبة، وقتل مسلم بغير حق، وشهادة الزور، ونميمة، وبهتان، وما يشبه ذلك ويقاربه لا بد من التحلل من المظلوم، والمظلوم مرحوم، والظالم ملعون.

وهذا حال من ظلم الناس لنفسه؛ وأنحس منه من ظلم الناس لغيره؛ لأن الأول أخرب آخرته لأجل دنياه، والثاني أخرب آخرته[3] لأجل دنيا غيره، فصار أكبر إثمًا وأكثر بعدًا عن[4] خالقه ومولاه، وكلا الطرفين ذميم. والذي أعتقده أن الحق سبحانه متى رضي عن عبدٍ، أرضى عنه خصومه، ونسأل الله العدل، والاستقامة، والأمن من فزع يوم القيامة، فمن عدل عدل به إلى الجنة، ومن جار فله النار.

---

(١) كذا في النسخ، وقد انقلب على المؤلف، وصوابه: «إخباراً عن قول هابيل ـ لمَّا أرادَ قابيلُ قتلَهُ ـ:». فإن قابيل هو الذي قتل هابيل؛ كما ذكره أهل التفسير والتاريخ.

(٢) في (ط): الظالم.

(٣) هذا آخر الخرم في (ب)، وكان أوله من قوله: (قائم والسيف في يده).

(٤) في (خ): عند.

ومراد المؤلف بالاستقامة: الاتباع لمن ظللته الغمامة؛ لأن الحق سبحانه قد لطف بالمتَّبع، فعمل بكتاب الله تعالى وعلى السُّنة أقام فاستوجب محبة الله تعالى والجنة له مقام. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠].

ذهب أكثر المفسرين إلى أن الاستقامة لزوم الكتاب والسنة. فاعرض أيها العامل أفعالك وأقوالك على سنة رسول الله ﷺ، وسنة خلفائه الراشدين فإن حصلت الموافقة لهم، فأنت من المهتدين. وإن عكست فأنت من المعتدين. قال ﷺ: «**أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديم اهتديتم**»[(١)]؛ فهي الفرقة الناجية التي[(٢)] أمرنا أن نعض عليها[(٣)] بالنواجذ، لننجو غدًا من الشدائد.

فعليك أيها المؤمن بإماتة البدع، وإحياء السنة؛ فقد جاء في الحديث: أن من أحيى سنته كان معه في الجنة[(٤)]. وقال صلوات الله عليه وسلامه: «**من أمات بدعة أحيَى الله قلبه**»[(٥)]، وفي حديث آخر: «**إذا مات صاحب بدعة، كان فتحًا في الإسلام**»[(٦)]، وقال صلوات الله عليه وسلامه: «**من أعرض عن صاحب بدعة بغضًا له في الله ملأ الله قلبه أمنًا وإيمانًا؛ ومن انتهر صاحب بدعة، رفع الله له في الجنة مئة درجة، ومن سلَّم على صاحب**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) في (خ): الذي.

(٣) في (ط): على أفعالهم.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» ١٥٨/٤، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وذكره الديلمي في «مسند الفردوس» (١١١٧). وقال الخطيب بعده: الإسناد صحيح، والمتن منكر. وقال الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٦٩٣): موضوع.

بدعة أو لقيه بالبشرى واستقبله بما يسره فقد استخف بما أُنزل على محمد ﷺ»[1].

وقال: «**من مشى إلى صاحب بدعة ليوقره، فقد أعان على هدم الإسلام**»[2].

وفي حديث آخر: «**من أهان صاحب بدعة أمنه الله يوم الفزع الأكبر**»[3].

وقال سفيان: من اتبع جنازةَ مبتدعٍ لم يزل في سخط الله حتى يرجع[4].

وقال ﷺ: «**من غش أمتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**».

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ٨/٢٠٠، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٥٣٧)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» ١٠/٢٦٣، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٥٢٣)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وقال ابن الجوزي في «الموضوعات» ١/٤٤٥: باطل موضوع؛ فيه عبد العزيز بن أبي رواد؛ قال ابن حبان: كان يحدث على التوهم والحسبان فسقط الاحتجاج به.

وقال الخطيب البغدادي: تفرد برواية هذا الحديث الحسين بن خالد، وهو أبو الجنيد، وغيره أوثق منه.

وقال الشوكاني في «الفوائد المجموعة» ١/٥٠٤ ـ ٥٠٥: قال ابن الجوزي والصغاني: موضوع. ورواه ابن عساكر بنحوه، وروي بألفاظ لا يصح منها شيء.

(٢) ضعيف: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» ٢٠/٩٦ (١٨٨)، وفي «مسند الشاميين» (٤١٣)، وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ٦/٩٧، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١/٤٤٨: رواه الطبراني في الكبير، وفيه بقية، وهو ضعيف.

(٣) أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٥٣٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» ٨/٢٠٠ من حديث ابن عمر. وقال أبو نعيم: غريب من حديث عبد العزيز لم يتابع عليه من حديث نافع.

(٤) أخرجه أبو إسماعيل الهروي في «ذم الكلام» (٩٣٩) عن سفيان بن عيينة، قال: من شهد جنازة. . . فذكره.

قالوا: يا رسول الله، وما غِشُ أمتك؟ قال: «**أن تبتدع بدعة تحمل الناس عليها**»[1].

وروي أن رجلاً دعا ابن مسعود رضي الله عنه إلى وليمةٍ فلما بلغ المنزل سمع عندهم لهوًا فرجع فتبعه صاحب المنزل وقال: يا صاحب رسول الله، ما بالك رجعت؟ قال: سمعت عندكم[2] لهوًا، وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من كثَّر سواد قوم فهو منهم، ومن أحب عمل قومٍ خيرًا كان أو شرًّا كان كمن عمله أو كانَ شريكًا له**»[3]، فلما اجتمع القومَ على بدعة تركهم وسار. وكان سيدًا جليلاً عارفًا بالتفسير والأخبار.

وصح أن النبي ﷺ تبرأ من أصحاب البدع، فقال: «**ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية**»[4].

وتبرأ من الصالقة، والحالقة، والشَّاقة[5].

---

(١) ذكره الديلمي في «مسند الفردوس» (٥٦٦٤)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. وقال العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» ١/ ٤٦: رواه الدارقطني في الأفراد من حديث أنس بسند ضعيف جدًّا.

(٢) في (ط): عندهم.

(٣) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» كما في «المطالب العالية» (١٦٦٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وفي إسناده انقطاع، وللحديث شواهد.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» ٤٣٢/١ (٤١١١)، والبخاري في «صحيحه» (١٢٩٤)، ومسلم في «صحيحه» (١٠٣) (١٦٥)، وابن ماجه في«سننه» (١٥٨٤)، والترمذي في «الجامع» (٩٩٩)، والنسائي في «سننه» ١٩/٤(١٨٦٠)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» ٤١١/٤ (١٩٦٩٠)، والبخاري في «صحيحه» (١٢٩٦)، ومسلم في «صحيحه» (١٠٤) (١٦٧)، وأبو داود في «سننه» (٣١٣٠)، والنسائي في «سننه» ٢١/٤ (١٨٦٦)، من حديث أبي موسى رضي الله عنه.
والصالقة: التي ترفع صوتها عند المصيبة. والأصل الصَّلْق وهو: الصوتُ الشديد يُريد رَفْعُه في المصائب.
والحالقة: حالقة الشعر عند المُصِيبة إذا حلَّت بها. والمراد: قطعه من غير حلق.
والشاقة: المرأة تشق جيب قميصها عند المُصِيبة.

وقال ﷺ: «**أهل البدع هم شرُّ الخلق والخليقة**»[1].

وفي حديث آخر: «**من تشبه بغيرنا فليس منا**»[2].

فانظر رحمك الله إلى هذا التوكيد وشدة الوعيد لمن خالطهم أو واكلهم أو سلَّم عليهم، أو وقَّرهم واستبشر في وجوههم.

فكيف يكون حال من فعل بفعلهم، أو صار في بدعة يقتدي الجاهل[3] به؟

وكيف حال من دعا الناس إلى بدعته وحثَّهم عليها وحسَّنها لهم؟

وكيف من زعم أنها قربة إلى الله تعالى ويثاب عليها؟

كل هذه درجات بعضها أسفل من بعض، وظلمات بعضها فوق بعض، ونعوذ بالله العظيم من الجهل بعد العلم، ومن الضلالة بعد الهدى، وأن يرزقنا اتباع السنة، ويجنبنا البدعة والردى.

وإذا شاء الله تعالى وفَّق الجاهل وخذل العالم، وإن شاء عكس، وإن شاء وفقهم جميعًا، وإن شاء خذلهما جميعًا، والقدرة صالحة لكل شيء: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣].

والجهل مصيبة في الدين؛ لقول رب العالمين لسيد المرسلين: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٩٥٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» ٨/٢٩١، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٥٣/٣٧٤، من حديث أنس رضي الله عنه، وقال الألباني في «ضعيف الجامع» (٢١٠٤): ضعيف.

والذي صحَّ في هذا هو في الخوارج، وهم أول المبتدعة وأضرُّهم على أهل الإسلام، قطع الله دابرهم، ووقى المسلمين شرَّهم. أخرج مسلم في «الصحيح» (١٠٦٧) عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن بعدي من أمتي ـ أو سيكون بعدي من أمتي ـ قوم يقرؤون القرآن، لا يجاوز حلاقيمهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه، هم شرُّ الخلق والخليقة**».

(٢) سبق تخريجه.

(٣) في (ط): الجهال.

وأكثر ما يقع العباد في البدع من جهلهم وقلة علمهم، فيدخل عليهم الشيطان ـ لعنه الله ـ من جهة الجهل، فيغويهم ويضلهم. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قصم ظهري رجلان: جاهل ناسك، وعالم فاسق[1].

قال المؤلف: فالعالم الفاسق ينفر الناس عن[2] علمه، ويكون حجة عليه، يوم يوقفه الحق بين يديه، ويقال: إذا ضلَّ عالِمٌ ضلَّ العالَم. والعلم والخبر لا يحجزان أحدًا عن القضاء والقدر، كما تقدم ذكره في القرآن والخبر.

والجاهل الناسك يُضل الناس لجهله ولخلوه من نور العلم، فمثله كالأعمى، والأعمى لا يهدي نفسه إلى الطريق، فكيف يهدي غيره؟ ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ [الإسراء: ٧٢]، فيأمر الناس بجهل فيَضل ويُضل.

ألا ترى ما يفعله بعض المبتدعين تبعًا لأشياخهم فيحلقون ذقونهم ويوصلون شعورهم، ويكوون أبدانهم ويوشمونها، فينقش عليها[3] اسم المحبوب، ثم يدخل السقاية بهذا المكتوب[4].

ولقد رأيت فقيرًا بمكة قد وشم على ساعده آية الكرسي بكمالها، ثم يدخل بها المستراح هذا القليل الدين والصلاح، فكلما مسَّ آية الكرسي بغير وضوء أثم، وإذا مسه وهو جنب يكون[5] ملعونًا آثمًا، وترى بعضهم يثقب أذنه، وآخر يثقب إحليله، ومنهم من يتكبل بالسلاسل والحديد، فيدخلون في البدع ويخالفون المولى المجيد، وبعضهم يعملون في رقابهم الأطواق، وهي صفات أهل النار في النار، ولا ترضي الواحد الخلاق، قال الله

---

(١) ذكره فخر الدين الرازي في «مفاتيح الغيب» ٤٤/٣، وأبو حيان الأندلسي في «البحر المحيط» ٤٣٠/١.

(٢) في (ط): من.

(٣) في (خ): عليه.

(٤) في (خ): هذا المنكوب.

(٥) في (ط): فسق وكان.

تعالى: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [غافر: ٧١ ـ ٧٢]، ورأى النبي ﷺ رجلاً في إصبعه خاتم حديد، فقال: «**ما لي أرى عليك حلة**[١] **أهل النار؟**»[٢].

وبعض المبتدعة يُلَبِّدُ شعره فلا يزال جنبًا؛ لأن الماء لا يصل إلى أصول شعره، وقد أمرنا الشرع[٣] بإيصال الماء إلى أصول الشعر، ومن وصل من المبتدعة شعره قطعه الله من رحمته، وأدخله في لعنته. قال ﷺ: «**لعن الله الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة**»[٤].

فإذا لعنت المرأة لأجل ما وصلت، أو وشمت زينةً لزوجها؛ فكيف من يفعل ذلك من الرجال بطرًا وعبثًا؟! فيكون ملعونًا بطريق الأولى. فهؤلاء الأشقياء اتصفوا بصفات الأولياء، وزعموا أنهم فقراء، فقنعوا بالاسم، وما نالوا منه وطرًا، فصار الاسم على غير المسمى، وكان ذلك عليهم مقدورًا مقدرًا، وبه القلم في اللوح المحفوظ جرى. والحق سبحانه يقبل من جاء منهم تائبًا معتذرًا. ونعوذ بالله من كل البدع والطغيان، ومن أُخوَّة النسوان، ومرافقة المردان، والاشتغال عن الذكر والقرآن، بشيء من اللهو والهذيان؛ كالرقص على ضرب الدف والكف والغناء والألحان، وتضييع الوقت والعمر فيما يرضي الشيطان، فلو كان هؤلاء المبتدعون الذين تقدم ذكرهم ممن

---

(١) في (ط): حلية.

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه» (٤٢٢٣)، والترمذي في «الجامع» (١٧٨٥)، والنسائي في «سننه» ١٧٢/٨ (٥١٩٥)، من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه.
وأخرجه أحمد في «مسنده» ١٦٣/٢ (٦٥١٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٠٢١)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما. وقال الترمذي: هذا حديث غريب.
وحسنه الألباني في «صحيح الأدب المفرد».

(٣) في (ط): الشارع.

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٥٩٣٧)، ومسلم في «صحيحه» (٢١٢٤)، والترمذي في «الجامع» (١٧٥٩)، والنسائي في «سننه» ١٤٥/٨(٥٠٩٥)، وأبو داود في «سننه» (٤١٦٨)، وابن ماجه في «سننه» (١٩٨٧)، من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

يدعي الفقر والدين، عملوا بحديث سيد المرسلين الصادق الأمين، ﷺ وعلى أصحابه أجمعين، ما وقعوا في شيء من البدع وهو قوله: «**تفقَّهوا ثم اعتزلوا**»[1]. كمن مضى من مشايخنا وسادتنا رضي الله عنهم أجمعين، تفقهوا ثم دخلوا في العبادة، فوقفوا للعلم والعمل والزهد في الدنيا، فاستراحوا وأراحوا، واهتدوا بنور العلم وهُدوا، فكان قولهم يصدع القلوب، وزيارتهم تذكر بالله[2] علام الغيوب.

وأهل البدع لما فاتهم نور العلم، وقعوا في ظلام الجهل، ففاتهم نور السنة ووقعوا في ظلام البدعة؛ فضلُّوا وأضلُّوا، وبجهلهم استدلوا، وقال هؤلاء المعتدون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣] وجدوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون، فلو سمع أحدهم ألف حديث وكل آية، لم يخرجوا عن طريق آبائهم ومشايخهم إلا من أدركه الله برحمته، وأنقذه من البدعة والضلالة بقدرته، لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم، ولأن البدع قد رسخت وطبعت على قلوبهم، وألفتها واستحسنتها نفوسهم. قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨].

كما قال بعضهم:

يا غاديًا في جهله ورائحًا	إلى متى تستحسن القبائحا
يا عجبًا منك وأنت مبصر	كيف تجتنب الطريق الواضحا

قال المولى: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ١٨٦﴾ [الأعراف: ١٨٦]، فقد استحسنت البدع هذه الطائفة، ليس لها من دون الله كاشفة.

---

(١) لم أجده مرفوعًا، وإنما أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» ١/٢٤٠ من قول مطرف رحمه الله.
قال العجلوني في «كشف الخفاء» (١٠٠٣): قال النجم: ليس بحديث.

(٢) في (ط): رؤيتهم تذكرنا الله.

وإذا أراد الله أن يخرج عبده من الضلالة عرَّفه كيف يخرج. فإن قيل لأحدهم من جهة التذكرة والنصح والأمر بالمعروف: إن هذه الطريقة التي أنت سالكها ما هي طريق نبيك، ولا طريق أصحابه، ولا طريق التابعين؛ فإن خرج عنها فهو صديق، وإن لم يخرج عنها فهو قليل التوفيق. وإن جحد السنة فهو زنديق؛ وقد تشبه بالكفار. ومن تشبه بهم في الدنيا، حُشر معهم يوم القيامة في النار؛ ولأجل ذلك تبرأ منه النبي المختار صلى الله عليه صلاةً دائمة إلى يوم القرار بقوله: «**من تشبَّه بغيرنا فليس منَّا**»[1]، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

فلما عرَّفهم الأنبياء عليهم السلام الطرق التي توصلهم إلى الله سبحانه وتعالى، وكان عليها المؤمنون وقالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]. فعجل الله تعالى دمارهم وخرب ديارهم؛ فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا.

وما انتشرت وتولدت هذه الآفات والبدع، وأمثالها في الملة المحمدية إلا لقلة إنكارها، ولتخلية أولي الأمر هذه البدع من شهورها لسنيها، ومن غدوها لأبكارها، فلو قاموا بما أمروا به من إزالة المنكر، وجاهدوا بسيف الصدق لما شاعت هذه المصائب وأمثالها؛ ولأسرع تلاشيها وزوالها، والله سبحانه أمرنا بذلك فقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقد شهد العليم الفتاح لمن يأمر بالمعروف بالخير والفلاح، فقال المولى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤]. وقال الملك الغفور: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤١].

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن ربكم تعالى يقول: إياكم والتظالم،**

---

(١) سبق تخريجه.

وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تسألوني فلا أطيعكم، وتدعوني فلا أستجيب لكم وتستنصروني فلا أنصركم»[(١)].

وتمثيل النبي ﷺ بالقوم الذين استهموا في السفينة معروف[(٢)].

وقد أهلك من قوم يوشع عليه السلام ألوف لتركهم الأمر بالمعروف[(٣)].

ثم اعلم بأن الأمر بالمعروف هو من قواعد الدين، وطريق سيد المرسلين ويقرب لرب العالمين، فمن ترك الأمر بالمعروف مع القدرة فقد خالف الرب الرؤوف، ووقع في أمر مخوف.

قال بعض العلماء: الأمر بالمعروف على ثلاثة أقسام: باليد للأمراء، وباللسان للعلماء، وبالقلب للعوام. وهذا قول حسن؛ لأن العوام لا يعرفون العلم فيقولون باللسان، ولا يقدرون على إزالة المنكر بالسيف والسنان، وهذا أضعف الإيمان.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٤/٢٦٩ (١٨٣٧٠)، والبخاري في «صحيحه» (٢٤٩٣)، والترمذي في «الجامع» (٢١٧٣)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٣١٠)، من حديث النعمان ابن بشير رضي الله عنه. قال : قال رسول الله ﷺ: **«مثل القائم على حدود الله والمدهن فيه كمثل قوم استهموا على سفينة في البحر؛ فأصاب بعضهم أعلاها، وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها يصعدون؛ فيستقون الماء فيصبون على الذين في أعلاها فقال الذين في أعلاها: لا ندعكم تصعدون فتؤذوننا. فقال الذين في أسفلها: فإننا ننقبها من أسفلها فنستقي فإن أخذوا على أيديهم فمنعوهم نجوا جميعا وإن تركوهم غرقوا جميعًا»**.

(٣) قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٢٢٣٥): حديث عائشة: «عذب أهل القرية فيها ثمانية عشر ألفًا عملهم عمل الأنبياء»؛ لم أقف عليه مرفوعًا، وروَى ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ عن إبراهيم بن عمر الصنعاني: أوحى الله إلى يوشع بن نون إني مهلك من قومك أربعين ألفًا من خيارهم، وستين ألفًا من شرارهم. قال: يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ قال: إنهم لم يغضبوا لغضبي، فكانوا يواكلوهم ويشاربوهم.

وذكره أبو الليث السمرقندي في «تنبيه الغافلين» ٣١ من غير إسناد.

وقال بعض العلماء: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل من قدر عليه. فمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فقد أحيَى السنة. ومن أحياها غفر الله له وأدخل مع النبي ﷺ الجنة.

وقد تقدَّم شيءٌ في مدح الأمرين.

وقد ذم الله تعالى قومًا آخرين بقوله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾ [المائدة: ٧٨ - ٧٩].

وقال أهل التفسير: إن طائفةً من بني إسرائيل مسخت قردة وخنازير لخروجهم عن طريق نبيهم ولمخالفتهم للمولى القدير، الشباب صاروا قردة، والشيوخ خنازير، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ١٦٦﴾ [الأعراف: ١٦٦].

ثم إن بني إسرائيل افترقت على فرقتين: الفرقة الواحدة أَمرت، والثانية لم تأمر، فأنجى الله تعالى الطائفة الآمرة، وأهلك التي لم تأمر بقدرته القاهرة، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ١٦٥﴾ [الأعراف: ١٦٥].

وقد جاء في مواضع كثيرة في القرآن والخبر في مدح من أمر بالمعروف، وفي ذم من لم يأمر به، ما لا يحتمله هذا المختصر، وفي هذا كفاية لمن رزقه الله تعالى التوفيق والهداية.

قال المفسرون: لما أراد الله تعالى أن يُهلك من قوم يوشع عليه السلام ستين ألفًا من أشرارهم، وأربعين ألفًا من أخيارهم، قال يوشع عليه السلام: يا رب هذا للأشرار فما بال الأخيار؟ فأوحى الله سبحانه إليه: يا يوشع؛ لأن الأخيار لم يغضبوا لغضبي، وواكلوهم وشاربوهم

وجالسوهم[1].

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية تضعونها على غير موضعها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة: ١٠٥]. وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقابه**»[2].

قال عمر بن عبد العزيز: إن الله تعالى لا يعذب العامة بعمل الخاصة، ولكن إذا ظهرت المعاصي ولم ينكروها استحق القوم جميعًا العقوبة[3].

وقال نبي الله ﷺ: «**من رأى منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[4]، رواه مسلم.

فقد تبيَّن[5] أن من ترك الأمر بالمعروف مع القدرة عاص مبتدع، والبدعة في الدين خطر عظيم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ

---

(١) تقدم، وانظر: «تفسير البحر المحيط» لأبي حيان الأندلسي ٣/٥٣٣، و«الكشف والبيان» للثعلبي ٤/٨٧.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ١/٥ (١٦)، وابن ماجه في «سننه» (٤٠٠٥)، وأبو داود في «سننه» (٤٣٣٨)، والترمذي في «الجامع» (٢١٦٨)، من حديث قيس ابن أبي حازم رضي الله عنه. وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه».

(٣) أخرجه الحميدي (٢٦٩)، ومن طريقه أخرجه مالك في «الموطأ» (١٧٩٩)، وأخرجه أحمد في «الزهد» ١/٢٩٤.

وقد روي مرفوعًا؛ أخرجه أحمد في «مسنده» ٤/١٩٢ (١٧٧٢٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» ١٧/١٣٩ (٣٤٤)، من حديث عدي بن عميرة.

وأخرجه أبو داود في «سننه» (٤٣٤٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» ١٧/١٣٨ (٣٤٣، ٣٤٥)، من حديث العرس بن عميرة. وحسنه الألباني في «صحيح أبي داود».

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣/١٠ (١١٠٧٣)، ومسلم في «صحيحه» (٤٩) (٧٨)، وابن ماجه في «سننه» (١٢٧٥)، وأبو داود في «سننه» (١١٤٠)، والترمذي في «الجامع» (٢١٧٢)، والنسائي في «سننه» ٨/١١١ (٥٠٠٨)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٥) في (ط): بين.

﴿سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨]؛ فمعناه: أي حط عنا خطايانا، فقالوا: حنطة. فأرسل الله عليهم رجزًا من السماء وظلمةً وطاعونًا فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفًا، وذلك لقلة أدبهم واستخفافهم بأمر الله تعالى. وابتدعوا بزيادتهم حرفًا في الكلمة فعرفهم أن الزيادة في الدين والابتداع في الشرع خطر عظيم، وهذه البدعة هي في القول، وتارةً تكون البدعة في الفعل، وكلا الطرفين ذميم.

وقد كثر في زماننا هذا البدع في الأفعال والأقوال. ونسأل الله الإقالة، وهو القدير المتعال. فصار السنيُّ بين الناس كالغريب، ولا عليه بعدما صار معروفًا عند الحبيب، كما قال بعضهم:

إذا رضيتْ عنِّي كرام عشيرتي فلا برحت غضبَى عليَّ لئامها

عن عبد الرحمٰن بن عوف: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إن الدين بدأ غريبًا، ويرجع غريبًا فطوبى للغرباء، الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي**»[(١)].

ولمسلم: «**بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء**».

معنى الحديث: أنه لما جاء الله تعالى بالإسلام فكان الرجل إذا أسلم في حيه وقبيلته فهو غريب بينهم مستخفٍ بإسلامه، قد جفاه الأهل والأصحاب، واتصل لرب الأرباب كما قال بعضهم:

إذا كنتَ لي ما ضرَّني من عدمته

---

(١) لم أقف عليه من رواية عبد الرحمٰن بن عوف، والحديث أخرجه أحمد في «مسنده» ٢/٣٨٩ (٩٠٥٤)، ومسلم في «صحيحه» (١٤٥)، وابن ماجه في «سننه» (٣٩٨٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأخرجه الدارمي في «سننه» (٢٧٥٥)، وابن ماجه في «سننه» (٣٩٨٨)، والترمذي في «الجامع» (٢٦٢٩)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن مسعود. وفي الباب عن ابن عمرو، وابن عمر، وأنس بن مالك، وعمرو بن عوف، وعبد الرحمٰن بن سَنَّة.

فكان يكون بينهم ذليلاً حقيرًا خائفًا يتجرَّع[1] جرع الأذى والجفاء محبة في دين النبي المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أهل الخير والجود والوفا، فيعود غريبًا لكثرة الأهواء المضلة، والمذاهب المختلفة حتى يبقى أهل الحق غرباء في الناس لقلتهم وخوفهم على أنفسهم من قلة الأنصار وكثرة الفجار.

وقد تقدم في حديث العرباض قوله ﷺ: «**من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا**[2]**، فعليكم بسنتي**»[3] الحديث، رواه البخاري في «صحيحه»[4] عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع النبي ﷺ قِبَل خيبر ونحن حديثو عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون حولها ينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال لهم رسول الله ﷺ: «**الله أكبر. هذا كما قالت بنو إسرائيل: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾** [الأعراف: ١٣٨]؛ **لتركبن سنن من كان قبلكم**»[5].

فانظر رحمك الله أي مكان وجدت سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمون أمرها، ويرون البرء والشفاء من قبلها، وينوطون بها المسامير والخرق فهي ذات أنواط، فإن قدرت فاقطعها يصلك الله تعالى به، فجميع العبادات القولية والفعلية لا يثاب العبد عليها إلا إذا كانت موافقة للسنة والكتاب؛ فاعتبروا يا أولي الألباب.

---

(١) في (خ): يتغصص.

(٢) في (ط): كبيرًا.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) كذا في النسخ، وفي السياق خلل ظاهر، فلم يرو البخاريُّ في «صحيحه» الحديثين، ولا أحدهما.

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢١٨/٥ (٢١٨٩٧)، والترمذي في «الجامع» (٢١٨٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١١٨٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٧٠٢)، من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه. وصححه الألباني في «ظلال الجنة» (٧٦). وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في «صحيح الترمذي».

ألا ترى أن الإنسان كيف يصوم وهو من الأجر محروم؛ كصيام يوم الشك، ويوم الجمعة فقط، وصوم يوم السبت وحده، وصوم العيدين وأيام التشريق.

روى مسلم في «صحيحه»: أن النبي ﷺ نهى عن صيام يوم الجمعة، وعن قيام ليلتها، فقال: «**لا تخصُّوا ليلة الجمعة بقيام ولا يوم الجمعة بصيام**»[1].

وروى البخاري أيضًا: أن النبي ﷺ نهى أن يصام يوم الجمعة إلا أن يصله بصيام قبله أو بعده[2].

والحديث: «**لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام**»؛ هو حجة على قوم يجتمعون لصلاة الرغائب لورود النهي. وقد روى الغزاليُّ حديثًا في صلاة الرغائب[3]، وهو غير صحيحٍ، اقترأه[4] لا افتراه. والحديث الضعيف لا

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٩٨٥)، ومسلم في «صحيحه» (١١٤٤) (١٤٨)، وابن ماجه في «سننه» (١٧٢٣)، وأبو داود في «سننه» (٢٤٢٠)، والترمذي في «الجامع» (٧٤٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وأخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٧٨٠٣)، وأحمد في «مسنده» ٤٤٤/٦ (٢٧٥٠٧)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٢) هذا من ألفاظ الحديث السابق.

(٣) «إحياء علوم الدين» لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) ٢٠٢/١، وأخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» ١٢٤/٢، وقال: هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ، وقد اتهموا به ابن جهضم ونسبوه إلى الكذب، وسمعت شيخنا عبد الوهاب الحافظ يقول: رجاله مجهولون، وقد فتشت عليهم جميع الكتب فما وجدتهم. وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٦٢٩): أورده رزين في كتابه، وهو حديث موضوع.
وقال ابن القيم في «المنار المنيف» (١٦٧): وكذلك أحاديث صلاة الرغائب ليلة أول جمعة من رجب كلها كذب مختلق على رسول الله ﷺ.

(٤) في (خ): افتراه. واقترأه، أي: استقرأه من مشاهدته لأهل القدس وهم يواظبون عليها. قال الغزالي في الإحياء ٢٠٣/١: رأيت أهل القدس بأجمعهم يواظبون عليها ولا يسمحون بتركها فأحببت إيرادها.

ينسخ الحديث الصحيح، ولا قول اللطيف وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]. قال ﷺ: «**ما أمرتكم به فائتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فانتهوا**»[(١)].

قال بعض العلماء: يأثم الإنسان بفعلها كالنَّفل بعد الصبح، وبعد العصر بلا سبب.

فإن قال قائل: أيعاقب المسلم على الصلاة؟ قال: لا، ولكن يعاقبُ لمخالفته للحديث.

ولا يثاب العبد على عبادةٍ قط إلا أن تكون موافقة للكتاب والسنة، ألا ترى لو وقف واحد بعرفة في غير يوم عرفة واجتهد في الدعاء إلى غروب الشمس، ثم نفر إلى المشعر الحرام، وصلى الفجر بغلس، ووقف ودعا، ثم جاء لمنًى[(٢)]، ورمى الجمرة كما فعل النبي ﷺ، ثم جاء وطاف بالبيت الحرام وسعى، وأتى بجميع المناسك، فهو عاصٍ لله ولرسوله، وليس بناسك؛ لأنه شرع في الدين ما ليس منه. وهو عبدٌ مخالف للسنة هالك؛ لأن النبي ﷺ ما فعل هذه الأشياء إلا في مكانٍ مخصوص، وفي وقتٍ مخصوص.

فلا بدَّ من الزمان والمكان؛ لذلك لو طاف طائف بغير مكة المشرفة، أو سعى أو رمى الجمرات في غير أشهر الحج لم يؤجر وعليه السيئات، كرجل يصلي الخمس صلوات قبل دخول الأوقات فلا تقبل منه، ولا يدخل تحت قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]؛ لأن استباق الخيرات وضع الأشياء في محلها.

وتكلم العلماء في قوله ﷺ: «**من سبَّح عقيب كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، وحمده ثلاثًا وثلاثين، وكبره ثلاثًا وثلاثين، وقال تمام المئة: لا إله**

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢/٣٥٥ (٨٦٦٤)، والبخاري في «صحيحه» (٢٧٨٨)، ومسلم في «صحيحه» (١٣٣٧)، وابن ماجه في «سننه» (١)، والترمذي في «الجامع» (٢٦٧٩)، والنسائي في «المجتبى» ٥/١١٠ (٢٦١٩).

(٢) في (ط): أتى منى.

إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللَّهم لا مانع لما أعطيت ولا معط لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، حطت خطاياه ولو كانت مثل زَبَد البحر»[1]، قالوا: يعطى المسلم هذا الأجر إذا فعل هذا، لا يزيد عليه ولا ينقص. فلو سبَّح الله تعالى مئة، وحمده مئة، وكبره مئة؛ قال جماعة من العلماء ـ ومنهم: ابنُ المرحِّلِ شيخٌ راسخٌ في علوم الإسلام، والقاضي ابنُ عبد السلام سيِّد العلماء ومفتي الأنام[2] ـ: يحرم هذا الأجر العظيم؛ لقلة عمله بحديث النبي ﷺ؛ لأن الله تعالى لا يعظم الأعمال لكثرتها إذا لم تكن[3] موافقة للسنة. وقال المولى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧، الملك: ٢]، ولم يقل[4]: أكثر عملاً. والعمل الحسن ما كان موافقًا للسنة. وجاء في الحديث: «**عملٌ قليل في سنة، خير من كثير في بدعة**»[5]، وليس قدر من أهدى الملك جوهرتين كقدر من

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (٤٩٠)، وأحمد في «مسنده» ٣٧١/٢ (٨٨٣٤)، والبخاري في «صحيحه» (٨٤٣)، ومسلم في «صحيحه» (٥٩٧) (١٤٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٠١٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ابن المرحِّل هو محمد بن عمر بن مكي، أبو عبد الله صدر الدين المعروف بابن الوكيل (٦٦٥ ـ ٧١٦هـ): شاعر، من علماء الشافعية، ولد بدمياط، وانتقل مع أبيه إلى دمشق، فنشأ فيها. وأقام مدة في حلب. وتوفي بالقاهرة. كانت له ذاكرة عجيبة، حفظ المقامات الحريرية في خمسين يومًا، وديوان المتنبي في أسبوع. ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية بدمشق سبع سنين. وصنف: «الأشباه والنظائر» في فقه الشافعية، وشرع في شرح «الأحكام» لعبد الحق الإشبيلي، فكتب منه ثلاثة مجلدات تدل على تبحره في الحديث والفقه والأصول. وكان تقي الدين السبكيُّ يعظمه، ويثني عليه، ويسميه فاضل عصره. جوَّد ابن حجر ترجمته في «الدرر الكامنة» ٣٧٣/٥، وقال: وكان لا يقوم بمناظرة ابن تيمية أحدٌ سواه، ولما بلغت وفاته ابنَ تيمية قال: أحسن الله عزاء المسلمين فيك يا صدر الدين. وتأسف الناس عليه كثيرًا رحمه الله تعالى.
وابن عبد السلام، هو الفقيه الشافعي الشهير عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقي مولدًا ونشأة، ثم القاهريُّ إقامة ووفاةً (٥٧٧ ـ ٦٦٠هـ) رحمه الله تعالى.

(٣) في (ط): إلا أن تكون.

(٤) في (خ): ما قال.

(٥) أخرجه الرافعي في «تاريخه» ٢٥٧/١، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال الألباني: ضعيف. انظر «السلسلة الضعيفة» ٢٤٨/٧.

أهدى له حمل تين[1] أو ماء تين[2].

ولا ينبغي أن يهدي الإنسان لمبتدع أو ظالم هدية لإكرامهما، أو لما يؤمل منهما من العطية، وله أن يكرمهما خوفًا أن يصيبه من جهتهما مصيبة أو بلية. فإن لم يخف يعرض عنهما؛ لأن الله تعالى قد أعرض عنهما لخروجهما عن طريق خير البرية، ولدخولهما في الأفعال الردية. كان لبعضهم شجرة تين تطرح التين في غير أوانه، فعبَّى طبق تين، وأهداه لبعض الظلمة، وجلس على بابه ينتظر شيئًا من عطائه، وإذا بنائب ذلك الظالم جاء له بجماعة يضرب رقابهم. فعدوهم عند الباب فنقص منهم واحد. فربطوا صاحب التين مكانه، فلما دخلوا بهم على الأمير وطلب السيف، صرخ صاحب التين وقال: أنا صاحب التين. فقال: ما حملكم على مسك[3] هذا؟ قال: هرب من الجماعة واحد فكملناهم به خوفًا منك. فأمر بإطلاقه وقال لصاحب التين: تمنَّ عليَّ. قال: أريد ثلاثة دراهم. فقال: ويحك تمن. قال: ما أريد غيرها، ولو كنت أملكها ما طلبت منك شيئًا. فقال: وما تصنع بالثلاثة؟ قال: أشتري به ما أقطع به الشجرة التي كانت السبب في معرفتي لك.

ودخل متولي المدينة على حاتم الأصم وقال له: يا شيخ تمنَّ عليَّ! قال الشيخ: أتمنى عليك أن لا تراني ولا أراك.

وقال الواحد القهار: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود : ١١٣]. فالنار لمن جالسهم. فكيف يكون حالهم هم؟ وله باب في غير هذا المكان، وبالله المستعان.



---

(١) في (ط): تبن.

(٢) في (ط): ما بين.

(٣) في (ط): إمساك.



فصل فيما يبتدع في قراءة القرآن

اعلم - رحمك الله تعالى - أنَّ قراءة القرآن العظيم عبادة، وهي من جملة التوفيق والسعادة؛ لأن القارئ حبيب لعالم الغيب والشهادة. وقد أدرجت النبوة بين كتفيه، إلا أنه لا يوحى إليه، ويقال له يوم القيامة: اقرأ وارقَ! فيصعد إلى أعلى الدرجات، وله بقراءة كل حرف عشر حسنات، فيحصل له هذا الخير والمنة، إذا كانت قراءته موافقة للكتاب والسنة، فإن قرأه جُنُبًا، أو زاد فيه، فهذه القراءة تخرجه عن السنة، وفي جهنَّم تهويه[1]، كمدٍّ بعض جهلة القراء[2] في مكانٍ لا مدَّ فيه، فيزيد في كلام الخالق؛ فينقص عند الله هذا الجاهل الفاسق، فإن رضي بهذه البدعة الحاضرون فكلهم في الإثم واقعون، وعن الشرع الشريف خارجون، والتكرار يسقطهم من عين الواحد القهار إلا أن يكون بخشوع وتدبر، وبغير زيادة عن المقدار، فحينئذٍ يبلغ العبد بقراءته إلى منازل الأخيار، ويكون من أهل الله تعالى وخاصته، كما جاء في الأخبار عن النبي المختار الكامل الأنوار، صلوات الله تعالى عليه وسلامه آناء الليل وأطراف النهار.

---

(١) في هذا الإطلاق مجازفة، فجواز قراءة القرآن للجنب مذهب جماعة من الأئمة، وقد أخرج ابن المنذر في «الأوسط» (٦٢٢): عن عكرمة، عن ابن عباس: أنه كان يقرأُ وِرْدَهُ وهو جنبٌ.

قال ابن حجر في «تغليق التعليق» ١٧٢/٢: وإسناده صحيح.

وهذا بخلاف من زاد فيه أو نقصَ منه أو حرَّفه عالمًا عامدًا فهو مستحقٌّ للوعيد.

(٢) في (ط): القراءة.

ومن جملة البدع ما يفعله بعض الإخوان من ترك القرآن قبل تمام السورة، ثم يأخذون في تجديد الأحزان بنشدهم[(١)] الأشعار، وبرواياتهم الأخبار. كل ذلك لأجل حطام هذه الدار: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾؛ وذلك لخروجهم عن طريق النبيِّ المختار، والصحابة الأخيار، ومن تابعهم من المؤمنين الأبرار. والنار لمن ابتدع وجار، وقد صحَّ أن النبي ﷺ نهى عن تجديد الأحزان[(٢)]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]. فأطع ربك بسماعك من نبيك أيها الإنسان.

ثم اعلم بأنه يجوز ترك القراءة قبل تمام السورة، إذا سأل العبد ربه الجنة عند ذكر الجنة، وكذلك التعوذ من النار، وأن يدخله في شفاعة النبي المختار.

وله أن يسأل الله تعالى الاستقامة، وأن يؤمنه من فزع يوم القيامة، وهذا ما يناسبه له أصل في الشرع، فإن قرأ رجل بصوت حسن فقال جاهل: والله طيبٌ. ما مراده إلا الصوت والأنغام، وعليهما يطرب العوام،

---

(١) في (ط): بإنشادهم.

(٢) لم أجد حديثًا بهذا النَّهي، أما حديث: «لا عزاءَ فوق ثلاث» الذي يتداوله العوام: فلا يُعرفُ له أصل؛ كما قال الألباني في «أحكام الجنائز» ٢٠٩. والذي صحَّ هو النهيُ عمَّا يمكن أن يجدِّد الأحزان ويثيرها أو يديمها، من ذلك: حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: كنَّا نعدُّ ـ وفي رواية: نرَى ـ الاجتماع إلى أهل الميت، وصنيعةَ الطعام بعد دفنه من النياحة.

أخرجه أحمد ٢٠٤/٢ (٦٩٠٥)، وابن ماجه (١٦١٢). قال الألباني في «أحكام الجنائز» ٢١٠: وإسناده صحيح على شرط الشيخين، وصححه النووي والبوصيريُّ. قال النووي في «المجموع» ٣٠٦/٥: «وأما الجلوس للتعزية، فنص الشافعي والمصنف وسائر الأصحاب على كراهته، قالوا: يعني بالجلوس لها أن يجتمع أهل الميت في بيت فيقصدهم من أراد التعزية، قالوا: بل ينبغي أن ينصرفوا في حوائجهم فمن صادفهم عزاهم، ولا فرق بين الرجال والنساء في كراهة الجلوس لها». ونصُّ الإمام الشافعي الذي أشار إليه النووي هو في كتاب «الأم» ٢٤٨/١: «وأكره المآتم، وهي الجماعة، وإن لم يكن لهم بكاء، فإن ذلك يجدِّد الحزن، ويكلِّف المؤنة، مع ما مضى فيه من الأثر». (ت)

فإن كانت القراءة خارجة عن السنة والسامع عالمٌ بذلك، ثم قال: والله طيبٌ! فيفسق القارئ والسامع. فإن كانت القراءة ملحونة مبدَّلة فقال السامعُ: والله طيبٌ. وهو عالم بذلك اختلف العلماء في السامع، وقال بعضهم: يكفُر ويكفُر القارئ أيضًا، إذا تعمَّد اللحن والتبديل. والله سبحانه أعلم بالجملة والتفصيل.

وأشد تحريمًا ممن تقدم ذكرهم من الإخوان: إجلاس الأمرد الحسن الوجه والنغم في صدر المكان، ثم يجلس الرجال حوله فيقرؤون القرآن، ويزيدون في كلام الرحمٰن، ويساعدون الصبي في طلوعه ونزوله وينظرون إليه، فيشاركون في الإثم والعدوان: الصبي ومن تابعه، ومن نظر إليه بعين شهوة، ومن كان السبب في جمعهم، ومن حضر من المستمعين في ذلك المكان، والقراءة إذا كانت على هذه الصفة تحيط بها البدع ولا تصل إلى الميت، ولا يؤجر القارئ والسامع، ويخاف على من أصر على هذه البدع وجعلها له عادةً أن يحرم عند الموت الخير والشهادة.

ومن البدع المخالفة للسنة والكتاب، القراءة بين يدي الجنازة، وفي الأسواق، وعلى الأبواب، وكذلك الجهر بالقراءة في الطريق، والحمام، وفي مجالس الفُسَّاق، وعند قومٍ لا يستمعون كلام الواحد الخلاق.

وأكثر ما يقال في هذا الكتاب[1] هو من البدع المستجدة مما شاهدناه، وما شَهِدنا إلا بما علمنا، والزمان باقٍ والتكليف قائم، وأيُّ قرنٍ أو عصرٍ يخلو بلا بدع؟

وقد قال ﷺ لأصحابه: «**من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا**»[2]، وقال: «**المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر مئة شهيد**»[3].

---

(١) (ق): هذا الباب.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٤١٤)، وأبو نعيم في «الحلية» ٨/٢٠٠. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١/٤١٨: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن صالح العدوي ولم أر مَن ترجمه وبقية رجاله ثقات. وذكره الألباني في «الضعيفة» (٣٢٧).

وفي حديث آخر: «**يأتي على أمتي زمان يكون القابض على دينه كالقابض على الجمر**»[1].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كيف أنتم إذا ظهرت فيكم البدع، وعمل بها حتى يربُو فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، ويسلم فيها الأعاجم، حتى يعمل الرجل بالسنة فيقال بدعة. قالوا: متى ذلك يا أبا عبد الرحمٰن؟ قال: إذا كثرت أمراؤكم وقلت أمناؤكم، وكثرت قراؤكم، وقلت فقهاؤكم، وتفقه لغير الدين، وأبيعت الدنيا بعمل الآخرة[2].

فيجب على المسلم أن يتبرأ من أصحاب البدع؛ لأن النبي ﷺ تبرأ منهم.

قال يونسُ بن عبد الأعلى: قلت للشافعيِّ: إنَّ الليث بن سعد يقول: لو رأيتُ صاحبَ بدعة يمشي على الماء ما قَبِلته. فقال الشافعي: قَصَّرَ، لو رأيتُه يمشي على الهواء ما قَبِلته[3].

---

(١) أخرجه الترمذي في «جامعه» (٢٢٦٠)، وابن عدي في «الكامل» (١٢٢٩). من حديث أنس بلفظ: «**يأتي على الناس زمان الصابر منهم على دينه كالقابض على الجمر**».
قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وعمر بن شاكر شيخ بصري قد روى عنه غير واحد من أهل العلم. قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٩٥٧): وهو ضعيف كما في «التقريب». لكن الحديث صحيح، فإن له شواهد كثيرة.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٠٧٤٢)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٨٣١١)، والدارمي في «سننه» (١٨٥، ١٨٦)، والحاكم في «المستدرك» ٥١٤/٤ ـ ٥١٥. من حديث ابن مسعود بلفظ: «كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير، ويربو فيها الصغير، ويتخذها الناس سنة..».
وقال أبو نعيم في «الحلية» ١٣٦/١: رواه محمد بن نبهان مرفوعًا والمشهور من قول عبد الله موقوف.
وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١١١): صحيح لغيره موقوفًا.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «آداب الشافعي»: ١٨٤، والبيهقي في «مناقب الشافعي» ٤٥٣/١. وذكره ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» ٤٦٦/١١.

وقال الشيخ أبو مدين[(١)] ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ: مخالطة أهل البدع تُميت القلب؛ من كان فيه أدنى بدعة، احذر مجالسته لكي لا يعود شؤمها عليك ولو بعد حين.

وقال ﷺ لبعض أصحابه: «**لا تصحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقيٌّ**»[(٢)].

وأهل البدع هم أشقياء لا أتقياء، فسيندم من صحبهم يوم القيامة ندمًا طويلاً، ويقول: ﴿يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٧].

وقال ﷺ: «**يموت المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»[(٣)].

وفي حديث آخر: «**إذا أراد الله بعبد خيرًا رزقه الله جليسًا صالحًا، إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه**»[(٤)].

---

(١) أبو مدين هو الشيخ الصوفي شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني (ت: ٥٩٤هـ)، أصله من الأندلس. أقام بفاس، وسكن بجايةَ، وكثر أتباعه حتى خافه السلطان يعقوب المنصور. وتوفي بتلمسان، وقد قارب الثمانين أو تجاوزها.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣٨/٣ (١١٣٣٧)، والدارمي في «سننه» (٢٠٥٧)، وأبو داود في «سننه» (٤٨٣٢)، والترمذي في «الجامع» (٢٣٩٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٥٤).

قال أبو عيسى: هذا حديث غريب.

وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٣٤١).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣٠٣/٢ (٨٠٢٨)، ٣٣٤/٢ (٨٤١٧)، وعبد بن حميد في «مسنده» (١٤١٣)، وأبو داود في «سننه» (٤٨٣٣)، والترمذي في «جامعه» (٢٣٧٨). من حديث أبي هريرة. بلفظ: «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**».
قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. وقال الألباني في «الصحيحة» (٩٢٧) و«المشكاة» (٥٠١٩): حسن.

(٤) لم أجده بهذا اللفظ، وأخرجه أحمد في «مسنده» ٧٠/٦ (٢٤٤١٤)، وأبو داود في «سننه» (٢٩٣٢)، والنَّسائي في «المجتبى» ١٥٩/٧(٤٢٠٤)، وفي «الكبرى» (٨٧٥٢) من حديث عائشة بلفظ: «**من ولي منكم عملاً فأراد الله به خيرًا جعل له وزيرًا صالحًا**=

والآدمي ضعيف، ويصحب شيطانًا من شياطين الإنس، فيزين له القبيح ظاهرًا، وشيطان الجن باطنًا، فيوقعانه في البدع والمخالفة، فيبعده الله من رحمته فتهلك هذه النفس الخبيثة التالفة؛ لأن النفس خبيثة، ثقيلة، ولذلك يعصي الله تعالى ويخالف أوامره الجليلة، فيصحب ثقيلاً آخر، فتصير نفسه فاجرة، وينسى الله تعالى والدار الآخرة.

قال بعض العلماء: اطلعت على ثمانية آلاف عيب في نفس ابن آدم، فهي مأوى كل شرٍّ، مشُومة[1] في الطاعة، فكيف إذا عصت؟ كثيرة الخداع والتلون، تفرحك بالطاعة في أول النهار، وتحزنك بالمعصية في آخره، تراها في وقت رجعت إلى الله تعالى تائبةً، وفي وقت قد أعرضت مدبرةً هاربةً؛ كثيرة الألوان، أكثر تلونًا من حرباء، وأروغ من ثعلب، وأنوم من فهد، وأدْخَس[2] من حمار، هذا بعض صفاتها، ولا يعلم حقيقتها إلا الله تعالى الواحد القهار، خالقها وموجدها[3].

وقد أخبر عنها بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣]، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]. تجرها للطاعة تجرك للمعصية، تحب ما يبغضه الله تعالى وتكره ما يحبه الله، وهي قرينة الشيطان؛ تتكاسل في الطاعة، وتسارع في العصيان. تراها في الشبع كالسبع الكثيف، وفي الجوع كالطفل الضعيف. وفي الغضب مثل الملوك والجبابرة. وفي الشهوة مثل البهيمة، وفي الخوف مثل الهرة، وفي الأمن مثل النمر والأسد. ومن سوء عادتها تخاف الفقر ولا تخاف الله تعالى وأليم عذابه، وهي مسخرة

= **إن نسي ذكره...»**. ولفظ: «**إذا أراد الله بالأمير خيرًا جعل له وزير صدق إن نسي ذكره...»**. قال الألباني في «الصحيحة» (٤٨٩): هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، وقد صرح بقية بالتحديث فأمنًا بذلك شر تدليسه.

(١) كذا، وأصلها: مشؤومة. أي تجرُّ الشؤم.

(٢) دخس لحمه دخسًا اكتنز، أصابه الدخس فهو دخس. ويقال: فرس دخس به عيب. انظر: «المعجم الوسيط» ١/٢٧٤.

(٣) لم أجده.

للشيطان[1]، ولها أعوانٌ وأنصار؛ مثل الدنيا وزهرتها والهوى والشيطان. ولكل واحد من أعوانها جنود ووفود، وخيل وحشم من زينة الحياة الدنيا؛ مثل كثرة النوم والأكل والضحك وحكايات أبناء الدنيا وسلاطينها، وأفعال عشاقها وشياطينها، وحب الغنى والدنيا والكبر، والحسد والغيبة والنميمة، والعداوة والمدح لهذه النفس اللئيمة[2]، وارتكاب المعاصي والملاهي، والاشتغال بكل ما لا يعنيها، وبجمع المال، وطول الأمل، والتهاون في صالح العمل، والأمر بالمنكر، والنهي عن المعروف، وقلة الحياء من المولى الرؤوف، والتمنِّي والغرور، واللهو والسرور، وشهادة الزور، ونسيان الموت والقيامة والنشور، والعادات[3] والتجارات، وتحسين القبيح، وهتك الستر، ومجاوزة الحدِّ، وإنكار الحق، وتعظيم أبناء الدنيا، وتحقير أبناء الآخرة.

هذه الأشياء من بعض صفات النفس الأمارة بالسوء. فمن أراد الله تعالى له بخير بصره بعيوبها، وأعانه على تسخيرها، ومعرفة مكايدها، فيلجمها بلجام الورع والتقوى، ويقيدها بسلاسل الذل والانكسار، وتكليفات الشرع، واتباع النبي المختار ﷺ آناء الليل وأطراف النهار، ويسلط عليها الجوع والعطش والسهر، ويخالفها في كل شيء إلا في الطاعة. ويقتلها بسيف المجاهدة لكي يحيي الله تعالى قلبه بالمشاهدة، ويذمها في جميع أحوالها، ولا يغفل أبدًا عن تأديبها ورياضتها إلى الموت؛ فإنها مشومة إذا أقبلت، فكيف إذا أدبرت؟

ويجعل العقل عقالها والشرع سجنها، والعبادة سجانها، وذكر الموت طعامها وشرابها، وبعد هذا الاحتياط يتضرع العبد المسكين إلى خالقها وموجدها أن يعيذه من كيدها وسوء عاداتها، وغلبتها على عقله.

ومثل العقل والنفس كمثل عدوين، وبيد كل واحد منهما سيف مجرد ينتظر غفلة صاحبه ليقتله، ومَن غُلب سُلب.

---

(١) في (خ): الشيطان.

(٢) في (ط): الذميمة.

(٣) كذا تقرأ في النسخ، وقد تقرأ فيها: (العارات) بالراء، وفي (ط): العاريات.

وقد تقدَّم أن من قتل نفسه بسيف المجاهدة أحيى الله تعالى قلبه بالمشاهدة، فينجو من شرها وكيدها وخداعها. قال الله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٢]، والظلم عليها منعها من الشهوات الفاسدة، واللذات الفانية، والأماني الباطلة، والآمال الكاذبة، وحب العلو والشرف والمال، ويكرهها على اتباع الكتاب والسنة، ويحرضها على ذكر الموت وحب الآخرة، ويخاف من مكرها في الزهد والعبادة. فإن خداعها في الطاعة أكثر من المعصية. وإن لها في الطاعات لشربًا وعيشًا طيبًا، أحب إليها من ركوب المعاصي؛ مثل تزيين الطاعة، ورؤية العبادة، وقيمة العمل، والرياء والنفاق، وحب إقبال الخلق والزيارة[١]، وتقبيل اليد والتبرك، وحسن الصيت، وثناء الخلق، ورغبة الملوك، وتردد أبناء الدنيا، وحضور السماع، وتخريق الخرق والتصنع، وإظهار الصوم والصلاة، وقلة الأكل لرؤية الناس، والبكاء الكاذب، وتحريك الشفة، والإشارة بالعين، والتخشع بلا خشوع القلب، ورؤيا المنامات، ولبس المرقعات، والمؤاخاة[٢]، والحكم على الماضي والمستقبل، والمبالغة في الطاعات عند رؤية العاجزين؛ وإذا خلا توانى في خدمة رب العالمين، والترفع والتصدر في المجالس، وأن يقام بين يديه وهو جالس وكثرة أصحاب الإرادة، وأكل الأطعمة اللذيذة. ويرضى في حالِهِ بنطِّه[٣] في السَّماع؛ بحضور المردان، ونظارة النسوان. ونعوذ بالله من شر النفس والشيطان؛ لأن هذه الأشياء في الحقيقة أشر من شرب الخمر.

---

(١) يعني: أن ينال اهتمام الناس وتعظيمهم له بزيارته والإقبال عليه، وفي (ق): (إقبال الحلق والزنَّارة). وعلَّق صبحي لبيب هنا بقوله: والمقصود حلقات الدراويش والصوفية التي انتقدها التركماني نقدًا مرًا لاذعًا، أما بالنسبة للزنارة واستخدام هذا المصطلح للشدِّ ـ شدِّ الإخوان والفتيان ـ فواضح أن المؤلف قصد الانتقاص منهم.

(٢) في (ق) وتبعه (ط): المواخات. وهو خطأ في الإملاء. والمؤاخاة من بدع الصوفية، وهي غير الأخوة الإيمانية العامة.

(٣) في (ط): (حالة نطِّه). والصواب ما أثبته، فالمقصود أنه يرضى بالنط والرقص لوقوع ذلك أثناء ورود (الحال) عليه أثناء السماع، وهي (حال) صوفية شيطانية بدعية. (ت)

فأفق من سكرتك أيها الإنسان، واعلم أن أهل السماع نزهوه عن حضور الفسقة والنسوان[1] والمردان. وشرطوا له المكان والإمكان والإخوان، وجميع هذه الأقوال والأفعال ليس لها أصل في الشرع، وما أنزل الله بها من سلطان. فلا تستبدل الهوى بالضلالة، والطاعة بالمعاصي والخسران، ونعوذ بالله العظيم من مكابرة العقول، ومخالفة المنقول، ومن تسويل النفس والشيطان.

فانظر رحمك الله تعالى إلى بعض أوصاف النفس الأمارة، ومن أصلح الله نفسه لا يفعل شيئًا يكرهه الشرع، ولا يختاره، ولا يسعى في رضى نفسه، ويخالف نبيه عليه السلام وأخباره[2]، فمن أرضى نفسه أسخط خالقه؛ لرضاه عنها مع فعلها الأشياء التي هي غير لائقة.

ثم اعلم رحمك الله أن أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس، وأصل كل طاعة وعفة ويقظة عدم الرضا منك عنها؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣]؛ ولأن يصحب الإنسان جاهلًا لا يرضى عن نفسه، خيرٌ له من أن يصحب عالمًا يرضى عن نفسه. وأي جهل لعبد لا يرضى عن نفسه؟ وأي علم لعالم يرضى عن نفسه؟

اخرجْ - رحمك الله تعالى - من أوصاف البشرية، عن كل وصف يناقض العبودية لتكون لنداء الحق مجيبًا، من حضرته قريبًا، أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود، عادِ نفسك ووَدَّني[3]. وينبغي أن لا يركن المؤمن لنفسه أبدًا على طول المدى، ولا يغتر بصيامها وقيامها وتكمشها. فهي كالحية إذا أرادت أن تلسع أحدًا تكمشت.

فعدوك معك، فكن على حذر، اسأل الله تعالى اللطف في القضاء والقدر، فليس على العبد المؤمن أضر من نفسه، تراه يجتهدُ في خدمتها

---

(١) في (ط): النسوة.

(٢) في (خ): ويختاره.

(٣) ذكره إسماعيل حقي في «روح البيان» ٨/١٩٢، ٩/٣٨٤.

وتشهّيها في المأكل والملبس، ومن كل ما تريد؛ مع علمه لمخالفتها للمولى المجيد، أرأيت أحدًا يسمِّن عدوه؟ أما سمعت قوله ﷺ: **«إن الله يبغض الحبر السمين»**(١).

نرجع إلى مقصود الكتاب وهو ما ابتدع في القرآن من التطريب والألحان؛ لأنه يشبه الغناء.

قال الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، يعني فصِّله تفصيلاً وبيِّنه تبيينًا، وقد روي أن قراءة سيدنا رسول الله ﷺ كانت مرتلة مبينة حرفًا حرفًا(٢).

وقال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون القراءة بتطريب، وكانوا إذا قرؤوا القرآن قرؤوه حذرًا، مرتلاً، وبحزن(٣).

وقال عبد الله بن عمر: يقال للقارئ يوم القيامة: اقرأ وارق ورتل كما

---

(١) ضعيف: أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٥٩٧)، والطبري في «تفسيره» ٥٢١/١١. من حديث سعيد بن جبير مرسلاً بلفظ: جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: **«أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى، أما تجد في التوراة أن الله يُبْغِض الحَبْر السمين؟»** وكان حبرًا سمينًا، فغضب فقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء! فقال له أصحابه الذين معه: ويحك! ولا موسى! فقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء! فأنزل الله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾ [الأنعام: ٩١].

وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٢٤٩) عن كعب الأحبار، من قوله.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢٩٤/٦، ٣٠٠، ٣٢٣ (٢٦٥٢٦، ٢٦٥٦٤، ٢٦٧٤٢)، وأبو داود في «سننه» (١٤٦٦)، والترمذي في «جامعه» (٢٩٢٣)، والنَّسائي في «المجتبى» ١٨١/٢(١٠٢٢)، ٢١٤/٣ (١٦٢٩) وفي «الكبرى» (١٠٩٥، ١٣٧٥) من حديث أم سلمة بلفظ: ثم نعتت له قراءته، فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفًا حرفًا.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

وقال الألباني في «المشكاة» (١٢١٠)، وفي «ضعيف سنن أبي داود» (٢٦٠)، وفي «ضعيف سنن الترمذي» (٢٩٢٣): ضعيف.

(٣) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال ٢٥٨/١٠.

كنت ترتل في الدنيا[1].

وقال حذيفة رضي الله عنهم أجمعين: إذا قرأتم القرآن فاقرؤوه بحزن، ولا تجفوا عنه، وتعاهدوه، ورتلوه ترتيلاً[2].

وقال محمد بن سيرين: أصوات القرآن محدثة[3].

وقال أبو داود: سمعتُ رسول الله ﷺ يتخوَّف على أمته قومًا يتخذون

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٦٧٩) موقوفًا على عبد الله بن عمرو.
وأخرجه أحمد في «مسنده» ٢/١٩٢(٦٧٩٩)، و«أبو داود» في «سننه» (١٤٦٤)، والترمذي في «جامعه» (٢٩١٤)، والنسائي في «الكبرى» (٨٠٥٦) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً. فما ورد في النسخ: «بن عمر» خطأ، صوابه: «بن عمرو».
قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. وقال الألباني في «الصحيحة» (٢٢٤٠)، وفي «صحيح سنن أبي داود» (١٣١٧): إسناده حسن صحيح، وصححه ابن حبان والحاكم والذهبي.

(٢) لم أجده عن حذيفة، وأخرجه ابن ماجه في «سننه» (١٣٣٧)، وأبو يعلى في «مسنده» (٦٨٩)، والبيهقي في «الكبرى» ١٠/ ٢٣١، من حديث سعد بن أبي وقاص بلفظ: قدم علينا سعد بن أبي وقاص وقد كف بصره، فسلمت عليه. فقال: من أنت؟ فأخبرته. فقال: مرحبًا بابن أخي، بلغني أنك حسن الصوت بالقرآن. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن هذا القرآن نزل بحزن، فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، وتغنوا به، فمن لم يتغن به فليس منا**».
قال الألباني في «الضعيفة» (٦٥١١): ضعيف.
وأخرجه العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١٤٦٢)، وابن الأعرابي في «معجمه» (١٢٨٤) من حديث بريدة بلفظ: «**إن القرآن نزل بحزن، فاتلوه بحزن**».
قال الألباني في «الضعيفة» (٢٥٢٣): ضعيف جدًا.
وذكر الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٨٧٩) حديث: «**إن القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فتحازنوا**»، وقال: أخرجه أبو يعلى وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيفٍ.

(٣) أخرجه ابن وضاح في «البدع» (٤٥)، ومحمد بن نصر المروزي في «قيام الليل» كما في «مختصره» ٧٧، ٨٠.
وذكر أبو يعلى في «طبقات الحنابلة»: قال الأثرم: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل، عَنِ القراءة بالألحان؟ فقال: كل شيء محدثٌ فإنه لا يعجبني، إلا أن يكون صوت الرجل لا يتكلّفه.

القرآن مزامير، يقدِّمون الرجلَ يؤمهم، ليس بأفقههم، ليس إلا ليغنِّيهم[1].

وقال سليمان: خطبنا علي رضي الله عنه فذكر خطبة له طويلة وذكر فيها فتنة وقال فيها: تضيع حقوق الرحمٰن، ويتغنَّى بالقرآن ذو الطرب والألحان[2].

فهذه الأشياء ابتدعوها وما أنزل الله بها من سلطان. فالتالي منهم والسامع لا يقصدون فهم معانيه. من أمر، أو نهي، أو وعد ووعيد، وما يخوفهم ويقربهم للمولى المجيد. بل يقصدون اللذة والطرب، والنغمات والألحان كنقر الأوتار، وأصوات المزامير، وبالله المستعان.

وأولياء الله تعالى يسمعون كلام الله سبحانه بالتدبر، والخشوع، والخوف، والوجل، لكي يؤجروا، وليرزقهم الله سبحانه حسن الخاتمة عند فروغ الأجل.

قال ربُّ الأرباب: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩]، وقال الواحد المنان: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [محمد: ٢٤]. وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]. وهذه الآيات تمنع أن يقرأ الإنسان بما يشبه الأغاني المطربة، والألحان؛ لأن ذلك يثمر ضد[3]

---

(١) كذا ورد في النسخ، وهو وهم. ومراده ما أخرجه أحمد في «مسنده» ٣/٤٩٤ (١٦٠٤٠) والطبراني في «الكبير» ١٨/٣٤ (٥٨)، و«الأوسط» (٦٨٥)، والحاكم في «المستدرك» ٣/٤٤٣، من حديث عبسٍ الغفاريِّ (ويقال: عابس) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بادروا بالأعمال خصالاً ستًّا: إمرة السفهاء، وكثرة الشرط، وقطيعة الرحم، وبيع الحكم، واستخفافًا بالدم، ونشوًا يتَّخذون القرآن مزاميرَ، يقدمون الرجل ليس بأفقههم ولا أعلمهم، ما يقدمونه إلا ليغنِّيهم**».

وأخرجه أبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٤٣٧) بإسناد ضعيف عن عابس الغفاري، عن أبي ذرٍّ، فذكره. والحديث صححه الألباني في «الصحيحة» (٩٧٩).

(٢) لم أجده.

(٣) في (ط): منه.

الخشوع والخوف والوجل، وكذلك قوله تعالى: ﴿تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ﴾ [المائدة: ٨٣]، بكوا لما عرفوا من معانيه، لا من نغمات القارئ، وإياك أن تغتر بقوله ﷺ: «**ليس منَّا من لم يتغن بالقرآن**»[١]. تفسيره: الاستغناء. هكذا رواه البخاري. وقال سفيان[٢]، وأبو عبيدة[٣]: وهو من الاستغناء يستغنى به. وكذا جاء في اللغة، وإنه لكنز عظيم، يغني صاحبه يوم القيامة غنى لا فقر بعده، وينجيه من عذابٍ أليم.

وقال ﷺ: «**حسنوا أصواتكم بالقرآن**»[٤].

وتفسيره: اقرؤوه ترتيلاً[٥] مبينًا، بلا زيادة ولا نقصان. وهذا لا حجة فيه لمن يقول بالنغمات والألحان، فيستحب تحسين الصوت وهو الترتيل والخوف والتحرز مما تقدم ذكره؛ لما روي قال: سئل أنس: كيف كانت قراءة النبي ﷺ؟ فقال: كان يمد مدًا. ثم قرأ بسم الله الرحمٰن الرحيم، يمد

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٢٧). من حديث أبي هريرة.
وأخرجه أحمد في «مسنده» ١/١٧٢(١٤٧٦)، والدارمي في «سننه» (١٤٩٠)، وأبو داود في «سننه» (١٤٦٩) من حديث سعد بن أبي وقاص.
وقوله: (وإياك أن تغتر...)؛ ليس بلائق، وكان ينبغي أن يقول مثلاً: وإياك أن تسيء فهم قوله ﷺ.

(٢) هو سفيان بن عُيينة، أخرجه البخاري في «الصحيح» (٥٠٢٣): قال سفيان: تفسيره يستغني به.

(٣) كذا في النسخ، وصوابه: «أبو عُبيد»، وهو أبو عُبيد القاسم بن سلَّام الهروي (ت: ٢٢٤)، وذكر هذا في كتابه: «غريب الحديث» ٢/١٤٢.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٥٦١) موقوفًا على عمر، وذكره ابن الملقن في «البدر المنير» ٩/٦٣٩ عن ابن عباس رفعه. وأخرجه الدارمي في «سننه» (٣٥٠١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢١٤١) من حديث البراء بلفظ: «**حسنوا القرآن بأصواتكم...**».
قال الألباني في «صحيح الجامع» (٣١٤٥): صحيح.
وأخرجه أحمد في «مسنده» ٤/٢٨٣(١٨٤٩٤)، والدارِمي في «سننه» (٣٥٠٠)، وأبو داود في «سننه» (١٤٦٨)، وابن ماجه في «سننه» (١٣٤٢)، والنَّسائي في «المجتبى» ٢/١٧٩(١٠١٥)، وفي «الكبرى» (١٠٨٨) من حديث البراء بلفظ: «**زينوا أصواتكم بالقرآن**». قال الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٣٢٠): إسناده صحيح، وصححه ابن حبان والحاكم والذهبي وابن كثير.

(٥) في (ط): مرتلاً.

باسم الله، ويمد بالرحمٰن، ويمد بالرحيم[1].

فيجب على القارئ أن يتبع هذا النبي الكريم، ويقرأ بالترتيل والتعظيم، ويحل حلاله، ويحرم حرامه، ويؤمن بمتشابهه.

قال بعض أهل العلم والصلاح: والله ما آمن بالقرآن من استحل محارمه[2].

وقال الحسن البصري: لقد قرأ هذا القرآنَ عبيدٌ وصبيان لا علم لهم بتأويله، وحفظوا حروفه، وأضاعوا حدوده. يقول أحدهم: لقد قرأت القرآن كله ما وَضَعتُ منه حرفًا واحدًا. ولقد وضعه كلَّه، واللهِ ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٦٨]. وإقامتها: فهم معانيها، والعمل بما فيها. فمَثَل من يقرأ القرآن ولم يفهم معانيه، ولا يعمل بما فيه، كمثل حمار يحمل أسفارًا[3].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ١١٩/٣(١٢٣٤١)، والبخاري في «صحيحه» (٥٠٤٥، ٥٠٤٦)، وأبو داود في «سننه» (١٤٦٥)، وابن ماجه في «سننه» (١٣٥٣)، والترمذي في «الشمائل» (٣١٥)، والنسائي في «المجتبى» ١٧٩/٢(١٠١٤)، وفي «الكبرى» (١٠٨٧).

(٢) وقد ورد هذا مرفوعًا: أخرجه الترمذي في «جامعه» (٢٩١٨)، والبزار في «مسنده» (٢٠٨٤)، والطبراني في «الكبير» ٣١/٨ (٧٢٩٥)، و«الأوسط» (٤٣٦٦) من حديث صهيب.

قال أبو عيسى: هذا حديث ليس إسناده بالقوي.

وقال أبو حاتم في «العلل» (١٦٤٧): هذه كلها منكرة، ليست فيها حديث يمكن أن يقال إنه صحيح، وكأنه شبه الموضوع.

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٧٩٣)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (٣٠٦)، والفريابي في «فضائل القرآن» (١٦٠)، والخطيب في «اقتضاء العلم العمل» (١٠٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٤٢٥)، والآجري في «آداب حملة القرآن» (٣٢)؛ عن الحسن البصريِّ رحمه الله، قال: إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان، لا علم لهم بتأويله، ولم يتأوَّلوا الأمر من أوَّله، قال الله عز وجل: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩]، وما تدبُّر آياته إلا اتِّباعُه ـ واللهِ ـ بعلمه، أما ـ واللهِ! ـ ما هو=

وقراءة آية يتدبرها الإنسان ويعمل بها، خير له من قراءة ختمة بغير تدبر ولا عمل، وقد شبه الواحد القهار هذا القارئ وأمثاله بالحمار الذي يحمل على ظهره الكتب والأسفار. قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥].

ونسأل الله سبحانه أن لا يجعلنا ممن رضي بالعلم دون العمل، وبالقول دون الفعل. فالعلم بغير عمل كقوس حسن بغير وتر، أو كسحاب كثير بغير مطر، أو كشجر غزير بغير ثمر. والقول بغير فعل أشد بلاءً، وصاحبه على خطر. ونسأل الله تعالى اللطف فيما قدره، وأن يجعلنا ممن ينزجر بزواجر القرآن ويتبع أوامره.

فالنفوس قد ترامت على البدع، وهي عن السنة نافرة، والقلوب غافلة غير حاضرة، والأعين لا تعتبر، وللحرام ناظرة، والألسن قد شغلت بكلام الدنيا وعيوب أهلها، وليست بذاكرة، والأبدان لا شاكرة ولا صابرة، ولا عاملة على رضى مَنْ هي إليه صائرة، فالأذن لا تسمع، والقلب لا يخشع، والعين لا تدمع، والبطن لا تشبع، والسلعة بائرة، والأحوال قد حرمت الاستقامة؛ وهي حائرةٌ. وكذلك الأفعال والأقوال قد خالفت السنة المباركة الطاهرة، ونسأل الله العظيم الاستقامة والخاتمة بقدرته القاهرة، وما ذلك بعزيز على من يحيي العظام الداثرة.

ثم اعلم بأن فضل القرآن ومن تعلمه، وعلمه بغير منة ولا ملالة، لا يعلمه إلا الله سبحانه. قال ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه**»[1]. وفي

= بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: قد قرأت القرآن كله، فما أسقطت منه حرفًا، وقد ـ واللهِ! ـ أسقطه كله، ما يرى له القرآن في خلق ولا عمل، حتى إن أحدهم ليقول: إني لأقرأ السورة في نفسٍ، والله ما هؤلاء بالقراء، ولا العلماء، ولا الحكماء، ولا الورعة، متى كانت القراء تقول مثل هذا؟ لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء.

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ١/٥٨(٤١٢)، والدارمي في «سننه» (٣٣٣٨)، والبخاري في «صحيحه» (٥٠٢٧)، وأبو داود في «سننه» (١٤٥٢)، وابن ماجه في «سننه» (٢١١)، =

حديث آخر: «**فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه**»[1].

وهو حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه، ولا تحصى غرائبه: من قال به صدق، ومن عمل به أجر. ومن حكم به عدل، ومن اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم، ومن سنة القراءة أن يكون عزم القارئ إيناس وحشة البلوى، وجلاء كربة الدنيا، والشوق للقاء المولى، ومعرفة أحكام العبودية، وضبط آداب الخدمة، فمن قرأه كذلك كان إمامه وشفيعه وحجة له، ومن أعرض عن هذه المواجب وتركه خلفه ساقه إلى النار؛ وكان حجة عليه يوم يوقفه الحق بين يديه؛ لأن القرآن العظيم لم ينزل إلا لتدبر آياته ومعانيه، والعمل بجميع ما فيه.

قال قتادة رضي الله عنه: لم يجالس هذا القرآن أحدٌ إلا قام عنه بزيادة أو نقصان، قضى الله قضاءً: جعله شفاء ورحمة للمؤمنين، ولا يزيد الظالمين إلا خسارًا[2].

وفي الحديث: «**إن الماهر بالقرآن مع الكرام البررة، ومن قرأه وهو عليه شاق فله أجران**»[3] وَ: «**مَنْ استظْهَرَ القرآنَ منزلتُه في أعلى الجِنان،**

= والترمذي في «جامعه» (٢٩٠٧، ٢٩٠٨)، والنسائي في «الكبرى» (٨٠٣٧). من حديث عثمان.
وأخرجه الدارمي في «سننه» (٣٣٣٧)، والترمذي في «جامعه» (٢٩٠٩) من حديث علي.

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٠١٥)، وعبد الله ابن أحمد في «السنة» (١٢٨) من حديث أبي سعيد. والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٠٨)، وفي «الأسماء والصفات» (٤٩٤)، وعبد الله ابن أحمد في «السنة» (١٢٩) من حديث أبي هريرة.
قال البيهقي: تفرد به عمر الأبح، وليس بالقوي. وقال الألباني في «الضعيفة» (١٣٣٤): ضعيف.

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٧٨٨)، والبغوي في «تفسيره» ١٢٣/٥، وفي «شرح السنة» ٤٣٧/٤.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ٤٨/٦ (٢٤٢١١)، والدارمي في «سننه» (٣٣٦٨)، والبخاري في «صحيحه» (٤٩٣٧)، ومسلم في «صحيحه» (٧٩٨) (٢٤٤)، وأبو داود في «سننه» (١٤٥٤)، وابن ماجه في «سننه» (٣٧٧٩)، والترمذي في «جامعه» (٢٩٠٤)، والنسائي في «الكبرى» (٨٠٤٥)؛ من حديث عائشة رضي الله عنها.

ويخفِّف عن والديه العذابُ، ولو كانا مشركينَ»[1].

ومن السنة أن يميز القارئ من بين أشكاله وأمثاله وأخلاقه وأفعاله، بحمل الأذى وترك الردى، ووجود الراحة.

وكان القارئ يعرف بين الصحابة بصفرة لونه، ونحول جسمه، وكثرة بكائه، يبكي إذا الناس يضحكون، ويحزن إذا الناس يفرحون، ويصوم إذا الناس يفطرون، للناس حالٌ وله حالٌ[2].

ومن أدب القراءة أن يتخلَّل القارئ ويستاك، ويتجمل بثيابه ويتطيب، ويستقبل القبلة، ولا يقرأ متكئًا ولا مستندًا، ولا ممدود الرجل، ويمسك عن القراءة إذا تثاءب، وإذا بدأ بقراءة سورة لم يقطعها حتى يختمها، ولتكن أطرافه وسماعه عند القراءة ساكنة، لا يضرب فخذه، ولا يمزق ثوبه، ولا

---

(١) علَّقه بهذا اللفظ أبو الليث السمرقندي في «تنبيه الغافلين» ١٥٠، فقال: وروى يزيد بن أبي حبيب، عن النبي ﷺ أنه قال: .. فذكره. وهذا مرسلٌ ضعيف، إن صحَّ الإسناد إلى يزيد بن أبي حبيب، فإنه ثقة فاضل من صغار التابعين، لكني لم أجده مسندًا، وأصله ما أخرجه ابن حبان في «المجروحين» ٢/٣١٠، من طريق محمد بن المهاجر، عن أبي معاوية، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «من حفظ القرآن نظرًا خفف عن أبويه العذاب وإن كانا كافرين».

قال ابن حبان: محمد بن المهاجر: يضع الحديث على الثقات، ويقلب الأسانيد على الأثبات، ويزيد في الأخبار الصحاح ألفاظًا زيادة ليس في الحديث.

وقال الذهبي في «الميزان» (٨٢١٨): محمد بن مهاجر، شيخ متأخر وضَّاع. هو الطالقاني. يعرف بأخي حنيف. يروى عن أبي معاوية وغيره. كذَّبه صالح جزرة وغيره.

وذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» ١/٢٥٤، والذهبي في «تلخيص كتاب الموضوعات» (١٥٤)، والسيوطي في «اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» ١/٢٢٣، وابن عراق في «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة» ١/٢٩٢. (ت)

(٢) في هذه الأوصاف بعض المبالغة، وإنما ظهرت هذه الأحوال فيمن هم بعد الصحابة، وأظهر ما تكون في الخوارج المارقة العُبَّاد القُرَّاء الذين قاتلهم الصحابة تنفيذًا لأمر النبي ﷺ. (ت)

يصيح، ولا يلطم خده؛ فقد كانت الصحابة أخشع الناس قلوبًا، وأرق أفئدة، ولم ينقل عنهم أنهم فعلوا شيئًا من ذلك. وليفرغ القارئ قلبه ليتدبر آياته، وللوقوف على معانيه، ويرى كأنه يتلى عليه الوحي، أو كأنه سمعه من رب العالمين كفاحًا، أو يقرؤه على حال من يراه الله تعالى. فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

ليكن القارئ طاهرًا من الحدث، ويزين القرآن بصوته، فإن حلية القرآن الصوت الحسن، وحسنه أن يرى السامع له أنه يخشى الله تعالى بغير زيادة حرف ولا نقصان حرف؛ لكي لا يخرج عن سنة النبي ﷺ، وهو بإجماع المسلمين حرام.

ويقرأ بحزن ووجد، فإن لم يكن له حزن فليتشبه بالحزين وبالباكي؛ قال المولى: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [البقرة: ٢٦٥]، وقال ﷺ: «**يا أيها الناس ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا**»[١]، أمرهم بالتشبه لأن من تشبه بقوم حشر معهم، وكذلك قال ﷺ: «**من تشبه بغيرنا فليس منا**»[٢].

ويجتنب الإنسان أصوات الفسقة الذين يحرفون القرآن، ويدخلون فيه الزيادة والنقصان؛ لأن ذلك فتنة على القارئ والسامع، ولا يصل إلى الميت.

ويستعيذ القارئ بالله تعالى أن لا يلقى في قراءته شرًّا وفتنة. ثم يستعيذ من الشيطان الرجيم، ثم يسمي الله تعالى ويستعين به على حفظ معانيه،

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «مسنده» (١٢٥)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤١٣٤)، والبغوي في «شرح السنة» ١٥/٢٥٣؛ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
قال الألباني في «الضعيفة» (٦٨٨٩): وهذا إسناد ضعيف، أو ضعيف جدًّا؛ يزيد الرقاشي ـ هو: ابن أبان وقد ـ ضعفوه.
وأخرجه ابن ماجه في «سننه» (٤١٩٦) من حديث سعد بن أبي وقاص بلفظ: «**ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا**».
وإسناده ضعيف، كما بيَّنه الألباني في «الضعيفة» (٦٥١١) و(٦٨٨٩).

(٢) سبق تخريجه.

ورعاية حقوقه، والقيام بموجبه، ولا يرفع صوته جدًّا، وخفض الصوت أولى لخشوع القلب، ولجمع السِّر والعقل، ولبعد الرِّياء والسُّمعة.

وقد ورد في الحديث الصحيح: «**المُسِرُّ بالقرآن كالمُسرِّ بالصدقة**»[1].

وروي: أنَّ صدقة السِّر تضاعف على صدقة العلانية بسبعين ضعفًا[2]. فإن لم يخف الرِّياء والسُّمعة فالجهر أفضل عند بعضهم بشرط[3] أن لا يؤذي غيره من مصلٍّ أو نائم، أو طائف.

واستدل بأن الجهر أكثر عملاً؛ ولأنه يوقظ قلب القارئ ويجمع همه وسمعه إليه، ويطرد نومه وينشطه، ويوقظ غيره من نائم وغافل متى حصل في النية هذا وأمثاله، فالجهر أفضل، ويسأل الله تعالى عند آية الرحمة، ويتعوذ به عند آية العذاب، ويسبح الله تعالى عند ذكر جلاله وعظمته وكبريائه؛ لأن النبي ﷺ كان يفعل ذلك[4].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ١٥١/٤، ٢٠١ (١٧٣٦٨، ١٧٤٤٤)، وأبو داود في «سننه» (١٣٣٣)، والترمذي في «جامعه» (٢٩١٩)، والنسائي في «المجتبى» ٨٠/٥ (٢٥٦١)، وفي «الكبرى» (٢٣٤٢) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.
قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.
وقال الحاكم في «المستدرك» ٥٥٤/١: حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.
وقال الألباني في «صحيح أبي داود» (١٢٠٤): إسناده صحيح. وصححه ابن حبان، وحسنه الترمذي.

(٢) أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» ٨٧/٤، والطبري في «تفسيره» ٥٨٣/٥ من حديث ابن عباس بلفظ: «... **فجعل الله صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفًا**». والديلمي في «مسند الفردوس» (٣٢٣٦) من حديث أبي هريرة بلفظ: «... **وصدقة في السر أفضل من سبعين صدقة في العلانية**».
قال الألباني في «ضعيف الجامع» (٣١٢٧): موضوع.

(٣) في (ط): بحيث.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣٨٢/٥، ٣٨٤ (٢٣٢٤٠، ٢٣٢٦١)، والدارمي في «سننه» (١٣٠٦)، ومسلم في «صحيحه» (٧٧٢)، وأبو داود في «سننه» (٨٧١)، وابن ماجه في «سننه» (١٣٥١)، والترمذي في «جامعه» (٢٦٢، ٢٦٣)، والنسائي في «المجتبى» ١٧٦/٢، ١٧٧ (١٠٠٨، ١٠٠٩) من حديث حذيفة بألفاظ متقاربة.

ويعرب القرآن؛ ففي الحديث: «**من أعرب القرآن كان له بكل حرف عشر حسنات**»[1].

وإعرابُه: أن يبين حروفه، ويفصل بين الكلمات، ولا يبهمه، وله أن يكرر بعض الآي لتحريك فكره لفهم معانيه، وتنبيه قلبه لاقتباس أنواره، فقد كان النبي ﷺ يكرر آية واحدة في ليلته[2].

ومن السنة أن يتعاهد القرآن لكي لا ينساه[3].

وقيل: ما نسي المؤمن شيئًا من القرآن إلا بذنبٍ جناه؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن. قال ﷺ: «**عرضتْ عليَّ ذنوب أمتي فلم أر فيها شيئًا أعظم ممن حفظ القرآن ثم نسيه**»[4].

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧٥٧٤) من حديث ابن مسعود بلفظ: «**أعربوا القرآن فإنه من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات، وكفارة عشر سيئات، ورفع عشر درجات**».
قال الهيثمي في «المجمع» ٣٣٩/٧: فيه نهشل، وهو متروك.
وقال الألباني في «الضعيفة» (٢٣٤٨): موضوع.

(٢) ربَّما فعل ﷺ ذلك أحيانًا، كما أخرج النسائي ١٥٦/١، وابن ماجه (١٣٥٠)، والحاكم ٢٤١/١، من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قام النبي ﷺ بآيةٍ حتى أصبحَ يـردّدُهـا، والآيـة: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: ١١٨]. وأخرج أحمدُ ٦٢/٣ (١١٥٩٣)؛ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنَّ رسول اللهِ ﷺ ردَّد آية حتى أصبحَ.
والحديثان من الأحاديث الحسنة، كما قال الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١١١٠)، وفي «الضعيفة» (٦٠٣٧).

(٣) أخرجه أحمد ٣٩٧/٤ في «مسنده» (١٩٥٤٦)، والبخاري في «صحيحه» (٥٠٣٣)، ومسلم في «صحيحه» (٧٩١)؛ من حديث أبي موسى بلفظ: «**تعاهدوا هذا القرآن، فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتًا من الإبل في عقلها**».

(٤) أخرجه أبو داود في «سننه» (٤٦١)، والترمذي في «جامعه» (٢٩١٦)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٢٩٧)؛ من حديث أنس رضي الله عنه.
قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.
وقال الألباني في «ضعيف أبي داود» (٧١): إسناده ضعيف.

وفي حديث آخر: «**من قرأ القرآن ثم نسيه لقي الله تعالى يوم القيامة أجذم**»[(١)].

واسمع قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٥ ـ ١٢٦][(٢)].

ومن البدعة ما يعمل عند القرآن من الحركة والتخبط والاضطراب وضرب الصدر، وجر اللحية، وتخريق الثياب. لا يفعله العقلاء ولا أولوا الألباب لمخالفة السنة والكتاب. قال الله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]. أي: ذليلاً خاضعًا متضرعًا[(٣)]، أي: خائفًا.

وقال المولى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]. فلين القلب بالمحبة والأشواق. ولين الجسد بالطاعة والإنفاق[(٤)].

والاقشعرار[(٥)] هو شيء يحرك القلب فيصل تأثيره إلى الجلود، وهو

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٥/٢٨٤، ٢٨٥ (٢٢٤٥٦، ٢٢٤٦٣)، والدارمي في «سننه» (٣٣٤٠)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٣٠٦)، وأبو داود في «سننه» (١٤٧٤) من حديث سعد بن عبادة رضي الله عنه.

قال الألباني في «ضعيف أبي داود» (٢٦١)، و«المشكاة» (٢٢٠٠): إسناده ضعيف.

(٢) هذا الاستشهاد بالآية ليس في موضعه، فالمراد بالنسيان فيها: الإعراض وترك الإيمان وعدم العمل، فلا يقع هذا الوعيد على من نُسِّي ما حفظه من القرآن مع بقاء إيمانه الصحيح وعمله الصالح. وأحاديث الوعيد في نسيان القرآن ضعيفة ـ كما تبيَّن من التخريج ـ، فلا يصحُّ عدُّه في كبائر الذنوب كما فعل بعض العلماء، نعم؛ إن كان عن إهمال وتقصير فهو عيبٌ ونقصٌ، وفيه كراهة شديدة، وقد قال الإمام ابن المنادَى رحمه الله في «متشابه القرآن» ٥٢: ما زال السلفُ يرهبون نسيان القرآن بعد الحفظ لما في ذلك من النقص. والله تعالى أعلم. (ت)

(٣) في (خ): متصدعًا.

(٤) في (ط): الاتفاق.

(٥) في (خ): الإقشعار.

خدمة الملك المعبود، فيضطرب الجسد من الخوف. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢].

قال العلماء: حقيقة الوجل سكون الجوارح من خوف الله، وهو أن يدخل القلب من أنوار الذكر، فتندرج فيه الأعضاء والجوارح، وتسكن في خلو ذلك النور، فلا يحس جليسه باضطرابه، وهكذا كانت الصحابة عند سماع القرآن، وكذلك التابعون لهم بإحسان.

وافهم قول عرباض بن سارية، قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً بليغة، ذَرَفَتْ منها العيون، ووجلت منها القلوب[(١)]. ولم يقل: صرخنا من موعظته، ولا رقصنا، ولا ضربنا بأيدينا، ولا بصدورنا، ولا شققنا ثيابنا، ولا جبذنا لحانا، ولا أطرقنا برؤوسنا؛ لأن الخشوع هو في القلب، لا في الرأس.

فمن تخشع بقالبه دون قلبه، هو منافق لا موافق.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: تعوذوا بالله من خشوع النفاق. قالوا: وما خشوع النفاق؟ قال: أن يخشع الجسد والقلب ليس بخاشع[(٢)].

كما يفعله الجاهلون والمبتدعون، فيصرخون عند المواعظ وقراءة القرآن، ويتخبطون ويتغاشون، وهذه الأشياء وما يقربها من الشيطان.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ١٢٦/٤(١٧١٤٤)، والدارمي في «سننه» (٩٥)، وأبو داود في «سننه» (٤٦٠٧)، وابن ماجه في «سننه» (٤٢)، والترمذي في «جامعه» (٢٦٧٦)؛ من حديث العرباض بن سارية قال: صلى بنا رسولُ الله - ﷺ - ذات يوم، ثمَّ أقبل علينا بوجهه، فوعَظَنا موعِظةً بَليغةً، ذَرَفتْ منها العيون، ووَجِلت منها القلُوبُ، فقالَ رجل: يا رسولَ الله، كأنَّ هذه موعظةُ مودِّع، فماذا تَعْهدُ إلينا؟ قال: **«أُوصيكم بتقْوى الله، والسَّمع والطاعة، وإنْ عَبْدًا حبشيًا، فإنه من يَعِشْ منكم بعدي فسيَرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنّتي وسنّةِ الخلفَاءِ الراشِدينَ المهديِّينَ، تمسكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنواجِذِ، وإياكم ومُحدثاتِ الأمورِ، فإنَّ كلَّ مُحدثَةٍ بدْعةٌ، وكل بدْعَةٍ ضَلَالَة»**.

قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح.

وقال الألباني في «الصحيحة» (٩٣٧): هذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٦٨٦١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٩٦٦).

وصح في الحديث أن للموسوسين شيطانًا يضحك بهم، يقال له الولهان[1].

روي أن ابن عمر رضي الله عنهما مر برجل من أهل العراق وهو ساقط. فقال: ما بال هذا؟ فقالوا: إنه إذا سمع القرآن وذكر الله سقط. فقال ابن عمر: إنا لنخشى الله ولا نسقط. ثم قال: إن الشيطان يدخل في جوف أحدهم، ما كان هذا صُنع[2] أصحاب رسول الله ﷺ[3].

فلو كان هذا حقًّا أو يثاب فاعله، لشاع في السابقين المتشرعين؛ كما فشا في المتأخرين المبتدعين: فقد علمت أن قراءة القرآن بالتدبر والتفكر والخشوع، مع سكون الجوارح والأركان، يورث القارئ رضى الرحمٰن، والفوز بالجنان.

ولا تكن من الخارجين فتسقط من عين رب العالمين. وانظر ماذا مَنَّ الله عليك به بقدرته القاهرة بأن ورثك كنزًا من كنوز الآخرة. قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢].

فإذا فرح المغرور بما ورث من درهم ودينار، افرح أنت بما ورثك الله

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ١٣٦/٥ (٢١٢٣٨)، وابن ماجه في «سننه» (٤٢١)، والترمذي في «جامعه» (٥٧)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٢٢)؛ من حديث أبي بن كعب بلفظ: «**إن للوضوء شيطانًا يقال له: الولهان**».

قال أبو عيسى: حديث أبي بن كعب حديث غريب، وليس إسناده بالقوى. وقال الألباني في «ضعيف الجامع» (١٩٧٠): ضعيف جدًّا.

(٢) في (ط): فعل.

(٣) أخرجه أحمد في «الزهد» ٢٤٢، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (٣٠٧)، وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» ٣١٢/١، والثعلبي في «الكشف والبيان» [الزمر: ٢٣].

وأخرج البغوي في تفسيره [الزمر: ٢٣] عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال: قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر: كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ يفعلون إذا قرئ عليهم القرآن؟ قالت: كانوا كما نعتهم الله عز وجل: تدمع عيونهم، وتقشعر جلودهم. قال: فقلت لها: إن ناسًا اليوم إذا قرئ عليهم القرآن خرَّ أحدهم مغشياً عليه. فقالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

تعالى من الآيات والأذكار، واقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٨].

فافرحْ أيها المملوكُ بهدايا الملوك، وقل: ما آتاني الله خير مما آتاكم. أعطاهم شيئًا فانيًا، وخصك بما يبقى.

ثم اعلم بأن الله تعالى شبه القرآن العظيم بالميراث؛ ألا ترى أن بعضهم يرث من ميته جميع ماله، ومنهم من يرث النصف، ومنهم من يأخذ الربع، وآخر نصيبه الثلث، ومنهم من يرث السدس، وآخر يأخذ الشيء اليسير، وبذلك كله حكم المولى القدير، ومنهم من لا يأخذ شيئًا. كذلك القرآن العظيم؛ فلو تعلم القارئ أحكام القرآن ما وقع في ظلمات الجهل وكان حبيب الباري.

فإن احتج أحدٌ من هؤلاء المبتدعين الذين يتواجدون[1] عند ذكر الله تعالى وتلاوة كتابه؛ فيقومون ويصرخون ويتمايلون أو يرقصون بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [السجدة: ١٩١]، يقال لهم: جهلتم تفسير الآية، ليس هذا الدليل يرضي المولى الجليل. وتفسيرها قوله ﷺ لعمران بن حصين، وكان به بواسير فسأل النبي ﷺ فقال: «**صلِّ**

(١) الوجد: الحزن، يقال: وجَد الرجلُ وَجْدًا بالفتح ووَجِد حَزِنَ، وتَوَجَّدْتُ لفلان، أي حَزِنْتُ له. ثم استعمله الصوفية في مصطلحاتهم، وهو على ثلاث مراتب: التواجد والوجد والوجود. فالتواجد استدعاء الوجد بنوع من الاختيار، وليس لصاحبه كمالَ الوجد لأنه غير متكلف. والوجد ـ وجمعه المواجيد ـ ما يصادف القلب، ويرد عليه بلا تكلف ولا تصنع، وقيل: هي بروق تلمع ثم تخمد سريعًا، والوجود فقدان العبد بمحاق ـ أي: بزوال ـ أوصاف البشرية، ووجود الحق، لأنه لا بقاء للبشرية عند ظهور سلطان الحقيقة، فالتواجد بداية، والوجود نهاية، والوجد واسطة بين البداية والنهاية. والوجد والتواجد هو نتيجة سماع شيء مثير للوجدان كالقرآن والمدائح والغناء، فعند السماع يحصل لهم هيجان وثوران، وتمايل ورقص وحركات بهلوانية حتى يفعل الواحد منهم أفعالاً لا يستطيعها في غير هيجانه، أي: حضوره ووجده. وهذا كله من بدع الصوفية وسخافاتهم. وقال الغزالي في «إحيائه» ٢٣٧/٣: يثمر السماع حالة في القلب تسمى الوجد، ويثمر الوجد تحريك الأطراف، إما بحركة غير موزونة فتسمى الاضطراب، وإما موزونة فتسمى التصفيق والرقص!

قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب»[1].

فإن قالوا: حال يعترينا. يقال لهم: الحال ينقسم إلى قسمين: حال رباني وحال شيطاني، ولكل منهما قرينة.

فأما الحال الرباني فاستغراق الشخص الإنساني، وغيابه في شهود المعاني، بحيث لا يعرف القاصي من الداني، ولا يظهر منه ما يخالف الشرع، وقواعد المباني[2].

وأما الحال الشيطاني فإنه يظهر التخبط والرقص، وما تقدم ذكره من الهذيان والدعاوي وهو واعي.

وكذلك التواجد على النغمات والألحان، هو استماع معلول؛ لأنه استمع على الصوت المطرب، لا على حقيقة القول، وهذا يدل على فراغ القلب من خوف الله تعالى، وفيه أيضًا تشبه بالكفرة، ولم ينقل مثل هذا عن السادة البررة. قال الله تعالى في صفة أعدائه: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥].

قال علماء التفسير: كانوا يطوفون بالكعبة ويصفقون ويرقصون[3].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٤/٤٢٦(١٩٨١٩)، والبخاري في «صحيحه» (١١١٧)، وأبو داود في «سننه» (٩٥٢)، وابن ماجه في «سننه» (١٢٢٣)، والترمذي في «جامعه» (٣٧٢)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٩٧٩، ١٢٥٠)؛ من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٢) الحال من اصطلاحات الصوفية أيضًا، ويقصدون به أن ينبعث من باطن العبد داعية للمراقبة أو المحاسبة أو الإنابة أو غير ذلك، ثم تزول تلك الداعية لغلبة صفات النفس ثم تعود بعد زوالها، ثم تعود بعد عودها. والسلف الصالح لم يعرفوا هذا المصطلح، وإنما عرفوا ما جاءت في نصوص الكتاب والسنة من الخشوع والخشية والخوف والحب والرجاء والإنابة وغيرها من أعمال القلوب، التي تزيد النفوس صفاء، والعقول صحة، وليس أن يجعل العبد في غيبوبة لا يعرف القاصي من الداني! (ت)

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١٣/ ٥٢٤، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨٣٩١)، والطبراني في «الكبير» ١٣/١٢ (١٢٣٢٤) من حديث ابن عباس بلفظ: كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفِّرون ويصفِّقون، فأنزل الله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾.

ويخاف على من خرج عن طريق النبي المختار، والصحابة الأخيار، وتشبه بالكفار أن يلقى معهم في النار.

ومثل أحدهم كالكوز الفارغ الذي يتدحرج يمينًا وشمالاً فارغًا من التقوى والورع والإخلاص.

ولو كان هذا ملآن لكان ثابت الأركان، فقد تبين أن هذه الأشياء ما هي من صفات الخائفين، ولا طريق عباد الله الصالحين. قال بهز بن حكيم: صليت خلف زرارة بن أوفى فقرأ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨﴾ [المدثر: ٨] فخر ميتًا، فكنت ممن حمله إلى منزله[(١)].

وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه آيةً من رجل يقرؤها، فخر مغشيًّا عليه، ومرض شهرًا[(٢)].

فهذه صفة الأولياء لما كانت القلوب واعيةً أثَّر فيها القرآن. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧]. أي قلب واعٍ[(٣)]، فاسلك مسالكهم، وانهج مناهجهم، والق عصاك فهذا جانب الوادي.

فإن قال قائل: من أين لي اللحوق بهؤلاء الأقوياء وأنا ضعيف، يقال له: فلا تخرج عن طريقهم تقع وتقوم وأنت تقفو الأثر. فتلحق بهم كما جاء في الخبر؛ وهو قول بعض الصحابة: يا رسول الله إنا نحب القومَ ولما

---

(١) أخرجه الترمذي في «جامعه» (٤٤٥)، والحاكم في «مستدركه» ٢/٥٠٦، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٣٩)؛ من حديث بهز بن حكيم بلفظ: أَمَّنا زرارة بن أوفى في مسجد بني قشير، فقرأ المدثر فلما انتهى إلى هذه الآية: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨﴾ [المدثر: ٨] خرَّ ميتًا. قال بهزٌ: فكنتُ فيمن حمله.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

وقال الألباني في «صحيح الترمذي» (٤٤٥): صحيح.

وللعلامة أبي عبد الرحمٰن ابن عقيل الظاهري رسالة: «خشوع الصحابة وأحوال مبتدعة»، مفيدة في بابها.

(٢) ذكره الغزالي في «الإحياء» ٢/٢٩٧، وابن كثير في «تفسيره» ٧/٤٣٠.

(٣) في (ط): داعٍ.

نلحق بهم. قال: «**المرء مع من أحبَّ**»[1].

فإن قالوا: إن هذا الأمر قد شاع بين العباد في جميع الأماكن والبلاد!

جوابُه: شيوع البدع وانتشارها، وقلة إنكارها لا يدل على جوازها، كما أن كتمها لا يدل على منعها، ألا ترى أن إسبال الثوب للرجل تحت الكعبين حرام، وقد شاعَ في جميع بلاد الإسلام، وكذلك الطيلسان بغير عذرٍ يكره لكلِّ إنسان[2].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أما الإسبال فقد ورد في تحريمه على الرجال أحاديث صحيحة، منها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار**». أخرجه البخاري (٥٨٨٧)، والنسائي ٨/٢٠٧، وفي رواية النسائي: «**إزرة المؤمن إلى عضلة ساقه، ثم إلى نصف ساقه، ثم إلى كعبه، وما تحت الكعبين من الإزار ففي النار**».

وعن العلاء بن عبد الرحمٰن رضي الله عنه عن أبيه، قال: سألت أبا سعيدٍ عن الإزار، فقال على الخبير بها سقطت: قال رسول الله ﷺ: «**إزرة المؤمن إلى نصف الساق، ولا حرج ـ أو قال: لا جناح عليه ـ فيما بينه وبين الكعبين، وما كان أسفل من ذلك فهو في النار، ومن جر إزاره بطرًا لم ينظر الله إليه يوم القيامة**». أخرجه أبو داود (٤٠٩٣)، وابن ماجه (٣٥٧٣)، وابن حبان في صحيحه (٥٤٢٦).

وعن زيد بن أسلم: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: دخلت على النبي ﷺ وعليَّ إزار يتقعقع، فقال: **من هذا؟** فقلت: عبد الله بن عمر. قال: «**إن كنت عبدَ الله فارفع إزارك**»، فرفعت إزاري إلى نصف الساقين. فلم تزل أزرته حتى مات. أخرجه أحمد ٢/١٤١.

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم**». قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات. قال أبو ذر خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: «المسبل، والمنَّان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب». وفي رواية: «المسبل إزاره». أخرجه مسلم (١٠٦)، وأبو داود (٤٠٨٧)، والترمذي (١٢١١)، والنسائي ٨/٢٠٨، وابن ماجه (٢٢٠٨).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثوبه خيلاء**». أخرجه البخاري (٥٧٨٣)، ومسلم (٢٠٨٥)، والترمذي (١٧٣٠)، وابن ماجه (٣٥٦٩).

=

....

= وفي الباب أحاديث أخرى راجعها في «الترغيب والترهيب» (٣٠٠٥ ـ ٣٠٢٣).

وقد اتَّفق العلماء أنَّ إسبال الرجل ثوبه بطرًا وخيلاء من الكبائر، واختلفوا إذا لم يكن عن خيلاء، والصحيح فيه التحريم، كما قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ١٠/ ٢٧٥: «وأما الإسبال لغير الخيلاء فظاهر الأحاديث تحريمه... ويَتَّجه المنع أيضًا في الإسبال من جهة أخرى وهي كونه مظنة الخيلاء. قال ابن العربي: لا يجوز للرجل أن يجاوز بثوبه كعبه، ويقول: لا أجُرُّه خيلاء؛ لأن النهي قد تناوله لفظًا، ولا يجوز لمن تناوله اللفظ حكمًا أن يقول لا أمتثله، لأن تلك العلة ليست فيَّ، فإنها دعوى غير مُسلَّمة، بل إطالته ذيله دَالَّة على تكبُّره. انتهى ملخصًا. وحاصله أن الإسبال يستلزم جَرَّ الثوب، وجَرُّ الثوب يستلزم الخيلاء، ولو لم يقصد اللابس الخيلاء. ويُؤَيِّده ما أخرجه أحمد بن منيع من وجه آخر عن ابن عمر ـ في أثناء حديث رفعه ـ: «وإياك وجَرَّ الإزار، فإن جَرَّ الإزار من المخيلة».»

أما الطيلسان: فهو من لباس اليهود. قال الإمام القاضي أبو يعلى ابنُ الفراء: لا يمنع أهل الذمة من الطيلسان، وهو المُقَوَّرُ الطرفين، المكفوف الجانبين، الملفَّق بعضها إلى بعض، ما كانت العرب تعرفه، وهو لباس اليهود قديمًا، والعجم أيضًا، والعرب تسمِّيه: ساجًا. ويقالُ: إنَّ أول من لبسه من العرب جُبير بن مطعم، وكان ابن سيرينَ يكرهه. نقله السبكي في «الفتاوى» ٢/٤٠٣، والسفاريني في «غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب» ٢/٢٥٨.

وفي «تاج العروس»: القوارة كثُمامة: ما قُوِّر من الثوب وغيره، كقوارة القميص والجيب والبطيخ، أو يخص بالأديم خصه به اللحيانيُّ. والقوارة: اسم ما قطعت من جوانب الشيء المقوَّر، وكل شيء قطعت من وسطه خرقًا مستديرًا فقد قوَّرته. والقوارة أيضًا: الشيء الذي قطع من جوانبه. الأولى ذكرها الصاغاني، والثانية الجوهري وهو ضدٌّ.

وفيه أيضًا: واختلف في الطيلسان والطيلس، فقيل: هو ضرب من الأكسية، والطالسان لغة فيه، قيل: هو معرَّب، وحكي عن الأصمعي: أنَّ الطيلسان ليس بعربي وأصله فارسيٌّ، إنما هو تالسان، فأُعرب، هكذا بالسين المهملة، وفي بعض نسخ التهذيب: بالشين المعجمة، وهكذا ضبطه الأرموي. ومن المجاز يقال في الشتم: يا ابن الطيلسان! أي إنك أعجمي، لأن العجم هم الذين يتطيلسون، نقله الزمخشري والصاغاني. وروى أبو عبيد عن الأصمعي، قال: السدوس: الطيلسان. وجمعه: الطيالسة، قال ابن سيده: والهاء في الجمع للعجمة، قال: وجمع الطيلس: الطيالس، قال: ولم أعرف للطالسان جمعًا.

وفي «صحيح مسلم» (٢٩٤٧) من حديث أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: =

ومثل هذه البدعة كثير، لا يحتمله هذا المختصر، فلا يحتج به ولا يعتبر.

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: إذا وافق ختم القرآن أول الليل صلت الملائكة عليه حتى يصبح، وإن وافق ختمه آخر الليل صلَّت

= **«يتبع الدجَّال من يهود أصبهان سبعون ألفًا عليهم الطيالسة»**.

وأخرج الحاكم في «المستدرك» ١٩١/٤: عن أبي عمران الجوني: أنَّ أنس بن مالك رضي الله عنه حدَّثه قال: ما أشبهتُ الناس اليومَ في المسجدِ وكثرةَ الطيالسة؛ إلا بيهود خيبر.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ومعناه: الطيالسة المصبَّغة فإنَّها لباس اليهود.

وقال ابن الحاج في «المدخل» ١٤٥/١: وقد ورد في الطيلسان أنه ريبةٌ بالليل ومذلة بالنهار، وقد ورد أن أحبار اليهود إنما كانوا يُعرفون في زمان نبينا ﷺ بصفة هذا الطيلسان اليوم، فيكون ذلك تشبهًا بهم. ثم قال: وأما الطيلسان المعهود في هذا الزمان فيكره لما تقدم ذكره، فإن كان لضرورة كحرٍّ أو بردٍ، فلا بأس به، لكن بشرط أن لا يتكلَّف هذا التكلف الذي يفعله بعض الناس اليوم فيه، وما لم يخرج به إلى حدِّ هذا الكبر الشنيع.

وذكر صديق حسن خان في «حسن الأسوة» ٢٠٦ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، فقال: استنبط بعض أهل العلم من هذه الآية أن ما يفعله علماء هذا الزمان في ملابسهم من سعة الأكمام، والعمة، ولبس الطيلسان حسنٌ، وإن لم يفعله السلف، لأن فيه تمييزًا لهم، وبذلك يعرفون فيلتفت إلى فتاواهم وأقوالهم. قال السبكي: ومنه يعلم أن تمييز الأشراف بعلامةٍ أمر مشروع أيضًا. انتهى. وأقول: ما أبرد هذا الاستنباط وأبعده، وما أقل نفعه وجدواه، لا سيما بعد ما ورد في السنة المطهرة من النهي عن الإسراف في اللباس، وإطالته، وقد منع من ذلك سلف الأمة وأئمتها، فأين هذا من ذاك، وإنما هو بدعة قبيحة شنيعة، مردودة على صاحبها، أحدثها علماء السوء، ومشايخ الدنيا، ومن هنا قال علي القاري في معرض الذمِّ لأهل مكةَ: لهم عمائم كالأبراج، وكمائم كالأخراج. وما ذكره من أن زي العلماء والأشراف في هذا الزمان سنةٌ؛ ردَّه ابن الحاج في «المدخل» بأنه مخالف لزيهم في زمن النبي ﷺ، وزمن الخلفاء الراشدين، ومن بعدهم من خير القرون، فإن قيل: إنهم به يعرفون! قيل: إنهم لو بقوا على الزي الأول لعرفوا به أيضًا، لمخالفته لما عليه غيرهم الآن.
وانظر: «أحكام أهل الذمة» لابن القيم ١٢٩٥/٣. (ت)

عليه الملائكة حتى يمسي[1].

وكان أنس بن مالك رضي الله عنه إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا[2].

وروي في «الصحيح»: أن الرحمة تنزل عند خاتمة القرآن[3]؛ فيستحب[4] الدعاء عَقِيب الختم استحبابًا[5] مؤكدًا.

وروي: أنَّ مَن قرأ القرآنَ ثم دعا أمَّن على دعائه أربعةُ آلاف مَلَكٍ[6].

وينبغي أن يلح في الدعاء بالأمور المهمة من مصالح الدنيا والآخرة له وللمسلمين.

ويستحب إذا فرغ من الختم شرع في أخرى متصلًا؛ لما جاء في

---

(١) أخرجه الدارمي في «سننه» (٣٤٨٣)، البغوي في «شرح السنة» ٤/٤٩٣.
قال أبو محمد الدارمي: هذا حسن عن سعد.

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» ١/١٤٠، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٦٦١)، والدارمي في «سننه» (٣٤٧٤)، والطبراني في «الكبير» ١/٢٤٢ (٦٧٤).
قال الدارقطني في «العلل» ١٢/١٣٨: صحيح.

(٣) لم يرد هذا في «الصحيح»، وإنما أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٦٦٥)، والدارمي في «السنن» (٣٣٨٥)، والفريابي في «فضائل القرآن» (٧٨) عن الإمام مجاهد بن جبر المكي رحمه الله قال: الرحمة تنزل عند ختم القرآن. (ت)
وأخرج الفريابي (٧٨) عن الحكم قال: كان مجاهد وعبدة بن أبي لبابة، وناس يعرضون المصاحف، فلما كان في اليوم الذي أرادوا أن يختموا فيه القرآن بعثوا إليَّ وإلى سلمة بن كهيل، فقالوا: إنا كنا نعرض المصاحف، وإنا نريد أن نختم اليوم، فإنه كان يقال: الرحمة تنزل ـ أو تحضر ـ عند ختم القرآن. (ت)

(٤) في (ط): فيستجب.

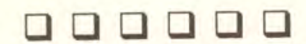
(٥) في (ط) استيجابًا.

(٦) أخرجه الدارمي في «سننه» (٣٤٨١) عن حميد الأعرج من قوله. وهو حميد بن قيس الأعرج المكي، تابعيٌّ فاضل، كان قارىء أهل مكة. وهو من رجال الكتب الستة، توفي سنة (١٣٠) أو بعدها. قال وهيب بن الورد: كان الأعرج يقرأ في المسجد، ويجتمع الناس عليه حين يختم القرآن، وأتاه عطاءٌ ليلة ختم القرآن. (ت)

الحديث: «**إن خير الأعمال الحل والرحلة**». قيل: وما هما؟ قال: «**افتتاح القرآن وختمه**»[1].

ومن حصل له التدبر والفكر، وجمع القلب بقراءته من حفظه فهو أفضل من قراءته في المصحف بغير تدبر وجمع. وإن حصل ما تقدم ذكره من جمع القلب والتدبر في قراءته من المصحف فهو أفضل، وإن استويا فالقراءة من المصحف أفضل.

قال السيد الجليل صاحب الكرامات والمواهب والمعارف إبراهيم الخوَّاص رضي الله عنه: دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين[2].



---

(١) ذكره بهذا اللفظ الديلمي في «مسند الفردوس» (٢٨٨٩) عن أنس بن مالك.
وأخرجه الدارمي في «سننه» (٣٤٧٦)، والترمذي في «جامعه» (٢٩٤٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» ١٦٨/١٢ (١٢٧٨٣)، والحاكم في «المستدرك» ٥٧٦/١. من حديث ابن عباس بلفظ: قال رجل: يا رسول الله أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «**الحالُ المرتحل**» قال: وما الحال المرتحل؟ قال: «**الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره كلما حلَّ ارتحلَ**».
قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن عباس.
وقال الألباني في «ضعيف الترمذي» (٥٦٨): ضعيف الإسناد.

(٢) ذكره ابن الجوزي في «ذم الهوَى» ٧٠/١، والنووي في «الأذكار» ١٠٧/١. وإبراهيم الخوَّاص: أبو إسحاق هو إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل (ت: ٢٩١)، والخوَّاص: بائع الخوص. قال الخطيب في «تاريخ بغداد» ٧/٦: من أهل سر من رأى، وهو أحد شيوخ الصوفية، وممن يذكر بالتوكل وكثرة الأسفار إلى مكة وغيرها على التجريد، وله كتب مصنفة. (ت)



فصل فيما يُبتدع من السماع والذي يحصل بسببه الخير والانتفاع[1]

أما ما يبتدع من السماع، فقد انتشر في جميع الأقطار، فترى أهله يتواجدون على سماع الأشعار، ويطربون على ذكر الخدِّ والقدِّ والعِذَار[2]، ويرقصون على ضرب الكفِّ والقُضُبِ[3] والطَّار[4]. فتُضَرُّ المساجد والزوايا لنَطِّهم، وتتلاشى الحُصُرُ وينكسر البلاط والأحجار، فيخرجون بقولهم وفعلهم عن طريق النبيِّ المختار، والصحابة الأخيار والتابعين الأبرار.

---

(١) مراده: التفريق بين السماع المبتدع، والسماع المشروع الذي يحصل بسببه الخير والانتفاع. (ت)

(٢) العذار: عذار الغلام جانب لحيته، وما سال من اللجام على خد الفرس، ويقال: خلع فلان عذاره: انهمك في الغي ولم يستح. «المعجم الوسيط» ٢/٥٩٠.

(٣) في جميع النسخ: (القصب) بالصاد المهملة، ويظهر أنه تصحيف، وصوابه بالضاد، وهو جمع القَضيب، وهذا اسم يقع على ما قطعت من الأغصان للسهام أو القسي، والمراد: الضرب بعودٍ على أديم أو نحوه، كما سيأتي. (ت)

(٤) الطَّارُ هو الدفُّ، قال ابن باز في «مجموع الفتاوى» ٢١/١٧٨: «الدف فيما ذكر العلماء أنه الطار الذي يكون له وجه واحد، والوجه الثاني مفتوح، يستعمله النساء في الأعراس».

وقال ابن الحاج في «المدخل» ٢/٢ ـ في بدعة الاحتفال بالمولد النبوي ـ: وقد احتوى على بدع ومحرمات جمَّة، فمن ذلك: استعمالهم المغاني، ومعهم آلات الطرب، من الطار المصرصر، والشبابة، وغير ذلك مما جعلوه آلة للسماع. (ت)

وقد حرم هذا السماع أبو حنيفة، وأحمد، ومالك[1]، فلا تلق نفسك أيها الراقص في البدعة والمهالك، فتهلك هذه النفس المسكينة لخراب المساجد، ولخروجها عن طريق صاحب المعجزات والسكينة.

وقال الشافعي في كتاب «أدب القضاء»: إن الغناء لهو مكروه يشبه الباطل والمحال. من استكثر منه فهو سفيه. وقال أيضًا: أكره من جهة الخبر اللعب بالنَّرْد، ولا أحب اللعب بالشطرنج، وأكره كل ما يلعب به الناس؛ لأن اللعب ليس من صنعة أهل الدين ولا المروءة[2].

وكان رضي الله عنه يكره الطقطقة بالقضيب، ويقول: وضعته الزنادقة، واشتغلوا به عن القرآن[3].

---

(١) انظر: «الهداية شرح البداية» ٤/٨٠، «البحر الرائق» ٨/٢١٤، «مسائل أحمد رواية عبد الله» (١١٧٥)، «المغني» ١٢/٤٠، «المدونة» ٣/٤٣٢.

(٢) «الأم» ٦/٢٠٨ (شهادة أهل اللعب)، «الحاوي» للماوردي ١٧/٣٨٥، ٣٩٠.

(٣) ذكره بهذا اللفظ الغزَّالي في: «إحياء علوم الدين» ٣/٢٣٧، وابن القيم في «إغاثة اللهفان» ١/٢٣٠، وأخرج ابن أبي حاتم في «آداب الشافعي ومناقبه» (٣٤٧) أنه قال: خلَّفتُ بالعراق شيئًا يسمَّى التَّغبير، وضعته الزنادقة، يشغلون الناس عن القرآن.

وفي «لسان العرب» (مادة: غبر): والغُبْرَة: لَوْنُ الغُبار، وقد غَبِرَ واغْبَرَّ اغْبِرَارًا، وهو أَغْبَرُ. والغُبْرة: اغْبِرار اللوْن يَغْبَرُّ للهمِّ ونحوه. والمُغَبِّرة قوم يُغَبِّرون بذكر الله تعالى بدعاء وتضرُّع، قال الأزهري: وقد سَمَّوْا ما يُطَرِّبون فيه من الشِّعْر في ذكر الله تَغْبيرًا كأنهم تنَاشَدُوهُ بالألَحان طَرَّبوا فَرَقَّصوا وأَرْهَجوا، فسُمّوا مُغَبِّرة لهذا المعنى. وقال الزجاج: سُمّوا مُغَبِّرين لتزهيدهم الناس في الفانية، وهي الدنيا، وترغيبهم في الآخرة الباقية.

وقال ابن القيسراني في «السماع» ١٦: استماع القضيب والأوتار يقال له: التغبير، ويقال له: الطقطقةُ أيضًا.

وفي «المدخل» لابن الحاج ٣/١٠٠: قال الشيخ الإمام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله: في كتابه المسمى بكتاب «النهي عن الأغاني»: وقد كان الناس فيما مضى يستتر أحدهم بالمعصية إذا واقعها، ثم يستغفر الله ويتوب إليه منها، ثم كثر الجهل، وقل العلم، وتناقص الأمر، حتى صار أحدهم يأتي المعصية جهارًا، ثم ازداد الأمر إدبارًا، حتى بلغنا أن طائفة من إخواننا المسلمين ـ وفقنا الله وإياهم ـ استزلهم الشيطان، واستهوى عقولهم في حب الأغاني واللهو، وسماع الطقطقة، واعتقدته من الدين الذي يقربهم=

وقد ذمَّ الله تعالى قومًا اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا، ولقد أحسن مَن قال:

النَّقرُ بالطَّار والتشبيب بالقصب ... شيئان قد عُرفا للهو واللعب
والمطربون فلا تسمع لقولهم ... فالشرع قد حرَّم الإصغاء للطرب
إن حركوا الطَّار أمسوا يرقصون له ... شِبْهَ الذباب، ألا سُحقًا لمرتكب
قوم لقد أحدثوا في ديننا بدعًا ... وخالفوا الحقَّ دين الهاشمي العربي
تبًّا لمن أحدثوا في الدين وابتدعوا ... ما ليس منه بلا علم ولا أدب
ويدعي الصدق في التصويف جاهلهم ... ويربط الناس بالبهتان والكذب
يا مدعي الزور يا شر الورى خَلَفًا ... هل أنزل الله نقر الطار في الكتب
أو أرسل الله صدِّيقًا بطقطقة ... على الوسادة إنْ تابعتهم تخب
ما صفَّق القوم يومًا، لا ولا رقصوا ... وما لهم في الغنا والرقص من أرب
بل كان القوم في خوفٍ وفي وجل ... ما بين باكٍ وأوَّاهٍ ومنتحِب

فاتَّبِع القومَ - أيها العابدُ - لتحشر معهم[1]، وتنجوَ من الكرب

= من الله تعالى، وجاهرت به جماعة المسلمين، وشاقت به سبيل المؤمنين، وخالفت العلماء والفقهاء وحملة الدين: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

قلتُ: وفي زماننا هذا ورثت الحركة الإسلامية هذه البدعة الصوفية، فأخرجتها للناس باسم الأناشيد الإسلامية، وجعلت ذلك من وسائل الدعوة، وادعت أنها من أسباب القربى إلى الله تعالى، وصار لهذه البدعة القبيحة أعلام ونجوم مثل نجوم الغناء والطرب، ثم جاءت القنوات الفضائية، فانتقل المنشدون الإسلاميون من المساجد والمراكز الإسلامية إلى (استوديوهات) المطربين والمطربات، وزاحموهم حتى في (الفيديو كليب)، وفي فنون اللباس والزينة و(الماكياج) وغيرها، واحتاجوا في ذلك إلى دراسة علوم الموسيقى والطرب، فالتحق بعضهم بمعاهدها، فإلى الله المشتكى من رقَّة دينهم، وخفَّة عقولهم، وسفاهة أحلامهم. (ت)

(١) يعني القومَ المذكورين في البيت الأخير، وظن ناسخ (ق) أن المراد من تقدَّم ذمُّهم فجعله: (فلا تتَّبع...).

والشدائد، واجتنب الأكل الزائد، ودع النطَّ والتمايل والتواجد، ولا تخرب بنطِّك الزوايا والمساجد.

واعلم أن طريق الآخرة لا تنقطع بالنطِّ، وقد ندب الحق تعالى عباده إلى الدخول في طريق توصلهم إليه، بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾، وحذَّر عن الانقطاع عنه بالدخول في طريق الأهواء والبدع، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقد بين ﷺ الصراط المستقيم بقوله: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور**»[(١)].

وهذه الأشياء بدعة مخالفة لسنة النبي ﷺ وسنة صحابته، وسنة السلف الصالح من أمته، وكل بدعة ضلالة، وشر الأمور محدثاتها؛ لقوله ﷺ في حديثٍ آخر: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**لستُ من دَدٍ، ولا الدَّدُ منِّي**»[(٣)].

والدد في اللغة والددن والددأ هو اللعب واللهو[(٤)]. ولا يقبل في ذلك عذر من اعتذر بأن الحامل على هذه الحالة محبة الله تعالى، وذلك لوجهين؛ أحدهما: من جهة النقل، والثاني: من جهة العقل.

أما الأول: فإن الحق سبحانه جعل عنوان محبته في اتباع نبيه ﷺ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه، وسبق أيضًا تخريج حديث: «شر الأمور محدثاتها... وكل بدعة ضلالة».

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٥)، والبزار في «مسنده» (٦٢٣١)، والطبراني في «الكبير» ٣٤٣/١٩ (٧٩٤)، و«الأوسط» (٤١٣)، قال الألباني في «الضعيفة» (٢٤٥٣): ضعيف.

(٤) ذكر البيهقي في «السنن الكبرى» ٢١٧/١٠: قال عليُّ ابن المديني: سألتُ أبا عبيدةَ صاحبَ العربية عن هذا، فقال: يقول: لست من الباطل، ولا الباطل منِّي. وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: الدَّدُ هو اللعب واللهو.

فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

وفي آيةٍ أخرى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال سبحانه: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور: ٥٤]، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

فمن لم يتبع النبي ﷺ في أفعاله وأقواله لا يصح منه دعوى المحبة، فإذا انتفت المحبة الرَّبانية تعيَّن أن تكون هذه الأفعال من حظوظ النفس وتسويل الشيطان وتمويهه؛ لأن علامة المحبة المبادرة إلى طاعة المحبوب، والمسارعة إلى كل ما يرضيه، والتَّحرز من أسباب سخطه.

وأمَّا من جهة العقل: فإنَّ أحدهم لو لم يكن محجوبًا بالهوى لاستفتى قلبه، وراجع عقله، ولو فعل لظهر له ببديهة عقله أن هذا الرَّقص الموزون، الموافق لتوقيعات الألحان، وآلات الطرب، ومراعاة التصنع في الحركات، يستقبح من النساء وأهل المجانة، فكيف يستحسن من أهل الزهد والمحبة والدِّيانة. فنعوذ بالله من مكابرة العقول، ومخالفة المنقول.

وأما فِعْل ذلك في المساجد فأشدُّ بلاءً؛ لما فيه من إظهار البدعة في بيوت الله تعالى؛ لأن المساجد ما بنيت إلا للصلاة ولذكر الله؛ قال الله تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [النور: ٣٦]، وقد وجب تنزيهها من المباحات كالبيع والشراء، ونشدان الضالة، كما ثبت في الحديث الصحيح، وهو قوله ﷺ لمن يبيع في المسجد: **«لا أربح الله تجارتك»**. ولمن ينشد الضالة: **«لا ردَّها الله»**[1]. فتنزيهها من البدع المستنكرة وإعلان المعصية بطريق الأولى.

---

(١) أخرجه الدارمي في «مسنده» (١٤٠١)، والترمذي في «جامعه» (١٣٢١)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٠٠٤)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٣٠٥)، وابن حبان في «صحيحه» (١٦٥٠) من حديث أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد؛ فقولوا: لا أربح الله تجارتك، وإذا رأيتم من ينشد فيه ضالة فقولوا: لا رد الله عليك»**.

وأخرجه مسلم في «صحيحه» (٥٦٨)(٧٩) مقتصرًا على إنشاد الضالة.

وأما فعل ذلك في البيوت فإن كان بإذن أربابها فقد شاركهم الإذن في الإثم وسقط الضمان؛ لما أخربوه[1] من السقف والحيطان، وإن كان بغير إذن فحرام انضم إلى حرام، ويجب ضمان الناقص بفعل الراقص.

فعليك أيها المؤمن بالسماع، الذي يحصل به الخير والانتفاع، وهو القرآن العظيم، سماع من أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين والعارفين.

سمع صوفيٌّ قارئًا يقرأ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ [الفجر: ٢٧ ـ ٢٨] فاستعادها من القارئ. وقال: كم أقول لها ارجعي ولا ترجع، وصرخ صرخةً خرجت فيها روحه.

فانظر إلى قلوب أوليائه، لما كانت واعية أثَّر فيها القرآن، طهَّروا قلوبهم من الأغيار؛ فصلحت لنزول الأنوار، طهِّر المنزلَ لشَرَفِ مَنْ ينزلُ[2]؛ يقول الله عز وجل: «**لا يسعني أرضي ولا سمائي، ويسعني قلب عبدي المؤمن**»[3].

ومن حصل له الساكن، طابت له المساكن، ومن لم تفتح له المنازل رضي بالمزابل، وكان بعضهم يقول:

إن بيتًا أنت ساكنه ... غير محتاج إلى السُّرُج

ومريضًا أنت عائده ... قد أتاه الله بالفرج

وجهك المأمول حجتنا ... يوم يأتي الناس بالحجج

وكان الشبلي ينشد على سور عسقلان[4]:

اطلبوا لأنفسكم ... مثل ما وجدت أنا

قد[5] وجدت لي سكنًا ... ليس يشبه السكنا

---

(١) في (ط): يخربونه.

(٢) في (خ): (طهِّر المنزل حتى ينزل). وهذا يمكن أن يضبط: (تنزل) أو: (ننزل). (ت)

(٣) باطل لا أصل له، قال ابن تيمية رحمه الله في «منهاج السنة» ٥/٢٦٢: هو من الإسرائيليات. وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢٥٩٩): لم أر له أصلاً.

(٤) في (ق): وأنشد الشبلي رحمه الله.

(٥) (ط): كم.

إن دنـــوت قـــرَّبـــنـــي أو بـــعـــدت عـــنـــه دنـــا

قال بعض الصالحين: البيت إذا خلا من الساكن خربَ، والقلب إذا خلا من خوف الله خرب.

وقد أجمع العلماء ـ والإجماع من أقوى الحجج؛ لقول المبعوث بالرسالة: «**لا تجتمع أمَّتي على ضلالة**»[1] ـ أجمعوا على مدح من يقبل على سماع كتاب الله تعالى وعلى ذم من أعرض عنه، كما يفعله بعض المفتونين وقت اجتماعهم لسماعهم ورقصهم، فيقرأ القارئ العشر فإنْ طوَّله، لوَّحوا له أنْ قَصِّر[2]. وبعضهم يصرخ ويقول: طوَّلت علينا. ويقول بعض المخذولين: اقرأ عُشر المسافرين، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

فيا خيبة قوم يستثقلون القرآن، ويستريحون بالرقص والغناء والألحان. هؤلاء والله من حزب الشيطان، ومن أعداء الرحمٰن؛ قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]. وقال ﷺ: «**من لم يشفه القرآن لا شفاه الله**»[3].

فهذه قلوب كادها باريها، وهي غافلة غير حاضرة. والويل لمن يجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة، قال الله سبحانه: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾﴾ [المدثر: ٤٩ ـ ٥٠]. وقال المولى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ

---

(١) أخرجه عبد بن حميد في «مسنده» (١٢٢٠)، وابن ماجه في «سننه» (٣٩٥٠) من حديث أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أمتي لا تجتمع على ضلالة؛ فإذا رأيتم اختلافًا فعليكم بالسواد الأعظم**».
وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٩٥٠) دون الشطر الثاني منه.

(٢) زاد في (ط): عشر.

(٣) جزء من حديث أخرجه ابن قانع في «معجم الصحابة» ٢١٥/١، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة ١١٢٧/٢ (٢٨٣١) من حديث رجاء الغنوي.
قال المناوي في «فيض القدير» ٦٢٧/١: وقد أشار الذهبي في «تاريخ الصحابة» إلى عدم صحة هذا الخبر، فقال في ترجمة (رجاء): له صحبة نزل البصرة، وله حديث لا يصح في فضل القرآن.
وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٨١٠).

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة: ٢٢].

أفٍّ لقوم يعرضون عن كلام الرحمٰن، ويقبلون ويطربون على مزامير الشيطان، وهذا دليل على الطرد والحرمان، وهذه الأشياء تأتي من حظوظ النفس وتسويل الشيطان؛ لأنه أول من ناح، وأول من غنى. لو اتبع السنة المريد، لانتفع وحصل له ما يريد. وما فاته الوصول، إلا لتضييعه الأصول، وهو طريق الرسول.

فإنْ قال أحدهم: إن هذا السماع جعلناه شبكة نصطاد به قلوب الغافلين![1]

صدق الشيخ في قوله؛ لأن جماعة منهم جعلوه شبكة لأجل أكل التراث وجمع الحطام، موافقة لليهود ـ عليهم اللعنة من الملك العلام ـ قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ﴾ [التوبة: ٣٤].

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي ـ رحمة الله عليه ـ في قوله تعالى: ﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢]: نزلت في اليهود ومَن كان من فقراء هذا الزمان مُؤْثِرًا للسماع بهواه، آكلاً مما حرَّمه مولاه، فهي نزعة يهوديةٌ، لأنَّ القوَّالَ يذكُر العشقَ وما هو بعاشقٍ، ويذكر المحبةَ وما هو بمُحبٍّ، والوَجدَ وما هو بمتواجِدٍ. فالقوَّال يقول الكَذبَ، والمستمعُ سمَّاعٌ له، ومن أكل من الفقراء طعامَ الظَّلَمة حين يُدعَى إلى السَّماع؛ فهو ممن يَصْدُق عليه قوله تعالى: ﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢][2].

فمن قال: إنا جعلنا السَّماع شبكةً!

---

(١) وهذا ما يقوله اليوم المنشدون الإسلاميون! وانظر كيف ينطبق عليهم جواب المؤلف!

(٢) هذا النص بطوله وحروفه في «لطائف المنن» لابن عطاء الله الإسكندري: ١٨٢، نقلاً عن شيخه: أبي العباس المرسي. وقد وهم المؤلف فنسبه إلى أبي الحسن الشاذلي.

يُقال له: شبكةٌ مخرَّقةٌ يخرج منها الصيد، وهي رَديَّة، عليك - أيها المؤمن - بالشبكة الصحيحة المحمدية، الموصلة إلى خير الدنيا والآخرة، وإلى الحضرة الصمدية. فمن ترك هذه الشبكة المباركة، ثم دخل في شبكة الطائفة الهالكة، فقد خرج عن السنة وعصى مالكه، وقد نصحتك - يا أخي! - والدين هو النصيحة، فاترك هذه البدع والفضيحة، واسمع ما أقول لكي لا تندم يوم القيامة ندمًا لا آخر بعده، وتقول: ﴿يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٦]. فالخير كله في السنة، وهو مفتاح الجنة.

والأولياء عليهم السلام ما جعلوا حركاتهم إلا في شيء يثابون عليه، مثل أداء الفرائض، والتقرب إلى الله تعالى بالنوافل، قال تعالى: ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ۝١٨ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ۝١٩﴾ [الذاريات: ١٧ - ١٩] ﴿يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ۝٦٤﴾ [الفرقان: ٦٤]، ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا﴾ [الفرقان: ٧٢]، ﴿وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا۩ ۝١٠٩﴾ [الإسراء: ١٠٩]، ﴿تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا﴾ [الفتح: ٢٩]، ﴿يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢]، ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ﴾ [الحشر: ٩]. وفي القرآن مثل هذا كثير، وفي هذا كفاية للمؤمن المتبع البصير.

كان داود الطائي[١] - وهو تلميذ أبي حنيفة رحمه الله - كان من التابعين - أي من التابعين للحق وما أمر به الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين، ولم يكن من التابعين الذين رأوا الصحابة، ورووا عنهم الحديث على اصطلاح المحدثين - من التابعين ومن المُتَّبِعين، وكان من كثرة اجتهاده لا يأكل خبزًا، بل يسكب على فتيت ماء ويشربه إذا احتاج

---

(١) أبو سليمان داود بن نصير الطائي (ت: ١٦٥هـ)، كان في أيام المهدي العباسي، أصله من خراسان، ومولده بالكوفة، رحل إلى بغداد، فأخذ عن أبي حنيفة وغيره، وعاد إلى الكوفة، فاعتزل الناس، ولزم العبادة إلى أن مات فيها. قال أحد معاصريه: لو كان داود في الأمم الماضية لقص الله تعالى شيئًا من خبره. وله أخبار مع أمراء عصره وعلمائه. مترجم: في «تاريخ بغداد» ٣٤٧/٨، و«حلية الأولياء» ٣٣٥/٧. (ت)

إليه، فقيل له: نفسك ما تشتهي الخبزَ؟ فقال: إنَّ بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية[1].

وصحَّ عن بعض الأئمة، وعن بعض مشايخ «الرِّسالة»: أنهم صلَّوا بوضوء العشاء الصبحَ أربعين سنة[2].

---

(1) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٦٩٤)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» ٣٥٣/٨. وفي هذا تكلُّف ظاهر، وقد كان رسول الله ﷺ يأكل الخبزَ، وكذلك الصحابة الكرام رضي الله عنهم. (ت)

(2) كتاب «الرسالة» لأبي نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري (ت: ٥١٤هـ)، ولم أجد فيه هذا، إلا قوله (ص: ١٣١): سمعت محمد بن أحمد الصوفي رحمه الله، يقول: سمعت علي بن عبد الله التميمي يقول: حكي عن محمد بن إسماعيل الفرغاني أنه قال: كنا نسافر مقدار عشرين سنة، أنا وأبو بكر الزقاق، والكتاني، لا نختلط بأحد، ولا نعاشر أحدًا، فإذا قدمنا بلدًا؛ فإن كان فيه شيخ سلمنا عليه، وجالسناه إلى الليل، ثم نرجع إلى مسجد، فيصلي الكتاني من أول الليل إلى آخره ويختم القرآن، ويجلس الزقاق مستقبل القبلة، وكنت استلقي متفكرًا، ثم نصبح ونصلي صلاة الفجر على وضوء العتمة، فإذا وقع معنا إنسان ينام كنَّا نراه أفضلنا.

وما ذكره المؤلف من صلاتهم الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة؛ ذكره أبو طالب المكي في «قوت القلوب» ٧٣/١، فقال: ذكر من روي عنه أنه أحيى الليل كله، ومن اشتهر بإحياء الليل كله، وصلّى الغداة بوضوء العشاء الآخرة أربعين سنة، أو ثلاثين سنة، حتى نقل عنه ذلك؛ أربعون من التابعين، منهم: سعيد بن المسيب، وصفوان بن سليم المدنيان، وفضيل بن عياض، ووهيب بن الورد المكيان، وطاووس، ووهب بن منبه اليمانيان، والربيع بن خيثم، والحكم بن عيينة الكوفيان، وأبو سليمان الداراني، وعلي بن بكار الشاميان، وأبو عبد الله الخواص، وأبو عاصم العباديان، وحبيب أبو محمد، وأبو جابر السلماني الفارسيان، ومالك بن دينار، وسليمان التيمي، ويزيد الرقاشي، وحبيب بن أبي ثابت، ويحيى البكاء البصريون، وكهمس بن المنهال، وكان يختم في الشهر تسعين ختمة، وما لم يفهم رجع فقرأه مرة أخرى، وأيضًا: من أهل المدينة أبو حازم، ومحمد بن المنكدر، في جماعةٍ يكثر عددهم، هؤلاء المشهورون منهم.

قلتُ: لا يسلَّم بهذا النقل حتى يتثبَّت فيه عن كلٍّ واحد منهم، ويعرف صحة إسناده، وقد يتصوَّر وقوع هذا من بعض الزهاد بعد عصر الصحابة وأئمة التابعين، أما سعيد بن المسيِّب وأمثاله من الأئمة فلا يسلَّم بوقوع هذا منهم، فإن فيه نقصًا وعيبًا، وتضييعًا للحقوق، ومخالفة لطبيعة الإنسان، فإنه يمرض وتعرض عليه آفات. (ت)

متى تلحق بهؤلاء الأبطال يا بطَّال؟ تمحو عمرك في الأكل والرقص والنوم، وتتصف بصفات القوم. تعمل عمل الفجار، وتطلب منازل الأخيار، أما سمعت قوله ﷺ: **«الكيِّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أَتبَعَ نفسَه هواها، وتمنَّى على الله»**[1].

كان بعض الصالحين يقول عند النزع: اللَّهم إنك تعلم، ما كنت أحب البقاء في الدنيا لغرس الأشجار، ولا لجري الأنهار، لكن لظمأ الهواجر، وقيام ليل الشتاء، ومزاحمة العلماء في حلق الذِّكْر[2].

أين هذا من فقير يأكل بالنهار، ويرقص بالليل، ويزاحم الجهال في خراب المساجد.

قال الجنيد رحمه الله: إذا رأيت المريد يطلب السماع، فاعلم أن فيه بقية من البطالة[3]. والله لا يحبُّ الرجل[4] البطَّال.

---

(١) أخرجه عبد الله بن المبارك في «الزهد» (١٧١)، والطيالسي في «المسند» (١٢١٨)، وأحمد في «المسند» ٤/١٢٤ (١٧١٢٣)، وابن ماجه في «السنن» (٤٢٦٠)، والترمذي في «الجامع» (٢٤٥٩)، والبزار في «المسند» (٣٤٨٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٣٦) و(٧١٤١) و(٧١٤٣)، وفي «مسند الشاميين» (٤٦٣)، والحاكم في «المستدرك» ١/٥٧ و٤/٢٥١، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٨٥)، والبيهقي في «السنن» ٣/٣٦٩، وفي «شعب الإيمان» (١٠٥٤٦)، والخطيب في «تاريخ بغداد» ١٣/٥٠٧، والبغوي في «شرح السنة» (٤١١٦) و(٤١١٧)، من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه.

قال الترمذي والبغوي: هذا حديث حسن.

وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري! فردَّه ابن حجر في «إتحاف المهرة» (٦٣١٥) بقوله: لا والله، بل أبو بكرٍ ضعيف جدًّا.

وضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي» (٤٣٦).

وسيكرره المؤلف رحمه الله في مواضع، ويذكر في موضع أن سبب الحديث أن رجلاً مُدح بين يدي النبي ﷺ بالكياسة فقال هذا الحديث. وليس في شيء من ألفاظ الحديث بيان هذا السبب، ولكن ورد في حديث آخر موضوع، سنذكره في موضعه.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ١/٢٣٩، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٥٨/٤٤٩ من كلام معاذ بن جبل رضي الله عنه.

(٣) انظر «الاعتصام» للشاطبي ١/٢٠٨.

(٤) في (خ): الرجال.

اسمع يا من دُهِي في عمره، وجعل صنعته في الأكل الزائد، والنط في الزوايا والمساجد؛ متى تلحق بقوم تتجافى جنوبهم عن المضاجع:

عنـدَ الـصَّـبـاح يَـحـمَـدُ الـقـومُ الـسُّـرَى

ولكن من لم يستح يعمل[1] ما يشتهي، قال صلوات الله عليه وسلامه: «**إن مما أدرك النَاس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحي فاصنع ما شئت**»[2]، وفي حديث آخر: «**الحياء من الإيمان**»[3].

---

(١) في (ب): يفعل.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ١٢١/٤ (١٧٠٩٠)، والبخاري في «صحيحه» (٣٤٨٣)، وفي «الأدب المفرد» (٥٩٧)، وأبو داود في «سننه» (٤٧٩٧)، وابن ماجه في «سننه» (٤١٨٣) من حديث أبي مسعود الأنصاري.

(٣) أخرجه مالك في «الموطأ» (١٦١١)، والحميدي في «مسنده» (٦٢٥)، وأحمد في «مسنده» ٩/٢ (٤٥٥٤)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٧٢٥)، والبخاري في «صحيحه» (٢٤) وفي «الأدب المفرد» (٦٠٢)، ومسلم في «صحيحه» (٣٦)(٥٩)، وأبو داود في «سننه» (٤٧٩٥)، وابن ماجه في «سننه» (٥٨)، والترمذي في «جامعه» (٢٦١٥)، والنسائي في «المجتبى» ١٢١/٨ (٥٠٣٣)، وفي «السنن الكبرى» (١١٧٦٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وهنا في حاشية (ب) تعليق، وهم فيه (ق) فأدخله في صلب الكتاب، وهو تعقُّب علىٰ المؤلف، نصُّه: (قالوا: هذا خطأٌ، ومعناه: إذا فعلت ما لا ينبغي أن تستحي بفعله من الله تعالى أو من الناس فافعله، وإلا فلا تفعله) وهذا أحد القولين في تفسير الحديث، ذكرهما ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث والأثر» (مادة: حيا). أما القول الأول: فهو ظاهر الحديث، وهو المشهور، وهو: إذا لم تستح من العيب، ولم تخش العار، ممّا تفعله، فافعل ما تحدّثك به نفسك من أغراضها حسنًا كان أو قبيحًا، ولفظه أمر، ومعناه توبيخ وتهديد، وفيه إشعار بأنَّ الذي يردع الإنسان عن مواقعة السوء هو الحياء، فإذا انخلع منه كان كالمأمور بارتكاب كل ضلالة، وتعاطي كل سيئة. والقول الثاني: أن يحمل الأمر على بابه، ويكون المعنى: إذا كنت في فعلك آمنًا أن تستحيي منه، لجريك فيه على سنن الصواب، وليس من الأفعال التي يستحيا منها، فاصنع منها ما شئتَ منها. وهذا ما ذُكر في التعليق. =

وقالوا فيمن هذه حرفتهم:

أيا جيلَ التصوفِ شرَّ جيلِ ... لقد جئتم بشيء مستحيلِ
أفي القرآن قال لكم إلهي ... كلوا أكلَ البهائم وارقصوا لي[1]

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله: سألت أستاذي عن السماع فأجابني بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الصافات: ٦٩ ـ ٧٠].

وقال السيد الجليل المحتَرِقُ البصريُّ: رأيتُ إبليس ـ لعنه الله ـ في المنام، فقلت له: كيف رأيتنا عزفنا عن الدُّنيا ولذاتها وأموالها، فليس لك إلينا طريقٌ؟ فقال: كيف رأيتم ما استجلبت به قلوبكم؟ استجلبتها باستماع

= وقال ابن القيم في «الجواب الكافي»: فالمعنى على الأول يكون تهديدًا كما في قوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]، وعلى الثّاني إذنًا وإباحةً، ولا يمكن حمل الحديث على المعنيين جميعًا لما بين الإباحة والتهديد من المنافاة، واعتبار أحد المعنيين يوجب عدم اعتبار الآخر.

وقال ابن حجر في «فتح الباري» ٥٢٣/١٠: قال الخطابيُّ: الحكمة في التعبير بلفظ الأمر دون الخبر في الحديث أن الذي يكف الإنسان عن مواقعة الشر هو الحياء، فإذا تركه صار كالمأمور طبعًا بارتكاب كل شرّ. وقال النووي في «الأربعين»: الأمر فيه للإباحة، أي إذا أردت فعل شيء فإن كان مما لا تستحي إذا فعلته من الله، ولا من الناس فافعله، وإلا فلا، وعلى هذا مدار الإسلام، وتوجيه ذلك أن المأمور به الواجب والمندوب يستحي من تركه، والمنهي عنه الحرام والمكروه يستحي من فعله، وأما المباح فالحياء من فعله جائز، وكذا من تركه فتضمن الحديث الأحكام الخمسة. وقيل: هو أمر تهديد، ومعناه: إذا نزع منك الحياء فافعل ما شئت، فإن الله مجازيك عليه، وفيه إشارة إلى تعظيم أمر الحياء، وقيل: هو أمر بمعنى الخبر، أي: من لا يستحي يصنع ما أرادَ.

(١) ذكره الصفدي في «الوافي بالوفيات» ٧٨/١٥، وابن شاكر الكتبي في «فوات الوفيات» ٤٥/٢، وابن العديم في «بغية الطلب» ٢٣٠/٤، ونسبوه إلى سداد بن إبراهيم الظاهر الجزري، المتوفى في حدود الأربع مئة، ونص البيتين عندهم:

أرى جيل التصوف شر جيلٍ ... فقل لهم وأهون بالحلول
أقال الله حين عشقتموه ... كلوا أكل البهائم وارقصوا لي

السماع، ومعاشرة الأحداث[1].

ومن ابتلاه الله تعالى بشيء من ذلك، فهو عبدٌ أهانه الله سبحانه وخذله، بإجماع أهل الطريق الذي شغله بغيره. كان بعض الصالحين يقول:

أتوب إلى الذي أضحى وأمسى	وقلبي يتَّقيه ويرتجيه
تشاغل كل مخلوق بشغلٍ	وشغلي في محبته وفيه

فلما سمعه سفيان بكى، وقال: نعم، الشغل شغلك[2].

وأصعب ما تقدم ذكره تهوين ذلك: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]. فمن ارتكب هذه المحظورات، وزعم أن النظر إلى المردان استدلال على صنعة الواحد الديان، وهذا أيضًا زور وبهتان، فقد خرج فاعله عن السنة والقرآن. قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]. وقال ﷺ: «**النظر سهم مسموم من سهام إبليس**»[3].

فاحذر - أيها الغافل! - لأن السُّم قاتل. ثم يتعامى أحدهم عن قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٠]، وإلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠].

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» ٤٢٩/١٤ في ترجمة: (أبي الفرج الرستمي الصوفي) قال: سمعت المحترق البصري يقول: فذكره. وأخرجه ابن الجوزي في «ذم الهوى» ١١٤. وعندهما: (المحترق) كما أثبتناه، ولم أجد له ترجمة، وفي(ب، خ): (المحترف)، وهو تحريف، وفي موضعه بياض في (ق). (ت)

(٢) لم أقف عليه.

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» ١٧٣/١٠ (١٠٣٦٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، والحاكم في «المستدرك» ٣١٤/٤ من حديث حذيفة رضي الله عنه.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
قال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (١٠٦٥): ضعيف جدًا.

وقال سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [يوسف: ١٠٥].

وما من شيء من خلق الله تعالى إلا وفيه عبرة لمن اعتبر، فيتعامون عن ذلك كله ويخالفون الله تعالى فيما أمر، ولا يسمعون من الحديث والأثر[١]، قال سيد البشر: «**زنا العين النَّظر**»[٢].

وصحَّ أنَّ النبي ﷺ نهى أن يحدَّ الرجلُ النظر إلى الغلام الأمرد، الحسن الوجه[٣].

ونهى أيضًا عن مجالسته وأقام أمرد من بين يديه وأجلسه خلفه[٤].

فاسمعْ وعِ[٥] يا مَن حضر.

وروي أنَّ أنس بن مالك، ومالك بن أنس، وأحمد بن حنبل، وسفيان

---

(١) (ب): والخبر. وأثبتها (ط): (من الحدث والنشو)، وعلق عليه بقوله: النشو باللهجة، وهو النشء بالفصحى (!).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢/٢٧٦ (٧٧١٩)، والبخاري في «صحيحه» (٦٢٤٣)، ومسلم في «صحيحه» (٢٦٥٧)(٢٠)، وأبو داود في «سننه» (٢١٥٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٥٤٤) دون قوله: وزنا العين النظر، وابن حبان في «صحيحه» (٤٤٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن عدي في «الكامل» ٧/٩٦ وفي إسناده الوازع بن نافع، قال ابن عدي: عامة ما يرويه غير محفوظ.
قال ابن القطان في «أحكام النظر» (ص ١١٨): وإسناده في غاية الضعف.
وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٥٩٦٩): موضوع.

(٤) ذكره ابن القطان الفاسي في «أحكام النظر» (ص ١١٩) قال: رواه ابن شاهين بإسناد مجهول إلى أبي أسامة حماد بن أسامة عن مجالد عن الشعبي قال: قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ، وفيهم غلام أمرد ظاهر الوضاءة؛ فأجلسه النبي ﷺ وراء ظهره، وقال: «**كانت خطيئة داود النظر**».
قال ابن القطان: من دون أبي أسامة مجهول، ومجالد ضعيف، وهو مع ذلك مرسل.
وقال ابن حجر في «التلخيص» ٣/٣١٥: وإسناده واهٍ.

(٥) في (خ): فاسمعوا وعوا.

الثوري والحسن البصري، وجماعة كثيرة من التابعين: لا يَدَعون الأمردَ يحضر مجلسهم[١].

وكان أبو حنيفة رضي الله عنه يُعلِّم محمد بن الحسن من وراء ظهره، فلما طلعت لحيته أجلسه بين يديه، وكان السلف الصالح إذا أقبل الأمرد الحسن غمض عينيه، وفر كفراره من الأسد، وقال قائلهم[٢]:

فوالله ما أدري أنفسي ألومها ... على الحب أم عيني المشومة أم قلبي
فإن لمت قلبي قال لي العين أبصرت ... وإن لمت عيني قالت الذنب للقلب
فعيني وقلبي قد تشاركن في دمي ... فيا رب كن عوني على العين والقلب

فإن تأول أحد من هؤلاء الخارجين، فهو من وساوس الشياطين. كقول أحدهم إنه يشاهد صنعة الله تعالى، وما في قلبه شيء. هذا الرجل أنطقه الله سبحانه الذي أنطق كل شيء. إن ما في قلبه شيء صدق، ما في قلبه حياء ولا إيمان؛ لما جاء في الحديث الصحيح: «**إن الحياءَ من الإيمان**»[٣]، فمن لا حياء له، لا إيمان له. وفي حديث آخر: «**الحياء خير كله**»[٤]، الحياء لا يأتي إلا بخير فمن فاته الحياء فقد فاته الخير كله، ويخاف على من ادَّعى أنه عبادة؛ أن يحرم عند الموت الخير والشهادة.

قيل للشيخ إبراهيم بن معضاد الجَعْبَريُّ[٥]: يا سيدي، النظر إلى المردان هو عبادة؟ قال: لا، بل قيادة، وهي - واللهِ! - من قلَّة الدين والسعادة.

وقيل له: قد كنت تحضر السماع فلم تركته؟ قال: خرجت من البدعة، ودخلت في السنة.

---

(١) انظر «سلوة الأحزان في النهي عن مجالسة الأحداث» (ص ٢٨).

(٢) في (ق): وأنشد.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» ٤/٤٢٦ (١٩٨١٧)، والبخاري في «صحيحه» (٦١١٧)، وفي «الأدب المفرد» (١٣١٢)، ومسلم في «صحيحه» (٣٧)(٦٠)، وأبو داود في «سننه» (٤٧٩٦) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٥) توفي سنة (٦٨٧) رحمه الله، وسيذكره المؤلف في موضع لاحق، ونترجم له هناك.

فإن ادعى الناظرُ العصمة، فهو ضمير الكفر[١]، ويكفي هذا المغرور اشتغال قلبه بمخلوق عن الخالق، قال ﷺ حاكيًا عن ربه جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: **«حرامٌ على قلبٍ، يسكنُه غيري أن يسكنه حُبِّي»**[٢].

يا هذا، لو أحبك الله سبحانه لجمعك عليه، ولحبَّب إليك الطريق الموصلة إليه. كما قال بعضهم:

قل لمن أعرض عنَّا ... إن إعراضك منَّا
لو أردناك لأضحى ... كل ما فيك يردنا

ثم اعلم - أيها المملوك! - ما كلُّ أحد يصلح لمجالسة الملوك، ما كل بدن يصلح لخدمته، ولا كل قلب يصلح لمعرفته[٣]، فمن سلك الطريق، فهو مؤمن صِدِّيق، ومن خرج عنها، فهو قليل التوفيق، ومن جحدها فهو عبد زنديق، كمن ادعى الحقيقة ونبذ الشريعة.

وقد أجمع العلماء والأولياء أن كل حقيقة لا توافق الشريعة فهي زندقة، فمن قال: نحن رجال أصحاب أحوال، وهؤلاء الفقهاء أصحاب قيل وقال. تهاونًا بالشريعة المطهرة، يصير كافرًا، وما نال أحد شيئًا من الحقيقة، إلا ببركةِ دخوله في الطريقة؛ لأن الطريقة كالباب، والحقيقة كالمنزل. ولا يمكن الدخول إلى المنزل إلا من الباب[٤].

---

(١) (ضمير الكفر) كذا في النسخ.

(٢) في (ق): (تسكنه محبَّتي). وهذا الحديث القدسي لم نقف له على أصل، وإنما ذكره ابن الحاج في «المدخل» ٣/١١٦، فقال: وفي الحديث: «يقول الله تعالى: حرام على قلب سكنه حب غيري أن أُسكِنَه حبي». كذا ذكره، ولم يعزوه لأحدٍ!

(٣) (ب): لمحبته.

(٤) إن كان يقصد بالطريقة: الطريقة المحمدية وهي اتباع الكتاب والسنة على منهج سلف الأمة وأئمة الدين، وبالحقيقة: التوحيد والإيمان واليقين والإخلاص والصدق مع الله تعالى؛ فهذا حقٌّ، فإن حقيقة التوحيد والإيمان لا تنال إلا من طريق ما جاء به النبي ﷺ. وظننا في المؤلف أنه يقصد هذا المعنى الصحيح، أما الصوفية فلهم اصطلاحهم الخاص في استخدام كلمة (الطريقة) حيث تدل على منهج الشيخ الصوفي في تربية أتباعه على عقائد وممارسات الصوفية المبتدعة، يزيد فيها وينقص بما يوافق=

فإن قيل لبعض المفتونين: إن هذا في الشرع حلال، وهذا حرام. فيقول: أنتم تقولون من القال، ونحن نقول من الحال، أنتم تقولون من الشريعة، ونحن نقول من الحقيقة.

جوابه: اعلم أيها المبتدع المنكوب في الأقوال والأحوال، أن كل حال لا يوافق القال، فهو زُورٌ وَمُحالٌ، وصاحبه بطّال. فلا تفعله، وخف من شديد المحال.

ونعوذ بالله من أُخوَّة النسوان، ومن صحبة المردان، ومن قول أحدهم: ومن لا شيخ له فشيخه الشيطان! وإن السماع بالكفِّ أو الدف مع الغناء والهُنُوك والألحان؛ حقٌّ، ويقرِّب إلى الرحمٰن! كل ذلك زور وبهتان، وما أنزل الله به من سلطان.

وكذلك المخبر إذا صحا من وَجده: قيل لي! ومنهم من يشير إلى قوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]؛ أي: أُسري بروحه. وقول أحدهم: شربت. وقول الآخر: اسقني. وقول أحدهم:

أنت لي وحدي حلال ... وعلى غيري حرام

أنت إن واصلت غيري ... فعلى الدنيا السلام

ومنهم من يقول غير هذا؛ ويكثر الهذيان، والجميع من البدع، ولا يرضي الواحد الدَّيَّان.

فمن ادعى أنه صاحب حال، مع مباشرة هذه الأحوال، فإنه في ضلال؛ لأنها أفعال مليمة، واجتماعات ذميمة، وأحوال صادرة عن اعتقادات سقيمة. فما هي إلا أهواء صحيحة، وعقول مريضة.

والدليل على ذلك أن النبي ﷺ لم يفعل شيئًا من ذلك ولا الصحابة ولا التابعون. ولا نطقوا بتلك العبارات. ولا أشاروا بتلك الإشارات. ولا اجتمعوا كذلك، ولا حوَّموا على شيء من هنالك. وهم قدوة العارفين. وخِيرة الله من العالمين. الفاهمون عن الله تعالى. الآخذون عن رسول الله ﷺ.

= هواه، ويناسب البيئة التي يعيش فيها. أما (الحقيقة) فهي ما تقابل (الشريعة)، وهي في حقيقتها باطنية وزندقة تقتضي الاستخفاف بالشريعة والانسلاخ منها. (ت)

اختارهم لحمل أمانته، وبيان شريعته. فلو كان الأمر على ما اخترعه أصحاب التواجد لسارع السلف الصالح إليه، ولتراموا عليه، ولشاع في السابقين المتشرعين، كما شاع في المتأخرين المبتدعين. وكلما هبت رياح الباطل، سكَّنتها زعازع الدلائل.

قال الله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقال ﷺ: «**ما تركت شيئًا يقربكم إلى الجنة إلا وأمرتكم به**»(١).

وقال خير البرية: «**تركتها بيضاء نقية**»(٢).

وقد أجمع العلماء أن هذا السماع الذي يرقص فيه على الدف أو الكف محدث في دين الإسلام بعد القرون الثلاثة الذين أثنى عليهم ﷺ بقوله: «**خير القرون الذين بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»(٣).

والحديث الذي ترويه هذه الطائفة أن النبي ﷺ تواجد هو وأصحابه، واهتز حتى سقط الرداء عن منكبيه، فأخذوه وجعلوه أربع مئة قطعة، فأخذ كل واحد قطعة. الحديث بطوله باطل غير صحيح عند أهل الحديث(٤).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٤٧٣)، والبغوي في «شرح السنة» (٤١١١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.
وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٨٦٦).

(٢) أخرجه أحمد ١٢٦/٤ (١٧١٤٢) من حديث العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب. قلنا: يا رسول الله إن هذه لموعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ قال: «**قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بما عرفتم من سنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وعليكم بالطاعة، وإن عبدًا حبشيًا، عضوا عليها بالنواجذ، فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما انقيد انقاد**». وقد تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه بلفظ «**خير الناس قرني**».

(٤) لم أقف عليه مسندًا، وقال ابن تيمية رحمه الله في «الفرقان» (ص ١٠٣): هذا كذب باتفاق أهل العلم.

وكذلك قول بعضهم: إنَّ الملائكة والنبيين والصالحين تحضر هذا السماع، وترغب في هذا الاجتماع.

وهذا أيضًا لا يصح، والصحيح أنه تحضره الشياطين وتنفخ فيهم؛ لما روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنه، مرفوعًا إلى النبي ﷺ: «**إن الشيطان قال: يا رب اجعل لي بيتًا. قال: بيتك الحمام. قال: اجعل لي قرآنًا. قال: قرآنك الشعر. قال: اجعل لي مؤذنًا. قال: مؤذنك المزمار**»[1].

قال الله تعالى مخاطبًا للشيطان: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤]. وقد فسره طائفة من السلف بصوت الغناء، وهو شامل له ولغيره من الأصوات المستفزة لأصحابها عن سبيل الهدى. وقال ﷺ: «**إنما نُهيت عن صوتين فاجرين؛ صوتِ لهو ولعب، ومزامير الشيطان**»[2].

فإن قالوا: إن الشعرَ قد قيل بين يدي النبي ﷺ[3]! لا ننكر ذلك؛ بل ننكر الألحان والصنعة التي تحدث[4] الطرب كالتغزُّل، وما يضاف إليه من

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» ١٠٣/١١ (١١١٨١)، وعنه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ٢٧٨/٣ وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١/ ١١٤: رواه الطبراني في الكبير وفيه يحيى ابن صالح الأيلي ضعفه العقيلي.
وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٦٠٥٥): منكر.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٢٢٥١)، وعبد بن حميد في «مسنده» (١٠٠٦)، والترمذي في «جامعه» (١٠٠٥) من حديث جابر رضي الله عنه. قال الترمذي: هذا حديث حسن. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥١٩٤).

(٣) من ذلك حديث سعيد بن المسيب، قال: مر عمر بحسان بن ثابت وهو ينشد في المسجد، فلحظ إليه فقال: قد أنشدت وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبي هريرة فقال: أسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أجب عنّي، اللّهم أيده بروح القدس**»؟ قال: اللّهم نعم.
أخرجه الحميدي في «مسنده» (١١٠٥)، وأحمد في «مسنده» ٢٢٢/٥ (٢١٩٣٦)، والبخاري في «صحيحه» (٣٢١٢)، ومسلم في «صحيحه» (٢٤٨٥)(١٥١)، وأبو داود في «سننه» (٥٠١٣)، والنسائي في «المجتبى» ٤٨/٢ (٧١٦)، وفي «السنن الكبرى» (٧٩٥).

(٤) في (ب): تورث.

ضرب الدُّف أو الكفِّ والشبابة، وذِكْر القدِّ والخَدِّ والأعطَاف والعذار، لم يأت قطُّ في الأخبار أن مثل هذه الأشعار ذُكِر بين يدي النَّبي المختار. والأشعار التي كانت تُقال بين يديه ﷺ هي مما تهيج الحروب، أو ما فيه حكمة وموعظة للقلوب في إنشادها حكمة، وتحث أهل الإيمان على جهاد أهل الكفر والطغيان؛ فأبيح لذلك.

وكذلك ما جرى للحبشة يوم لعبهم بالدرق[1]، والحراب في مسجد النبي ﷺ[2]؛ لأنه كان يوم عيد. وهذا لا يتناول محل النزاع؛ لأن ذلك لم يكن من الحبشة رقصًا على ضرب دُفٍّ أو كفٍّ أو غناء، ولا تحركًا عن هوى، ولا ضربًا بالأقدام، ولا إشارة بالأكمام. بل كان لعبًا بالسلاح وتهيئًا للكفاح في الحرب، وتعليم الكَرِّ والفرِّ، والطعن والضرب، فأبيح كذلك. والضرورات تبيح المحذورات. فلا يقاس عليه غيره، لكي لا يكون ذلك سببًا لخراب المساجد والزوايا من نط هؤلاء البطَّالين.

وقد صح أن النبي ﷺ دعا على من يبيع في المسجد، وعلى من ينشد الضالة فيه[3].

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنى بناءً خارجًا عن المسجد، وقال للناس: من أراد أن ينام أو ينشد شعرًا أو يتكلم بكلام الدنيا فليذهب إليه، ومن أراد الصلاة والذكر والقراءة يأتي إلى المسجد[4].

---

(١) الدرق: جمع الدرقة وهي الترس إذا كان من جلد ليس فيه خشب ولا عصب. انظر: «لسان العرب» (مادة: درق).

(٢) أخرجه الحميدي في «مسنده» (٢٥٤)، وأحمد في «مسنده» ٦/٥٦ (٢٤٢٩٦)، والبخاري في «صحيحه» (٤٥٥)، ومسلم في «صحيحه» (٨٩٢) (١٧)، والنسائي في «المجتبى» ٣/١٩٥ (١٥٩٥) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: رأيت رسول الله ﷺ يسترني بردائه، وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد، حتى أكون أنا أسأم، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه مالك في «الموطأ» (٤٢٢) عن عمر بلاغًا، ووصله البيهقي في «السنن الكبرى» ١٠/١٠٣ من طريق مالك، ولفظه: أن عمر بن الخطاب بنى رحبة في ناحية المسجد=

وكذلك ما جرى لعائشة رضي الله عنها من إنشاد الشعر وضرب الدفِّ؛ كان يوم عيد، وكانت طفلة، وكان في ابتداء الإسلام(١). وصحَّ عنها بعد بلوغها ذم المعازف والغناء(٢)، ولا يستدل بما نشدت عائشة من الأشعار، ولا بقول بنات النجَّار. وقد أباحه بعض العلماء، وقال: لا بأس به، ومن جملتهم عُبيد الله بن الحصين العَنْبريُّ، وهو مطعون فيه. وكفَّره القاضي أبو بكر في كتاب «الهداية»(٣).

= تسمى البطيحاء، وقال: من كان يريد أن يلغط، أو ينشد شعرًا، أو يرفع صوته؛ فليخرج إلى هذه الرحبة.

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٦/٣٣ (٢٤٠٤٩)، والبخاري في «صحيحه» (٩٥٠) نحوه، ومسلم في «صحيحه» (٨٩٢)، وابن ماجه في «سننه» (١٨٩٨)، والنسائي في «المجتبى» ٣/١٩٥ (١٥٩٣) من حديث عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ دخل عليها وعندها جاريتان تضربان بدفين، فانتهرهما أبو بكر. فقال النبي ﷺ: **«دعهن فإن لكل قوم عيدًا»**. وألفاظهم متقاربة وأثبتنا لفظ النسائي.

أما قول المؤلف رحمه الله: (وكان ذلك في ابتداء الإسلام) فغير صحيح، فمعلوم أن هذه الحادثة كانت في المدينة، ولم يأت ما يدل على نسخه، لكنه يقصد أن عائشة رضي الله عنها كانت صغيرة في ذلك الوقت، لهذا ذكر بعده ما ذكر. (ت)

(٢) يعني حديث: أنَّ بنات أخي عائشة خُتِنَّ فقيل لعائشة: ألا ندعو لهن من يلهيهن، قالت: بلى فأرسلتُ إلى عديٍّ فأتاهن، فمرت عائشة في البيت فرأته يتغنَّى، ويحرِّك رأسه طربًا ـ وكان ذا شعر كثير ـ فقالت: أفٍّ شيطان. أخرجوه أخرجوه.

أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٢٤٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» ١٠/٢٢٣. وصححه الحافظ ابن رجب في «نزهة الأسماع في مسألة السماع» (ص ٥٥)، وحسنه الألباني في تعليقه على «الأدب المفرد».

(٣) في النسخ: (عبدالله بن الحصين الطبري)، والصواب ما أثبتناه، وهو: عُبيد الله بن الحسن بن الحصين بن أبي الحرّ العنبري البصري القاضي، من كبار أتباع التابعين، قال ابن حبان: من سادات أهل البصرة فقهاً وسماعاً. توفي سنة (١٦٨). قال الطرطوشي في «تحريم الغناء والسماع» ١٦٤: «وما خالف في الغناء إلاّ رجلان: إبراهيم بن سعدٍ، فإن الساجي حكىٰ عنه أنه كان لا يرىٰ به بأساً. والثاني: عبيد الله بن الحسن العنبري قاضي البصرة، وهو مطعون فيه، قال القاضي أبو بكر في كتاب «الهداية»: يجب تكفير عبيد الله بن الحسن العنبري وعمرو بن بحر الجاحظ في قولهما: «كل مجتهد مصيب من أهل الأديان». . . .». وأبو بكر هو ابنُ الباقلانيِّ (ت: ٤٠٣) من أئمة الأشاعرة، وكتابه: «هداية المسترشدين» في علم الكلام لا يزال=

وأهدر النبي ﷺ دم بعض الشعراء، فهام على وجهه وانقطع عن أهله فتاب، وجاء معتذرًا مستسلمًا[(١)]، وجاء في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ [لقمان: ٦]. قال ابن عباس: هو الغناء والاستماع له[(٢)].

= مخطوطاً، وتكفيره للعنبري من مجازفات المتكلِّمين، وقد بيَّن شيخُ الإسلام ابن تيمية أن مراد العنبري أنه معذور لا يأثم، لأنه بذل وسعه في طلب الحقِّ، لا أنَّ كلَّ واحدٍ من المجتهدين في مسألةٍ إذا قالا قولين متناقضين يكون قول كلٍّ واحدٍ منهما صواباً. انظر: «المجموع» ١٣٨/١٩ و١٢٥/١٣، و«منهاج السنة» ٨٧/٥.

(١) في (ط): مسلمًا. وهو كعب بن زهير، وأخرج حديثه الحاكم في «المستدرك» ٥٨٣/٣ - ٥٨٤ من طريق محمد بن إسحاق قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة منصرفه من الطائف وكتب بجير بن زهير بن أبي سلمى إلى أخيه كعب بن زهير بن أبي سلمى يخبره أن رسول الله ﷺ قتل رجالاً بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه، وأنه من بقي من شعراء قريش: ابن الزبعرَى، وهبيرة بن أبي وهب، قد هربوا في كل وجه فإن كانت لك في نفسك حاجة فطر إلى رسول الله ﷺ؛ فإنه لا يقتل أحدًا جاءه تائبًا، وإن أنت لم تفعل فانج بنفسك إلى نجائك. وقد كان كعب قال أبياتاً نال فيها من رسول الله ﷺ حتى رويت عنه وعرفت وكان الذي قال:

ألا أبـلـغـا عـنـي بـجـيـرًا رسـالـة	وهـل لـك فـيـمـا قـلـت ويـلـك هـل لـكـا
فـخـبـرتـنـي إن كـنـت لـسـت بـفـاعـل	عـلـى أي شـيء ويـح غـيـرك دلـكـا
عـلـى خـلـق لـم تـلـف أمًـا ولا أبـا	عـلـيـه ولـم تـلـف عـلـيـه أبـا لـكـا
فـإن أنـت لـم تـفـعـل فـلـسـت بـآسـف	ولا قـائـل لـمـا عـثـرت لـعـالـكـا
سـقـاك بـهـا الـمـأمـون كـأسًـا رويـة	فـانـهـلـك الـمـأمـون مـنـهـا وعـلـكـا

قال: وإنما قال كعب المأمون؛ لقول قريش لرسول الله ﷺ، وكانت تقوله فلما بلغ كعب ذلك ضاقت به الأرض، وأشفق على نفسه وأرجف به من كان في حاضره من عدوه فقالوا: هو مقتول فلما لم يجد من شيء بدًا. قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ، وذكر خوفه وإرجاف الوشاة به من عنده، ثم خرج حتى قدم المدينة، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جهينة - كما ذُكر لي - فغدا به إلى رسول الله ﷺ حين صلى الصبح، فصلى مع الناس ثم أشار له إلى رسول الله ﷺ، فقال: هذا رسول الله ﷺ، فقم إليه فاستأمنه. فذُكر لي أنه قام إلى رسول الله ﷺ حتى وضع يده في يده، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه، فقال: يا رسول الله، إن كعب بن زهير جاء ليستأمن منك تائبًا مسلمًا، هل تقبل منه إن أنا جئتك به؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نعم**» فقال: يا رسول الله، أنا كعب بن زهير... وذكر الحديث.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢١٥٤٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٢٢٣/١٠ من قول ابن عباس رضي الله عنهما. وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد».

وفي الحديث ـ أيضًا ـ: أن إبليس أوَّل من ناح، وأول من غنَّى[1].

وقال ﷺ: **«كسب المغني والمغنية حرام، وكسب الزانية سحت، وحق على الله أن لا يدخل الجنة لحمًا نبت من سحت»**[2].

ونهى أيضًا عن لعب الدُّف[3]، ولعب الطبل، وصوت الزمارة. وجاء في التفسير عن الصحابة المكرمين، وعن جماعة من التابعين رضي الله عنهم أجمعين، في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥]: المكاء كالصفير ونحوه، والتصويت مثل الغناء، والتصدية: التصفيقُ باليد[4].

فقد أخبر المولى بأن المشركين جعلوا التصفيق عبادة وصلاة وقُربة ﴿ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ [الأعراف: ٥١]، فمن تشبه بهم في الدنيا يخاف عليه أن يحشر معهم في الآخرة لقوله ﷺ: **«من تشبه بغيرنا فليس منا»**[5].

فهؤلاء المساكين استزلهم الشيطان، واستغوى عقولهم في حب الأغاني والسماع، فاعتقدوه من الدين الذي يقربهم لرب العالمين. وجهرت به طائفة

---

(١) قال العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (٢٢٠٢): لم أجد له أصلاً من حديث جابر، وذكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طالب، ولم يخرجه ولده في مسنده.

(٢) أخرجه أبو بكر الشافعي في «الغيلانيات» (٨٤)، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وإسناده ضعيف جدًا.
وأخرج أحمد في «المسند» ٥/٢٥٧ (٢٢٢١٨) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعًا: «وأمرني ربي أن أمحق المزامير والكنَّارات ـ يعني البرابط والمعازف ـ والأوثان التي كانت تعبد في الجاهلية». وإسناده ضعيف جدًا.

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» ١٣/٣٠٠ من حديث علي رضي الله عنه. وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٤٧٢٩): ضعيف جدًّا.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩٠٤٥)، والطبري في «تفسيره» ١٣/٥٢٢ من تفسير ابن عباس رضي الله عنه.

(٥) تقدم تخريجه.

من المسلمين. وشاقت سبيل المؤمنين، وخالفت الفقهاء والعلماء أئمة الدين. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

وهذه الأشياء لا تليق بالمؤمنين العقلاء، فكيف تليق بالمتديِّنين الأتقياء الذين اختصهم الله سبحانه لمعرفته، ونوَّر قلوبهم بمشاهدته، وحمى ظواهرهم عن مخالفته، وبواطنهم عن الركون لغير ألوهيته، عن التوسع في مباحاته، فهمُّهم التقرب إليه، وسلوك السبيل الذي دلَّهم ﷺ عليه. فهم بهداه يهتدون، وبسنته يقتدون. وقد كشف لهم على القطع والثبات، أن ما سوى سبيله أباطيل وترَّهات. ولم يُنقل ذلك عن نبي من الأنبياء، ولا عن ولي من الأولياء، ولا عن أحد من العلماء إباحة الرقص على المزامير والأوتار؛ لتحريم سماعه، ولأنه من شعار أهل الفسق والخمور، ومما لا يرضاه[1] الرب الغفور، وفيه تهييج الشهوات.

ومن أباحه من المتأخرين لا يعتمد على قوله؛ لأنه خرج عن طريق المرسلين، واتبع غير سبيل المؤمنين. فأبدى نظرًا سقيمًا اقتحم فيه أمرًا عظيمًا وصار به للخائنين خصيمًا.

ثم اعلم بأن الشِّعر حسنه حسن، وقبيحه قبيح. فشِعرٌ فيه حكمة، أو ما يذكر بالآخرة أو شيئًا من العلوم فهو حسن، ويقرب عامله للحي القيوم، وأما شعر يحرك دواعي الصبا، ويذكر بما مضى من شهوات الإنسان وانقضى، فيلزم[2] أن يكون حرامًا؛ لأنه يسخط رب العباد؛ وهو مطية الفساد.

قال الفضيل رحمة الله عليه: الغناء رقية الزنا[3].

---

(١) في (خ): يرضي.

(٢) في (خ): فلزم.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» (٥٥)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» ٥٠٦/٦ لابن أبي الدنيا والبيهقي.

وقال الضحاك: الغناء مفسدة للقلب، مسخطة للرب[1].

وقال عمر بن عبد العزيز: الغناء ينبت النفاق في القلب[2].

ومرَّ ابن عمر برجل يغني فقال: لا سمع الله لكم[3].

فإن قالوا: إن الغناء مطية الفساد في العوام، لغلبة الشهوات عليهم. ومِن عدم مجاهداتهم لأنفسهم. ولذلك فرَّق بعض المشايخ المحققين بين أحوال السامعين فقال: السماع حرام على العوام لعدم المجاهدة، وعلى المريدين مكروه لبقاء نفوسهم. ومباح للعارفين لصفاء قلوبهم.

جوابه: إن هذا التفريق ليس وراءه ذرة من التحقيق؛ لأنه يضاهي قول القائل: الخمر حلال في حق من شرب ولم يسكر، والخلوة جائزة بالأجنبية لمن لا أرب له في النساء. وهذا قول باطل، وسببه أن النفوس لا تؤمن غلبتها وتسويلها.

ثم اعلم بأن تعاطي السماع فيه تشبه بأهل الفسوق والمجان، والتشبه بهم حرام، وإن نوى به الخير في الباطن؛ لكن ظاهره هو غناء مطرب، ولهو، ورقص وطبل وزمر. وفي الخبر الصحيح: أنَّ من تشبه بقوم فهو منهم[4].

---

(١) ذكره ابن القيم في «إغاثة اللهفان» ١/ ٢٥٠.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» (٤٩).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» (٤٩)، ومن طريقه أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» ٥/ ٦٨.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٦٨٧)، وأحمد في «مسنده» ٢/ ٥٠ (٥١١٤)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٨٤٨)، وأبو داود في «سننه» (٤٠٣١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**بعثت بالسيف حتى يعبد الله لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم**».

وصححه العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (٨٥١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٨٣١).

ولعن ﷺ المتشبهات من النساء بالرجال، والمتشبهين من الرجال بالنساء[1].

وقال العلماء: لو أن جماعة اجتمعوا وأداروا أقداحًا على نوع أقداح الخمر كما يديرها الندماءُ، كان ذلك حرامًا، ولو كان في الأقداح السكر والليمون. فاعقل قول العلماء أيها المجنون.

وأما سماع غناء المرأة والأمرد: جمهور من يقول بإباحة السماع حكموا بتحريمه إذا كانت المرأة أجنبية، والأمرد حسن الوجه، على الرجال والنساء. ولا فرق بين سماع القرآن والشعر منهما؛ وهو الصحيح لما يؤدي إليه من الاطلاع على العورة وتهييج الشهوة وخوف الفتنة.

قال ﷺ: **«لا تبيعوا المغنيات، ولا تشتروهن، ولا تعلموهن، ولا خير في تجارتهن، وثمنهن حرام. وفي مثل هذا نزلت هذه الآية:** ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾... [لقمان: ٦] **إلى آخر الآية»**[2].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢٥١/١ (٢٢٦٣)، والبخاري في «صحيحه» (٥٨٨٥)، وابن ماجه في «سننه» (١٩٠٤)، والترمذي في «جامعه» (٢٧٨٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الحميدي في «مسنده» (٩١٥)، وأحمد في «مسنده» ٢٥٢/٥ (٢٢٢٨٠)، والترمذي في «جامعه» (١٢٨٢) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. وبيَّن الألباني في «الصحيحة» (٢٩٢٢)، وفي «تحريم آلات الطرب» ٦٧؛ أن الحديث ضعيف، إلا ذكر نزول الآية في تحريم المعازف، ففيه آثار صحيحة عن الصحابة والتابعين:

فأولهم: ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت في الغناء وأشباهه.

أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٢٦٥).

وثانيهم: عبد الله بن مسعود أنه سئل عن هذه الآية المذكورة؟ فقال: هو الغناء والذي لا إلٰه إلا هو. يرددها ثلاث مرات.

أخرجه ابن أبي شيبة وابن جرير وابن أبي الدنيا والحاكم وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي، وهو كما قالا، وصححه ابن القيم.

وثالثهم: عكرمة. قال شعيب بن يسار: سألت عكرمة عن لهو الحديث؟ قال: هو الغناء. أخرجه البخاري في «التاريخ» ٢١٧/٢، وابن جرير أيضًا وابن أبي شيبة وابن=

وروى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من مات وعنده جارية مغنية، فلا تصلوا عليه**»(١).

وفي الخبر أيضًا: «**إن النظر إلى المغنية حرام؛ وغناؤها حرام، وثمنها كثمن الكلب سحت. ومن نبت لحمه من السحت فإلى النار**». رواه أبو هريرة(٢).

وهذه الأحاديث مشهورة عند أهل الحديث. وقد جاء في كتاب الله عز وجل ذم اللهو واللعب في غير موضع، ونذكر طرفًا منها.

قال الله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ [الأعراف: ٥١]، ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ﴾ [الزخرف: ٨٣] ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥].

ثم لا يغتر المسلم بما ظهر لأهل السَّماع من الكرامات. فهي إمَّا حِيَل، وإمَّا فتن كالخوارق التي تظهر على الدَّجال، لعنه الله. وكما كُشِف للسامري وهو عدو الله، فينظر إلى حال من ظهرت له الكرامة: إن وافقت الشرع، فهي كرامة، وإن كانت خارجة تسمى استدراجًا، فصاحبها إما مفتون، وإما زنديق. وكذلك قال الجنيد: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء

= أبي الدنيا - واللفظ له - ومن طريقه البيهقي. وهذا أثر صحيح.

ورابعهم: مجاهد مثله. أخرجه ابن أبي شيبة، وابن جرير وابن أبي الدنيا من طرق عنه بعضها صحيح.

ولهذا قال الواحدي في تفسيره «الوسيط»: أكثر المفسرين على أن المراد بلهو الحديث: الغناءُ، قال أهل المعاني: ويدخل في هذا كل من اختار اللهو والغناء والمزامير والمعازف على القرآن، وإن كان اللفظ ورد بالاشتراء، لأن هذا اللفظ يذكر في الاستبدال والاختيار كثيرًا. انتهى ملخصًا من «تحريم آلات الطرب» ١٤٢.

(١) ليس هو في الترمذي، بل ولم أقف عليه مسندًا، وضعفه ابن حزم في «المحلى» ٥٧/٩.

(٢) أخرجه ابن عدي في «الكامل» ٢٦٢/٧ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
وأعله ابن عدي بيزيد بن عبد الملك، وقال: عامة ما يرويه غير محفوظ، وأسند إلى النسائي أنه قال فيه: متروك.
وأما من حديث أبي هريرة فلم أقف عليه.

أو على الهواء فلا تغتروا به، حتى تنظروا صاحب استدراج كيف حاله عند الأمر والنهي. وكذلك قال الشافعي والليث بن سعد[(١)].

سمع الشبليُّ برجل قد اشتهر بالولاية فمشى إليه هو وأصحابه، ودخل عليه في المسجد، فرآه قد تنخم في قبلة المسجد. فقال لأصحابه: ارجعوا، فإن الله تعالى لم يأمن هذا على أدب من آداب شريعته، فكيف يأمنه على أسراره؟[(٢)] وهذا هو الحقُّ الذي لا غبار عليه.

وصدق بعض العلماء في قوله - وإنْ أنِفَ منه الجهال -: إن من رقص على كف أو طار، وسمع غناء الفساق والفجار، لا يعد من الصلحاء الأخيار. ونسأل الله تعالى أن يحرسنا من البدع، والفتن والابتلاء والمحن.

ومن أباح السماع منهم، شرط له المكانَ والإمكانَ والإخوانَ، وأن يكون خاليًا من اللهو، والجهال، والنسوة والمردان، وأن لا يكون القوَّال من أهل الفسق؛ لأن الفسقة لا يسمع قولهم، يحرم مجالستهم، ولا يعطوا شيئًا لكي لا يستعينوا به على فسقهم؛ لقوله ﷺ لبعض أصحابه: «**لا تَصْحَبْ إلا مؤمنًا، ولا يأكلْ طعامك إلا تقي**»[(٣)].

فإن من سنتهم متى وقع شيء من الراقص فهو للمغنِّ، ويستدلون بقوله: «**من قتل قتيلًا، فله سَلَبه**»[(٤)]، وبعضهم يقول: بل هو للشيخ، يفعل

---

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢٩٧).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣٨/٣ (١١٣٣٧)، والدارمي في «سننه» (٢٠٥٧)، وأبو داود في «سننه» (٤٨٣٢)، والترمذي في «الجامع» (٢٣٩٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٥٤) من حديث أبي سعيد الخدري.

قال أبو عيسى: هذا حديث غريب. وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٣٤١).

(٤) أخرجه مالك في «الموطأ» (٩٧٣)، وأحمد في «مسنده» ٣٠٦/٥ (٢٢٦٠٧)، والبخاري في «صحيحه» (٣١٤٢)، ومسلم في «صحيحه» (١٧٥١)، وأبو داود في «سننه» (٢٧١٧)، وابن ماجه في «سننه» (٢٨٣٧) مختصرًا، والترمذي في «جامعه» (١٥٦٢) مختصرًا، وابن حبان في «صحيحه» (٤٨٠٥) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

فيه ما يريد. وكل هذه الأقوال لا ترضي المولى المجيد؛ لأنها خلاف السنة، فابتدعت هذه الطائفة في أفعالها وأقوالها. وقد تبرَّأ ﷺ من أصحاب البدع. فيجب على المؤمن البصير أن يتبع السنة، ويطيع الملك القدير، ويقول: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. فقد جعل الله الخير كله والشفاء في طاعته، واتباع نبيه المصطفى، وصحابته أهل الخير والجود والوفاء، فمن تبعهم حشر معهم، ومن أبى فقد خاب وجفا.

ثم اعلم بأن الله تعالى لا يحب أحدًا يأتيه من غير طريق نبيه وحبيبه ﷺ، فمن أتاه من طريقه، قَبِلَه. ومن جاء من غير طريقه ردَّه خائبًا.

وسواء كان ذلك قولاً أو فعلاً؛ لقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]. ولقوله ﷺ: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رد»**[١].

وقال العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]. قالوا: ما كان موافقًا للسنة والكتاب، فاعتبروا يا أولي الألباب.

وقال ﷺ: **«تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي»**[٢].

وقال السيد الجليل سهل بن عبد الله التُستري: كلُّ فعل لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل[٣].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ذكره مالك في «الموطأ» (٢٦١٨) بلاغًا من غير إسناد. وأخرجه الحاكم ٩٣/١ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا، وفيه ضعف. وقال ابن عبد البر في «التمهيد» ٣٣١/٢٤: «وهذا محفوظ معروف مشهور عن النبي ﷺ عند أهل العلم شهرةً يكاد يستغنى بها عن الإسناد، وروي في ذلك من أخبار الآحاد أحاديث من أحاديث أبي هريرة وعمرو بن عوف». ثم ساق حديثهما بإسنادين ضعيفين جدًا، لكن معنى الحديث مما عُلم من دين الإسلام بالضرورة، فطاعة رسول الله ﷺ مقرونة بطاعة الله عزَّ وجلَّ في مواضع كثيرة من القرآن الكريم. (ت)

(٣) تقدم.

فمن أدركته المنَّة دخل في السنة، قال ﷺ: «**من أحيى سنتي كان معي في الجنة**»[1]، فمن اتبع المحبوب، غفر الله له وحصل له المطلوب، ومن أبى فهو عبد مُدْبِر منكوب، قال تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١]. فاقتد أيها المؤمن ولا تعتدي، فمن لم يتبع نبيه وحبيبه لا يهتدي، ولم تصح منه دعوى المحبة؛ فهو عبد ردي. ومن تَبع أهل الخير والدين والصلاح، أتاه التوفيق والفلاح، وبُدِّل ليلُ إدباره بصباح؛ بدل ليل البدعة بصباح السنة.

كان بعض الصالحين ينشد ويقول:

ليلي بوجهك مشرق ... وظلامه في الكون ساري
فالناس في سدف الظلام ... ونحن في ضوء النهار

اللَّهم اهدنا من عندكَ، وأفضْ علينا من فضلك، وأيقظنا من سِنَةِ الغفلة.

□□□□□□

(١) تقدم.

فصل فيما تبتدعه النسوة من السماع في مكة خير البقاع من غناء، ورقص، وضرب صدر، وكشف قناع، من بعض نزيلات مكة الناقصات العقل والدين اليابسات[1] الطباع

فمن عملت أو رضيت بهذه الملاهي في خير البقاع وأشرف الأراضي، فالحقُّ سبحانه عنها ليس براضٍ، وليست هذه البدع من أفعال المؤمنات الصالحات الصادقات؛ لمخالفتها لسنة نبينا ﷺ ومن تابعه من السادات.

ولا تليق هذه الحالات إلا في مجالس الفسقة والحانات؛ فالويل ثم الويل لمن يجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة؛ لخروجه عن الطريقة المحمدية المباركة الطاهرة. ونسأل الله سبحانه التمسك بالسنة، والعمل بما نقول، ونعوذ بالله من مكابرة العقول، ومن مخالفة المنقول.

قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]؛ وصف الحقُّ أحبابه بالتواضع والخشوع، ولم يصفهم بنطٍّ ورقص، ونزول وطلوع، فلو لم تكن إحداهن محجوبة بالهوى، لما ابتليت بهذه

---

(١) في (ق): «والناكسات».

المصائب والبدع والبلوى، وهذا السماع أشد بلاءً وتحريمًا على المرأة؛ لأن صوتها وبدنها عورة[1].

قال الشافعيُّ رضي الله عنه: إذا جمع سيِّدُ الجاريةِ الناسَ، ثم أمرها أن تغني لهم، بطلت شهادته ويكون ديوثًا[2].

قال القاضي أبو الطيِّب: إنما جُعل ديوثًا فاسقًا؛ لأنه دعا الناس إلى الباطل[3].

ولا ينبغي للمرأة أن ترفع صوتها في الطاعات ـ حرةً كانت أو أمة ـ لا في الأذان ولا في التلبية، ولا تجهر بالقراءة في صلاة الصبح، والمغرب، والعشاء، فما بالك بالمعاصي واللهو والغناء، فإن فعلت ذلك لُعنت، ولم تنل المُنَى.

---

(١) اختلف الفقهاء في صوت المرأة هل هو عورة أم لا؟ على قولين، والذي يدل عليه ظاهر الكتاب والسنة أن صوت المرأة ليس بعورة، وعليه جمهور العلماء، فهو الأصح عند الحنفية، والمعتمد عند المالكية، وهو المذهب عند الشافعية والحنابلة. وهذا كله فيما إذا لم يكن شبهة وشهوة في حديثها، أما سماعها تلذذًا بصوتها فهذا لا ريب في تحريمه، فإن النبي ﷺ قال: **«والأذنان زناهما الاستماع»** أخرجه مسلم (٢٦٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) كتاب «الأم» للإمام الشافعي رحمه الله ٦/٢٠٩.

(٣) «الردُّ علىٰ من يحبُّ السماع» ص٢٨، للقاضي أبي الطيب، وهو العلامة طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري (٣٤٨ ـ ٤٥٠هـ)، قال الذهبي في «تاريخ الإسلام» ٩/٧٤٥ (٣٤١): هو الفقيه الشافعي أحد الأعلام، سمع بجرجان وبنيسابور، واستوطن بغداد، ودرس وأفتى، وولي قضاء ربع الكرخ بعد موت القاضي الصَّيمريِّ. وكان مولده بآمل طبرستان، قال الخطيب: وكان أبو الطَّيِّب ورعًا عارفًا بالأصول والفروع، محقِّقًا، حسن الخلق، صحيح المذهب، اختلفت إليه وعلَّقت عنه الفقه سنين. وقال أبو إسحاق في الطبقات: ومنهم شيخنا وأستاذنا أبو الطَّيب، توفيّ عن مئة وسنتين، لم يختلَّ عقله، ولا تغيَّر فهمه، يفتي مع الفقهاء، ويستدرك عليهم الخطأ، ويقضي ويشهد، ويحضر المواكب إلى أن مات. ولم أر فيمن رأيت أكمل اجتهادًا، وأسدَّ تحقيقًا، وأجود نظرًا منه، شرح المزنيَّ، وصنَّف في الخلاف والمذهب والأصول والجدل كتبًا كثيرة، ليس لأحد مثلها.

قال الشعبي: لُعن المغنِّي والمغنَّى له[١].

وقال صلوات الله عليه وسلامه: **«كسب المغني والمغنية حرام»**[٢].

فإذا ثبت أن صوت المرأة عورة، فلا يستدل بقول عائشة رضي الله عنها الأشعار، ولا يُبنَى على ما فعلن بناتُ النجَّار، بضربهن الطار، ومدحهن للنبي المختار؛ إذ كان ذلك في ابتداء الإسلام ثم نسخ بما ورد من الأخبار[٣].

وقد اختلف المشايخ، فبعضهم يعتقد أن هذه البدعة هي من البدع المباحة الذي استوى طرفاها، والفاعل لها لا يثاب ولا يعاب. والله أعلم أنه أخطأ وما أصاب، فاللعب ليس من صفة[٤] أولي العقول والألباب. وبعضهم يقول: إنها قُربة. والله سبحانه أعلم بالصواب، وبعضهم بجهله يتغَالَى ويعتقد أنها أفضل من الصلاة لله تعالى، ويستدل على اعتقاده الفاسد بالقياس أن الراقص في السماع يحضر[٥]، والمصلي تدخل عليه الغفلة والوسواس! وأما هذا القائل قد أعمي عن ما دخل عليه من الكفر[٦] والالتباس، والدليل على

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» (٤٥)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥١٠٥)، وصحح الألباني إسناده في «تحريم آلات الطرب» (ص ١٣).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) يعني حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ مرَّ ببعض المدينة، فإذا هو بجوارٍ يضربن بدفهن ويتغنين ويقلن:

نحن جوار من بني النجار ... يا حبذا محمد من جار

فقال النبي ﷺ: **«الله يعلم أَنِّي لأحبكنَّ»** وفي لفظ: **«الله يَعْلَمُ أَنَّ قلبي يُحبُّكُنَّ»**.

أخرجه ابن ماجه في «سننه» (١٨٩٩)، وأبو يعلى في «مسنده» (٣٤٠٩) من حديث أنس بن مالك.

قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٦٨٢): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وبعضه من الصحيحين من حديث عائشة، وفي البخاري وأصحاب السنن الأربعة من حديث الربيع بنت معوذ.

وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (١٥٤١)، وفي «الصحيحة» (٣١٥٤).

(٤) في (ق، ط): صنعة.

(٥) في (ط): يحضرها.

(٦) في (ق): الغفلة.

كفره أنه جعل الباطل خيرًا من الحق. قال ﷺ: **«كل لهوٍ يلهو به الرجلُ فهو باطلٌ»**[1].

وجوابه: أن الشيطان ـ لعنه الله ـ مراده من ابن آدم أن يمحق عمره في المعاصي، أو فيما لا فائدة فيه، ليكون في الآخرة من الخاسرين، فإذا برز منه ذلك؛ تركه ومراده، ألا ترى أن بعض المخذولين يرقص الليل كله، ولا يأخذه ملل، فإذا دخل في الصلاة، لحقه النوم والوسواس والكسل، فترى بعضهم يصلي قاعدًا، وآخر لا يقيم صلبه، ولا يتم صلاته راكعًا ولا ساجدًا، وكل من كان مجموعًا على الباطل لا يعارضه الشيطان أبدًا: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

ثم اعلم بأن الله سبحانه لم يخلق العباد للعب ولا للعبث؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦] ولم يقل سبحانه: ليلعبوا.

قال بعض العلماء: إن الصبيان شوَّقوا يحيى عليه السلام في اللعب[2]. فقال: ما للعب خُلقنا. وكان ابن أربع سنين؛ فأنزل الله في حقه: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢]، ويوسف الصديق عليه السلام، لما طمع في اللعب صار أمره إلى العبودية والبئر والسجن.

وكذلك العبد إذا أعرض عن الرحمٰن، واغتر بلعب الدنيا، صار أمره إلى سجن الآخرة، ويُعد من حزب الشيطان؛ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩﴾ [المنافقون: ٩].

---

(١) جزء من حديث أخرجه أحمد في «مسنده» ١٤٤/٤ (١٧٣٠٠)، والدارمي في «سننه» (٢٤٠٥)، وابن ماجه في «سننه» (٢٨١١)، والترمذي في «جامعه» (١٦٣٧) من حديث عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه.

قال الحافظ في «فتح الباري» ٩١/١١: أخرجه أحمد والأربعة، وصححه ابن خزيمة والحاكم.

وصحح الألباني هذا الجزء في «ضعيف سنن ابن ماجه» (٦١٨).

(٢) في (ق، ب): شوق الصبيان يحيى صلوات الله عليه وسلامه للعب.

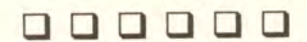
هذا حال من شغل عن الله تعالى بالحلال، فما بالك بمن شغل باللعب والبدع والضلال؟! قال المبعوث بالرسالة: «**كل بدعة ضلالة**»[(١)].

ومن البدع المنكرة المنكوب صاحبها في الدنيا والآخرة[(٢)]: الرقص، والنط، والغناء في مسجد الخيف من منًى، لقد أتعب هذا الراقص نفسه هنا، وفي الآخرة لم ينل المنَى.

فيا من محق عمره في البدع واللهو والغناء؛ ابك على نفسك - والسابق للبكاء أنا - واعتبر بمن هدم الموت منه أركان ما بنى، وأضحى في لحده فقيرًا ذليلاً بعد العز والغنى.

ومن البدعة أيضًا ما يُعمل في القدس الشريف من نطِّ كلِ بطال وعُتُلٍّ[(٣)] وكثيف. مجموع ذلك[(٤)] لا يرضي المولى اللطيف؛ لخروجِ فاعله عن طريق نبيه وحبيبه، ولمخالفته لكل عبد تقي عفيف، وما ترويه هذه الطائفة عن المشايخ السالفة لا يحتج به لما فيه من البدعة والمخالفة لسنة النبي ﷺ وصحابته الطائفة المباركة الخائفة.

ثم اعلم بأن النط لا يقطع طريق الآخرة، ويُحتاج لقطع هذه المسافة ألسنة ذاكرة، وقلوب راضية شاكرة، وبخوف الله تعالى عامرة، وأبدان على الطاعة والبلية صابرة، وعن المعاصي والبدع نافرة، وأعين قد غُضت عن محارم ربها وهي باكية ساهرة، ونسأل الله سبحانه التوفيق لذلك كله بقدرته القاهرة.



---

(١) سبق تخريجه.

(٢) في (ق، ب): المذمومة دنيا وآخرة.

(٣) العتل: الفظ الغليظ من النَّاس.

(٤) (مجموع ذلك) في (ق، ب): وذلك.



فصل في اللعب بالشطرنج

وهو بدعة ولاعبه مفتون، صحَّ في الخبر أن لاعب النَّرْد ملعون[1]، والعُمر عزيز، لا عوض لما ذهب منه، قال المولى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

فلا تقامر بعمرك يا قليل المُروَّة، وتخرج بفعلك هذا عن طريق أهل الخير والدين والنبوَّة، فقد حرَّمه أبو حنيفة وأحمد ومالك[2]، فلا تلق نفسك في البدعة والمهالك.

وقال الشافعي ـ رضي الله عنه وعنا وعنهم أجمعين ـ في كتاب «أدب القضاء»: أكره من جهة الخبر اللعب بالنرد، ولا أحب اللعب بالشطرنج، وأكره كل ما يلعب به الناس؛ لأن اللعب ليس من صنعة أهل الدين، ولا المروءة[3]. وأين المروءة لمن يخرج عن طريق السادات، ويشتغل عن العبادات بشيء أوله لعب، وأوسطه كذب[4]، وآخره: مات.

قال لي من أثق بقوله: أنه قال لصاحب له وهو في النَّزْع، وكان من

---

(١) سيأتي تخريجه إن شاء الله.

(٢) انظر: «الدر المختار» ٣٩٤/٦، و«الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف» ٤٠/١٢، و«القوانين الفقهية» لابن جزي (ص ٢٧٨).

(٣) «الأم» ٢٠٨/٦.

(٤) في (خ): كدر.

لَعَبَةِ الشطرنج: قل: لا إلٰه إلا الله. فثقلت عليه، وقال: شاه. ثم خرجت روحه.

ومما يؤيد هذا القول [قوله] ﷺ: «**يموت المرء على ما رُبِّي عليه، ويبعث على ما عاش عليه**»(١).

ورأيت في كتابٍ: بينما رجل على باب داره، فمرت به امرأة فافتتن بها، فدفعها فوقعت في بيته، فقالت له: وأين المأكل والمشرب؟ فذهب فرحًا، وهيأ المقام، فخرجت المرأة وذهبت إلى الحمام، فابتلي الرجل بحبها وقال فيها أبياتًا، وصار يولع بتلك الأبيات، فقيل له عند النزع: قل: لا إلٰه إلا الله. فقال تلك الأبيات ومات(٢). فلما رُبِّي على

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ مسندًا، وإنما ذكره السمعاني في «تفسيره» قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ [الجاثية: ٢١]، وابن عُجيبة في: «البحر المديد» عند قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨﴾ [المدثر: ٣٨]. ويغني عنه ما أخرجه أحمد في «مسنده» ٣/٣١٤ (١٤٣٧٣)، وعبد بن حميد في «مسنده» (١٠١٣)، ومسلم في «صحيحه» (٢٨٧٨) من حديث جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يبعث كل عبدٍ على ما مات عليه**».

(٢) ذكر عبد الحق الإشبيلي في «العاقبة في ذكر الموت» ١٧٩: أنه رُوي أنَّ رجلاً نزل به الموتُ، فقيل له: قل لا إلٰه إلا الله! فجعل يقول: أين الطريق إلى حمام منجاب؟ قال: وهذا الكلام فيه قصة، وذلك أن رجلاً كان واقفًا على باب داره، وكان بابها يشبه باب حمام، فمرت به جارية لها منظر، وهي تقول: أين الطريق إلى حمام منجاب؟ فقال لها: هذا حمام منجاب. وأشار إلى داره، فدخلت الدار، فدخل وراءها، فلما رأت نفسها معه في داره، وليست بحمام، علمت أنه خدعها، فأظهرت له البشر والفرح باجتماعها معه على تلك الخلوة في تلك الدار، وقالت له: يصلح أن يكون عندنا ما يطيب به عيشنا، وتقر به عيوننا. فقال لها: الساعة آتيك بكل ما تريدين، وبكل ما تشتهين. وخرج، فتركها في الدار، ولم يغلقها، وتركها مفتوحة على حالها، ومضى، فأخذ ما يصلح لهما، ورجع، ودخل الدار فوجدها قد خرجت وذهبت، ولم يجد لها أثرًا، فهام الرجل بها، وأكثر الذكر لها، والجزع عليها، وجعل يمشي في الطرق والأزقة، وهو يقول:

يا رُبَّ قائلة يومًا وقد لغِبت ... أين الطريق إلى حمام منجاب=

هذه الحالة مات عليها؛ كما جاء في الحديث: «**يموت المرء على ما يربى**[1] **عليه**»[2].

وكان لي أخٌ من جنس التَّطَر[3]، وكان يتَّبع الأثر، ويحب القرآن والخبر، فطلب مؤلفَ الكتاب عند النزع، وقال للحاضرين: اقرؤوا القرآن حتى أسمع، فإني أحبه فقرؤوا عنده، فلما ثقل سمعه، قال لهم: خذوا عليَّ سُوَرِي[4]. فلما فرغ، قال لهم: في قراءتي لحن؟ قالوا: لا. قال: الحمد لله. وقال: خذوا عليَّ الشهادتين أيضًا. فلما أخذوا قال لهم: في إقراري بالشهادتين لحن؟ قالوا: لا. قال: الحمد لله. ثم قال: اشهدوا لي بذلك بين يدي الله تعالى. ثم طلعت روحه الطيبة.

فانظر رحمك الله إلى بركة الطاعة، وإلى شؤم المعصية؛ يقول الله عز وجل في بعض كتبه المنزلة: من أطاعني في كل شيء، أطعته في كل شيء[5].

وفي الخبر: يقول الله تعالى كلَّ يوم: أنا العزيز، من أراد عِزَّ

= وبعد أشهر مرَّ في بعض الأزقة، وهو ينشد هذا البيت، وإذا بجارية تجاوبه من طاق، وهي تقول:

هـلا جـعـلـت لـهـا إذ ظـفـرت بـهـا حرزًا على الدار أو قـفـلاً عـلـى الـبـاب

فزاد هيمانه، واشتد هيجانه، ولم يزل كذلك حتى كان من أمره ما ذكر، فنعوذ بالله من المحن والفتن. (ت)

(١) في (ق): عاش.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) التَّطر: هم التَّتَر، أو التَّتار، أو التَّاتار. وكتابة هذا الاسم بالطاء نادر جدًّا. (ت)

(٤) أي السور التي كان يحفظها، رحمه الله. (ت)

(٥) دخل هذا علىٰ المؤلف من شيخه ابن عطاء الله، فقد نقل هذا في «لطائف المنن» عن شيخه أبي الحسن الشاذلي، قال: «في بعض كتب الله المنزَّلة علىٰ أنبيائه: قال الله: من أطاعني في كل شيء أطعته في كل شيء». وممَّا قال الشاذلي في شرحه: . . .أطعته في كل شيء بأن أتجلَّى له في كل شيء، حتىٰ يراني كأنِّي عينُ كل شيء! قلتُ: يتوسَّل الصوفية بمثل هذا الخبر المكذوب إلىٰ القول بالاتحاد، والله المستعان. (ت)

الدارين[1]، فليُطع العزيز[2].

وكان حبيب العجمي يقول: نِعْمَ الربُّ ربنا، لو أطعناه ما عصانا[3].

فما توقفت الخيرات عن المؤمن إلا لتوقفه هو، فلو ذهب عن قلب الغافل المعاصي والبدع والأكدار، لصلح هذا القلب المسكين لنزول الأنوار - طَهِّر المنزلَ حتى ينزل - يقول الله عز وجل: لا يسعني أرضي ولا سمائي ويسعني قلب عبدي المؤمن[4].

وإذا أراد الله بعبد خيرًا شغله به، ومن لم يرد به خيرًا شغله بغيره، والحق سبحانه انتخب لحضرته من يصلح لها، ومن لم يصلح رماه للكائنات، ومن لم تفتح له المنازل رضي بالمزابل. قال بعض العارفين:

قل لمن أعرض عنا   إن إعراضك منا
لو أردناك لأضحى   كل ما فيك يردنا

---

(١) في (ق): الدنيا والآخرة.

(٢) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد» ١٧١/٨، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٧/١٢، وابن الجوزي في «الموضوعات» ١١٩/١ وقال عقبه: هذا حديث لا يصح.
وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٥٧٥٢): موضوع.

(٣) لم أجده عن حبيب العجمي، وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩٠٨٠)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٧٢٠) من كلام التابعي الثقة الإمام أبي وائل شقيق بن سلمة الأسدي رحمه الله.
وحبيب بن محمد العجمي هو أبو محمد البصري: أحد الزهاد المشهورين الموصوفين بالزهد والورع، زاهد أهل البصرة، وعابدهم، روى عن: الحسن البصري، وشهر بن حوشب، والفرزدق شيئًا يسيرًا. وعنه: حماد بن سلمة، وأبو عوانة، وجعفر بن سليمان، وداود الطائي، ومعتمر بن سليمان، وآخرون. وكان مجاب الدعوة، تؤثر عنه كرامات وأحوال، وكان له دنيا، فوقعت موعظة الحسن في قلبه، فتصدق بأربعين ألفًا، وقنع باليسير، وعبَدَ الله حتى أتاه اليقين. مترجم في «تهذيب الكمال» (١٠٩٧)، و«سير أعلام النبلاء» ١٤٣/٦.

(٤) باطل، وسبق تخريجه.

دقَّ بعضهم الباب على معروف الكرخي، فقال الشيخ من داخل: اللَّهم من جاء يشغلني عنك، فاشغله بك عني. فاستجيبت دعوة معروف، وشغل الرجل بالله تعالى[1].

من عرف ما يطلب، هان عليه ما يبذل، ومن أحب الفوائد؛ صبر[2] على الشدائد.

ثم اعلم بأن عُمرًا ضُيع أوله، جدير أن يحفظ آخره؛ لأن الأعضاء قد يبست على حب المخالفة، أما سمعت أو رأيت شيخًا يقول لشيخ مثله: قم حتى نلعب أو نشرب. الموت بين عينيه، وقلبه معلق بشيء يبعده عن رحمة الله، يخجله إذا وقف بين يديه، وسيندم ندمًا لا آخر بعده لذهاب عمره، ولما فاته من مقام رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

قال ﷺ: «**من مات ندم**»[3]، فإذا كان المحسن يندم كونه الذي ما ازداد طاعة وإحسانًا، فكيف لا يندم من محق عُمره في المخالفة، وما ازداد إلا بدعة وطغيانًا.

قبيح بك أيها المؤمن، تشيب وأنت طفل لا تفهم مراد الله منك، الشباب يتقربون إلى الله سبحانه بالطاعة، وأنت أيها الشيخ الضال تتباعد عنه بالبدع والمعاصي والشناعة، والعجب من شاب يستحي من الله تعالى أن

---

(١) لم أقف عليه عن معروف، وإنما رواه أبو نعيم في «الحلية» ٣٦٦/١٠ عن السري السقطي.

(٢) في (خ): هجم.

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣٣)، ومن طريقه الترمذي في «جامعه» (٢٤٠٣) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من أحد يموت إلا ندم**» قالوا: وما ندامته يا رسول الله؟ قال: «**إن كان مُحسنًا ندم أن لا يكون ازداد، وإن كان مسيئًا ندم أن لا يكون نزع**».

قال الترمذي: هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه، ويحيى بن عبيد الله قد تكلم فيه شعبة، وهو يحيى بن عبيد الله بن موهب مدني.

وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٥١٤٦).

يفعل ذلك، ومن شيخٍ يتصابَى، ويُذهب بما بقي من عمره في البدع والمهالك. وفي الحديث: «**إن الله تعالى يعجب منهما**»(١).

مر علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ بقوم يلعبون بالشطرنج فقال: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟(٢)

عجبًا من قوم أمروا بالزاد، ونودوا بالرحيل؛ وقد حبس أولهم لآخرهم، وهم قعود يلعبون. لو كنت أيها اللاعب كَيِّسًا فطنًا لكانت حقوق الله سبحانه عندك أحظى من حظوظ نفسك، أما سمعت قوله ﷺ: «**الكيِّس من دانَ نفسه، وعمل لما بعد الموت، والفاجر من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله**»(٣).

يا من أنذره الشيب، وصافحته المنايا، ولا يترك اللعب والبدع والخطايا، أما تستحي ممن يستحيي منك. قال ﷺ: «**إن الله يستحيي أن يعذِّب شيبة شابت في الإسلام**»(٤).

فمن استحيا من الله تعالى، راجيًا رحمته وثوابه؛ استحيا الله تعالى يوم القيامة من تخويفه وعذابه، قال الله سبحانه: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء: ١٤٧].

قال الفضيل بن عبد الوهاب: كانت لي أخت من أعبد الناس سمعتها

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ١٥١/٤ (١٧٣٧١)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٧٤٩) من حديث عقبة ابن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**عجب ربنا من الشاب الذي ليست له صبوة**».
وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (١٦٥٨).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٦٦٨٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٢١٢/١٠، وضعفه الألباني في «إرواء الغليل» ٢٨٨/٨.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه الحارث في «مسنده» كما في «بغية الباحث» (١٠٨٤)، وإسناده ضعيف، وعزاه السيوطي في «الجامع الكبير» (٢٧٠٨) لابن النجار بسنده عن أنس، عن النبي ﷺ، قال: «**إن الله يستحيي من عبده وأمته يشيبان في الإسلام يعذبهما**». وذكر العجلوني في «كشف الخفاء» (٧٤٢) أن سنده ضعيف.

يومًا تقول: ليس بيننا وبين أنْ نَرد مَوارد السُرور، أو نُنادى بالويل والثبور، ونرى منازلنا من الجنان، أو نصير بين أطباق النيران، إلا مفارقة الأرواحُ الأبدانَ، فانظروا اليوم أيَّ عبيدٍ تكونون غدًا، أواه على بُعد السفر، وقلة الزاد، والفضيحة في يوم المعاد. ثم بكت حتى ماتت[1].

قال محمد بن النَّضْر الجهني[2]: حُدِّثتُ أنه كان في صُريم امرأةٌ يقال لها: بردة الصريمية بكت حتى ذهبت عيناها، فقيل: يا بردة! إلَى متى هذا البكاء؟ أو ما تري عينيك قد ذهبتا؟ فقالت: إن كانتا للنار، فقد أبعدهما الله، وإن كانتا للجنة فسيبدلني الله عز وجل أحسن[3] منهما[4].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» ١٨٩/٣ في ترجمة: (أخت الفضيل بن عبد الوهاب) ضمن (المصطفيات من العابدات الكوفيات ذكر المسميات منهن والمنسوبات)، وفضيل بن عبد الوهاب هو أبو محمد القنَّاد الغطفاني السكري الكوفي، نزل بغداد، وهو أصبهاني الأصل، ثقة من كبار الآخذين عن تبع الأتباع، أخرج له أبو داود. (ت)

(٢) هو الحارثي ـ وليس الجهني ـ أبو عبد الرحمٰن الكوفي، عابد أهل الكوفة في زمانه. قال ابن حبان في «الثقات»: من عباد أهل الكوفة وقرائهم، والحافظين ألسنتهم في أحوالهم وأوقاتهم، ما له حديث مسند يرجع إليه، إنما له الحكايات في الرقائق، وكان صديقًا للثوري وفضيل بن عياض، روى عنه أهلها. وقال الذهبي في «تاريخ الإسلام» ٧٤١/٤: روى عن الأوزاعي يسيرًا، وعنه: عبد الرحمٰن بن مهدي، وأبو نصر التمار. قال ابن المبارك: كان إذا ذكر له الموت اضطربت مفاصله. وقال بعضهم: شهدت غسل محمد بن النضر، فلو سلخ كل لحم عليه ما كان رطلاً. وعن أبي الأحوص سلام بن سليم قال: كان محمد بن النضر جعل على نفسه أن لا ينام قبل موته بثلاث سنين، إلا ما غلبت عينه. وقال عبثر بن القاسم: اختفى محمد بن النضر عندي من الوزير يعقوب بن داود في هذه العلية أربعين ليلةً، فما رأيته نائمًا ليلاً ولا نهارًا. وقال أحمد بن حنبل: حدثنا عبد القدوس بن بكر، عن محمد بن النضر قال: أول العلم الإنصات، ثم الاستماع له، ثم حفظه، ثم العمل به، ثم بثه.

(٣) في (ق): خيرًا.

(٤) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» ٣٦/٤ في (ذكر المصطفيات من عابدات البصرة) ترجمة: (بردة الصريمية)، ولفظه: عن موسى بن سعيد أو غيره، قال: قيل للحسن: يا أبا سعيد إن هاهنا امرأة يقال لها بردة، قد فسدت عيناها من البكاء، فدخل عليها، فقال لها: يا بردة! إن لبدنك عليك حقًّا، وإن لبصرك عليك حقًّا. قالت: يا أبا سعيد إن أكن من أهل الجنة فسيبدلني الله بصرًا خيرًا من بصري، وإن أكن من أهل النار فأبعد الله بصري.

وما ذكرت هاتين المرأتين وما اتفق لهما من الأحوال إلا توبيخًا لكثير من الرجال، ولمن يدعي الأهلية[1]، وقد شغل باللعب والكذب والأماني والمحال، ولم يخف تغيير الأحوال؛ ولا من سطوة شديد المحال، كما[2] قيل في الأمثال: هذه العمائم، فأين الرجال؟! ولقد تشبه أهل الغفلة بالرجال بقالبهم لا بقلوبهم، والحق سبحانه لا ينظر لقالب ابن آدم، بل ينظر إلى قلبه[3]؛ كما جاء في الحديث[4].

فمتى كان القلب خاليًا من البدع واللعب والأكدار، ملئ بالخوف والحكمة والأنوار، قال بعضهم (فيمن تشبه بقالبه دون قلبه)[5]:

أما الخيام فإنها كخيامهم	وأرى نساء الحي غير نسائها
لا والذي حجت قريش بيته	مستقبلين الركن من بطحائها
(ما أبصرت عيني خيام قبيلة	إلا بكيت أحبتي بفنائها)[6]

ثم اعلم بأنه يثقل على النفس ترك المألوف، وإن كان ذلك لا[7] يرضي المولى الرؤوف، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزمل: ٥] أي: يثقل العمل به.

---

(١) في (ق): الكبرية.

(٢) في (ق، ب): فقد.

(٣) في (ق، ب): لقلبه.

(٤) أخرج أحمد في «مسنده» ٢/٢٨٤ (٧٨٢٧)، ومسلم في «صحيحه» (٢٥٦٤) (٣٤)، وابن ماجه في «سننه» (٤١٤٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**».

وأخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٨/١٩٣ - ١٩٤، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

وأخرجه هناد في «الزهد» (٨١٦) عن الحسن مرسلاً.

(٥) ليست في (ق).

(٦) ليست في (خ).

(٧) ليست في (ق).

كان الحسن البصري يقول: والله إنه ثقيل مبارك، يُثقل الله به ميزان العبد يوم القيامة[1]. فالحمل ثقيل والعبد ضعيف، ومما يدلك على ضعفه: كيف لا يستطيع غض البصر، ولا ينتفع بالمنظور ويخالف الآية والخبر؟ فيعصي المولى الجليل، وفي أكثر أوقاته إلى البدع والمعاصي يميل، فلما كان طبعه الميل، قال المولى: ﴿فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ [النساء: ١٢٩].

فلا يزال الضعيف يقع ويميل حتى يدركه المولى الجليل، فمتى قام العبد بنفسه سقط، وإذا أقامه الحق يثبت[2]، قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. وكان ﷺ يقول: «**يا مثبت القلوب ثبت قلبي على طاعتك**»[3].

فالقلوب بيد المولى المجيد، يقلبها كيف يريد، فقلبٌ[4] لا يصلح لخدمته؛ ابتلي بحب البدع، وصحبة العبيد ـ كما تقدم ـ من لم تفتح له المنازل، رضي بالمزابل.

خرجت امرأة تريد المجاورة بمكة المعظمة فزارت ورجعت، فقيل لها: لم تركت المجاورة؟ قالت: ما صلحت للخدمة. فما سمي الإنسان إنسانًا إلا لأنه يحب الأنس، فمن لم يأنس بالله تعالى، أنس بغيره.

وقال قائلهم[5]:

أنست بوحدتي فلزمت بيتي ... فطاب الأنس لي ونما السرور

---

(١) لم أقف عليه من كلام الحسن، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٢٣/٦٨٢ من كلام ابن زيد.

(٢) في (ق): ثبت.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ٤/١٨٢ (١٧٦٣٠) وقال: «**يا مقلب القلوب**»، وابن ماجه في «سننه» (١٩٩)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٧٣٨) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه. وفي الباب عن أنس رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٨٨).

(٤) في (ق، ب): فأي قلب.

(٥) في (ق، ب): أنشد لبعضهم.

وأدبـنـي الـزمـان فـلا أبـالـي ... هُـجـرت فـلا أزار ولا أزور
ولـسـت بـسـائـل مـا دمـت حـيًّـا ... أقـام الـشـيـخ أم ركـب الأمـيـر

فقد علمت أن الإنسان يحب الأنس، كما[1] قال بعضهم:

ومـا سـمـي الإنـسـان إلا لأنـسـه ... ومـا[2] الـقـلـب إلا أنـه يـتـقـلـب

وقال ﷺ: **«ما سمي القلب قلبًا إلا لتقلبه»**[3].

وفي حديث آخر: **«قلب ابن آدم أشد غليانًا من القِدْرِ إذا غلا»**[4].

فإذا أراد الله بعبدٍ خيرًا قلَّب قلبه في الطاعة، وإن لم يرد به خيرًا قلَّب قلبه في حب البدع والغفلة والشناعة، وإذا أحب السيد عبده أيقظه، وإذا كرهه؛ قال: دعوه نائمًا.

وفي الحديث: إذا أحب الله عبدًا يقول: يا جبريل، أقم فلانًا، فإني أحب أن أسمع صوته، وأنم فلانًا فإنِّي أكره أن أسمع صوته[5].

وفي حديث آخر: **«الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»**[6].

فإن قال قائل: في الناس المتيقِّظ، فما معنى قوله ﷺ: **«الناس نيام»**؟

أجاب المؤلف: لما كان أكثر الناس نيامًا، خرج الحديث على الغالب؛ فالغالب عليهم الغفلات، وحب الدنيا، والبدع، والشهوات. فكل

---

(١) ليست في (ق، ب).

(٢) في (ق): ولا.

(٣) لم أقف عليه مرفوعًا، وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣٥٨)، وابن الجعد في «مسنده» (١٤٥٠) من كلام أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» ٤/٦ (٢٣٨١٦)، والحاكم في «المستدرك» ٢/٢٨٩، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٧٧٢).

(٥) لم أقف عليه.

(٦) قال الحافظ العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (٣٦١١): لم أجده مرفوعًا، يعزى لعلي ابن أبي طالب. وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (١٠٢): لا أصل له.

من انعكف على بدعة أو على قبيح يهواه؛ فهو عبد ذلك الشيء، لا عبد خالقه ومولاه.

قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]، واسمع قوله تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ [طه: ٩٧].

يحكى أن بعض الفقراء انجمع على أمير فعرضت للفقير حاجة، فقام في الليل وصلى، ثم طلب حاجته من الله تعالى، فسمع قائلاً[(١)] يقول له: اطلب حاجتك من إلهك الذي ظلت عليه عاكفًا[(٢)]. أي اطلب حاجتك من الأمير، فكان ذلك سبب توبة هذا الفقير. قال العلماء: عبد الدرهم والدينار من لا يؤدي الزكاة، وعبد الزوجة الذي يشتغل بزوجته عن ذكر الله تعالى وطاعته.

هذا حال من شُغِل بالحلال، فكيف يكون حال من يشتغل[(٣)] باللعب والكذب والمحال؟! قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ⑨﴾ [المنافقون: ٩].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [يس: ٦٠]. قال العلماء: مَن أطاع الرحمٰن هو[(٤)] عبد الرحمٰن، ومن أطاع الشيطان هو[(٥)] عبد الشيطان، ليس كل بدن يصلح لعظمة الله ولخدمته، ولا كل قلب يصلح لحكمة الله تعالى ولمعرفته.

وقف رجل يصلي ورده في الليل، فلم يسمع حس أحد، فقال: يا رب، ما أقل الواقفين ببابك. فسمع قائلاً[(٦)] يقول: ليس ذلك من قلة

---

(١) في (ق): هاتفًا.
(٢) لم أقف عليه.
(٣) في (ق): اشتغل.
(٤) في (ق): فهو.
(٥) في (ق): فهو.
(٦) في (ق): هاتفًا.

الأحباب، ولكن ليس كل أحد يصلح للباب[1]، قال:

قـل لـمـن أعـرض عـنـا إن إعـراضـك مـنـا
لـو أردنـاك لأضـحـى كـل مـا فـيـك يـردنـا

قيل لبعض السادة: ما علامة السعادة؟ قال: أن تطيع الله، وتخاف أن تكون مردودًا. وقيل له: ما علامة الشقاوة؟ قال: أن تعصي الله، وترجو أن تكون مقبولاً[2]، والشقي هو الذي يخرج عن سنة النبي المختار، ويطلب منازل الأخيار[3]؛ كلاعب النرد والشطرنج والقمار.

قال علي كرم الله وجهه: لاعب الشطرنج أكذب الناس؛ يقول: قتلت. وما قتل[4].

فقد تبين لك رحمك الله أن الله تعالى لم يخلق العباد للعب، ولا للكذب، وأن هذا ليس من صنعة أهل الدين، ولا هو طريق سيد المرسلين ولا الصحابة المكرمين، ولا طريق التابعين، فكيف تخرج عن طريقهم في الدنيا، وترجو أن تكون معهم في الآخرة؟! أما سمعت قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

أما قرأت قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ [الأعراف: ٥١]. ألم تصغ إلى قوله ﷺ: «**من تشبه بغيرنا فليس منا**»؟[5]، أما بلغك أيها المغرور: «**عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور**»[6].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٢٤٦/١٠ من كلام أبي عثمان.

(٣) في (ق): الأبرار.

(٤) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» ٢١٢/١٠ بلفظ: صاحب الشطرنج أكذب الناس، يقول أحدهم: قتلتُ. وما قتل. وإسناده ضعيف.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) سبق تخريجه.

فيجب على المؤمن البصير أن يتوب من جميع البدع، ويقول: سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا، وإليك المصير. فمن فعل ذلك غفر الله له وعفا، وحشره مع النبي المصطفى، وصحابته أهل الخير والجود والوفا.

ثم اعلم بأن اللعب بالشطرنج محرم[1] عند أبي حنيفة[2]، وهو قول علي، وابن عمر، وابن عباس رضي الله عنهم، وابن المسيب، وسالم، والقاسم، وعروة، ومحمد بن علي بن الحسين، ومَطَرٍ الوراق، وابن سيرين، وإبراهيم، وأحمد، ومالك، وأبي جعفر، ومن تابعهم[3].

لما روى أبو هريرة رضي الله عنه، قال: مرَّ النبي ﷺ بقومٍ يلعبون بالشطرنج فقال: «**ما هذه الكوبة؟ ألم أنْهَ عن مثل هذا؟! لعن الله من فعل هذا**»[4]. ذكره القاضي أبو يعلى في رؤوس مسائله.

وروى أبو بكر عبد العزيز غلام أبي بكر الخلال بإسناده إلى رسول الله ﷺ، قال: «**إن لله في كل يوم ثلاث مئة وستين نظرةً، ليس لصاحب الشاة فيها نصيب**»[5].

ذكره الشيخ موفق الدين في «المغني»، وقال: قال أحمد: أصحُّ ما فيها قول علي كرم الله وجهه: إنها من الميسر[6].

ومرَّ علي رضي الله عنه بقوم يلعبون بالشطرنج، فقال: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝٥٢﴾[7]. وتارةً حثا فيها التراب، وقال تارة: لأن

---

(١) في (خ، ب): يحرم.

(٢) انظر «الدر المختار» ٦/٣٩٤.

(٣) انظر «المغني» لابن قدامة ١٢/٣٦. وأبو جعفر هو محمد بن علي بن الحسين نفسه، وهو الباقر.

(٤) أخرجه الخلال في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (ص٦٢ ـ ٦٣)، قال ابن طاهر المقدسي في «معرفة التذكرة في الأحاديث الموضوعة» (٢٠٧): فيه مطهر بن الهيثم منكر الحديث.

(٥) أخرجه الخرائطي في «مساوئ الأخلاق» ٢/٤٨٩ من حديث واثلة بن الأسقع، وقال الألباني في «الإرواء» ٨/٢٨٧: موضوع.

(٦) ذكره ابن قدامة في «المغني» ١٢/٣٦.

(٧) سبق تخريجه.

يمسَّ جمرًا حتى تطفأ، خير من أن يَمسَّها[١]، يعني اللاعب بها.

وقال لهم مرة: لولا أن تكون سُنَّة، لضربت بها وجوهكم[٢].

وقال ابن عمر: إنها من الميسر. وأحرقها بالنار[٣].

وسئل أبو جعفر، فقال: دعونا من هذه المجوسية؛ لا تلعبوا بها[٤].

وقال إبراهيم: إنها ملعونة، فلا تلعبوا بها[٥]. وكان هو وأصحابه لا يسلِّمون على من يلعب بها.

وسئل عنها القاسم، فقال: ما ألهى عن ذكر الله، فهو من الميسر[٦].

وقال مجاهد وأيوب: النرد والشطرنج سواء.

وقد ألحقها بالنرد في التحريم، وردَّ الشهادة بها: الشَّيخُ[٧] وغيره، وأبو حنيفة[٨]، ومالك[٩].

وقال ﷺ: **«من لعب بالنردشير، فقد عصى الله ورسوله»**[١٠]، وفي

---

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» ٢١٢/١٠، وقال الألباني في «الإرواء» ٢٨٨/٨: ضعيف جدًّا.

(٢) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» ٢١٢/١٠، وإسناده ضعيف. وقوله: لولا أن تكون سُنَّة. أي لولا أن يُؤثر ذلك عني، ويقتدى بي في فعله.

(٣) لم أقف عليه من كلام ابن عمر رضي الله عنهما، وقد سبق من كلام علي رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» ٢١٢/١٠. وأبو جعفر هو الباقر.

(٥) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٥٢٠) وإبراهيم هو النخعي.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٠٥٦)، والخلال في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (ص ٦٣).

(٧) في النسخ: (المسيح). ومراده الشيخ الإمام موفق الدين ابن قدامة المقدسي صاحب «المغني».

(٨) «الدر المختار» ٤٨٢/٥.

(٩) «الاستذكار في معرفة مذاهب علماء الأمصار» ٤٦٢/٨.

(١٠) أخرجه مالك في «الموطأ» (١٧١٨)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٦٦٧٧)، وأحمد في «مسنده» ٣٩٤/٤ (١٩٥٢١)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٥٤٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٢٦٩)، وأبو داود في «سننه» (٤٩٣٨)، وابن ماجه في «سننه»=

لفظ: «**فكأنما غمس يده في لحم الخنزير**»[1]، رواهما أبو داود، وفي لفظ: «**ودمه**».

وقال ﷺ: «**مثل الذى يلعب بالنردشير ثم يقوم يصلي، كمثل الذي يتوضأ بالقيح ودم الخنزير ثم يقوم فيصلي، فيقول الله: لا أقبل له صلاة**»[2].

وقال: «**اللاعب بها قمارًا؛ يأكل لحم الخنزير، واللاعب بها غير قمار؛ كالمدَّهن بودَك الخنزير**»[3].

قال بعض علماء[4] الشافعية: «يكره لعب الشطرنج، ولا يحرم؛ لأنه يحد الخاطر ويستخرج به، ويعلِّم الحرب والكر والفرَّ والنِّزال»[5]. فكم أذهبت هذه المسألة من عُمرِ كل غافل وبطال، في البدعة والكذب والمحال، وكم ألهت عن ذكر الله الكبير المتعال. ومن قال بتحريمه يقول: نسلِّم لأنه يحد الخاطر؛ لكن يحده في القمار والسرقة والكذب والمغالطة والضلال، كما يفعله أهل الشعبذة. وقوله: يتعلم به الحرب والكر والفر والطعن والضرب؛ وهذا قياس مفسود، والصحيح أنه يبلد الخاطر، ويشغل عن الملك المعبود، وينسي طريق الحرب، ويغطي خدعه، وفي الحديث:

= (٣٧٦٢) من حديث أبي موسى الأشعري، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٥٢٩).

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣٥٢/٥ (٢٢٩٧٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٢٧١)، ومسلم في «صحيحه» (٢٢٦٠)(١٠)، وأبو داود في «سننه» (٤٩٣٩)، وابن ماجه في «سننه» (٣٧٦٣) من حديث بريدة الأسلمي؛ أن النبي ﷺ قال: «**من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه**».

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣٧٠/٥ (٢٣١٣٨) مختصرًا، والبخاري في «التاريخ الكبير» ٢٩١/١/٤ ـ ٢٩٢، وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٦٥٣٥): منكر.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٦٦٧٨)، وابن الجعد في «مسنده» (٣٠٩٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٢١٦/١٠ موقوفًا على عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٤) في (ق): فقهاء.

(٥) انظر «الحاوي في فقه الشافعي» ١٧٩/١٧.

«**الحرب خدعة**»[1].

والغرض في الحرب المغالبة، والهزيمة، وقتل الملوك وأسرهم من غير إنذارهم، ولا يراعى في جميع ذلك صفات مخصوصة، فيجوز للفارس قتل عدوه حيث وجده: يمينًا أو شمالاً، خلفًا أو أمامًا، وكذلك الراجل، وراكب الفرس والفيل. فيجوز للرجل قتل جماعة في جملة واحدة، ويتخطى قومًا، ويقتل من خلفهم قومًا آخرين، وإذا استتر الملك بغيره يجوز قتله، وقتل من استتر به.

وأوضاع الشطرنج ليس منه قطعة إلا وصيدها على غير طريق صيد صاحبها، فلاعب الشطرنج إذا ذهب لقتال العدو يقول: إنما تعلمت السير إلى قدام، ولا يجوز لي الضرب إلا يمينًا ويسارًا. فإن ظفر بعدوه أمامه تركه، فيقتله عدوه، فإن لم يقدر على الرجوع من خلفه، ووجد مسلكًا عن يمينه أو يساره، قال: لا يجوز لي المشي من يمين ويسار، فيدركه عدوه، ويقتل بسيف الكفار، وكذلك يقال في القِطَع كلِّها. ومن عادة الفيل أن يعتمد في الحرب، فيحطم كل ما يراه وهو في حكم الشطرنج أضعف مقاتل، [2](ومن أحسن الحيل في الحرب قتل الملوك، وأخذهم حيث وجدوا. وفي وضع الشطرنج إذا ظفر بالملك أعلمه، لإشرافه على الهلاك، وطرق له طريقًا للهروب. وهذا من أقبح ما يكون في الحروب. وهم قاسوه على النِّصال[3]. والأولى أن يقاس على النرد؛ لما فيه من اللعب والكذب والمحال. ثم لو شبه بالنِّصال، وبلعبه يتعلم الإنسان خدع الحرب، لكان مندوبًا إليه وعليه يثاب كالثقاف، واللعب بالرماح، والسباق، والرمي

---

(١) أخرجه الحميدي في «مسنده» (١٢٣٧)، وأحمد في «مسنده» ٣٠٨/٣ (١٤٣٠٨)، والبخاري في «صحيحه» (٣٠٣٠)، ومسلم في «صحيحه» (١٧٣٩)(١٧)، وأبو داود في «سننه» (٢٦٣٦)، والترمذي في «جامعه» (١٦٧٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٦٤٣) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) من هنا سقطت ورقة من (ق).

(٣) النصال: جمع النصل، وهو: حديدة الرمح والسيف، والمراد هنا: المبارزة واللَّعب بالحراب.

بالنُّشَّاب. فلمّا لم يكن كذلك بطل ما قالوه بالقياس. والله أعلم بحقيقة الأمر والالتباس.

واللعب بالنرد قد لعن الله لاعبه[1]؛ لأنه يُلهي. والشطرنج ألهى وألهى؛ ولذلك كان أشد تحريمًا من لعب النرد عند مالك بن أنس رحمه الله تعالى.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

---

(١) لم أقف على حديث فيه لعن لاعب النرد، وقد سبق فيه حديثان، أحدهما حديث: «**من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله**»، والآخر: «**من لعب بالنرد فكأنما صبغ يده في دم خنزير**».



فصلٌ في الحجة والبرهان على فتيان هذا الزمان

اعلموا أهل الإيمان، أن هذه الفتوة التي تعمل في هذا الزمان هي من أقبح البدع، ومما تغضب الرحمٰن، وترضي الشيطان. وقد ارتكب أهلها الذنوب والعصيان، وتعاونوا على الإثم والعدوان، وخرجوا عن السنة وما جاء به القرآن، وخالفوا في أفعالهم وأقوالهم الملك الدَّيان، ولا يفعلها إلا كل مبتدع ومتمرد وشيطان؛ لأنه لا أصل لها في الشرع، وما أنزل الله بها من سلطان فهم حيارى، لا هم داخلون في فعلتهم هذه في طريق نبيهم، وخرجوا عن شرع اليهود والنصارى. فتراهم يعملون: القوصرة[1]، ويجمعون الناس على شيء يقال له: التَّزكرة[2]، فيأتون بِأَمْرَدٍ سبحان من خلقه وصوره، وشق سمعه وبصره، فيخلع لباسه كبيرهم بين يدي من حضره ويلبسه غيره، ويشد تكته بيده، وقد حرم الشرع الشريف مسه ونظره. فتمسَّك أيها المسكين بالشرع الشريف، ودع عنك أفعال الفجرة، وأقبح من هذا فعله مع الرجل الكبير، وإنما يلبس الطفل لأجل صغره. ثم بعد ذلك يشربون ماءً وملحًا، ويضيفون هذه المصائب لآل بيت النبي ﷺ الكرام البررة ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [عبس: ١٧]. لقد افتروا الكذب على أمير المؤمنين، والذي خلق الإنسان فقدره، فسبحان

(١) في النسخ: (العزيزة)، أو: (العزبرة)، ولعل الصواب ما أثبتناه، ففي «فتاوىٰ السبكي»: «ينصبون ثوباً كهيئة القوصرة، يسمُّونه التنورة، يُدخلون الزعيم والذي يلبس إلى وسطها». والقوصرة: وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البَواري.

(٢) كذا في النسخ، وصوابها: «الدسكرة»، انظر كلام ابن تيمية الآتي في (ص: ٨٢٠).

الحليم الذي لا يعجل بالعقوبة على عبده المدْبِر، إذا خالفه فيما أمره، ويمهله ليوم يرجف قلبه ويشخص بصره.

والفتيان هم الذين تركوا البدع والعصيان، واجتهدوا في الطاعة والإحسان فهم يأخذون في الزيادة، وغيرهم يأخذ في البعد والنقصان، وقد نصحتك يا أخي والنصح من الإيمان[١].

ثم اعلم بأن هذه الفُتوّة تجتمع على معاصٍ كثيرة: كَذِبهم على أمير المؤمنين، والفتى لا يكذب؛ لأن كبيرهم إذا وقف يقول: وقوفي لله. ووقوفه لعله لا لله. ويقول: وفي طاعة الله. فكذب في الأول. ولا صدق في الثاني؛ لأنه وقف يدعو الناس إلى الباطل. ويقول: واللباس لفلان، والفتوة فتوة علي بن أبي طالب. والله ما هذه أحوال من هو في الله ورسوله راغب؛ لأنه كَذَبَ في الأول ولا صَدَقَ في الثاني، وأخطأ في الثالث، وجمعهم المردان وإخوان البطالة. وهذه الأخرى من الضلالة؛ لأن النبي ﷺ نهى أن يحدَّ الرجل النظر إلى الغلام الأمرد، الحسن الوجه[٢]، ونهى أيضًا عن مجالسته، وأقام أمرد من بين يديه، وأجلسه خلفه[٣]، وقال سيد البشر: **«كانت خطيئة داود النظر»**[٤].

فمن خالف قول النبي ﷺ وفعله، فهو عبد منكوب؛ إلا أن يتوب فحينئذٍ ينال المطلوب. قال بعضهم أبيات:

ليس الشجاع الذي يحمي مطيته ... يوم النزال ونار الحرب تشتعل

لكن فتى غضَّ طرفًا أو ثنى قدمًا ... عن الحرام فذاك الفارس البطل

فمن أطلق نظره؛ أعمى الله قلبه، وأطال أسفه. قال صلوات الله عليه وسلامه)[٥]: **«النظر سهم مسموم من سهام إبليس»**[٦].

---

(١) يشير إلى حديث: **«الدين النصيحة»** وقد تقدم.

(٢) سبق تخريجه، وهو ضعيف.

(٣) سبق تخريجه، وهو واه.

(٤) جزء من الحديث السابق وقد تقدم، ولا يصحُ.

(٥) هذا آخر السقط في (ق)، وهو بمقدار ورقة.

(٦) سبق تخريجه، وهو ضعيف جدًا.

فاحذر أيها الغافل فالسم قاتل، قال الشافعي رحمه الله هذه الأبيات:

كل الحوادث مبدأها من النظر	ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها	في أعين العين موقوف على الخطر
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها	فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر ناظره ما ساء خاطره	لا خير في لذة تأتيك بالضرر

قال ﷺ: «**حُرمت النار على عينٍ غضَّت عن محارم الله تعالى**»[1].

والبدعة الأخرى شد تكة الأمرد بين جمع من المسلمين، وهذا يوجب لهم المقت من رب العالمين. وهذه الأشياء تأتي من قلة الحياء والدين، قال ﷺ: «**الحياء من الإيمان**»[2]، «**من لا حياء له لا إيمان له**»[3]. فمن كثر إيمانه كثر حياؤه، ومن قَلَّ إيمانه قَلَّ حياؤه، ومن لا حياء له لا إيمان له.

وفي حديث آخر: «**الحياء خير كله**»، «**الحياء لا يأتي إلا بخير**»[4]، وقال: «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحي فاصنَع ما شئت**»[5].

والبدعة الأخرى شربهم الماء والملح وإضافتهم هذه المصائب لأمير المؤمنين، ويقبح أن تضاف لبعض الفاسقين.

---

(١) أخرجه الدارمي في «سننه» (٢٤٠٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٨٦٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» ١٤٩/٩ من حديث أبي ريحانة.
وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٧٠٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» ١٤٢/٢١، وفي «الاستذكار» ٢٨١/٨ من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لكل دين خلق، وخلق الإسلام الحياء، من لا حياء له لا دين له**». قال ابن عبد البر: من حديث الشاميين بإسناد حسن.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

فيا من يدعي الفتوة، وهو تارك لطريق النبوة، يترك الجائع، ويطعم الشبعان، ويَكسو المردان، ويَترك العريان.

أَفِقْ أيها الإنسان! فقد غرَّك الشيطان؛ إذ أخرجك عن طريق النبوة، فنظرك إلى الأمرد حرام، وطعامك شر الطعام، وقد خرجت عن طريق نبيك عليه الصلاة والسلام، قال ﷺ: «**شر الطعام طعام الوليمة؛ يدعى إليها الأغنياء، ويترك المساكين**»[1].

قال السيد الجليل سهل بن عبد الله التستري: سيكون في هذه الأمة أناس يقال لهم: اللوطيون، وهم على ثلاثة أصناف: صنف ينظرون، وصنف يصافحون، وصنف يعملون ذلك العمل الخبيث[2]. وقد ذَمَّ الله تعالى اللوطي ولعنه، قال ﷺ: «**ملعون، ملعون، ملعون، من عمل بعمل قوم لوط**»[3].

والفتيان هم الذين أطاعوا الرحمٰن، وتركوا ما تقدم ذكره من البدع والهذيان، والزور والبهتان، ويكفيك في الفتوة هذا البيان: ليس الفتى من ضرب بالسكين، الفتى من أطعم المسكين. قال الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾ [الإنسان: ٨] الآية. نزلت في حق علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو الفتى الكبير، روي ذلك عن أهل

---

(١) أخرجه مرفوعًا الحميدي في «مسنده» (١١٧٠)، ومسلم في «صحيحه» (١٤٣٢). وأخرجه موقوفًا على أبي هريرة: مالك في «الموطأ» (١١٣٨)، والبخاري في «صحيحه» (٥١٧٧)، ومسلم في «صحيحه» (١٤٣٢).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» (١٤٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٤٠٢) من كلام أبي سهلٍ، ولم أقف عليه من كلام سهل التستري.

(٣) أخرجه الحارث في «مسنده» (بغية الباحث: ٥٧٧) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص، بإسناد ضعيف. وأخرجه أحمد في «المسند» (١٨٧٥) من حديث ابن عباس، بإسناد حسن، وذكر لفظ «**ملعون**» مرة واحدة، لكن في رواية أخرى عنده (٢٩١٤): قالها رسول الله ﷺ مراراً ثلاثاً في اللوطية. وفي رواية (٢٨١٦): «**ولعن الله من عَمِلَ عَمَلَ قوم لوط**» وكرَّر هذه الجملة ثلاثاً، وإسنادها صحيح. انظر: «الصحيحة» (٣٤٦٢)، و«الضعيفة» (٥٣٦٨).

التفسير[1].

فمن أطعم اليتامى وكسا الأرامل، فهو الفتى الكامل، وسيعود خير ذلك إليه في العاجل والآجل.

دخل رجل على الشيخ أبي العباس الشَّاذلي رحمة الله عليه، فقال الفقراء: يا سيدي، هذا الرجل فتًى. فقال الشيخ: يا بني، ليس الفتوة الماء والملح، إنما الفتوة الإيمان والهداية، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]، والفتى كما قال تعالى لإبراهيم الخليل: ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنبياء: ٦٠]؛ هو الخليل عليه السلام؛ وجد أصنامًا حسِّيَّةً فكسرها، فسماه الله تعالى فتًى، وأنت لك أصنام معنويةٌ إن كسرتها فأنت فتى، وهي: النفس، والشيطان، والهوى، والشهوة، والدنيا. واسمع قوله: «**لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي**»[2]، فانظر إلى هذه المدحة، وذلك لكثرة طاعته، وعلمه،

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» ٣٧١/٨ لابن مردويه عن ابن عباس. ولا يصحُّ.

(٢) كذب موضوع: أخرجه ابن عدي في «الكامل» ٢٦٠/٥، وابن الجوزي في «الموضوعات» ٣٨١/١ ـ ٣٨٢ من حديث أبي رافع قال: كانت راية رسول الله ﷺ يوم أُحد مع علي بن أبي طالب، وكانت راية المشركين مع طلحة بن أبي طلحة... فذكر الحديث. وذكر فيه: أنَّ كل من كان يحمل راية المشركين يقتله علي رضى الله عنه حتى عد تسعة أنفس حملوها وقتلهم علي، وقتل جماعة من رؤسائهم يحمل عليهم، فقال جبريل: يا محمد، هذه المواساة، فقال النبي ﷺ: «**أنا منه وهو مني**». ثم سمعنا صائحًا يصيح في السماء وهو يقول: لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا عليُّ بن أبي طالب.

قال ابن الجوزي عقبه: هذا حديث لا يصح، والمتهم به عيسى بن مهران.

قال ابن عدي: حدث بأحاديث موضوعة وهو محترق في الرفض.

وقد روى أبو بكر ابن مردويه من حديث يحيى بن سلمة بن كهيل، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: صاح صائح يوم أحد من السماء: لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي بن أبي طالب. ويحيى بن سلمة ليس ممن يكتب حديثه. قال يحيى بن معين: ليس بشيء. وقال النسائي: متروك الحديث.

وروى ابن مردويه من حديث عمار ابن أخت سفيان، من طريق الحنظلي، عن أبي=

وشجاعته، وصدقته، وشفقته[1].

وقد جاء عنه أنه سئل مسألة في الفرائض وهو يخطب فلم يتوقَّف، بل قال: صار ثمنها تسعًا، أيها الناس[2]. ومضى على خطبته.

وروي أيضًا أنه ما أكل وحده، ولا منع رِفْدَه، ولا جَلَد عَبْده[3]، وكان يَصِل مَن قَطعه، ويُعْطِي مَن حرمه، ويعفو عن مَن ظلمه، وكان مع قوة فاقته، يُطعم الطعام، ويُديم في الحر الشديد الصيام، وكان من خلقه التواضع، والتنازل لأهل الإسلام، يبدأ من لقيه بالسلام، وكسَّر الأصنام، ونصر دين الإسلام، وكان أخًا وصهرًا، وابن عم للنبي عليه الصلاة والسلام، وكان يصلي بالختمة المطهرة في ركعة واحدة والناس نيام[4].

= جعفر محمد بن علي، قال: نادى منادٍ من السماء يوم بدر، يقال له رضوان: لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي بن أبي طالب. قال الدارقطني: عمار متروك.

(١) كلام أبي العباس بنحوه دون قوله: «فانظر إلى هذه...»؛ نقله ابن عطاء الله الإسكندري في «لطائف المنن» ٢٢٠، وهو مما رواه ابن عطاء الله عن شيخه: أبي العبَّاس المرسي، وهذا تلميذ أبي الحسن الشاذلي، فهو شاذلي في الطريقة الصوفية لا في النسب. (ت)

(٢) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» ٢٥٣/٦ وليس فيه أن ذلك كان على المنبر، وضعف إسناده الألباني في «الإرواء» ١٤٦/٦.

(٣) أخرج ابن عساكر في «تاريخه» ١٣٣/١٥ من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أنَّ النَّبي ﷺ قال لعلي بن أبي طالب: **«ألا أنبئك بأشر الناس؟»** قال: بلى يا رسول الله. قال: **«من أكل وحده ومنع رفده وسافر وحده وضرب عبده»** ثم قال: **«يا علي، ألا أنبئك بأشر من هذا؟»** قال: بلى يا رسول الله. قال: **«من يخشى شرُّه، ولا يرجى خيره»**. ثم قال: **«يا علي، ألا أنبئك بأشر من هذا؟»** قال: بلى يا رسول الله. قال: **«من باع آخرته بدنيا غيره»**. ثم قال: **«يا علي، ألا أنبئك بأشر من هذا؟»** قال: بلى يا رسول الله. قال: **«من أكل الدنيا بالدين»**. قال ابن عساكر: وإسناد هذا الحديث مضطرب؛ فإن قدامة الثقفي لم يدرك معاذًا. وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٧١٣٥): منكر.

(٤) ورد ذلك عن عثمان رضي الله عنه، أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٧٢٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٢٤/٣، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي» عقب كلامه على حديث (٢٩٤٦).

فانظر ماذا خصَّ الله به هذا العبد المبارك من بين الأنام، فتيقظ أيها الكاذب على هذا الإمام من غفلتك، ومن هذا المنام، قبل أن يكون خصمك يوم تقف بين يدي الملك العلام، يوم لا ينفع مال ولا بنون؛ إلا من أتى الله بقلب سالم[1] من البدع والآثام، وهذا بعض أوصاف هذا الإمام، الذي كرم الله تعالى وجهه عن السجود للأصنام، فما سجد لصنم[2]، ولا اتبع من انهزم، ولا هتك الحرم، وبلغ من شجاعته أنه رمى بنفسه في المنجنيق، وخلص بعض الصحابة من الأسر والحريق، وضُرب رضي الله عنه يوم خيبر بسيف، فاتقاه بدرقته فعضَّت به، فألقاها ثم أخذ بابًا وترَّس به، فلما انهزم الكُفار، رمى الباب فاجتمع ثمانية من الصحابة فلم يقدروا على قلبه[3]. وضرب مِرْحَبًا على رأسه فشقه نصفين، وإذا بقائل يسمع صوته، ولا يرى شخصه: الله أكبر، لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي[4].

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنبياء: ٦٠] مدح المولى الجليل، أبانا إبراهيم الخليل[5]؛ لأنه كسَّر الأصنام، واجتهد في خدمة الملك العلام، وكان يطعم الطعام، ويصلي بالليل والناس

---

(١) في (ق): سليم سلم.

(٢) وذلك لأن النبي ﷺ قد بعث لما كان عليٌّ صبيًّا، فأسلم صغيرًا.

(٣) لا يصحُّ: أخرجه أحمد في «مسنده» ٦/٨ (٢٣٨٥٨)، والطبري في «تاريخه» ٢/١٣٧ عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ، قال: خرجنا مع علي بن أبي طالب حين بعثه رسول الله ﷺ برايته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله، فقاتلهم فضربه رجل من اليهود، فطرح ترسه من يده فتناول علي رضي الله عنه بابًا كان عند الحصن، فترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده حين فرغ. فلقد رأيتني في نفر سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٦/٢٢٣: رواه أحمد وفيه راوٍ لم يسم.

(٤) سبق تخريجه، وهو ضعيف.

(٥) الذين قالوا: «سمعنا فتىً» هم الكفَّار ولم يقصدوا مدحه بذلك، وإنما الإخبار أنه شاب حَدَث. ولفظ «لفتى» في الكتاب والسنة ولغة العرب ليس من أسماء المدح ولا الذم، ولكن بمنزلة اسم الشاب والكهل والشيخ ونحو ذلك. «منهاج السنة» لابن تيمية ٥/٧٠.

نيام، وألقى نفسه للنيران، ووجَّه قلبه للرحمن، وسمح[1] بولده للقربان[2]، وبنى كعبة الرحمٰن[3]، وقالت له الملائكة حين زُجَّ في النار: ألك حاجة يا إبراهيم؟ قال: أما إليكم فلا؛ ويكفي في علمها الواحد المنان[4]، وهذه هي الفتوة والجود والإحسان، فلا تكذب على القوم ولا تبتدع، وأفق من سكرتك أيها الإنسان.

وأما فتوة سيد العباد، فقد حاز جميع ذلك وزاد؛ قام ﷺ في خدمة مولاه حتى تورمت قدماه[5]، ووالله ما بخلت يداه، آثر بقوته، وتصدق بقميصه[6]، فعطاؤه جزيل، وخلقه جميل، وقد مدحه المولى الجليل بقوله

---

(١) في (خ): وسنح.

(٢) يشير لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾.

(٣) يشير لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾.

(٤) قال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٢١): لا أصل له. وانظر: «المجموع» لابن تيمية ١/١٨٣ و٨/٥٣٩.

(٥) أخرجه الحميدي في «مسنده» (٧٥٩)، وأحمد في «مسنده» ٤/٢٥١ (١٨١٩٨)، والبخاري في «الصحيح» (١١٣٠)، ومسلم في «صحيحه» (٢٨١٩)، وابن ماجه في «سننه» (١٤١٩)، والترمذي في «جامعه» (٤١٢)، وفي «الشمائل» (٢٦١)، والنسائي في «المجتبى» ٣/٢١٩ (١٦٤٤)، وفي «السنن الكبرى» (١٣٢٥)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١١٨٢) من حديث المغيرة بن شعبة قال: قام رسول الله ﷺ حتَّى تورمت قدماه؛ فقيل: يا رسول الله، قد غُفِرَ لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. قال: «**أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا؟**».

(٦) أخرجه أحمد في «مسنده» ٥/٣٣٣ (٢٢٨٢٥)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٤٦٢)، والبخاري في «صحيحه» (١٢٧٧)، وابن ماجه في «سننه» (٣٥٥٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٩٦٥٩) عن سهل بن سعدٍ قال: جاءت امرأة ببردة، فقال سهل: هل تدرون ما البردة؟ قالوا: نعم. هذه الشملة منسوج في حاشيتها فقالت: يا رسول الله، إني نسجت هذه بيدي أكسوكها فأخذها رسول الله ﷺ محتاجًا إليها، فخرج إلينا وإنها لإزاره، فجاء رجل من القوم فقال: يا رسول الله، اكسُنيهَا. قال: «**نعم**» فجلس ما شاء الله في المجلس، ثم رجع فطواها، ثم أرسل بها إليه، فقال له القوم: ما أحسنت، سألتها إياه وقد عرفت أنه لا يرد سائلاً. قال الرجل: والله ما سألتها إلا لتكون كفني يوم أموت، قال سهل فكانت كفنه.

تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤]. وكَسَرَ الكفارُ ثَنِيَّتَهُ، وشجوا جبينه، فدعا لهم واعتذر عنهم؛ وقال: «**اللَّهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»[١].

وقد جعل الله تعالى لكل نبي دعوة مستجابة، فكل منهم تعجل دعوته في الدنيا، واختبأ[٢] ﷺ دعوته[٣]؛ وهي شفاعته لأمته، فآثر أمته على نفسه. والفتوة هي الإيثار، واتباع النبي ﷺ المختار، والصحابة الأخيار، والمسلمين الأبرار، فاسلك مسالكهم، وانهج مناهجهم، وألق عصاك فهذا جانب الوادي، فقد جعل الله الخير كله اتباع هؤلاء الأخيار، والنار لمن خرج عن طريق القوم وجار، بذلك نطقت الآيات وجاءت الأخبار.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝١١٥﴾ [النساء: ١١٥].

وقد صح في الأخبار أن أمة محمد ﷺ تفترق يوم القيامة على ثلاثٍ وسبعين فرقة: فرقة ناجية، وهم التابعون للنبي المختار والصحابة الأخيار،

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ١/٣٨٠ (٣٦١١)، والبخاري في «صحيحه» (٣٤٧٧)، ومسلم في «صحيحه» (١٧٩٢)، وابن ماجه في «سننه» (٤٠٢٥) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: لكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيًّا ضربه قومه؛ فهو يمسح عن وجهه الدم، ويقول: «**ربي اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**».
وأما رواية كسر ثنيته صراحة؛ أخرجه أحمد في «مسنده» ٣/٢٠١ (١٣٠٨٣)، وعبد بن حميد في «مسنده» (١٢٠٤)، ومسلم في «صحيحه» (١٧٩١)، وابن ماجه في «سننه» (٤٠٢٧)، والترمذي في «جامعه» (٣٠٠٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٠٧٧) من حديث أنس رضي الله عنه قال: كسرت رباعية رسول الله ﷺ يوم أُحد، وشُجَّ فجعل الدم يسيل على وجهه، ومسح الدم عن وجهه ويقول: «**كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الإسلام**». فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ۝١٢٨﴾.

(٢) في (ط): واجتبى.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣/١٣٤ (١٢٣٧٦)، ومسلم في «صحيحه» (٢٠٠)(٣٤١) من حديث أنس رضي الله عنه أنَّ نبيَّ الله ﷺ قال: «**لكلِّ نبي دعوة دعاها لأمته، وإني اختبأت دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة**».

والباقي إلى النار[1].

وهؤلاء الفتيان قد خرجوا عن السنة وحكم القرآن، واتبعو طريق المغرورين الهالكين المبعودين من رحمة رب العالمين، فخرجوا عن طريق سيد المرسلين، والصحابة المكرمين، والأئمة الراشدين، وأضافوا ما يفعلونه من القبائح ويقترفونه[2] لأمير المؤمنين، فإن احتجوا بفعل هذه المحظورات لفعل الخيرات، كخلاص محبوس منهم أو من لزمه دين، وهذه من أفعال البر، فيمشي الكبير على أصحابه ويقول: خلصوا أخاكم في الفتوة.

جوابه ـ اسمع يا قليلَ التوفيق والمروءة ـ: هذا من تلبيس إبليس، يريد أن يخرجك عن طريق النبوة، فيغرك كما غر أباك ـ لتكون النار مأواك، قال المولى الغفور: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الأعراف: ٢١، ٢٢]. وقال المولى القدير: ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

انظر إلى هذا العدو المبين كيف يزين لابن آدم القبيح حتى يراه حسنًا، فيوقع المغرور في البدعة والفجور، قال بعضهم:

يا غاديًا في جهله ورائحًا ... إلى متى تستحسن القبائحا
يا عجبًا منك وأنت مبصر ... كيف تجتنب[3] الطريق الواضحا

وهذا العدو يرانا ولا نراه، فهو غالب العبد بلا محالة إن لم ينصره خالقه ومولاه.

نرجع إلى قولهم: إنَّ هذه الفتوة عملناها لأجل خلاص المحابيس من أصحابنا، ومن لزمه دَين منهم.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ليس في (خ، ب).

(٣) في (خ): تجنبت.

الجواب: قد أجمع العلماء - والإجماع من أقوى الحجج - أنه لا يحل لمسلم أن يسعى في خلاص مجرم، ولا يشفع في حدٍّ من حدود الله سبحانه إذا ثبت عند الحاكم، فمن فعل ذلك فقد فعل شيئًا لم يؤمر به، وترك شيئًا أمر الله به؛ فيجب على المسلم ترك الكذب على آل بيت النبوة، والنظر إلى ما حرم الله تعالى، ولا يجب عليه السعي في خلاص المحابيس المناحيس؛ ومن بلاهم يدبرهم، فيكون مثل من يفعل ذلك كمثل امرأة تزني وتتصدق به، يقال لها: لو تركت الزنَى كان أحب (إليك و)[1] إلى الله تعالى من هذه الصدقة.

قال بعضهم شعرًا يناسب هذا:

بنى مسجدًا لله من غير حله	فكان[2] بحمد الله غير موفق
كمطعمة الأيتام من كَدِّ فرجها	لكِ الويل لا تزني ولا تتصدقي

اسْعَ - أيها المسكين - في خلاص نفسك أولاً من البدعة والهوى، ثم اسع في خلاص غيرك، قال ﷺ: «**ابدأ بنفسك، ثم بمن تعول**»[3]. ثم اعلم أنه لا يحل لمؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسعى في خلاص مجرم،

---

(١) ليست في (خ).

(٢) في (خ): وجاء.

(٣) ملفَّق من حديثين، الأول: حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ، قال: «**أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى، واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول**».
أخرجه أحمد في «المسند» ٢/٢٥٢ (٧٤٢٩)، والبخاري في «صحيحه» (٥٣٥٥)، وفي «الأدب المفرد» (١٩٦)، ومسلم في «صحيحه» (١٠٤٢) بنحوه، وأبو داود في «سننه» (١٦٧٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٢٣١٣)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٤٣٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٣٦٣).
والثاني: حديث جابر في بعض الطرق: «**ابدأ بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شيء فلأهلك**».
أخرجه أحمد ٣/٣٠٥ (١٤٢٧٣)، ومسلم في «صحيحه» (٩٩٧)، وأبو داود في «سننه» (٣٩٥٧)، والنسائي في «سننه» ٥/٦٩ (٢٥٤٦)، وفي «السنن الكبرى» (٥٠٠٧)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٤٤٥).

كمن يدعي الفتوة ويكذب على آل بيت النبوة، ويفسد أولاد المسلمين؛ ويضرب بالسكين.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [المائدة: ٣٣]. قال أبو حنيفة رحمه الله: نفيهم حبسهم[١]. فهؤلاء يجب حبسهم، فمن سعى في خلاص هؤلاء الأشرار، يخاف عليه أن يحبسه[٢] الله يوم القيامة في النار؛ لأنهم قد ارتكبوا الذنوب والأوزار، ونبذوا الآيات والأخبار، وخرجوا عن طريق النبي المختار، وتَقَوَّلُوا على الأخيار.

فإن قالوا: إن هذه الطريقة التي نحن عليها ما أحدثناها، بل أخذها كبير عن كبير إلى الخليفة[٣].

جوابه: ليس ذلك بحجة، قال ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي**»[٤]. لم يقل[٥] بسنة الخلفاء الخارجين، فقد كان في الخلفاء الخارج عن السنة. ولا يحل لأحدٍ من خلق الله تعالى أن يطيع الخليفة، ويعصي الشريعة الشريفة، لقوله ﷺ: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»[٦].

ثم اعلم أنه يجب على ولاة الأمور أن يزيلوا من بين المسلمين ما تفعله هذه الطائفة الضالة من البدع والبهتان والزور، فردعُهم[٧] والله مثوبة

---

(١) «المبسوط» للسرخسي ٩/٣٥٣.

(٢) في (خ): يسجنه.

(٣) هو الخليفة العباسي الناصر لدين الله أحمد ابن المستضيء (ت: ٦٢٢)، وهو أول من وضع نظام الفتوة، وكان قد جمع الشَّرَّين: التشيع والتصوف. قال ابن الأثير: كان سيء السيرة، جعل همَّه في رمي البندق والطيور المناسيب، وسراويلات الفتوة.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) في (خ): ما قال.

(٦) أخرجه أحمد في «مسنده» ٥/٦٦ (٢٠٦٥٣) من حديث عمران بن حصين، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٥٢٠).
وقد ورد من حديث علي رضي الله عنه بألفاظ متقاربة المعنى.

(٧) في (خ): فهي.

عظيمة تقرب للرب الغفور، وتنجي صاحبها من أهوال يوم النشور.

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ۝٤١﴾ [الحج: ٤١].

وليس شيء بعد الإيمان بالله تعالى أفضل من رد العبيد إلى المولى المجيد، واسمع قوله ﷺ: **«يا علي، لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك مما طلعت عليه الشمس»**[١]. فمن أمر فقد غنم، ومن لم يفعل فقد أثم.

قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، مدح هؤلاء لأمرهم، وذمَّ آخرين لتركهم ذلك، بقوله تعالى: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ۝٧٩﴾ [المائدة: ٧٩].

فالأمر بالمعروف يقرب للرب الرؤوف، ومن تركه مع القدرة، فهو عبد مذموم لمخالفته للحي القيوم.

قال النعمان بن بشير: يا أيها الناس، خذوا على أيدي سفهائكم؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن قومًا ركبوا البحر في سفينة، فاقتسموها، فأصاب**[٢] **كل واحد منهم مكانًا، فأخذ رجل منهم الفأس، فنقر مكانه، فقالوا له: ما تصنع؟ قال: مكاني أصنع فيه ما شئت. فإن أخذوا على يديه نجا ونجوا، وإن تركوه غرق وغرقوا»**[٣].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) في (ق): فأخذ.

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٣٤٩)، والبغوي في «شرح السنة» (٤١٥٢) من طريق الأجلح عن الشعبي، عن النعمان بن بشير، قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٦٩): الأجلح هذا ـ وهو ابن عبد الله أبو حجية الكندي ـ فيه ضعف، لاسيما عن الشعبي، قال العقيلي: روى عن الشعبي أحاديث مضطربة لا يتابع عليها.
قلت: وهذا اللفظ هو الذي شاع في هذا الزمان عند بعض الكتَّاب والمؤلفين فأحببت أن أنبه على ضعفه، وأن أرشد إلى أن اللفظ الأول هو الصحيح المعتمد. اهـ. =

فخذوا على أيدي سفهائكم قبل أن تهلكوا. وقد أهلك من قوم يوشع عليه السلام ألوفٌ لتركهم الأمر بالمعروف[1]. فمن عجز عن زجرهم، فلا بد من بغضهم وهجرهم؛ لقوله ﷺ: **«المهاجر من هجر ما حرم الله»**[2].

ورُوي: أن إبراهيم الخليل عليه السلام هجر أهل حران وارتحل عنهم. وقال: إنِّي مهاجر إلى ربي سيهدين. ومن رضي بهذه الفتوة لم يرضى الله عنه، لما جاء في الحديث: **«من رضي بالفاحشة كمن فعلها»**[3].

ويخاف على من كثَّر سوادهم أن لا يبلغهم الله تعالى مرادهم؛ لقوله ﷺ: **«من كَثَّرَ سواد قوم فهو منهم»**[4]. ولقوله ﷺ: **«لا تجتمع أمتي على ضلالة»**[5].

= وأراد باللفظ الأول اللفظ الذي في الصحيح عن النعمان بن بشير، عن النبي ﷺ قال: **«مثل القائم على حدود الله، والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا! فإن يتركوهم وما أرادوا؛ هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم؛ نجوا ونجوا جميعًا»**. أخرجه الحميدي في «مسنده» (٩١٩) بنحوه، وأحمد في «مسنده» ٢٦٨/٤ (١٨٣٦١)، والبخاري في «صحيحه» (٢٤٩٣)، والترمذي في «جامعه» (٢١٧٣).

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» (١٣) من كلام إبراهيم بن عمرو الصنعاني، قال: أوحى الله عز وجل إلى يوشع بن نون: أنِّي مهلك من قومك أربعين ألفًا من خيارهم، وستين ألفًا من شرارهم، قال: يا رب، هؤلاء الأشرار، ما بال الأخيار؟ قال: إنهم لم يغضبوا لغضبي، وكانوا يؤاكلونهم ويشاربونهم.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ الطبراني في «مسند الشاميين» (٢٦١٦) من حديث أنس رضي الله عنه، والشهاب القضاعي في «مسنده» (١٦٦) من حديث عبد الله بن عمرو.
ولفظه المشهور: **«والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»**.
أخرجه الحميدي في «مسنده» (٥٩٥)، وأحمد في «مسنده» ١٦٣/٢ (٦٥١٥)، والبخاري في «صحيحه» (١٠)، وفي «الأدب المفرد» (١١٤٤)، وأبو داود في «سننه» (٢٤٨١)، والنسائي في «المجتبى» ٨/ ١٠٥ (٤٩٩٦)، وفي «السنن الكبرى» (٨٧٠١)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٣٠) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

ومن أحبهم أبغضه الله جل ثناؤه، وحشره معهم بلا محالة، كذا جاء في الخبر عن المبعوث بالرسالة، وهو قوله عليه السلام: «**المرء مع من أحب**»(١).

والعبد المبارك يوافق سيده، يحب من أحبه، ويبغض من أبغضه، ويقرِّب من قربه، ويبعد من أبعده، قال ﷺ: «**من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله؛ فقد استكمل الإيمان**»(٢).

وقال عيسى عليه السلام: يا معشر الحواريين، تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي، وتقربوا إلى الله بالتباعد عنهم، والتمسوا رضا الله بسخطهم(٣).

وقال ﷺ: «**يموت المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»(٤).

وقال لبعض أصحابه: «**لا تصحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقي**»(٥).

وقال علي رضي الله عنه:

لا تصحب أخا الجهل وإياك وإياه ... فكم من جاهل أردى حليمًا حين آخاه

فسيندم يوم القيامة من صحب مبتدعًا أو كافرًا أو فاسقًا أو ظالمًا، ندمًا طويلًا. ويقول: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٨].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٤٣٨/٣ (١٥٦١٧)، والترمذي في «جامعه» (٢٥٢١) من حديث سهل بن معاذ عن أبيه، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٨٠).

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣٥٥)، وأحمد في «الزهد» (ص ٥٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٤٤٥).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

وإياك أن يغرك الشيطان بصحبته، لتُخلِّصه مما هو فيه؛ فتؤجر على ذلك، فيخاف عليك أن تصحبه لخلاصه. فتشتبك أنت الآخر، وذلك لقلة أدبك، ولمخالفتك لله ولرسوله، وللمؤمنين، ولسماعك[1] من الشيطان اللعين، فيكون مَثلك كمثل مَن[2] يَدِلُّ بعومه فيرى غريقًا، فينزل لينشله من الغرق، فيأخذه الغريق وينزل فيغرقا[3] جميعًا.

ونسأل الله تعالى أن يصلي على سيدنا محمد النبي الكريم، وأن ينشلنا من غرق البدعة والمعصية إلى ساحل الطاعة والمتابعة وهو الإله الحليم، وهو الغفور الرحيم[4].

---

(١) في (خ): واستماعك.

(٢) في (خ): كمن.

(٣) في (خ): فيهلكا وصوابها: (فيغرقان) أو: (فيهلكان).

(٤) لعله من المفيد أن نذيّل هذا الفصل ببعض النقولات عن الفتوة:

قال الذهبي في «تاريخ الإسلام» ١٥٥/٤١، في وفيات سنة (٥٨٣هـ): «عبد الجبار بن يوسف بن صالح البغدادي، شيخ الفتوة ورئيسها، ودرة تاجها، وحامل لوائها، تفرد بالمروءة والعصبية، وانفرد بشرف النفس والأبوة، وانقطع إلى عبادة الله تعالى بموضع اتخذه لنفسه وبناه، فاستدعاه الإمام الناصر لدين الله وتفتَّى إليه، ولبس منه، خرج حاجًا في هذه السنة فتوفي بالمعلى، ودفن به في ذي الحجة».

وقال ابن تغري بردي في: «مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة» ٢٢٦/١، في ترجمة الخليفة الناصر لدين الله (٥٥٣ ـ ٦٢٢هـ)، ولي الخلافة سنة (٥٧٥): وفي أيام الناصر لدين الله هذا ظهرت الفتوة بغداد، ورمي البندق ولعب الحمام، وتفنن الناس في ذلك، ودخل فيه الأجلاء ثم الملوك؛ فألبسوا الملك العادل صاحب مصر، ثم أولاده سراويل الفتوة، ولبسه أيضاً الملك شهاب الدين صاحب غزنة والهند من الخليفة الناصر لدين الله هذا. ولبسه جماعة أُخر من الملوك. وأما لعب الحمام فخرج فيه عن الحدِّ، يُحكى عنه أنه: لما دخلت التتار البلاد، وملكوا من وراء النهر إلى العراق، وقتلوا تلك المقتلة العظيمة من المسلمين الذي ما نكب المسلمون بأعظم منها، دخل عليه الوزير فقال له: يا مولانا أمير المؤمنين! إن التتر قد ملكت البلاد وقتلت المسلمين. فقال له الناصر لدين الله: دعني، أنا في شيء أهم من ذلك؛ طَيْرتي البلقاء لي ثلاثة أيام ما رأيتها! وفي هذه الحكاية كفاية ـ إن صحت عنه ـ».

قال أبو الفرج عبد الرحمٰن ابن الجوزي (ت: ٥٩٧) رحمه الله في «تلبيس إبليس» ٣٤٧: «ومن هذا الفن تلبيسه على العيَّارين في أخذ أموال الناس، فإنهم يسمون=

....

= بالفتيان، ويقولون: الفتى لا يزني ولا يكذب، ويحفظ الحرَم، ولا يهتك ستر امرأة، ومع هذا لا يتحاشون من أخذ أموال الناس، وينسون تقلي الأكباد على الأموال، ويسمون طريقتهم: الفتوة، وربما حلف أحدهم بحق الفتوة، فلم يأكل ولم يشرب، ويجعلون إلباس السراويل للداخل في مذهبهم كإلباس الصوفية للمريد المرقعة، وربما يسمع أحد هؤلاء عن ابنته أو أخته كلمة وزرٍ لا تصح، ولا بما كانت من محرض فقتلها، ويدعون أن هذه فتوة، وربما افتخر أحدهم بالصبر على الضرب...».

وللعلامة أبي الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (ت: ٧٥٦) رحمه الله، فتوى في هذه الفتوة، ويظهر من خلالها انتشار هذه الظاهرة في المجتمع الإسلامي، وتتبين لنا جملة من صفاتهم المعينة في تصور حالهم، ففي «فتاوى السُّبكي» ٥٤٨/٢: ما يقول السادة العلماء رضي الله عنهم في هذه الفُتُوَّةِ التي فشت؛ فظهرت في هذا الزمان، وصورتها: أن قومًا يجتمعون في بيت أحدهم، فإذا اجتمعوا وأخذوا مجالسهم قام نقيبهم، وأنشد أبياتًا تتضمن استئذانهم في شدِّ وسطه فيأذنون له، ثم يأخذ بإحدى يديه شربة فيها ماء، ويأخذ بيده الأخرى ملحًا، ويخطب خطبة يقرأ في آخرها: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ [الفرقان: ٥٣] ويومئ برأسه إلى الماء، ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾، ويومئ إلى الملح، ويضع الملح في الماء ويرفع الشربة، ثم يقوم زعيم القوم وهو الذي يلبسهم سراويلات الفتوة فيجلس وسط القوم، ويقول له النقيب: من يطلب. فيسمي من يريد من الحاضرين فيقومون واحدًا واحدًا كلما قام أحدهم شدَّ الزعيم وسطه وأوقفه، فيقول هذا المشدود الوسط: أسأل الله تعالى وأسأل السادة الحاضرين كلما أقامني وشدَّ وسطي أنْ يُقعدني فتى كاملاً. ثم يقول النقيب: ما تقولون في هذا الرجل. فيثنون ثناء حسنًا، ويقولون: نِعم الأخ. ثم ينصبون ثوبًا كهيئة القوصرة يسمونه التنُّورة، ويدخلون الزعيم والذي يلبس إلى وسطها، فيلبسه سراويل بيده ويدخل الزعيم يده تحت ثياب اللابس إلى مربط السراويل، ويشد بيده في ذلك المكان، ويقرأ القوم حينئذٍ سورة الإخلاص، ثم يقول النقيب: اللباس لباس فلان، والفتوة فتوة علي بن أبي طالب بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واتباع الشرع المطهر، ما تكرهه لنفسك لا ترضاه لغيرك، وما تكرهه لغيرك لا ترضاه لنفسك فالزم، عليك بتقوى الله، هذا شرطنا عليك، والله ناظر إليك. يَفعل ذلك بكل مَن أراد أن يلبس، فإذا فرغ من ذلك رفعوا التنورة وخرجا من وسطها، ثم يأتي النقيب بالشربة المذكورة فيقدمها إلى شيخهم فيأخذها بيده، ثم يقول: السلام يا فتيان السلام - مرتين - اللَّهم اجعل وقوفي لله، واتباعي بالفتوة لآل بيت رسول الله ﷺ، أخص بهذه الشربة العفيفة النظيفة لكبيري: فلان، ويسميه ثم يسندها عن شيخ بعد شيخ إلى الإمام الناصر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم يشرب ويدفعها إلى غيره فيفعل كذلك=

....

= حتى يشرب القوم جميعهم. فهل هذه الهيئة المذكورة سنة أم بدعة؟! وهل قول النقيب: هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج، وإشارته إلى كل واحد منهما خطأ أم لا؟! وهل قوله أيضًا: أسأل الله وأسأل الحاضرين بواو العطف خطأ أم لا؟! وهل هذه الشربة التي يسندها إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لها أصل أم لا؟! وإذا كان لها أصل فهل متصلة أم منقطعة؟! أفتونا مأجورين، وقد قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة: ١٥٩]، وفَرْضُنا السؤال، وفَرْضُكم الجواب، والله الموفق للصواب.

فأجاب تقي الدين السبكي رحمه الله: الحمد لله، هذه بدعة لا يشك فيها أحدٌ ولا يرتاب في ذلك، ويكفي أنها لم تعرف في زمن النبي ﷺ، ولا في زمن أصحابه، ولا عن أحد من علماء السلف، وإدخال الزعيم يده تحت ثياب اللابس إلى مربط السراويل وشده؛ الغالب أنه يحصل مس ذلك المكان، ومس ذلك المكان حرام، لأنه من العورة، واستعمال القرآن في غير معناه خطأ. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الفرقان: ٥٣] ويومئ برأسه إلى الماء، إنما الإشارة فيه إلى البحرين فالإشارة به إلى غيرهما خطأ، وذلك الماء والملح اللذان بيده غيرهما إلا أن يريد الإشارة إلى الجنسين، فيكون أخف مع أن الكراهة لا تزول، لأن القرآن إنما ينبغي أن يستعمل فيما أريد به، والجلوس في وسط الحلقة: مكروه.

وقوله: أسأل الله وأسأل الحاضرين... إلى آخره؛ خطأ من وجهين: أحدهما: الإتيان بواو العطف التي تقتضي التشريك بين اسم الله واسم غيره. والثاني: أن هذا المسؤول لا يقدر عليه الحاضرون، فلا يجوز طلبه منهم، وإنما يقدر عليه الله تعالى، وعزو هذه الشربة إلى علي بن أبي طالب لا أصل لها، وافتتاح المجلس بشعر ليس بجيد، وإنما ينبغي أن تفتتح المجالس بحمد الله والثناء عليه ثم الصلاة على رسوله ﷺ.

وأما ما فيها غير ذلك من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واتباع الشرع المطهر، وأن يكره لغيره ما كره لنفسه ولنفسه ما كرهه لغيره، والإلزام بتقوى الله فكله حسن داخل في قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]، و﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]، والفتوة من أعظم خصال الخير، جامعة كمال المروءة، وحسن الخلق، والإيثار على النفس، واحتمال الأذى، وبذل الندى، وطلاقة الوجه، والقوة على ذلك، حتى تكون فتوته على ذلك فتوة الفتيان، والصفح عن العثرات، ويكون خصمًا لربه على نفسه، وينصف من نفسه، ولا ينتصف، ولا ينازع فقيرًا ولا غنيًا، ويستوي عنده المدح والذم، والدعاء والطرد، ولا يحتجب ولا يدخر، ولا يعتذر، ويظهر=

....

= النعمة، ويحقق المحبة سرًّا وعلنًا، فإذا قوي على ذلك فهو الفتى، وإذا اجتمع قوم على ذلك، وتعاهدوا عليه فنعم ما هو.

وأما شدُّ الوسط فلا سنة ولا بدعة، وكأنه إشارة إلى الحزم والنهوض في ذلك الأمر فلا بأس به، وأما لبس السراويل فأيضًا لا سنة ولا بدعة، والنبي ﷺ اشتراه وما لبسه ثم صار حسنًا للستر. وأما لبسه لهذا الغرض والاجتماع عليه فكان المقصود به الالتزام بحفظ ما هو ساتر له من الحرام وغيره، وأن يكون اللابس له على أحسن طريقة من العفاف والصيانة وطهارة الذيل، يقي ما تحت الإزار فإذا قصد به ذلك فينبغي أن يشدَّ من فوق، أو يعطي اللابس فيشده هو بيده حتى لا يحصل ما قدمناه من لمس العورة.

وأما الدخول في الثوب الذي يعمل كالقوصرة، فقد يقال إنه مكروه؛ للنهي عن إفضاء الرجل إلى الرجل في ثوب واحد، لكن ذلك إنما هو في النوم وحالة التجرد أمَّا قبل هذا فلا.

وقد صح في «صحيح مسلم» من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: خرج النبي ﷺ غداةً، وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وأمَّا شرب الماء والملح، فمع كونه لم يصح عن علي، لا أصل له عن غيره أيضًا، وقد بايع النبي ﷺ الأنصار ليلة العقبة بمنًى في عام، ثم في عام آخر، وبايع بيعة الرضوان تحت الشجرة، ولم يكن في شيء من مبايعاته أكل ولا شرب. ففِعل ذلك بدعة، ولا ينبغي أن يدخل في الدين ما ليس منه، ولا أن نعتقد في شيء أنه سنة حتى يكون له شبيه أصل، ولا يكفي كونه مباحًا، فإن جعله من الدين، أو مطلوبًا وسنة، وشعارًا؛ إنما يكون من جهة الشرع، وما لأحد أن يحدثه لا شيخ ولا غيره. انتهى كلام السبكي رحمه الله.



فصل في رماة البندق[1] وما يبتدعون في الأفعال والأقوال

والسنة الرمي بالنبال، قال ﷺ لسعد: «**ارم يا سعد، فداك أبي وأمي**»[2]، ولم يقل ذلك لأحد غيره، وكان سعد رامياً.

وعن عبد الله بن مغفل أن رسول ﷺ نهى عن الخذف[3]، وقال: «**إنها لا تصيد صيدًا، ولا تنكأ عدوًّا، ولكنها تكسر السن، وتفقأ العين**»[4]. رواه البخاري ومسلم.

في هذا الحديث نهي عن رمي البندق وما في معناه.

قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

---

(١) البُنْدُق: لفظ معرَّب، واحدته: بندقة، وهي ثمرة شجرة معروفة مدوَّرة، ثم استعملت لكل ما يشبهها ممَّا يُرمىٰ به، سواء أكان من الحجر، أم الطين، أم الرصاص، أو نحو ذلك.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٩٢/١ (٧٠٩)، والبخاري في «صحيحه» (٢٩٠٥)، وفي «الأدب المفرد» (٨٠٤)، ومسلم في «صحيحه» (٢٤١١)(٤١)، وابن ماجه في «سننه» (١٢٩)، والترمذي في «جامعه» (٣٧٥٥) من حديث علي رضي الله عنه.

(٣) الخَذْف: هو رَمْيك حَصَاة أو نَوَاةً، تأخُذُها بين سُبَّابَتَيك وتَرْمي بها، أو تَتَّخذُ مِخْذَفَة من خشب ثم ترمي بها الحصاة بين إبهامك والسبابة. انظر «النهاية في غريب الحديث» ٤٣/٢، مادة: خذف.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» ٥٥/٥ (٢٠٥٥١)، والدارمي في «سننه» (٤٣٩)، والبخاري في «صحيحه» (٥٤٧٩)، ومسلم في «صحيحه» (١٩٥٤)، وأبو داود في «سننه» (٥٢٧٠)، وابن ماجه في «سننه» (٣٢٢٧) من حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه.

وقال ﷺ: «**ما أمرتكم به فائتوا منه ما استطعم، وما نهيتكم عنه فانتهوا**»[١].

وقال أيضًا: «**إن الله تعالى كتب الإحسان في كل شيء حتى القتل، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته**»[٢].

فقد نهى النبي ﷺ عن تعذيب الحيوان، فأطع ربك بسماعك من نبيك أيها الإنسان، فتارةً تخسف البندقة صدرها، وتارة تدخل بطنها، وتارةً[٣] تفقأ عينها، وتارة تكسر منها الرِّجل والجناح، وليس هذه الأشياء من فعل أهل الخير والدين والصلاح؛ فيعذب هذه المسكينة ويوقعها في المرض بعد العافية.

ويبارز من فعل[٤] هذا من لا تخفى عليه خافية؛ وقد جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ: أنَّ الرجل إذا قتل عصفورًا عبثًا يتعلق به يوم القيامة، ويقول: يا رب، سَلْ هذا لم قتلني؟[٥].

---

(١) أخرجه الحميدي في «مسنده» (١١٢٥)، وأحمد في «مسنده» ٢/٢٥٨ (٧٥٠١)، والبخاري في «صحيحه» (٧٢٨٨)، ومسلم في «صحيحه» (١٣٣٧)، وأبو يعلى في «مسنده» (٦٣٠٥)، وابن حبان في «صحيحه» (١٨).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» ٤/١٢٣ (١٧١١٣)، والدارمي في «سننه» (١٩٧٠)، ومسلم في «صحيحه» (١٩٥٥)، وأبو داود في «سننه» (٢٨١٥)، وابن ماجه في «سننه» (٣١٧٠)، والترمذي في «جامعه» (١٤٠٩)، والنسائي في «المجتبى» ٧/٢٢٧ (٤٤٠٥)، وفي «السنن الكبرى» (٤٤٩٤).

(٣) في (خ): ومرة.

(٤) في (خ): بفعلك.

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» ٤/٣٨٩ (١٩٤٧٠)، والنسائي في «المجتبى» ٧/٢٣٩ (٤٤٤٦)، وفي «السنن الكبرى» (٤٥٣٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٨٩٤) من حديث الشريد رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من قتل عصفورا عبثًا، عجَّ إلى الله عز وجل يوم القيامة منه، يقول: يا رب إنَّ فلانًا قتلني عبثًا، ولم يقتلني لمنفعة**».

وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٧٥١). =

قال المؤلف: هذا السؤال يكون توبيخًا للقاتل؛ لأنه يقول: قَتَلتُه عبثًا.

فيعود هذا الخارج عن طريق من ظللته الغمامة، في غاية الحسرة والندامة[1].

ثم اعلم بأن النبي ﷺ أمر ذابح البهيمة أن يُحِدَّ السكين؛ لكي لا تعذب[2].

فأفق من غفلتك أيها المسكين، ثم اعلم بأن الله تعالى بعث نبيه ﷺ بالشفقة والرأفة والرحمة، قال الله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

والعالمَ هو جميع مخلوقات الله عز وجل؛ ولذلك نهى ﷺ عن تعذيب الحيوان؛ رحمةً لهم، وقال ﷺ: **«الرحماء يرحمهم الرحمٰن، ارحموا من في الأرض؛ يرحمكم من في السماء»**[3]، **«من لا يَرْحَم لا يُرْحَم»**[4].

= وجاء بلفظ: **«من قتل عصفورًا عبثًا؛ جاء يوم القيامة وله صراخ: رب سل هذا لم قتلني عبثًا بلا منفعة؟!»**.

أخرجه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٣١٨١) من حديث أنس رضي الله عنه. وإسناده ضعيفٌ جدًا.

(١) في (خ): في حسرة وندامة.

(٢) سبق تخريجه عند حديث: **«إن الله كتب الإحسان»**.

(٣) أخرجه الحميدي في «مسنده» (٥٩١)، وأحمد في «المسند» ٢/١٦٠ (٦٤٩٤)، وأبو داود في «سننه» (٤٩٤١)، والترمذي في «جامعه» (١٩٢٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح.

وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥٢٢).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٠٥٨٩)، والحميدي في «مسنده» (١١٠٦)، وأحمد في «مسنده» ٢/٢٢٨ (٧١٢١)، والبخاري في «صحيحه» (٥٩٩٧)، وفي «الأدب المفرد» (٩١)، ومسلم في «صحيحه» (٢٣١٨)، وأبو داود في «سننه» (٥٢١٨)، و«الترمذي في «سننه» (١٩١١)، وأبو يعلى في «مسنده» (٥٨٩٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وصحَّ: أن رجلاً نزل بئرًا، وأخرج ماءً وسقى كلبًا قد عطش فغفر الله له؛ لما رحم كلبًا رحمه الله[1].

وحُكي: أن ظالمًا مَرَّ على كلب كاد أن يموت من العطش والجوع والبرد، فرحمه. وقال لبعض أعوانه: احمله إلى منزلي، وَضَعْ له طعامًا. فلما أكل وشرب، عاش الكلب. فرأى الظالم في منامه قائلاً يقول له: كنت كلبًا فوهبناك لكلب[2].

فإن صح عن الرماة أن أحدهم يقسم بغير خالقه ومولاه، فقد عظمت مصيبته، وخسرت يداه. فحينئذٍ يقال لهذا المبتدع: الإلهُ واحدٌ، قال الله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النحل: ٥١]. كقول بعض المخذولين: البندق يلزمني. فيحلف[3] بالتراب، ويترك القسم برب الأرباب.

وقيل: إن الرَّامي يَصدُق إذا حلف بالتُّراب، ويكذب إذا حلف برب الأرباب. فإن صح هذا عنه فهو من الفسقة الكبار الذين باؤوا بغضب الجبار، وعذاب النار.

قال صلوات الله عليه وسلامه: «**من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليذر**»[4].

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (١٦٦١)، وأحمد في «مسنده» ٣٧٥/٢ (٨٨٧٤)، والبخاري في «صحيحه» (١٧٣)، وفي «الأدب المفرد» (٣٧٨)، ومسلم في «صحيحه» (٢٢٤٤)، وأبو داود في «سننه» (٢٥٥٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٤٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ، قال: «**بينا رجل بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئرًا فنزل فيها، فشرب ثمَّ خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش؛ فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني. فنزل البئر فملأ خفه ماء فسقى الكلب؛ فشكر الله له؛ فغفر له**». قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم لأجرًا؟ فقال: «**في كل ذات كبد رطبة أجرًا**».

(٢) ذكره المناوي في «فيض القدير» ٦٨١/١.

(٣) في (ق): فيقسم.

(٤) أخرجه مالك في «الموطأ» (١٠٢٠)، والحميدي في «مسنده» (٦٨٦)، وأحمد في «مسنده» ١١/٢ (٤٥٩٣)، والدارمي في «سننه» (٢٣٤١)، والبخاري في «صحيحه»=

وقال: «**من حلف بغير الله فقد كفر**». وفي حديث آخر: «**فقد أشرك**»(١).

وتبرأ ﷺ ممن حلف بالأمانة(٢)، فمن حلف بالتراب يخاف عليه أن لا يرزقه الله تعالى أمانَهُ، فمن فعل هذه البدع من الرماة، فقد بعد من رحمة خالقه ومولاه، فإن تاب؛ تابَ الله عليه وجعل الجنة مأواه.

ومن البدع الملعونة، الملعون فاعلها: قبول شهادة الرجل الكافر إذا رمى الواجب، وكذلك شهادة الزاني والفاسق، وردُّ شهادة من لم يرم الواجب؛ وإن كان مؤمنًا خيِّرًا مطيعًا للسيد الخالق، فيقبلون شهادة الأشقياء، ويردون شهادة الأتقياء، فمن أحب الكفرة أو مَن تقدَّم ذكرهم من الفجرة، وأكرمهم وأعزهم؛ حُشر معهم، ولعنه الله في الدنيا والآخرة؛ لقوله ﷺ: «**المرء مع من أحب**»(٣) ومن تاب عن هذه المصائب؛ تاب الله عليه ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦]. قال صلوات الله عليه وسلامه: «**اليهود والنصارى خونة، لعن الله من ألبسهم ثوبَ عزٍّ**»(٤) وأي عزٍّ أكبر من تصديرهم، وإكرامهم، وقبول شهادتهم.

= (٢٦٧٩)، ومسلم في «صحيحه» (١٦٤٦)(٣)، والترمذي في «جامعه» (١٥٣٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٤٧٠٥) عن ابن عمر قال: أدرك رسول الله ﷺ عمر وهو في بعض أسفاره، وهو يقول: وأبي وأبي، فقال: «**إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفًا فليحلف بالله وإلا فليصمت**».

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٤٧/١ (٣٢٩)، وأبو داود في «سننه» (٣٢٥١)، والترمذي في «جامعه» (١٥٣٥)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.
وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٠٤٢).

(٢) يعني حديث: «**من حلف بالأمانة فليس منَّا**». أخرجه أحمد في «مسنده» ٣٥٢/٥ (٢٢٩٨٠)، وأبو داود في «سننه» (٣٢٥٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٤٣٦).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) قال العجلوني في «كشف الخفاء» (٣٢٤٢): أورده الشيخ عبد الغفار في كتابه «الوحيد في سلوك أهل التوحيد»، كذا عزاه بعضهم لصاحب الكتاب المذكور ولم يبيِّن من خرَّجه فلينظر، وكثيرًا ما كنت أسمعه من الشيخ تقي الدين الحصني المتأخر. =

اسمع - يا قليل التوفيق والسعادة! -: الخائن لا يقبل له شهادة، فلا ينبغي للمؤمن أن يُعزَّهم بعد أن أذلهم الله تعالى، ولا يُكرمهم بعد أن أهانهم الله عز وجل، ولا يُقرِّبهم بعد أن أبعدهم الله، ولا يؤمنهم بعد أن خونهم الله، ولا يحبهم وقد أبغضهم الله.

فإن صحت هذه المصائب والبدع عن الرماة، فكل واحد منهم بعيد من رحمة خالقه ومولاه، فيجب على من يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتوب من هذه البدع وأصحابها، ولا يرافقهم ولا يوافقهم؛ فقد خرجوا عن الطريق، وذلك من قلة السعادة والتوفيق.

وصحَّ أنَّ النبي ﷺ تبرأ مِن كل مبتدع وخارج وزنديق، ومن كل من حكم بغير حكم الله ورسوله وفعل فعلاً لا يليق. قال الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. وقال تعالى تعظيمًا لنبيه وحبيبه وتكريمًا: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

ثم اعْلَمْ أن حُكَّام رُماة البندق وضعوا من تلقاء أنفسهم أحكامًا، صاروا بها حكامًا؛ فزادوا في الدين وخالفوا أئمة المسلمين، وضعوا الباطل في الأحكام؛ فبعدوا من رحمة الملك العلام، وخرجوا عن طريق النبي عليه أفضل الصلاة والسلام. فاختاروا أربعة عشر صنفًا من بين الطيور لا يخرجها عن هذا الاسم موت ولا ذبح مجوسي؛ في مذهب هذا العبد المغرور، وهذه البدعة لا ترضي المولى الغفور، فمن رمى شيئًا من هذه الأطيار،

= وقد ورد أثر في هذا ذكره المصنف بعدُ، عن عياض الأشعري: أن أبا موسى رضي الله عنه وفد إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعه كاتب نصراني، فأعجب عمر رضي الله عنه ما رأى من حفظه، فقال: قل لكاتبك يقرأ لنا كتابًا. قال: إنه نصراني لا يدخل المسجد. فانتهره عمر رضي الله عنه، وَهَمَّ به، وقال: لا تكرموهم إذ أهانهم الله، ولا تدنوهم إذ أقصاهم الله، ولا تأتمنوهم إذ خوَّنهم الله عز وجل.
أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» ١٢٧/١٠، وصححه الألباني في «الإرواء» ٢٥٥/٨.

أدخلوه في حزبهم، وأثبتوه عندهم من الشطار؛ وإن كان الرامي مخنثًا أو كافرًا أو فاسقًا من أنحس الفجار.

فإن رمى من غير هذه الأطيار شيئًا لا يؤثر عندهم، ولا يكرمون الرامي، ولا يسمونه شاطرًا[1]، ولا يسمون الطير واجبًا؛ وإن كان مذبوحًا طاهرًا.

فمن رضي بهذه البدع خرج عن السُّنة وكان عبدًا فاجرًا؛ لأن في الشرع: الشاطر من أطاع الرحمٰن، ولم يخرج عن حكم السُّنة والقرآن.

ثم إنهم أوجبوا في شرعهم على كل من رمى طيرًا لم يكن رماه من قبل: إما أن يأخذ الكبير قوسه، أو يعطيه دراهم تسمى بالسبق. وفرضوا لكل جماعة كبيرًا.

وهذه الأشياء ليس لها أصل في الشرع، بل كبراؤهم ابتدعوها وزينها لهم الشيطان، وما أنزل الله بها من سلطان، فيأخذوا من الرامي ما فرضوه[2] عليه طوعًا أو كرهًا، وسواء كان الرامي غنيًا أو فقيرًا أو يتيمًا فهؤلاء الأشرار ما يأكلون في بطونهم إلا النار.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠]، وكل شيء لا أصل له في الشرع فهو باطل.

ونهانا الحق سبحانه عن أخذه؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨]. فإن لم يقدر الرامي على جُعْلِ الكبير لم يُدخله في حزبهم، ولا يشهد له، وهذا أيضًا من قلة الدين والسعادة لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

---

(١) الشاطر في العامية: الماهر في عمله. وفي الفصحى: الخبيث الفاجر. وواضح من السياق أنَّ المصنف أراد الشاطر بمعناه عند العامة في عصره، ولا يزال مستخدمًا حتى عصرنا الحاضر، فيقال عن الذكي الحاذق الماهر: شاطر! (ت)

(٢) في (خ): أفرضوه.

ومن شؤم عادتهم ونحس قاعدتهم: أن حُكامهم إذا حكم أحدهم بحكم قبلوه، وإن كان مخالفًا للشرع، وإن حكم أحد من قضاة المسلمين أو من ولاة الأمراء وشهدوا عندهم بشهادة لم يقبلوا حكمهم، وردوا شهادتهم؛ وإن وافق حكمهم حكم الله عز وجل وحكم رسوله ﷺ وعلى الآل والأصحاب والأقارب.

وحجتهم أن هؤلاء القضاة والولاة ما رموا الواجب، فإن صح عنهم هذه المصائب؛ فقد خرجوا عن طريق المؤمنين؛ لقول رب العالمين: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

فالخطأ يقبلونه من حكامهم، والصواب يردُّونه من غير حكامهم، فيقال لهؤلاء المعتدين الذين ضل سعيهم وما كانوا مهتدين: قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، فترى أحدهم قد غرَّه الشيطان فرماه في البدع والعصيان؛ فزاد في الدين ما ليس منه، وحكم [(١)](بغير حكم الرحمٰن، ويزعم أنه على شيء، وأنه صادق فيما ادَّعاه من الكذب والزور والبهتان، ونسأل الله لنا ولهم حسن الخاتمة، والله المستعان.

قال الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣]. في مذهب الرُّماة أنَّ من رمى أربعة من الطير فمتن من غير ذبح، فإذا جيء بهن إلى حلقة الرماة فطعن في طيرين ولم يمكن التمييز، وضعوا الطيور الأربعة في وسط حلقتهم، فتحمل باللفظ لا بالأيدي؛ لأجل ما طعن في البعض، ولم يمكن التمييز، فكل منهم يقول: صرعهن ورماهن، أما الطيران الحلالان من هؤلاء الأربعة على رأسي أو عندي، أي نعتد لك بهما. وإن رمى أربعة من الطير، وهي مذكاة طاهرة، فطعن في طيرين كما تقدم، يلقونهم في حلقتهم ولا يمسونهم ولا يحملونهم، بل يقولون: الطيران الحلالان نعتد لك بهما. أي:

---

(١) من هنا بداية سقوط ورقة من (ق).

والطيران الآخران حرامان على اصطلاح هؤلاء الأشرار الخارجين في أفعالهم وأقوالهم عن كتاب الله وسنة النبي المختار.

ثم هذه الأشياء لا يفهمها إلا من كان عالمًا بأحكامهم، راسخًا في بدعتهم، فيحلون ما حرم الله، ويحرمون ما أحله الله. فيقال لهم: أيها المعتدون، قال الله سبحانه: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَـٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يونس: ٥٩]. وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَـٰذَا حَلَـٰلٌ وَهَـٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [النحل: ١١٦].

وهذه القبائح لا أصل لها في الشرع، ولا يفعلها إلا كل مارق وشيطان؛ لأن كبراءهم وضعوها، وما أنزل الله بها من سلطان.

وهذه البدع مخالفة لطريق سيد المرسلين، والصحابة المكرمين ولعباد الله المؤمنين، قال الله سبحانه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

وقد صحَّ أن النبي ﷺ تبرأ من أصحاب البدع، اسمع أيها العبد المغرور: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور**»[١]. وصحَّ أيضًا أن المسلمين تفترق يوم القيامة على ثلاث وسبعين فرقة: الواحدة ناجية وهي المتبعة للنبي المختار، والباقون[٢] إلى النار[٣].

فلا تخرجوا عن (طريق النبي المختار، واعتبروا)[٤] يا أولي الأبصار؛

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) في (خ): وبقية الفرق.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) في (خ): طريقه.

فالخوارج كلاب النار[1]. كذا جاء في الأخبار، وتوبوا من هذه البدع؛ فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له[2]. صحَّ ذلك في الأخبار، ونسأل الله لنا ولهم وللمسلمين التوبة والمغفرة، وهو الكريم الغفار.

فما أبعد هذه الطائفة عن طريق النبي ﷺ والأئمة المباركة السالفة، وما أقربها إلى الطائفة الهالكة، التي هي لغير طريق نبيها وصحابته سالكة؛ وقد تشبهت هذه الطائفة ـ فيما أحدثت ـ بقوم كانوا يكتبون الكتاب بأيديهم، ثم يقولون: هذا من عند الله؛ ليشتروا به ثمنًا قليلًا، فويل لهم مما كتبت أيديهم، وويل لهم مما يكسبون[3]. وقد فارقت فيما ابتدعت الجماعة، وخالفت صاحب المعجزات والشفاعة، قال صلوات الله عليه وسلامه: «**من فارق الجماعة قدر شبر؛ فقد خلع ربقة الإسلام مِن عنقه**»[4].

وفي حديث آخر: «**لا تجتمع أمة محمد على ضلالة**»[5].

وقال ﷺ: «**يد الله مع الجماعة، ومن شذَّ شذَّ في النار**»[6].

وقال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**»[7]، وهؤلاء القوم اتبعوا هواهم وخالفوا سيدهم ومولاهم.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) تضمين لحديث أخرجه ابن ماجه في «سننه» (٤٢٥٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» ١٠/١٥٠(١٠٢٨١) من حديث أبي عبيدة بن عبد الله عن أبيه، قال الحافظ في «فتح الباري» ١٣/ ٤٧١: إسناده حسن. وحسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٤٢٤٠).

(٣) يشير بهذا إلى قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة: ٧٩].

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» ٥/١٨٠ (٢١٥٦٠)، وأبو داود في «سننه» (٤٧٥٨) من حديث أبي ذر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤١٠).

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) أخرجه الحاكم في «المستدرك» ١/١١٥ من حديث ابن عمر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٤٨) دون قوله: «**من شذَّ شذَّ في النار**».

(٧) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٥)، والبغوي في «شرح السنة» (١٠٤) من حديث عبد الله بن عمرو، وقال الشيخ الألباني في «مشكاة المصابيح» (١٦٧): إسناده ضعيف.

ومن جملة بدعتهم وإدبارهم: أن أحدهم يصلي الفرض قاعدًا، ويعتذر عن القيام بتحيُّد الطير عنه. فانظر إلى دينهم! كيف يرضى بإعراض الله عنه، ولا يرضى بإعراض طير؟! ويقع في هذه المعصية[١] العظيمة لأمر خيالي يتوهم حصوله بمعصية الله سبحانه خالقه ومولاه، فسبحان الحليم الذي لا يعجل على من خالفه وعصاه)[٢]. وما أحسن قول ابن عباس رضي الله عنه لرجل كان يصور صور الحيوان، فعرَّفه بما ورد في التصوير من النهي، فاعتذر المصور أن له عيالاً، وفعل ذلك خوفًا من ضياعهم؛ فأعرض عنه ابن عباس وسخر من قوله، وقال: هذا يزعم أنه إذا عصا الله أطعمه، وإذا أطاعه أجاعه[٣].

وبدعة أخرى: أنَّهم لا يُنزلون الناس منازلهم، وهذه أيضًا أفعال ردية، مخالفة للشريعة المحمدية، وليس التقدم في شرعهم بالتقوى، ولا بالشرف، ولا بالعلم النافع، ولا بالعمل الصالح، ولا بطول الأعمار، ولا باتباع النبي المختار؛ ولكنَّ التقدم عندهم بكثرة رمي ما وجب من الأطيار المختصة باصطلاح[٤] هؤلاء الأشرار.

فيتغالون في تعظيم الرامي، ويقبلون شهادته، ويتواضعون له، وينصتون لكلامه، ويقدمونه وإن كان الرامي فاسقًا، أو كافرًا، أو فاجرًا من

(١) في (خ): المصيبة.
(٢) إلى هنا نهاية سقوط ورقة من (ق).
(٣) لم أقف على هذا الأثر عن ابن عباس، وقد أخرج أبو نعيم في «الحلية» ٦/٣٨٠ بسنده قال: مر شيخ من الكوفيين كان كاتبًا لسفيان الثوري فقال له سفيان: يا شيخ، وَلِي فلانٌ فكتبتَ له ثم عُزل، وولي فلانٌ فكتبتَ له ثم عزل، وولي فلان فكتبتَ له، وأنت يوم القيامة أسوأهم حالاً؛ يدعى بالأول فيسأل، ويدعى بك فتسأل معه عما جرى على يدك له، ثم يذهب وتوقف أنت حتى يدعى بالآخر، فيسأل وتسأل أنت عما جرى على يدك له، ثم يذهب وتوقف أنت حتى يدعى بالآخر، فأنت يوم القيامة أسوأهم حالاً. قال: فقال الشيخ: فكيف أصنع يا أبا عبد الله بعيالي؟! فقال سفيان: اسمعوا هذا يقول: إذا عصى الله رزق عياله، وإذا أطاع الله ضيع عياله. قال: ثم قال سفيان: لا تقتدوا بصاحب عيالٍ، فما كان عذر من عوتب إلا أن قال: عيالي!
(٤) في (خ، ق): باصلاح.

أنحس[1] الفجار، ومَن أنكر عليهم في ذلك قاموا عليه بأجمعهم وأخرجوه من حلقتهم ويتبرؤون[2] منه، ولا ينظرون إليه، ومن أخطأ منهم من جهة الدين لا ينكرون عليه، فيغضب أحدهم لنفسه، ولا يغضب لربه، ويسخرون من[3] المسلمين إذا أنكروا عليهم من جهة الدين، ويضحكون بهم، وهذه المصيبة الأخرى من صفات الكفار، ومن اتصف بهم كان معهم في النار. قال ﷺ: «**من تشبه بغيرنا فليس منا**»[4]. وفي حديث آخر: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»[5]، صح ذلك في الأخبار.

واسمع قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [المطففين: ٢٩ ـ ٣٠].

ولهم مصائب أُخر، لا يحتملها[6] هذا المختصر، وفي هذا كفاية، لمن أراد الله له الخير والهداية.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

---

(١) في (خ): أنجس.

(٢) في (خ): ويبدءون.

(٣) في (خ، ط): على.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) في النسخ: يحتمله.



فصل في الصيد

وهو مباح، وليس على فاعله جناح إذا سَلِم من البدع: وهو تعذيب الطير، وإفساد زرع الغير. قال الله تعالى في وصف بعض[1] العباد: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [البقرة: ٢٠٥].

فيؤلم هذا المبتدع الغزلان، وذلك من قلة التوفيق وكثرة الخذلان، ويلوِّح الحمامة[2]، فيخرج بذلك عن سنة مَن ظللته الغمامة، ويعود وبالها عليه يوم القيامة، وهذا يأتي من قلة الشفقة والرحمة على خلق من أسبغ على العباد فضله وإنعامه.

قال ﷺ: **«الرحماء يرحمهم الرحمٰن، ارحموا من في الأرض؛ يرحمكم من في السماء، من لا يَرْحَم لا يُرْحَم»**[3].

وجميع ما يذهب من زرع المسلمين تحت أرجل الناس، والجمال، والبغال، والخيل، والحمير، الجميع في ذمة الأمير، وكذلك ما يؤكل من زرعهم وما يسرق من مالهم، وإخراجهم من ديارهم في الأمطار والسيول؛ كل ذلك الأمير عنه مسؤول، وكل ذلك ظلمات يوم القيامة على الفاعل

---

(١) ليست في (ق).

(٢) يُلوِّح الحمامةَ: يؤذيها بضربها، أو تعريضها لما يضعفها وينهكها، أو يجعلها غرضاً للصقر أو البازي، فإذا سقط عليها أخذه.

(٣) سبق تخريجه.

والمفعول. يقول الله عز وجل يوم القيامة: «إن فاتني اليوم ظلم ظالم، كنت أنا ذلك الظالم»[1]. وفي مثل هذه الأشياء إتعاب النفس والخدم والمركوب، ليس ذلك مما يُرضي المحبوب.

وينبغي للمملوك أن لا يُطيع أحدًا في مثل هذه المحرمات ولا المالك؛ إلا أن يخاف على إتلاف نفسه أو عضو من أعضائه من العقوبة والمهالك، وإن لم يُطع الرقيق سيِّدَه في كل المعاصي، فله ذلك؛ لقوله ﷺ: «**لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق**»[2]، فإن قُتل الرقيق يموت مظلومًا مرحومًا، ويحشر قاتله في زمرة كل ظالم وهالك.

حكي أن إبراهيم بن أدهم ساق خلف صيد حتى غاب عن أعين الناظرين، فسمع صوتًا من قربوص سرجه: يا إبراهيم، ما لهذا خلقت. وكان ذلك سبب توبته، وخروجه عن مملكته[3].

ونفس الصيد مباح، وليس على صاحبه جناح؛ إذا سَلِم مما تقدم ذكره من المحظور، فانتبه من رقدتك يا أيها المغرور، فأذية المسلمين والبهائم ذنب عظيم، من كبائر[4] الأمور. قال بعض العلماء: من سافر من هؤلاء المغرورين مدة القصر لا يباح له ما يباح للمسافر من قصر الصلاة، والفطر في رمضان، وترك الجمعة والأعياد؛ لأن سفره في معصية مَن لا يخلف الميعاد، وفي هذه المسألة خلاف العلماء[5]، ونسأل الله العظيم أن يوقظنا من هذه الغفلة والعمى.

---

(١) لا أصل له، أورده الطرطوشي في «سراج الملوك» (الباب: ٥٨، في القصاص وحكمه) بغير سندٍ.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٣٦٨/٧، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٢٨٣/٦ ـ ٢٨٤.

(٤) في (ط): كبار.

(٥) أما الأحناف فقالوا: إن المطيع والعاصي في سفرهما في الرخصة سواء. انظر «الهداية شرح البداية» ٨٢/١.

وأما المالكية فقد قال صاحب «مواهب الجليل» ٤٨٨/٢: وقد اختلف قول مالك في ذلك ـ يعني في سفر المعصية، قال الباجي: المشهور من مذهب مالك أنه لا يقصر=

فإن مات فرسه لم يؤجر عليه؛ لأن سَوْقه لم يكن في سبيل الرحمٰن، وإنما هو في رضى الشيطان، وإن مات هو مات عاصيًا، فالويل ثم الويل لمن لعبت به الدنيا، وفقد قلبًا واعيًا، وطرفًا باكيًا.

جاء في الأخبار أن الملائكة تقول: ليت بني آدم لم يخلقوا؛ وليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا[1].

كان عمر بن عبد العزيز يقول كثيرًا:

أيقظان أنت اليوم أم أنت نائم ... وكيف يطيق النوم حيران هائم
فلو كنت يقظان الغداة لحرقت ... نواعم خديك[2] الدموع السواجم
يغرك ما يفنى وتشغل[3] بالمنى ... كما اغتر باللذات في النوم حالم[4]

ينبغي للمؤمن أن يخاف عاقبة أمره، ولا يغتر بصفاء[5] الأوقات، فإن تحتها غوامض الآفات، كما قال بعضهم:

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ... ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها ... وعند صفو الليالي يحدث الكدر

= فيه الصلاة، وروى زياد أنه يقصر. وقال ابن ناجي في «شرح المدونة»: أما سفر المعصية فالمشهور أنه لا يقصر صاحبه تحريمًا، وقيل: يقصر، رواه زياد وحكاه الباجي.
وقال الشافعية: فأَمَّا سفر المعصية فلا يجوز أَن يقصُرَ فيه، ولا يفطر. انظر «الحاوي الكبير» ٢/٣٨٥.
وأما الحنابلة فقد قال المرداوي في «الإنصاف» ٢/٢٢٢: سفر المعصية لا يجوز القصر فيه على الصحيح من المذهب، وعليه جماهير الأصحاب، وقطع به كثير منهم، واختار الشيخ تقي الدين جواز القصر فيه، ورجحه ابن عقيل في بعض المواضع، وقاله بعض المتأخرين.

(١) لم أقف عليه.
(٢) في (خ): مدامع عينيك.
(٣) في (خ): وتشتغل.
(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٥/٣١٩، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٧٩٥).
(٥) في (ط): بصفات.

قال الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٧ ـ ٩٩].

وفي الحديث: «**من لم يخف عاقبة**(١) **أمره فليس منا**»(٢).

وقال سفيان: ما أمِنَ أحد على دينه إلا سُلبه(٣).

وسمع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قارئًا يقرأ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾ [الإنسان: ١]، فقال: ليته كان كما كان(٤).

وسمع علي بن الفضيل بمكة قارئًا يقرأ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧]، فسقط على وجهه، فانتظر الناس قيامه فلم يقم؛ (حركوه، وإذا هو ميت)(٥)، فتسامع الناس بموته وارتفع الأصوات، وارتكب الناس الحيطان، فسمع أبوه بذلك فخرج يمشي على سكون، والناس حوله حتى بلغ إلى ولده فقال: يرحمك الله يا علي، فقد كنت أخاف عليك من هذا، سبقتنا وإنا بك لاحقون. ثم نظر إلى ازدحام الناس عليه، فرفع صوته وقال: ما العجب من موت علي حيث خُوِّفَ فخاف، إنما العجب ممن خُوِّفَ فلم يخف الله سبحانه(٦).

---

(١) في (خ): خاتمة.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) لم أقف عليه من قول سفيان، وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٥٤٧)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٨١/٤٧ قال: قال محمد بن مسلم: وبلغني عن أبي الدرداء أنه قال: ما أمن أحد على إيمانه إلا سلبه.
وهو بلاغ منقطع كما ترى، ومعناه صحيح، والأمن من صفات المنافقين.

(٤) لم أقف عليه من كلام علي رضي الله عنه، وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢٣٥)، من كلام عمر رضي الله عنه.

(٥) في (ق): فحركوه فوجدوه ميتًا.

(٦) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» ٢٧٦/٤ مختصرًا، وذكره عنه الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٤٤٦/٨.

وقالوا: إن الفضيل ما ضحك قط إلا عند موت ولده، فقيل له في ذلك، فقال: الحق سبحانه أحبَّ شيئًا فأحببته[1].

تكلم منصور بن عمار بمكة المعظمة وذكر شيئًا من صفات النار، فبكى الفضيل وغُشي عليه، فلما أفاق، قال: لو خُيِّرت بين أن أعيش كلبًا، أو أموت كلبًا ولا أرى القيامة[2]. وقال عشية عرفة، وقد حال بينه وبين الدعاء البكاء: واسوأتاه، وافضيحتاه وإن غفرتَ لي[3].

وقال: إذا أحب الله عبدًا أكثر غمه في الدنيا، وإذا أبغض عبدًا وَسَّعَ عليه دنياه[4].

وقال: لأن أطلب الدنيا بطبل ومزمار، أحب إليَّ من أن أطلبها بالعبادة[5].

وقال رجل لعبد العزيز بن أبي رواد: كيف أصبحت؟ فبكى وقال: والله أصبحت في غفلة عظيمة من الموت مع ذنوب كثيرة أحاطت بي، وأَجَل يسرع كل يوم من عمري، ولست أدري ما أهجم عليه. ثم بكا وقال: من لم يتعظ بثلاث لم يتعظ بشيء: الإسلام، والقرآن، والشيب[6].

قال شعيب بن حرب: [7](مكث عبد العزيز أربعين سنة لم يرفع طرفه إلى السماء حياءً من الله تعالى[8].

---

(١) لم أقف عليه مسندًا، وذكره المناوي في «فيض القدير» ١٦٣/٢. ولقد دمعت عينا النبي ﷺ - وهو الأسوة والقدوة - لموت ابنه إبراهيم عليه السلام، وهو ﷺ أعلم النَّاس بالله عزَّ وجلَّ، وأتقاهم له.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٨٤/٨، وذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٤٣٢/٨.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٨٨/٨، وذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٤٣٢/٨.

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٨٨/٨، وذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٤٣٢/٨.

(٥) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٤٠٥/٤٨.

(٦) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ١٩٤/٨.

(٧) من هنا بداية سقوط ورقة من (ق).

(٨) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» ٢٢٨/٢، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» ١٨٤/٧.

انظر يا من تعدَّى الأربعين، ولم يغضَّ طرفه عن محارم المسلمين؛ لو أحبك الله سبحانه لجمعك عليه، ولحبَّب إليك الطريق الموصلة إليه.

ختم الله تعالى هذا الباب بشيء من صفات الأحباب.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑



فصل فيما يبتدع في المساجد والجوامع مما يفعله بعض الكبراء وجماعة من الصوفية والفقراء

ونسأل الله تعالى المسامحة، وأن لا يؤاخذنا وإياهم بما جرى به القلم، وكان علينا مقدرًا؛ فيحوزون مكانًا في المسجد لبسطهم ولخرقهم، ثم يأتون وقد غص[1] المسجد بأهله فيتخطون رقاب المسلمين، ويمرون بين يدي المصلي جهالةً وتكبرًا، فينقرون الصلاة، ويدرجون القراءة، ويخوضون في كلام الدنيا والإمام يخطب، فيقعون في خمسٍ من البدع؛ وذلك لقلة حظهم من جهة الآخرة، وكان ذلك عليهم في اللوح المحفوظ مسطرًا؛ فيحرمون أجر الجمعة والجماعة، ويخرجون عن سنة صاحب المعجزات والشفاعة. قال ﷺ: «**إذا قلت لصاحبك والإمام يخطب يوم الجمعة: أنصت. فقد لغوت**»[2]، قال الغزالي: من لغا لا جمعة له[3].

---

(١) في (خ): ملأ.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٥٤١٦)، وأحمد في «مسنده» ٢/٢٨٠ (٧٦٨٦)، والدارمي في «سننه» (١٥٤٩)، والبخاري في «صحيحه» (٩٣٤)، ومسلم في «صحيحه» (٨٥١)(١١)، وأبو داود في «سننه» (١١١٢)، وابن ماجه في «سننه» (١١١٠)، والترمذي في «جامعه» (٥١٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٧٢٦)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٨٠٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٧٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) «إحياء علوم الدين» ١/٣٥٨.

وقال ﷺ: «**لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه لوقف أربعين**»[1].

والبدعة الأخرى: التخطي لرقاب المسلمين، لكي يصلي على بساطه أو على السجادة، ليُعطى أجر الصف الأول، ويعد من السابقين، ومن أهل الخير والعبادة، فلا يُعطى أجر الصف الأول، ولا يُعد من السابقين، ولا ممن لحق من أهل الخير والسعادة، فحَرَمه[2] تعالى أجر هذه العطية؛ وما سلم من البدعة والخطية؛ لتهجمه على شيء نهى عنه خير البرية.

والبدعة الأخرى: أنَّه حاز لنفسه مكانًا في بيت رب العالمين، وضيَّق الموضع على المسلمين، وينبغي للمؤمن أن يعظم المساجد، ويعظم كل راكع وساجد ويسامحهم، ويوسع لهم[3]؛ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ﴾ [المجادلة: ١١].

كان بعض الكبراء يعامل الناس، وكان مسرفًا على نفسه، وكان إذا عجز الرجل عن وفاء دينه يسامحه، ويقول: مسامحة، مسامحة. فمات على ذلك، فرآه بعض الصالحين في منامه، وقال له: ما فعل الله بك؟ قال: أوقفني بين يديه وعرض علي ذنوبي كلها، وقال: أتنكر منها شيئًا؟ أظلمك حافظاك؟ قلت: لا يا رب. قال: مسامحة، مسامحة[4].

ونسأل الله التوفيق والسماح؛ وأن يرزقنا الدين والصلاح.

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (٣٦٢)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٢٣٢٢)، وابن أبي شَيبة في «مصنفه» (٢٩٢٧)، وأحمد في «مسنده» ١٦٩/٤ (١٧٥٤٠)، والدارمي في «سننه» (١٤١٧)، والبخاري في «صحيحه» (٥١٠)، ومسلم في «صحيحه» (٥٠٧)(٢٦١)، وأبو داود في «سننه» (٧٠١)، وابن ماجه في «سننه» (٩٤٥)، والترمذي في «جامعه» (٣٣٦)، والنسائي في «المجتبى» ٦٦/٢ (٧٥٦)، وفي «السنن الكبرى» (٨٣٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٣٦٦) من حديث أبي جهيم رضي الله عنه.

(٢) في (خ): فأحرمه الله.

(٣) في (خ): عليهم.

(٤) لم أقف على هذه الحكاية.

وروي في الحديث الصحيح مثل هذه الحكاية: أن رجلاً يوقف بين يدي الله تعالى ويسأله، فيقول: يا رب، كنت أعامل الناس وأسامحهم. فيقول الحق سبحانه: «**أنا أولى منك بذلك**»، فيؤمر به إلى الجنة[1].

وهذا معنى الحديث، ولفظه ذهب عن المؤلف، ونسأل الله تعالى مسامحة[2] لهذه النفس اللئيمة، الغادية في جهلها وغيِّها رائحة.

نرجع إلى مسألتنا، فالتواضع حسن، ومن الأمراء والكبراء أحسن.

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣].

وقال ﷺ: «**طوبى لمن تواضع في غير مسكنة**»[3].

فمن تواضع لله ولعباده المؤمنين، وترك ما تقدم ذكره من البدع مع فرش البساط؛ رفع الله قدره في الدنيا والآخرة، وثبَّت قدميه على الصراط، فإن أبت النفس أن تكون بين يدي الله تعالى ذليلة مسكينة فإذا مُهد له جلس على بساطه في الحال، ولا يخرج عن سنة صاحب المعجزات[4] والسكينة، فإذا قام المصلي من مكانه لأجل ضرورة أو لعبادة فهو أحق بمكانه إذا غاب غيبة يسيرة. بهذا أخبرنا العلماء)[5] والله أعلم بالصواب والسريرة، والغيبة

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢/٢٦٣ (٧٥٧٩)، والبخاري في «صحيحه» (٢٠٧٨)، ومسلم في «صحيحه» (٧٥٧٩)، والنسائي في «المجتبى» ٧/٣١٨ (٤٦٩٥)، وفي «السنن الكبرى» (٦٢٩٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٠٤٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ، قال: «**كان رجل يداين الناس، وكان إذا رأى إعسار المعسر قال لفتاه: تجاوز عنه لعل الله تعالى يتجاوز عنا. فلقي الله فتجاوز عنه**».

وقد ورد من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) في (خ): المسامحة.

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» ٥/٧١ (٤٦١٥)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢٨٣٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٤/١٨٢، من حديث ركب المصري.

وقال الألباني: ضعيف. انظر «ضعيف الجامع» (٣٦٤٢).

(٤) زاد في (ط): والسنة.

(٥) إلى هنا نهاية سقوط ورقة من (ق).

الطويلة فيها خلاف العلماء[1].

وينبغي لمن يدعي الدين وقد أذهب الله تعالى عن قلبه الغفلة والعمى أن يخالف نفسه بخروجه عن خلاف العلماء، ولا خلاف بين العلماء فيمن بسط شيئًا في المسجد ولم يجلس عليه ثم غاب إنه ابتدع، وخرج عن طريق الأحباب، ويخاف على المبتدع أن تصل وبال البدعة إليه يوم يوقفه الحق بين يديه.

ومما يناسب هذه البدعة الرَّدية: ما يفعله جهلة الصوفية في حَرَم خالق البرية، وفي الروضة المحمدية، وهذه أفعال غير مرضية؛ لخروج أصحابها عن السنة المضيَّة.

ثم اعلم أن الله تعالى أضاف المساجد لنفسه بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن: ١٨]، سبب الإضافة لِتُعَظَّمَ ويَحْرُم بيعها، ولا يحوز أحدٌ[2] فيها مكانًا لنفسه، ويقوم فيها بأدب ومخافة، فحينئذٍ يعظم هذا العبد، ويثبت كيسًا طريفًا[3] من أهل الدين والخير والعفافة، قال ﷺ: **«الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أَتبَعَ نفسَه هواها وتمنَّى على الله»**[4].

وقال بعضهم:

ليس الظريف بكاملٍ في ظرفه	حتى يكون عن الحرام عفيفًا
فإذا تورع عن محارم ربه	فهناك يدعى في الأنام ظريفًا

---

(١) دليل هذه المسألة ما أخرجه مسلم (٢١٧٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: **«من قام من مجلسه، ثم رجع إليه، فهو أحق به»**.
قال ابن قدامة في «المغني» ١٠١/٢: إذا جلس في مكان، ثم بدت له حاجة، أو احتاج إلى الوضوء، فله الخروج. فإذا قام من مجلسه، ثم رجع إليه فهو أحق به.

(٢) في (خ): لأحد.

(٣) في (خ): ظريفًا.

(٤) سبق تخريجه.

فمن أراد الخير كله؛ فليسأل ربه أن يدخله في سنة نبيه وحبيبه محمد ﷺ، فمن تبعه في الدنيا ألحقه الله تعالى به في الآخرة، ومَن أبى طرده الله سبحانه عن بابه، وصرفه عن رحمته بقدرته القاهرة؛ لأن من شرط المرافقة الموافقة؛ لأن النبي ﷺ تبرأ من أصحاب البدع، وقال: «**سلمان منا أهل البيت**»[1]، وذلك لأنه أطاع الله تعالى، ولنبيِّه وحبيبه اتَّبع.

وقد كره العلماء تعليم القرآن في المساجد لمن لم يبلغ الحلم من الصبيان، فما بالك بمن يجعل هذا المكان المبارك كالحانوت والدكان؟!

وهذه البدعة لا يرضى الحق سبحانه عن فاعلها حيث كان، وأين كان؛ لأنها مخالفة للسنة والقرآن، ويجب على ولاة الأمر ومن قدر على إخراج هذه البدعة من بيت الكريم المنان إخراجها؛ وزجر هذا العبد المهان.

قال الله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [النور: ٣٦].

وقال ﷺ لمن يبيع في المسجد: «**لا أربح الله لك تجارتك**». ولمن ينشد الضالة: «**لا ردها الله عليك، ما بنيت المساجد لهذا**»[2]، وهذا نهي فاسمعوا وعوا قول المولى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

دخل رجل لبعض المساجد فقيل له: قم من مكان الأمير؛ أنت من أي البلاد؟ قال: أنا من بلدِ المساجدِ التي هي لله تعالى[3].

ومن البدعة الخارجة عن سنة النبي عليه الصلاة والسلام ما يفعله بعض المجاورين بالمسجد الحرام، فيبسطون في الحرم الشريف الخرق والمرقعات والسجادة، ثم يغيبون غيبةً طويلةً، وهذه البدعة تخالف السنة، ولا ترضي عالم الغيب والشهادة، فمن علم بذلك وعليها أقام، مَثَلُه مَثَلِ من

---

(١) سبق تخريجه، ولا يصح.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) في (خ): فيها الله تعالى.

قال: ربي الله. وما[1] استقام، ونسأل الله الاستقامة والأمن من فزع يوم القيامة.

والبدع عند مقام إبراهيم الخليل لا ترضي المولى الجليل، وليس هذا العلم بنافع إن لم يدرك العبد المولى الغفور؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]؛ ولأن النفس يشق عليها ترك المألوف؛ وإن كان ذلك لا يرضي المولى الرؤوف.

وبسط السجادة مع رؤيا العبادة من شهوات النفس الأمارة، ومن أصلح الله تعالى نفسه لا يحب ذلك ولا يختاره، ولا يخرج عن طريق نبيه وحبيبه، ولا يخالف أخباره، همه في الدنيا الطاعة والحُرَق، لا تزويق الملابس والخِرَق، قليل الراحة، كثير الخوف والقلق. شغلته العبادة عن تلفيق [2](المرقعات والسجادة، فإن أردت اللحوق بهؤلاء السادة فمهد لنفسك بالتمسك بسنتهم؛ لتكون لك[3] ذخرًا عند عالم الغيب والشهادة، فمن تشبه بالقوم في ملابسهم، ولم يتخلق بأخلاقهم يقال له: هذه الخرقة، فأين الاجتهاد والحرقة؟ كما قيل في الأمثال: هذه العمائم فأين الرجال؟ فيصير زيًّا حسنًا بلا مباني[4]، فتنخرم عليه القواعد والمباني، كما قيل:

أما الخيام فإنها كخيامهم	وأرى نساء الحي غير نسائها
لا والذي حجت قريش بيته	مستقبلين الركن من بطحائها
ما أبصرت عيني خيام قبيلةٍ	إلا بكيت أحبتي بفنائها

اعلم أن الحق سبحانه لا ينظر لقالب ابن آدم، بل ينظر لقلبه؛ متى كان خاليًا من البدع والأكدار، ملئ من الحكمة والأنوار، ومعنى هذا الكلام

(١) في (ق): ثم.

(٢) من هنا بداية سقوط ورقة من (ق).

(٣) في (خ): له.

(٤) في (خ): معاني.

قد ورد في الأحاديث والأخبار، قال ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى لباسكم ولا لصوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[1]، فمن خشَّن ثوبه، ولم يخشِّن حاله؛ فليس بشيء.

قال الشيخ أبو سليمان الداراني رحمه الله: يلبس أحدهم عباءة بثلاثة دراهم، وشهوته في بطنه بخمسة دراهم[2].

ورأت عجوز شبابًا عليهم ثياب الصوف وهم جلوس يتضاحكون، فقالت: سبحان الله! زي الصالحين وأفعال الجاهلين. أنكرت عليهم لقلة التناسب.

ثم اعلم بأن لبس ما خشن من الثياب له أصل في الشرع، وكذلك لبس الصوف والمرقعات، من الصحابة من فعل ذلك لحاجة، وهم أهل الصُّفَّة، ومنهم من فعله من غير حاجة، بل تواضعًا لعظمة الله سبحانه؛ وهو عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب، ومن تابعهما من أولي الألباب، رضي الله عنهم أجمعين ما طلع نجم وغاب.

فمن فعل ذلك ولم يبتدع بل فعله إهانةً لنفسه، لكي لا تلبس الجديد وتخالفَ المولى المجيد، وتأكل الطعام اللذيذ ثم تصرفه في معصية الله تعالى وفيما لا يريد. فمن كانت هذه نيته جعله الله تعالى من عباده المتقين، وألحقه بالطائفة المباركة عن يقين. وأما التشبه بالظاهر فقط فلا. وأنشد[3]:

إذا المرء لم يلبس ثيابًا من التقى ... تقلب عريانًا وإن[4] كان كاسيًا

وخير خصال العبد طاعة ربه ... فلا خير فيمن كان لله عاصيًا

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢/٢٨٤ (٧٨٢٧)، ومسلم في «صحيحه» (٢٥٦٤) (٣٤)، وابن ماجه في «سننه» (٤١٤٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**». ولم نجده بلفظ: لباسكم.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ٩/٢٦٠.

(٣) في (خ): (وأنشدوا في المعنى). والبيتان لأبي العتاهية.

(٤) في (خ): ولو.

ومن البدعة والآثام: مُكث المرأة في المسجد الحرام في طول الليالي والأيام؛ لأن بدن الحرة كله عورة، وقد يبدو شيء من عورتها للناظرين، ورفع صوتها ونومها ووضوئها فيه مع غَسل ما تحتاج إليه والآنية؛ مجموع ذلك يكون وبالاً عليها وداهية.

وهذه الأشياء تعد من الذنوب؛ لقلة التعظيم لبيت علام الغيوب، وقد صحَّ أن عائشة رضي الله عنها نصبت لها خيمةً في المسجد لتعتكف فيه في أواخر شهر رمضان، فنهاها ﷺ عن ذلك، وأمرها بالاعتكاف في بيتها، مع علمه بيقظتها وتعظيمها لشعائر الله تعالى[1].

وما تقدم ذكره من الإثم على المرأة الطاهرة.

وأما مُكث المرأة الحائض أو النفساء فيه، فهي على الحقيقة مدبرةٌ فاجرةٌ، فإن استحلَّت ذلك كفرتْ وخسرتِ الدنيا والآخرة[2]، ونسأل الله العظيم لنا ولهم ولجميع المسلمين المسامحة والحراسة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (٦٩٠)، وأحمد في «مسنده» ٦/ ٨٤ (٢٤٥٤٤)، والبخاري في «صحيحه» (٢٠٣٣)، وابن ماجه في «سننه» (١٧٧١)، وأبو داود في «سننه» (٢٤٦٤)، والنسائي في «سننه» ٢/ ٤٤ (٧٠٩) من حديث عائشة رضي الله عنها، ولفظه: أن رسول الله ﷺ ذكر أن يعتكف العشر الأواخر من رمضان، فاستأذنته عائشة فأذن لها، فأمرت ببنائها فضرب، وسألت حفصة عائشة أن تستأذن لها رسول الله ﷺ ففعلت، فأمرت ببنائها فضرب فلما رأت ذلك زينب أمرت ببنائها فضرب، قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا صلى انصرف، فبصر بالأبنية فقال: **«ما هذه؟»** قالوا: بناء عائشة وحفصة وزينب. فقال النبي ﷺ: **«آلبِرَّ أردتن بهذا؟ ما أنا بمعتكف»**. فرجع فلما أفطر اعتكف عشر شوال.

(٢) تحريم مكث الحائض والنفساء في المسجد مذهبُ جماهير العلماء من السلف والخلف، وعليه الفتوى في المذاهب الأربعة في عامة بلاد الإسلام، فالقطع بالتحريم لازم لعوام المسلمين لزومًا بيِّنًا، لكن لا يجوز التكفيرُ به لأنه ليس من المعلوم من الدين بالضرورة؛ وقد ذهب بعض أهل العلم ـ كالمزني وداود الظاهري وابن حزم ـ إلى الجواز لعدم ثبوت أدلة التحريم لديهم، فيعذرون لاجتهادهم، ويلحق بهم من لم يعلم بالتحريم من العامة. (ت)

وهذا المكان الشريف هو موضوع لحطِّ الذنوب لا لحملها، وأمر الذنب بمكة شديد؛ لكونه في حضرة الله تعالى وفناء بيته، وأي شيء أعظم من مبارزة الملك في حَرَمه[1]، ومخالفته في محلِّ حضرته! لكن ما أسرع نفوس الغافلين في قبول البدعة، ونبذ السنة)[2]، وما أشد تفريطها فيما هي مكلفة به ومسؤولة عنه: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: ما من بلدٍ يؤاخذ العبدُ فيه بالهمَّة من غير فعلٍ إلا مكة[3].

قال المولى الكريم: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

وكان يقول رضي الله عنه: السيئات تضاعف بمكة كما تضاعف الحسنات[4].

فمكث المرأة في المسجد الحرام بغير سترة في الليل والنهار، وفعلها ما تقدم آنفًا بدعة ومصيبة في دينها، ولا يُرضي الواحد القهار؛ وقد جاء في الأخبار: «**إن النساء أكثر أهل النار**»، وشهد عليهن الصادق الأمين بأنهن

---

(١) في (خ): حومته.

(٢) إلى هنا نهاية سقوط ورقة من (ق).

(٣) ذكره الغزالي في «الإحياء» ٤٧١/١. وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩٠٧٨)، من طريق سعيد بن منصور، وهذا في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» بإسناد ضعيف جدًا عن عبد الله بن مسعود في قوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ قال: من همَّ بخطيئة فعملها في سوى البيت لم يكتب عليه حتى يعملها، ومن هم بخطيئة في البيت؛ لم يُمته الله من الدنيا حتى يذيقه من عذاب أليم.
وأخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٤٢٩٢) بإسناد حسن عن عبد الله بن مسعود، قال: من هم بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها، وإن همَّ بعدن أبينَ أن يقتل عند المسجد الحرام، أذاقه الله من عذاب أليم، ثم قرأ: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ﴾.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد بن جبر المكي رحمه الله من قوله، ولم نجده من قول ابن مسعود رضي الله عنه. انظر: «الدر المنثور».

ناقصات عقل ودين[1]، فإن أضافت لهذه البدعة ترك النكاح فقد خرجت عن طريق أهل الخير والدين والصلاح؛ لأن الشرع أمرها بالسترة، ونهى عن التبتل في الأحاديث الصحاح، وهذه البدعة فيها تشبه بمن ترهب من أهل الكتاب، وهي مخالفة لسنة نبينا وحبيبنا محمد ﷺ وعلى الآل والأصحاب.

ولا ينبغي لأولي الألباب التشبه بأهل الكتاب خوفًا من قوله ﷺ: **«من تشبه بغيرنا فليس منا»**[2]؛ ولقوله: **«النكاح سنتي فمن رغب عن سنتنا فليس منا»**[3].

---

(1) أخرجه أحمد في «مسنده» ١/٣٧٦ (٣٥٦٩)، والدارمي في «سننه» (١٠٠٧)، والنسائي في «سننه» ١/٣٧٦ (٣٥٦٩) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.
وأخرجه أحمد في «مسنده» ٢/٦٦ (٥٣٤٣)، ومسلم في «صحيحه» (٨٠)، وابن ماجه في «سننه» (٤٠٠٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.
وأخرجه أحمد في «مسنده» ٢/٣٧٣ (٨٨٦٢)، والترمذي في «الجامع» (٢٦١٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وأخرجه البخاري في «صحيحه» (٣٠٤) و(١٤٦٢)، ومسلم في «صحيحه» (١٥٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفيه: خرج رسول الله ﷺ في أضحًى، أو فطرٍ إلى المصلى، فمرَّ على النساء، فقال: **«يا معشر النساء تصدقن، فإني أُريتكنَّ أكثر أهلِ النار»**. فقلن: لم يا رسول الله؟ قال: **«تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما رأيتُ من ناقصات عقلٍ ودينٍ أذهبَ للبِّ الرجل الحازم من إحداكنَّ»**. قلن: وما نقصان عقلنا وديننا يا رسول اللهِ؟ قال: **«أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟»**. قلن: بلى! قال: **«أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟»**. قلن: بلى! قال: **«فذلك من نقصان دينها»**.
فأنت ترى أنَّ النبيَّ ﷺ قد ذكر نقصان عقلهن ودينهنَّ في سياق معيَّن أراد به أن ذلك النقص لم يمنعهن من غلبة الرجل الحازم العاقل، ثم بيَّن وجه ذلك النقص، فحدَّده في أمرين قدَّره الله تعالى عليهن، لا دخل لهنَّ في كسبهما، ولا يدخل التعيير على الإنسان فيما هو خارج عن كسبه. ومن هنا يتبيَّن أن وصف النساء بأنهن ناقصات عقل ودين بإطلاقٍ غير متوجِّه، وأنه ليس من الدين والعقل والخُلق اقتباس هذين الوصفين دون سياقه وسببه، ثم جعله مسبَّة وشتيمة ترمى بها النساء، كما جرى عليه العامة بل حتى بعض أهل العلم وطلابه أيضًا، وفي هذا إساءة إلى حديث رسول الله ﷺ، وهو ما حمل أهل الزيغ والإلحاد على ردِّ الحديث وتكذيبه أو الاستهزاء والسخرية به والطعن في الدين. (ت)

(2) سبق تخريجه.

(3) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (١٨٤٦) من حديث عائشة رضي الله عنها. وقال الألباني في «صحيح الجامع» (٦٨٠٧): صحيح.

ثم اعلم بأن النكاح سنة عند أكثر أهل العلم، وبعض العلماء يقول بوجوبه، واستدل بقوله ﷺ: «**تناكحوا تناسلوا فإني مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة**»[1].

وفائدة النكاح نَسَمة تَذْكُرُ الله تعالى وتوحِّده، وتجاهد في سبيله، ويباهى بها الأمم يوم القيامة؛ ولذلك كان من سنن النبيين ومن شعائر الصالحين.

وقد أفردت للنكاح بابًا في هذا الكتاب.

نرجع إلى ما كنا عليه: وتكره المجاورة في المساجد للغافلين؛ لقول الصادق الأمين: «**المساجد بيوت المتقين**»[2]. ولم يقل بيوت الغافلين،

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٠٣٩١)، من حديث سعيد بن أبي هلال مرسلًا بلفظ: «**تناكحوا تكثروا؛ فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة، ينكح الرجل الشابة الوضيئة من أهل الذمة فإذا كبرت طلقها، الله الله في النساء؛ إن من حق المرأة على زوجها أن يطعمها، ويكسوها، فإن أتت بفاحشة فيضربها ضربًا غير مبرح**».

وقال الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٤٨٤): ضعيف.

وأخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» (٢٦٦٣)، من حديث ابن عمر، بلفظ: «**حجوا تستغنوا، وسافروا تصحوا، وتناكحوا تكثروا؛ فإني مباه بكم الأمم**».

وأخرجه أبو داود في «سننه» (٢٠٥٠)، والنسائي في «سننه» ٦/٦٥ (٣٢٢٧)، والحاكم في «المستدرك» ٢/١٦٢، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٧/٨١، من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه، ولفظه: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال، وإنها لا تلد، أفأتزوجها؟ قال: «**لا**». ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة فقال: «**تزوجوا الودود الولود؛ فإني مكاثر بكم الأمم**».

وقال الألباني في «صحيح أبي داود» (١٧٨٩): إسناده حسن صحيح.

وأخرجه أحمد في «مسنده» ٣/١٥٨ (١٢٦١٣)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٠٩٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٠٢٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٧/٨١، من حديث أنس بن مالك ولفظه: كان رسول الله ﷺ يأمر بالباءة، وينهى عن التبتل نهيًا شديدًا، ويقول: «**تزوجوا الودود الولود؛ إني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة**».

وقال الألباني في «ضعيف الجامع» (٤٥٢٢): ضعيف.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٧٥٣)، وهناد في «الزهد» (٩٥١)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٧١٤٩) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

وقال الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (١٧٧٩): ضعيف.

والغفلة في غير المساجد مصيبة عظيمة، فما بالك في المسجد! وإن اتفق ذلك في مكة فيكون أشد مقتًا؛ لتضاعف السيئات فيها؛ لأنها من الأماكن الشريفة، والغافل لا يقدر على إقامة الوظيفة. وقد ترك المجاورة بمكة عبد الله بن عباس وهو من خيار الناس، وكان رضي الله عنه يقول: ما لي ببلد تضاعف فيها السيئات كما تضاعف الحسنات[(١)]. ولما حجَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه نهى الناس عن المجاورة[(٢)].

وكره المجاورة جماعة من العلماء، ومن جملتهم أبو حنيفة رحمه الله[(٣)] - ونسأل الله اليقظة والمسامحة بقدرته اللطيفة - فكرهوا المجاورة لخوف قصورهم عن القيام بحقها، ومن التضجر، وزوال عظمتها من قلوبهم، فيحجبون لأجل ذلك عن محبوبهم، ولم يصلوا إلى مطلوبهم.

قال بعض المشايخ لأصحابه حين قدموا إلى مكة المشرفة: لا يصلح دخول هذا البيت إلا لمن عرف صاحبه.

ونسأل الله العظيم أن يجعلنا من أهل المعرفة، ويرزقنا اليقظة والمجاورة والوقوف بعرفة، فاليقظة في هذه الأماكن أجر كريم، والغفلة فيها خطر عظيم، فالحق سبحانه ما أضاف المساجد لنفسه إلا للتعظيم، تعالى الله سبحانه أن يحتاج إلى بيت أو مكان، أو أن تحصره الأكوان. كان الله تعالى قبل خلق السماوات والأرض غنيًّا عن المكان والزمان، وهو الآن على ما عليه كان[(٤)]. أيخلق شيئًا ويحتاج إليه؟ فمن اعتقد ذلك فقد افترى عليه. فلما

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣٤٥٥)، والفاكهي في «أخبار مكة» (١٤٩٥)، والأزرقي في «أخبار مكة» ٥١٥/٢ من طرق ضعيفة.

(٣) انظر «البحر الرائق» لابن نجيم الحنفي ٣٧٨/٢.

(٤) هذا لا أصل له وإنما زاده بعضهم في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣١٩١) و(٧٤١٨) عن عمران بن حصين قال: إني عند النبي ﷺ إذ جاءه قوم من بني تميم، فقال: «**اقبلوا البشرى يا بني تميم!**» قالوا: بشرتنا، فأعطنا! فدخل ناس من أهل اليمن، فقال: «**اقبلوا البشرى يا أهل اليمن، إذ لم يقبلها بنو تميم!**» قالوا: قبلنا، جئناك لنتفقَّه في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان؟ قال: «**كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض، وكتب في الذكر كل**=

أضاف المولى المساجد لنفسه صارت خير البقاع، فتنزه عن دخول الصبيان والمجانين، ولا يقام فيها الحدود، ولا يعمل فيها من معايش الدنيا، ولا يقام أحد ويجلس مكانه، ولا يحوز مكانًا لنفسه بِبَسْطِ البسط والخرق والرقاع، ولا يكثر كلام الدنيا ويغتاب، أو يرقص، أو يغني في المساجد إلا من أعمى الله قلبه وفرغه من التقوى والاطلاع، ولا ينشد فيها الضالة، ولا ما ذهب له من المتاع؛ بل يتحسر العبد على ما ذهب من عمره في الغفلة والبدعة وضاع، ولا يبيع العبد في بيت سيده ولا يشتري، فإن فعل فهو عبد خارج عن السنة مفتري، وسلعته بائرة؛ لأن المساجد من أسواق الآخرة، ولذلك قال المولى الغفور: ﴿يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩]. فمن انتهى عن ما تقدم ذكره عظمه الله تعالى، وحصل له المطلوب، وتعظيم المساجد من تقوى القلوب.

روى الصحابة أن النبي ﷺ كان إذا دخل وقت الصلاة كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه[1].

= **شيء**». ثم أتاني رجل فقال: يا عمران! أدرك ناقتك، فقد ذهبت. فانطلقت أطلبها، فإذا السراب ينقطع دونها، وأَيم الله لوددتُ أنها قد ذهبت ولم أقم.

وقد شرح هذا الحديث شرحًا مجوَّدًا حسنًا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مواضع من كتبه، وقال في «الصفدية» ٢/٢٢٣: «زادَ فيه كثير من المتأخرين: «وهو الآن على ما عليه كان» ومنهم من يظن أن هذا من كلام النبي ﷺ، مع أن هذا لم يروه أحد عن النبي ﷺ لا بإسنادٍ صحيحٍ ولا ضعيفٍ». وقال في «مجموع الفتاوى» ١٨/٢٢١: «وهذه الزيادة إنما زادها بعضَ الناس من عنده، وليست في شيء من الروايات. ثم إن منهم من يتأولها على أنه ليس معه الآن موجود، بل وجوده عين وجود المخلوقات، كما يقوله أهل وحدة الوجود الذين يقولون: عين وجود الخالق هو عين وجود المخلوق. كما يقوله ابن عربي، وابن سبعين، والقونوي، والتلمساني، وابن الفارض، ونحوهم. وهذا القول مما يعلم بالاضطرار شرعًا وعقلاً أنه باطل».

وهذه الزيادة الباطلة جعلها ابن عطاء الله الإسكندري من الحكم، فذكرها في «حكمه» رقم: (٣٧)! (ت)

(١) ذكره الغزالي في «الإحياء» ١/٢٩٢ من حديث عائشة رضي الله عنها. وذكره السبكي في أحاديث الإحياء التي لم يجد لها إسنادًا. وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٣٩٩): أخرجه الأزدي في «الضعفاء» من حديث سويد بن غفلة مرسلاً، بلفظ: كان النبي ﷺ إذا سمع الأذان كأنه لا يعرف أحدًا من الناس.

وكان يقول: «**أرحنا بها يا بلال**»[1].

وكره أبو الليث رضي الله عنه جميع أعمال الدنيا في المساجد[2].

ولا يكره للماكث فيه والمعتكف أن يصلح فيه شأنه؛ كخياطة ثوبه، أو نعله، وإن اتكأ ونام لا يخرج عن سنة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام.

وأباح البيع والشِّرى للمعتكف في المسجد من غير أن تكون السلعة حاضرة، وكره لغير المعتكف، بهذا جاءت السنة الطاهرة والأخبار المتواترة[3].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣٦٤/٥ (٢٣٠٨٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» ٢٧٧/٦ (٦٢١٥)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٥٥٤٩) من حديث رجل من أسلم.
وأخرجه أحمد في «مسنده» ٣٧١/٥ (٢٣٥٤)، والدارقطني في «العلل» ١٢٢/٤ من حديث رجل من الأنصار.
وأخرجه أبو داود في «سننه» (٤٩٨٥) من حديث رجل من خزاعة.
وأخرجه الدارقطني في «العلل» ١٢١/٤ من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومن حديث محمد ابن الحنفية، وفي ١٢٢/٤ من حديث بلال رضي الله عنه، وقال: هو حديثٌ يُروى عن سالم بن أبي الجعد، واختلف عنه.
وقال الألباني في «صحيح الجامع» (٧٨٩٢): صحيح.

(٢) ذكر أبو الليث السمرقندي الحنفي في كتابه: «تنبيه الغافلين» ص: ٣٠٢ (باب حرمة المساجد) خمس عشرة خصلة في حرمتها، منها: أن لا يشتري فيها ولا يبيع، وأن لا يسل فيها السيف، ولا ينشد الضال، وأن لا يتكلم فيها بشيء من أحاديث الدنيا.

(٣) ليس في المسألة أخبار متواترة، وإنما هو اجتهاد فقهي، قال ابن هبيرة في «اختلاف الأئمة العلماء» ٢٦٧/١: «وأجمعوا على أنه ليس للمعتكف أن يتَّجر ويكتسب بالصنعة على الإطلاق، ثم اختلفوا في جواز البيع. فقال أبو حنيفة: له أن يبيع ويبتاع، وهو في المسجد، من غير أن يحضر السلع. وقال الشافعي: له أن يأمر بالأمر الخفيف في ماله، ويبيع ويشتري من غير إكثار. وقال مالك: له أن يفعل ذلك إذا كان الاعتكاف تطوعًا، وكان يسيرًا. وعنه رواية أخرى: بالمنع من ذلك على الإطلاق. رواها عنه الجلّاب، فقال: وقال مالك: ولا يبيع المعتكف، ولا يشتري، ولا يشتغل بحاجة ولا تجارة. وقال أحمد: لا يجوز له البيع والشراء على الإطلاق، ولا فرق في ذلك عنده بين قليله وكثيره، ولا يجوز له فعل الخياطة فيه سواء كان محتاجًا أو غير محتاج، وسواء في ذلك القليل والكثير».

وصح أيضًا أن النبي ﷺ نهى عن البصاق في المسجد(١)، وقال المولى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

فإن قال قائل: أنا أتفل فيه وأدفنه؛ لما ورد أن كفارة البصاق في المسجد دفنه(٢)، ألا لا تفعل؛ فإن ذلك من قلة التوفيق والأدب لمخالفة الحديث.

ولقلة التعظيم للمساجد يقع الإنسان في البدع والعطب، قال ﷺ: **«من لا أدب فيه لا خير فيه»**(٣).

ثم اعلم يا أخي - وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين بقدرته القاهرة - أن ترك الذنب أولى من فعله، ثم يتوب منه ويطلب من الله تعالى العفو والمغفرة. قال بعض الصالحين: لي كذا وكذا سنة لم أتكلم في المسجد بكلام الدنيا، ولا مددت فيه قدمي، ولا أسندت ظهري إلى شيء منه. فإن قال قائل: هذا جائز في الشرع؛ مسلَّم به، لكن الأدب والتعظيم هو من شعائر الصالحين.

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (٤٥٧)، وأحمد في «المسند» ٦٦/٢ (٥٣٣٥)، والبخاري في «صحيحه» (٤٠٦)، ومسلم في «صحيحه» (٥٤٧)، والنسائي في «سننه» ٥١/٢ (٧٢٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنه ولفظه: أن رسول الله ﷺ رأى بُصَاقًا في جدار القبلة فَحَكَّهُ، ثم أقبل على الناس، فقال: **«إذا كان أحدكم يصلي فلا يبصق قبل وجهه؛ فإن الله قبل وجهه إذا صلى»**.
وأخرجه مالك في «الموطأ» (٤٥٨)، وأحمد في «مسنده» ١٤٨/٦ (٢٥١٥٦)، والبخاري في «صحيحه» (٤٠٧)، ومسلم في «صحيحه» (٥٤٩) من حديث عائشة رضي الله عنها، ولفظه: أن رسول الله ﷺ رأى في جدار القبلة مخاطًا، أو بصاقًا، أو نخامة، فحكه.
وأخرجه أحمد في «مسنده» ١٧٣/٣ (١٢٧٧٥)، والبخاري (٤١٥)، ومسلم (٥٥٢)، والنسائي في «سننه» ٥٠/٢ (٧٢٣) من حديث أنس رضي الله عنه، ولفظه: **«البصاق في المسجد خطيئة، وكفارتها دفنها»**.
(٢) انظر الحديث السابق.
(٣) لم أقف عليه.

قال ﷺ: «**أدبني ربي فأحسن تأديبي**»[1]، وقال: «**من لا أدب فيه لا خير فيه**»[2]. وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنى رحبة خارج المسجد وقال: من أراد أن ينام أو ينشد شعرًا أو يتكلم بكلام الدنيا فليذهب إلى الرحبة[3].

وقال بعض العلماء: من جلس في المسجد فإنما يجالس ربه فلا يقول إلا خيرًا.

جلس ابن أدهم يومًا وقد مدَّ رجله فسمع قائلًا يقول: أهكذا تجالس الملوك؟![4]

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

---

(١) أخرجه ابن السمعاني في «أدب الإملاء» ١/٥، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وقال الشيخ الألباني رحمه الله في «ضعيف الجامع» (٢٤٩): ضعيف.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) أخرجه مالك في «الموطأ» (٤٢٢) بلاغًا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٤) انظر «فيض القدير» ١/٢٥٣.



فصل في النكاح
وما يسن فيه ويبتدع ويباح

اعلم ـ رحمك الله! ـ أن النكاح من سنن المرسلين؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨]. وهو أيضًا من شعائر الصالحين؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ [النور: ٣٢].

وقال ﷺ: «**تناكحوا تناسلوا؛ فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة حتى السقط والرضيع**»[1].

وقال ﷺ: «**تخيَّروا لنطفكم الأكفاء، وأنكحوا اليتيم**»[2].

---

(١) سلف حديث: «**تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم**»، أما زيادة ذكر السقط والرضيع، فقد قال ابن الملقن في «البدر المنير» ٤٢٣/٧: قوله عليه السلام: «**تنكاحوا تكثروا**». هو حديث ذكره البيهقي في «المعرفة» عن الشافعي بلاغًا، فقال: قال الشافعي: وبلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «**تنكاحوا تكثروا، فإني أباهي بكم الأمم، حتى بالسقط**». وكذا هو في «الأم» و«المختصر». وانظر: «الضعيفة» للألباني (١٤١٣) و(٣٢٦٧) و(٥٨٩٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (١٩٦٨)، والدارقطني في «سننه» (١٩٨)، والحاكم في «المستدرك» ١٦٦/٢، والبيهقي في «السنن الكبرى» ١٣٣/٧ من حديث عائشة رضي الله عنها، بلفظ: «**تخيروا لنطفكم، وأنكحوا الأَكْفاء، وأنكحوا إليهم**».

وقال الألباني في «صحيح الجامع» (٢٩٢٨): صحيح. وخرَّجه في «الصحيحة» (١٠٦٧). =

وروى أبو أمامة الباهلي عن النبي ﷺ: «**ما استفاد المسلم فائدة بعد تقوى الله عز وجل خيرًا له من زوجة صالحة؛ إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله**»[1].

وقال عليه السلام: «**أيها الشباب عليكم بالزواج، فمن لم يستطع فعليه**

= وأخرجه الدارقطني في «سننه» (١٩٦)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٠١٠)، من حديث عائشة رضي الله عنها، بلفظ: «**اختاروا لنطفكم المواضع الصالحة**».

وأخرجه الدارقطني في «سننه» (١٩٧)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٠١١) من حديث عائشة رضي الله عنها، بلفظ: «**أنكحوا إلى الأكفاء وأنكحوهم، واختاروا لنطفكم، وإياكم والزنج، فإنه خلق مشوه**».

وأخرجه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٧٣٩٨)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٠١٢) من حديث عائشة رضي الله عنها، بلفظ: «**تخيروا لنطفكم وانظروا أين تضعونه؛ فإن النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن، وانكحوا الأكفاء، وانكحوا إليها**».

وقال ابن الجوزي رحمه الله: هذه الأحاديث لا تصح. انظر «العلل المتناهية» ٢/٦١٤ - ٦١٥.

(١) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (١٨٥٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» ٨/٢٢٢ (٧٨٨١)، من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

وقال الألباني في «ضعيف الجامع» (٤٩٩٩): ضعيف.

وأخرجه أبو داود في «سننه» (١٦٦٤)، والحاكم في «المستدرك» ٢/٣٣٣، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٤/٨٣ من حديث ابن عباس رضي الله عنه، بلفظ: «**ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء، المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته**».

وقال الألباني في «ضعيف الجامع» (١٦٤٣): ضعيف.

وأخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧٤٢٦) من حديث يحيى بن جعدة، ولفظه: «**خير فائدة استفادها المسلم بعد الإسلام امرأة جميلة؛ تسره إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه إذا غاب عنها في ماله ونفسها**».

وأخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢١١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «**ما أفاد عبد بعد الإسلام خير له من زوج مؤمنة؛ إذا نظر إليها سرته، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله**».

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٤/٥٠١: فيه جابر الجعفي وهو ضعيف، وقد وثق، وبقية رجاله ثقات.

بالصوم فإنه له وجاء»[1].

وقال: «**تزوجوا الودود الولود**»[2].

وقال: «**من تزوج فقد ستر شطر دينه، فليتق الله في الشطر الآخر**»[3].

---

(١) أخرجه الدارمي في «سننه» (٢١٦٦)، وأحمد في «مسنده» ٣٧٨/١ (٣٥٩٢)، والبخاري في «صحيحه» (٥٠٦٥)، ومسلم في «صحيحه» (١٤٠٠)(١)، وابن ماجه في «سننه» (١٨٤٥)، والنسائي في «سننه» (٢٢٤٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ولفظه: عن علقمة قال: كنت مع عبد الله فلقيه عثمان بمنًى، فقال: يا أبا عبد الرحمٰن، إن لي إليك حاجة، فخَلَوَا. فقال عثمان: هل لك يا أبا عبد الرحمٰن في أن نزوجك بكرًا تذكِّرك ما كنت تعهد. فلما رأى عبدَ الله أن ليس له حاجة إلى هذا أشار إلي، فقال: يا علقمة. فانتهيت إليه وهو يقول: أما لئن قلت ذلك، لقد قال لنا النبي ﷺ: «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء**».

وأخرجه أحمد في «مسنده» ٤٣٢/١ (٤١١٢)، ومسلم في «صحيحه» (١٤٠٠) (٣)، والنسائي في «سننه» (٢٢٤٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء**».

وأخرجه الدارمي في «سننه» (٢١٦٥)، وأحمد في «مسنده» ٤٢٤/١ (٤٠٢٣)، والترمذي في «الجامع» (١٠٨١)، والنسائي في «سننه» (٢٢٣٩) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، بلفظ: خرجنا مع النبي ﷺ ونحن شباب لا نقدر على شيء، فقال: «**يا معشر الشباب، عليكم بالباءة؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، فمن لم يستطع منكم الباءة فعليه بالصوم؛ فإن الصوم له وجاء**». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

وأخرجه النسائي في «سننه» (٢٢٤٣) من حديث عثمان رضي الله عنه، بلفظ: خرج رسول الله ﷺ على فتية فقال: «**من كان منكم ذا طول فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لا فالصوم له وجاء**».

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٧٢)، والحاكم في «المستدرك» ١٦١/٢، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٤٨٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، بلفظ: «**من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله في الشطر الثاني**».

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الهيثمي في «مجمع=

وقال: «**من استطاع منكم الباءة** [1] **فليتزوج**»[2].

وقال: «**النكاح سنتي، فمن رغب عن سنتنا فليس منا**»[3].

اعلم رحمك الله أن أقل أحوال النكاح أن يكون سنة لمن قدِر على المال والحال. وقال بعض العلماء بوجوبه؛ لأن النبي ﷺ أمر به، فمن تركه مع القدرة كان مبتدعًا، خارجًا عن طريق النبيين والصحابة المكرمين، وعباد الله الصالحين؛ لما ورد أن الأنبياء تزوجوا بأجمعهم.

ويعقوب عليه السلام تزوج في حزنه[4].

ويحيى عليه السلام لم يتزوج؛ لأنه كان حصورًا[5]، والحصور الذي

= الزوائد» ٥٠١/٤: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عبد الرحمٰن عن أنس، وعنه زهير بن محمد، ولم أعرفه، إلا أن يكون عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم، فيكون إسناده منقطعًا، وإن كان غيره فلم أعرفه، والله أعلم. وقال الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٥٩٩): ضعيف.

وأخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» ٦١٢/٢، وذكره الغزالي في «الإحياء» ٢٥٠/٢ من حديث أنس رضي الله عنه، بلفظ: «**من تزوج فقد أحرز نصف دينه، فليتق الله في النصف الباقي**». وعند الغزالي: «**فليتق الله في الشطر الثاني**».

وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، وإنما يذكر عنه.

(١) قال ابن منظور: الباءة مثل الباعةِ، والباء النِّكاح، وسُمي النكاحُ باءةً وباءً من المَباءة؛ لأَن الرجل يَتَبَوَّأُ من أَهله، أَي يَسْتَمْكِنُ من أَهله كما يَتَبَوَّأُ من دارِه، وفي حديث النبي ﷺ: «**مَن استطاع منكم الباءة فَليَتزوَّجْ، ومَن لم يَسْتَطِعْ فعليهِ بالصَّومِ؛ فإِنَّه له وجاء**». أَراد بالباءة النكاحَ والتَّزْويج، ويقال: فلان حَريصٌ على الباءة، أَي على النكاح، ويقال: الجِماعُ نَفْسُه باءةٌ، والأَصلُ في الباءةِ المَنْزِل، ثم قيل لِعَقْدِ التزويج: باءةٌ؛ لأَنَّ مَن تزوَّج امرأَةً بَوَّأَها منزلاً. «لسان العرب» مادة: بوأ.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) انظر «الورع» لأحمد بن حنبل ١١٨/١.

(٥) قال أبو بكر السجستاني: حصورًا: على ثلاثة أوجه: الذي لا يأتي النساء، والذي لا يولد له، والذي لا يخرج مع التذاذ شيئًا. «غريب القرآن» فصل الحاء المفتوحة. وقال ابن منظور: والحصور: الذي لا إِرْبَةَ له في النساء. «لسان العرب» مادة: حصر.

لا يأتي النساء في قولٍ[١]، وقيل: إنه تزوج. ذكر ذلك البغوي[٢] عن بعض الأكابر إما ابن عباس أو غيره، والله أعلم.

وفي الخبر أن عيسى ابن مريم عليه السلام يتزوج إذا نزل من السماء[٣].

وقال ﷺ لعكاف: «**ألك زوجة؟**» قال: لا. قال: «**ألك جارية؟**» قال: لا. قال: «**وأنت موسر!**» قال: وأنا موسر. قال: «**إذًا أنت من إخوان الشياطين، لو كنت من النصارى لكنت من رهبانهم، إن سنتنا النكاح، شراركم عزابكم، وأراذل[٤] موتاكم عزابكم**». والحديث فيه طول وآخره: «**ويحك يا عكّاف، تزوج وإلا فأنت من المدبرين**»[٥]، رواه ابن الجوزي.

وقال أبو عبيدة: ليس العزوبية من أمر الإسلام في[٦] شيء؛ لأن خير هذه الأمة كان أكثرها نساء[٧]، وحث عليه ونهى عن التبتل فقال: «**لعن الله**

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٦/٣٧٧، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٢/٦٤٣، و«تفسير البغوي» ٢/٣٥، و«تفسير ابن كثير» ٢/٣٨، و«الدر المنثور» ٢/١٨٩ ـ ١٩١.

(٢) انظر «تفسير البغوي» ٢/٣٥ من كلام سعيد بن المسيب.

(٣) أخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٥٢٩) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، بلفظ: «**ينزل عيسى ابن مريم الى الأرض، فيتزوج ويولد، ويمكث خمسًا وأربعين سنة، ثم يموت، فيدفن معي في قبري، فأقوم أنا وعيسى ابن مريم من قبر واحد بين أبي بكر وعمر**».
وقال: هذا حديث لا يصح.

(٤) في (خ، ق): وأرذل. وما أثبتناه من (ط) ومصادر التخريج.

(٥) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» ١٨/٨٥ (١٥٨)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٥٥٣٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٤٨٠) من حديث عطية بن بسر المازني.
وأخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٠٣٨٧)، وأحمد في «مسنده» ٥/١٦٣ ـ ١٦٤ (٢١٤٥٠)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٩٩٩) من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه.
وقال الألباني: منكر. انظر «السلسلة الضعيفة» ٢٤/١٣٨ ـ ١٤٠.

(٦) في (خ، ط): من. وما أثبتناه من (ق) ومصادر التخريج.

(٧) أما قوله: «ليس العزوبية» فلم أجده من كلام أبي عبيدة، وإنما من كلام أحمد بن حنبل، ذكره ابن الجوزي في كتابه «ذم الهوى» ١/٢٨٢. =

المتبتِّلين، والمتبتِّلات، التاركين النكاحَ»[1].

وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أراد عثمان بن مظعون يتبتل فنهاه رسول الله ﷺ، ولو أجاز له ذلك لاختصينا. رواه البخاري ومسلم[2].

والتبتل هو الانقطاع للعبادة، وقيل لمريم: البتول؛ لانقطاعها للعبادة عن النكاح[3].

طلب بعض الصالحين أن يدعو الله أن يزيل شهوة النساء من قلبه، فاستحيا من رسول الله ﷺ أن يفعل؛ لكون النكاح طريقه وطريق أصحابه.

= وقوله: لأن خير..: فلم أجده من كلام أبي عبيدة أيضًا، وأخرج ابن سعد في «الطبقات» ٣٧٢/١، وأحمد في «مسنده» ٢٣١/١ (٢٠٤٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» ٩/١٢ (١٢٣١٣)، موقوفًا على ابن عباس رضي الله عنهما، ولفظه: عن سعيد بن جبير قال: لقيني ابن عباس، فقال: تزوجت؟ قال: قلت: لا. قال: تزوج. ثم لقيني بعد ذلك، فقال: تزوجت. قال: قلت: لا. قال: تزوج؛ فإن خير هذه الأمة كان أكثرها نساء.

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢٨٩/٢ (٧٨٩١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٧٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، بلفظ: لعن رسول الله ﷺ مخنثي الرجال الذين يتشبهون بالنساء، والمترجلات من النساء المتشبهين بالرجال، والمتبتلين من الرجال الذي يقول لا يتزوج، والمتبتلات من النساء اللائي يقلن ذلك، وراكب الفلاة وحده. فاشتدَّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ حتى استبان ذلك في وجوههم، وقال: **«البائت وحده»**.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٤٦١/٤: فيه الطيب بن محمد وثقه ابن حبان، وضعفه العقيلي، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه الدارمي في «سننه» (٢١٦٧)، وأحمد في «مسنده» ١٧٥/١ (١٥١٤)، والبخاري في «صحيحه» (٥٠٧٤)، ومسلم في «صحيحه» (١٤٠٢) (٦)، وابن ماجه في «سننه» (١٨٤٨)، والترمذي في «الجامع» (١٠٨٣)، والنسائي في «سننه» ٥٨/٦ (٣٢١٢)، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، بلفظ: ردَّ رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل، ولو أذن له لاختصينا.

(٣) التبتل: الانقطاع عن الدنيا إلى الله تعالى، وكذلك التبتيل. يقال للعابد إِذا ترك كل شيء وأقبل على العبادة: قد تَبَتَّل. أي قطع كُلَّ شيء إلا أَمْرَ الله وطاعتَه. «لسان العرب» مادة: بتل.

قال: فأصبحت لا أبالي وجدت امرأة أو حائطًا. فانظر إلى بركة الأدب؛ كيف حصل له مطلوبه بغير تعب.

وقال بعض العلماء: ترك النكاح أفضل للتخلي للعبادة.

قال المؤلف: فلو عمل الناس بقول هذا العالم لهدم الدين؛ لقلة التناسل، ولتلاشى العالم. فيقال له: عملت على النافلة ولم ترحم نفسك الآفلة[1] لخروجك عن طريق القوم، فتزود بسنتهم لكي تلحق القافلة؛ لأن النبي ﷺ حثَّ على النكاح، ونهى عن التبتل، وقال: **«حبب إليَّ من دنياكم ثلاث: الطيب، والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة»**[2].

فمن رغب عن قول النبي ﷺ وفعله فهو على غير الحق.

وقال ﷺ: **«تناكحوا تناسلوا توالدوا؛ فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة حتى السقط، والمولود**[3] **من أمتي أحب إليَّ من الدنيا وما فيها»**[4].

---

(١) أَفَلَ: أي غاب. وأَفَلَت الشمسُ تأفِل وتأْفُل أَفْلاً وأُفولاً غَرَبت. «لسان العرب» مادة: أفل.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣/١٢٨ (١٢٢٩٣)، والنسائي في «سننه» ٧/٦١ (٣٩٣٩)، والحاكم في «المستدرك» ٢/١٦٠، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٧/٧٨ من حديث أنس رضي الله عنه، بلفظ: **«حبب إلى من الدنيا: النساء، والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة»**.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.
وقال الألباني في «صحيح الجامع» (٣١٢٤): صحيح.
وزيادة: (ثلاث) لا أصل لها في الحديث كما بيَّنه الحافظ العراقي والزركشي وابن حجر. انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ٣/٤٩٠.
وأخرجه أحمد في «مسنده» ٦/٧٢ (٢٤٤٤٠) من حديث عائشة رضي الله عنها، بلفظ: كان رسول الله ﷺ يعجبه من الدنيا ثلاثة: الطعام، والنساء، والطيب. فأصاب ثنتين ولم يصب واحدة، أصاب النساء والطيب، ولم يصب الطعام.

(٣) في (خ): ولمولود.

(٤) سبق تخريجه.

وقال: «**من تزوج فقد أحصن نصف دينه، فليتق الله في النصف الآخر**»[1].

ففي التزويج من مقتضى هذا الحديث خمس فوائد:

الأول: امتثال أمر النبي ﷺ حين قال: «**تناكحوا**». قال الله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

الثانية: رفع علم الإسلام؛ لقوله: «**إني مكاثر بكم الأمم**».

الثالثة: إدخال السرور على قلب رسول الله ﷺ؛ لقوله: «**والمولود**[2] **من أمتي أحب**[3] **إليَّ من الدنيا وما فيها**».

الرابعة: فضل التناكح حين أضافه إليه وإلى النبيين من قبله؛ لقوله عليه السلام: «**النكاح سنتي**»[4]، ولقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨].

الخامسة: حراسة الدين وتحصينه.

ومن باشر أمرًا يحصل له منه امتثال أمر النبي ﷺ وطاعته، ورفع علم الإسلام، وإدخال السرور على قلب نبيه وحبيبه باتباع سنته، فحقيق يرجى له أن يدخله الله تعالى في رحمته.

ثم اعلم بأن أكثر العلماء على أن التخلي للنكاح (عندهم أفضل من التخلي للعبادة؛ لأن نفع العبادة قاصر على فاعلها، ونفع النكاح)[5] متعدي: وهو نفقة المال على العيال، وإظهار نسمة[6] تعبد الله تعالى، وتوحده في

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) في (خ، ق): ولمولود.

(٣) في (خ): خير.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) ليست في (خ).

(٦) النَّسَمُ والنَّسَمةُ نفَسُ الروح، وما بها نَسَمة أي نفَس، يقال: ما بها ذو نسَم. أي: ذو رُوح. والجمع نَسَمٌ والنَّسيمُ ابتداءُ كلِّ ريحٍ قبل أن تَقْوى. «لسان العرب» مادةَ: نسم.

الدنيا، ويباهى بها الأمم في الآخرة، وتخميد هذه النفس الفاجرة.

يحكى أن السلطان صلاح الدين أثخن بالجراح في غزوة، وقُتِل من المسلمين جماعة، ثم انتصروا، فدخل الملك إلى خيمته غضبان يُهَمْهِم، فقال له وزيره ـ وكان الوزير حنفي المذهب ـ: هذا يوم عيد أيها الملك. فقال: مذهبكم يقول: إن النكاح أفضل من هذا، كيف يكون هذا؟! قال الوزير: لولا النكاح ما كنت أيها الملك ولا أحدٌ من حاشيتك. فأعجب الملك وسكن غضبه(١).

وروي أن الصحابة قالوا للنبي ﷺ: كَثُر النِّساء فادع عليهم. فدعا لهم، وقال: «**كيف أدعو على شجرة أنتم ثمارها**»(٢).

ثم اعلم رحمك الله بأن الله تعالى حسَّن المحسنات وكثَّر ألوانهن، وخلق في الإنسان الضعف والميل؛ فقال تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، وفي آية أخرى: ﴿فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ [النساء: ١٢٩]، فجعل في النِّساء من هي بيضاء بحلية سوداء تؤدي إلى الصفرة، وأخرى علاها البياض بحلية زرقاء تؤدي إلى الشقرة، وواحدة ما اتصفت بالأولى ولا تشبهت بالثانية، قد علاها السمرة، وامرأة قد صبغها رب العباد وحلاها بالسواد؛ فسبحان من له هذه القدرة.

فلما زين الحقُّ هؤلاء الأربعة بهذه الزينة أباحهن في الحلال لهذه النفس المسكينة، فأباح الشرع للمسلم أربع زوجات في الحلال، وجميع ما يملكه بشراء أو هبة وصدقة وميراث، أن يطأها إن لم يكن وطئها الأب ولا الأخ والعم والخال.

وقد أباح الحقُّ سبحانه لهن الزينة والتحلي بالذهب والفضة والحرير، وجعلهن ناقصات عقل ودين، فترى الغالب عليهن نسيان الآخرة؛ فَهَمُّها(٣)

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) بياض في (ق، ب)، وفي (خ): فهما.

ما أنعم[1] من اللباس والزينة، والأطعمة الفاخرة.

فانظر ماذا لطف الله بك بقدرته القاهرة حتى تنجمع النفس على ما أحل لها، وتكون عن الحرام نافرة.

وقد أباح الشرع النظر إلى المخطوبة لدوام الصحبة، وأن لا يعصي المحب محبوبه.

وقد أباح الحق سبحانه لنبينا ﷺ تسع زوجات في وقت واحد، ولداود ﷺ مئة، ولولده سليمان عليه السلام ثلاث مئة زوجة، وكان له سبع مئة سرية. وشرح ذلك يطول، والقصد في هذا بأن تعلم أن الأنبياء عليهم السلام كانوا يرغبون في النكاح؛ لكي يأتي من ظهورهم من يعبد الله تعالى ويجاهد في سبيله.

فمن رغب عن النكاح مع القدرة على الحال والمال فقد خالف الأنبياء والأولياء عليهم السلام، وتشبه بمن ترَّهب من الأشقياء، وقال ﷺ: «**من تشبه بغيرنا فليس منا**»[2]، وقال: «**لا رهبانية في الإسلام**»[3]، وفي حديث آخر: «**لا تتشبهوا بأهل الكتاب**»[4]، فاعتبروا يا أولي الألباب.

وليس لهم حجة في قوله ﷺ: «**إذا أحب الله عبدًا لم يشغله بزوجة**

---

(١) في (ق، ب): نعم.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) قال ابن حجر في «فتح الباري»: لم أره بهذا اللفظ، لكن في حديث سعد بن أبي وقاص عند الطبراني: «**إن الله أبدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة**».
وأخرجه الطبراني ـ كما قال ابن حجر ـ في «المعجم الكبير» ٦/٦٢ (٥٥١٩) من حديث سعيد بن العاص؛ أن عثمان بن مظعون قال: يا رسول الله، ائذن لي في الاختصاء! فقال له: «**يا عثمان، إن الله قد أبدلنا بالرهبانية الحنفية السمحة، والتكبير على كل شرف، فإن كنت منا فاصنع كما نصنع**». وانظر: «الصحيحة» للألباني (٣٩٤) و(١٧٨٢).

(٤) أخرجه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣٦٨٠) من حديث الزبير بن العوام، بلفظ: «**غيروا الشيب، ولا تتشبهوا بأهل الكتاب**». وانظر: «الصحيحة» للألباني (٨٣٦).

ولا ولد»[1]، الحديث غير صحيح، وإن صحَّ كان فيه احتمال أن المؤمن يؤدي حق العيال (ويشتغل بالكبير)[2] المتعال؛ فيؤدي حق الزوجة والولد، ثم يجتهد في طاعة الفرد الصمد.

ولم يتزوج أحدٌ ببنتين لنبيٍّ عظيم غير عثمان، فلما ماتتا قال ﷺ: «**لو كان لنا ثالثة لزوجناك يا عثمان!**»[3].

ومن ترك النكاح لعذر فله أجر المتأهل؛ لأجل النية، وكذلك لو نوى المؤمن أن يفعل خيرًا ولم يقدر فله ذلك الأجر، مثاله يقول في نفسه: لو كان لي مثل مال فلان لعملت كما يعمل من الخيرات والإحسان. هما في الأجر سواء.

ومن الناس من يتزوج لأجل الله سبحانه، ومنهم من يتزوج لأجل السنة، ومنهم من يتزوج لأجل الدنيا، ومنهم من يتزوج لمعصية الله تعالى. فالمتزوج لله سبحانه هو رجل تزوج بامرأة قليلة المال، كثيرة العيال، وليس لها حظ من الحسن والجمال، وهذا في الناس قليل. ورجل تزوج بكرًا أو ثيبًا ينوي به الدخول في السنة، والخروج عن المعصية. وطالب المال هو رجل تزوج امرأةً رغبةً في مالها، ولم يلتفت لقلة دينها، ولسوء حالها؛ فاته الأجر الأول، ولم يلحق بالثاني، وآخر تزوج بامرأة ناويًا أكل مالها، فإذا فرغ المال طلقها وأرخى حبالها. وهذا زواج معلول، وصاحبه قد تعرض لمقت الله تعالى وغضبه، وخرج عن طريق الرسول عليه السلام، وفي الخبر: أنه يعدُّ من الزناة لأجل ما نواه[4]، والزوجة عند الرجل أمانة، فمن خانها لم يرزقه الله تعالى أمانه.

---

(١) موضوع: أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ١/٢٥، وابن الجوزي في «الموضوعات» ٢٧٨/٢ من حديث ابن مسعودٍ رضي الله عنه.

(٢) في (ق): ولا يشتغل عن الكبير.

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٤٦/٣٩ من حديث الحسن البصري مرسلاً.

(٤) لم أجده، وفي حديث ضعيف جدًا أو موضوع أن من تزوجها لمالها لم يزدد إلا فقرًا. انظر: «الضعيفة» (١٠٥٥).

فقد بيَّن سيد الحكماء أمراض العباد بقوله ﷺ: «**تنكح المرأة لأربع: لجمالها، ولمالها، ولحسبها، ولدينها**». وقال للسائل: «**عليك بذات الدين تربت يداك**»(١).

وهذا الحديث نُصحٌ للأمة؛ لأن الدين يبقى، والمال والجمال والحسب والنَّسب يفنى. أي: لا تكثروا الالتفات إلى هذه الملونات؛ فهي كالظل الزائل عن أيام قلائل.

قال المولى جل وعلا: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: ١٣١].

تدبر هذه الآيات ترى عجبًا؛ فقوله تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [طه:

---

(١) أخرجه الدارمي في «سننه» (٢١٧٠)، والبخاري في «صحيحه» (٥٠٩٠)، ومسلم في «صحيحه» (١٤٦٦)، وابن ماجه في «سننه» (١٨٥٨)، وأبو داود في «سننه» (٢٠٤٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٠٣٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٧٩/٧، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، بلفظ: «**تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين؛ تربت يداك**».

وأخرجه الدارمي في «سننه» (٢١٧١)، ومسلم في «صحيحه» (٧١٥) (٥٤)، والترمذي في «الجامع» (١٠٨٦) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، بلفظ: تزوجتُ امرأة في عهد رسول الله ﷺ، فلقيتُ النبي ﷺ، فقال: «**يا جابر، تزوجت؟**» قلت: نعم. قال: «**بكر أم ثيب؟**» قلت: ثيب. قال: «**فهلا بكرًا تلاعبك**». قلت: يا رسول الله، إن لي أخوات، فخشيت أن تدخل بيني وبينهن. قال: «**فذاك إذن، إن المرأة تنكح على دينها، ومالها، وجمالها، فعليك بذات الدين؛ تربت يداك**».

وأخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٠٦٠٥) من حديث مجاهد مرسلاً، بلفظ: «**ما فائدة أفادها الله على امرئ مسلم خير له من زوجة صالحة؛ إذا نظر إليها سرته، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها، وإن أمرها أطاعته، تُنكح المرأة لأربع: لدينها، وجمالها، ومالها، وحسبها، فعليك بذات الدين؛ تربت يداك**».

وأخرج عبد بن حميد في «مسنده» (٣٢٨)، وابن ماجه في «سننه» (١٨٥٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٨٠/٧، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، بلفظ: «**لا تزوجوا النساء لحسنهن؛ فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تزوجوهن لأموالهن؛ فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين، ولأمة خرماء سوداء ذات دين أفضل**». وأورده الألباني في «الضعيفة» (١٠٦٠).

١٣١] أي: يا عبدي لا ترضى إلا بما عندي، جنة عرضها السماوات والأرض، وأوسع من ذلك المغفرة.

أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة؟ أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير؟ شبه المولى زينتها بالزهرة، فلا تشغلك زهرتها عن طريق المصطفى، فهذه الزهرة لا بد لها من الانطفاء.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝٨﴾ [الكهف: ٧ ـ ٨]. الجرز: هو اليابس. أذهبت القدرة تلك الخضرة فقوله تعالى: ﴿زِينَةً لَّهَا﴾ لم يقل[١]: زينةً لك، قال ﷺ: «**زينة المؤمن الطاعة**»[٢].

والأحمق من يفرح بزينة غيره، ويترك ما يزيِّنه عند الله تعالى.

وقوله: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ﴾ أي: لنختبرهم بها؛ هل يحبونها أو يحبونه؟ وهو أعلم بهم.

فإذا زوى الله تعالى عنك الدنيا، فقد زوى عنك ما يشغلك عنه، فإياك أن تمدَّ عينيك إلى مَن أُعطي عطاءً وشُغل[٣] به عن الله لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [طه: ١٣١]. وقُلْ كما قال نبي الله: ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ [النمل: ٣٦]، ولا تحسدن أحدًا[٤] على دنياه، وارحمه على ما فاته مِن خالقه ومولاه، وفي الحديث: «**إذا أحب الله عبدًا، زوى عنه الدنيا وابتلاه**»[٥].

---

(١) في (خ): ما قال.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في (ق): واشتغل.

(٤) في (خ): ولا تحسده.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٢٤٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» ١٥١/١٢ (١٢٧٣٥) عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: قال نبيٌّ من الأنبياء: اللَّهم العبدُ من عبيدك يعبدك، ويطيعك، ويجتنب سخطك، تَزْوِي عنه الدُّنيا، وَتَعْرِضُ له البلاء، والعبد يعبد غيرك، ويعمل بمعاصيك، فتعرض له الدُّنيا، وَتَزْوِي عنه البلاء.=

زوى عنه الدنيا: ليخفِّف عنه حسابه، ولتكون الجنة مأواه، وابتلاه: لينجمع على سيِّده وخالقه ومولاه.

أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: العافية تجمعك عليك، والبلاء

= قال: فأوحى اللَّه إليه: «إنَّ العباد والبلاد لي، كُلٌّ يسبِّح بحمدي، فأمَّا عبدي المؤمن فتكون له سيِّئاتٌ، فإنَّما أعرضُ له البلاء، وَأَزْوِي عنه الدُّنيا، فتكونُ كفَّارةً لسيِّئاته، وَأُجْزِيَهُ إذا لقيني، وأمَّا عبدي الكافر فتكون له الحسنات، فأزوي عنه البلاء، وأعرض له الدُّنيا، فتكون جزاءً لحسناتِهِ، وأجزيه بسيئاته حين يلقاني».
ورجاله ثقات، لكنه كما ترى موقوف على ابن عباس رضي الله عنهما، فيظهر أنه مما رواه عن أهل الكتاب.
وأخرجه ابن أبي شيبة (٣٦١٦٧) عن خيثمة بن عبد الرحمٰن الكوفي ـ أحد التابعين الثقات العباد ـ قال: تقول الملائكة: يا رب! عبدك المؤمن تزوي عنه الدنيا، وتعرضه للبلاء؟ فيقول للملائكة: «اكشفوا عن ثوابه»، فإذا رأوا ثوابه، قالوا: يا رب، لا يضره ما أصابه في الدنيا! ويقولون: عبدك الكافر تزوي عنه البلاء، وتبسط في الدنيا؟ فيقول: «اكشفوا عن ثوابه»، فإذا رأوا ثوابه، قالوا: يا رب، ما ينفعه ما أصابه من الدنيا!
وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ١٢٣/٤ من حديث خيثمة، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «تقول الملائكة. . .» فذكره. وهذا باطل، وأعلَّه أبو نعيم بأن المعروف فيه هو حديث خيثمة مقطوعًا.
وأخرج أحمد في «المسند» ٨١/٣ (١١٧٦٧) من طريق: ابن لهيعة، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ أنه قال: «إن موسى قال: أي رب، عبدك المؤمن تقتِّر عليه في الدنيا؟ قال: فيفتح له باب من الجنة، فينظر إليها، قال: يا موسى هذا ما أعددت له. فقال موسى: أي رب، وعزتك وجلالك لو كان أقطع اليدين والرجلين، يسحب على وجهه منذ يوم خلقته إلى يوم القيامة، وكان هذا مصيره، لم ير بؤسا قط. قال: ثم قال موسى: أي رب، عبدك الكافر توسع عليه في الدنيا. قال: فيفتح له باب من النار، فيقال: يا موسى هذا ما أعددت له. فقال موسى: أي رب، وعزتك وجلالك، لو كانت له الدنيا، منذ يوم خلقته، إلى يوم القيامة، وكان هذا مصيره، كأن لم ير خيرًا قطُّ».
وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة، ولضعف دراج ـ وهو ابن سمعان أبو السمح ـ في روايته عن أبي الهيثم ـ وهو سليمان بن عمرو العتواري ـ. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢٦٦/١٠، وقال: رواه أحمد، وفيه ابن لهيعة ودراج، وقد وثقا على ضعف فيهما. (ت)

يجمعك عليَّ، وبلاء يجمعك عليَّ خيرٌ من عافية تجمعك على شر[1].

ثم اعلم بأن كل أحد يود يوم القيامة أن لو كان فقيرًا مبتلى في جسمه، معافى في دينه؛ لما يرى من تخفيف الحساب، وجزيل الثواب، وليس للعبد أنفع في الدنيا من الفقر والبلاء والخمول؛ لكي يشغل بذلك عن الخروج عن طريق الرسول.

وقد جاء في الحديث: «**الدنيا سجن المؤمن**»[2]. والفرح لا يليق بالمسجون، ولا يفرح فيه إلا كلُّ عبدٍ مفتون، واسمع قول الصادق الأمين: «**إن الله يحب كل قلب حزين**»[3]، ومن عادة المسجون أن يحدق بعينيه ويصغي بأذنيه متى يدعى فيجيب.

كان بعض الصالحين كثير الالتفات، فقيل له في ذلك فقال: أنتظر ملك الموت من أين يأتيني.

وكان بعضهم يقول:

عجبت لمن يدوم له السرور	ويعلم أن مسكنه القبور
ومن يمسي ويصبح[4] في أمان	وقد نسي القيامة والنشور

وفي الخبر أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إني أحب الله. فقال له: «**اعتدَّ للبلاء**». وقال رجل آخر للنبي ﷺ: إني أحبك. فقال له: «**اعتد للفقر**»[5].

---

(١) في (خ): (تجمعك عليك). ولم أقف عليه.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣٢٣/٢ (٨٢٨٩)، ومسلم في «صحيحه» (٢٩٥٦)، والترمذي في «جامعه» (٢٣٢٤)، وابن ماجه في « سننه» (٤١١٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٨٧) من حديث أبي هريرة، ولفظه: «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**».

(٣) أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (١٤٨٠)، والحاكم في «المستدرك» ٣١٥/٤، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٩٢) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.
وقال الألباني في «ضعيف الجامع» (١٧٢٣): ضعيف.

(٤) في (خ) يصبح ويمسي.

(٥) ذكره الغزالي في «الإحياء» ٢٩٥/٤ بلفظ: إن رجلاً قال يا رسول الله إني أحبك.=

وقال ﷺ: **«إن الله يحمي وليَّه من الدنيا، كما يحمي أحدكم مريضه أو سقيمه من الطعام والشراب»**(١).

= فقال ﷺ: **«استعد للفقر»**، فقال إني أحب الله تعالى. فقال: **«استعد للبلاء»**. وقال العراقي في «تخريجه» (٤١١٩): أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن مغفَّل بلفظ: **«فأعدَّ للفقر تجفافًا»** دون آخر الحديث. وقال: حسن غريب.

وحديث الترمذي (٢٤٦٨): عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال: قال رجل للنبي ﷺ: يا رسول الله: والله إني لأحبك! فقال له: **«انظر ما تقول؟»** قال: والله إني لأحبك! ثلاث مرات، قال: **«إن كنت تحبُّني فأعدَّ للفقر تجفافًا، فإن الفقر أسرع إلى من يحبُّني من السيل إلى منتهاه»**.

وأخرج البزار في «مسنده» (كشف الأستار: ٣٥٩٥) من حديث أنس رضي الله عنه، قال: أتى النبي ﷺ رجل، فقال: إني أحبك. قال: **«استعدَّ للفاقة»**.

قال الألباني في «الصحيحة» (٢٨٢٧): وهذا إسناد جيد رجاله ثقات معروفون غير بكر بن سليم، ذكره ابن حبان في «الثقات»، وقد روى عنه خمسة من الثقات، فهو صدوق كما قال في «الكاشف». وله شاهد من حديث أبي ذر رضي الله عنه: أنه أتى النبي ﷺ فقال: إني أحبكم أهل البيت. فقال له النبي ﷺ: **«آلله؟»** قال: آلله. قال: **«فأعدَّ للفقر تجفافًا، فإن الفقر أسرع إلى من يحبنا من السيل من أعلى الأكمة إلى أسفلها»**.

أخرجه الحاكم ٣٣١/٤، وقال: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي. وأقول إنما هو صحيح فقط، وللحديث شاهد من حديث عبد الله بن مغفَّل كنت خرجته في «الضعيفة» (١٦٨١) قبل الوقوف على هذين الحديثين، ويعود الفضل في ذلك إلى أحد طلاب العلم السعوديين جزاه الله خيرًا في كتيب له كان أرسله إلي، ثم بلغني أنه توفي فجأة رحمه الله تعالى. وللشطر الثاني من حديث أبي ذر شاهد من حديث أبي سعيد الخدري: أنه شكا إلى رسول الله ﷺ حاجته، فقال رسول الله ﷺ: **«اصبر أبا سعيد! فإن الفقر إلى من يحبني منكم أسرع من السيل على أعلى الوادي، ومن أعلى الجبل إلى أسفله»**.

أخرجه أحمد ٤٢/٣ وفي إسناده أحد المجهولين، فهو علة هذا الإسناد. لكن للحديث شاهد من حديث عبد الله بن مغفل ـ كما سلف ـ.

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٣٦) عن محمود بن لبيد، عن قتادة بن النعمان، أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا أحب الله عبدًا حماه الدنيا، كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء»**.

قال أبو عيسى الترمذي: وهذا حديث حسن غريب، وقد روي هذا الحديث، عن محمود بن لبيد، عن النبي ﷺ، مرسلاً.

أخرجه أحمد ٤٢٧/٥، والترمذي (٢٠٣٦)، عن محمود بن لبيد: أن رسول الله ﷺ=

وفي حديث آخر: «**إن هذا الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم، وهما مهلكاكم**»[(١)].

وقال أيضًا: «**إن لكل أمة فتنة وعِجْلًا، وإن فتنة أمتي وعجلها المال**»[(٢)].

اسمه مال: أي مال بأهله عن الطاعة والأذكار، والدينار آخره نار، والدرهم آخره هم. وأنشد[(٣)]:

النار آخر دينار نطقت به ... والهم آخر هذا الدرهم الجاري

والمرء ما دام مشغوفًا بحبهما ... معذب القلب بين الهم والنار

فإذا أراد الله لك الفقر فقد خصَّك بما خصَّ به الأنبياء والأحباب؛ ليهون عليك العرض والحساب، فمن السعادة خفة الظهر، فإذا رزقك الله ثوبًا فلا تحسد صاحب ثوبين، وقل: عسى الملابس هيئت لي في الآخرة.

قال محمد بن واسع: رأيت كأني أنا وفلانًا - سماه - نستبق إلى

= قال: «**إن الله عز وجل ليحمي عبده المؤمن من الدنيا، وهو يحبه، كما تحمون مريضكم من الطعام والشراب، تخافونه عليه**».
قال أبو عيسى الترمذي: وقتادة بن النعمان الظفري هو أخو أبي سعيد الخدري لأمه، ومحمود بن لبيد قد أدرك النبي ﷺ، ورآه وهو غلام صغير.
وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» ١٠/٩٥ (١٠٠٦٩) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
وأخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٨٧٤٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٩٤)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٠٢٢) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.
وخرَّجه الألباني في «الصحيحة» (١٧٠٣).

(٢) أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» (٥٠١٩)، وذكره الغزالي في «الإحياء» ٤/٢٠٣، من حديث حذيفة رضي الله عنه، وعلق عليه العراقي بقوله: رواه أبو منصور الديلمي من طريق أبي عبد الرحمٰن السلمي من حديث حذيفة بإسناد فيه جهالة.

(٣) في (خ): قال بعضهم.

الجنة، فسبقني إليها، فقلت: بماذا سبقني؟ فقيل لي: كان له ثوب واحد ولك ثوبان[1].

وإذا رزقك الله تعالى كسرة يابسةً؛ فاشكره الذي يبَّس كسرتك، وليَّن قلبك.

وفي الخبر: يقول الله تعالى في بعض كتبه المنزلة: يا عبدي، إذا سقت لك كسرة تسد جوعتك، وخرقة تواري عورتك، وجعلت الحساب على غيرك، فما اصطنعت معك إلا معروفًا[2].

قال ابن السمَّاك: غنيمة المؤمن ما فاته من الدنيا[3].

وقال يحيى بن معاذ: العاقل المصيب من ترك الدنيا قبل أن تتركه، وبنى قبره قبل أن يدخله، وأرضى خالقه قبل أن يلقاه[4].

وقال الحسن البصري: المؤمن في الدنيا كالغريب، لا يجزع من ذُلِّها، ولا ينافس في عزها، للناس حال وله حال[5].

وبذلك وصَّى الحبيبُ: «**كُنْ في الدنيا كأنك غريب**»[6].

---

(1) ذكره القشيري في «رسالته» بهذا اللفظ: وقال بعضهم: رأيت كأنَّ القيامة قد قامت، وقيل: أدخلوا مالك بن دينار، ومحمد بن واسع الجنة! فنظرت أيهما يتقدم، فتقدم محمد بن واسع، فسألت عن سبب تقدمه، فقيل لي: إنه كان له قميص واحد، ولمالك قميصان.

ومحمد بن واسع بن جابر بن الأخنس الأزدي البصري العابد، الإمام الرباني القدوة، أحد الأعلام، توفي سنة (١٢٣هـ) رحمه الله تعالى.

(2) لم أقف عليه.

(3) لم أقف عليه. وابن السمَّاك هو الزاهد القدوة أبو العباس محمد بن صَبيح العجلي الكوفي (ت: ١٨٣) رحمه الله تعالى.

(4) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» ٩٤/٤.

(5) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٦٣٥٨)، وأحمد في «الزهد» ٢٦٢/١.

(6) وفي (ق): (وصَّى الحبيب لأبي الدرداء)، ولم أجده من حديث أبي الدرداء، وأخرجه أحمد في «مسنده» ٢٤/٢ (٤٧٦٤)، والبخاري في «صحيحه» (٦٤١٦)، وابن ماجه في «سننه» (٤١١٤)، والترمذي في «جامعه» (٢٣٣٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» ٣٩٨/١٢ (١٣٤٧٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٣٦٩/٣ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وفي حديث آخر: «**الغربة شهادة**»[1].

وفي «صحيح مسلم»: «**فطوبى للغرباء**»[2].

وقال: «**طلب الحقِّ غربة**»[3].

ثم اعلم بأن الغربة ليس هي الأسفار من مكان إلى مكان، والتشتت

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» ١١/٥٧ (١١٠٣٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، بلفظ: «**موت الغريب شهادة؛ إذا احتضر فرمى ببصره عن يمينه وعن يساره لم ير إلا غريبًا، وذكر أهله وولده، وتنفس فله بكل نفس تنفسه يمحو الله ألفي ألف سيئة، ويكتب له ألفي ألف حسنة**».
وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٤٢٥): موضوع.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢/٣٨٩ (٩٠٥٤)، ومسلم في «صحيحه» (١٤٥)، وابن ماجه في «سننه» (٣٩٨٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، بلفظ: «**إن الدِّين بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء**».
وأخرجه أحمد في «مسنده» ١/٣٩٨ (٣٧٨٤)، والدارمي في «سننه» (٢٧٥٥)، وابن ماجه في «سننه» (٣٩٨٨)، والترمذي في «جامعه» (٢٦٢٩) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، بلفظ: «**إن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء**». قيل: ومن الغرباء؟ قال: «**النزاع من القبائل**».
وأخرجه ابن ماجه في «سننه» (٣٩٨٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، بلفظ: «**إن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا، فطوبى للغرباء**».
وأخرجه أحمد في «مسنده» ٤/٧٣ (١٦٦٩٠) من حديث عبد الرحمٰن بن سَنَّةَ، بلفظ: «**بدأ الإسلام غريبًا، ثم يعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء**». قيل: يا رسول الله، ومن الغرباء؟ قال: «**الذين يصلحون إذا فسد الناس، والذي نفسي بيده لينحازن الإيمان إلى المدينة كما يحوز السيل، والذي نفسي بيده ليأرزن الإسلام إلى ما بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها**».
وأخرجه الترمذي في «جامعه» (٢٦٣٠) من حديث عمرو بن عوف المزني، بلفظ: «**إن الدين ليأرز إلى الحجاز كما تأرز الحية إلى جحرها، وليعقلن الدين من الحجاز معقل الأروية من رأس الجبل، إن الدين بدأ غريبًا ويرجع غريبًا فطوبى للغرباء؛ الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي**».

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٥/٢٣٨ من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
وقال الألباني في «ضعيف الجامع» (٣٦١٨): موضوع.

في البراري والبلدان والنفس معه، فمن رحل والنفس معه ما رحل، والرجل من رحل عن نفسه، يا لها من رحلة توصلك إلى الحبيب، والرحلة عن النفس هجران عاداتها المذمومة.

قال ﷺ: «**المهاجر من هجر ما حرم الله**»[1].

قال سري السَّقطيُّ: رأيت الحقَّ في المنام، فقلت: يا رب، كيف الطريق إليك؟ فقال: دع نفسك وتعال[2].

وكان شيخنا رحمة الله عليه يقول في قول الشاعر:

تـغـرَّبْ عـن الأوطـان فـي طـلـبِ الـغِـنَـى[3]

يقول: تغرَّبْ عن أوطان عاداتك وشهواتك.

إذا أراد الإنسان أن يدخل بستانًا في الدنيا لا يدخله حتى يفارق وطنه وأهله، فتريد أنت الدخول لبساتين الغيب بغير مفارقة! سافر تجد عوضًا عمن تفارقه، من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل، «من ترك شيئًا لله عوضه الله أمثاله»، وفي حديث آخر: «ما هو خيرٌ منه»[4].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ذكره الغزالي في «الإحياء» ٣٧٥/٤، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» ١١١/٤، والشاطبي في «الاعتصام» ١٩٨/١، من كلام أبي يزيد البسطامي.

(٣) في (خ): (تلتمس الغنى). كذا في النسخ: (الغنى). والصواب: (العُلَى)، وهو صدر بيت من أبيات تنسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وتنسب أيضًا إلى الشافعي رحمه الله، وهي:

تَغَرَّب عَنِ الأوطانِ في طَلَبِ العُلى ... وَسافِر فَفي الأَسفارِ خَمسُ فَوائِدِ
تَفَرُّجُ هَمٍّ وَاكتِسابُ مَعيشَةٍ ... وَعِلمٌ وَآدابٌ وَصُحبَةُ ماجِدِ
فَإِن قيلَ في الأَسفارِ ذُلٌّ وَمِحنَةٌ ... وَقَطعُ الفَيافي وَارتِكابُ الشَدائِدِ
فَمَوتُ الفَتى خَيرٌ لَهُ مِن قِيامِهِ ... بِدارِ هَوانٍ بَينَ واشٍ وَحاسِدِ

(٤) لم يرد بهذا الفظ، لكن أخرج أحمد ٧٨/٥ (٢٠٧٣٩)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٧٣١٥)، والشهاب القضاعي في «مسند الشهاب» (١١٣٥)، والبيهقي في=

قد طال هذا الباب، وليس هو من مقصود الكتاب، لكن يطيب للنفس ذكر الأحباب، وتتحسر على ما فاتها من هذه الخيرات والثواب.

وأيضًا فإنها تملُّ من اللون الواحد، فذكرنا لونًا آخر من صفات أهل الخير والفلاح.

ثم نرجع إلى ذكر التأهُّل والنكاح:

قال ﷺ: «**خير متاع الدنيا المرأة الصالحة**»[1].

فاحذر أيها المؤمن أن تنكح المرأة الصبيحة، صاحبة الأخلاق القبيحة، فتندم يوم القيامة، وتبقى في خجل وفضيحة، واقبل منِّي هذه النصيحة، ولا خير في وجهٍ صبيح وفعلٍ قبيح[2].

= «شعب الإيمان» (٥٧٤٨) من حديث رجل من البادية، بلفظ: أخذ رسول الله ﷺ بيدي، فجعل يعلمني مما علمه الله، فكان مما حفظه أن قال: «**لا تدع شيئا اتِّقاءَ الله، إلا أعطاك خيرًا منه**».

وإسناده صحيح.

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٢/١٩٦ من حديث عبد الله بن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «**ما ترك عبد شيئًا لله، لا يتركه إلا له، إلا عوضه الله منه ما هو خير له في دينه ودنياه**».

وقال أبو نُعيم: هذا حديث غريب من حديث الزهري، لم نكتبه إلا من هذا الوجه.

وقال الألباني في «الضعيفة» (٥): موضوع بهذا اللفظ، نعم صحَّ الحديث بدون قوله في آخره: «في دينه ودنياه». ثم ساق الحديث السابق عن الإمام أحمد، وقال: وسنده صحيح على شرط مسلم.

وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣٦) من كلام أبي بن كعب، قال: ما ترك عبد شيئًا لا يتركه إلا لله إلا أتاه الله بما هو خير منه من حيث لا يحتسب، ولا تهاون عبد أو أخذه من حيث لا يصلح له إلا أتاه الله بما هو أشد منه من حيث لا يحتسب.

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢/١٦٨ (٦٥٦٧)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٣٢٧)، ومسلم في «صحيحه» (١٤٦٧)، وابن ماجه في «سننه» (١٨٥٥)، والنسائي في «سننه» ٦/٦٩ (٣٢٣٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٠٣١)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٦٣٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٧/٨٠ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. وأوله: «الدنيا متاع، وخير...».

(٢) في (ق): (ووجه قبيح).

وقوله: «**تزوجوا الودود الولود...**» الحديث[1].

فسوداءُ وَلُودٌ خَيرٌ مِن بيضاءَ عقيم، والأبكار أعذب أفواهًا، وأنتق[2] أرحامًا، وأرضى باليسير، وكذلك ينبغي للمرأة أن تختار الرجل الصالح، فإن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها.

ولا يزوج الرجل ابنته الصغيرة للشيخ الكبير، ولا لرجل دميم؛ لأن نفس الشابة لا تحبهما، ولا يقيم الإنسان مع من يكرهه إلا أن يكون صالحًا راضيًا بما قسم الله تعالى له، كما قيل: إن رجلاً تزوج، فلما خلا بزوجته ما أعجبته، فانعزل عنها، فلما أراد الخروج إلى الصلاة ـ صلاةِ الصبح ـ تعلقت به، وقالت: أنت[3] لما أردت زواجي ما استخرت الله تعالى؟ قال: بلى[4]. قالت: فالله سبحانه اختارني لك، أما ترضى أنت بذلك؟ فقال: رضيت. وواقعها[5]، فجاءت بولدٍ، وهو مالك ابن أنسٍ، صاحب المذهب رحمه الله.

ولا يزوِّجُ الإنسان ابنتَه أو كريمته من فاسق.

قال بعض الصحابة: من زوَّج كريمته لشارب خمر؛ فكأنما ساقها للزِّنى.

وقال الشعبي: من زوج كريمته لفاسق فقد قطع رحمها[6].

ومن السنة أن لا تؤخَّر المخطوبة البالغة إذا خطبها الكفؤ، وهو المسلم التقي القادر على الكسوة والنفقة؛ لأن الزواج ستر للنساء والبنات، وللتأخير آفات.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) نتقت المرأة والناقة تنتق نتوقًا، وهي ناتق ومنتاق كثر ولدها، والناتق والمنتاق الكثيرة الأولاد، ويقال للمرأة: ناتق؛ لأنها ترمي بالأولاد رميًا، والنتق الرمي والنفض. «لسان العرب» مادة: نتق.

(٣) في (خ): (وقالت البنتُ).

(٤) في (ق): نعم.

(٥) في (خ): فرضي وتزوجها.

(٦) أخرجه ابن حبان في «الثقات» ٨/٢٣٠.

والوليمة سنة ولو بشاة، أو ما تيسر من الطعام للعجز، ويسمّي الرجل عند المجامعة ويستعيذ من الشيطان، فإن خلق الله تعالى منه نسمة لم يضرها الشيطان، وتنشأ مباركة طائعة.

ومن السُّنة: تحسين الاسم وهو ما حُمِّد وما عُبِّد[1]، وهذا حسن؛ فإن سماه باسم نبي فهو أحسن[2]؛ لأنه يدعى يوم القيامة باسمه واسم أبيه[3]، ويعلمه الأدب؛ فإنه يسأل عن ولده يوم القيامة.

ومن السُّنة: أن يحسن الإنسان خُلقه مع أهله، ففي الخبر أن خَيرَ النَّاس أحسنهم خُلقًا مع أهله، وأنفعهم لعياله[4]، والسعي على الأرامل والمساكين هو جهاد في سبيل الله تعالى، وأفضل من قيام الليل وصيام

---

(١) ذكره السخاوي في «المقاصد الحسنة» ٨٧/١، والعجلوني في «كشف الخفاء» ٩١/١.
قال السخاوي: ما علمته. وقال العجلوني: قال النجم: باطل.
وقال الألباني في «الضعيفة» (٤١١): لا أصل له.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣٤٥/٤ (١٩٠٣٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨١٤)، وأبو داود في «سننه» (٤٩٥٠)، والنسائي في «المجتبى» ١٢٨/٦(٣٥٦٥)، وفي «الكبرى» (٤٤٠٦) من حديث أبي وهب الجشمي: «**تسموا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله: عبد الله، وعبد الرحمٰن، وأصدقها: حارث، وهمام، وأقبحها: حرب، ومرة**».
قال الألباني في «الإرواء» (١١٧٨): ضعيف.

(٣) في (ق، ط): أمه.

(٤) أخرجه الدارمي في «سننه» (٢٢٦٥)، والترمذي في «جامعه» (٣٨٩٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٤١٧٧) من حديث عائشة بلفظ: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي، وإذا مات صاحبكم فدعوه**». وللحديث شواهد عن ابن عباس، وأبي هريرة، وأبي سلمة.
قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب صحيح.
قال الألباني في «الصحيحة» (٢٨٥): صحيح.
وليس في الحديث: (أنفعهم لعياله)، لكنه من مفهوم الحديث، كما ورد في النفقة على العيال أحاديث صحيحة، منها قوله ﷺ: «**أفضل دينار ينفقه الرجل، دينار ينفقه على عياله، ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله**». أخرجه مسلم (٩٩٤).

النهار[1]، كذا جاء في الأخبار، فانظر إلى هذه المنَّة، واسمع قوله ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة**»، وأشار بإصبعيه ﷺ[2].

فقد تقدم أنَّ الشرع نهى عن زواج المرأة الصبيحة، صاحبة الأفعال القبيحة[3]. وأشرُّ من ذلك: مَن زنا بامرأة ثم تزوجها؛ ذهب بعض العلماء أنه لا يجوز، وجوَّزه الباقون[4]. وكذا من تزوج ابنته من الزِّنى حرَّمه جماعة، وجوَّزه الباقون[5]. وكذلك المحلِّل، يزوَّج بشرط التحليل، جوَّزه جماعة[6]، وحرَّمه[7] الذي حرم نكاح الابنة من الزِّنى، فهو أبو حنيفة رضي الله عنه[8]، وكان من المحتاطين في دين الله، والذي أباح ذلك فهو الشافعي رضي الله عنه والباقون[9]، وتركنا الدليل خوفًا من التطويل.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣٦١/٢ (٨٧٣٢)، والبخاري في «صحيحه» (٥٣٥٣)، ومسلم في «صحيحه» (٢٩٨٢)، وابن ماجه في «سننه» (٢١٤٠)، والترمذي في «جامعه» (١٩٦٩)، والنسائي في «المجتبى» ٨٦/٥ (٢٥٧٧)، وفي «الكبرى» (٢٣٥٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٢٤٥) من حديث أبي هريرة بلفظ: «**السَّاعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل، والصائم النهار**».

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣٣٣/٥ (٢٢٨٧١)، والبخاري في «صحيحه» (٥٣٠٤) و(٦٠٠٥)، وأبو داود في «سننه» (٥١٥٠)، والترمذي في «جامعه» (١٩١٨) من حديث سهل بن سعد.
وأخرجه أحمد في «مسنده» ٣٧٥/٢ (٨٨٨١)، ومسلم في «صحيحه» (٢٩٨٣) من حديث أبي هريرة.

(٣) ضعيفٌ جدًا: أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٩٥٧) من حديث أبي سعيد بلفظ: «**إياكم وخضراءَ الدِّمَن**». فقيل: يا رسول الله، وما خضراء الدمن؟ قال: «**المرأة الحسناء في المنبت السوء**».

(٤) «الحاوي» ٤٩٢/٩ ـ ٤٩٣.

(٥) «الحاوي» ٨٩٠/١١.

(٦) «المبسوط» للسرخسي ١٦/٦.

(٧) الذي حرمه الشافعي وليس أبا حنيفة كما ذكر، انظر «الأم» ٧٩/٥ ـ ٨٠.

(٨) «البحر الرائق» ٩٩/٣.

(٩) «المجموع» ٢٢٢/١٦.

ولا يجوز النكاح إلى بعض الأيام، أو إلى بعض الشهور والأعوام، كما فعله في طريق الحجاز بعض العَوام، فيتزوج المرأة إلى فروغ الحج والإحرام، فيقع بجهله في الباطل والحرام، وهذا زواج معلول؛ لخروج فاعله عن طريق الرسول[1]، وهو دليل على قلَّة قبول الحجِّ، والطرد وحرمان الوصول.

ومعنى قوله ﷺ: **«تلاعبها وتلاعبك»**[2].

اعلم أن اللعب كمين[3] في الحيوان والآدمي، فإذا أخرجه الإنسان فيما أحلَّ الله له فيستغني بذلك عن ما حرم الله عليه. فيجوز اللعب مع الزوجة والأولاد والمرح[4] مع العباد، إلا أن يكون غلامًا حسن الوجه، أو امرأةً أجنبية فيحرم، ويكره المرح[5] مع الظَّلَمة وأعوانهم، والفسقة وإخوانهم، وإن أمكن أن لا ينظر المسلم لهم فليفعل؛ لأنهم ساقطون من عين الله تعالى. وكان بعض المشايخ يخرج بمريديه إلى البستان، ويقول لهم: تفرَّحوا[6]، فكانوا يمزحون ويرقصون ويترامون بقشور البطيخ، فقيل للشيخ: لم تأمرهم بهذا؟ قال: حتى يخرج اللعب في شيء أبيح لهم، ولا يخرج في شيء حرم عليهم، ولكي لا تملَّ النفس من العبادة؛ فيعمل لهم هذا في بعض الأحيان.

وقال ﷺ: **«كل لهو يلهو به الرجل فهو باطل، غير ثلاث: ملاعبة**

---

(١) وهو زواج المتعة، وقد أجمع العلماء على تحريمه.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣/ ٣٠٨، ٣٦٢ (١٤٨٩٧، ١٤٣٠٦)، والدارمي في «سننه» (٢٢١٦)، والبخاري في «صحيحه» (٢٣٠٩)، و(٥٠٨٠)، ومسلم في «صحيحه» (٧١٥)، وابن ماجه في «سننه» (١٨٦٠)، وأبو داود في «سننه» (٢٠٤٨)، والترمذي في «جامعه» (١١٠٠)، والنسائي في «المجتبى» ٦/ ٦١ (٣٢١٩)، وفي «الكبرى» (٥٣٢٧) من حديث جابر.

(٣) كَمِينٌ: بمعنى كامِن أي مختفي متواري. «لسان العرب» مادة: كمن.

(٤) في (خ): المزح.

(٥) في (خ): والمزح.

(٦) في (خ): تفرجوا. وفي (ط): اخرجوا.

الرجل أهله، وتأديبه لفرسه، ورميه عن قوسه»[1]، فهذا ـ وما كان في معناه ـ هو من الحق، وتحضره ملائكة رب العالمين، واللهو والباطل تفرُّ منه الملائكة وتحضره الشياطين.

وكان ﷺ في بعض الأحيان يلاعب الأهل، ويمزح مع الإخوان؛ تبيينًا لجواز ذلك إذا كان حقًّا، وكان في أكثر أوقاته قد شُغل عن ذلك كله بخوف الرحمٰن، فلم يُرَ ضاحكًا قطُّ. وكان إذا سمع أو رأى ما يعجبه تبسَّم، فكان ضحكه تبسُّمًا[2]. فيا حسرة من عصى الله وضحك، وخالف الواحد المنان.

وروي أن النبي ﷺ لم يتزوج بكرًا غير عائشة رضي الله عنها[3]. وكانت من أحب نسائه إليه[4]، وأعلم بأحكام الشرع، فلما كانت ليلة عائشة

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرج أحمد ١٠٥/٥ (٢٠٨١٠)، والترمذي (٣٦٤٥) عن جابر بن سمرة، قال: كان النبي ﷺ لا يضحك إلا تبسمًا.
وأخرجه الترمذي (٣٦٤٢)، وفي «الشمائل» (٢٢٨) عن عبد الله بن الحارث بن جزء، مثله.
قال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب.
وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٤٨٦١).
وأخرج أحمد ٦٦/٦ (٢٤٣٦٩)، والبخاري (٤٨٢٨)، ومسلم (٨٩٩)، وأبو داود (٥٠٩٨) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعًا ضاحكًا، حتَّى أرى منه لهواته، إنما كان يتبسَّم.
قال السندي في «حاشية المسند»: قولها: لهواته، بفتحتين جمع لهاة بفتح: وهي اللحمات في سقف أقصى الفم، وقيل: هي اللحمة الحمراء المعلقة في أصل الحنك.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٥٠٧٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٣٣١) من حديث عائشة، بلفظ: قلت: يا رسول الله، أرايت لو نزلت واديًا وفيه شجرة قد أكل منها، ووجدت شجرًا لم يؤكل منها، في أيها كنت ترتع بعيرك؟ قال: «**في التي لم يرتع منها**». تعني أن رسول الله ﷺ لم يتزوج بكرًا غيرها.

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» ٢٩/٢٣ (٧٤) من حديث عائشة، قالت: كنت أحب نسائه إليه.
وأخرج أحمد في «مسنده» ٢٠٣/٤ (١٧٨١١)، والبخاري في «صحيحه» (٣٦٦٢)، =

دخل معها ﷺ الفراش[1]، فلما لصق جسده بجسدها استأذنها وقام للوضوء، وبكى حتى بلَّ الأرض، وأطال السجود حتى ظنت عائشة أن الله سبحانه قد قبض نبيه، ثم دخل عليه بلال فوجده يبكي، فقال: أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فقال ﷺ: **«أفلا أكون عبدًا شكورًا»**[2].

هذا فعل السيد المعصوم، وأنت تعصي وتضحك يا أيها المحروم.

ويكره للمرأة أن تتزيا بزيِّ الرجال، ويكره أيضًا للرجل التشبه بالنساء؛ لقوله ﷺ: **«لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال، والمتشبهين من الرجال بالنساء»**[3].

مثل ذلك كامرأة تترك الخمار والقناع، وتلبس أقبية[4] الرجال والأقباع[5].

وجاء في «صحيح مسلم»: أن النبي ﷺ قال: **«صنفان من أمتي من[6]**

= ومسلم في «صحيحه» (٢٣٨٤)، وابن ماجه في «سننه» (١٠١)، والترمذي في «جامعه» (٣٨٨٥)، والنسائي في «الكبرى» (٨٠٦٣) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته، فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: **«عائشة»**، قلت: من الرجال؟ قال: **«أبوها»**، قلت: ثم من؟ قال: **«عمر»**، فعدَّ رجالاً.

(١) في (ق): في الفراش.

(٢) أخرجه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤٦١٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢٠).
قال الألباني في «الصحيحة» (٦٨): هذا إسناد جيد، رجاله كلهم ثقات. وقال في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٤٦٨): حسن.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) الأقبية: جمع قباء، وهو الثوب المفرج المضموم وسطه. فارسي معرب، وقيل: عربي واشتقاقه من القبو. «لسان العرب» مادة: قبو.

(٥) الأقباع: ما يغطي به الرجل رأسه ووجهه ليتخفى عن أعين الناظرين. وهو من القَبْع بمعنى تغطية الرأس بالليل لرِيبة. «لسان العرب» مادة: قبع.

(٦) في (ق): في.

أهل النَّار لم أرهما: رجال معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها النَّاس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»[1].

وهاتان البدعتان[2] المشؤومتان أخبر ﷺ عنهما قبل ظهورهما بستِّ مئةِ سنةٍ وكسور من الهجرة المحمدية؛ ونسأل الله تعالى السلامة من البدع والأفعال الرَّدية.

وينبغي أيضًا للرجل أن لا يتشبه بالنساء: كلُبْسِ الثوب المعصفر، والسراويل القزواني، ويحرم عليه التقنُّع، ويكره الطيلسان لكل إنسان، ويباح لمن به عذر.

ولعن ﷺ عشرًا: الواصلة، والمستوصلة، والنامصة، والمتنمصة، والواشمة، والموشومة، والناشرة، والمتنشرة[3].

فالواصلة: هي التي تصل شعرها بشعر غيرها ليكثر.

والنامصة: هي التي تنتف حواجبها لترققها.

والواشمة: هي التي تجعل الحبر في ذراعيها وخديها.

والناشرة[4]: هي التي تنشر أسنانها لتصير فلجًا.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢/٣٥٥، ٤٤٠ (٨٦٦٥، ٩٦٨٠)، ومسلم في «صحيحه» (٢١٢٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٤٦١).

(٢) في (ق): الخصلتان.

(٣) لم أجده بهذا اللفظ، وأخرجه البزار في «مسنده» (١٦٠٠)، والطبراني في «الكبير» ١٠/٩٢ (١٠٠٥٧)، وفي «الأوسط» (٨٣٠٣) من حديث ابن مسعود بلفظ: أنه لعن آكل الربا، وموكله، وشاهديه، وكاتبه، والواصلة، والمستوصلة، والواشمة، والموشومة، والنامصة، والمتنمصة، ونهى عن النوح. وسبق تخريجه بلفظ: «لعن الله الواصلة...» وهناك ألفاظ وطرق كثيرة لهذا الحديث.

(٤) الناشرة: واحدة النواشر وهي عروق باطن الذراع «لسان العرب» مادة: نشر. والتعريف الذي ذكره المؤلف تعريف الواشرة وليس الناشرة، والحديث ورد بلفظ: «لعن الواشرة» عند أحمد ١/٤١٥ (٣٩٤٥)، والنسائي ٨/١٤٦. والواشرة: التي ترقق أسنانها للفلجة. أما الناشرة فلا ذكر لها في هذا الحديث. وانظر «لسان العرب» مادة: وشر.

ومن البدعة أن يُؤمِّن العريس[1] رجلاً أو امرأة في تزويج امرأة، فيقولان للمرأة القبيحة: هي صبيحة. فيكذب، ويقول: كذبنا عند العريس جَبْرًا لهذه المسكينة. أو كَذَبَ؛ لأخذِه من أهل العروسة شيئًا. فيقال له: أكلت الحرام، وخرجت عن سنة النبي عليه الصلاة والسلام، فإن لم يأخذ شيئًا، وعمل ذلك جبرًا للعروسة؛ فهو أيضًا خارج عن السنة خائن، ومن خان فقد هان، وإن جبر بكذبه للعروسة، فقد كسر العريس. وكذلك إذا استشار المؤمن أخاه المسلم في زواج أو طلاق أو في سفر أو إقامة أو بيع أو شراء، أو غير ذلك من أمور الدنيا والآخرة، فأشار عليه بغير المصلحة فقد خانه وغشه؛ والله تعالى: ﴿لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢].

وقال ﷺ: «**من غش أمتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**»[2].

وقال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

وقال صلوات الله عليه وسلامه: «**المستشار مؤتمن**»[3].

فيخاف على من لم يؤدِّ الأمانة أن لا يرزقه الله تعالى أمانه. فمن اجتهد في زواج امرأة جميلة فوقع في واحدة ذميمة، فرضي عن الله تعالى فيما قدره رضي الله عنه، وكتبه في اللوح المحفوظ ممن عبده وحمده وشكره. قال المولى: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ

---

(١) يقال لكل من الرجل والمرأة ما داما في عرسهما: (العروس)، أما تخصيص الرجل بلفظ: (العريس) فمحدَثٌ.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه أبو داود في «سننه» (٥١٢٨)، وابن ماجه في «سننه» (٣٧٤٥)، والترمذي في «جامعه» (٢٨٨٢) من حديث أبي هريرة.
وأخرجه أحمد في «مسنده» ٥/٢٧٤ (٢٢٣٦٠)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٢٣٥)، والدارمي في «سننه» (٢٤٤٩)، وابن ماجه في «سننه» (٣٧٤٦) من حديث ابن مسعود.
قال الترمذي: هذا حديث حسن. وقال الحاكم في «المستدرك» ٤/١٣١: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
وقال الألباني في «الصحيحة» (١٦٤١): صحيح.

﴿خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]. فيقال لهذا يوم القيامة: تركتَ مرادك لمرادنا، أهلاً بك يا عبدنا.

فإن رزق الله العبد امرأة جميلة لكن فظَّة غليظة، فيصبر على سوء خلقها لإخماد نفسه، فربما صعَّب خلقَها عليك، شفقة منه عليك، لكي لا تميل إليها بالكلية، فتقع في مصيبة عظيمة وبلية، وتصير عبدًا للزوجة، لا عبد خالق الوجود والبريَّة. قال صلوات الله عليه وسلامه: «**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الزوجة**»(١).

قال العلماء: عبد الدرهم والدينار: من لا يؤدي الزكاة. وعبد زوجته: من يشتغل بها عن الله تعالى وخدمته.

فإذا توقَّفت عليك الأشياء، أو تصعَّب عليك خلق زوجتك، فأصلح ما بينك وبين الله تعالى يُصلح الله ما بينك وبين الناس، فما توقفت عليك الأشياء إلا لتوقفك أنت. قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

عن بعض الصالحين قال: إذا عصيت الله تعالى أعرف شؤم ذلك في خلق زوجتي ودابتي(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٢٨٨٦) و(٢٨٨٧)، وابن ماجه في «سننه» (٤١٣٥) و(٤١٣٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٢١٨) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبدٍ آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرَّة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شَفَعَ لم يُشفَّع**».

أما زيادة: «تعس عبد الزوجة» فقد أوردها الغزالي في «إحيائه»، وقال ابن السبكي في «الطبقات الكبرى» ٣١١/٦، والحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (١٤٧٦): لم أقف له على أصل.

(٢) ذكره ابن الجوزي في «ذم الهوى» ١٨٥، قال: قال الفضيل بن عياض: إني لأعصى الله فأعرف ذلك في خلق دابتي وجاريتي. وذكره المناوي في «التيسير في شرح الجامع الصغير» ٦٧١/٢ بلفظ: «**إني لأعرف ذنبي في سوء خلق غلامي وحماري وزوجتي**».

وقال الفقيه أبو الليث ـ رحمة الله علينا وعليه ـ: دخل رجل السوق ليشتري فرسًا للجهاد، فرأى برذونًا يُنادَى عليه بأربعين درهمًا، فقال: ما باله بهذا الثمن؟ قالوا: فيه عيوب وقت الحاجة يصير حرونًا[(١)]، إنْ طُلِبَ لم يُلحق، وإنْ طَلَبَ لَحِق. فاشتراه بأربعين، وجاء عند أُذن البرذون، وقال: أيها البرذون، إني[(٢)] قد تركت عيوبي فاترك أنت أيضًا عيوبك. فحرك البرذون رأسه، فغزا على البرذون، فلم يفعل البرذون شيئًا مما كان عليه[(٣)].

كان السلف الصالح إذا رأى الأخ أخاه يوصيه بثلاث: مَن عمِل لآخرته كفاه الله أمر دنياه، ومَن أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومَن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس[(٤)].

واسمع قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٨٩، ٩٠].

ثم اعلم بأن للرجال على النساء حقوقًا، ولهن أيضًا على بعولتهن حقوقًا.

ورُوي: أنَّ مِن حق الزوج على زوجته أن لا تمنعه نفسها، ولو كانت

---

(١) دابة حرون: التي إذا استُدِرَّ جَرْيُها وقَفَتْ. وفَرَسٌ حَرُونٌ: لا يَنْقادُ، وإذا اشْتَدَّ به الجَرْيُ وَقَفَ. «لسان العرب» مادة: حرن.

(٢) في (خ): أنا.

(٣) لم أجده. وأبو الليث هو الفقيه الحنفي: نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣) رحمه الله، ولم أجد هذا النقل في «تفسيره»، ولا في «تنبيه الغافلين»، فلعله في «بستان العارفين»، أو غيره، والله أعلم.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٦١٣٥) و(٣٦٦٢١)، وهناد في «الزهد» (٥٢٨) عن أبي عون ـ وهو محمد بن عبيد الله بن سعيد، أبو عون الثقفي الكوفي الأعور ـ قال: كان أهل الخير إذا التقوا يوصي بعضهم بعضًا بثلاث، وإذا غابوا كتب بعضهم إلى بعض بثلاث: من عمل لآخرته كفاه الله دنياه، ومن أصلح ما بينه وبين الله كفاه الله الناس، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته.

على ظهر قتب، ولا تصوم تطوعًا إلا بإذنه، فإن خالفته وصامت كان الأجر له والوزر عليها، ولا تخرج من البيت إلا بإذنه، فإن خرجت لعنتها الملائكة إلى حين ترجع[(1)].

---

(1) أخرجه الطيالسي في «مسنده» (١٩٥١)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧٤٠٩)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٨١٣)، والبيهقي في «الكبرى» ٢٩٢/٧ من حديث ابن عمر قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ما حق الزوج على الزوجة؟ فقال: «**لا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب، ولا تعطي من بيته شيئًا إلا بإذنه، فإن فعلت ذلك كان له الأجر وعليها الوزر، ولا تصوم تطوعًا إلا بإذنه، فإن فعلت أثمت ولم تؤجر، وأن لا تخرج من بيته إلا بإذنه، فإن فعلت لعنتها الملائكة ـ ملائكة الغضب وملائكة الرحمة ـ حتى تتوب أو ترجع**». قيل: وإن كان ظالمًا؟ قال: «**وإن كان ظالمًا**».

قال الألباني في «الضعيفة» (٣٥١٥): ضعيف.

وصحَّ بعضه في غير هذا الحديث:

أخرج أحمد ٣٨١/٤ (١٩٤٠٣)، وابن ماجه (١٨٥٣)، عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه، قال: لما قدم معاذ من الشام سجد للنبي ﷺ، قال: «**ما هذا يا معاذ؟**» قال: أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم، فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك؟ فقال رسول الله ﷺ: «**فلا تفعلوا، فإني لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها، ولو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه**».

وهذا حديث صحيح، له شواهد، خرَّجها الألباني في «الصحيحة» (١٢٠٣) و(٣٣٦٦)، وفي ذكر الشام خلاف، وفي بعض الطرق: (اليمن) وهو الأصح.

وأخرج أحمد ٣١٦/٢ (٨١٧٣) والبخاري (٢٠٦٦)، ومسلم (١٠٢٦)، وأبو داود (١٦٨٧) و(٢٤٥٨) عن همام بن منبه، قال: هذا ما حدثنا به أبو هريرة، عن رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «**لا تصوم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته وهو شاهد إلا بإذنه، وما أنفقت من كسبه، عن غير أمره، فإن نصف أجره له**». وفي رواية: «**إذا أنفقت المرأة من كسب زوجها، عن غير أمره، فله نصف أجره**».

وأخرج أحمد ٧/٢ (٤٥٢٢)، والبخاري (٨٧٣)، ومسلم (٩١٩) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: عن النبي ﷺ، قال: «**إذا استأذنت امرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها**».

وقوله: (على ظهر قتب): القَتَب للجَمل كالإكاف لغيره. ومعناه الحثُّ لهنّ على مُطاوعة أزواجِهن وأنه لا يَسعُهُنّ الامتناع في هذه الحال فكيف في غيرها. وقيل: إن نِساء العرب كُنَّ عند الولادة يجلسْنَ على قَتَب البعير، ويقلن إنه أسْلسُ لخرُوج الولد.

وينبغي للمسلم أن لا يمكِّن زوجته من الخروج؛ لأن خروجها فتنة، وهي عورة، فإن كان لا بدَّ لها (فتخرج بالليل)[1]، فإن اضطرت للخروج بالنهار فلا تتزيَّن ولا تتعطر؛ لكي لا تشغل قلب الغافل المغتر، فتأثم هي وزوجها، والسلامة أن تحمل بَذْلتها وحليها، وتلبس ذلك[2] في المكان الذي تذهب إليه.

ولا تهب المرأة شيئًا من متاع الزوج إلا بإذنه، فإن فعلت كان الأجر له والإثم عليها، بخلاف الصدقة على السائل والمحروم، فإن صلت ولم تدع لزوجها ردَّت عليها صلاتها[3]، وهذه الكلمات وردت بها السنة، ونسأل الله النجاة من النار والفوز بالجنة.

قال ﷺ في خطبته: «**إن لكم على نسائكم حقًّا، وإن لهن عليكم حقًّا، وإن من حقكم عليهن أن يحفظن فرشكم، ولا يأذنَّ في بيتكم لأحدٍ تكرهونه، ولا يأتين بفاحشةٍ مبينة، فإن فعلن ذلك فقد أحل الله لكم أن تضربوهن ضربًا غير مبرح، وإن من حقِّهن عليكم الكسوة والنفقة بالمعروف**»[4].

وقال العلماء: مَن تزوج ونيَّته أن لا يؤدي الصَّداق فهو زَانٍ، ومن استدان ونيته أن لا يؤدي دينه فهو سَارق[5].

---

(١) في (ق): فبالليل.

(٢) في (خ): (وتلبسها). وقوله: (بدلتها) في بعض النسخ بالذال، والصواب ما أثبته، والبدلة: الحلة التي تلبس خارج البيت عادة، محدثةٌ، كما في «المعجم الوسيط».

(٣) هذا باطل، وقد ذكره أبو الليث السمرقندي في «تنبيه الغافلين» (٨١٢) من غير إسناد، فقال: وعن الحسن، عن النبي ﷺ، أنه قال: «إذا هربت المرأة من بيت زوجها لم تقبل لها صلاة حتى ترجع وتضع يدها في يده، وتقول: اصنع بي ما شئت. وإن المرأة إذا صلت ولم تدع لزوجها ردت عليها صلاتها، حتى تدعو لزوجها». (ت)

(٤) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (١٨٥١)، والترمذي في «جامعه» (١١٩٣، ٣٠٨٧)، والنسائي في «الكبرى» (٩١٦٩) من حديث عمرو بن الأحوص.
قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. وقال الألباني في «الإرواء» (١٩٩٧): حسن.

(٥) وقد صحَّ هذا مرفوعًا، أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١٨٥١) عن ميمون الكردي، عن أبيه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أيما رجل تزوج امرأة على**=

وفي الحديث: «**إن الله تعالى مع المدين حتى يوفي دينه**»[1].

وصحَّ في الحديث: أن الدينار الذي ينفق على العيال أفضل من الدينار الذي ينفق في سبيل الكبير المتعال[2].

وقال صلوات الله عليه وسلامه: «**من قلَّ ماله، وكثر عياله، وحسنت صلاته، ولم يَغْتَب المسلمين، جاء معي يوم القيامة هكذا**». وأشار بإصبعيه ﷺ[3].

فانظر - رحمك الله تعالى! - إلى بركة العيال، وإلى ما أعد لمن أحسن إليهم العزيز الغفار، بل جعل الله النفقة عليهم أفضل من النفقة في سبيله، وجعل البنات سترًا للأبوين من النار.

= **ما قل من المهر أو كثر ليس في نفسه أن يؤدي إليها حقها، خدعها فمات، ولم يؤد إليها حقها، لقي الله يوم القيامة وهو زانٍ، وأيما رجل استدان دينًا لا يريد أن يؤدي إلى صاحبه حقه، خدعه حتى أخذ ماله فمات، ولم يؤد دينه لقي الله وهو سارق**».
وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٨٠٧).
وأخرج ابن ماجه (٢٤١٠) من حديث صهيب الخير، عن رسول الله ﷺ قال: «**أيما رجل يَدِينُ دينًا، وهو مجمع أن لا يوفيه إياه، لقي الله سارقًا**».
وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه».

(١) أخرجه الدارمي في «سننه» (٢٥٩٥)، وابن ماجه في «سننه» (٢٤٠٩) من حديث عبد الله بن جعفر رضي الله عنه.
قال الحاكم في «المستدرك» ٢٣/٢: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الألباني في «الصحيحة» (١٠٠٠): صحيح.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢٧٩/٥ (٢٢٤٠٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٤٨)، ومسلم في «صحيحه» (٩٩٤)، وابن ماجه في «سننه» (٢٧٦٠)، والترمذي في «جامعه» (١٩٦٦)، والنسائي في «الكبرى» (٩١٨٢) عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل دينار ينفقه الرجلُ دينار ينفقه على عياله، ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله**». قال أبو قلابة: وبدأ بالعيال. ثم قال أبو قلابة: وأي رجل أعظم أجرًا من رجل ينفق على عيال صغار يعفهم، أو ينفعهم الله به، ويغنيهم.

(٣) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» ٢٧٦/٢ (٩٩٠)، والطبري في «تهذيب الآثار» (٤٨٨)، والخطيب في «تاريخ بغداد» ٢٥٩/١١، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٤/٥٦ من حديث أبي سعيد الخدري، قال الألباني في «الضعيفة» (٥٢٧٠): موضوع.

وهذه الكلمات مأخوذة مما صح في الأخبار[١]، فمن لم يعرف قدر هذه النعمة وانقبض لوجود البنت فليتبوأ مقعده من النار؛ وذلك لقلة الرضى بالقضاء، ولموافقته لمن غضب الله عليهم ولعنهم وجعلهم وقود النار؛ قال المولى الكريم: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨﴾ [النحل: ٥٨]. هذا الخطاب في صفات مشركي العرب. وأما المؤمن الصادق لو ولدت زوجته حجرًا لوضعه على رأسه، ولأخذه الفرح والطرب؛ وذلك لقوة الرضى عن خالقه، فكيف لا يرضى الله تعالى عن هذا العبد، ويبلغه المقصود والأرب[٢]، ويعطيه ما سأل وطلب. قال تعالى: ﴿رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]. وقال ﷺ: «**من رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط**»[٣]. فمن رضي عن الله عز وجل فيما قدره رضي الله عنه، وكتبه في اللوح المحفوظ ممن عبده وحمده وشكره.

فيجب على المؤمن أن لا ينقبض لوجود هذه البُنَيَّة، ولا يغضب على أمها، ولا يَسُبُّ ساعتها؛ لأن الحق سبحانه وهبها له، وهي نشأة طرية، توحِّد الله تعالى، وتصلي على خير البرية، وتدخل السرور على قلبه، ويباهي بها[٤] ﷺ الأمم يوم القيامة، وتكون في ذلك اليوم سببًا لنجاة أبويها[٥] من الشدائد والبلية.

فاقبل مني هذه الوصية، ولا تتهاون في هذه القضية؛ فتسقط من رحمة[٦] الله تعالى، وتخرج عن السنة المضية[٧]، فليس لأحد مشيئة

---

(١) في (خ): (من الأخيار). وقد تبيَّن من التخريج أن في تلك الأخبار ما لم يصح.

(٢) في (ق): والطرب.

(٣) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (٤٠٣١)، والترمذي في «جامعه» (٢٣٩٦).
قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.
وقال الألباني في «الصحيحة» (١٤٦): سنده حسن.

(٤) في (خ): الله بها والنبي.

(٥) في (خ): لأبويها.

(٦) في (ق): عين.

(٧) في (ط): المضيئة.

ولا اختيار[1]، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُۗ﴾ [القصص: ٦٨].

قال المولى الغفور: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩]. فسلِّم لربوبيته، وكن من جملة العبيد، يأتيك من الله الخير والمزيد، ويعطيك فوق ما تريد.

ثم اعلم بأن في تربية الولد أجر عظيم وخير! وتربية البنت أكثر أجرًا وأخير[2]؛ لأن الولد يساعد أباه في الإقامة والأسفار، والبنت قد سجنها الشرع في المضرب أو الدار، وأمر لها الرسول بالكسوة والنفقة، ونهاها عن الخروج والدخول إلا لحاجة ضرورية، فافهم ما أقول.

قوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ۝٤٦﴾ [الكهف: ٤٦]؛ قال بعض العلماء: الباقيات الصالحات هنَّ البنات[3].

وقد جاء في الكتاب العزيز والخبر في أجرهن ما لا يحتمله هذا المختصر، فاقبل أيها المملوك هدايا الملوك، واعلم وتحقق أنه لو اجتمع كل عالم وعارف، وحكيم وولي، وكل مبتدع وفيلسوف وشقي لن يخلقوا ذبابة، ولعجزوا عن جبر كسر رجل نملة، ولن يصلوا جناح بعوضة، ولو جمع أحدهم مجهوده كله ودأبه.

مرَّ بعض الصالحين بكلبٍ فاستقذره، فنودي في سرِّه: أن اخلق مثله! فما سخر بعدها من شيء.

وقال بعض[4] المشايخ: أخاف أن أسخر من كلب فأحوَّل كلبًا[5].

---

(١) في (خ): إشاة ولا اختبار.

(٢) في (ق): وخير. وفي (ط): وخيرًا.

(٣) ذكره القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» ١٠/٤١٥.

(٤) في (خ): أحد.

(٥) لم أجده.

فسبحان من له الخلق والتصوير، والحكم والإشارة[1] والتدبير، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، نعم المولى ونعم النصير.

نرجع إلى مسألة المرأة:

قال ﷺ: «**إذا صلَّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وأطاعت بعلها، وأحصنت فرجها، تدخل من أي أبواب الجنة شاءت**»[2].

وقال ﷺ: «**إذا حبلت المرأة من بعلها فأجرها كأجر من صام النهار وقام الليل، وغزا[3] في سبيل الله، ولها بكل طلقة عتق رقبة[4]، وبكل رضعة عتق رقبة[5]، فإذا فطمته ناداها منادٍ من السماء: كُفيتِ العمل فيما مضى، فاستأنفي العمل فيما بقي**»[6].

والسُّنة أن يسمى المولود[7] يوم السابع[8]، وإن سماه يوم وُلد لا يخرج عن السنة.

---

(١) في (خ): والإشاعة.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ١/١٩١(١٦٦١)، وابن حبان في «صحيحه» (٤١٦٣)، والطبراني في «الأوسط» (٤٥٩٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وقال الألباني في «صحيح الجامع» (٦٦٠): صحيح.

(٣) في (ق): وجاهد.

(٤) في (خ): نسمة.

(٥) في (خ): نسمة.

(٦) ذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» ٧٩/٢، وابن عجيبة في «البحر المديد» ٢٣٣/١، وإسماعيل حقي في «روح البيان» ٢٠١/٢ من حديث عائشة رضي الله عنها، في قصة الحَوْلاء امرأة من الأنصار، وهو حديث طويل لم نجد له إسنادًا ولا أصلاً.

(٧) في (خ): الولد.

(٨) أخرجه أحمد في «مسنده» ٧/٥ (٢٠٠٨٣)، والدارمي في «سننه» (١٩٦٩)، وأبو داود في «سننه» (٢٨٣٨)، وابن ماجه في «سننه» (٣١٦٥)، والترمذي في «جامعه» (١٥٢٢)، والنسائي في «سننه» ١٦٦/٧ (٤٢٢٠).
قال أبو عيسى: هذا حديث غريب.
وقال الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢٨٣٨): صحيح.

واختلف العلماء في العقيقة، وربُنا أعلم بالحقيقة[1].

ويستحب تسمية السَّقط؛ لحديثٍ ورد فيه[2].

ولا يسمى باسم قبيح؛ لأنه يدعى يوم القيامة باسمه[3]، وكان النبي ﷺ يغيِّر الاسم القبيح إلى ما هو أحسن منه، ورد هذا في حديثٍ صحيح[4].

مسألة تتعلق بالنكاح:

وهي الخُطْبة قبل النكاح، وأقلُّها: الحمد لله والصلاة على رسول الله ﷺ، أوصي بتقوى الله، والله أعلم.

---

(١) صنيع المؤلف رحمه الله هنا مبني على مذهبه الحنفي، فقد ذهب الحنفية إلى أن العقيقة مباحة وليست مستحبة، لأن تشريع الأضحية نسخ كل دم كان قبلها من العقيقة والرجبية والعتيرة، فمن شاء فعل، ومن شاء لم يفعل. «بدائع الصنائع» ٦٩/٥. وذهب جمهور العلماء إلى استحبابها للأحاديث الصحيحة الواردة فيها، وهذا الصواب. (ت)

(٢) لكنه لا يصح، أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» (٣٣٩٢) من حديث أنس بلفظ: «**سموا السقط...**».

قال الألباني في «الضعيفة» (٣٣٢٢): موضوع.

(٣) كما في حديث أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم، وأسماء آبائكم، فأحسنوا أسماءكم**».

أخرجه أحمد ١٩٤/٥ (٢١٦٩٣)، والدارمي (٢٦٩٤)، وأبو داود (٤٩٤٨)، وابن حبان (٥٧٨٨)، وإسناده ضعيف لانقطاعه.

لكن يدل على المراد ما أخرجه البخاري (٦١٧٧)، ومسلم (١٧٣٥) عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «**الغادر يرفع له لواء يوم القيامة، يقال: هذه غدرة فلان بن فلان**».

(٤) منها تغيير «شهاب» إلى «هشام» أخرجه أحمد في «مسنده» ٧٥/٦ (٢٤٤٦٥)، والطبراني في «الكبير» ١٧١/٢٢ (٤٤٢)، والحاكم في «المستدرك» ٢٧٧/٤، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وتغيير «زحم» إلى «بشير» أخرجه أحمد في «مسنده» ٨٤/٥ (٢٠٧٨٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٧٥)، وأبو داود في «سننه» (٣٢٣٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٣١٧٠)، وصححه الألباني في «الأدب المفرد».

وتغيير «غراب» إلى «مسلم» أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٨٢٤)، والطبراني في «الكبير» ٤٣٣/١٩ (١٠٥٠)، والحاكم في «المستدرك» ٢٧٥/٤، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وضعفه الألباني في «الأدب المفرد».

وفي الباب أحاديث أخرى، انظر: «الترغيب والترهيب» (٢٩٥٠ ـ ٢٩٥٣)، «مجمع الزوائد» ٩٩/٨.

فإن لم يأت بالخُطبة صحَّ النكاح (باتفاق العلماء، وقال بعض العلماء: لا يصح النكاح إلا بالخطبة)[1]. ولا معتبر بقوله[2].

ويُسن أيضًا إعلان النكاح عند أكثر أهل العلم، وقال بعضهم بوجوبه في هذا الباب، والله أعلم بالصواب[3].

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: علَّمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة: الحمد لله نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ۝١﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ۝١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١][4].

ويستحب إذا فرغ من الخطبة أن يقول: أزوجك على ما أمر الله عز

---

(١) ليست في (ق).

(٢) في (خ): لقوله. وقد قال ابن قدامة في «المغني» ٤٢٨/٧: والخطبة غير واجبة عند أحد من أهل العلم علمناه، إلا داود [الظاهري]، فإنه أوجبها.

(٣) انظر: «المغني» ٤٢٨/٧.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣٩٢/١ (٣٧٢٠)، والدارمي في «سننه» (٢٢٠٢)، وابن ماجه في «سننه» (١٨٩٢)، وأبو داود في «سننه» (٢١١٨)، والترمذي في «جامعه» (١١٠٥)، والنسائي في «سننه» ١٠٤/٣ (١٤٠٤). وقال الترمذي: حديث عبد الله حديث حسن.

وقال الألباني في «صحيح أبي داود» (١٨٤٤): حديث صحيح. وأفرده برسالة: «خطبة الحاجة» ذكر فيها طرق هذا الحديث وشواهده وألفاظه بما لم يسبق إليه رحمه الله تعالى.

وجل به من إمساكٍ بمعروفٍ أو تسريح بإحسان[1].

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

---

(١) أخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٧٨٠٢) عن شعبة، عن أبي بكر بن حفص، قال: سمعت عروة بن الزبير يقول: خطبت إلى ابن عمر ابنته، فقال: إن ابن أبي عبد الله لأهل أن ينكح؟ نحمد الله ونصلي على النبي ﷺ، وقد زوجناك على ما أمر الله: إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان. قال: شعبة: أحسبه قال: أنكح عمر بن الخطاب رجلاً وهو يمشي. قال شعبة: قال أبو بكر ابن حفص: لا أدري الذي قال، أحسبه عروة بن الزبير أو ابن عمر.



فصل فيما يُبتدع
من جِلاء العروسة في بعض القرى والريف
على كلِّ حُرٍّ وعبدٍ وفاسقٍ وكثيفٍ

اعلم ـ أيها العبد المتعوس! ـ أنَّ بدعتك هذه لا تُرضي الملك القدوس، لما فيها من البدعة والتَّشبه بالمجوس، ويكره فعلها اليهود والنصارى، واستحبتها هذه الطائفة الضالة الحيارى، لأن الفاحشة تسخط رب الأرباب، ولم يرض بها أحدٌ من أهل الكتاب، فاعتبروا يا أولي العقول والألباب، فتزَّين العروسة ثم تجلا على الكبار والصغار، ويدخلون بها على زوجها التَّيس المستعار، قبَّح الله رجلاً لا يغار، وهذه فاحشة كبيرة، وهي تأتي من قلة الدين والغيرة، قال صلوات الله عليه وسلامه: «**الغيرة من الإيمان**»[1]، فمن كثرت غيرته كثر إيمانه، ومن قلَّت غيرته قلَّ إيمانه، ومن لا غيرة له لا إيمان له.

دخل ابن أم مكتوم على النبي ﷺ فأمر عائشة بأن تختبىء، فقالت: إنه

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٩٥٢١)، والبيهقي في «الكبرى» ١٠/٢٢٥ من حديث زيد بن أسلم، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٥٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
قال الألباني في «الضعيفة» (١٨٠٨): ضعيف.
ويغني عنه أحاديث صحيحة في الغيرة، منها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**إن الله يغار، وإن المؤمن يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم عليه**».
أخرجه البخاري (٥٢٢٣)، ومسلم (٢٧٦١).

أعمى - وكان ممن أعمى الله عينيه ونوَّر قلبه - فقال لها: إن كان هو ما يراك فأنت ترينه[1].

فمن فعل هذه الفاحشة أو رضي بها؛ لم يرض الله عنه.

ورأى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه امرأةً تمشي في سوق البصرة فغضب على أهلها، وقال: أما يستحي أحدكم أن يترك زوجته أو كريمته تعالج الرجال في الأسواق، قبَّح الله رجلاً لا يغار[2].

وقيل لسعد: لو رأيت رجلاً مع امرأتك؟ قال: كنت أضربه بالسيف غير مصفح. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**أتعجبون من غيرة سعد؟ والله أنا أغير منه، وربي أغير مني، ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن**»[3].

فكلُّ عبدٍ لا يغار هو مبتدع، خارج عن طريق النبي المختار، والصحابة الأخيار، والمؤمنين الأبرار، داخل في طريق الفجار، قد رضي لنفسه بعذاب النار، وسخط الجبار، فإن تاب تاب الله عليه وهو العزيز الغفار.

فأهل العروس والعروسة ومن رضي بهذه الفاحشة، الكل قد اشتركوا في الذنوب والعصيان، وتعاونوا على الإثم والعدوان، قال المبعوث

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢٩٦/٦ (٢٦٥٣٧)، وأبو داود في «سننه» (٤١١٢)، والترمذي في «جامعه» (٢٧٧٨) عن نبهان مولى أم سلمة: أن أم سلمة حدثته أنها كانت عند رسول الله ﷺ، وميمونة، قالت: فبينا نحن عنده أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه، وذلك بعدما أمرنا بالحجاب، فقال رسول الله ﷺ: «**احتجبا منه**» فقلت: يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أفعمياوان أنتما؟ ألستما تبصرانه؟**».

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

وقال الألباني في «الضعيفة» (٥٩٥٨): ضعيف.

(٢) لم أجده عن علي، ووجدته من كلام الحسن في «إحياء علوم الدين» ٤٦/٢.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢٤٨/٤(١٨١٦٨)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٣٩٢)، والدارمي في «سننه» (٢٢٢٧)، والبخاري في «صحيحه» (٦٨٤٦)، ومسلم في «صحيحه» (١٤٩٩).

بالرسالة: «**لا تجتمع أمتي على ضلالة**»[١]. وهؤلاء القوم قد اجتمعوا على ضلالة، وعصوا الله تعالى بلا محالة.

ولا تجلا العروس على خصيٍّ؛ لأنه[٢] في حكم الرجال، وإنْ قُطِع ذَكَرُه لم تُقطع نفسه، فخلوته بالنساء واختلاطه بهم من خلو دينه، ومن قلة غيرة سيده، ومن عدم مروءة زوجته، الكل قد خالفوا المولى اللطيف، وخرجوا عن الشرع الشريف.

دخل خصيٌّ على بعض الخلفاء وزوجته إلى جانبه، فغطَّت وجهها منه، فقال الخليفة: إنه خصيّ. فقالت: يا أمير المؤمنين، مُثْلَتكم هذه أباحت له ما حرم الله؟! فأمره بأن لا يدخل بعدها على حرمه[٣].

ثم اعلم بأن فاسق الخُدَّام يحب المرأة الحسناء، ويعشق الغلام، ودَيِّنُهُم يتزوج ويتسرى، ويجتهد في دينه ويتحرى، والخصي في حكم الشرع رجل؛ لأنه يرث ميراث الرجال من ميِّته، ويقف مع صفِّ الرجال في الصلاة، ويقدم على المرأة في القبر الواسع، وفي الصلاة[٤].

ولا يحل لخصيٍّ، ولا مجبوب، ولا لخنثى، ولا مخنث الدخول على النساء، ولا يحل للنساء (أن يظهرن)[٥] عليهم؛ لأنهم يَشتهون ويُشتَهَوْن.

قال ﷺ: «**مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة إلا أن يكون ذا محرم أو زوج**»[٦].

وعن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «**إن الله تعالى لعن أربعة فأَمَّنت عليهم الملائكة: رجل تحصَّر ولم يجعله الله حصورًا، وامرأة تذكَّرت**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) في (ق): فإنه.

(٣) لم أجده، وفي (ق): حرم.

(٤) في (خ): المصلاة.

(٥) في (ق، ب): الظهور.

(٦) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣/٣٣٩ (١٤٦٥١)، والطبراني في «الكبير» ١١/١٩١ (١١٤٦٢)، قال الألباني في «الإرواء» (١٨١٣): صحيح فإن له شواهد تقويه.

وإنما جعلها الله امرأة، ورجل تخنث[1] والله تعالى خلقه ذَكرًا، والذي يُضلُّ الأعمى عن الطريق»[2].

وفي الحديث: «**ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والناكح المتعفف، والمُكاتب يريد الأداء**»[3].

فقد علمت أن المرأة لا تظهر على مَن تقدم ذكرهم، ولا على الرَّجل الضرير، فإن فعلت خرجت عن طريق البشير النذير، وعصت المولى القدير.

دخل خصيٌّ على زوجة بعض الكبراء، وكانت قد كشفت رأسها، فطلبت حجَّامةً، وحلقت رأسها، وقالت: لا حاجة لي بشعر رآه غير بعلي[4].

فانظر إلى قلوب هؤلاء النِّسوة كيف هي بخوف الله تعالى عامرة، وقد جمع الله لهنَّ بين خيري الدنيا والآخرة.

ومن البدعة أيضًا (تحلية المرأة للفرح)[5]، والاختلاط بالنَّاس،

---

(١) في (ط): مخنث.

(٢) لم أجده عن أنس، وأخرجه الجرجاني في «تاريخ جرجان» (٦٣١) بإسناد فيه جهالة عن ابن عمر مرفوعًا بلفظ: «**إن الله عز وجلَّ لعن أربعة وأمنت الملائكة: رجل تأنث، وامرأة تذكرت، ورجل تحصر وليس بحصور، ورجل قعد على الطريق يستهزئ بالناس ويضل الأعمى عن الطريق**».

وأخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٩٦/٦٤ عن معاوية بن صالح، عن بعضهم رفع الحديث، قال: «**لعن الله والملائكة رجلًا تأنث**، ...» فذكره. وهذا أيضًا منكر، فيه إرسال وجهالة.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢/ ٤٣٧ (٩٦٣١)، وابن ماجه في «سننه» (٢٥١٨)، والترمذي في «جامعه» (١٦٥٥)، والنسائي في «المجتبى» ١٥/٦(٣١٢٠)، وفي «الكبرى» (٤٣٢٨) من حديث أبي هريرة.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

وقال الحاكم في «المستدرك» ١٧٤/٢: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

وقال الألباني في «المشكاة» (٣٠٨٩): حسن.

(٤) لم أجده.

(٥) في (ق، ط): تخلية المرأة للأفراح.

والرَّقص في السماع والأعراس، وهذه بدعة منكرة، وفاعلها فاسق خارج عن طريق البررة، قد خالف الحق تعالى فيما أمره؛ لوقوف زوجته مع الأجانب والمغاني[1] والزُّمرة، خرج عن طريق النبوة، وهو قليل الدين والغيرة والمروة، كما يفعله بعض فسقة التركمان، فترقص المرأة مع الرجل وقد أحاط بهم الرجال من كل مكان.

ومن البدع - أيضًا - هروب العريس من[2] أبي العروسة إلى حين دخول بيته، ثم يعمل العريس لأجل اجتماعه بصهره وليمة، وهذه أعمال ذميمة.

ومن سنَّتهم استتار العروسة من أبي العريس وأمه، وتكليمها لهما بالإشارة، والمسلم المتبع لا يفعل هذا، ولا[3] يختاره، ولا يخالف نبيه ولا أخباره.

فانظر ماذا يجتمع في حلال واحد من بدع وحرام، ويريد مع ارتكاب هذه الآثام أن يأتي من ظهره ذرية صالحة، ويكون في الجنة مع بدر التمام، فلا تَعْرِض - أيها الغافل! - حريمك على قلوب فارغة من خوف الله تعالى فتنتقش صورتها في قلبه، فيبتلى بحبها، فتورثه تلك النظرة بلاءً وحسرة، وتزرع في قلبه شيئًا لا تحصده المنَاجل، فيقابلك الله تعالى بذلك في العاجل والآجل؛ لأنك كنت السبب في فساد قلب مؤمن، أو ترى هي من يشغل[4] قلبها؛ لأن شهوتها أغلب، فإذا رأى الرجل ما يعجبه لا يتمالك، وهي - أيضًا - كذلك، فتسعى في الطلاق والتفريق، أو تفعل معه فعلًا لا يليق، ويكون - أيضًا - خطيئتهما في رقبتك، لأنك كنت السبب في ذلك، لولا أنها رأته ورآها ما خالفت النفس سيدها ومولاها، كما يقال في المثل: عين لا ترى، قلبٌ لا يحزن!

---

(١) في (خ): الأغاني.
(٢) في (ط): إلى.
(٣) في (ق، ط): لن.
(٤) في (ق، ط): يشتغل به.

ومن قلة دين المرأة أنها لا تلبس أفخر ثيابها لزوجها، وتتجمل ببدلتها إذا خرجت من بيتها، فتفتن قلوب العباد، وتوقعهم في الذنوب والفساد، ولذلك كنَّ أكثر أهل النار[1]، وشهد عليهن الصادق الأمين بأنهن ناقصات عقل ودين.

ومن البدع ما يفعله بعض الأشرار، (فيشترون الجَوار ويعلمونهن)[2] الغناء والأشعار، والضرب بالكف والطار، لأجل حطام هذه الدار، أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**كسب المغني والمغنية حرام**»[3].

فمن فعل ذلك بطلت شهادته، وسقطت روايته، وثبت سفهه، ولا يحل سماع غناء الجارية مكشوفة كانت أو مغطية.

قال الشافعي رحمة الله عليه: إذا جمع سيد الجارية الجموع وأمرها أن تغني لهم؛ بطلت عدالته، وسقطت روايته، ويكون ديوثًا[4].

قال القاضي أبو الطيب: إنما جعل ديوثًا فاسقًا؛ لأنه دعا الناس إلى الباطل[5].

وقال الشعبي: لعن المغنِّي والمغنى له[6].

اعلم رحمك الله أن الوقت عزيز، ومن عزته لا عِوَض لما فات منه، فلا تذهبه في الباطل والغناء، فتقع في الحسرة والعناء، والعاقل لما عَلِم أن الأجل قريب تزوَّد بالأعمال الصالحة[7] للقاء الحبيب.

---

(١) زاد في (خ): حطبًا.
(٢) في (ق): من تعليم.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) سبق تخريجه.
(٥) سبق تخريجه.
(٦) سبق تخريجه.
(٧) في (ق): الصالحات.

وأشرُّ مما تقدم ذكره ما يفعله المالك، ويسقط بفعله من عين مالك الممالك، فيشتري الجارية الولود، ويرضى بالفاحشة هذا المبعود من رحمة المولى الودود، فتزيد دنياه، ويسقط من عين خالقه ومولاه، ولا خير في دنيا تزيد مع نقصان الآخرة، وهذا من الفسقة الكبار، المتعرضين لسخط الجبار، وهو نوع من القيادة، وذلك من قلة التوفيق والسعادة، ويُخاف على فاعلها من أن يحرمه الله تعالى عند الموت الإيمان والشهادة؛ لخروجه عن طريق السادة، ولقلة حيائه من عالم الغيب والشهادة.

قال ﷺ: «**الحياء من الإيمان**»[1]، وفي حديث آخر: «**الحياء خير كله**»[2]. الحياء لا يأتي إلا بخير، فمن فاته الحياء فقد فاته الخير كله.

مرَّ بعضُ الصحابة بوادٍ فيه قردة، ورآهم قد اجتمعوا ورجموا قردةً زنت، فرجمها معهم[3].

فانظر ـ أيها المبعود، من رحمة الملك المعبود! ـ هذا الذي تحبه أنت، تكرهه القرود. لا تكن ـ أيها المؤمنُ! ـ البهيمةُ أفقه منك، وأحسن حالاً؛ تكره الفاحشة وأنت تحبها، قال المولى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤] الآية.

كلُّ عليلٍ يمكن العلاج فيه إلا عليلاً يعجبه مرضه، وقلوب هؤلاء القوم قد كادها باريها، فملئت بحب الدنيا والكدر، ونسأل الله لنا ولهم ولجميع المسلمين اللطف والتدبير في القضاء والقدر.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣٨٤٩) من حديث عمرو بن ميمون ـ تابعي ثقة، أدرك الجاهلية ولم يلق النبي ﷺ ـ: رأيت في الجاهلية قِرْدَةً اجتمع عليها قِرَدَةٌ، فرجموها، فرجمتها معهم.

قلتُ: وهذا كما ترى ليس بحديث عن النبي ﷺ، ولا هو عن صحابيٍّ ـ بخلاف ما صرَّح به المصنف ـ، وإنما هو حكاية واقعة رآها عمرو بن ميمون رحمه الله فظنها رجمًا، والله أعلم بصحة ظنه، وقد استنكر الحافظ ابن عبد البر هذه القصة. انظر: «فتح الباري» ٧/٢٠٢.



فصل فيما يبتدع من المزح، وما يباح منه وما يقاربه ويناسبه من البدع الفعلية والقولية

اعلم أن قليلَ المزح إن كان حقًّا فهو مباح، ولا يحمد كثير المزح؛ لخروج صاحبه عن طريق أهل الدين والخير والصلاح، لكن لا يأثم الفاعل، وليس عليه جناح؛ لأن له أصلاً في الشرع كما ورد في الأحاديث الصحاح.

فمنه ما يباح، ومنه ما يكره، ومنه ما يحرم، ومنه ما يكفر به الإنسان، ونقولها ـ إن شاء الله ـ في مواضعها[1] ببيان، فيكره الإكثار منه لأجل قساوة القلب، ولتضييع الوقت والزمان ولمخالفة الأخبار.

والكاذب في مزحه قد وقع في البدعة والعار، وخرج عن طريق الأخيار، وهو ملعون في الكتاب المكنون، قال الله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الذاريات: ١٠] أي: لعن الكاذبون. والكذب ليس هو من صفة العبد الصالح، ويُروى: أنه ملعون ولو أنه مازح[2].

---

(١) في (ق): وذلك نقوله ـ إن شاء الله ـ مواضعه.

(٢) قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (٨٦٣): «حديث: «**لعن الله الكذابَ ولو كان مازحًا**» ما علمته في المرفوع، نعم؛ في «الأدب المفرد» للبخاريِّ من حديث أبي معمر عن عبد الله بن مسعود قال: لا يصلح الكذب في جدٍّ ولا هزل، ولا أن يعد أحدكم ولده شيئًا ثم لا ينجز له. ولأبي داود في «سننه» [٤٩٩١] عن محمد بن عجلان: أن رجلاً من موالي عبد الله بن عامر بن ربيعة العدوي، حدثه عن عبد الله بن عامر أنه قال: دعتني أمي يومًا ورسول الله ﷺ قاعد بيننا، فقالت: ها تعال أعطيك، فقال لها رسول الله ﷺ: «**وما أردت أن تعطيه**»، قالت: أعطيه تمرًا. فقال لها رسول الله ﷺ: «**أما**=

وأعظم الخطايا اللسان الكذوب، ومن تحلّى به في جِدٍّ أو هزل فقد فاته المطلوب، قال ﷺ: **«إنِّي لأمزح ولا أقول إلا حقًّا»**(١).

= **إنَّك لو لم تعطيه شيئًا كتبت عليك كذبة»**. وكذا أخرجه أحمد والبخاري في «التاريخ»، وابن سعد، والطبراني، والذهلي من طريق ابن عجلان، وسموا المولى زيادًا، وسنده حسن، لكن قال ابن سعد: قال محمد بن عمر - يعني الواقدي -: ما أدري هذا الحديث محفوظًا. هذا مع نقله عنه أنه يكون عند الوفاة النبوية ابن خمس سنين، ونحوه قول ابن منده: كان ابن خمس، وقيل: أربع. قال شيخنا [ابن حجر]: يحتمل أن تكون أمه أخبرته بذلك، فأرسله هو. انتهى. وقد اعتمد غير واحد هذا الحديث، فذكروا عبد الله في الصحابة، وقال الترمذي: رأى النبي ﷺ وسمع منه حرفًا. وقال أبو حاتم الرازي: إن النبي ﷺ دخل على أمه وهو صغير. وقال ابن حبان في «الصحابة»: أتاهم النبي ﷺ في بيتهم وهو غلام. ولأبي يعلَى من حديث واثلة عن أبي هريرة: **«دع الكذب وإن كنت مازحًا تكن أعبد الناس»**. ورواه أبو نعيم من وجه آخر عن أبي هريرة».

قلت: أثرُ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوف، وقد صححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٢٩٩). وحديث عبد الله بن عامر رضي الله عنه خرَّجه الألباني في «الصحيحة» (٧٤٨) وحسَّنه. وحديث أبي هريرة لم أقف عليه بهذا اللفظ، لكن أخرج أحمد في «المسند» ٣٥٢/٢ و٣٦٤ (٨٦٣٠) و(٨٧٦٦)، والطبراني في «الأوسط» (٥١٠٣) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يؤمن العبد الإيمان كله حتى يترك الكذب في المزاحة، ويترك المراء وإن كان صادقًا»** وإسناده ضعيف، لانقطاعه وجهالة أحد رواته.

وأخرجه أبو يعلى في «المسند الكبير» كما في «المقصد العلي» (٢٣) من حديث عمر رضي الله عنه مرفوعًا، بنحوه وقال: **«وإن كان محقًّا»**. وفي إسناده مجهولان وضعيف.

وأخرج أبو داود (٤٨٠٠) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا زعيم ببيتٍ في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًّا، وببيتٍ في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسَّن خلقه»**. وهو حديث حسنٌ خرَّجه الألباني في «الصحيحة» (٢٧٣). (ت)

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» ٣٩١/١٢ (١٣٤٤٣)، و«الأوسط» (٩٩٥، ٦٧٦٤، ٧٣٢٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

قال الهيثمي ٨٩/٨: فيه من لم أعرفه.

وأخرج أحمد في «مسنده» ٣٤٠/٢ (٨٤٨١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٦٥)، والترمذي في «جامعه» (١٩٩٠) من حديث أبي هريرة، بلفظ: يا رسول الله، إنك تداعبنا؟ قال: **«إني لا أقول إلا حقًّا»**.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

وقال الألباني في «الصحيحة» (١٧٢٦): صحيح.

وقد ميَّز ﷺ الموافق من المنافق بقوله: «**المؤمن إذا حدَّث صَدق، وإذا وعد لم يُخلف، وإذا اؤتمن لم يخن**»[1].

ووصف المنافق بعكس ذلك؛ قال: «**وإن صام**[2]**، وصلَّى، وزعم أنه مؤمنٌ**»[3].

---

(١) ذكره الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» في بعض نسخ كتابه؛ كما في «ضعيف الترغيب والترهيب» (١١١٨) من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن إذا حدَّث صدق، وإذا عاهد لم يغدر، وإذا ائتمن لم يخن**». وقال المنذري رحمه الله: «رواه البزار والدارقطني بإسناد لا بأس به». ولم يتكلم عليه الألباني واكتفى بإيراده في الضعيف، ولم أجده عند غيره، ونقله عنه ابن حجر الهيتمي في «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (الكبيرة: ٢١٨) فلم يصنع شيئًا. وذكره ابن عبد البر في «الاستذكار» ٣٥١/٢٧ (٤١٤٢٢) فقال: وقال رسول الله ﷺ: «**المؤمن إذا حدث صدق، وإذا وعد نجز، وإذا اؤتمن وفى، والمنافق إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**». كذا ذكره ابن عبد البر رحمه الله من غير إسنادٍ، ولم يذكر صحابيَّه، وخرَّجه محقِّق كتابه عبد المعطي قلعجي فعزاه إلى (البخاري ومسلم)! وهذا من أخطائه وأوهامه الكثيرة! وكذا ذكره القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» [المنافقون: ١]، ووهم في تخريجه أيضًا محققو طبعته الجديدة التي صدرت عن «مؤسسة الرسالة»!

وأخرج الحربي في «غريب الحديث» ٤٥/١، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٦٤٩) عن طيلسة بن علي، قال: أتيت ابن عمر بعرفة فسأله رجلٌ من أهل العراق: مَن المؤمن؟ قال: المؤمن الذي إذا حدث صدق، وإذا وعد أنجز، وإذا ائتمن أدَّى، ويأمَنُ مَن أمسَى بعَقْوَتِه من عارفٍ أو منكرٍ.

وقوله: (بعقوته): عَقْوَةُ الدَّارِ: حَوْلَها وقَريبًا منها.

وأخرج ابن وهب في «الجامع» (٥٤٨) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: ثلاث إذا كن في غيرك فلا تتحرجن أن تشهد عليه أنه منافق: من كان إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان. ومن كان إذا حدث صدق، وإذا اؤتمن أدى، وإذا وعد أوفى فلا تتحرج أن تشهد أنه مؤمن. (ت)

(٢) في (ق، ط): قام.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣٥٧/٢ (٨٦٨٥)، والبخاري في «صحيحه» (٣٣) و(٢٦٨٢)، ومسلم في «صحيحه» (٥٩)، والترمذي في «جامعه» (٢٦٣١)، والنسائي في «المجتبى» ١١٦/٨ (٥٠٢١)، وفي «الكبرى» (١١١٢٧) من حديث أبي هريرة بلفظ: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**». =

وفي الحديث أيضًا: «**إنَّ العبدَ لا يزال يَصدُق، ويُكرِّر في الصدق حتى يُكتب عند الله صديقًا**»(١).

وقال المولى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ [النساء: ٦٩]، فجاء الصدق بعد النبوة، وكاد الصديق أن يكون نبيًّا لعظم منزلته عند الله تعالى، ولذلك حرَّض عباده عليه ليقربهم إليه بقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ﴾ [المائدة: ١١٩].

فالصدق يهدي إلى الجنة، وإلى رضا الرب الغفور، والكذب يهدي إلى النار وإلى الفجور؛ فاحذره أيها العبد المغرور، وفي الحديث: «**لا يزال العبد يكذب ويكرر في الكذب حتى يُكتب عند الله كذابًا**»(٢).

قال الله تعالى: ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥﴾ [المرسلات: ١٥].

وفي الكذب ما يؤجر العبد عليه، وكذلك في الخيانة، وفي قلة رد الأمانة.

أما الكذب الذي يثاب عليه: كذب ليخلص مظلومًا من ظالم فيقول: ما هو عندي. وهو عنده، أو يقول: لا أعرفه. وهو أعرف الناس به، ويكذب ليصلح بين الرجلين أو القبيلتين، أو ليصلح أهله ويسكن غضبهم

= أخرجه أحمد في «مسنده» ٥٣٦/٢ (١٠٩٢٥)، ومسلم في «صحيحه» (٥٩)، والبزار في «مسنده» (٧٨٤٣) و(٨٦٢٤)، والبيهقي في «الكبرى» ٢٨٨/٦ من حديث أبي هريرة بلفظ: «**ثلاث من كن فيه فهو منافق، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**».

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣٨٤/١ (٣٦٣٨)، والبخاري في «صحيحه» (٦٠٩٤)، ومسلم في «صحيحه» (٢٦٠٧)، وأبو داود في «سننه» (٤٩٨٩)، والترمذي في «جامعه» (١٩٧١) من حديث عبد الله بن مسعود بلفظ: «**إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا**».

(٢) سبق تخريجه.

بقوله: اليوم أكسيك، أو أعطيك. أو: ما أحب أحدًا كمحبتي فيك. وإن أحب غيرها أكثر منها؛ لأن المحبة بيد الله تعالى لا بيد المخلوقين، وقول الإنسان لولده: يا بابا. أو: يا سيدي. وهو ليس بوالده ولا بسيده.

ويكذب المؤمن لقتل الكافر في دار الحرب؛ فيقلُّ الكفر والفساد، وتستريح منه العباد والبلاد[1].

وأما الخيانة التي يؤجر المسلم عليها: كمن اؤتمن على (خمرٍ فيخون)[2] بإراقة ذلك الخمر إن لم يخف من سطوة صاحبه[3]، فتجب هذه الخيانة، ويرجى لفاعلها أن يدخله الله تعالى الجنة ويرزقه أمانَهُ.

وكذلك إذا غصب الرجلُ شيئًا وأمَّنك عليه؛ ادفعه لصاحبه الأول، يقربك الحق إليه، يقال في الثاني كما قيل في الأول: إن لم يخف من سطوة صاحبه[4].

ومن وعد آخر بأن يجتمعَا[5] على معصية فيجب أن يخلف هذا الوعد، فإن وفَّاه نقص قدره عند خالقه ومولاه.

ثم اعلم بأن المزح جائز مع القريب والغريب إلا أن يكون غلامًا

---

(١) هذا ليس على إطلاقه، فإن كان دخوله في ديار الكفار على وجه الحرب والمواجهة جاز له الكذب، لأن الحرب خدعة، ويجوز فيها ما لا يجوز في غيرها. أما إن كانت دارهم دار مصالحة وأمان بحيث يكون كل داخل فيها من المسلمين آمنًا، أو يكون دخلها بأمانٍ خاصٍّ به وإن كان أهل تلك الدار حربًا على المسلمين؛ فحينئذٍ لا يحلُّ له أن يكذب ولا أن يغدر، ويحرم عليه أن يعتدي على دمائهم وأموالهم وأعراضهم، فهم منه في آمانٍ، كما أنه منهم في أمانٍ. بهذا جاءت نصوص الكتاب والسنة، وتتابع الفقهاء على التأكيد عليه، مما تراه مشروحًا موثقًا في كتابي: «الدخول في أمان غير المسلمين وآثاره في الفقه الإسلامي». (ت)

(٢) في (خ) مكانه: (محرَّم أمنه على خمر يخونه).

(٣) في (ق، ب): (إذا أمِنَ على نفسه من ظالم).

(٤) في (ق، ب): (ظالم).

(٥) في (ق، ب): ومن وعد رجلاً أن يجتمع معه.

جميلاً أو امرأة شابة أجنبية فيحرم عليه ذلك، ويسقط الفاعل من عين مالك الممالك.

والمزح جائز مع العجائز، ويكره المزح مع المبتدع والظالم والفاسق؛ لأنهم خرجوا عن الشرع الشريف، وأسخطوا المولى اللطيف، ولا ينظر المسلم لمن قد تكبَّر قلبُه، ولا إلى ما يناسبه.

قال الفضيل رحمه الله: نظر المؤمن للمؤمن جلاء للقلب، ونظر المؤمن لصاحب بدعة يورث العمَى[١].

وقال لرجل: لا تصحب مَن فيه أدنى بدعة فيعود شؤمها عليك[٢].

ومن البدع القولية: مزح الإنسان بشيء من كتاب الله تعالى؛ مما يكفر فاعله أو يذم قائله. أمَّا الذي يكفر فاعله كمن يصعد في مكانٍ مرتفع والناس تحته، فيتشبَّه بالواعظ والخطيب، ويتلو كلام الحبيب، ثم يأخذ في مدِّ صوته وهزِّ رأسه بقوله: أيها الناس. وهم تحته يتضاحكون، كفروا كلهم أجمعون[٣]. وكذلك المدْبِرُ[٤] الذي يصلي تحت الواعظ على البشير النذير، الكل قد سقطوا من عين الملك القدير، وتجهزوا بهذا الزاد لجهنم وبئس المصير[٥].

قال رجل لبعض الفقهاء: إن الملائكة لتضع أجنحتها رضًى لطالب العلم. فقال الفقيه ـ وهو مازح ـ: لأجل ذلك سمَّرت قبقابي لكسر

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ٨/١٠٣، وذكره الذهبي في «السير» ٨/٤٣٥.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) لأن في فعلهم هذا استهزاء وسخرية بشعيرة من شعائر الإسلام. (ت)

(٤) في (خ): (المدير). والصواب بالباء كما سيأتي في مواضع، ومراد المصنف رحمه الله: من أدبر عن الخير وأعرض عنه. (ت)

(٥) لا وجه لتكفير من يرفع صوته بالصلاة والسلام على النبي ﷺ في مجلس الوعظ، أو يصيح بالتكبير والتسبيح ونحو ذلك، إلا إن فعل ذلك على وجه السخرية والاستهزاء. وبعض العوام يفعلون ذلك تأييدًا لقول الخطيب أو الواعظ، أو تعبيرًا عن شدة إعجابهم بما يذكره وانفعالهم لسماعه، فتكفيرهم خطأٌ شنيع، وإن كان صنيعهم منافيًا لآداب مجالس العلم. (ت)

أجنحتهم. فما كان إلا قليلاً حتى وقع في تهمةٍ، فأمر الحاكم بقطع رجليه[1].

ومن البدع التي يكره فعلها: أن يكذب الرجل في مزحه ليضحك القوم ومن حضر، فالويل ثم الويل لهذا، كما صحَّ في الخبر[2].

واعلم أن ويلاً هو وادٍ في جهنم، وكذلك: سَقَر.

وإذا رجع العبد إلى الله تعالى بالتوبة تاب الله عليه وغفر له، وإذا تكلم الإنسان بكلمة الكفر يجدد التوبة على الفور، ثم يأتي بالشهادتين، ولا يزال نادمًا إلى ما يلقى الله تعالى، فحينئذٍ يرجى له الخير والفلاح، ويحشر مع أهل الدين والصلاح؛ لما ورد أن «**النَّدم توبة**»[3]، و«**التائب من الذنب**

---

(١) في (ق، ب): (قطعت فيها رجلاه). ولم نجد القصة بهذا السياق، وقد أخرج أبو بكر الدينوري في «المجالسة » (٢١٥٤) عن زكريا بن عبد الرحمٰن البصري قال: سمعت أحمد بن شعيب [هو النسائي] يقول: كنا عند بعض المحدثين بالبصرة فحدثنا بحديث النبي ﷺ: «**إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم**»، وفي المجلس معنا رجل من المعتزلة، فجعل يستهزئ بالحديث، فقال: والله لأُطْرِقَنَّ غدًا نعليَّ، فأطأ بهما أجنحة الملائكة! قال: ففعل، ومشى في النعلين، فجفت رجلاه جميعًا، ووقعت في رجليه جميعًا الأَكِلَةُ.

وأخرج النووي في «بستان العارفين» ١٢٥ عن أبي داود السجستاني، قال: كان في أصحاب الحديث رجل خليع، إلى أن سمع بحديث النبي ﷺ: «**إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًى بما يصنع**»، فجعل في عقبيه مسامير حديد، وقال: أريد أن أطأ أجنحة الملائكة! فأصابه أَكِلَةٌ في رجليه.

والأَكِلَةُ ـ كفَرِحة ـ: داء في العضو، يأتكل منه. كذا في «القاموس»، وزاد في «تاج العروس»: وهو الحكة بعينها.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٥/٢ (٢٠٠٢١)، والدارمي في «سننه» (٢٧٠٢)، وأبو داود في «سننه» (٤٩٩٠)، والترمذي في «جامعه» (٢٣١٥)، والنسائي في «الكبرى» (١١٦٥٥) من حديث بهز بن حكيم عن أبيه، عن جده، بلفظ: «**ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له، ويل له**».

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

وقال الألباني في «صحيح الجامع» (٧١٣٦): حسن.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ٤٢٢/١ (٤٠١٢)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٣٧٣/٣)، =

كمن لا ذنب له»[1]. في الأحاديث الصحاح.

اعلموا أهلَ الإيمان! أنَّ آفة الإنسان هو اللسان، وسيأتي ذكره في باب الغيبة ببيان.

قال ﷺ: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً فيهوي بها في جهنم**[2] **سبعين خريفًا**»[3].

وفي حديثٍ آخر: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت؛ يكتب الله تعالى له بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت؛ يكتب الله تعالى له بها سخطه إلى يوم القيامة**»[4]. وهذا حديث صحيح.

وقال ﷺ: «**ويلٌ للذي يتحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويلٌ له، ويلٌ له**»[5].

وفي حديث آخر: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك فيها جلساءه؛**

= وابن ماجه في «سننه» (٤٢٥٢) من حديث عبد الله بن مسعود.
وقال البوصيري في الزوائد (٢٤٨/٤) : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. وصححه الألباني.

(١) سبق تخريجه.

(٢) في (ق): النار.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢٣٦/٢ (٧٢١٥)، والبخاري في «صحيحه» (٦٤٧٧)، ومسلم في «صحيحه» (٢٩٨٨)، وابن ماجه في «سننه» (٣٩٧٠)، والترمذي في «جامعه» (٢٣١٤) بألفاظ متقاربة، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الحميدي في «مسنده» (٩١١)، وأحمد في «مسنده» ٤٦٩/٣ (١٥٨٥٢)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٣٥٨)، وابن ماجه في «سننه» (٣٩٦٩)، والترمذي في «جامعه» (٢٣١٩) من حديث بلال بن الحارث رضي الله عنه.
قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.
وقال الألباني في «الصحيحة» (٨٨٨): صحيح.

(٥) سبق تخريجه.

يهوي بها في النار أبعد من الثريا»[1]. رواه أبو هريرة.

ومثله ـ والله أعلم ـ ما يفعله حمري من حماري[2] هذه الأمة، فيؤلِّف كلامًا كذبًا على الناس وعلى بعض الأئمة، ليُضحك جلساءه في وقت فرحهم[3] وحلقهم، فينقلب ضحكهم بكاءً في جهنم وغمة. قال ﷺ: «**من عصى الله وهو يضحك؛ دخل النار وهو يبكي**»[4] فلا يفتري الكذب على العلماء إلا من حلَّ بقلبه الغفلة والعمى.

قال إبراهيم: من اتَّقى الله تعالى لم يدر ما يقول، كأنه يخاف من كل شيء يقوله من الخير والشر، إن تكلم بالخير خاف المقت أن يقول ما لا يفعل، وإن تكلم بالشر خاف العقوبة والسؤال[5].

عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم إلى المسجد، فإذا قوم يتحدثون ويضحكون، فوقف فسلم عليهم، ثم قال: «**اذكروا هادم اللذات**». فذكرهم بالموت لكي يقل ضحكهم وكلامهم، وخرج مرةً أخرى ورأى قومًا يضحكون فقال: «**أما والذي نفسي بيده لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا**»[6].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢/٤٠٢ (٩٢٢٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٧١٦)، والبزار في «مسنده» (٨٧٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.

(٢) كذا في النسخ، وضبطه في (ط): (حميريٌّ من حَمَّاري). يريد صاحب الحمار الذي يستخدمه في النقل والخدمة ونحوها.

(٣) في (خ): فرجهم.

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ٩٦/٤، والديلمي في «مسند الفردوس» (٥٨١٠). عن ابن عباس بلفظ: «**من أذنب وهو يضحك دخل النار وهو يبكي**».
قال الألباني في «الضعيفة» (١٧): موضوع.

(٥) لم أجده.

(٦) أخرجه أبو يعلى كما في «المطالب العالية» (٣١٤٥)، و«اتحاف الخيرة المهرة» (٧٢٩٨) عن الكوثر بن حكيم، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم إلى المسجد، وإذا قوم يتحدثون قد علا ضحكهم وحديثهم، فوقف فسلم، فقال: «**اذكروا هادم اللذات الموت**». وخرج بعد ذلك خرجة أخرى، فإذا قوم يتحدثون ويضحكون، فقال: «**أما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا**».
=

وروى العلماء: أن ضحك النبي ﷺ كان تبسمًا[1].

وكثرة البكاء من خشية[2] الله تعالى يدل على يقظة قلب صاحبه، ويذهب بالذنوب، وكثرة الضحك تدل على غفلة فاعله، وتقسي القلوب.

ثم اعلم بأن كثرة المزح والضحك فاعلهما مفتون، والضحك من غير عجب نوع من الجنون.

حكي أن الفضيل بن عياض ما ضحك إلا عند موت ولده عليّ، فقيل له في ذلك، فقال: إن الله تعالى أحب شيئًا فأحببته[3].

ولما أمر بعض الظَّلمة بقتل سعيد بن جبير ضحك، فقال له (القاتل[4]): بلغني أنك لم[5] تضحك قط، فما سبب ضحكك الآن؟ قال: أعجبني كيف شرُك إلى الله صاعدٌ، وحلمه عليك واردٌ![6].

= قال البوصيري: رواه أبو يعلى الموصلي بسند فيه كوثر بن حكيم وهو ضعيف.
وذكر ابن أبي حاتم في «العلل» (١٨٨٣) من طريق ابن أبي بزة، عن مؤمل بن إسماعيل، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس قال: مرَّ رسول الله ﷺ بمجلس من مجالس الأنصار، وهم يمزحون ويضحكون، فقال: **«أكثروا ذكر هادم اللذات»** يعني: الموت. وقال ابن أبي حاتم: قال أبي: هذا حديث باطل لا أصل له.
ومتن الحديث دون القصة ثابت في أحاديث أخرى، منها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«أكثروا من ذكر هادم اللذات»** أخرجه أحمد ٢/٢٩٢ (٧٩١٢) وابن ماجه (٤٢٥٨)، والترمذي (٢٣٠٧)، وخرَّجه الألباني في «الإرواء» (٦٨٢). ومنها: حديث أبي هريرة أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: **«والذي نفس محمد بيده، لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيرًا»**. أخرجه البخاري (٦٦٣٧)، ومسلم (٢٧٥١)، وانظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١٧٢٢) و(٣١٩٤). (ت)

(١) سلف تخريجه.

(٢) في (خ): خوف.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ٨/ ١٠٠، وذكره المناوي في «فيض القدير» ٢/١٦٣. وهذا مخالف لحال النبيِّ ﷺ الذي بكىٰ لموت ابنه إبراهيم عليه السلام، وهو الأسوة والقدوة.

(٤) في (خ، ق): القائل. والمثبت أنسب للسياق.

(٥) في (ق، ط): قائل لم نرك.

(٦) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ٤/٢٩٤، وذكره المزي في «تهذيب الكمال» ١٠/٣٧٥.

وكان لسعيد ديك إذا أذن في الليل يقوم سعيد لخدمة المولى المجيد، فنام الديك ليلةً إلى الصبح، فقام الشيخ سعيد وقد فاته قيام ليلته[1]، فقال: ألا ما له ضرب الله عنقه، فطارت رقبة الديك[2].

فإن قال قائل: ما باله دعا على الديك ولم يدع على القاتل له ظلمًا؟ قيل: غضب سعيد على الديك لأجل ربه، ولم يغضب على قاتله لأجل نفسه، ولولا القصاص لقتل الصالحون أنفسهم إذا خالفت أو غفلت، لكن قتلوها بالمجاهدة، فأحيى الله قلوبهم بالمشاهدة.

قيل لعبيدة بنت أبي كلاب: ما تشتهي؟ قالت: الموت. قال: ولم؟ قالت: لأني والله في كل يوم أصبح أخشى أن أجني على نفسي جناية يكون فيها عطبي أمام الآخرة[3].

وقفتْ عجوزٌ على شبابٍ عليهم ثيابُ الصوف، وهم يتضاحكون، فقالت: سبحان الله! زِيُّ الناسكين وفعل الغافلين![4] أنكرت عليهم لقلة المناسبة.

ذكرنا شيئًا من صفات الأحباب، ثم نرجع إلى مقصود الكتاب:

قرأ رجل من أهل العراق آية: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣﴾ [المزمل: ١٢ - ١٣]، فقال بعض المفتونين مازحًا: (والله ما هذا إلا)[5] كرمٌ عظيمٌ! فأمر إمام من الأئمة بضرب رقبته، فقال الخليفة: بأي دليل كفَّرت هذا وضربت رقبته؟ قال: بقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ

---

(١) في (خ): لخدمة قيام الليل.

(٢) لم أجده.

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٠٤)، وذكره ابن الجوزي في «ذم الهوى» ١٧٨/١، وفي «صفة الصفوة» ٣٤/٤. وعبيدة بنت أبي كلاب ذكرها أبو عبد الرحمٰن الأزدي في «طبقات الصوفية» (٢٧)، وقال: من أهل البصرة وكانت تنزل الطفاوة، عاقلة مجتهدة، جيدة المواعظ.

(٤) لم أجده.

(٥) في (ق): هذا.

يَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦][(١)].

وشفع بعضُ العدول لفقيهٍ عند القاضي بكّار وقال: يا مولانا، أنت تعلم أن الفقيه هو سيد فاضل، راسخ في العلوم، وهو قليل المعلوم فيشتهي أن تعدَّ له. فأبى القاضي، وقال: حضرنا يومًا في مكان وبين أيدينا قصعة طعام، في (وسط القصعة)[(٢)] سَمْنٌ، فطرق بعض الحاضرين للسَّمن طريقًا ليأتي إليه، فقال هذا الفقيه وهو يمزح: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ فسقط من عيني[(٣)].

فهذه الأشياء وأمثالها يتداولها الجهال بينهم، فتارة يكفر القائل، وتارة يفسق، ويحسب هذا اللئيم أنه هيِّنٌ وهو عند الله عظيم.

فترى بعضهم يقول إما في مزحه أو غضبه: لو جاء جبريل أو النبي الكريم عليهما الصلاة والتسليم لم يفعل أو يفعل، أو كقول الجاهل المرتاب لغيره: إذا دخلت الجنة فرد الباب.

وكذلك في جواب الجاهل لمن يأمره بالخير والمعروف ليقربه للرب

---

(١) لم أجده.

(٢) في (ق): وسطها.

(٣) ذكره ابن حجر في «رفع الإصر عن قضاة مصر» - في ترجمة: القاضي الكبير، والفقيه الحنفي، العلامة المحدث بكار بن قتيبة بن أسد الثقفي البصري، المتوفَّى سنة (٢٤٦هـ) رحمه الله - فقال (ص: ١٠١ - ١٠٢): وقال أبو حاتم ابن أخي بكّار: قدم على بكار رجلٌ من أهل البصرة، ذكر أنه كان رفيقه في المكتب، فأكرمه جدًّا، ثم احتاج إلى شهادةٍ فشهد مع رجل مصريٍّ عند بكار، فتوقف عن الحكم، فظن أهل مصر أنه لأجل المصري، فسئل في خلوة عن ذلك، فقال: المصري على عدالته ولكن السبب البصريُّ. وذكر منه أمراً رآه منه في الصغر، قال: لا تطيب نفسي إذا ذكرت ذلك أن أقبل شهادته. وذكر: أنه أكل معه أرزًا في سمن وعسل، فنفد العسل الذي من ناحية بكار، ففتح من جهة صاحبه حتى جرى العسل، فقال له: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ [الكهف: ٧١]! فقال له بكار: أتهزأ بالقرآن في مثل هذا؟ فبقيتْ في نفسه عليه.

وذكره بنحو هذا مختصرًا ابن خلكان في «وفيات الأعيان» ١/٢٨١. (ت)

الرؤوف فيقول للآمر: قتلتنا بدينك، كل شاة معلقة بعرقوبها، ثم يستدل هذا المخذول الخارج عن طريق الرسول بقوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، فلم يفهم معنى الآية، وتفسيرها بعكس ما يقول. فوقع بجهله في بدعتين: الأولى: أنه فسر القرآن برأيه؛ وصح في الأخبار أن مَن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار[(١)].

والبدعة الأخرى قوله لمن أمره بالخير: عليك بنفسك. وهذه كلمة خبيثة برزت من رجل خبيث، يكرهها الله ورسوله؛ لقوله ﷺ: «**إن أحب الكلام إلى الله أن يقول العبد: (سبحانك اللّهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إلٰه غيرك. وإن أبغض الكلام إلى الله أن يقول العبد)**[(٢)] **لأخيه: اتق الله. فيقول: عليك بنفسك**»[(٣)]. واسمع قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة: ٢٠٦].

---

(١) أخرجه الترمذي في «جامعه» (٢٩٥١) من حديث ابن عباس بلفظ: «**اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم، فمن كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار**».

قال الترمذي: هذا حديث حسن.

وأخرجه النسائي في «الكبرى» (٨٠٨٥) من حديث ابن عباس بلفظ: «**من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار**».

وأخرجه أحمد في «مسنده» ٢٣٣/١ (٢٠٦٩)، والترمذي في «جامعه» (٢٩٥٠)، والنسائي في «الكبرى» (٨٠٨٤) من حديث ابن عباس بلفظ: «**من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار**».

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقال ابن القطان في «بيان الوهم والإيهام» ٢٥٢/٥: وسكت عنه، والترمذي إنما قال فيه: حسن، وينبغي أن يقال فيه: ضعيف.

وقال الألباني في «الضعيفة» (١٧٨٣): ضعيف.

(٢) ليست في (ق).

(٣) أخرجه النسائي في « الكبرى» (١٠٦٨٥)، وفي «عمل اليوم والليلة» (٨٤٩)، وابن منده في «التوحيد» (٧٠١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٣٠)، و«الدعوات الكبير» (١٣٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

قال الألباني في « الصحيحة » (٢٩٣٩): صحيح.

وكذلك قولُ بعض من خذله الله سبحانه في مزحه: الشيخُ عَديٌّ شيء آخر! فيصير فاسقًا، وإن قالها معتقدًا يصير كافرًا كما يفعله بعض جهلة الأكراد ممن يتغالَى في الشيخ عدي، فيصدِّق بعلو مرتبة النبي ﷺ ويقول: لكنِ الشيخُ عَديٌّ شيء آخر. فمن اعتقد ذلك في الشيخ عدي فهو عبدٌ كافر معتدي[1].

قال ﷺ: **«أنا سيد ولد آدم ولا فخر»**[2].

ومن ذلك ما يتمَرَّدُ العبدُ بمزحه على الله تعالى، ويضيفه إلى ابن

---

(١) هذه إفادة مهمة من المصنِّفُ ـ رحمه الله ـ عن الغلو الذي انتشر بين بعض جهلة الأكراد في الشيخ عدي رحمه الله، وهو عدي بن مسافر بن إسماعيل الهكّاري (٤٦٧ ـ ٥٥٧هـ)، ينتهي نسبه إلى مروان بن الحكم الأموي، من شيوخ المتصوفين، تنسب إليه الطائفة العدوية، كان صالحًا ناسكًا، ولد في بيت قار (من أعمال بعلبك) وجاور بالمدينة أربع سنوات، وبنى زاوية في جبل الهكارية (من أعمال الموصل) فانقطع للعبادة، توفي ودفن بها. وانتشرت طريقته في أهل السواد والجبال. وغالى أتباعه العدوية في اعتقادهم فيه، وأحرق قبره سنة (٨١٧ هـ)، وقد ظهر الانحراف في أتباعه، وتحولوا من ضلالات التصوف إلى دين جديد عُرف باليزيدية. انظر: «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة» (مادة: اليزيدية). وكان الشيخ عدي بن مسافر في نفسه مستقيمًا على السنة، وله رسالة في الاعتقاد طبعها شيخنا حمدي عبد المجيد السَّلفي الكردي في سنة (١٤١٩) عن أصل خطي نفيس، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: والشيخ عدي ـ قدس الله روحه ـ كان من أفاضل عباد الله الصالحين وأكابر المشايخ المتبعين، وله من الأحوال الزكية والمناقب العلية ما يعرفه أهل المعرفة بذلك. وله في الأمة صيت مشهور، ولسان صدق مذكور، وعقيدته المحفوظة عنه لم يخرج فيها عن عقيدة من تقدمه من المشايخ الذين سلك سبيلهم، كالشيخ الإمام الصالح أبي الفرج عبد الواحد بن محمد بن علي الأنصاري الشيرازي ثم الدمشقي، وكشيخ الإسلام الهكاري ونحوهما. وهؤلاء المشايخ لم يخرجوا في الأصول الكبار عن أصول أهل السنة والجماعة، بل كان لهم من الترغيب في أصول أهل السنة والدعاء إليها، والحرص على نشرها، ومنابذة من خالفها، مع الدين والفضل والصلاح ما رفع الله به أقدارهم، وأعلى منارهم، وغالب ما يقولونه في أصولها الكبار جيد، مع أنه لا بدَّ وأن يوجد في كلامهم وكلام نظرائهم من المسائل المرجوحة والدلائل الضعيفة. (مجموع الفتاوى: ٣/٣٧٧).

(٢) سبق تخريجه.

الراوندي، وهل قاله ابن الراوندي أم لا؟ كقولهم: إنه خرج ذات يوم وبيده زِبْدِيَّةٌ[(١)]، فوقع عليها بَرَدَةٌ[(٢)] فكُسرتْ، فدخل بيته ثم خرج بهاونٍ ولقاه للمطر والبَرَد، وقال: إن كنت شاطرًا فاكسر هذا[(٣)].

ويحكون أيضًا عنه أنه أتى الحمام فرأى شابًّا جميلاً عليه ثياب دنسة، وهو يعمل في مستوقد الحمام، ثم رأى عبدًا أسود قد خرج من الحمام وعليه ثياب جميلة، والمسك يفوح من بين ثيابه وقد ركب بغلة ثمينة، فلما خرج من الحمام شم رائحة الهوى ومسح العرق عن وجهه، ثم قال: سافر الله! مراده استغفر الله. فقال ابن الراوندي: يا عبد النحس[(٤)]، لو لم يسافر الله ما كنت أنت تتقلب في هذه السعادة والإنعام، وهذا الشاب الجميل يعمل في مستوقد الحمام.

ومثل هذا كثير يتداوله الفسقة بينهم حين يمزحون، ومن الدين يمرقون، وعن طريق نبيهم يخرجون، ومن عين مليكهم يسقطون، ﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

وقد قلت بعض ما يقولون حاكيًا لأجل النصح، لا مازحًا، ولا

---

(١) الزِّبدية: وعاء من الخزف المحروق المطلي بالميناء، يخثر فيها اللبن.

(٢) البَرَدة: شيء ينزل من السحاب يشبه الحصى، ويسمى حبُّ الغمام وحبُّ المزْن. «المصباح المنير».

(٣) لم أقف على هذا، وابن الراوندي هو الملحد أبو الحسين أحمد بن يحيى بن إسحاق البغدادي (ت: ٢٩٨هـ)، نسبته إلى (راوند) من قرى أصبهان. قال ابن كثير: أحد مشاهير الزنادقة، طلبه السلطان فهرب، ولجأ إلى ابن لاوي اليهودي (بالأهواز) وصنف له في مدة مقامه عنده كتابه الذي سماه «الدامغ للقرآن». وقال ابن حجر العسقلاني: ابن الراوندي، الزنديق الشهير، كان أولاً من متكلمي المعتزلة ثم تزندق واشتهر بالإلحاد، ويقال كان غاية في الذكاء.

قلتُ: الظاهر أن بعض السفهاء كانوا يتناقلون حكايات في الاستهزاء بالدين على لسان ابن الراوندي، لأن هذا كان معروفًا بالإلحاد، لهذا قال المصنف رحمه الله: وهل قاله ابن الراوندي أم لا؟ فقد يكون نسبة ذلك إليه لتهوين نقله ونشره بين الناس، والله أعلم. (ت)

(٤) في (ق): أنحس.

معتقدًا، وليعلم الفاعل كذلك أنه مرق من الدين، وخرج عن طريق سيد المرسلين، وقال ﷺ: «**حاكي الكفر ليس بكافر**»(١).

فلا يحل لمسلم أن يمزح بشيء من كتاب الله تعالى ولا بشيء من أحاديث رسول الله ﷺ، كقول بعض من خذله الله في مزحه بالحديث: إن مغربيًّا رمدت عينه، فافتكر الحديث المروي: «**شفاء أمتي في ثلاث: آية من كتاب الله، أو لعقة من عسل، أو مشراط من حجام**»(٢). فقرأ المغربي آية فلم تبرأ عينه، ولعق العسل فلم يصح، فشرطها فورمت. فعند ذلك قال: يا حبيبي يا رسول الله، إذا لم تكن تعرف الطب فلم تتكلم فيه. فانظر إلى هؤلاء المفتونين كيف يرمون نبيهم بالجهل حين يمزحون.

ويروى أن طبيبين دخلا على النبي ﷺ الواحد يهودي والآخر

---

(١) هذا ليس بحديث، ولا أصل له عن النبي ﷺ، لكنه من كلام بعض العلماء، وهو صحيح إن كان المراد مجرَّد النقل والحكاية. قال العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ في «فتاويه» ١٢/١٨٠: «وأما «ناقل الكفر ليس بكافر» فليس بمرفوع، وفي كلام العلماء ما يدل على أن المسألة ليست على هذا الإطلاق، بل فيها تفصيل يتلخص في أن حاكي الكفر عن الغير يختلف حكمه باختلاف القرائن، فإن كانت الحكاية لغرض شرعي فالأمر كذلك، لإجماع أئمة الهدَى على حكايات مقالات الكفرة والملحدين في كتبهم التي صنفوها وبحالهم ليبينوا ما فيها من فساد ليتجنب، وليبطلوا شبهها عليهم، ومن أدلتهم على ذلك أن الله تعالى قد حكى مقالات المفترين عليه، وعلى رسله في كتابه على وجه الإنكار لقولهم، والتحذير من كفرهم، والوعيد عليه بالعقاب في الدارين، والرد عليهم بما بينه في حكم كتابه، وكذلك وقع في أحاديث النبي ﷺ الصحيحة. وإن كانت الحكاية على وجه الاستحسان لمقالة المحكي عنه فلا شك في كفر الحاكي، واستحقاقه ما يستحق المحكي عنه، وقد عقد القاضي عياض في «الشفاء» بابًا أطال فيه في بيان هذه المسألة، فليراجعه السائل، فإن فيه ما يقنعه، والله الموفق».

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ١/٢٤٥ (٢٢٠٨)، والبخاري في «صحيحه» (٥٦٨٠) و(٥٦٨١)، وابن ماجه في «سننه» (٣٤٩١) من حديث ابن عباس بلفظ: «**الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم، أو شربة عسل...**».

وأخرجه أحمد في «مسنده» ٣/٣٤٣ (١٤٧٠١)، والبخاري في «صحيحه» (٥٦٨٣، ٥٧٠٢)، ومسلم في «صحيحه» (٢٢٠٥) من حديث جابر بلفظ: «**إن كان في شيء من أدويتكم خير ففي شرطة محجم ...**».

نصراني، فتكلما في الطب، فلما خرجا من عند النبي ﷺ قال لأصحابه: **«لولا الغيبة لقلت لكم أيهما أطب من صاحبه»**(١).

وهذا بعض ما يمزحون به من أنواع الخزي، ولا يفعله إلا كل عبد مطرود، وشؤم ذلك عليه يعود، لتشبهه بالكافر المبعود؛ لأني سمعت أن اليهود لعنهم الله ينتخبون مثل هذه الأشياء، ثم يمزحون بها فيستهزؤون بالآيات والأخبار؛ لأنهم باؤوا بغضبٍ من الجبار، وهم أيضًا وقود النار، فلا ينبغي للمؤمن أن يمزح بشيء يسخط ربه، ويخالف أوامره، فيضحك القوم ويبكي هو في الآخرة.

يا من يشق عليه أن يفعل شيئًا يصير به مضحكةً بين أبناء جنسه، ولا يشق عليه وقد صار مضحكة للشيطان، قال ﷺ: **«إن للموسوسين شيطانًا يضحك بهم يقال له الولهان»**(٢). فإذا كان الشيطان يضحك بأهل الوسوسة، أمَا يضحك بأهل البدع والعصيان؟!

وإذا علم المؤمن أن الطاعة ترضي الله تعالى، والمعصية فيها سخط رب العالمين، وهو يسارع في المعصية، أما يصير مضحكة للشياطين؟!

لا تكن الثكلى أفقه منك ـ أيها المعرض عن الله! ـ المتعرض لسخطه، قد شُغلت بفقد ولدها عن الأفراح والأعياد، الناس في أعيادهم وأفراحهم والتزاور، وهي منطرحة تبكي في المقابر.

هذا حال من فقد ولدًا له (٣)(وقد يجد ولدًا غيره، والغافل قد فقد ربه، وليس له إلا هو وهو يضحك، لا جرم أنه يدخل النار وهو يبكي.

---

(١) لم أجده وذكر معناه الزرقاني في «شرحه على موطأ مالك» ٥٢١/٤.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ١٣٦/٥ (٢١٢٣٨)، وابن ماجه في «سننه» (٤٢١)، والترمذي في «جامعه» (٥٧) من حديث أبي بن كعب بلفظ: «**إن للوضوء شيطانًا يقال له ولهان، فاتقوا وسواس الماء**».

قال الترمذي: حديث أبي بن كعب حديث غريب، وليس إسناده بالقوي.

قال الألباني في «ضعيف الجامع» (١٩٧٠)، و«المشكاة» (٤١٩): ضعيف.

(٣) من هنا بداية سقوط ورقة من (ق).

رأى الشِّبلي امرأةً خلف جنازة ولدها وهي تصيح: والله ما لي سواه. فصاح الشِّبلي: وامصيبتاه إن طردني من ليس لي سواه[1].

واعلم أن من بكى على شيء فاته من أمر الدنيا يسأل عنه يوم القيامة؛ لأنه ضيع دمعه في غير مصلحة، قال الله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣]، أي: من أمر الدنيا؛ لأنها كالظل الزائل عن أيامٍ قلائل.

والسفيه لا يكون سفيهًا بتضييع الكثير من المال، بل لو وضع فلسًا في غير مصلحةٍ يكون سفيهًا؛ لأن الفلس مال، وقد نهى الشرع عن إضاعة المال، فإذا سئل العبد عن إضاعة ماله في غير مصلحة، أفما[2] يسأل عن إضاعة عمره في غير مصلحة!

كان بعضهم ينشد هذه الأبيات:

كم يذهب هذا العمر في خسران	ما أشغلني عنه وما ألهاني
ضيعت زمانًا ما له من عوضٍ	هل بعدك يا عمري من عمرٍ ثاني

وأنشدوا أيضًا[3]:

سهر العيون لغير وجهك باطل	وبكاؤهن لغير هجرك ضائع

فالويل، ثم الويل لمن فقد قلبًا واعيًا، وطرفًا باكيًا، واعلم رحمك الله بأنَّ جميع الكائنات لها شبه ونظير، والحق سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

فإذا علمت أنَّ الحقَّ سبحانه وتعالى لا مِثل له؛ فلا تضيع وقتك بالاشتغال بالأشكال والأمثال والرسوم والأطلال، فلا تطلب إلا إياه، ولا

---

(١) هذا مكرر، فقد ذكر المصنف رحمه الله هذا فيما سبق، وعلقنا عليه هناك.

(٢) في (ب): فكيف لا.

(٣) في (ب): أنشد بعضهم.

تؤثر هواك على رضاه، فتحمُّل المشقات في طلب مَن لا مِثل له حسنٌ جميل، وإتعابُ النفس في طلب ما له أمثال كثيرة خسران وبيل.

كان بعضهم ينشد:

أتوب إلى الذي أضحى وأمسى ... وقلبي يتقيه ويرتجيه
تشاغل كل مخلوق بشغل ... وشغلي في محبته وفيه

سمع هذه الأبيات سفيان الثوري فبكى، وقال: نعم الشغل شغلك.

قال علماء الحنفية[1]: إذا بكى العبد في صلاته من خشية الله تعالى تمت صلاته، وكثرت حسناته، وإن بكى مِن نزول مصيبة أو مِن فَقْد شيءٍ من الدنيا فسدت صلاته؛ وذلك لأن الله تعالى ما أخذ منه شيئًا إلا ويريد أن يعوضه ما هو خير منه، وأمره بالصبر، فلما لم يصبر ولم يثق بوعد الله تعالى فقد خالف الله، فبطلت صلاته، وهذا إذا ارتفع البكاء، فإن لم يرتفع بكاؤه لم تبطل صلاته، والله أعلم.

كان شيخُنا ـ رحمة الله عليه ـ يقول: إن عُمرًا ضُيِّع أوله لجدير أنْ يُحفظ آخره. وكان يقول: ما أقلَّ بركة مالٍ وقع فيه أيدي الناهبين.

إياك ـ أيها المؤمن! ـ أن تخرج من الدنيا وما ذُقت أطيب شيء فيها، وهي حلاوة حب الله سبحانه؛ فما أحب الصالحون البقاء في الدنيا لجمع المال، ولا لغرس الأشجار، ولا لجري الأنهار، ولكن لظمأ الهواجر، وقيام ليل الشتاء، ولطلب العلم، ولتحصيل الطاعة والأذكار. فالمؤمن الصَّادق لا يفرح إلا بالله، ولا يحزن إلا على ما فاته من معاملة الله، وهذا مراد الحق من عبده.

قال المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ أي: من الدنيا. ﴿وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣] أي: بما أعطاكم الله منها.

---

(١) «بدائع الصنائع» ١/٢٣٥، و«البحر الرائق» ٢/٤.

لكن ينبغي للعبد المقبل أن يفرح لإقباله على مولاه، قال الله سبحانه: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

وينبغي للعبد المُدْبِر أن يطيل الحزن على ما فاته من معاملة الله سبحانه، كما قال بعضهم:

فواحزني أني مقيم ببلدةٍ ... وأنت بها ما لي إليك وصول[(١)]
كالعيس في البيداء يقتلها الظما ... والماء فوق ظهورها محمول

وكان أبو حنيفة يكثر من قوله:

كفى حزنًا أن لا حياة هنيئة ... ولا عمل يرضى به الله صالح

وقال الشافعي رحمه الله في مرضه الذي مات فيه، وقد سأله المزني: كيف حالك؟ فقال رضي الله عنه: أصبحت في الدنيا راحلًا، ولإخواني مفارقًا، ولسوء أعمالي ملاقيًا، ولا أدري أنا من أهل الجنة فأُهنَّأ، أم من أهل النار فأُعزَّى. وأنشد فقال:

أسفي أموت وليس لي ... عمل به نفسي تطيب
والغبن أني راحلٌ ما ... لي من التقوى نصيب[(٢)]

فقد علمت تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣] أي: بما أعطاكم الله من الدنيا.

وقد جاء في الحديث: «**إذا أحب الله عبدًا زوَى عنه الدنيا**»[(٣)]. فما زواها عنه بخلًا عليه، بل رحمةً منه إليه، ليخفف حسابه، وليتفرغ لخدمة الله، وللوقوف بين يديه، ثم طلب منه الصبر، أي اصبر، فالعوض

---

(١) إلى هنا نهاية سقوط ورقة من (ق).

(٢) أخرجه البيهقي في «الزهد الكبير» (٥٧٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٤٢٩/٥١، والسبكي في «طبقات الشافعية» ٢٩٥/١، والذهبي في «السير» ٧٥/١٠.

(٣) سلف ذكره وتخريجه.

على من صبر على ذهاب دار الفناء حَصُلْتُ له أنا، فمنهم من ترك الدنيا باختيار موافقةً للنبي المختار ولمن تابعه من الأخيار[1]، كما قيل: إن الخليفة رأى الفُضيلَ ودفع له كيسًا فردَّه، وقال: أنا ما أرضى الدنيا لكم فكيف آخذها منكم؟!

وورث بعضُ مشايخ «الرسالة» من أبيه مالاً كثيرًا، ففرقه كلَّه على إخوانه صررًا، فلاموه فيما فعل، فقال: أنا أريد لإخواني الآخرة فكيف أبخل عليهم بالدنيا؟!

كل ذلك خوفًا لكي لا تدخل الدنيا عليهم فتفسد قلوبهم كما أفسدت قلوبنا. كان للصالحين قلوب خافوا على فسادها، ومن لا قلب له على أي شيء يخاف؟[2]

البصير يخاف على بصره من العمى والرمد، والأعمى قد أهمل هذه الأمور، قال المولى الغفور: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]. وقال ﷺ: **«إن في الجسد مضغةً إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»**[3].

ومن العباد من زوى الله سبحانه عنه الدنيا بغير الاختيار، وعوضه ما هو خير منها، وهو الكريم الغفار، أنفق بعض الصالحين جميع ماله على إخوانه، وما بقي يقدر على ما يواري به عورته، فقال له بعض الشَّامتين: جاء في الحديث: **«من ترك شيئًا لله عوضه الله ما هو خير منه»**[4] فماذا

---

(١) في (ق): الأنصار.

(٢) «الرسالة» هي لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (٤٦٥هـ)، وتعرف بالرسالة القشيرية. ولم أظفر بهذه الحكاية فيها.

(٣) أخرجه الحميدي في «مسنده» (٩١٨)، وأحمد في «مسنده» ٢٧٠/٤(١٨٣٧٤)، والدارمي في «سننه» (٢٥٣١)، والبخاري في «صحيحه» (٥٢)، ومسلم في «صحيحه» (١٥٩٩)، وابن ماجه في «سننه» (٣٩٨٤)، والترمذي في «جامعه» (١٢٠٥) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ١٩٦/٢، وابن عساكر في «تاريخه» ٣٧٤/١٠ من حديث=

عوضك؟ قال: عوضني الرضى عنه[1].

وجاء في الحديث: «**يؤجر المرء على رغم أنفه**»[2]، وهذا هو خير، والأول أفضل منه وخير.

وقد يزوي الرجل عن مريضه ما لا يساوي فلسًا ما بخل به عليه، بل شفقة منه عليه، وقد تصعط[3] الوالدة ولدها الصَّبر وهي تحبه وتواليه، والوالد يؤلم ولده بالضرب وهو مغرمٌ فيه؛ فالولد لا يتَّهِمُ والديه؛ لعلمه أنهما عملا ذلك مصلحة له وشفقة عليه. وكذلك الدابة، لما علمت أن عنانها بيد مالكها سلمت جميع أمورها إليه، فربما جاءت إلى باب منزلها تعبانةً، فلوى المالك عنانها فسارت مسرعةً راضية غير غضبانة.

= ابن عمر بلفظ: «**ما ترك عبد شيئًا لله لا يتركه إلا له إلا عوضه الله منه ما هو خير له في دينه ودنياه**».

قال أبو نعيم: هذا حديث غريب.

وقال الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٠٤١): موضوع.

وقال في «الضعيفة» (٥): موضوع بهذا اللفظ، نعم صحَّ الحديث بدون قوله في آخره: «في دينه ودنياه». أخرجه وكيع في «الزهد»، وعنه أحمد ٣٦٣/٥، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١١٣٥) عن أبي قتادة وأبي الدهماء قالا: أتينا على رجل من أهل البادية فقلنا: هل سمعت من رسول الله ﷺ شيئًا؟ قال: نعم، سمعته يقول: «**إنَّك لن تدع شيئًا لله عز وجل إلا بدَّلك الله به ما هو خيرٌ لك منه**». وسنده صحيح على شرط مسلم.

(١) لم أجده، وأخرج نحوه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٧٤٩) عن المفضل بن غسان الغلابي، قال: حدثني أبي، عن رجل قال: كنت مع ابن عيينة وفضيل بن عياض وعبد الله بن المبارك قال: فقال سفيان: قوموا بنا إلى عبد الله بن مرزوق فإنه ثقيل لنعوده، فقاموا حتى دخلوا على عبد الله فوجدوه في بيت ليس بينه وبين الحصى شيء، وعلى عورته خرقة تكاد تستره، ورأسه على دكان وهو مسجد البيت. فقال له سفيان: يا أبا محمد بلغني أنه ليس أحد يدع من الدنيا شيئًا إلا عوضه الله خيرًا من ذلك، وقد تركت أشياء من الدنيا فما عوضك الله منها؟ قال: الرضى بما ترون.

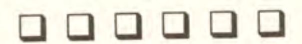
(٢) قال العجلوني في «كشف الخفاء» (٣٢٤١): ليس بحديث.

(٣) في (ق، ط): تسعط. وكلاهما صحيح، والصَّعُوْطُ أو السَّعُوْط: دواء يصب في الأنف.

فلا يكن ـ أيها المؤمن! ـ الطفلُ والدَّابةُ أفقه منك، الولد لا يتهم أبويه، (والدابة لا تتهم)[1] مالكها، وقد علمت وتحققت أن الله سبحانه أعلم بمصلحتك منك، وأن عنانك بيده، فإياك إياك أن تتهم أو تتعرض على مولاك، فتكون النار مأواك، وكن من جملة العبيد، فلا يكون أبدًا إلا ما يريد.

دخل بعض الصالحين على أخٍ له في الله، فوجد الوليدات يستتر بعضهم ببعض من العري، فقال له: لِم لا تدعو الله لهم؟ قال: هو أعلم بمصالح عباده، دعهم عسى يراهم فيرحمهم[2].

وقد ذكرت في كل باب شيئًا من صفات الأحباب، تبركًا لهذا الكتاب، ولنزول الرحمة على القارئ والقائل والمستمع من خزائن الكريم الوهاب، الذي لا يخشى الفاقة، ويعطي بغير حساب.



(١) في (خ): ولا الدابة.

(٢) لم أجده.

قلتُ: مثل هذا التصرف مخالف لشريعة الإسلام، ولسنة خير الأنام، عليه الصلاة والسلام، فإن أدَّى صنيعُ هذا الجاهل الظالم إلى الإضرار بأولاده وأهله بحيث يصابون بمرض أو عاهة، أو يموتون من الجوع والبرد؛ فهو قاتلهم، وقد باء بإثمهم، وضيَّع رعيَّته الذين يُسأل عنهم يوم القيامة، وقد قال رسول الله ﷺ: «**كفى بالمرء إثماً أن يُضَيعَ مَنْ يَقُوت**»، أخرجه أبو داود (١٤٨٥)، وحسَّنه الألباني. (ت)

فصل: فيما ابتدعت طائفة من القرندلية[1] فحلقوا ذُقونَهم وحواجبهم، وثقبوا إحليلَهم، وهذه أفعال رديَّةٌ، ومصيبة في الدين وبليَّةٌ؛ لمخالفتهم الحقَّ سبحانه، ولخروجهم عن طريق خير البرية

قال ﷺ: «**قصُّوا الشارب، وأعفوا اللِّحى**»[2]. فقد نهانا الشرع عن حلق اللحية، وأمرنا بقصِّ الشارب، فاتبع الشرع أيها الطالب، لتُرفع إلى أعلى المنازل والمراتب. قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: ٧].

وهذه البدعة الملعونة فيها تشبه بالمجوس وبأهل الكتاب، وهي طائفة من الإفرنج، فانتهوا يا أولي الألباب، فمن تشبه بهم في الدنيا حشر معهم في الآخرة؛ فنكب وخاب، قال ﷺ: «**من تشبه بغيرنا فليس منا**». وفي الحديث الآخر: «**فهو منهم**»[3].

---

(١) سنذكر كلام أهل العلم فيهم في آخر هذا الفصل.

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٩٤٢٦) من حديث ابن عباس، وهو جزء من حديث طويل، قال الألباني في «الضعيفة» (٤٠٥٧): ضعيف.

وأخرجه مالك في «الموطأ» (١٦٩٦)، وأحمد في «مسنده» ٢/١٦(٤٦٥٤)، والبخاري في «صحيحه» (٥٨٩٢، ٥٨٩٣)، ومسلم في «صحيحه» (٢٥٩)، وأبو داود في «سننه» (٤١٩٩)، والترمذي في «جامعه» (٢٧٦٣، ٢٧٦٤)، والنسائي في «المجتبى» ٨/١٢٩ (٥٠٤٥) من حديث ابن عمر بلفظ: «**أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى**».

(٣) سبق تخريج هذا والذي قبله.

فقد تبرأ الرسول من الحالق المخذول، فحُرِم الخير والوصول؛ لخروجه عن السنة ولتضييعه الأصول.

وفي الخبر: «أن الملائكة تقول: سبحان من زيَّن الرجال باللِّحى»[(١)].

وكذلك تكبل أحدهم بالسلاسل والحديد بدعة لا ترضي المولى المجيد، ولا يفعلها إلا كل شيطانٍ مريد؛ لأنها بدعة ردية، تخالف القرآن والسنة المحمدية؛ قال الله تعالى: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [غافر: ٧١ - ٧٢].

ورأى النبي ﷺ رجلاً في إصبعه حلقة من حديد، فقال: «**ما لي أرى عليك حلية أهل النار؟**»[(٢)]. قال ﷺ: «**إذا رأيتم أهل البلاء اسألوا العافية**»[(٣)].

فهؤلاء المخذولون قد خرجوا عن طريق نبيهم، وخالفوا الرحمٰن، واتبعوا أوامر الشيطان؛ لأن الله تعالى لما طرد الشيطان قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢ - ٨٣]. فأجابه الحق سبحانه بقوله: ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ

---

(١) ذكره الديلمي في «مسند الفردوس» (٦٤٨٨)، وإسماعيل حقي في «روح البيان» ١٧٧/١، والعجلوني في «كشف الخفاء» (١٤٤٧) من حديث عائشة بلفظ: «ملائكة السماء يستغفرون لذوائب النساء، ولحى الرجال، يقولون: سبحان الله الذي زين الرجال باللحى، والنساء بالذوائب».

قال الألباني في «الضعيفة» (٦٠٢٥): موضوع.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) لم نجده إلا فيما أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٦٦٤٦)، عن عباس الآجري قال: سئل أبو بكرٍ الشبلي عن قول النبي ﷺ: « **إذا رأيتم أهل البلاء فاسألوا الله العافية**». قال: من هم أهل البلاء؟ قال: أهل الغفلة عن الله.

وقد أخرج عبد بن حميد (٣٨)، والترمذي (٣٤٣١) عن ابن عمر، عن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «**من رأى صاحب بلاء، فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً، إلا عوفي من ذلك البلاء، كائنًا ما كان، ما عاش**». وخرَّجه الألباني في «الصحيحة» (٦٠٢) وقوَّاه. وهذا الحديث صريح في أن المراد البلاء المادي وليس المعنوي.

مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص: ٨٤ ـ ٨٥] فأخبر عنه بقوله تعالى: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩].

ومن حلق لحيته وحواجبه وشواربه فقد غير خلق الله، وكذلك الواشمة وما يشبه ذلك، الكل خارجون عن السنة، داخلون في طريق كلِّ مبتدع وهالك، فإن احتج أحدهم بخروجه عن طريق النبي المختار والصحابة الأخيار والمؤمنين الأبرار باتباعه لشيخه فقد وافق الكفار، ومن وافقهم في الدنيا حشره الله تعالى معهم في النار.

وتشبه هؤلاء المعتدون بقوم تركوا طرق أنبيائهم وقالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

وهذه البدع مخالفة لطريق سيد المرسلين، والخلفاء الراشدين، ولأئمة المسلمين، ولم يرض بهذه البلية إلا هذه الطائفة الرَّدية المعروفة بالقرندلية؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

ونقول مسألة مناسبة: رجل غصب مملوكًا أمرد، فطلعت لحيته عنده، فرفعه صاحب المملوك إلى الشرع، وقال: هذا غصب مملوكي وهو أمرد، وكانت قيمته ألف درهم، والآن يساوي خمس مئة درهم لطلوع لحيته.

قال بعض العلماء: يأخذ مملوكه ويرجع على الغاصب بما نقص من ثمنه[1].

وقال أبو حنيفة ومن تابعه من العلماء: لا يرجع عليه بشيء؛ لأنه زاد قوة وزينة في الشرع، ونقص عند أهل الفسق، فلا يعتبر ذلك[2].

---

(١) ذكره الرافعي في «الشرح الكبير» ٣٥٧/١١، والنووي في «روضة الطالبين» ٦٦/٥، وابن قدامة في «المغني» ٣٩٠/٥.

(٢) «بدائع الصنائع» ١٥٦/٧، ومناسبة ذكر هذه المسألة؛ أنه كان من سلوك القلندرية أنهم يختطفون الصغار ويجبرون الكبار على السير معهم، وقد ذكر طاش كبرى زادة في «الشقائق النعمانية» ص١٢٨، في ترجمة ابن الأشرف أنه مال إلى طريق التصوف، والتحق بزمرة الصوفية، ثم رغب في السياحة، واقتدى به طائفة القلندرية، وأخذوه معهم جبراً=

. . . .

= وقهراً، ولم يتخلص من أيديهم حتى سار معهم في البلاد زماناً كثيراً إلى أن مات.

قال التهانوي في «كشاف اصطلاحات العلوم» ص١٣٤٠: «قلندر وقلاش: كلمتان يوصف بهما بعض رجال الصوفية المجردين عن العلائق الدنيوية. وعند الصوفية: الرجل الذي هو من أهل التَّرك والتجريد. وقد تجاوز عن اللذائذ البشرية. كذا في بعض الرسائل. ويقول في «قاموس جهانگيري»: قلندر: بالفتح عبارة عن شخص تجرَّد عن نفسه، وعن الأشكال البشرية والأشكال العادية والأعمال التي لا سعادة فيها حتى صار من أهل الصَّفاء، وترقَّى إلى مرتبة الروح، وتخلَّص من القيود والتكليفات الرسمية والتعريفات الأسمية، وقد تجرَّد وتفرَّد عن الكونين، وصار بقلبه وروحه كلاهما طالباً لجمال وجلال الحقِّ جلَّ وعلا، ووصل إلى حضرة الحقِّ. والفرق بين القلندر والملامتي والصوفي هو أنَّ القلندري قد وصل إلى درجة الكمال في التفريد والتجريد، ويسعى في تخريب العادة. وأمَّا الملامتي فيجتهد في إخفاء عبادته. وأمَّا الصوفي: فهو لا يبالي قلبه بالخلق أصلاً، ولا يلتفت إليهم في شيء من أحواله، لذا فهو أعلاهم مرتبةً».

وأقدم ما وجدته في ذكره هذه الطائفة؛ ما ذكره الذهبي رحمه الله في «تاريخ الإسلام» ١١٢٨/١٢ (٤٠٩) في ترجمة (مسعود بن محمد ابن الدلال الهمذاني) المتوفَّى سنة (٥٩٧)، فقد وصفه بقوله: «شيخ القلندرية».

وأشهر من عُرف بالقلندرية وكان له الأثر البارز في نشرها هو:

محمد بن يونس الساوجي، قال الذهبي رحمه الله في «تاريخ الإسلام» ٩٤٨/١٣ (٦٣٦) فيمن توفي بعد العشرين وستِّ مئة: «محمد الشيخ جمال الدين السَّاوجي الزاهد، شيخ الطائفة القَلَندريَّة، قدم دمشق، وقرأ القرآن والعلم، وسكن بجبل قاسيون، بزاوية الشيخ عثمان الرومي، وصلى بالشيخ عثمان مدةً، ثم حصل له زهد وفراغ عن الدنيا، فترك الزاوية، وانملس، وأقام بمقبرة باب الصغير، بقرب موضع القبة التي بنيت لأصحابه، وبقي مُدَيدةً في قبة زينب بنت زين العابدين، فاجتمع فيها بالجلال الدَّرْكَزيني، والشيخ عثمان كوهي الفارسي الذي دفن بالقنوات، بمكان القلندرية، ثم إن الساوجيَّ حلق وجهه ورأسه، فانطلى على أولئك حاله الشيطانيُ فوافقوه، وحلقوا، ثم فتَّش أصحاب الشيخ عثمان الرومي على الساوجي فوجدوه بالقبة فسبوه وقبحوا فعله، فلم ينطق، ولا ردَّ عليهم. ثم اشتُهر، وتبعه جماعة، وحلقوا، وذلك في حدود العشرين وست مئة، فيما أظنُّ. ثم لبس دَلَقَ شَعر، وسافر إلى دمياط، فأنكروا حاله وزيَّه المنافي للشرع، فريَّق بينهم ساعة، ثم رفع رأسه، فإذا هو بشيبة - فيما قيل! - كبيرة بيضاء، فاعتقدوا فيه، وضلوا به، حتى قيل: إن قاضي دمياط وأولاده وجماعة حلقوا لحاهم وصحبوه، والله أعلم بصحة ذلك. وتوفي بدمياط، وقبره مشهور، وله هناك أتباع. وذكر الأجلُّ شمس الدين الجزريُّ في «تاريخه»: أنه رأى كراريس من تفسير القرآن العظيم للشيخ جمال الدين=

. . . .

= الساوجي وبخطه. وجلس في المشيخة بعده بمقبرة باب الصغير جلال الدين الدركزيني، وبعده الشيخ محمد البلخي، وهو ـ أعني البلخي ـ من مشاهير القوم، وهو الذي شرع لهم الجولق الثقيل، وأقام الزاوية، وأنشأها، وكثر أصحابه. وكان للملك الظاهر فيه اعتقاد، فلما تسلطن طلبه، فلم يمض إليه، فبنى لهم السلطان هذه القبة من مال الجامع، وكان إذا قدم يعطيهم ألف درهم، وشقتين من البسط، ورتب لهم ثلاثين غرارة قمح في السنة، وعشرة دراهم في اليوم. وكان السُّوَيداوي منهم يحضر سماط السلطان الملك الظاهر، ويمازح السلطان، ولما أنكروا في دولة الأشرف موسى على الشيخ علي الحريري أنكروا على القلندرية ـ وتفسيرها بالعربي: المحلقين ـ ونفوهم إلى قصر الجنيد. وذكر ابن إسرائيل الشاعرُ أنَّ هذه الطائفة ظهرت بدمشق سنة نيِّف عشرة وست مئة. ثم أخذ يحسِّن حالهم الملعون، وطريقتهم الخارجة عن الدين. فلا حول ولا قوة إلا بالله».

وفي «البداية والنهاية» لابن كثير رحمه الله ٣١٤/١٤ في حوادث سنة (٧٦١هـ): «الأمر بإلزام القلندرية بترك حلق لحاهم وحواجبهم وشواربهم، وذلك محرم بالإجماع حسب ما حكاه ابن حزم، وإنما ذكره بعض الفقهاء بالكراهية، ورَدَ كتابٌ من السلطان أيده الله إلى دمشق في يوم الثلاثاء خامس عشر ذي الحجة، بإلزامهم بزي المسلمين وترك زي الأعاجم والمجوس، فلا يمكَّن أحد منهم من الدخول إلى بلاد السلطان حتى يترك هذا الزيَّ المبتدع، واللباس المستشنع، ومن لا يلتزم بذلك يعزر شرعًا، ويقلع من قراره قلعًا، وكان اللائق أن يؤمروا بترك أكل الحشيشة الخسيسة، وإقامة الحدِّ عليهم بأكلها وسكرها، كما أفتى بذلك بعض الفقهاء. والمقصود أنهم نودي عليهم بذلك في جميع أرجاء البلد ونواحيه في صبيحة يوم الأربعاء، ولله الحمد والمنة».

وسُئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: عن هؤلاء القلندرية الذين يحلقون ذقونهم: ما هم؟ ومن أي الطوائف يحسبون؟ وما قولكم في اعتقادهم أن رسول الله ﷺ أطعم شيخهم قلندر عنبًا وكلَّمه بلسان العجم؟ فأجاب رحمه الله: «أما هؤلاء القلندرية المحلِّقي اللحى فمن أهل الضلالة والجهالة، وأكثرهم كافرون بالله ورسوله، لا يرون وجوب الصلاة والصيام، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق، بل كثير منهم أكفر من اليهود والنصارى، وهم ليسوا من أهل الملة، ولا من أهل الذمة. وقد يكون فيهم من هو مسلم؛ لكن مبتدع ضال أو فاسق فاجر. ومن قال: إن «قلندر» موجود في زمن النبي ﷺ؛ فقد كذب وافترى، بل قد قيل: أصل هذا الصنف أنهم كانوا قومًا من نساك الفرس يدورون على ما فيه راحة قلوبهم، بعد أداء الفرائض واجتناب المحرمات. هكذا فسَّرهم الشيخ أبو حفص السهروردي في «عوارفه» ثم إنهم بعد ذلك تركوا الواجبات وفعلوا المحرمات، بمنزلة «المَلَامِيَّة» الذين كانوا يخفون حسناتهم، ويظهرون ما لا يظن بصاحبه الصلاح من زي الأغنياء، ولبس العمامة، فهذا قريب، وصاحبه مأجور على نيته. ثم=

. . . .

= حدث قوم فدخلوا في أمور مكروهة في الشريعة، ثم زاد الأمر ففعل قوم المحرمات من الفواحش والمنكرات، وترك الفرائض والواجبات، وزعموا أن ذلك دخول منهم في «المَلامِيَّات»، ولقد صدقوا في استحقاقهم اللوم والذم والعقاب من الله في الدنيا والآخرة، وتجب عقوبتهم جميعهم، ومنعهم من هذا الشعار الملعون، كما يجب ذلك في كل معلن ببدعة أو فجور. وليس ذلك مختصًا بهم؛ بل كل من كان من المتنسكة والمتفقهة والمتعبدة والمتفقرة والمتزهدة والمتكلمة والمتفلسفة ومن وافقهم من الملوك والأغنياء والكتَّاب والحسَّاب والأطباء وأهل الديوان والعامة خارجًا عن الهدى ودين الحق الذي بعث الله به رسوله، لا يقر بجميع ما أخبر الله به على لسان رسوله، ولا يحرم ما حرمه الله ورسوله، أو يدين بدين يخالف الدين الذي بعث الله به رسوله باطنًا وظاهرًا، مثل من يعتقد أن شيخه يرزقه، أو ينصره أو يهديه، أو يغيثه أو يعينه، أو كان يعبد شيخه أو يدعوه ويسجد له، أو كان يفضله على النبي ﷺ تفضيلاً مطلقًا أو مقيدًا في شيء من الفضل الذي يقرِّب إلى الله تعالى، أو كان يرى أنه هو أو شيخه مستغن عن متابعة الرسول ﷺ؛ فكل هؤلاء كفار إن أظهروا ذلك، ومنافقون إن لم يظهروه حتى يسألوا عن ذلك رسول الله ﷺ، ومثل الذي قال: إذا أنا مت فاسحقوني وذروني في اليمّ، لعلي أضل عن الله ونحو ذلك، فإن هؤلاء لا يكفرون حتى تقوم عليهم الحجة بالرسالة كما قال الله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقد عفا الله لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان، وقد أشبعنا الكلام في القواعد التي في هذا الجواب في أماكنها، والفتوى لا تحتمل البسط أكثر من هذا. والله أعلم». (مجموع الفتاوى: ٣٥/١٦٣ ـ ١٦٦)

وقال العلامة ابن ناصر الدين الدمشقي في «الرد الوافر» ٥٠ ـ في ترجمة: الشيخ الإمام العلامة القاضي أبي البقاء محمد ابن سوار الأنصاري الخزرجي السبكي الشافعي (٧٠٧ ـ ٧٧٧هـ) ـ: حكى بعض من لقيته من الشيوخ العلماء أنه حضر مرةً مع قاضي القضاة أبي البقاء شيخ الشافعية درسًا ألقاه بالمدرسة الرواحية، وهي داخل باب الفراديس من دمشق، فجاءه جماعة من طائفة القلندرية يسألونه، فأمر لهم بشيء، وكان إذ ذاك حاكمًا بدمشق على القضاء بها، ثم جاءه طائفة أخرى من الحيدرية ـ وهو يتوضأ على بركة المدرسة المذكورة ـ فسألوه، فأمر لهم بشيء، ثم جاء فصلى ركعتين، ثم قال: رحم الله ابن تيميةَ، كان يكره هؤلاء الطوائف على بدعهم. قال: فلما قال ذلك ذكرت له كلام الناس في ابن تيمية، فقال لي ـ وكان ثم جماعة حاضرون، قد تخلفوا بعد الدرس يشتغلون عليه ـ: والله يا فلان ما يُبغض ابن تيمية إلا جاهل أو صاحب هوى، فالجاهل لا يدري ما يقول، وصاحب الهوى يصده هواه عن الحق بعد معرفته به. قال: فأعجبني ذلك منه، وقبلت يده، وقلت له: جزاك الله خيرًا. انتهى

ولأبي الفضل محمد بن عبد الله القونوي دراسة عن القلندرية بعنوان: «الصوفية القلندرية تاريخها، وفتوى شيخ الإسلام ابن تيمية فيها»، لم أقف عليها. (ت)



فصل في الحياء وغض البصر

ومن البدعة أيضًا: دخول الحمام أو غيره من البحار والغدران بغير مئزرٍ بحضرة الآدميين، وهذا يأتي من قلة الحياء والدِّين، وهو حرام بإجماع المسلمين.

ثم اعلم بأن الحياء من صفات الأنبياء، وهو طريق الأولياء، وبه وصلوا إلى محبوبهم، وبلغهم الله سبحانه إلى مطلوبهم، فمن استحيا من الله تعالى راجيًا[1] ثوابه؛ استحيَى الله تعالى يوم القيامة من توبيخه وعذابه، قال الله تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء: ١٤٧]. وقال ﷺ: **«إن الله يستحيي أن يعذب شيبةً شابت في الإسلام»**[2].

---

(١) زاد في (خ): في.

(٢) ضعيفٌ جدًّا أو موضوع، أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٢٧٦٤)، وابن حبان في «المجروحين» ١/١٦٨، والحارث كما في «بغية الباحث في مسند الحارث» (١٠٨٤)؛ من حديث أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تبارك وتعالى: إني لأستحيي من عبدي وأمتي يشيبان في الإسلام، فتشيب لحية عبدي ورأس أمتي في الإسلام، ثم أعذبهما في النار بعد ذلك».

وقال ابن حبان: منكر باطل، لا أصل له.

وأورده الألباني في «الضعيفة» (٥٨٨٣)، وقال: ضعيف جدًّا.

وأورده ابن الجوزي في «الموضوعات» ١/١٧٧، والذهبي في «تلخيص كتاب الموضوعات» (٧٥) وقال: الخبر منكر.

فيجب على هذا الشيخ المسكين أن يعرف قدر هذه النعمة، ويستحي من الله تعالى أن يخرج عن طريق سيد المرسلين.

ثم اعلم بأن الحياء على وجهين: حياء فيما بينك وبين الله، وحياء فيما بينك وبين الناس. فأمَّا الحياء الذي بينك وبين الله تعالى فهو أن تعرف نعمه، وأياديه فتستحيي منه أن تعصيه. فأعظم الناس مقتًا عند الله تعالى مَن جعل نعمه فيه، وهو يمحقها في مخالفته ومعاصيه؛ يقول الله عز وجل في بعض كتبه المنزلة: يا عبدي، إذا كنت أقلبك في نعمتي، وأنت تتقلب في معصيتي؛ احذر لا أصرعك. واسمع قول السميع البصير: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وأما الحياء الذي بينك وبين الناس: أن لا تظهر لهم شيئًا من عورتك، وتغض بصرك عن عورات المسلمين والكافرين ومحاسنهم، وسواء كان المنظور إليه من الإناث أو الذكور، متى ما استحلت النفس بالنظر، وجب غض البصر، وسواء كان المنظور إليه بنت شهرين أو ابن سبعين سنة، فالسن ليس هو معتبرًا، فمن غضَّ بصره عما حرَّم الله عليه فتح الله تعالى بصيرته في الدنيا، ومتَّعه في الآخرة بالنظر إليه.

ثم اعلم بأن الحياء على قدر الإيمان، فمن كثر إيمانه كثر حياؤه، ومن قلَّ إيمانه قلَّ حياؤه، ومن لا حياء له لا إيمان له. وهذه الألفاظ مأخوذة من الخبر عن سيدنا محمد ﷺ ما غاب نجم أو ظهر[1].

وقال صلوات الله عليه وسلامه: «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحي فاصنع ما شئت**»[2]. وفي حديث آخر: «**الحياء من الإيمان، الحياء خير كله، الحياء لا يأتي إلا بخير**»[3].

---

(١) يشير بهذا إلى قوله ﷺ: «**لكل دين خلق، وخلق الإسلام الحياء، من لا حياء له لا دين له**». أخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» ١٤٢/٢١، وفي «الاستذكار» ٢٨١/٨ من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وقال ابن عبد البر: من حديث الشاميين بإسناد حسن.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

قال العلماء: إن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان إذا أراد الاغتسال دخل بيتًا وأغلق بابه وشد المئزر في وسطه، وكان يمنعه الحياء أن يقيم صلبه[1].

ويجوز الاغتسال بغير مئزرٍ للرجل والمرأة إذا خلا المكان عن أعين الناظرين؛ لأن النبي ﷺ اغتسل هو وعائشة بغير مئزر في إناءٍ واحدٍ[2]. فبان بذلك أن الإنسان يجوز له الاغتسال بغير مئزرٍ إذا خلا عن أعين الناظرين[3].

والثاني: يجوز للرجل أن ينظر لجميع بدن زوجته وجاريته، وهما[4] أيضًا كذلك[5].

وفي الحديث: إن أحدًا ما رأى فَرْجَ رسول الله ﷺ[6]، ولا شيئًا من

---

(١) أخرج عبد الله بن أحمد في «فضائل عثمان بن عفان» (١١٢) عن الحسن بن ذكوان، وذكر عثمان وشدة حيائه، فقال: إن كان ليكون في البيت والباب عليه مغلق، فما يضع عنه الثوب يفيض عليه الماء، ويمنعه الحياء أن يقيم صلبه.
وأخرج ابن سعد في «الطبقات» ٣/٣٣: عن بنانة قالت: كان عثمان إذا اغتسل جئته بثيابه، فيقول لي: لا تنظري إليَّ، فإنه لا يحل لك. قالت: وكنتُ [جاريةً] لامرأته.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٦/٣٠ (٢٤٠١٤)، والدارمي في «سننه» (٧٤٩)، والبخاري في «صحيحه» (٢٦٣)، ومسلم في «صحيحه» (٣٢١)(٤٥)، وأبو داود في «سننه» (٧٧)، وابن ماجه في «سننه» (٣٧٦)، والترمذي في «جامعه» (١٧٥٥)، والنسائي في «المجتبى» ١/١٢٨ (٢٣٣) من حديث عائشة بلفظ: كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد من الجنابة.

(٣) «المجموع» ٢/١٩٧، و«المغني» ١/٢٦٤.

(٤) في (ق): وهي.

(٥) «البحر الرائق» ٨/٢٢٠، و«روضة الطالبين» ٧/٢٧.

(٦) لم يصحَّ هذا، فقد أخرج أحمد في «مسنده» ٦/١٩٠ (٢٥٥٦٨)، وابن ماجه في «سننه» (٦٦٢، ١٩٢٢)، والترمذي في «الشمائل» (٣٥٩) من حديث عائشة بلفظ: ما رأيت فرج رسول الله ﷺ قط.
قال الدارقطني في «العلل» (٣٤٤٤): يرويه بركة بن محمد الحلبي - وهو متروك - عن يوسف بن أسباط، عن الثوري، عن محمد بن جحادة، عن قتادة، عن أنس، عن عائشة. وإنما يروى هذا عن الثوري، عن منصور، عن عبد الله بن يزيد الأنصاري، =

غائطه، بل كانت الأرض تنشق وتبلعه(١)، ولم يترك الصحابة شيئًا من وضوئه ولا ما يتفله يقع على الأرض، بل كانوا يتمسحون به تبركًا(٢)، واحتجم مرةً فابتلع دمه بعض أصحابه، عمل ذلك لوجع كان في بطنه فأذهب الله تعالى وجعه(٣).

والثالث: أن الماء لا يستعمل إذا أدخل الجنب يده فيه.

والسترة أفضل؛ لأن الله تعالى معك حيث كنت وأين كنت. قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]. وعمل ﷺ ما ذكرته بيانًا للجواز(٤).

قال العلماء: كان موسى عليه السلام إذا أراد الاغتسال أبعد عن أعين

= عن مولاة لعائشة، عن عائشة. وهذا يضع الحديث على الثوري، وعلى غيره. ولا يصح هذا، لا عن الثوري، ولا عن محمد بن جحادة، ولا عن قتادة.
وقال الألباني في «إرواء الغليل» (١٨١٢): ضعيف.

(١) فيه حديثٌ عن عائشة رضي الله عنها ذكره السيوطي في «الخصائص الكبرى» ١/١٢٠، ومحمد بن يوسف الصالحي الشامي في «سبل الهدى والرشاد» في باب ما اختص به ﷺ عن أمته من الفضائل والكرامات ١٠/٤٧٣: بأن الأرض كانت تبتلع ما يخرج منه من الغائط، فلا يظهر له أثر ويفوح كذلك رائحة طيبة، وكذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وذكرا أسانيدَه وطرقه، وكلها ضعيفة منكرة، لا يصح منها شيء. (ت)

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٧٢٠)، وأحمد في «مسنده» ٤/٣٢٨ (١٨٩٢٨)، والبخاري في «صحيحه» (٢٧٣٤)، وابن حبان «صحيحه» (٤٨٧٢) من حديث المسور بن مخرمة، ومروان حديث صُلح الحديبة الطويل وفيه: والله ما تنخَّم نخامة إلا وقعت في كفِّ رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده.

(٣) أخرجه البزار في «مسنده» (٢٢١٠) و(٣٨٣٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٧/٦٧ من حديث عبد الله بن الزبير، قال: احتجم رسول الله ﷺ فأعطاني الدم، فقال: «**اذهب فغيِّبه**». فذهبت فشربته، ثم أتيت النبي ﷺ، فقال لي: «**ما صنعت به؟**» قلت: غيبته. قال: «**لعلك شربته؟**» قلت: شربته.
وذكر طرقه ابن الملقن في «البدر المنير» ١/٤٧٦- ٤٧٩، وابن حجر في «تلخيص الحبير» ١/١٦٨-١٧٠، وليس فيها أنه عمل ذلك لوجع كان في بطنه، والحديث في إسناده جهالة، ومع ذلك حسَّنه البوصيري في «إتحاف الخيرة المهرة» (٦٤٥٣).

(٤) في (ق، ب): جوازًا وبيانًا.

بني إسرائيل، حتى ظنوا أنه يفعل ذلك لسوء في بدنه، فخرج يومًا للاغتسال وحط حجرًا على ثوبه، فسار الحجر بثوبه نحو بني إسرائيل فخرج من الماء، وأسرع في سعيه، فلم يلحق ثوبه، فصار يقول: حجر ثوبي. فأنطق الله سبحانه الحجر إذ أنه مأمور بذلك؛ فلما لحقه أخذ يضرب الحجر فأوحى الله تعالى إليه: لا تضربه وأكرمه، فإن الله برَّأك بذلك من العيب، وأمره الله تعالى بحمل الحجر، فحمله موسى، وهو الحجر الذي كان يتفجر منه الأنهار حين وقع بنو إسرائيل في التيه، فرأى بنو إسرائيل جسد موسى عليه السلام، وليس فيه عيب، قال الله تعالى: ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩]. فعلم بنو إسرائيل أنَّ بعده عن أعينهم لشدَّة[(١)] حيائه لا من عيب في جسده[(٢)].

فقد علمت أن الحياء من سنن المرسلين، ومن شعائر الصالحين، فمن أراد المرافقة فعليه بالموافقة، فمن حرم هذا التوفيق فليس هو لأنبياء الله تعالى وأوليائه برفيق، فمن كشف عورته (بمرأى من)[(٣)] الناس أو بالحمام، فقد ارتكب الذنوب والآثام، وخرج عن طريق النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، فلا يخرج عن الشرع الشريف إلا كل عبد معتدٍ كثيف.

---

(١) في (خ): من كثرة.

(٢) الذي صحَّ في هذا هو ما أخرجه أحمد في «مسنده» ٢/٣١٥ (٨١٧٣)، والبخاري في «صحيحه» (٣٤٠٤)، ومسلم في «صحيحه» (٣٣٩)، والترمذي في «جامعه» (٣٢٢١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن موسى كان رجلًا حييًا ستيرًا لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده إما برص، وإما أدرة، وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، فخلا يومًا وحده فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل، فرأوه عريانًا أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربًا بعصاه فوالله إن بالحجر لندبًا من أثر ضربه ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا فذلك قوله تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ۝٦٩﴾ [الأحزاب: ٦٩]».

(٣) في (خ): في مرأى.

دخل أبو حنيفة يومًا الحمام، فرأى رجلاً مكشوف العورة، فغمض الإمام عينيه حتى ظن (الرجل أن)[1] الإمام قد عمي، فقال لأبي حنيفة رحمه الله: متى عميتَ يا إمام؟ فقال له: منذ هتك الله تعالى سترك[2].

ودخل (إنسان إلى حمام)[3] في وسط سوق فرأى رجلاً مكشوف العورة، فحمله ورمى به على باب الحمام. فقال: أما تستحي ترميني بين هؤلاء الناس؟ قال له: والذي في الحمام (ما هم بأناس)[4]؟!

ودخل المؤلف يومًا الحمامَ، فجاء رجل وجلس على جُرْنِ الحمام[5]، والناس تحته ينظرون إليه، فرمى الفوطة مِن وسطه، فقال مؤلف هذا الكتاب له: يا أخي، قال ﷺ: «**الحياء من الإيمان**»[6] فلم يلتفت لقوله، ولم يصلِّ على النبي ﷺ؛ فأخذ المؤلف الفوطة وستر عورته فأخذها بغيظ، ورمى بها ثانيًا، وقال: هذا يجوز في مذهب مالك بن أنس! فغضب المؤلفُ لمقالته ولقلة حيائه، وقال له: ذكرتُ لك النبي ﷺ فلم تصل عليه، وتفتري الكذب على العلماء! البعيد زنديق، إن رميت الفوطة مرة أخرى قتلتك، ودعني أُقتل لأجلك! فتحوَّلَ إلى غير ذلك الجرن.

ثم إنَّ المؤلف ندم على قوله له: «أنتَ زنديقٌ»؛ لأنه قرأ القرآن، واطلع على العلوم، وهو من الخيرات محروم، فما مضى إلا مدة يسيرة (حتى شهد)[7] المسلمون بزندقته، وضرب القاضي رقبته (في: بَيْنَ القَصْرَيْنِ، بالقاهرة. وهو قاضي المالكية، لَمَّا نَسَبَ الباطِلَ إليه؛ سلَّطه الله

---

(١) في (خ): أن الرجل.

(٢) ذكره في «البحر الرائق» ٨/٢١٩.

(٣) في (ق): رجل الحمام.

(٤) في (ق): هم ناس.

(٥) الجُرن: حجر يكون في موضع مرتفع في الحمام، ففي «تاج العروس»: الجُرن بالضم: حجر منقور، يصب فيه الماء، يتوضأ منه، يسميه أهل المدينة المهراس، كما في «المحكم». وفي «الجمهرة»: المهراس الذي يتطهر به. (ت)

(٦) سبق تخريجه.

(٧) في (خ): فشهد.

عليه. وقال بعض جيرانه: إنَّه سبَّ أمَّه بشيء قبيحٍ، فدعت عليه بسوء الخاتمة؛ أجارنا الله منها)[1].

---

(١) ما بين القوسين ليس في (ق).
قال عبد الحق التركماني - غفر الله له -: هذه حكاية مهمة تُنبؤك عن تدرج المؤلف رحمه الله في مدارج العلم، فقد أخذته الحماسة في رمي ذلك المتهتك بالزندقة، ثم لما أخذ بطرف من العلم، وعلم أن الرمي بالزندقة رمي بالكفر الأكبر؛ ندم على صنيعه ذاك، وخفَّف عليه شدَّة ندمه ولومه لنفسه على تلك الكلمة أن ذلك الرجل قد اتهم بالزندقة، وحكم عليه القضاء الشرعي بالقتل، وقد وقفتُ - بفضل الله - على اسمه وخبره، فهو: أحمد بن محمد البَقَقِيُّ المصريُّ، يلقب بفتح الدين، المقتول على الزندقة سنة (٧٠١هـ/١٣٠٢م). ترجم له ابن حجر في «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة» ٣٠٨/١ (٧٨٤) فقال: «ولد سنة ستين تقريبًا، وتفقَّه كثيرًا، واشتغل وتأدب، وناظر حتى مهر في كل فنٍّ، وقطع الخصوم في المناظرة، وفاق الأقران في المحاضرة، وبدت منه أمور تنبئ بأنه مستهزئ بأمور الديانة، فادُّعيَ عليه عند القاضي المالكي زين الدين ابن مخلوف بما يقتضي الانحلالَ، واستحلال المحرمات، والاستهزاء بالدين، وأُخرج محضر كتب عليه في سنة (٦٨٦)، وقامت عليه البينة بذلك، فحبس، فكتب ورقة من الحبس إلى ابن دقيق العيد، صفةَ فُتيا، فكتب عليها: ﴿إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، فأرسلها إلى المالكيّ، فقال: هذه في الكفار إذا أسلموا ورجعوا! ثم أحضر من السجن، قدام شبَّاك الصالحية، فأعيدت عليه الدَّعوى فاعترف، وصار يتلفَّظ بالشهادتين، ويصيحُ: يا ابن دقيق العيد! ويقول: يا مسلمين! أنا كنت كافرًا وأسلمتُ! فلم يقبل منه المالكيُّ، وحكم بقتله، فضربت رقبته، بينَ القصرين، وذلك في شهر ربيع الأول سنة (٧٠١)، ويقال: إن الشيخ المعروف بالمحفِّدار سمع كلامه، فقال له: كأني بك وقد ضربتُ عنقك بين القصرين، وبقي رأسك معلقًا بجلدةٍ! فكان كذلك. قال الذهبيُّ: كان عالمًا مفننًا مناظرًا، من قرية بققة من حماة، وقيل من الحجاز، وكان من الأذكياء، ممن لم ينفعه علمه، كان يشطح، ويتفوَّه بعظائم، وينعق بمسعدة النبوة والتنزيل، ويتجهرم بتحليل المحرمات. وقال أبو الفتح اليعمري: كان يتطبَّب ولا يدري، ويتأدب ولا يعلم، ويدعي العقل ولا عقل له، بل كان بريًّا من كل خير، وفيه يقول ابن دانيال:

يظنُّ فتى البققي أنه ... سيخلص من قبضة المالكي
نعم سوف يسلمه المالكي ... قريبًا ولكن إلى مالكِ

وقال فيه أيضًا:

لا تسلم البققي في فعله ... إن زاغ تضليلاً عن الحق
لو هذب الناموسُ أخلاقه ... ما كان منسوبًا إلى البقِّ=

....

= ولما سمع ابن البققي قول الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد:

أهلُ المراتب في الدنيا ورفعتها ... أهل الفضائل مرذولون بينهم

فما لهم في توقي ضرنا نظرٌ ... ولا لهم في ترقي قدرنا همم

قد أنزلونا لأنا غير جنسهم ... منازل الوحش في الإهمال عندهم

فليتنا لو قدرنا أن نعرفهم ... مقدارهم عندنا أو لو دَرَوْهُ هم

لهم مريحان من جهل وفضل غنًى ... وعندنا المتعبان: العلم والعدم

فقال ابنُ البققي مناقضًا له:

أين المراتب في الدنيا ورفعتها ... من الذي حاز علمًا ليس عندهم

لا شك أن لهم قدرًا رأوه وما ... لمثلهم عندنا قدرٌ ولا همم

هم الوحوش ونحن الإنس، حكمتنا ... تقودهم حيث ما شئنا وهم نعم

وليس شيء سوى الإهمال يقطعنا ... عنهم لأنهم وجدانهم عدم

لنا المريحان من علم ومن عدم ... وفيهم المتعبان الجعل والحشم

ومن جملة ما شُهد به على البققي أنه قال: لو كان لصاحب المقامات [وهو الحريريُّ] حظٌّ لكانت مقاماته تتلى في المحاريب! وأنه كان يفطر في نهار رمضان بغير عذر، وأنه كان يضع الربعة تحت رجليه ويصعد ليتناول حاجة له من الرفّ. ويقال: إنه لما ضربت عنقه لم يمض السيف فيها فحزت، ورفعت رأسه على قناة، ونودي عليها. وحكى ابن سيد الناس أن ابن البققي دخل على ابن دقيق العيد وهو عنده، فسأله عن مسألة، فلم يجب عنها، فولَّى وهو ينشد:

وقف الهوى بي حيث أنتَ ... .

الأبيات.

فقال ابن دقيق العيد: عُقبَى هذا الرجل إلى التِّلاف. فلم يمض سوى إحدى وعشرين يومًا وقتل. ويقال: إنه كان يستخفُّ بالقاضي المالكي، ويسبُّه، ويطعن فيه، فكان ذلك يبلغه ولا يهيجه، إلى أن ظفر بالمحضر المكتتب عليه قبل ذلك ـ بما تقدم ذكره ـ وطلبه طلبًا عنيفًا، وادعى عليه عنده فأنكر، فقامت البينة، فأمر به فسجن، ليبدي الدافع في الشهود، وحكم المالكي بزندقته، وإراقة دمه، ونقل المحضرُ إلى ابن دقيق العيد فقال: لا أنفِّذ قتل من شهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله. وألقى المحضر من يده، فبلغ ذلك واليَ القاهرة ناصر الدين ابن الشحي، وكان يميل إلى ابن البققي، فانتصر له، وسعى في نقله من المالكي إلى الشافعي، فأشير عليه بأن يكتب محضرًا بأنه مجنون، فكتب فيه جماعة، وأحضره لابن دقيق العيد، فلما نظر فيه قال: معاذ الله ما أعرفه إلا عاقلاً! فدسَّ من يبغض البققي إلى الشهاب الأعزازي أن ينظم فيه شيئًا، فنظم، وكتب بها إلى المالكي: =

= قل للإمام المالكيِّ المرتضَى ... وكاشف المشكل والمبهم
لا تهمل الكافر واعمل بما ... قد جاء في الكافر في مسلم

فلما وقف عليهما، قال: شاعر ومكاشف، قد عزمت على ذلك! وكتب ابنُ البققي إلى المالكي من السجن:

يا من يخادعني بأسهمِ مكره ... بسلاسل نعمت كلمس الأرقم
أعددت لي زردًا تضايق نسجها ... وعلى قلب عيونها بالأسهم

يعني: أسهم الدعاء، فقال في جوابه: أرجو أن الله لا يمهلني حتى يفعل. ثم نهض من وقته إلى السلطان، فاستأذنه في قتله، فأشار بأن يتمسك في أمره، فقال المالكيُّ: قد ثبت عندي كفره وزندقته، فحكمت بإراقة دمه، ووجب عليَّ ذلك. فلما رأى السلطان انزعاجه، قال: إن كان ولا بدَّ فليكن بمحضر الحكام. وأرسل إلى الوالي والحاجب وحضر القضاة الأربعة، فتكلم المالكي بما حكم به، فوافقه السَّروجيُّ الحنفيُّ، وقال: اقتلوه، ودمه في عنقي. فقُتلَ، والله أعلم بحاله. ويقال: إن ابن دقيق العيد وافق الجماعة، فقال ابن البققي: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨]. فقال: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ [يونس: ٩١]! ولقد جرى في أمره نحو ما جرى في زماننا للشيخ الميمونيِّ مع القاضي الحنفي زين الدين التفهني، لكن جبن الحنفي عن قتله، بعد أن تمكن من ذلك، فآل الأمر إلى أن خلص من القتل، وأعيد إلى السجن، إلى أن حكم الحنبليُّ بعدَ ذلك بإطلاقه».

قلتُ: أطال ابن حجر في ترجمة ابن البققي، وأخذ أكثرها من خليل بن أيبك الصفدي (ت: ٧٦٤) في «أعيان العصر وأعوان النصر» ٣٥٦/١ (١٨٢)، واختصر أشياء، فقد ترجم له أيضًا: المقريزي في «السلوك لمعرفة دول الملوك» (حوادث: ٧٠١)، وقال: «أكثر من الوقيعة في حق زين الدين علي بن مخلوف قاضي قضاة المالكية وتنقصه وسبه، فلما بلغه ذلك عنه اشتد حنقه وقام في أمره، فتقرب الناس إليه بالشهادة على ابن البققي، فاستدعاه وأحضر الشهود فشهدوا وحكم بقتله، وأراد من ابن دقيق العيد تنفيذ ما حكم به فتوقف». والعيني في «عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان» (حوادث: ٧٠١)، وقال: «وفي نزهة الناظر: وكان هذا الرجل من أهل حماة، وله اشتغال، وحفظ كتبًا كثيرة، وكان ذكيًّا مفرطًا، وحفظ سائر كتب الفقه ودواوين الأشعار، وكان قليل الدين، سيء الاعتقاد، كثير الزندقة، وكان قد اشتغل بكتب المنطق والحكمة وهي التي أفسدت عليه نظامه، وكان له ادلال على القضاة، وجرأة لسان من غير أن يهاب منهم»، وقال: «وبلغ من أمره إلى أن شهدت عليه عنده جماعة كثيرة ممن حضروه: أنه كان عزم على جماعة في بيته وأطعمهم طعامًا، وأنه قام إلى رفٍّ عنده في البيت يتناول منه شيئًا فقصرت يده عنه، فوضع الكتاب=

....

= العزيز تحت رجليه، ليطول إلى الرف، فقاموا وأنكروا عليه، فشرع في سبهم بأنهم ناس حمير، ثم تلفظ بعد ذلك بالكفر»، وقال: «لما أحضروا المحضر إلى القاضي زين الدين، ونظر فيه، خلاه إلى جانب منه، وتفكر في أمره، واقتضى رأيه أنه يصلي تلك الليلة صلاة الاستخارة، ويسأل الله في أمره، فلما نام تلك الليلة رأى كأن جماعة جاؤوا إليه، وبينهم كلب أسود، زوبري، قدر الكبش، وفي رقبته طوق وزنجير، وهم يقودونه إليه، ثم قتلوه، وألقوه في حفرة، وهو يراه. فلما استيقظ حمد الله تعالى على تلك الرؤيا، وأصبح عازمًا على قتله. ولما فتح بابه وجد شخصًا من طلبته جالسًا على الباب، فسلم عليه، وناوله ورقة مكتوب فيها من شهاب الدين الأعزازي الشاعر، وأخبر أن شهاب الدين المذكور حضر إلى بيته وقت الآذان، وأعطاه هذه الورقة، وقال: عرف قاضي القضاة ما انتظاره في هذا الزنديق، وفيها من شعره:

قل للإمام العادل المرتضى ... وكاشف المشكل والمبهم

لا تمهل الكافر واعمل بما ... قد جاء في الكافر عن مسلم

فلما وقف عليها تبسم، وقال: شاعر ومكاشف، هكذا عزمنا إن شاء الله».

وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» ١٨/١٤: «وفي يوم الاثنين الرابع والعشرين من ربيع الأول قُتل الفتح أحمد ابن البققي بالديار المصرية، حكم فيه القاضي زين الدين ابن مخلوف المالكي بما ثبت عنده من تنقيصه للشريعة واستهزائه بالآيات المحكمات، ومعارضة المشتبهات بعضها ببعض، يذكر عنه أنه كان يحل المحرمات من اللواط والخمر وغير ذلك، لمن كان يجتمع فيه من الفسقة من الترك وغيرهم من الجهلة، هذا وقد كان له اشتغال وهيئة جميلة في الظاهر، وبزته ولبسته جيدة، ولما أوقف عند شباك دار الحديث الكاملية بين القصرين استغاث بالقاضي تقي الدين ابن دقيق العيد فقال: ما تعرف مني؟ فقال: أعرف منك الفضيلة، ولكن حكمك إلى القاضي زين الدين. فأمر القاضي للوالي أن يضرب عنقه، فضرب عنقه، وطيف برأسه في البلد، ونودي عليه هذا جزاء من طعن في الله ورسوله».

قلتُ: والقاضي الذي حكم بقتله هو علي بن مخلوف بن ناهض بن مسلم النويري المالكي، وكان أشعريًا متعصبًا، وهو ممن تسبَّب في سجن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، لكن كان حسن السيرة في القضاء، أسند إليه قضاء المالكية في مصر في أواخر سنة (٦٨٥) إلى وفاته في سنة (٧١٨)، قال ابن حجر في «رفع الإصر عن قضاة مصر» ٢٨١: «هو الَّذي قام في قضية فتح الدين ابن البققي، حتَّى أثبت زندقته، وضُربت عنقه بَيْنَ القصرين، وهو يصيح: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾. وكانَ الفتح يكثر الوقيعة في ابن مخلوف، فاتفق أن أشيع عنه أمر يقتضي الانحلال، فأمر ابن مخلوف أن يكتب عليه مَا يضبط. فكتبوا محضرًا، وسألوا ابن دقيق العيد أن يثبته، =

قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]، فمن غضَّ بصره حياء من المولى الغفور، فهو عبد مؤمن مأجور، وفي الخبر: «**لُعِنَ النَّاظِرُ والمنظور**»[(١)].

والناس في النظر المحرَّم على أقسام: منهم من غضَّ بصره حياءً من الخلائق، فإذا خلا بنفسه، ولم يكن إلا الله تعالى مدَّ بصره؛ وهذا فعل غير لائق، قال الله تعالى فيمن هذه صفته: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٨]، وهذا عبد محقور لتعظيمه نظر مخلوق مثله، ولم يفعل ذلك مع المولى الغفور. قال ﷺ: «**من لم يكن له ورعٌ يَحجُزُه عن محارم الله إذا خلا؛ لم يعبأ الله بشيء من عمله**»[(٢)].

يقول الله عز وجل في بعض كتبه المنزلة: «**يا عبادي، إن كنتم تعلمون أني لا أراكم فالخلل في دينكم، وإن كنتم تعلمون أني أراكم، فلم جعلتموني أهون الناظرين إليكم؟!**»[(٣)].

= فقال: لا أثبت على رجل يشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمدًا رسول الله كفرًا. ورماه من يده، فتعصب جماعة من الدولة للفتح، فأصر ابن مخلوف، فكتبوا محضرًا شهد فيه جماعة بأنه مجنون، فتوقف عليه ابن دقيق العيد أيضاً وقال: مَا نعرفه إلا رجلاً عاقلاً. وأشاع ابنُ مخلوف أنه رأى منامًا يقتضي قتله، فاتهمه الناس في ذلك، فلم يول إلى أن استأذن السلطانَ في أمره، فأذن في عقد مجلس، فعقد بالصالحية، وضربت عنقه في سنة إحدى عشرة».

قلتُ: تقدَّم ذكر رؤيا ابن مخلوف في كلام العيني، وليس فيه أنه أشاعه، واتهمه الناس فيه، والله أعلم.

(١) ضعيف: أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٧٨٨) من حديث الحسن البصري، قال بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله الناظر والمنظور إليه». قال البيهقي: هذا مرسل.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ٢/٣٨٦ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا، بلفظ: «**خشية الله رأس كل حكمة، والورع سيد العمل، ومن لم يكن له ورع يحجزه عن معصية الله عز وجل إذا خلا بها، لم يعبأ الله بسائر عمله شيئًا**».
قال الألباني في «الضعيفة» (١٥٨٣): ضعيف.

(٣) هذا من الإسرائيليات، وقد ذكره ابن عجيبة الإدريسي في «البحر المديد» ٣/٢٣٥، ٤٧٤.

والثاني: غضَّ بصره حياءً من الله لا من غيره.

وآخر: جهر بهذا النظر، ففسق عن أمر ربه، وخالف القرآن والخبر.

وأكثر ما يقع في هذه المصائب الجالس بغير حاجة على الطريق والأسواق والمصاطب، ويخاف على هذا المبتدع المواظب من كثرة فتح عينيه إلى ما حرم الله عليه؛ أن لا يُلْحِقه الله بنبيه ﷺ؛ لخروجه عن طريقه، فيفوته الخير والمطالب.

قال ﷺ: «**كل عين باكية يوم القيامة إلا عينًا بكت من خشية الله تعالى، أو عينًا سهرت في سبيل الله، أو عينًا غضت عن محارم الله**»[1].

فكل عين نظرت إلى غير ربها العمى أولى بها، كما قال بعضهم شعرًا:

إذا غاب عن عينيَّ يومًا حبيبها   جعلت البكاء يا قوم منِّي نصيبها
وأحرمتها طيب المنام وهكذا   جزاء كل عين غاب عنها حبيبها

فمن شغل بالنظر إلى حلاله عن خدمة ربه وجلاله فلا بد أن يعود شؤم ذلك عليه ووباله، فما بالك بمن شغل قلبه بحرام؟! يقول الله عز وجل في بعض كتبه المنزلة: «**حرام على قلب يسكنه غيري أن يسكنه حُبِّي**»[2].

وإياك أنْ يغرَّك الشيطان بتسويله أن هذا ذنب صغير، فقد جاء في الأخبار: «**لا صغيرة مع إصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار**»[3].

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «الجهاد» (١٤٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» ٣/١٦٣، وابن الجوزي في «ذم الهوى» ١/١٤١ من حديث أبي هريرة بلفظ: «**كل عين باكية يوم القيامة إلا عين غضت عن محارم الله عز وجلَّ، وعين سهرت في سبيل الله، وعين خرج منها مثل رأس الذباب دمعة من خشية الله عز وجلَّ**».
قال الألباني في «الضعيفة» (١٥٦٢): ضعيف جدًا.

(٢) لم أجده.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/٢٤٥، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٢١٧)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٨٥٣) من قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما موقوفًا عليه.

والشيطان لعنه الله ما مراده بوسوسته لابن آدم: هذا ذنب صغير نصحًا له، بل ليهوِّنه عليه؛ لكي يعمي الله قلب فاعله، ويُسقط جاهه حين يوقفه بين يديه، والصغير بالمداومة يصير كبيرًا، وقد جاء في الخبر: أنَّ زنَى العين النظر[١].

فمن تعمد النظر إلى عورات المسلمين، أو إلى محاسن امرأة أجنبية، أو إلى غلام أجنبي، فهو عبد ممقوت؛ لمخالفته للحي الذي لا يموت، وأشد مقتًا وأكثر إثمًا النظر إلى أحد من المحارم بشهوة؛ وهو من فعل المجوس، ولا يفعله إلا كل عبد متعوس، ولا ينبغي للمؤمنين الأخيار أن يتصفوا بصفات الفجار وأهل النار.

قال الفضيل: خمس من علامات الشقاء: قسوة[٢] القلب، وجمود العين، وقلة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل[٣].

وقال ابن عثمان: من تكلم في الحياء، ولم يستحي من الله تعالى فهو عبد مستدرَجٌ[٤].

قال علماء التفسير: إن آصف بن يرخيا كان وزيرًا لسليمان عليه السلام، وكان مسرفًا على نفسه في حضرة النبوة حتى تعلم أن أحدًا لا ينقذ أحدًا، قال المولى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]. فنزل جبريل عليه السلام على سليمان وقال له: ربك يسلم عليك، ويقول لك: قل لوزيرك آصف: إلى متى خيري عليه وارد،

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢٧٦/٢ (٧٧١٩)، والبخاري في «صحيحه» (٦٢٤٣)، ومسلم في «صحيحه» (٢٦٥٧)، وأبو داود في «سننه» (٢١٥٢)، وابن حبان (٤٤٢٠) من حديث أبي هريرة: عن النبي ﷺ قال: **«كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى، مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرِّجل زناها الخُطا، والقلب يهوى ويتمنَّى، ويصدق ذلك الفرجُ ويكذبه»**.

(٢) في (خ): القسوة في.

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٧٤٧)، وابن عساكر في « تاريخ دمشق» ٤١٦/٤٨.

(٤) ذكره القشيري في «الرسالة القشيرية».

وشره إليَّ صاعد، إن لم يخف عقوبتي أما يستحي من إلاهيتي؟ فلما أخبره سليمان بذلك خرج من عنده ذليلاً خائفًا، فأتى إلى مزابل المدينة، فترجل عن جواده وصار يحثو التراب على رأسه، ثم يبكي ويقول: إلهي، أنت أنت، وأنا أنا، وكلٌّ يعمل على شاكلته، يا رب قد تبت إليك فخذ بيدي، فليس لي من ينقذني مما أنا فيه غيرك، وإن لم تأخذ بيدي لأعودن ولأعودن. فلما فعل ذلك تاب الله عليه، وقربه إليه، وعلمه الاسم الأعظم[1].

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أنه هو الذي دعا الله تعالى باسمه الأعظم، فجاء بعرش بلقيس إلى بين يدي سليمان قبل أن يرتد إليه طرفه[2].

قال ابن عباس: خرج عرش بلقيس من تحت كرسي سليمان عليه السلام من ساعته؛ كرامةً له ومعجزةً لنبيه عليه السلام، قال: وكان العرش ثلاثين ذراعًا في ثلاثين، وطوله في الهواء ثلاثون، فتعجب سليمان وقال: رب، وعدتني بملك لا ينبغي لأحد من بعدي، وهذا وزيري عمل شيئًا لا أقدر عليه. فأوحى الله تعالى إليه: أليس هو في خدمتك؟!

فانظر رحمك الله، إلى بركة التوبة، فما توقفت الأشياء علينا إلا لتوقفنا نحن. كان حبيب العجمي يقول: نعم الربُّ ربُّنا، لو أطعناه ما عصانا[3].

---

(١) هذا من الإسرائيليات وقد ذكره إسماعيل حقي في «روح البيان» ٨٨/٢، والمناوي في «فيض القدير» ٢٥٩/٢.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٤٦٨/١٩، وذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» ٢١٠/٧ - ٢١١، وابن كثير في «تفسيره» ١٩٢/٦، والرازي في «تفسيره» ٣٤٦٤/١، والألوسي في «روح المعاني» ٢٠٣/١٩ عن ابن عباس.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩٠٨٠)، وأبو نعيم في «الحلية» ١٠٥/٤، والبيهقي في «الزهد» (٧٢٠)، وابن عساكر في «تاريخه» ١٧٨/٢٣ عن سليمان الأعمش رحمه الله، قال: قال لي أبو وائل - وهو شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي، من كبار التابعين، ومن العلماء العاملين -: يا سليمان، نعم الرب ربنا لو أطعناه ما عصانا.
ولم أجده من قول حبيب بن محمد العجمي، وهو أبو محمد البصري، أحد الزهاد المشهورين من أتباع التابعين، كان ثقةً عابدًا.

فمن أعرض أعرض الله عنه، ومن جاء فما غاب، وصار من جملة الأحباب، بكل ذلك جاءت السنة والكتاب، فينبغي للمعرض عن الله تعالى أن يبكي على نقصان حظه من الإيمان، فمن كثر إيمانه قلَّ عصيانه، وكان بعضهم يبكي ويقول: إلهي، لا أبكي لوجود المعصية، إني لا أصلح لها؛ بل أبكي الذي كان هذا حظي منك[1].

فيا من يكثر الطاعة ولا يجد لعبادته حلاوةً في قلبه، وما ذلك إلا لإصراره على الذنوب، ولقلة حيائه من علام الغيوب؛ لأن العاصي قد علت[2] على أرض قلبه سباخ البدعة والسيئات، فلا ينتج فيه النبات ولا يفلح فيه أبدًا. قال المولى جل وعلا: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ﴾ [الأعراف: ٥٨].

فتضرع أيها المؤمن إلى الله سبحانه، فليس لها إلا هو، ولن ينقذ أحدٌ أحدًا، قال تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

قال بعضهم: نزلت بي ضرورة وفاقة، فكلما هممت بالدعاء تفكرت قبح حالتي، فرددت يدي حياءً من الله تعالى، فأقمت على ذلك مدة، فدخلت يومًا إلى مجلس عبد الواحد بن زيد، فسمعته يقول: أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه أن قل لعبادي يستغفروني فإني غفور رحيم، ولا يبارزوني بالمعاصي فإن عذابي عظيم، ولا يتأخروا عن مسألتي فإني غني كريم، أنا المعروف بالمعروف. قال: فما قمت حتى دعوت ربي ففرج عني[3].

أحرم بعض الصالحين فلم يلب ولم يدع الله تعالى، فقيل له في ذلك، فقال: أخاف أن أقول: لبيك. فيقول: لا لبيك ولا سعديك. فقيل له: لا بد لك من التلبية ـ لأن التلبية سنةٌ في مذهب الشافعي، وعند أبي

---

(١) لم أجده.

(٢) في (خ): غلبت.

(٣) لم أجده.

حنيفة واجبة[1] - فلما لبَّى خرَّ مغشيًا عليه[2].

وقف الشيخ ابن الموفق بعرفة وقال: اللَّهم إن كان في هذا الموقف من لم تقبل حجته فاجعل حجتي له. فلما عاد إلى المزدلفة رأى الحق سبحانه يقول له في منامه: يا ابن الموفق. قال: لبيك. قال: علينا تتسخى وتتكرم وأنا أكرم الأكرمين، أيقف أحد في الموقف ولا أغفر له ولذريته ولأهله ولعشيرته؟ أما علمت أني أهل التقوى وأهل المغفرة؟![3].

---

(١) انظر: «الحاوي الكبير» للماوردي ٨٨/٤، و«المبسوط» للسرخسي ٣٠٧/٤ - ٣٠٧.

(٢) أخرج ابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» ٣٧٨/٤١ عن سفيان بن عيينة قال: حجَّ علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فلما أحرم واستوت به راحلته اصفر لونه، وانتفض، ووقعت عليه الرعدة، ولم يستطع أن يلبي، فقيل له: ما لك لا تلبي؟ فقال: أخشى أن أقول: لبيك؛ فيقول: لي لا لبيك! فقيل له: لا بد من هذا؟ قال: فلما لبَّى غشي عليه، وسقط من راحلته، فلم يزل يعتريه ذلك، حتى قضى حجَّه.
وأخرج أبو نعيم في «حلية الأولياء» ٢٦٣/٩ في ترجمة (أبي سليمان عبد الرحمٰن بن أحمد الداراني)، عن أحمد بن أبي الحواري قال: رأيت أبا سليمان أراد أن يلبي فغشي عليه، فلما أفاق قال: يا أحمد! بلغني أن الرجل إذا حج من غير حله فقال: لبيك اللَّهم لبيك؛ قال له الرب: لا لبيك ولا سعديك، حتى ترد ما في يديك! فما يؤمِّنني أن يقال لي، هذا ثم لبَّى.
وأخرج ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٤٣٦/٥٢ عن أبي عبد الله أحمد بن الجلاء، قال: كنت بذي الحليفة، وأنا أريد الحج، والناس يحرمون، فرأيت شابًا قد صب عليه الماء يريد الإحرام، وأنا أنظر إليه، فقال :يا رب أريد أن أقول: لبيك اللَّهم لبيك، فأخشى أن تجيبني لا لبيك ولا سَعْديك. وبقي يردد هذا القول مرارًا كثيرة، وأنا أتسمع عليه، فلما أكثر قلت له: ليس لك بد من الإحرام. فقال: يا شيخ، أخشى إن قلت: لبيك أجابني بلا لبيك ولا سَعْديك. فقلت له: أحسن ظنك، وقل معي: لبيك اللَّهم لبيك. فقال: لبيك اللَّهم وطوَّلها، وخرجت نفسه مع قوله «اللَّهم»، وسقط ميتًا.
وأخرج ابن عساكر أيضًا ٤١١/٥٦ عن جعفر بن سليمان قال: خرجت مع مالك بن دينار إلى مكة، فلما أحرم أراد أن يلبي فسقط، ثم أفاق، فأراد أن يلبي فسقط، ثم أفاق، فأراد أن يلبي فسقط، فقلت له: ما لك يا أبا يحيى. قال: أخشى أن أقول: لبيك، فيقول: لا لبيك ولا سعديك!

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ٣١٢/١٠، وذكره الغزالي في «الإحياء» ٢٤١/١، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» ٣٨٧/٢ عن علي بن الموفق الزاهد، وهو من مشايخ=

حجَّ رضي الله عنه ستين حجة، في آخرها جلس تجاه الكعبة يفكر في أمره هل قبل أم لا؟

وقال بعض الصالحين في مِنَى: اللَّهم إن الناس قد تقربوا إليك بقربانهم، ولا أملك اليوم إلا نفسي فاقبلها منِّي، فخرَّ ميتًا[1].

حجَّ رجلٌ تكروريٌّ ـ وكان مؤلفُ الكتاب مجاورًا بمكة المشرفة هو وعياله ـ فجاء التكروريُّ إلى إمام المالكية بمكة، وقال له: اجعلني في حلٍّ. وقال: قيل لي: إن الله سبحانه غفر لأهل الموقف لأجلك، ومن علامة ذلك أنك تموت في غدٍ. فأصبح ميتًا، تغمدنا الله وجميع المسلمين برحمته.

فانظر إلى خوف هؤلاء السَّادة مع ما سبق لهم من الخير والعبادة، وأَمْنِنَا[2] وقد خالفنا عالم الغيب والشهادة، كان همهم الآخرة، فصرف الله عنهم همَّ الدنيا والآخرة.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنْ كنت أعول همًّا غير همِّ يوم القيامة لا أمَّنني الله منه[3].

دخل رجل على زوجته مهمومًا، وكانت عارفةً بالله، فقالت: اللَّهم إن كان همه الدنيا فاصرفه عنه، وإن كان همه الآخرة، فزده همًّا إلى همه.

ثم اعلم بأنَّ العبد إذا كان خاملاً في الدنيا خيرٌ له من أن يكون خاملاً[4] في الآخرة، ويُبس كسْرتك خير من يُبس قلبك، لا تكن كالطفل يشترط فيبكي، والكبير يتجرع المرارة ويصبر لعلمه بالمنفعة، ولو دامت الدنيا لأهلها لا ينبغي أن يحسدوا عليها لنقصان الآخرة، والأكدار في طرف العصا.

= الصوفية، ذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام»، وقال: أحد مشايخ الطريق، له أحوال ومقامات، صحب منصور بن عمّار، وأحمد بن أبي الحواري. توفي سنة (٢٦٥) رحمه الله.

(١) ذكره إسماعيل حقي في «روح البيان» ٣/٩٩.

(٢) في (ق، ط): وأمنًا.

(٣) لم أجده.

(٤) في (خ) في الموضعين: محمولاً. وصوابه: مخمولاً.



فصل فيما يبتدعه بعض الإخوان عند مَدِّ الخِوانِ[1]

فيعصون بسبب ذلك الواحد المنان، ويخرجون عن طريق أهل الخير والإيمان، ويعملون المحرمات على المائدة، ووبالها عليهم عائدة، فيأكلون في آنية الذهب والفضة وما هو من جنسهما من الملاعق، وقد حرَّمه الشرع، وفعله غير لائق.

ومن البدع ما يفعله بعض الأشرار على المائدة: من ضرب قِنْزٍ[2] وطار، أو ربابة ومزمار، ونشدهم الأشعار، الكل خرجوا عن طريق النبي المختار، والصحابة الأخيار، والمؤمنين الأبرار.

---

(١) الخِوَانُ: ما يؤكل عليه. معرَّب، وفيه ثلاث لغات: كسر الخاء، وهي الأكثر، وضمها حكاه ابن السكيت، وإِخْوَانٌ بهمزة مكسورة حكاه ابن فارس، وجمع الأولى في الكثرة: خُوْنٌ، والأصل بضمتين، مثل كتاب وكتب، لكن سكن تخفيفًا، وفي القلة: أَخْوِنَةٌ، وجمع الثالثة: أَخَاوِينُ، ويجوز في المضموم في القلة: أَخْوِنَةٌ أيضًا، كغراب وأغربة. «المصباح المنير» (مادة: خان).

(٢) أثبتها في (ط): (وتر)، وفي النسخ الخطية ما أثبتناه وهي إما بالباء كما هي واضحة في (ق)، ولا معنى لها إلا القصير البخيل، ولا يناسب السياق، أو بالياء، ولا أدري وجهه، ولعلَّ لما أثبته وجهًا فقد ذكروا: (القنز) بالكسر، وقالوا: هو الراقود الصغير - والرَّاقود: إناء من خزف مستطيل مقيَّر -، كالإقنيز - كإزميل -، وهو الدَّنُّ الصغير. وأقنز الرجل: إذا شرب بالإقنيز طربًا. انظر: «لسان العرب» و«تاج العروس» (مادة: قنز). (ت)

وأكثر ما تستعمل هذه البدع عند من أعمى الله قلبه من الأمراء والسلاطين؛ فتخرج من بينهم الملائكة، وتحضرهم الشياطين.

وقد أجمع العلماء أن الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة حرام على الرجال والنساء[1]، وكذلك التطيب والادهان والاكتحال[2].

فاترك الكل وخف من شديد المحال، فمن ترك ما حُرم عليه عوضه الله سبحانه ما هو خير منه من الحلال، وهذا الطعام هو شر الطعام؛ لما فيه من البدع والآثام.

ولا ينبغي لمن يدعي الإسلام أن يحضرهم، ولا يجيب دعوتهم؛ لخروجهم عن طريق النبي ﷺ، وعن طريق أصحابه الكرام؛ لقوله ﷺ: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»[3].

ثم اعلم بأن الطعام على أقسام: منه ما يفترض وهو طلب الحلال، وهو من أعظم الأحوال، وبه قوام الدين والبدن، وقبول الأعمال، وبوجوده وصل العمَّال، فعلمه يقدَّم على كل حال.

---

(١) وقد صحَّ النهي عن ذلك في أحاديث منها ما أخرجه الحميدي في «مسنده» (٤٤٠)، وأحمد في «مسنده» ٣٩٨/٥(٢٣٣٧٤)، والدارمي في «سننه» (٢١٣٠)، والبخاري في «صحيحه» (٥٤٢٦)، ومسلم في «صحيحه» (٢٠٦٧)، وأبو داود في «سننه» (٣٧٢٣)، وابن ماجه في «سننه» (٣٤١٤)، والترمذي في «جامعه» (١٨٧٨)، والنسائي في «المجتبى» ١٩٨/٨ (٥٣٠١)، وفي «الكبرى» (٦٨٧٠) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٢) ذكره ابن عبد البر في «الاستذكار» ٣٥٠/٨، وابن قدامة في «المغني» ٩٢/١.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٤٠٦) من طريق الحسن، والبغوي في «شرح السنة» ٤٤/١٠ من طريق النواس بن سمعان، والطبراني في «الكبير» ١٨/(٣٨١)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٨٧٣) من طريق عمران بن حصين بلفظه.
قال الألباني في «الصحيحة» (١٧٩): صحيح.
وأخرجه أحمد في «مسنده» ٩٤/١ (٧٢٤)، والبخاري في «صحيحه» (٧٢٥٧)، ومسلم في «صحيحه» (١٨٤٠)، وأبو داود في «سننه» (٢٦٢٥)، والنسائي في «المجتبى» ١٥٩/٧ (٤٢٠٥) من حديث علي بلفظ: «**لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف**».

قال بعض المتقدمين: أدركت الناس، وما يتعلمون إلا الورع، وإنهم ليتعلمون اليوم الكلام(١).

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا، وصمتم حتى تكونوا كالأوتار، ما تقبل الله ذلك منكم إلا بورع حاجز(٢).

وقال يحيى بن معاذ: لو علمت العلم، وزهدت، وصحبت الأبدال، وكتبت السنن، لم تدخل بستان القوم حتى تعرف من أين الكسرة(٣).

وقيل لداود الطائي: أوصني. قال: اقرأ القرآن، تريد به وجه الله تعالى؛ وانظر خبزَك من أين هو؟(٤).

وقال الفضيل: من عرف ما يدخل بطنه كان صدِّيقًا(٥). وقال: إذا أحب الله عبدًا طيَّب له مطعمه(٦). وقال أيضًا: ما تزيَّن المؤمن بأفضل من الصدق وطلب الحلال(٧).

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» ١/١١، والهروي في «ذم الكلام وأهله» ١/١٢٨، وذكره الغزالي في «الإحياء» ١/٦٦ عن الضحاك بن مزاحم.

(٢) ذكره الغزالي في «الإحياء» ٢/٩١ عن عبد الله بن عمر بلفظه.
وأخرجه ابن منده في «مسند إبراهيم بن أدهم» (٢٣)، وابن عساكر في «تاريخه» ٢٣/١٣٢، والديلمي في «مسند الفردوس» (٥١٢٤) من حديث عمر بلفظ: لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا، وصمتم حتى تكونوا كالأوتار، ثم كان الاثنان أحب إليكم من الواحد لم تبلغوا الاستقامة.
قال الذهبي في «الميزان» (٨٠٤٥): أتى بخبر باطل مسلسل بالزهاد.
قال الكناني في «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الموضوعة» (٩٢): قال الذهبي في «الميزان»: باطل وآفته ابن فارس.
وقال الفتني في «تذكرة الموضوعات» ١/١٩٢: هو خبر باطل.

(٣) لم أجده.

(٤) لم أجده.

(٥) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» ٤٨/٣٩٣، والغزالي في «الإحياء» ٢/٩١.

(٦) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٢٦٣).

(٧) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٩٠٠) بلفظ: لم يتزين الناس بشيء أفضل من الصدق وطلب الحلال.

وقال السَّريُّ: طريق النجاة أن يكون معك ثلاث خصال هنَّ سبيل الهدى، وهن: الطهارة من البدع، وكمال التقوى، وطيب الغذاء[١].

وقيل لبشر الحافي: كيف الطريق إلى الله؟ قال: الصوم والصلاة، ومن أين تأكل[٢].

سألت عائشة رضي الله عنها النبي ﷺ فقالت: مَن المؤمن يا رسول الله؟ قال: «**مَن حاسَبَ نفسه من أين يدخل قرصاه**»[٣].

فمن حاسب نفسه في الدنيا لم يُحاسب في الآخرة.

وجاء في حديث آخر: «**استحيوا من الله حقَّ الحياء**». قالوا: يا رسول الله، إنا لنفعل[٤]، إنا لنستحيي. قال: «**ليس كذلك، من استحيَى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما حوى، والبطن ما وعى، ومن طلب الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيَى من الله حقَّ الحياء**»[٥].

---

(١) لم أجده.

(٢) لم أجده.

(٣) روى محمد بن وضاح القرطبي في كتابه: «القطعان» عن عبد الرحمٰن بن القاسم العُتَقي، عن العمري: أن عائشة قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله من المؤمن؟ قال: «الذي إذا أصبح سأل من أين قرصته»، قالت: يا رسول الله من المؤمن؟ قال: «الذي إذا أمسى سأل من أين قرصته»، قالت: يا رسول الله! لو علم الناس أنهم كُلِّفوا علم ذلك لتكلفوه، قال: «قد علموه، ولكنهم غشموا بالمعيشة غشمًا». هكذا نقله أبو الوليد ابن رشد في «البيان والتحصيل» ٥١١/١٨.
وهذا إسناد ضعيف منقطع، والعمري لعله أحد أبناء عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب، وهم: عُبيد الله وهو فقيه ثقة، وعبد الله وعاصم وهما ضعيفان، وأبو بكر. وهم جميعًا من أتباع التابعين الذين لا يروون عن الصحابة، فإن كان المراد من هو فوق طبقتهم صار الانقطاع بينه وبين ابن القاسم. ومهما يكن فهو حديث منكر تناقله بعض المالكية في كتبهم، وقد تلقَّفه أبو بكر ابن العربي المالكي وزعم أنه «حديث صحيح»، فيما نقل عنه ابن الحاج في «المدخل» ٥/٤! (ت)

(٤) في (ق، خ): لنفتعل.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٤٦١)، وأحمد في «مسنده» ٣٨٧/١ (٣٦٧١)، والترمذي في «جامعه» (٢٤٥٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. =

فمن استحيا من الله تعالى استحيا الله منه. نبَّه ﷺ بهذه الوصية النافعة الجامعة لخيري الدنيا والآخرة على الجوارح الظاهرة: فالرأس وما حوى ظاهر، والبطن وما وعى عبَّر به عن الباطن؛ ليحفظ المؤمن قلبه عن العقائد الفاسدات، ويصونه عن الوساوس المذمومة والغفلات، ولا يدخل جوفه شيئًا من المحرمات، ويحفظه أيضًا من الشبهات.

قال أبو جحيفة: كنت عند رسول الله ﷺ فتجاشأتُ، فقال: «**أقصر عنَّا جشَأَك، فإن أطول الناس جوعًا يوم القيامة أكثرهم شبعًا في الدنيا**». قال: فما شبعت بعد[1].

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين**». فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمدُّ يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وغذِّي بالحرام؛ فأنَّى يستجاب لذلك؟![2].

= قال الترمذي: هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه.
وقال الحاكم في «المستدرك» ٣٢٣/٤: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
وقال الألباني في «صحيح الجامع» (٩٣٥): حسن.

(١) أخرجه البزار في «مسنده» (٤٢٣١)، والطبراني في «الكبير» ١٢٦/٢٢ (٣٢٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٦٤٣) من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه.
وأخرجه ابن ماجه في «سننه» (٣٣٥٠)، والترمذي في «جامعه» (٢٤٧٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٦٤٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال: تجشأ رجل عند النبي ﷺ فقال: «**كُفَّ جشاءك عنا، فإن أكثركم شبعًا في الدنيا أكثركم جوعًا يوم القيامة**».
قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه.
وقال أبو حاتم في «العلل» (١٩١٠): هذا حديث منكر.
وقال الألباني في «الصحيحة» (٣٤٣): حسن بمجموع طرقه.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٨٨٣٩)، وأحمد في «مسنده» ٣٢٨/٢ (٨٣٤٨)، والدارمي في «سننه» (٢٧١٧)، والبخاري في «رفع اليدين» (٩١)، ومسلم في «صحيحه» (١٠١٥)، والترمذي في «جامعه» (٢٩٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي حديث آخر: «**لا يدخل الجنة لحم نبت**[1] **من سحت**»[2].

وقال إبراهيم بن أدهم: ما نَبُل منَّا مَن نَبُل بكثرة حجٍّ ولا جهاد، إنما نَبل مَن كان يعقِلُ ما يدخل جوفه ـ يعني الرغيفين ـ من الحلال. فبكى من كان حوله من الحاضرين، وكان يقول:

لقمة من جريش الملح آكلها ... ألذ من تمرة تحشى بزنبور[3]

وقال: أطب مطعمك، ولا عليك أن تقوم الليل، ولا تصوم النهار[4].

وقيل له: كيف أصبحت؟ قال: بخير، إذا لم يحمل مؤنتي غيري[5].

وكان يأكل من عمل يده رحمه الله.

وقال ﷺ: «**أحل ما أكل المؤمن من كسب يمينه، وإن داود نبي الله كان يأكل من كسب يمينه**»[6].

---

(١) في (ق): لحمة نبتت.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» ٢١٧/١١ (١١٥٤٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظه.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٥٢٤/١٠: رواه الطبراني وفيه حسين بن قيس وهو متروك.
وأخرجه عبد الرازق في «مصنفه» (٢٠٧١٩)، وأحمد في «مسنده» ٣٢١/٣ (١٤٤٤١)، والدارمي في «سننه» (٢٧٧٦)، وابن حبان في «صحيحه» (١٧٢٣) من حديث جابر رضي الله عنه.
قال الحاكم في «المستدرك» ٤٢٢/٤: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٧٢٨): صحيح لغيره.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ٣٦٩/٧، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٢٩٥/٦ عن إبراهيم بن أدهم.

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ٣١/٨، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٢٨٢/٦ عن إبراهيم بن أدهم.

(٥) أخرجه ابن منده في «مسند إبراهيم بن أدهم» (٥١).

(٦) أخرجه أحمد في «مسنده» ١٣١/٤ (١٧١٨١)، والبخاري في «صحيحه» (٢٠٧٢)، والبغوي في «شرح السنة» ٦/٨ من حديث المقداد رضي الله عنه، بلفظ: «**ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده**».

ومن البدع الأكل من غير جوع، وهو إسراف، قال الله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]. وفي الخبر: أن ثلاثة يمقتهم الله تعالى: الأكول، والمتكبر، والضاحك خلف الجنازة[(١)].

فمن ضحك في المقابر فهو مبتدع جائر؛ لأن الموت بين عينيه وهو يضحك. وكان ﷺ إذا رأى المقبرة بكى، وكان يقول: «**هي أول منزل من منازل الآخرة**»[(٢)].

وكذلك الضحك عند قراءة القرآن والذكر والأذان، ومن ضحك عند المفجوع بالمصيبة فهو عبد مفتون. والضحك من غير عَجَبٍ نوع من الجنون، وفي الحديث: «**ثلاثة أشياء تقسي القلب: كثرة الأكل، وكثرة الضحك، ومجالسة الجهال**»[(٣)].

وكان ابنُ كثيرٍ ـ أحد القراء السبعة ـ يقول عن نفسه:

---

(١) لم أجده، وأخرج عبد الله بن المبارك في «الزهد» (١٥٥٧) عن يحيى بن أبي كثير مرفوعًا: «**إن الله تعالى كره لكم العبث في الصلاة، والرفث في الصيام، والضحك عند المقابر**».

وهذا إسناد ضعيف لإرساله، وذكره الألباني في «الضعيفة» (٣٠٧٩).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٦٣/١ (٤٥٤)، وابن ماجه في «سننه» (٤٢٦٧)، والترمذي في «جامعه» (٢٣٠٨) من حديث عثمان بن عفان بلفظ: كان عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي من هذا؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه**». قال: وقال رسول الله ﷺ: «**ما رأيت قط إلا القبر أفظع منه**».

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وقال الحاكم في «المستدرك» ٣٣١/٤: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وقال الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٨٤): حسن.

(٣) لم أجده، وأخرج أبو نعيم في «حلية الأولياء» ٣٥٠/٨، والبيهقي في «الزهد» (٤١٠)، وابن عساكر في «تاريخه» ٣١٥/٤٨ عن الفضيل بلفظ: خصلتان تقسيان القلب: كثرة النوم، وكثرة الأكل. والأزدي في «طبقات الصوفية» ٢٦/١ بلفظ: ثلاث خصال تقسي القلب: كثرة الأكل، وكثرة النوم، وكثرة الكلام.

بُـنَـيُّ كـثـيـرٍ أكـولٌ نـؤومٌ[1] وما هـذه صـفـاتُ[2] مـن خـافَ ربَّـه
بُنَيُّ كـثـيـرٍ يُـعلِّـمُ عـلـمًـا[3] لـقد أعـجز الـصوفُ مَن جَزَّ كـلبَـه
بُـنَـيُّ كـثـيـرٍ دَهَـتْـهُ اثـنـتـان: رياءٌ وعُـجبٌ، يـخالـطنَ قـلـبَـه[4]

ثم اعلم بأن الشِّبع الزائد أولُ بدعة أُحدثت في الإسلام، فقد كانوا يجوعون من غير عوز؛ لما يرون فيه من اتباع النبي ﷺ والصحابة والتابعين، وفيه مصالح الدنيا والآخرة، أما من جهة الدنيا فصحة الجسد،

---

(١) في (ق): نؤوم أكول.

(٢) في (ق، ب): تلك حالة.

(٣) في (ق، ب): علمًا يقينًا.

(٤) ابن كثير هو الإمام أبو معبد عبد الله بن كثير الداري المكي (ت: ١٢٠هـ)، أحد القراء السبعة، وكان قاضي الجماعة بمكة وفيها كان مولده ووفاته رحمه الله. وقد نسب إليه هذه الأبيات: العلامة أبو الحسين محمد بن عبد الله بن الحسن البصري، المعروف بابن اللبان الفرضي (ت: ٤٠٢هـ)، فقال: أنشدنا أشياخُنا، عن عبد الله بن كثير، حين سأله أهل مكة أن يقرأهم القرآنَ بعد وفاة مجاهد رحمه الله، فقال:
بُـنَـيُّ كـثـيـرٍ كـثـيـرُ الـذُّنـوبِ فـفـي الـحِـلِّ والـبِـلِّ مَـن كـانَ سبَّـهْ
بُـنَـيُّ كـثـيـرٍ دَهَـتْـهُ اثـنـتـان: ريـاءٌ وعُـجـبٌ يُـخـالِـطْـنَ قـلْـبَـهْ
بُـنَـيُّ كـثـيـرٍ أكـولٌ نَـؤُومٌ ومـا ذاكَ مِـن فِـعْـلِ مـن خـافَ ربَّـهْ
بُـنَـيُّ كـثـيـرٍ يُـعـلِّـمُ عـلـمًـا لـقَـدْ أَعْـوَزَ الـصُّـوفَ مَـن جَـزَّ كَـلـبَـهْ
كذا في ترجمة ابن اللبَّان في «طبقات الفقهاء الشافعية» لابن الصلاح ١/١٨٤ (٣٥)، وفي «طبقات الفقهاء الشافعيِّين» لابن كثير الدمشقي ١/٣٥٧، وعلَّق عليه ابن كثير بقوله: «ويروي هذه الأبيات محمد بن كثير البغدادي، فالله أعلم».
قلتُ: هو المحدِّث محمد بن كثير بن أبي عطاء المِصِّيصي (ت: ٢١٦هـ) رحمه الله، وقد روى هذه الأبيات عنه ابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» ٥٥/١٢٦ بإسناده إلى أبي منصور الحسن بن أحمد المعادي، قال: سمعت أبا عمران موسى بن العباس الجويني ـ وهو نازل في دارنا، وكان يقوم بالليل ويصلي، ثم يبكي طويلاً، وينشد أبياتًا، فسُئل عن تلك الأبيات التي ينشدها بالليل فقال: سمعت محمد بن عوف يقول: سمعت محمد بن كثير المصيصي يقول: . . فذكر الأبيات، ونقلها الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ١٠/٣٨٢، وفي «تاريخ الإسلام» ٥/٤٥٠، ولفظها موافق لما عند ابن الصلاح وابن كثير، فيظهر من هذا أن المؤلف ـ رحمه الله ـ قد أوردها من حفظه بلفظ مقاربٍ، والله أعلم. (ت)

وقلة علله، وتوفير المال، ومن جهة الآخرة رقة القلب، وكسر النفس، والقوة على الطاعة، وخوف الرحمٰن، وتضييق مسالك الشيطان، والمحافظة على الطهارة، وحياة القلب ومحبة الرب؛ لأن الله تعالى يبغض الأكول، ويحب من يتبع الرسول، ويصفو عقله، ويروق ذهنه، ويورثه الحكمة؛ لأن الحكمة كالعروس تحب البيت الخالي، فترى الحكيم يحمل الحكمة، والحمار يحمل العلف.

وقال خالد بن معدان: إن لقمة السمين تطفئ نور حكمة الحكيم. وكان يقول: ارحموا فقيرًا أفسدت معدته طعام الأغنياء[1].

وقال ابن عباس رضي الله عنه: ليأتين على الناس زمان يكون هَمُّ أحدهم بطنه، ودينه هواه[2].

ليس العجب (من بني إسرائيل حين تاهوا في قدر نصف ميل أربعين سنة، إنما العجب)[3] فيمن تاه الأربعين والخمسين سنة[4] في قدر شبرٍ؛ وهو بطنه!

فأي مكان عُرف[5] بالمأكل الكثير (عمل إليه)[6] بالمسير، وليس ذلك فعل ولي ولا فقير، ويقبح على الرِّجال[7] أن يشدوا لمثل ذلك[8] الرِّحال؛

(١) خالد بن معدان بن أبي كرب الكلاعي، أبو عبد الله الشامي الحمصي، تابعي ثقة، فقيه عابد، كبير الشأن، توفي سنة (١٠٣) أو بعدها رحمه الله تعالى، مترجم في «تاريخ دمشق» ١٨٩/١٦، و«سير أعلام النبلاء» ٥٣٦/٤. (ت)

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٦١٣)، والبغوي في «شرح السنة» ٣٠٥/١٤، وابن الجوزي في «ذم الهوى» ٢٣/١ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ليست في (خ).

(٤) من (ق).

(٥) في (خ): كان معروف.

(٦) في (خ): عملوا عليه.

(٧) في (خ): للرجال.

(٨) في (خ): هذا.

قال ﷺ: «**لا تشدُّ الرحال إلا لثلاث: لبيت الله الحرام، ولمسجدي هذا، والمسجد الأقصى**»[(١)].

دخل رجل على النبي ﷺ وشرع يصف كثرة (ما يأكل في)[(٢)] بلده من اللحم واللبن وغيره، فقال له: «**إلى ماذا يذهب**»[(٣)] قال: إلى ما تعلم يا رسول الله. قال: «**فذلك**[(٤)] **مثل الدنيا**»[(٥)].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٩١٥٨)، والحميدي في «مسنده» (٩٤٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧٦٢٠)، وأحمد في «مسنده» ٢/٢٣٤(٧١٩١)، والدارمي في «سننه» (١٤٢١)، والبخاري في «صحيحه» (١١٨٩)، ومسلم في «صحيحه» (١٣٩٧)، وأبو داود في «سننه» (٢٠٣٣)، وابن ماجه في «سننه» (١٤٠٩)، والنسائي في «المجتبى» ٣٧/٢ (٧٠٠)، وابن حبان في «صحيحه» (١٦١٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
قلتُ: استشهاد المؤلف بهذا الحديث في غير موضعه، فإنه يدلُّ على النَّهي عن شدِّ الرِّحال على وجه التقرُّب والتعبُّد لغير المساجد الثلاثة المذكورة، أما شدُّ الرِّحال من أجل طلب العلم والرزق فأمر مرغوب فيه، وقد ورد التخفيف في العبادات لرفع الحرج عمَّن يسافر ابتغاء رزقه، قال تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [الملك: ١٥]. وإنما الذي يقبحُ على الرجال والنساء هو الاشتغال بأمر الدنيا عن أمر الآخرة.

(٢) في (ق، ب): مأكل.

(٣) في (ب): نذهب بها.

(٤) في (ب): فذاك.

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣/٤٥٢ (١٥٧٤٧)، والطبراني في «الكبير» ٨/٢٩٩ (٨١٣٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» ٥/٢٩ من حديث الضحاك بن سفيان الكلابي: أن رسول الله ﷺ قال له: «**يا ضحَّاك! ما طعامك؟**» قال: يا رسول الله اللحم واللبن. قال: «**ثم يصير إلى ماذا؟**» قال: إلى ما قد علمت. قال: «**فإن الله تبارك وتعالى ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلاً للدنيا**».
وله شاهد من حديث سلمان، أخرجه يحيى بن صاعد في زوائد «الزهد» (٤٩٢)، والطبراني في «الكبير» (٦١١٩) من طرق عن محمد بن يوسف الفريابي، حدثنا سفيان ـ وهو الثوري ـ ، عن عاصم ـ وهو الأحول ـ، عن أبي عثمان النهدي، قال سفيان: أراه عن سلمان ـ وجاء عند الطبراني عن سلمان من غير شك ـ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: ألكم طعام؟ إلى أن قال: «**فإن معادهما كمعاد الدنيا، يقوم أحدكم خلف بيته، فيمسك على أنفه من نتن ريحه**». =

فما وصل إلى الله تعالى العمال إلا بأفضل الأعمال وهو الصدق والزهد، وحمل المؤنة عن الناس، واتباع السنة، والرضا عن الله تعالى في كل حال، فنرى بعض الناس يقدمون على رجل ضعيف الحال، فيقدم لهم ما حصل وقدر عليه من الطعام، فلا يرضون به، ويغلظون عليه الكلام، ليأتي لهم بأطيب من ذلك الطعام، فيسخطون بذلك الملك العلام، ويخرجون عن طريق النبي عليه أفضل الصلاة والسلام؛ فهؤلاء المبعودون قد اتصفوا بصفات الصالحين، ولم يبلغوا إلى منازل العوام؛ فالله بريء منهم، والنبي عليه الصلاة والسلام وجميع الإسلام. قال صلوات الله عليه وسلامه: «**أنا وأمَّتي بُرآءُ من التَّكلُّف**»[1].

فاتصف هؤلاء القوم بزي الفقراء، وما نالوا منهم[2] وطرًا، والحق سبحانه ما ينظر للحسن البديع، ولا للثوب الرفيع، ولا لمرقعة مبتدع ورقيع، كما قال في الحديث: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى لباسكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[3].

فإذا وجد القلب خاليًا من البدع والأكدار مليئ من الخير والحكمة والأنوار. كان بعض الصالحين يقول عند النَّزع: «اللَّهم إنك تعلم ما كنت

= وأخرج عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (٢١٢٣٩) عن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ مطعم ابن آدم جُعل مثلاً للدنيا، وإنْ قزَّحه وملَّحه، فانظر إلى ما يصير**».
قال المنذري في «الترغيب»: إسناده جيد قوي.
وخرَّجه الألباني في «الصحيحة» (٣٨٢).

(١) ذكره الغزالي في «الإحياء» ١٨٩/٢، وأخرجه ابن عساكر في «تاريخه» ٢٧٨/٣٥، والديلمي في «مسند الفردوس» ٧٦/١ من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه.
قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» ١٧١/١: قال النووي: ليس بثابت. وقد أخرجه الدارقطني في «الأفراد» من حديث الزبير بن العوام مرفوعًا، وسنده ضعيف.

(٢) في (ق): منه.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ٤٨٤/٢ (٧٨٢٧)، ومسلم في «صحيحه» (٢٥٦٤)، وابن ماجه في «سننه» (٤١٤٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أحب البقاء في الدنيا لبطنٍ، ولا لفرجٍ»[1]، فقد علمتَ أن في المأكل اليسير الخيرَ الكثير، والمتابعة للبشير النذير، والأكول متَّبع للبهائم والكفار والحمير.

وقد جمع الحق سبحانه في آية واحدة الطب كله، وهو قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، فالأمراض المختلفة والتُّخم والعلل والأسقام أصلها من الإسراف بلا خلاف؛ لأن الشِّبَع المفرط أصل كل داء حتى قال بعض الحكماء: من أكل الطعام بغير إسراف لم يعتل إلا علة الموت، وهو أن يأكل بعد الجوع، ويرفع قبل الشبع عملاً بالحديث، يعمل بطنه على ثلاثة أقسام: ثلث للطعام، وثلث للشراب، وثلث للنفس[2]. والدرجة العليا أنْ يأكل الإنسانُ أكلَ المريض، وينام نوم الغريق[3].

ومن السُّنة غسل اليدين قبل الطعام وبعده[4]، وتسمية الله تعالى في

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٣٦١/٢ عن حزم القطيعي قال: دخلنا على مالك بن دينار في مرضه الذي مات فيه، وهو يكيد بنفسه، فرفع رأسه إلى السماء، ثم قال: . . . فذكره. (ت)

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ١٣٢/٤(١٧١٨٦)، وابن ماجه في «سننه» (٣٣٤٩)، والترمذي في «جامعه» (٢٣٨٠)، والنسائي في «الكبرى» (٦٧٧٠) من حديث المقدام بن معدي كرب بلفظ: «**ما ملأ آدمي شرًا من بطنه، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة: فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه**».
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وقال الحاكم في «المستدرك» ٣٣٢/٤: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
وقال الألباني في «الصحيحة» (٢٢٦٥): صحيح.

(٣) هذا ليس من الدرجة العليا في شيء، فإن من المعلوم أن المرض حال عارضة فيها مشقة وحرج، والمشروع أن يسأل المسلم ربَّه الصحة والعافية والشفاء من كل داء، ويستعيذ به سبحانه من الأمراض والأوجاع والأسقام، فإن العبدَ لا يستطيع القيام بما عليه من حقِّ العبودية لله تعالى على وجه حسن إلا براحة النفس، وقوة الجسد. (ت)

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦٦٣)، وأحمد في «مسنده» ١١٩/٦ (٢٤٨٧٤)، وابن ماجه في «سننه» (٥٩٣)، وأبو داود في «سننه» (٢٢٢)، والنسائي في «المجتبى» ١٣٩/١(٢٥٦) من حديث عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن ينام وهو جنب توضأ، وإذا أراد أن يأكل غسل يديه. وصححه الألباني، وانظر «المغني» ١٢١/٨.

الابتداء[1]، ويحمده في الانتهاء[2]، فإن نسي التسميةَ في ابتداء الأكل يسمِّي في أثنائه أو بعد فراغه فيقول: بسم الله أوله وآخره[3]. فلو كانت الدنيا لقمة وقال آكِلُها: الحمد لله. لأدَّى شكرَها. ويكرم الخبزَ فإنه قوام الدين والدنيا، وما يصير الرغيف رغيفًا حتى يعمل فيه ثلاث مئة وستون صانعًا: أولهم: ميكائيل، وآخرهم: الخبَّاز، ومن إكرامه أن لا يرفع على الخبز شيئًا، ويلتقط ما سقط منه وإن قلَّ[4].

ورأى ابن عمر رضي الله عنهما كسرة في الطريق فقال لغلامه: ارفعها.

---

(١) أخرجه الحميدي في «مسنده» (٥٧٠)، وأحمد في «مسنده» ٢٦/٤ (١٦٣٣٠)، والدارمي في «سننه» (٢٠١٩)، والبخاري في «صحيحه» (٥٣٧٦)، ومسلم في «صحيحه» (٢٠٢٢)، وابن ماجه في «سننه» (٣٢٦٧)، والترمذي في «جامعه» (١٨٥٧)، والنسائي في «الكبرى» (٦٧٥٩) من حديث عمر بن أبي سلمة بلفظ: «**يا غلام، سمِّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك**».

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣٢/٣(١١٢٧٦)، وأبو داود في «سننه» (٣٨٥٠)، وابن ماجه في «سننه» (٣٢٨٣)، والترمذي في «جامعه» (٣٤٥٧)، والنسائي في «الكبرى» (١٠١٢٠) من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ: كان رسول الله ﷺ إذا أكل طعامًا قال: «**الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين**».

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢٠٧/٧ (٢٥١٠٦)، والدارمي في «سننه» (٢٠٢٠)، وأبو داود في «سننه» (٣٧٦٧)، وابن ماجه في «سننه» (٣٢٦٤)، والترمذي في «جامعه» (١٨٥٨) من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يأكل طعامًا في ستة نفرٍ من أصحابه، فجاء أعرابي فأكله بلقمتين، فقال النبي ﷺ: «**أما إنه لو كان ذكر اسم الله لكفاكم، فإذا أكل أحدكم طعامًا فليذكر اسم الله، فإن نسي أن يذكر اسم الله في أوله فليقل: بسم الله أوله وآخره**».
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وقال الحاكم في «المستدرك» ١٠٨/٤: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (١٩٦٥).

(٤) وردت أحاديث ضعيفة في إكرام الخبز، وقد مال العلامة الألباني رحمه الله في «السلسلة الضعيفة» (٢٨٨٤ - ٢٨٨٥) إلى ثبوت طرفٍ منها، وهو قوله ﷺ: «أكرموا الخبز». ولا يختلف العلماء في أن من آداب الطعام إكرام الخبز، لأنه قوت بني آدم، ففي امتهانه كفر بالنِّعمة، قال المناوي رحمه الله: وإكرامه أن لا يوطأ ولا يمتهن، كأن يستنجى به، أو يوضع في القاذورة والمزابل، أو ينظر إليه بعين الاحتقار.

فلما غربت الشمس طلبها، فقال الغلام: أكلتها. فأعتقه، وقال: سمعت النبي ﷺ يقول: («من رفع كسرةً من الأرض وأكلها غُفر له»؛ وأنا لا أستخدم من غُفر له[1].

فقد علمت أن)[2] الشِّبع المفرط مضرة في الدنيا والدين، ويعد فاعله من المسرفين.

---

(١) ليس هذا من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه، وإنما رُوي من حديث الحسن بن عليٍّ رضي الله عنهما، وهو حديث مكذوب، أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٦٧٥٠) قال: حدثنا عيسى بن سالم، قال: حدثنا وهب بن عبد الرحمٰن القرشي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن الحسن بن علي: أنه دخل المتوضَّأ، فأصاب لقمةً ـ أو قال: كسرة ـ في مجرى الغائط والبول، فأخذها، فأماط عنها الأذى، فغسلها غسلاً نعِمًّا، ثم دفعها إلى غلامه، فقال: يا غلامُ! ذكرني بها إذا توضأتُ. فلما توضأ قال للغلام: يا غلام ناولني اللقمة ـ أو قال: الكسرة ـ فقال: يا مولاي أكلتها! قال: فاذهب فأنت حر لوجه الله. قال: فقال له الغلام: يا مولاي لأي شيء أعتقتني؟ قال: لأني سمعت من فاطمة بنت رسول الله تذكر عن أبيها رسول الله ﷺ: «من أخذ لقمةً ـ أو كسرةً ـ من مجرى الغائط والبول، فأخذها، فأماط عنها الأذى، وغسلها غسلاً نعمًّا، ثم أكلها، لم تستقرَّ في بطنه حتَّى يُغفر له» فما كنتُ لأستخدم رجلاً من أهل الجنة!

وأخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١٤١٨ ـ ط: أضواء السلف) من طريق أبي يعلى، وقال: هذا حديث موضوع، والمتهم بوضعه: وهب بن عبد الرحمٰن، وهو وهب بن وهب القاضي، وإنما دلسه عيسى بن سالم، وقد دلسه مرة أخرى فقال: وهب بن عبد الرحمٰن المديني، وقد دلسه محمد بن أبي السري العسقلاني فقال: وهب بن زمعة القرشي، وهو وهب بن كثير بن عبد الله بن زمعة بن الأسود. وهذا كله جهل من الرواة بما في ضمن ذلك من الجناية على الإسلام، لأنه قد يبنى على الحديث حكم فيعمل به، لحسن ظنِّ الراوي بالمجهول، ثم انظر إلى جهل من وضع هذا الحديث: فإن اللقمة إذا وقعت في مجرى البول وتداخلتها النجاسة فرَبَت لم يتصور غسلها، وقد سُئل أحمد بن حنبل عن سمسم وقع في النجاسة هل يغسل؟ فقال: كيف يتصور غسله؟ وكأن الذي وضع هذا قصد أذى المسلمين والتلاعب بهم.

وقال ابن حجر في «المطالب العالية» (٢٤٢٦): وهب هذا هو أبو البختري القاضي المعروف بالكذب ووضع الحديث، وهذا الحديث مما افتراه، وقد ذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» وكشف أمر هذا الحديث فأجاد.

(٢) ليست في (ق، ب).

ومن البدع قطع الخبز بالسكين[1]، فأقلل من الأكل تنتفع أيها المسكين، ولا تعد من المسرفين؛ لأنه إذا كثر الأكل قلَّ الخوف، ومات القلب، وعاشت النفس، وإن كان المأكل من حلال، والحرام قليله وكثيره يعمي القلوب، ويبعد عن علام الغيوب، وفي الأخبار: إن تصدق به لم يؤجر عليه، وإن أنفقه لم يبارك فيه، وإن تركه خلفه، كان زاده إلى النار[2].

وكان ﷺ يربط الحجر والحجرين على بطنه من الجوع[3]، ولو سأل الله تعالى أن يطعمه من طعام الجنَّة لفعل، وكان أكثر أكل البشير النذير الخبز الشعير[4]، وهو سنة الأنبياء عليهم السلام.

مرَّ أنس بن مالك رضي الله عنه على جماعة يأكلون لحمًا سميطًا،

---

(١) قطع الخبز بالسكين ليس من البدع في شيء، وقد ورد في النهي عنه أحاديث موضوعة مكذوبة.

(٢) يشهد لهذه المعاني أحاديث، منها ما أخرجه أحمد في «مسنده» ٢/ ١٩(٤٧٠٠)، والدارمي في «سننه» (٦٨٦)، ومسلم في «صحيحه» (٢٢٤)، وأبو داود في «سننه» (٥٩)، وابن ماجه في «سننه» (٢٧١)، والترمذي في «جامعه» (١)، والنسائي في «المجتبى» ٨٧/١ (١٣٩) من حديث ابن عمر، وأبي المليح عن أبيه بلفظ: «لا تقبل صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول».

(٣) أخرجه الترمذي في «جامعه» (٢٣٧١)، والطبري في «تهذيب الآثار» (٤٦٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٤٢٨) من حديث أبي طلحة بلفظ: شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع، ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر، فرفع رسول الله ﷺ عن حجرين.
قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.
وضعفه الألباني في «الترغيب والترهيب» (١٩٠٧).
قلت: والذي صحَّ إنما كان في واقعة خاصة وهي أثناء حصار المدينة في غزوة الخندق، فعصَّبَ رسولُ الله ﷺ بطنه بعصابةٍ من الجوع؛ كما في «صحيح مسلم» (٢٠٤٠). (ت)

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢٥٥/١ (٢٣٠٣)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٥٩٢)، وابن ماجه في «سننه» (٣٣٤٧)، والترمذي في «جامعه» (٢٣٦٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ كان يبيت الليالي المتتابعة طاويًا وأهله لا يجدون عشاء، قال: وكان عامة خبزهم خبز الشعير.
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وقال الألباني في «صحيح الجامع» (٤٨٩٥): حسن.

وخبزًا مرققًا، فعزموا عليه، فقال: كلوا فما رأيت رسول الله ﷺ أكل لحمًا سميطًا، ولا خبزًا مرققًا، ولا شبع من خبز شعير حتى لقي الله تعالى[(١)].

ويحرم على المسلم أن يدخل من غير دعوى؛ لقوله ﷺ: **«من دَخل عن غير دعوَى دخل سارقًا، وخرج مُغيرًا، ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله»**[(٢)].

ويحرم على المؤمن ـ أيضًا ـ أن يفرق الطعام بغير دستور صاحبه، فإنه دُعِيَ ليأكل (مَا دُعِي لأجل التَّفرقة)[(٣)]. ويحرم (على الإنسان)[(٤)] أن يخطف اللحم من بين أيدي الآكلين؛ لأنهم فيه مشتركون، وفيه تشبُّهٌ بمن ينتهب، قال ﷺ: **«من انتهَبَ فليس منَّا»**[(٥)].

ومن أباح طعامًا له أو متاعًا للناهبين جاز لهم ذلك، وكذلك ما ينثر في الأعراس والولائم من الذهب والفضة والسكر وغيره، يجوز أخذه من الأرض، ولا يجوز أخذ الطبق من يد حامله قبل نثره، ولا يبسط ثوبه ولا رداءه لنزول الطبق فيه.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣/١٢٨ (١٢٢٩٦)، والبخاري في «صحيحه» (٥٤٢١)، وابن ماجه في «سننه» (٣٣٣٩) عن قتادة، قال: كنَّا نأتي أنس بن مالك رضي الله عنه وخبازه قائم، قال: كلوا فما أعلم النبي ﷺ رأى رغيفًا مرققًا حتى لحق بالله، ولا رأى شاة سميطًا بعينه قط.

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه» (٣٧٤١)، والبيهقي في «الكبرى» ٧/٦٨، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٥٢٨) من حديث ابن عمر بلفظ: **«من دُعي فلم يجب فقد عصى الله ورسوله، ومن دخل على غير دعوة دخل سارقًا وخرج مُغيرًا»**.
قال الألباني في «الإرواء» (١٩٤٨): ضعيف.

(٣) في (ق، ب): لم يدع ليفرق.

(٤) في (ق): عليه.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٢٧٦١)، والترمذي في «جامعه» (١٦٠١)، وابن الجعد في «مسنده» (٢٩٨٣)، والبغوي في «شرح السنة» ٨/٢٢٨ من حديث أنس رضي الله عنه.
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.
قال الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٠٥): صحيح.

وأما النثر على ولاة الأمر كالقضاة والولاة لا يجوز للإنسان أن ينتهب منه؛ لأنه بمنزلة الرشوة، وهدية الأمراء مكروهة إلا للمضطرين، ولأهل السجون، وكذلك من ذبح شيئًا لأجل الأمراء والوزراء يكره أن يأخذ الإنسان من ذلك اللحم شيئًا[(١)].

ولا ينتهب من نهبة العساكر، ومن كان أكثر ماله من حلال يجوز قبول هديته، وإن كان أكثره حرامًا فلا يجوز، ومن أتاه شيء بغير سؤال وردَّه فكأنما ردَّه على الله، بهذه المسائل أخبرنا علماؤنا رضي الله عنهم أجمعين.

وأول بدعة أحدثت في الملة الإسلامية الأكل الزائد، والمناخل، وغسل البر - وهو يذهب ببركته[(٢)] - وأكل الدسومات، والمرق السمين يورث ما تقدم ذكره من القسوة والمقت، وانتشار الشهوة، ونسيان الآخرة، ولا يترك بالكلية لكي لا يضعف البدن عن القيام لخدمة خالق البرية.

قال السيد الجليل، صاحب المواهب والكرامات: سهل بن عبد الله التستري: لما خلق الله تعالى الدنيا جعل في الشبع الجهل والمعصية، وجعل في الجوع العلم والحكمة[(٣)].

وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنه يقول: ليت أن الله جعل رزقي في مصِّ حصاة، فقد استحييت من الله من كثرة اختلافي إلى الحُشِّ[(٤)]. والحش هو المرحاض.

---

(١) هذا فيه تفصيل، فإن كان الذبحُ لضيافة من يحضر من الأمراء والوزراء لإطعامهم وإطعام الناس فهذا لا بأس به، وهو عمل مشروع فيجوز الأكل منه، أما إن كان نحرها عند لقاء الملوك أو عند لقاء المعظَّمين، تعظيمًا لهم؛ فهذا شركٌ، لأنه ذبح لغير الله، فيدخل في عموم قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]، فمثل هذا يحرمُ الأكل منه. انظر: «مجموع فتاوى ابن باز» ١/٥٣ و٤٤٢ و٩/٣٩٣.

(٢) هذه دعوى لا برهان عليها. (ت)

(٣) ذكره العبدري في «المدخل» ٣/١١٣.

(٤) لم نجده عن ابن عمر رضي الله عنهما، وذكره ابن قدامة في كتاب «التوابين» ص ٢٠=

وروى أبو نعيم في «الحلية»[1] وذكر ابن الجوزي في «صفة الصفوة»[2]: أن بعض السلف كان يأكل في كل ستة أشهر أكلة، فعجب بعض الناس من ذلك المدد الذي أمده الله تعالى به، فقال لهم: من أي شيء تعجبون؟ سألت الله سبحانه أن يكفيني مؤنة بطني ففعل.

وسأل بعض مشايخ «الرسالة» أن يُمدَّه الله ويُغنيَه عن هذه المآكل، وكان إذا جاع قويَ، وإذا شبع ضعف[3].

وهذه من كرامات الأولياء، ولا ينكرها إلا من نكب من الأشقياء؛ فإنه مقام الصالحين، وأجر الإيمان بكرامات أهل اليقين، وقد صحَّ أن أبا ذر رضي الله عنه مكث بزمزم ثلاثين يومًا لم يستطعم طعامًا[4] غير ماء زمزم، فسمن على الماء. رواه البخاري ومسلم في إسلام أبي ذر[5].

دخل رجل إلى زمزم يريد ماءً، فوجد رجلاً ومعه ركوة وقد ملأها، فقال: يا سيدي، اسقني. فسقاه، فوجد سُويقًا مذابًا بسكر، فقال له: بالله

= عن سعيد بن المسيب رحمه الله. وأخرجه أحمد في «الزهد» ١/٣٢٢، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» ٢/٣٧٠، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٦٩٦)، وابن عساكر في «تاريخه» ٥٦/٤٠٧ عن مالك بن دينار قال: وددت أن رزقي في حصاةٍ أمصُّها حتى أموت، ولقد اختلفتُ إلى الخلاء حتى استحييت من ربِّي.

(١) «حلية الأولياء» ١٠/ ٢٢٨.

(٢) «صفة الصفوة» ٤/١٦٧.

(٣) أخرجه القشيريُّ في «رسالته» فقال: سمعت محمد بن أحمد التميمي يقول: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت طلحة القصائري يقول: سمعت المنيحي صاحب سهل بن عبد الله - هو التستري - يقول: كان سهل يصبر عن الطعام سبعين يومًا، وكان إذا أكل ضعف، وإذا جاع قوي.
قلتُ: ذكره المؤلف رحمه الله اعتمادًا على ذاكرته فزاد فيه. وهذا ليس من الكرامات، بل مما يعتاده الإنسان ويألفه مع طول المعاناة، ففي الناس من لا يستطيع العمل والنشاط إلا مع الشبع، وفيهم من هو على العكس من ذلك، فلكل إنسان طبيعته، مما جبله الله عليه، أو اعتاده والتزمه في حياته، والمعيار في القيام بطاعة الله تعالى واجتناب معاصيه، لا في الجوع والشبع. (ت)

(٤) في (خ): بطعام.

(٥) البخاري في «صحيحه» (٣٥٥٢)، ومسلم في «صحيحه» (٢٤٧٣).

من أنت؟ قال: وتكتم؟ قال: نعم. قال: أنا سفيان الثوري[(١)].

ومن الإسراف أن يأكل العبد كل ما تشتهيه نفسه.

[(٢)](قال يحيى الوراق: من أرضى الجوارحَ بالشهوات، فقد غرس في قلبه شجرة الندامات[(٣)].

وقال الثوري: إذا عصتك نفسك فيما تأمر، فلا تطعها[(٤)] فيما تشتهي[(٥)].

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في «مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن» ص ٣٢٣ عن عبد الرحمٰن بن يعقوب، قال: قدم علينا شيخ من هراة يكنَّى: أبا عبد الله، شيخ صدق، قال: دخلت المسجد في السحر، فجلست إلى زمزم، فإذا شيخ قد دخل من باب زمزم، وقد سدل ثوبه على وجهه، فأتى البئر، فنزع بالدلو فشرب، فأخذت فضلته فشربتها، فإذا سويق لوز لم أذق أطيب منه، ثم التفتُّ، فإذا شيخ قد ذهب، ثم عدت من الغد في السحر، فجلست إلى زمزم، فإذا الشيخ قد دخل من باب زمزم، فأتى البئر، فنزع بالدلو فشرب، فأخذت فضلته فشربتها، فإذا ماء مضروب بعسل لم أذق قط أطيب منه، فالتفت فإذا الشيخ قد ذهب، ثم عدت من الغد في السَّحر، فإذا الشيخ قد دخل من باب زمزم، فأتى البئر، فنزع فشرب، فأخذت فضلته، فشربتها، فإذا سكر مضروب بلبن لم أذق قط أطيب منه، فأخذت طرف ملحفته فلففتها على يدي، فقلت: يا شيخُ! بحقِّ هذه البِنيَة عليك من أنت؟ قال: تكتمُ عليَّ؟ قلتُ: نعم. قال: حتى أموت؟ قلتُ: نعم. قال: سفيان بن سعيد الثوريُّ.

قال محقِّق كتاب ابن الجوزي: الخبر أورده ابن قدامة المقدسي في «الرقة» ٢٤٥، وفي إسناده من لم أهتد إلى ترجمته، فضلاً عن جهالة الشيخ الهروي.

قلتُ: كان سفيان الثوري إمام أهل مكة في زمانه، ومن أعلام المسلمين، يقصده طلاب الحديث من شتَّى بقاع الأرض، فكيف لم يتعرف عليه هذا الشيخ الهروي، والمظنون فيه أنه من أهل الحديث! وقد كان سفيان رحمه الله معروفًا بكثرة الأكل ليستعين بذلك على طاعة الله، أخرج أبو نعيم في «حلية الأولياء» ٣٨٩/٦ عن يحيى بن أبي ثابت قال: أُتي سفيان الثوري وهو في المسجد الحرام بسويق فيه نحو من مد أهل مكة، ثلثاه سويق، وثلثه سكر، قال: فشربه حتَّى حلَّ إزاره، قال: ثم شدَّ إزاره، وقال: اشبع الزنجي وكدَّه. ثم قام من أول الليل إلى آخره. (ت)

(٢) من هنا بداية سقوط ورقتين من (ق).

(٣) أخرجه البيهقي في «الزهد» (٣٦٨)، وابن الجوزي في «ذم الهوى» ٢٧/١، وذكره الغزالي في «الإحياء» ٦٦/٣.

(٤) في (ب): تطعمها.

(٥) لم أجده.

وقالت امرأة العزيز: إن الحرص والشهوة صيَّرَا الملوك عبيدًا، وإن الصبر والتقى صيَّرا العبيد ملوكًا[(١)].

والعبد المذموم هو المشغول بهذه الهموم عن خدمة الحي القيوم، قال الله تعالى: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩﴾ [مريم: ٥٩].

والمؤمن في الدنيا كالأسير يسعى في فكاك رقبته، همُّه الطاعة لا تقرُّ عينه إلا بها، وقرة عين المنافق في الزينة؛ فترى هذا العبد المتعوس، المخالف للملك القدوس، العالم بما في النفوس، يتحلى بلبس الذهب والحرير، ويتزين كما تتزين العروس، وقرة عين الحمار في العلف، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ [محمد: ١٢].

وإياك - أيها المؤمن! - أن تترك طريق نبيك عليه الصلاة والسلام، وتتشبه بالمنافقين، أو تتصف[(٢)] بصفات الكفار والأنعام، وتنسى ما مَنَّ عليك به من الخيرات والإنعام، فتخالف الملك العلام على ممر الشهور والأعوام، فإذًا يخاف عليك عند الموت من تغير الأحوال؛ لإعراضك عن الرب الباقي، ولإقبالك على هذه الطلول الفانية والأعلام.

ثم اعلم بأن النبي ﷺ وصف المؤمن ووصف الكافر؛ فقال: «**حسب المؤمن لقيمات يقمن صلبه**»[(٣)]. وقال: «**المؤمن يأكل في معاء واحد، والكافر يأكل في سبعة معاء**»[(٤)].

---

(١) أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول في أحاديث الرسول» ٢/١٨١، ٣/٢٥، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١١٧٢٤)، وذكره الغزالي في «إحياء علوم الدين» ٣/٦٦. وهو من الإسرائيليات.

(٢) في (ب): فتتصف.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٥٠٣٦)، وأحمد في «مسنده» ٢/٤١٣ (٨٨٧٩)، والدارمي في «سننه» (٢٠٤٣)، والبخاري في «صحيحه» (٥٣٩٧)، ومسلم في «صحيحه» (٢٠٦٢)، وابن ماجه في «سننه» (٣٢٥٦)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٠٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وللحديث شواهد عن جابر، وابن عمر، وأبي سعيد، وأبي بصرة الغفاري، وأبي موسى، وجهجاه الغفاري، وميمونة، وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم.

وقال أيضًا: «**أكثركم شبعًا في الدنيا، أكثركم جوعًا يوم القيامة**»(١).

فجوِّعْ نفسك - أيها المؤمنُ! - لوليمة الآخرة، وتشبَّه بعباد الله الصالحين، لكي لا تنسى الجائعين، واجلس على الطعام بأدبٍ، ولا تتجشأ منه؛ فإنك تودُّ بعد أكله لو خلَّصك الله منه، فمن أكل بغير مقدار، فقد تشبَّه بالثور والحمار، وخرج عن طريق الأولياء والأخيار، وخالف القرآن العظيم والأخبار، فترى بعض المترفين يتجشأ منه، فيثقل الطعام على معدته، فيسعى في حطِّ حمله بالمعاجين والسفوف(٢) وما هذه صفات من يخشى المولى الرؤوف، فإذا أكل الإنسان؛ يحمد الله تعالى، ويسأله أن لا يؤاخذه بجائعي أمة محمد ﷺ، ويدعو الله سبحانه أن يهديه ويقويه، حتى يصرف رزق الله تعالى في طاعته، وفيما يرضيه، فيكون شاكرًا لإنعامه وأياديه، والفاجر من حمد الله تعالى عَقِيبَ أكله، ثم صرف الطعام في مخالفة الله سبحانه ومعاصيه. قال المولى الغفور: ﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥]، وقال في آية أخرى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]. وقد بيَّنت الشاكر والفاجر، وذكرت في هذا الباب شيئًا من البدع ومما عليه يثاب، وأما آداب الأكل ومنافعه فلا يحتمله هذا الكتاب. وقد جمع الطب كلَّه في ثلاث كلمات: الحمية رأس الدواء، والمعدة بيت الداء، وعوِّدوا كلَّ جسدٍ بما اعتاد(٣).

---

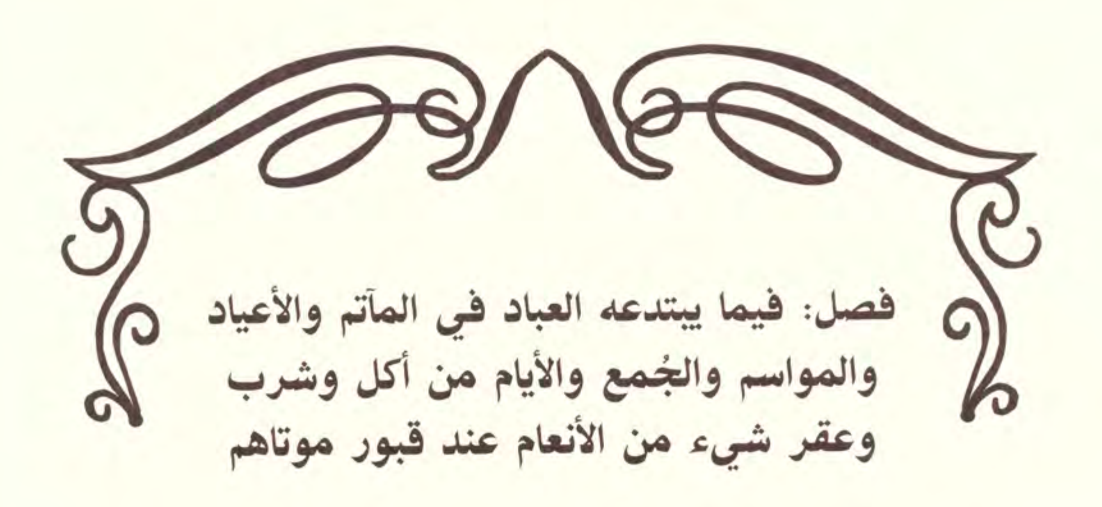
(١) سلف تخريجه.

(٢) المَعاجِين: ما عُجِن من الأدوية. والسَّفوف: ما يُسفُّ من الدواء اليابس.

(٣) قال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٢٥٢): حديث: «البطنة أصل الداء، والحمية أصل الدواء، وعودوا كل جسم ما اعتاد»؛ لا أصل له. وقد أورده الغزالي في «الإحياء» مرفوعًا إلى النبي ﷺ! فقال الحافظ العراقي في تخريجه: لم أجد له أصلاً. وأقره الحافظ السخاوي في «المقاصد الحسنة» (١٠٣٥)، وقال المحقق ابن القيم في «زاد المعاد»: «وأما الحديث الدائر على ألسنة كثير من الناس: «الحمية رأس الدواء، والمعدة بيت الداء، وعودوا كل جسم ما اعتاد»، فهذا الحديث إنما هو من كلام الحارث بن كلدة، طبيب العرب، ولا يصح رفعه إلى النبي ﷺ. قاله غير واحد من أئمة الحديث». لكن ذكر السخاوي أن الخلال روى من حديث عائشة: «الأزم دواء، والمعدة داء، وعودوا بدنًا ما اعتاد». وظاهره أنه مرفوع، وقد صرح بذلك السيوطي=

....

= في «الدرر» كما في «كشف الخفاء» (١٧٨٨)، وأورده في «الجامع الكبير» ولكنهم لم يذكروا إسناده لينظر فيه، وغالب الظن أنه لا يصح، والله أعلم. ثم رأيت ابن القيم ذكره في «الزاد» من كلام الحارث بن كلدة أيضًا بهذا اللفظ وهو الأشبه، ثم قال ابن القيم: والأزم: الإمساك عن الأكل، يعني به الجوع، وهو من أكبر الأدوية في شفاء الأمراض الامتلائية كلها بحيث أنه أفضل في علاجها من المستفرغات.



فصل: فيما يبتدعه العباد في المآتم والأعياد والمواسم والجُمع والأيام من أكل وشرب وعقر شيء من الأنعام عند قبور موتاهم

وهذه البدعة توافق الجاهلية، وتخالف الإسلام؛ صحَّ في الأخبار أن الجاهلية كانوا يعقرون الإبل عند قبر ميتهم[1]، ويقولون: تكون مطعمًا للميت بعد مماته؛ فإنه كان يطعمها للأضياف قبل مماته، ومنهم من كان يذهب في ذلك أنه إذا عقرت راحلته عند قبره، حشر يوم القيامة راكبًا، ومن لم يعقر عنه حُشِر راجلًا، وهذا رأي من كان يرى البعث بعد الموت، فنهى النبي ﷺ عن ذلك وقال: «**لا عقر في الإسلام**»[2].

---

(١) في (ب): قبور موتاهم.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٦٦٩٠)، وأحمد في «مسنده» ٣/١٩٧ (١٣٠٣٢)، وأبو داود في «سننه» (٣٢٢٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٣١٤٦)، والبيهقي في «الكبرى» ٤/٥٧ من حديث عبد الرزاق، قال: حدثنا معمر، عن ثابت، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

ورجاله ثقات، رجال الشيخين، فظاهر إسناده الصحة، لكن أعلَّه الحفاظ بتفرد عبد الرزاق به، فقال ابن حجر في «التلخيص» (٨٣٠): وهو من أفراد عبد الرزاق عن معمر عن ثابت عنه، قاله البخاري والبزار وغيرهما، وقد قيل: إن حديث معمر عن غير الزهري فيه لين، وقد أعله البخاري، والترمذي، والنسائي فقال: هذا خطأ فاحشٌ. وأبو حاتم فقال: هذا منكر جدًّا. وقد أخرجه النسائي من وجه آخر عن حميد عن أنس، وقال: الصواب عن حميد عن الحسن عن عمران.

قال الخطابي في «معالم السنن»: كان أهل الجاهلية يعقرون الإبل على قبر الرجل=

والعقر للإبل، والذبح لغيره، وإن عكس جاز مع الكراهية لخروجه عن السنة.

رأى الحسن البصري رجلاً يأكل في المقبرة فقال لأصحابه: هذا رجل منافق، الموت بين عينيه، وهو يشتهي الطعام[1]. وفي يومنا هذا قد جعلوا زيارة القبور ملعبة ومنزهة ضد المقصود، وشؤم[2] ذلك عليهم يعود؛ لاختلاط الرجال بالنساء، ولرقصهم وضربهم بالطّار والعود، ولنسيانهم للموت، ولقلة تفكرهم لأهوال القيامة واليوم الموعود، فمن أطلق زوجته أو كريمته أو جاريته في هذه الأوقات فهو شريكهم في السيئات؛ لقلة غيرته، ولخروجه عن طريق السادات[3].

والمعاصي في القبور لا يفعلها إلا كل عبدٍ معتدٍ مغرور، قد نسي الموت والقيامة والنشور؛ لأن المقبرة تذكر الآخرة، ولا يُمكّن أيضًا الرجلُ

= الجواد، يقولون: نجازيه على فعله، لأنه كان يعقرها في حياته فيطعمها الأضياف، فنعقرها عند قبره، فتأكلها السباع والطير، فيكون مطعِمًا بعد مماته، كما كان مطعِمًا في حياته، ومنهم من كان يذهب في ذلك إلى أنه إذا عقرت راحلته حشر يوم القيامة راكبًا، ومن لم يعقر عنه حشر راجلاً، وكان هذا على مذهب من يرى منهم البعث بعد الموت.

وقال ابن الأثير في «النهاية»: كانوا يعقرون الإبل على قبور الموتى، أي ينحرونها، ويقولون: إن صاحب القبر كان يعقر للأضياف أيام حياته فنكافئه بمثل صنيعه بعد وفاته، وأصل العقر ضرب قوائم البعير، أو الشاة بالسيف، وهو قائم.

وقد احتجَّ الإمام المبجَّل أحمد بن حنبل رحمه الله بهذا الحديث، فقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «اقتضاء الصراط المستقيم» ـ عند كلامه على ما يُفعل عند القبور ـ: «وأما الذبح هناك فنهي عنه مطلقًا، ذكره أصحابنا وغيرهم، لما روى أنس عن النبي ﷺ قال: **«لا عقر في الإسلام»**، رواه أحمد وأبو داود، وزاد: قال عبد الرزاق: كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة. قال أحمد ـ في رواية المروزي ـ: قال النبي ﷺ: **«لا عقر في الإسلام»**، كانوا إذا مات لهم الميت نحروا جزورًا على قبره، فنهى النبي ﷺ عن ذلك. كره أبو عبد الله أكل لحمه». (ت)

(١) ذكره أبو الليث السمرقندي في «تنبيه الغافلين» ٥٦٢.

(٢) في (ب): ضد.

(٣) في (ب): العبادات.

ولدَه من الخروج للفرج وحده، إن كان له حسن ظاهر كي لا[١] يعبث به الرجل الفاجر، وهذه النصيحة لمن كان له غيرة[٢]، وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وكان ﷺ إذا مرَّ بمقبرة بكى[٣]، وكذا السلف الصالح، وكان لا يعرف صاحب الجنازة من غيره لكثرة البكائين.

ومن البدع: كتب القرآن أو شيئًا من أسماء الله تعالى على القبور، ونشر المصاحف عليها، وتزيينها بالياسمين والرياحين، وإطلاق العود والبخور، وأما إيقاد الشمع عليها بالنهار أو السرج بالليل، فهو إسراف بلا خلاف.

وهذه النفقة معصية غير مخلوفة، ووقع[٤] الفاعلون لها في أمور مخيفة؛ لخروجهم عن الشريعة الشريفة، فإن أنفق الوصي من التركة ضمنه، فإن أوصى الميت بذلك لم تقبل وصيته؛ لأنها معصية، وقال ﷺ: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»[٥]. لأن الميت لا ينتفع بشيء من ذلك؛ فيضيع المال في غير مصلحة.

وقد نهى النبي ﷺ عن إضاعة المال، وعن القيل والقال[٦]، وعن البذخ[٧] في الطعام[٨].

فمثل من يَقِدُ السراج على القبر كمثل من يقِدُ[٩] السراج على سطح

---

(١) في (خ): لكي.

(٢) في (ب): صفته الغيرة.

(٣) لا يصح هذا بإطلاقه، وإنما ورد هذا في بعض الأحوال، وسبق تخريج حديث فيه.

(٤) في (ب): دفع.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) سبق تخريجه.

(٧) في (خ): النفخ. والمثبت من (ب) وهو أنسب للسياق.

(٨) يشير بهذا إلى حديث: «**ما ملأ ابن آدم وعاءً شرًا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يُقِمْن صلبه، فإن كان لا محالة فاعلًا فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه**». وقد سبق.

(٩) في (ب) في الموضعين: يعد.

بيته؛ لأن النور لا ينزل إلى البيت، كذلك لا يدخل إلى القبر، ولا ينتفع الميت بشيء من المشموم؛ إلا بالصدقة للسائل والمسكين والمحروم، أو بدعاء ولد، أو ما قدمه هو لنفسه من الأعمال الصالحة لينجو بها من عذاب جهنم ومن الأحزان والهموم، أو أن يقرأ له شيء من كلام الحي القيوم. وكذلك لا ينتفع الميت بظلٍّ خيمةٍ ولا قُبَّةٍ، وإنما يُظِلُّ الميتَ عملُه.

ومن البدع أن يُعمل على القبر مسجدٌ؛ لقوله ﷺ: **«لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**[1].

ونهى النبي ﷺ عن الصلاة في المقبرة[2]، وقال: **«اللَّهم لا تجعل**

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣٦٦/٢ (٨٧٨٨)، والبخاري في «صحيحه» (٤٣٧)، ومسلم في «صحيحه» (٥٣٠)، وأبو داود في «سننه» (٣٢٢٧)، والنسائي في «المجتبى» ٩٥/٤ (٢٠٤٧)، وفي الكبرى (٢١٧٤)، وأبو يعلى في «مسنده» (٥٨٤٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٣٢٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والحديث متواتر عن جماعة من الصحابة، منهم: زيد بن ثابت، وعائشة، وابن عباس رضي الله عنهم، راجع تخريجها في «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد» للعلامة الألباني رحمه الله. وبناء المساجد على القبور من البدع المحرمة، ومن كبائر الذنوب، وذريعة للشرك والوثنية. قال العلامة ابن القيم رحمه الله في «زاد المعاد»: فيُهدم المسجد إذا بُنيَ على قبر، كما يُنبش الميتُ إذا دُفنَ في المسجد، نصَّ على ذلك الإمام أحمد وغيرُه، فلا يجتمع في دين الإسلام مسجدٌ وقبر، بل أيُهما طرأ على الآخر منع منه، وكان الحكم للسابق، فلو وُضِعا معًا لم يجز، ولا يصح هذا الوقف ولا يجوز، ولا تَصِحُ الصلاة في هذا المسجد لنهي رسولِ الله ﷺ عن ذلك، ولعنه مَن اتخذ القبر مسجدًا، أو أوقد عليه سراجًا، فهذا دينُ الإسلام الذي بعث الله به رسوله ونبيه، وغربتُه بينَ الناس كما ترى! (ت)

(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٢٣١٩) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، بلفظه.

وأخرجه أحمد في «مسنده» ٩٦/٣ (١١٩١٩)، والدارمي في «سننه» (١٣٩٠)، وأبو داود في «سننه» (٤٩٢)، وابن ماجه في «سننه» (٧٤٥)، والترمذي في «جامعه» (٣١٧)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٧٩١) من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ: **الأرض كلها مسجد إلا الحمام والمقبرة»**.

قال الترمذي: هذا حديث فيه اضطراب. =

قبري وثنًا يُعبد»[1].

واختلف العلماء في الصلاة في المقبرة، فتكره عند جماعةٍ، وتحرم عند آخرين[2]، فإن عمل أحد على القبر بناءً؛ هو من المسرفين؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]، وقال ﷺ: «**شر المال ما ذهب في الماء والطين»**[3]، ولأن الميت لا ينتفع بالبناء، فإن وصى الميت بشيء مما تقدم ذكره فيعذب، وإلا فالإثم على من يفعلها وحده، وإن كان برضاهما يأثمان جميعًا.

ومن أوصى بنياحة عليه يصل شؤمها ووبالها إليه، وإلا فالإثم على النائحة، وعلى من كان السبب، وعلى المستمعين، قال ﷺ: «**النائحة ومن حولها من المستمعين عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»**[4].

= وقال الحاكم في «المستدرك» ٢٥٠/١: هذه الأسانيد كلها صحيحة على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه.

وقال الألباني في «الإرواء» ٢٣٠/١: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين.

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (٤١٤) من حديث عطاء بن يسار بلفظ: «**اللَّهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

وأخرجه الحميدي في «مسنده» (١٠٢٥)، وأحمد في «مسنده» ٢٤٦/٢ (٧٣٥٨)، وأبو يعلى في «مسنده» (٦٦٨١) من حديث أبي هريرة بلفظ: «**اللَّهم لا تجعل قبرى وثنًا لعن الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

صححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٧٥٠).

(٢) «المجموع» ١٥٨/٣، و«المغني» ٧٥٣/١.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (٢٣٣)، والطبراني في «الأوسط» (٨٩٣٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٧٢٠) من حديث محمد بن بشير بلفظ: «**إذا أراد الله بعبد هوانًا أنفق ماله في البنيان، أو في الماء والطين**».

وذكره الغزالي في «الإحياء» ٢٣٦/٤ بلفظ: «**إذا أراد الله بعبد شرًا أهلك ماله في الماء والطين**».

قال الألباني في «الضعيفة» (٢٢٩٥): ضعيف.

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» ٤٢٦/١٢ (١٣٥٦٧)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٣١١) من حديث العبادلة بلفظ: «**القاص ينتظر المقت والمستمع ينتظر الرحمة والتاجر ينتظر المقت والتاجر ينتظر الرزق والمحتكر ينتظر اللعنة والنائحة ومن حولها من امرأة مستمعة عليهم لعنة الله والناس أجمعين**». =

وفي «صحيح مسلم»: «**إن النائحةَ تُكسى يوم القيامة سربالاً من قَطِران، ودرعًا من جرب**»[1].

والنوح هو من دعوى الجاهلية، وقد تبرأ من فاعله خير البرية، فقال ﷺ: «**ليس منَّا من لطم الخدود، وشقَّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية**»[2]. وفي حديث آخر: «**ليس منَّا من حلق ومن صلق**»[3]. ومن البدع ما يفعل بين يدي الميت من قراءة وذكر، وحمل خبز وخرفان، الكل لا يرضي الواحد الديَّان.

وكذلك ما يفعل خلفها من تغيير الزي: كسواد الوجه، ولطم الخد، وقطع الثياب[4]، وكشف الرأس، والمشي حفاة، وحل الضفائر، كل ذلك بدعٌ لا ترضي السيد الغافر؛ لأنهم تشبهوا بقوم قد سخطوا بقضاء الله تعالى، وترك التسليم لأمره. وفي الحديث: «**إنَّ من رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط**»[5].

= قال السيوطي في «اللآلي المصنوعة» ٢/١٢٣: لا يصح؛ عبد الوهاب ليس بشيء، والقرني متروك.
وقال الألباني في «الضعيفة» (٤٠٧٠): موضوع.

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٩٣٤) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه. ولفظه: «**النائحة إذا لم تتب قبل موتها، تقام يوم القيامة، وعليها سربال من قطرانٍ، ودرع من جرب**».
قال المناويُّ: أي يصير جلدها أجرب، حتى يكون جلدها كقميص على أعضائها، والدرع قميص النساء، والقطران دهن يدهن به الجمل الأجرب، فيحترق لحدته وحرارته، فيشتمل على لذع القطران وحرقته، وإسراع النار في الجلد، واللون الوحش، ونتن الريح، جزاءً وفاقًا، فخصت بذلك الدرع لأنها كانت تجرح بكلماتها المؤنقة قلب المصاب، وبلون القطران لكونها كانت تلبس السواد في المآتم.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ٤/٣٩٦ (١٩٥٣٥)، ومسلم في «صحيحه» (١٠٤)، وأبو داود في «سننه» (٣١٣٠)، وابن ماجه في «سننه» (١٥٨٦)، والنسائي في «المجتبى» ٤/٢١ (١٨٦٥) من حديث أبي موسى، وفيه قصة.

(٤) في (خ): الشعر.

(٥) سبق تخريجه.

وقد تجرؤوا على الحق سبحانه)[1] بأقوالهم وأفعالهم: كَسَبِّ الموت، ولعن الساعة واليوم، وكسر الأواني، ورشِّ التِّبن، وما يشبه ذلك من أنواع الخزي. وأما المؤمن الصالح فقد رضي عن الله في كل شيء، والله تعالى راضٍ عنه، قال الله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٨]، وقال ﷺ: «**من رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط**»[2].

لمَّا مات علي بن الفضيل تبسَّم أبوه فقيل له: ما رأيناك ضاحكًا قط، فكيف الآن؟! قال: إن الله سبحانه أحب شيئًا فأحببته[3].

متى يلحق البطَّال بهؤلاء الأبطال؟ لا في الشدة صابرًا، ولا في النعمة شاكرًا، ولا في الطاعة مخلصًا حاضرًا، ولا في المعصية تائبًا نادمًا معتذرًا؛ كالعبد المدبر أينما يوجهه سيده لا يأت بخير، فيجب على المسلم الرضى بالقضاء.

قال ابن عباس رضي الله عنه: أول شيء كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ: إنني أنا الله، لا إلٰه إلا أنا، محمد رسولي، من استسلم لقضائي، وشكر لنعمائي، وصبر على بلائي؛ كتبته في اللوح المحفوظ صديقًا، وبعثته يوم القيامة مع الصديقين، ومن لم يستسلم لقضائي، ويشكر لنعمائي، ويصبر على بلائي؛ فليخرج من بين أرضي وسمائي، وليتخذ إلهًا سواي[4].

فمن فاته درجة الرضى عن الله تعالى فعليه بالصبر، قال ربُّ الأرباب:

---

(١) هنا انتهى السقط من (ق).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سلف ذكره، وقد نبَّهنا هناك إلى أنَّ هذا مخالف لحال النبيِّ ﷺ وهديه في بكائه على ابنه إبراهيم عليه السلام كما سيذكره المؤلف قريبًا.

(٤) ذكره المناوي في «الأحاديث القدسية» (٩٦) وعزاه إلى الديلمي في «مسند الفردوس» من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
وقال الكناني في «تنزيه الشريعة المرفوعة» ١/٢٤٢: إسناده ظلمات.
وقال الألباني في «الضعيفة» (٥٤٢٩): موضوع.

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]. وفي الحديث: «**إذا مات ولد العبد يقول الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع. فيقول تعالى: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسموه بيت الحمد**»(١).

وقال ﷺ: «**من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه، ورزقه خلفًا صالحًا يرضاه**»(٢).

والاسترجاع قول العبد عند المصيبة: إنا لله وإنا إليه راجعون. قال المولى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٧].

ثم اعلم بأن الجزع والنوح حرام، والبكاء مباح، والجزع ليس هو أن لا يجد الإنسان مرارة وحزنًا، بل الجزع إظهار ما لا ينبغي إظهاره من قول وفعل.

قيل لبعض الحكماء ـ وقد دخل عليه الهمُّ والحزن ـ: أَخرج هذا الهمَّ من قلبك. فقال: ليس بإذني دخل!

وصحَّ أن النبي ﷺ بكى عند موت ولده إبراهيم رضي الله عنه؛ وقال: «**تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب تعالى**»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٤/٤١٥ (١٩٧٢٥)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٥٥١)، والترمذي في «جامعه» (١٠٢١).
قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.
وقال الألباني في «الصحيحة» (١٤٠٨): حسن.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» ١٢/٢٥٥ (١٣٠٢٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٦٨٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٣/٧٧: رواه الطبراني في الكبير وفيه علي بن أبي طلحة وهو ضعيف.
وقال الألباني في «الضعيفة» (٥٠٠١): ضعيف.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣/١٩٤(١٣٠١٤)، وعبد بن حميد في «مسنده» (١٢٨٧)، والبخاري في «صحيحه» (١٣٠٣)، ومسلم في «صحيحه» (٢٣١٥)، وأبو داود في «سننه» (٣١٢٦) من حديث أنس، وفيه قصة.

فمتى فقد الإنسان الصبر وابتدع في أقواله وأفعاله، كما تقدم ذكره، فتتشعب المصيبة ببقاء مصائب موت النساء أو الرجال، وذهاب المال وقلة الأجر.

ومن السنة المشي خلف الجنازة للرجال دون النساء[1]؛ لأن خروجهن فتنة، وهُنَّ وأصواتهنَّ عورة[2]، وصحَّ أن النبي ﷺ لعن زُوَّارات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج[3]، وفي حديث آخر قال لزوَّارات

---

(١) «المجموع» ٥/٢٧٩ ـ ٢٨٠، و«المغني» ٢/٣٥٤.

(٢) أطلق بعض فقهاء الحنفية القول بأن صوت المرأة عورة، وبيَّن بعضهم أن المراد بذلك رفع صوتها وتزيينها، فقال ابن نُجيم في «البحر الرائق» ١/٢٨١: . . . المراد بالنغمة ما فيه تمطيط وتليين لا مجرد الصوت، وإلا لما جاز كلامها مع الرجال أصلاً، لا في بيع ولا غيره، وليس كذلك، ولما كانت القراءة مظنة حصول النغمة معها منعت من تعلمها من الرجل، ويشهد لما قلنا ما في «إمداد الفتاح» عن خط شيخه العلامة المقدسي: ذكر الإمام أبو العباس القرطبي في كتابه في «السماع»: ولا يظن من لا فطنة عنده أنا إذا قلنا: «صوت المرأة عورة»؛ أنا نريد بذلك كلامه؛ لأن ذلك ليس بصحيح، فإنا نجيز الكلام مع النساء الأجانب ومحاورتهن عند الحاجة إلى ذلك، ولا نجيز لهن رفع أصواتهن، ولا تمطيطها ولا تليينها وتقطيعها، لما في ذلك من استمالة الرجال إليهن، وتحريك الشهوات منهم، ومن هذا لم يجز أن تؤذِّن المرأة. انتهى. وهذا يفيد أن العورة رفع الصوت الذي لا يخلو غالبًا عن النغمة، لا مطلق الكلام.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ١/٢٢٩ (٢٠٣٠)، وأبو داود في «سننه» (٣٢٣٦)، وابن ماجه في «سننه» (١٥٧٥)، والترمذي في «جامعه» (٣٢٠)، والنسائي في «المجتبى» ٤/٩٤ (٢٠٤٣)، وفي «الكبرى» (٢١٧٠) من حديث ابن عباس بلفظ: لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج.

قال الترمذي: حديث حسن.

قال الألباني في «الضعيفة» (٢٢٥)، و«الإرواء» (٧٦١): ضعيف.

والحديث صحيح كما قال المؤلف دون لفظه الأخير، فالفقرة الأولى صحَّت بلفظ: لعن رسول الله ﷺ زُوَّارات القبور؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند أحمد في «المسند» ١/٣٣٧ (٨٤٤٩)، وابن ماجه (١٥٧٦)، والترمذي (١٠٥٦)، وأبو يعلى (٥٩٠٨)، وابن حبان (٣١٧٨). ومن حديث حسان بن ثابت رضي الله عنه عند أحمد ٢/٢٤٣ (١٥٦٥٧)، وابن ماجه (١٥٧٤)، والحاكم ١/٣٧٤، والبيهقي في «السنن» ٤/٧٨. وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» ص ١٨٥. =

القبور: «**ارجعن مأزورات لا مأجورات؛ تفتنَّ الأحياء، وتؤذين الأموات**»[1].

فإن قيل: قد جاء في الحديث: «**زوروا القبور فإنها تذكر الموت**»[2]؟!

قال العلماء: هذا الخطاب للرجال[3]. ولأنَّ النبي ﷺ لم يأمر النساء بالخروج لصلاة الجماعة، وهي من أفضل الأعمال، فكيف يأمرهن بالخروج إلى المقابر؟ وقال الشيخ الإمام صاحبُ كتاب «الأحكام»: «تستحبُّ زيارة القبور للرجال دون النساء»[4].

= ولعن المتخذين المساجدَ على القبور: متواترٌ عنه ﷺ في «الصحيحين» وغيرهما من حديث عائشة، وابن عباس، وأبي هريرة، وزيد بن ثابت، وأبي عبيدة بن الجراح، وأسامة بن زيد رضي الله عنهم.

قال الألباني رحمه الله: وأما لعن المتخذين عليها السرج؛ فلم نجد في الأحاديث ما يشهد له، فهذا القدر من الحديث ضعيف.

(١) أخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٥٠٦) من حديث أنس بلفظ: أن النبي ﷺ تبع جنازة فإذا هو بنسوة خلف الجنازة، فنظر اليهن وهو يقول: «**ارجعن مأزورات غير مأجورات، مفتنات الأحياء، مؤذيات الأموات**».

قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح، وفيه أبو هدبة، وقد أجمعوا على أنه كذَّاب.

وأخرجه ابن ماجه في «سننه» (١٥٧٨)، والبزار في «مسنده» (٦٥٣)، والبيهقي في «الكبرى» ٧٧/٤ من حديث علي بلفظ: خرج رسول الله ﷺ فإذا نسوة جلوس، فقال: «**ما يجلسكن؟**» قلن: ننتظر الجنازة. قال: «**هل تغسلن؟**» قلن: لا. قال: «**هل تحملن؟**» قلن: لا. قال: «**هل تدلين فيمن يدلي ؟**» قلن: لا. قال: «**فارجعن مأزورات غير مأجورات**».

قال الألباني في «الضعيفة» (٢٧٤٢): ضعيف.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣٥٥/٥(٢٣٠٠٥)، ومسلم في «صحيحه» (١٩٧٧)، وأبو داود في «سننه» (٣٢٣٥، ٣٦٩٨)، وابن ماجه في «سننه» (٣٤٠٥)، والترمذي في «جامعه» (١٠٥٤)، والنسائي في «المجتبى» ٣١٠/٨(٥٦٥٢) من حديث بريدة بألفاظ متقاربة.

(٣) انظر: «المجموع» ٣١٠/٥، و«المغني» ٤٢٣/٢، ٤٣٠.

(٤) يظهر لي أن المؤلف رحمه الله يقصد كتاب: «المنتقى من الأخبار في الأحكام» ـ وهو للإمام الكبير مجد الدين عبد السلام بن عبد الله الحراني المعروف بابن تيمية (ت: ٦٥٢هـ)، وهو جدُّ شيخ الإسلام أبي العباس ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمهما الله تعالى ـ ففي أواخر كتاب الجنائز منه: «باب: استحباب زيارة القبور للرجال دون=

ومن البدع ما يفعله أهل القرى من تشييع ميتهم إلى قبره بالنياحة والطار، فتخرج من بينهم الملائكة، وتحضرهم الشياطين، ويلعنهم الواحد القهار.

ومن السُّنة إسراع الميت إلى قبره في الليل والنهار، ليكون العبد الضعيف نزيلًا لسيده اللطيف، قال ﷺ: **«أسرعوا بالجنازة، فإن تك صالحة؛ فخير تقدمونها إليه، وإن تكن سوءً[(١)]؛ فشرًّا تضعونه عن رقابكم»**[(٢)].

= النساء، وما يقال عند دخولها». انظر: «نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار» للشوكاني ٥/٢٢٣ (١٥٢٠) ط: دار ابن عفان.

وهذه المسألة اختلف فيها العلماء، فالأصح عند الحنفية ـ كما قال السرخسي في «المبسوط» ٢٤/١٩ ـ أن الرخصة ثابتة في حق الرجال والنساء جميعًا.

وقال ابن عبد البر في «الاستذكار» ـ ما ملخصه ـ: إن العلماء اختلفوا في ذلك على وجهين، فقال بعضهم: كان النهي عن زيارة القبور عامًّا للرجال والنساء ثم ورد النسخ كذلك بالإباحة عامًّا أيضًا، فدخل في ذلك الرجال والنساء. وقال آخرون: إنما ورد النسخ في زيارة القبور للنساء لا للرجال، لأن رسول الله ﷺ لعن زوارات القبور، ونحن على يقين من تحريم زيارة النساء للقبور بذلك، ولسنا على يقين من الإباحة لهن، لأنه ممكن أن تكون الزيارة أبيحت للرجال دونهن للقصد في ذلك باللعن إليهن.

واختار هذا ابن تيمية الحفيد، وقال: فالذين يتخذون عليها المساجد والسرج لعنهم الله، سواء أكانوا ذكورًا أو إناثًا، وأما الذين يزورون فإنما لعن النساء الزوارات دون الرجال، وإذا كان هذا خاصًّا ولم يعلم أنه متقدم على الرخصة، كان متقدمًا على العام عند عامة أهل العلم، كذلك لو علم أنه كان بعدها. (مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٢٤/٣٦٠). (ت)

(١) زاد في (خ): ذلك.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٦٢٤٧)، والحميدي في «مسنده» (١٠٢٢)، وأحمد في «مسنده» ٢/٢٤٠ (٧٢٧١)، والبخاري في «صحيحه» (١٣١٥)، ومسلم في «صحيحه» (٩٤٤)، وأبو داود في «سننه» (٣١٨١)، وابن ماجه في «سننه» (١٤٧٧)، والترمذي في «جامعه» (١٠١٥)، والنسائي في «المجتبى» ٤/٤١(١٩١٠)، وفي «الكبرى» (٢٠٣٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٠٤٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ومن السنة أن لا يجلس أحد حتى تحط الجنازة إكرامًا لها[1]، وكان في ابتداء الإسلام يقام لها، ثم نسخ فصار آخر الأمر أن لا يقوم لها إلا من يريد أن يشهدها أو يصلي عليها، أو يحضر دفنها[2].

ثم اعلم بأن تشييع الجنازة من فروض الكفاية[3]، إذا قام به البعض سقط عن الباقين فصار مستحبًا، فإن تبع الجنازة لا ينقلب[4] المستحب هنا واجبًا، وكذلك يستحب صلاة التطوع، وصيام التطوع، ما لم يشرع فيهما، فإذا شرع انقلب واجبًا يجب عليه القضاء إذا أفسده؛ لأن الإنسان إذا دخل في عمل صالح لا يبطله؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣]، وهذا مذهب الإمام أبي حنيفة. ومذهب الشافعي بعكس ذلك: لا يجب القضاء بل يستحب[5].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٥١/٣ (١١٤٥١)، والبخاري في «صحيحه» (١٣١٠)، ومسلم في «صحيحه» (٩٥٩)، وأبو داود في «سننه» (٣١٧٣)، والترمذي في «جامعه» (١٠٤٣)، والنسائي في «المجتبى» ٤٤/٤ (١٩١٧)، وفي «الكبرى» (٢١٢٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٣١٠٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، بلفظ: «**إذا رأيتم الجنازة فقوموا، فمن تبعها فلا يقعدن حتى توضع**».

(٢) أخرجه مالك في «الموطأ» (٥٥١)، والحميدي في «مسنده» (٥١)، وأحمد في «مسنده» ٨٢/١ (٦٢٣)، ومسلم في «صحيحه» (٩٦٢)، وابن ماجه في «سننه» (١٥٤٤)، وأبو داود في «سننه» (٣١٧٥)، والترمذي في «جامعه» (١٠٤٤)، والنسائي في «المجتبى» ٧٧/٤ (١٩٩٩)، وفي «الكبرى» (٢١٢٦) من حديث علي بألفاظ متقاربة.

(٣) انظر: «الإنصاف» ٣٨١/٢، و«كشاف القناع» ١٢٨/٢، و«إعانة الطالبين» ١٨٤/٤.

(٤) كذا في النسخ: (لا ينقلب) بإثبات حرف النفي، والصواب بحذفه، فمراده أن المستحب ينقلب واجبًا بعد الشروع فيه، على مذهب الحنفية، كما سيبيِّنه.

(٥) ذهب بعض العلماء إلى أن النفل يجب على المكلف بالشروع فيه، فإذا أبطله وجب عليه قضاؤه صومًا كان أم صلاةً أم غيرهما، وهذا مذهب الحنفية، والمالكية، والظاهرية، ومذهب الشافعية والحنابلة استحباب الإتمام ولا قضاء عليه. وهذا قول الأكثر من أئمة السلف، وأخرج عبد الرزاق ٢٧١/٤ عن عطاء: أن ابن عباس كان لا يرى بأسًا أن يفطر إنسان في التطوع، ويضرب أمثالاً: طاف سبعًا فقطع ولم يوفه فله ما احتسب، أو صلى ركعة ولم يصل أخرى فله ما احتسب، أو يذهب بمال يتصدق به، فيتصدق ببعضه وأمسك بعضه. =

قال ﷺ: **«من صلى على جنازةٍ فله قيراط من الأجر، فإن شهد دفنها فله قيراطان أصغرهما كأُحُد»**(1).

فإن أراد الإنسان الرجوع من المصلى لضرورة رجع بإذن صاحب الجنازة، وهذه المسائل الشريفة على قاعدة مذهب الإمام أبي حنيفة، ونسأل الله حسن الخاتمة بقدرته اللطيفة، فقد قرَّب (الآجال، وبعَّد الآمال)(2).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان ﷺ إذا أراد أن يهريق الماء، تيمم بالتراب، فأقول: يا رسول الله، إن الماء منك قريب. فيقول: **«لعلِّي لا أدركه»**(3).

= ونقل الزركشي في «البحر المحيط» ١/٣٨٤ عن ابن عبد البر قال: من احتج على المنع بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣]؛ فإنه جاهل بأقوال العلماء، فإنهم اختلفوا فيها على قولين، فأكثرهم قالوا: لا تبطلوها بالرياء وأخلصوها، وهم أهل السنة. وقيل: لا تبطلوها بالكبائر وهو قول المعتزلة. انتهى.

ويستثنى من ذلك التطوع بالحج أو العمرة فإنهما يجب إتمامهما إذا ابتدأهما المسلم ولو كان أصلهما تطوعاً لقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]. (ت)

(١) أخرجه الحميدي في «مسنده» (١٠٢١)، وأحمد في «مسنده» ٢/٢٤٦(٧٣٥٣)، ومسلم في «صحيحه» (٩٤٥)، وأبو داود في «سننه» (٣١٦٨)، والترمذي في «جامعه» (١٠٤٠)، وأبو يعلى في «مسنده» (٦٦٥٩) من حديث أبي هريرة.

(٢) في (ق): الأجل وبعد الأمل.

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢٩٢)، وأحمد في «مسنده» ١/٢٨٨ (٢٦١٤)، والطبراني في «الكبير» ١٢/٢٣٨ (١٢٩٨٧)، والبغوي في «شرح السنة» ١٤/٢٣٢ عن عبد الله بن لهيعة، عن عبد الله بن هبيرة، عن حنش، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ كان يخرج فيهريق الماء فيتمسح بالتراب، فأقول: يا رسول الله، إن الماء منك قريب. فيقول: **«وما يدريني لعلِّي لا أبلغه»**.

قال ابن أبي حاتم في «العلل» (٩٤): لا يصح هذا الحديث، ولا يصح في هذا الباب حديث.

وقال العراقي في «تخريج الإحياء»: أخرجه ابن المبارك في «الزهد»، وابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» والبزار بسند ضعيف.

وقال ابن حجر في «المطالب العالية» (١٥٨): ضعيف.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١/٢٦٣: رواه أحمد والطبراني في «الكبير»، وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف. =

قيل لإبراهيم بن أدهم: ما لَنَا ندعو الله تعالى ولا نرى الإجابة؟! قال: لأنكم عرفتم الله تعالى فلم تطيعوه، وعرفتم النبي ﷺ فلم تتبعوا سنته، وعرفتم القرآن فلم تعملوا بأحكامه، وأكلتم نِعَمَ الله تعالى ولم تؤدوا شكرها، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار فلم تهربوا منها، وعرفتم عداوة[1] الشيطان ووافقتموه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، ودفنتم الأموات ولم تعتبروا بهم، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس[2].

وليس للإنسان أنفع من الصبر لمصالح الدنيا والآخرة، وما فُجع المؤمن وخرج عن طريق صاحب المعجزات والشفاعة إلا لفقد صبر ساعة.

ولما توفي رسول الله ﷺ سمعوا قائلاً يقول: إنَّ في الله تعالى لعزاءً من كلِّ مصيبةٍ، وخَلَفًا مِن كلِّ هالكٍ، ودَرَكًا من كل فائتٍ؛ فبالله ثِقُوا، وإياه فارجوا، فإنَّ المصاب مَن حُرِمِ الثَّواب[3].

= وتعقبه الألباني في «الصحيحة» (٢٦٢٩) فقال: لكن رواية ابن المبارك مع سائر العبادلة عن ابن لهيعة صحيحة عند العلماء كما ذكروا في ترجمته، ولذلك فالإسناد عندي صحيح لأن سائر رجاله ثقات معروفون من رجال مسلم، وحنش هو ابن عبد الله السبائي الصنعاني الدمشقي. . . ثم ذكر ما يشهد له.

قلتُ: وقد كان الألباني خرَّج هذا الحديث في «الضعيفة» (١٦٣٥)، ووهم في حنش فظنَّه الحسين بن قيس الرحبي، وهو متروك، لهذا حكم على الإسناد بالضعف الشديد. وعاد بأخرةٍ فخرَّج الحديث في «الصحيحة» - كما رأيتَ -، وغفل عن صنيعه في «الضعيفة»؛ على خلاف عادته في تجويد الإحالات بين كتبه، وربط تخريجاته بعضها ببعض، فإنه كان ذكيًّا نبيهًا، متيقظًا متقنًا، رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته. (ت)

(١) في (خ، ب): بعداوة.

(٢) ذكره الغزالي في «الإحياء» ٣/٣٨، والقرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» ٢/٣١٢، والثعلبي في «الكشف والبيان» ٢/٧٦.

(٣) أخرجه الشافعي في «مسنده» (١٦٦١) - ومن طريقه البيهقي في «السنن الكبرى» ٤/٦٠ - قال: أخبرنا القاسم بن عبد الله بن عمر، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده - علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قال: لما توفي رسول الله ﷺ وجاءت التعزية سمعوا قائلاً يقول: فذكره.

وإسناده ضعيف جدًّا، فالقاسم متروك الحديث متهم بالكذب. وهو مرسل أيضًا. وخرَّجه الألباني في «الضعيفة» (٥٣٨٤)، وذكر طرقه وسياقه بتمامه، وقال: موضوع. (ت)

ومن السُّنة أنَ يُقال عند رُؤية الجنازة: هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، اللَّهم زدنا إيمانًا وتسليمًا.[1]

ويُكْثِر خلف الجنازة مِن ذكر الله تعالى والدعاء لها، ولا يرفع صوته، ويترك الضحك وكلام الدنيا خلفها.

ويُستحب أن يُكبِّر ويقول: أشهد أن الله يحيي ويميت وهو حي لا يموت، سبحان من تعزز بالقدرة والبقاء، وقهر العباد بالموت والفناء[2].

جاء في السِّير: أن بعض الخلفاء بنى قبةً في وسط لجة ماء، وأحكمها[3] المهندسون، فصار الماء يصعد إلى رأس القبة ويتفجر من أعلاها، فلمَّا فرغت دخلها فأخذته[4] سنة من النوم، فسمع قائلاً يقول:

أتبني بناء الخالدين وإنما	مقامك فيها لو عقلت قليل
لقد كان في ظل الأراك كفايةً	لمن كل يوم يعتريه رحيل

فمات الخليفة بعد جمعة[5].

---

(١) أخرجه الطبراني في «الدعاء» (١١٦٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. وذكره الفتني في «تذكرة الموضوعات» ٥٨/١، وقال: فيه كذاب.

(٢) رواه الديلمي في «الفردوس» (٦٦٧٤) من حديث أبي هريرة بلفظ: «**الملائكة تمشي مع الجنازة تقول: سبحان من تعزز بالقدرة، وقهر العباد بالموت**».
وهو حديث لا يصح، وعدَّ الألباني هذا الذكر من بدع الجنائز وقال: استحبه في «شرح شرعة الإسلام» (ص ٦٦٥). انظر: «أحكام الجنائز» ٢٥٠.

(٣) في (خ): وأحكم.

(٤) في (خ، ق): فأخذه.

(٥) ذكره المقري التلمساني في «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» ٣٥٣/٤، فقال: حكاه غير واحد عن القصر العظيم الذي شاده ملك طليطلة المأمون ابن ذي النُّون بها، وذلك أنّه أتقنه إلى الغاية، وأنفق عليه أموالاً طائلة، وصنع في وسطه بحيرة، وصنع في وسط البحيرة قبَّة من زجاج ملوَّن منقوش بالذهب، وجلب الماء على رأس القبة بتدبير أحكمه المهندسون، فكان الماء ينزل من أعلى القبة على جوانبها محيطاً بها ويتَّصل بعضه ببعض، فكانت قبة الزجاج في غلالة ممَّا سكب خلف الزجاج لا يفتر من الجري، والمأمون قاعد فيها لا يمسُّه من الماء شيء ولا يصله، وتوقد في=

ويوضع الميت نحو القبلة، ويقول الواضع: بسم الله، وعلى ملة رسول الله، اللَّهم هذا عبدك وابن أمتك، نزل بك وأنت خير منزول به، وخلَّف الدنيا خلف ظهره، اللَّهم اجعل ما قدم عليه خيرًا مما خلَّفه وراء ظهره، وألحقه بنبيك ﷺ. وهذا مستحبٌّ[(١)].

ويستحب أيضًا لمن يحثو عليه التراب أنْ يدعو له بالمغفرة والرِّضوان ويقرأ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمٰن: ٢٦ - ٢٧]، ويتلو: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه: ٥٥].

ويستحبُ عند رؤية المقابر أن يقرأ: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن: ٧]، ثم يقول: أشهد أن الله يحيي ويميت، أعوذ بالله من شر ما بعد الموت. قال وهب: مَن قالهن كُتب له بعدد كل ميت في الأرض حسنة[(٢)].

ومن السُّنة أن لا يذكر الميت إلا بخير[(٣)]، ويخلع الزَّائر نعله بين

= الشموع، فيرى لذلك منظر بديع عجيب، وبينما هو فيها مع جواريه ذات ليلة إذ سمع منشدًا ينشد:

أتبني بناء الخالدين، وإنَّما ... بقاؤك فيها لو علمت قليل
لقد كان في ظل الأراك كفاية ... لمن كلُّ يوم يقتضيه رحيل

فنغَّص عليه حاله، وقال: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، أظنُّ أن الأجل قد قربَ، فلم يلبث بعدها غير شهرٍ وتوفِّي، ولم يجلس في تلك القبَّة بعدها، وذلك سنة (٤٦٧)، تجاوز الله تعالى عنه، هكذا حكاه بعض مؤرخي المغرب.

(١) أخرجه البزار (١٢٣/٢ رقم ٤٨٠) من حديث علي بن أبي طالب، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٦١/٣: فيه عبد الله بن أيوب، وهو ضعيف.

(٢) ذكر الألباني في بدع الجنائز القراءة على مقابر أهل الكتاب بهذه الآية من سورة التغابن. وقال: استحبه في «شرح الشرعة» (ص ٥٦٨)، ولا أصل له في السنة، بل فيها خلافه. «أحكام الجنائز» ٢٦٠. أما الذكر المذكور وقول وهب فلم نجده، والله أعلم.

(٣) أخرج البخاري في «صحيحه» (١٣٩٣) من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: **«لا تسبوا الأموات؛ فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا»**.

المقابر إكرامًا للموتى[1].

وفي الخبر أنه يثاب المسلم لإكرام الموتى، ويغفر لمن شهد جنازته[2]، ومَن صلَّى عليه أربعون رجلاً شفَّعهم الله فيه[3]، ومَن صلَّى عليه مئةُ رجل غفر الله له[4]؛ صحَّ ذلك كله في الحديث.

ومن البدع: بوس القبر والتمسح به، وسواء كان القبرُ لنبيٍّ أو لوليٍّ، ولا يسجدُ لقبرٍ[5].

---

(١) أخرج أحمد في «مسنده» ٥/٨٣ (٢١٠٦٨)، وابن ماجه في «سننه» (١٥٦٨)، وأبو داود في «سننه» (٣٢٣٠)، والنسائي في «المجتبى» ٤/٩٦ (٢٠٤٨) من حديث بشير بن الخصاصية رضي الله عنه، قال: كنت أماشي رسول الله ﷺ آخذًا بيده، فقال لي: **«يا ابن الخصاصية، ما أصبحت تنقم على الله؟ أصبحت تماشي رسوله»**، قلت: ما أصبحت أنقم على الله شيئًا، قد أعطاني الله كل خير. قال: فأتينا على قبور المشركين، فقال: **«لقد سبق هؤلاء خيرًا كثيرًا»** ثلاث مرات، ثم أتينا على قبور المسلمين، فقال: «لقد أدرك هؤلاء خيرًا كثيرًا» ثلاث مرات، يقولها، قال: فبصر برجل يمشي بين المقابر في نعليه، فقال: **«ويحك يا صاحب السبتيتين، ألق سبتيتيك»**، مرتين أو ثلاثًا، فنظر الرجل، فلما رأى رسول الله ﷺ خلع نعليه.

وقال الحاكم في «المستدرك» ١/٣٧٣: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي، وأقره ابن حجر في «الفتح»، وقال ابن ماجه عقبه: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا عبد الرحمٰن بن مهدي، قال: كان عبد الله بن عثمان يقول: حديث جيد، ورجل ثقة. ونقل ابن القيم في «تهذيب السنن» ٤/ ٣٤٣ عن الإمام أحمد أنه قال: إسناده جيد. وقال النووي في «المجموع»: إسناده حسن.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٩٤٨) من حديث عبد اللّه بن عباس؛ أنَّه مات ابن له بِقديد أو بعسفان، فقال: يا كريب، انظر ما اجتمع له من الناس. قال: فخرجت فإذا ناس قد اجتمعوا له فأَخبرته، فقال: تقول هم أربعون؟ قال: نعم. قال: أَخرجوه فإِني سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: **«ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون باللّه شيئا إلا شفعهم اللّه فيه»**.

(٤) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (١٤٨٨) من حديث أبي هريرة مرفوعًا بلفظ: **«من صلى عليه مئةٌ من المسلمين غُفِرَ له»**.

وقال البوصيري في «الزوائد»: إسناده صحيح، ورجاله رجال الصحيحين.

(٥) ذكر الألباني في «أحكام الجنائز» ٢٦٣، في بدع زيارة القبور: استلام القبر وتقبيله.=

والصبحة ليست بسنة، فمن لم يقل بأنها سنةٌ وفعلها جبرًا للمؤمنين؛ يُجبر إن شاء الله رب العالمين[1].

= وعزاه إلى ابن تيمية في «الاقتضاء»، والشاطبي في «الاعتصام»، وابن القيم في «إغاثة اللهفان»، والبركوي في «أطفال المسلمين»، وأبو شامة في «الباعث على إنكار البدع والحوادث»، وعلي محفوظ في «الإبداع في مضار الابتداع»، وقد أنكر ذلك الغزالي في «الإحياء» وقال: «إنه عادة النصارى واليهود».

وأخرج مسلم (٩٧٢) من حديث أبي مَرثَد الغنَويِّ رضي الله عنه، قال: قال ﷺ: **«لا تجلِسوا على القبور، ولا تُصلُّوا إليها»**.

(١) الصُّبْحة - بالضمِّ ويفتح وهي أول النهار -: هي تبكيرهم إلى قبر ميتهم الذي دفنوه بالأمس هم وأقاربهم ومعارفهم. كما قال الألباني في «أحكام الجنائز» ٢٥٧ وعدَّه من البدع، وعزاه لابن الحاج في «المدخل» ونصَّ ابن الحاج على بدعية الصبحة. وقال جمال الدين القاسمي في «إصلاح المساجد من البدع والعوائد»: كانت العادة في دمشق أن يعزَّى أهل الميت في مسجد محلته الكبير ثلاثة أيام صباحًا يتوافد عليه من يعزيهم من بعد الفجر إلى أن تطلع الشمس وترتفع، ولذلك يسمى الاجتماع المذكور: «صباحية». وكان يحصل من ذلك حجب الناس عن صلاة الصبح، وهم الذين يأتون إلى المسجد لأدائها بعد جماعتها الأولى، فإذا دخل أحد يخجل ويدهش لهذا الجمع، فإما أن يصلي في زاوية المسجد على استحياء، وإما أن يرجع إلى إيوانه، وقد يكون الوقت شاتيًا والبرد قارسًا. عادة استمرت قرونًا لا تحصى إلى أن ارتأى من نحو عشر سنين أحد الأكابر الاجتماع بعد العشاء، ففعل في أحد المساجد، وقلده سائر الناس في الشام، فالآن لا يجتمع للتعزية إلا بعد العشاء ثلاث ليال، فارتفع بها ضرر حجب المصلين، إلا أنه بقي من المحظورات في هذا الاجتماع شيء، وهو أنه جرت العادة أن يؤتى بقارئ أو قراء يقرؤون أعشارًا، كل واحد بعد الآخر، وفي الخلال يقوم خادم المسجد فيفرق أجزاء القرآن على الحاضرين فيقرأ كثير منهم، وكان نهاهم أحد الشيوخ عن الجمع بين الشيئين، وقال لهم: إما أن تفرقوا الأجزاء وتأمروا القارئ يقرأ سرًا أو تأذنوا للقارئ فيقرأ جهرًا ولا تفرقوا الأجزاء. وذلك لما يحصل في التشويش على القارئين برفع صوت القارئ. إلا أن هذه العادة أيضًا تركت في كثير من الجوامع الشهيرة، وذلك بإحضار قارئ يقرأ حزبًا طويلاً أو سورة من المفصل والناس يستمعون، إلا من لا فقه له ممن يتكلم، والقارئ يقرأ، نعوذ بالله، وفي بعض الجوامع العادة الأولى موجودة فينبغي التنبه لإصلاحها. وكان كثير من الحفظة بعد ختمهم أعشارهم يهللون وينشدون، ويحصل في المسجد ضجة كبرى، فاقتصر الآن على قراءة عشر يختم بعده قارؤه بالدعاء، وفيها تخفيف من بدعة الضجة الشنيعة. نعم لم تزل الضجة بعد العشر في الجامعين الكبيرين بدمشق بسبب اجتماع المؤذنين في=

قال مالك بن دينار(١): أتيت القبور وقلت فيها بيتين، وهي:

أتيت القبور فناديتها ... أين المعظم والمحتقر
وأين المذل بسلطانه ... وأين العزيز إذا ما افتخر

قال: فنوديت من بينهم أسمع صوتًا ولا أرى شخصًا يقول:

تفانوا جميعًا ولا مخبر ... وماتوا جميعًا وهذا الخبر
فصاروا إلى ملكٍ قاهرٍ ... عزيزٍ مطاعٍ إذا ما أمر
تروح وتغدو بنات الثرى ... فتمحو محاسن تلك الصور
فيا سائلي عن أناسٍ مضوا ... أما لك فيما مضى(٢) معتبر

وهذه الأشياء هي من كرامات الأولياء؛ لأن الله تعالى إذا أحب عبدًا كان له سمعًا وبصرًا، ويدًا ومؤيدًا، كما جاء في الحديث الصحيح(٣).

= الشدة، واشتغالهم بالإنشاد لقصائد معروفة لهم. ويا حبذا لو أمكن إبطال هذه الضجات والصيحات، بل إبطال هذه المجامع للتعزية المسماة بالصباحيات، لأنها من البدع والمنكرات.

قلتُ: وما ذكره المؤلف غفر الله له من جواز فعلها جبرًا لخاطر أهل الميت، وأنه يؤجر على ذلك؛ بعيد عن الصواب، فكل بدعة ضلالة، والضلالة لا أجر فيها، بل عليها وعيد أكيد، وتأمل - رحمك الله! - ما ذكره القاسمي من مفاسد هذه البدعة، وتلاعب الناس في تغييرها على أوجه، فكل ذلك من شرور سكوت أهل العلم، وإقرارهم لمثل هذه البدع مداراة للغوغاء والعامة. (ت)

(١) أورده الغزالي في «إحياء علوم الدين» ٤/٤٨٧.

(٢) في (خ): ترى.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٦٥٠٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٤٧) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «**إن اللَّه قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ ممَّا افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنَّوافل حتَّى أحبَّه، فإذا أحببته كنت سمعه الَّذي يسمع به، وبصره الَّذي يبصر به، ويده الَّتي يبطش بها، ورجله الَّتي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما تردَّدت عن شيء أنا فاعله تردُّدي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته**».

والتعزية سُنَّة ولا حجر في لفظها.

عزى الشافعي[1] رجلًا فكتب إليه:

إني معزيك[2] لا أني على ثقة   من الخلود ولكن سنة الدين
فلا المعزى بباقٍ بعد ميته   ولا المعزي ولو عاشا إلى حين

ولما مات ابن الشافعي[3] رحمهما الله أنشد:

وما الدهر إلا هكذا فاصطبر له   رزية مال أو فراق حبيب

روي عن الحارث بن نبهان أنه قال: كنت أخرج إلى الجبانات، أترحَّم[4] على أهل القبور[5] وأتفكر وأعتبر، وأنظر إليهم سكوتًا لا يتكلمون، وجيرانًا لا يتزاورون[6]، وقد صار لهم من بطن الأرض وِطَاءً، ومن ظهرها غطاء، وأنادي: يا أهل القبور، محيت من الدنيا آثاركم، وما محيت عنكم أوزاركم، وسكنتم دار البلاء فتورمت أقدامكم. قال: ثم يبكي بكاءً شديدًا، ثم يميل إلى قبة فيها قبر، فينام في ظلها، قال: فبينما أنا نائم إلى جانب القبر فإذا أنا بحس مقمعة يضرب بها صاحب القبر، وأنا أنظر إليه، والسلسلة في عنقه: وقد ازرقت عيناه واسود وجهه، وهو يقول: يا ويلي، ماذا حلَّ بي؟ لو رآني أهل الدنيا، ما ركبوا معاصي الله أبدًا، طولبت والله باللذات فأوثقتني، وبالخطايا فأغرقتني، فهل من شافعٍ أو مخبرٍ أهلي بأمري؟

قال الحارث: فاستيقظت مرعوبًا، وكاد أن يخرج قلبي من هول ما

---

(١) انظر: ديوان الشافعي (ص١١٦).
(٢) في (ق): أعزيك.
(٣) انظر ديوان الشافعي (ص٢٩).
(٤) في (خ): فارحم.
(٥) في (ق): الموتى.
(٦) في (ق): يتحاورون.

رأيت، فمضيت إلى داري فبتُّ ليلتي وأنا متفكر فيما رأيت، فلما أصبحت قلت: دعوني أعود إلى الموضع لعلي أجد به أحدًا من زوار القبور، فأعلمه بالذي رأيت. قال: فمضيت إلى المكان الذي كنت فيه بالأمس، فلم أرَ أحدًا فأخذني النوم فنمت، فإذا أنا بصاحب القبر وهو يسحب على وجهه ويقول: يا ويلتاه، ماذا حلَّ بي؟ ساء في الدنيا عملي، وطال فيها أجلي، حتى غضب عليَّ رب الأرباب، فالويل لي إن لم يرحمني ربي.

قال الحارث: فاستيقظت وقد تولَّه عقلي مما رأيت وسمعت، فمشيت إلى داري وبتُّ ليلتي، فلما أصبحت أتيت القبر لعلي أجد أحدًا من زوار القبور فأعلمه بما رأيت، ثم نمت فإذا أنا بصاحب القبر قد قرن بين قدميه، وهو يقول: ما أغفل أهل الدنيا عني، ضوعف عليَّ العذاب، وتقطعت عني الحيل والأسباب، وغضب علي ربُّ الأرباب، وغلِّق في وجهي كل باب؛ فالويل لي إن لم يرحمني ربي العزيز الوهاب.

قال الحارث: فاستيقظت من منامي مرعوبًا وهممت بالانصراف، وإذا بثلاث جوارٍ قد أقبلن، فتباعدت لهن عن القبر وتواريت لكي أسمع كلامهن، فتقدمت الصغرى ووقفت على القبر، وقالت: السلام عليك يا أبتاه، كيف هدوؤك في مضجعك، وكيف قرارك في موضعك؟ ذهبت عنا بودك، وانقطع عنا سؤالك، فما أشد حسرتنا عليك، ثم بكت بكاءً شديدًا.

ثم تقدمت الابنتان فسلمتا على القبر، وقالتا: هذا قبر أبينا الشفيق علينا، والرحيم بنا آنسك الله بملائكة رحمته، وصرف عنك عذابه، ونقمته؛ يا أبتاه، جرت بعدك أمور لو عاينتها لأهمتك، ولو اطلعت عليها لأحزنتك، كشف الرجال وجوهنا وقد كنت أنت سترتها.

قال الحارث: فلما سمعت كلامهن بكيت، ثم قمت مسرعًا إليهن، فسلمت عليهن، وقلت لهن: أيها الجوار، إنما الأعمال ربَّما قُبلت وربَّما رُدَّت على صاحبها، فما كان عمل أبيكما المخلد في هذا القبر الذي عاينت من أمره ما أحزنني، واطلعت من حاله على ما آلمني.

قال الحارث: فلما سمعن كلامي كشفن عن وجوههن، وقلن: أيها

العبد الصالح، وما الذي رأيت؟ قلت لهن: لي ثلاثة أيام أختلف إلى هذا القبر أسمع صوت المقمعة والسلسلة فيه. قال: فلما سمعن ذلك مني، قلن لي: بشارة ما أضرَّها، ومصيبة ما أحزنها، نحن نقضي الأوطار، ونعمِّر الدِّيار، وأبونا يُحرق بالنَّار؛ فوالله لا قرَّ[1] بنا قرار، ولا ضمنا للذة العيش دار، بل[2] نتضرع للجبار لعله أن يعتق أبانا وينقذه من النار. ثم مضين يتعثرن في أذيالهن.

قال الحارث: فمضيت إلى داري فبتُّ ليلتي، فلما أصبحت أتيت القبر، فجلست عنده، فغلبني النَّوم، فإذا أنا بصاحب القبر له حُسن وجمال، وفي رجليه نعل من ذهب، ومعه حورٌ وغلمان.

قال الحارث: فسلَّمت عليه، وقلت له: رحمك الله من أنت؟ فقال: أنا الرجل الذي عاينت من أمره ما أحزنك، واطلعت منه على ما أفجعك، فجزاك الله خيرًا؛ فما أيمن طلعتك عليَّ. فقلت له: وكيف حالك؟ فقال: لما اطَّلعت عليَّ وأخبرت بناتي بالأمس بحالي؛ أعرين أبدانهن، وأسبلن شعورهن[3]، وتضرعن لمولاهن، ومرغن خدودهن في التراب، وأهملن دموعهن بالانسكاب، واستوهبنني من العزيز الوهاب؛ فغفر لي الذنوب والأوزار، وأنقذني من النار، وأسكنني دار القرار بجوار محمد النبي المختار، فإذا رأيت بناتي فأعلمهن بأمري وما كان من قصتي ليزول عنهن روعهن، ويفارقن حزنهن.

قال الحارث: فاستيقظت فرحًا مسرورًا لَمَا رأيت وسمعت، ثم مضيت إلى داري وبتُّ ليلتي، فلما أصبحت أتيت القبر[4] فوجدتهن حافيات الأقدام، فسلمت عليهن، وقلت لهن: أبشرن، فقد رأيت أباكن في خير

---

(١) في (خ): يقر.

(٢) في (خ): و.

(٣) تعرية البدن وإسبال الشعور عند الدعاء من أفعال أهل الجاهلية، وهو مخالف كل المخالفة لشريعة الإسلام.

(٤) في (ق): القبور.

عظيم وملك مقيم، وقد أعلمني أن الله تعالى قد أجاب دعاءكن، ولم يخيب مسعاكن، وقد وهب لكن أباكن؛ فاشكرنه على ما أولاكن.

قال: فقالت الصغرى: يا مؤنس القلوب، ويا ساتر العيوب، ويا كاشف الكروب، ويا غافر الذنوب، ويا عالم الغيوب، ويا مبلغ أمل المطلوب، قد علمت ما كان من مسألتي، ورغبتي واعتذاري في خلوتي، واستقامتي من زلتي، وتنصُّلي من خطيئتي، وأنت اللَّهم تعلم همتي، والمطلع على نيتي، والعالم بطويتي، ومالك رقبتي، والآخذ بناصيتي، وغايتي في طلبتي، ورجائي عند شدتي، ومؤنسي في وحدتي، وراحم غربتي، ومقيل عثرتي، ومجيب دعوتي، فإن كنت قصرت فيما[١] أمرتني، وركنت إلى ما عنه نهيتني، فبحلمك حملتني، وبسترك سترتني، فبأي لسان أذكرك؟ وعلى أي نعمك أشكرك؟ ضاق بكثرتها تضرعي[٢]، فيا أكرم الأكرمين، ويا غاية الطالبين، ويا مالك يوم الدين، الذي يعلم ما يخفى[٣] في الضمير، وتدبَّر من الصغير والكبير، فإن كنت قضيت الحاجة بفضلك وشفعتني في عبدك؛ فاقبضني إليك إنك[٤] على كل شيء قدير. ثم صرخت صرخة فارقت الدنيا رحمة الله علينا وعليها.

قال: ثم قامت الثانية، فنادت بأعلى صوتها: يا رب، يا رب، فرِّج كربتي، وخلِّص من الشك قلبي، يا من أقامني من صرعتي، وأقالني من عثرتي، ودلَّني من حيرتي، وأعانني في شدتي؛ إن كنت قبلت دعوتي، وقضيت حاجتي، وأنجحت طلبتي، فألحقني بأختي. ثم صاحت صيحة فارقت الدنيا رحمة الله علينا وعليها.

قال: ثم قامت[٥] الثالثة، ونادت بأعلى صوتها: اللَّهم أيها الجبار

---

(١) في (خ، ب): عما.

(٢) في (خ): ضرعي. وفي (ق): ذرعي.

(٣) في (خ، ب): أخفي.

(٤) في (خ، ب): وأنت.

(٥) في (خ، ط): قالت.

الأعظم، والملك الأكرم المكرم، والعالم بمن سكت وتكلم، لك الفضل العظيم، والملك القديم، والوجه الكريم، العزيز من أعززته، والذليل من أذللته، والشريف من شرفته، والسعيد من أسعدته، والشقي من أشقيته، والقريب من أدنيته، والبعيد من أبعدته، والمحروم من أحرمته، والرابح من أوهبته، والخاسر من عذبته، أسألك باسمك العظيم، ووجهك الكريم، وعلمك المكنون الذي بعد عن إدراك الأفهام، وغمض عن مناولة الأوهام، وباسمك الذي جعلته على الليل فدجى، وعلى النهار فأضاء، وعلى الجبال[1] فدكدكت، وعلى الرياح فهبت[2]، وعلى السماوات فارتفعت، وعلى الأصوات فخشعت، وعلى الملائكة فسجدت، اللّهم إني أسألك إن كنت قضيت حاجتي، وأنجحت طلبتي، فألحقني بصويحباتي. ثم صاحت صيحة فارقت الدنيا، تغمدها الله برحمته وإيانا ووالدينا برحمته وجميع المسلمين[3].

نختم هذا الباب بمسائل[4] من السنة والكتاب: يجوز للمؤمن أن يجعل ثواب عمله لغيره صلاةً كان، أو صيامًا، أو حجًّا، أو صدقة، أو قراءةً، أو غير ذلك عند أبي حنيفة وأصحابه[5]، وأحمد بن حنبل[6] ومن تابعهم من المسلمين.

رُوي في «البخاري ومسلم»: أنَّ النبي ﷺ ضحى بكبشين أملحين:

---

(١) في (خ، ط): البحار.

(٢) في (خ): فتناثرت.

(٣) أورد القرطبي هذه القصة في «التذكرة» باب: ما جاء في قراءة القرآن عند القبر حالة الدفن (ص ٨٩)، والنكارة ظاهرة عليها، والحارث بن نبهان، ضعيفٌ جدًا، متروكٌ، فلا يعتمد في رواية الحديث ولا في مثل هذه الحكاية. قال الإمام: كان رجلاً صالحًا، ولكن لم يكن يعرف الحديث ولا يحفظه. وقال ابن حبان: كان من الصالحين الذين غلب عليهم الوهم حتى فحش خطؤه، وخرج عن حدِّ الاحتجاج به.

(٤) في (ق): بشيء.

(٥) «البحر الرائق» لابن نجيم الحنفي ٣/٦٣.

(٦) «المغني» لابن قدامة ٢/ ٤٢٧.

أحدهما عن نفسه، والآخر عن أمته؛ أي جعل ثوابه لأمته[1].

وذكر عبد الحق صاحب «الأحكام» في «العاقبة» قال: روي عن النبي ﷺ قال: «**الميت في قبره كالغريق ينتظر دعوة تلحقه[2] من ابنه أو أخيه، أو صديق له؛ فإذا لحقته كان أحب إليه من الدنيا وما فيها**»[3].

روى الدارقطني عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «**من مرَّ على المقابر فقرأ:** ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] **إحدى عشرة مرة، ثم وهب أجرها للأموات، أُعطي من الأجر بعدد الأموات**»[4].

وروى الحافظ من «شرح السنة» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: يموت الرجل ويدع ولدًا، ترفع له درجة، فيقول: يا رب ما هذا؟ فيقول:

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٥٥٦٤)، ومسلم في «صحيحه» (١٩٦٦) من حديث أنسٍ رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان يضحي بكبشين أملحين أقرنين، ووضع رجله على صفحتهما ويذبحهما بيده. وزاد مسلم: قال: وسمَّى وكبَّر.
وليس فيهما موطن الشاهد أنه ﷺ وهب ثواب أحد الكبشين لأمته، لكن أخرجه أبو داود (٢٧٩٥) والترمذي (١٥٢٠) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: شهدت مع رسول الله ﷺ الأضحى بالمصلى، فلما قضى خطبته، نزل من منبره، وأتي بكبش، فذبحه رسول الله ﷺ بيده، وقال: «**بسم الله، والله أكبر، هذا عنّي، وعن من لم يضح من أمتي**».
وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (١١٣٨).

(٢) في (خ، ق): ملحقة. وما أثبتناه من (ب)، والمصدر.

(٣) «العاقبة في ذكر الموت» وهو للعلامة عبد الحق بن عبد الرحمٰن بن عبد الله الأزدي الإشبيلي، أبو محمد، المعروف بابن الخراط (ت: ٥٨١هـ)، صاحب كتاب الأحكام، وهو في ثلاث نسخ: كبرى، وصغرى، ووسطى.
والحديث خرَّجه الألباني في «الضعيفة» (٧٩٩) وقال: منكر جدًا.

(٤) لم أقف عليه فيما لدي من مصنفات الدارقطني، والحديث أخرجه أبو محمد الخلال في «فضائل سورة الإخلاص» (٦٦)، وأورده العجلوني في «كشف الخفاء» (٢٦٣٠)، والسيوطي في «ذيل الأحاديث الموضوعة » (ص١٤٤).
وقال الشيخ الألباني في «السلسلة الضعيفة» (١٢٩٠): موضوع.

استغفار ولدك لك[1].

وقال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣]، يفهم من هذا أن استغفارهم مفيد للمؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية [الحشر: ١٠] دلَّ أن هذا الدعاء ينفعهم.

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النجم: ٣٩]، فقد اختلف العلماء في هذه الآية على ثمانية أقوال:

أحدها: أنها منسوخة. قاله ابن عباس، منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١]، أدخل الأبناءُ الجنة بصلاح الآباء.

وقال بعض العلماء: المراد بالإنسان هاهنا الكافر، أما المؤمن فله ما سعى وما سُعي له. قاله الربيع.

وقال الحسن بن الفضيل[2]: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾

---

(١) لعل مراد المصنِّف رحمه الله بالحافظ هو أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (ت: ٤١٨هـ)، فقد روى هذا في كتابه: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٢١٧١) هكذا موقوفًا عن ذكوان، عن أبي هريرة، قال: يموت الرجل، ويدع ولدًا فترفع له درجة، قال: فيقول: يا رب ما هذا؟ قال: فيقول: استغفار ولدك لك.

وأخرجه محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغويُّ الشافعي (ت: ٥١٦هـ) في «شرح السنة» (١٣٩٦) من طريق أبي صالح، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ، قال: «**إن الله سبحانه وتعالى ليرفع العبد الدرجة، فيقول: ربِّ أنَّى لي هذه الدرجة؟ يقول: بدعاء ولدك لك**».

وهكذا أخرجه مرفوعًا: أحمد في «المسند» ٣٦٣/٢ (١٠٦١٠)، وابن ماجه في «السنن» (٣٦٦٠). وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٩٨).

(٢) كذا، وصوابه: الحسين بن الفضل، وهو: أبو علي المفسر البجلي الكوفي ثم النيسابوري (ت: ٢٨٢هـ)، إمام عصره في معاني القرآن، كان محدثًا لغويًا عالمًا جليل القدر، رحمه الله.

[النجم: ٣٩]، عن طريق العدل، وأما من طريق الفضل فجائز أن يزيده الله تعالى ما شاء، قال الله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥]. وهذا تفضلاً من عند الله، وطريق العدل أن ليس للإنسان إلا ما سعى؛ إلا أن الله سبحانه يتفضل على عبده بما لا يستحقه: كتب له بالحسنة الواحدة عشرة إلى سبع مئة ضعف، إلى ألف ألف حسنة، كما قيل لأبي هريرة: أسمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله ليجزي على الحسنة الواحدة ألف ألف حسنة؟ قال: سمعته يقول: «**إن الله ليجزي على الحسنة ألفي ألف حسنة**»(١)، وهذا من فضل الله تعالى، وقد تفضل الحق سبحانه على الأطفال والمجانين بإدخالهما الجنة بغير عمل.

والقول الآخر: ليس له إلا سعيه، غير أن الأسباب مختلفة، فتارة سعيه في تحصيل ولد أو صديق يستغفر له، وتارةً يسعى في خدمة أهل الدين والعبادة، فيكسب محبة أهل الدين، فيكون ذلك سببًا حصل له بسعيه. حكى هذين القولين أبو الفرج ابن الجوزي(٢).

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢/٢٩٦ (٧٩٤٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٨٤٨)، وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٣٩٧٥): ضعيف.

(٢) نقله المصنف رحمه الله باختصار وتصرف وزيادة، ونصه في «زاد المسير في علم التفسير» لابن الجوزي رحمه الله: «واختلف العلماء في هذه الآية على ثمانية أقوال: أحدها: أنها منسوخة بقوله: ﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾ فأُدخل الأبناء الجَنَّة بصلاح الآباء، قاله ابن عباس، ولا يصحُّ، لأن لفظ الآيتين لفظ خبر، والأخبار لا تُنْسَخ. والثاني: أن ذلك كان لقوم إبراهيم وموسى، وأما هذه الأمَّة فلهم ما سَعَوا وما سعَى غيرُهم، قاله عكرمة. واستدلَّ بقول النبيِّ ﷺ للمرأة التي سألته: إنَّ أبي مات ولم يحُجَّ؟ فقال: «**حُجِّي عنه**». والثالث: أن المراد بالإنسان هاهنا: الكافر، فأمَّا المؤمن فله ما سعى وما سُعِي له، قاله الربيع بن أنس. والرابع: أنه ليس للإنسان إلا ما سعى من طريق العدل، فأما مِنْ باب الفضل، فجائز أن يزيده الله عز وجل ما يشاء، قاله الحسين بن الفضل. والخامس: أن معنى «ما سعى»: ما نوى، قاله أبو بكر الورَّاق. والسادس: ليس للكافر من الخير إلا ما عمله في الدُّنيا، فيُثاب عليه فيها حتى لا يبقى له في الآخرة خيرٌ، ذكره الثعلبي. والسابع: أن اللام بمعنى «على» فتقديره: ليس على الإنسان إلا ما سعى. والثامن: أنه ليس له إلا سعيُه، غير أن الأسباب مختلفة، فتارة يكون سعيه في تحصيل قرابة وولد يترحم عليه وصديق، وتارة يسعى في خِدمة الدِّين=

قوله ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث**»[1]، لا يدل انقطاع عمله أنه ينقطع عمل غيره عنه، ولهذا أجمع العلماء على وصول[2] الحج والصدقة إليه، وقضاء الدين عنه، قال ﷺ: «**الآن بردت جلدته**»[3].

ثم إن حقيقة الثواب لا فرق بين أن يكون ثواب حجٍّ، أو صدقة، أو وقف، أو صلاة، أو استغفار، أو قراءة القرآن[4]، أو قضاء دين، فقدرة الله تعالى صالحة للرجل من غير فرق لمن أنصف، وتطابق الأحاديث التي رويت تدل دلالة ظاهرة على ذلك، والذي جاء في «الصحيحين» أن النبي ﷺ مرَّ بقبرين وشقَّ عسيبًا رطبًا، وجعل على هذا نصفًا، ووضع على القبر الآخر نصفًا، وقال: «**إنَّه يهوِّن عليهما ما دام فيهما من بلولتهما شيء**»[5].

قال العلماء: إن الأشياء ما دامت على أصل خلقتها أو خضرتها وطراوتها تسبح الله تعالى حتى تجف رطوبتها وتزول خضرتها.

= والعبادة، فيكتسب محبة أهل الدِّين، فيكون ذلك سببًا حصل بسعيه، حكى القولين شيخنا علي بن عبيد الله الزاغوني».

(١) سبق تخريجه.

(٢) في (ق): انقطاع.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣/٣٣٠ (١٤٥٣٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٦/٧٤ من حديث جابر رضي الله عنه.
قال الألباني في «إرواء الغليل» ٥/٢٤٨: إسناده حسن.

(٤) في (ق): قرآن.

(٥) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٠٤١١)، وابن ماجه في «السنن» (٣٤٩) من حديث أبي بكرة، قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ فمرَّ على قبرين، فقال: «**من يأتيني بجريدة نخل؟**» قال: فاستبقت أنا ورجل آخر، فجئنا بعسيب، فشقه باثنين، فجعل على هذا واحدة، وعلى هذا واحدة، ثم قال: «**أما إنه سيخفف عنهما ما كان فيهما من بُلُولَتِهِمَا شيءٌ**»، ثم قال: «**إنهما ليعذبان في الغيبة والبول**».
وأخرج البخاري في «صحيحه» (٢١٨)، ومسلم في «صحيحه» (٢٩٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: مرَّ النَّبيُّ ﷺ بقبرين فقال: «**إنَّهما ليعذَّبان، وما يعذَّبان في كبير: أمَّا أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأمَّا الآخر فكان يمشي بالنَّميمة**»، ثمَّ أخذ جريدةً رطبةً فشقَّها نصفين، فغرز في كلِّ قبرٍ واحدةً، قالوا: يا رسول الله، لم فعلت هذا؟ قال: «**لعلَّه يخفَّف عنهما ما لم ييبسا**».

ويستفاد من الحديث عند القبر غرس الأشجار وقراءة القرآن، فإذا خفف عنهم بالأشجار فما بالك[1] بقراءة المؤمن القرآنَ، أيخفف عن المؤمن إذا وضع على قبره الجريدُ، ولا يخفف (بقراءة كلام)[2] المولى المجيد؟!![3].

---

(١) في (ق): فكيف.

(٢) في (خ): بكلام.

(٣) قال السيوطي في «شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور» ٣٠٥: قال القرطبي استدل بعض علمائنا على نفع الميت بالقراءة عند القبر بحديث العسيب الذي شقه النبي ﷺ اثنتين وغرسه، وقال: **«لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا»**، قال الخطابي: هذا عند أهل العلم محمول على أن الأشياء ما دامت على خلقتها أو خضرتها وطراوتها فإنها تسبح حتى تجف رطوبتها أو تحول خضرتها أو تقطع عن أصلها. وقال غير الخطابي: فإذا خفف عنهما بتسبيح الجريد فكيف بقراءة المؤمن القرآن؟!

وقال ابن دقيق العيد في «إحكام الأحكام» ١٠٦/١: «أخذ بعض العلماء من هذا: أن الميت ينتفع بقراءة القرآن على قبره، من حيث إن المعنى الذي ذكرناه في التخفيف عن صاحبي القبرين هو تسبيح النبات ما دام رطبًا فقراءة القرآن من الإنسان أولى بذلك، والله أعلم بالصواب».

قلت: هذا قياس بعيد، فليس بين وضع الجريد على القبر وقراءة القرآن عنده علة جامعة معقولة، وقراءة القرآن عبادة، ولا شكَّ أن القرآن أعظم بركة وأشدُّ تأثيرًا وأثرًا، فلو كانت القراءة عند القبر جائزة لفعلها الرسول ﷺ لأنه يأخذ بالأحسن والأكمل، وقد علَّمنا ﷺ أن نسلِّم على أهل القبور وندعو لهم، فلو كانت القراءة مشروعة لكان أرشدنا إليها، فدل هذا على أن وضع الجريد من خصائصه ﷺ كما سيأتي.

قال الشيخ علي محفوظ في «الإبداع في مضار الابتداع»: «ومن هذا الأصل العظيم تعلم أن أكثر أفعال الناس اليوم من البدع المذمومة كقراءة القرآن الكريم على القبور رحمةً بالميت، تركه النبي ﷺ، وتركه الصحابة مع قيام المقتضي للفعل وهو الشفقة بالميت، وعدم المانع منه، فعلى هذا الأصل المذكور يكون تركه هو السنة وفعله بدعة مذمومة. وكيف يعقل أن يترك الرسول ﷺ شيئًا نافعًا يعود على أمته بالرحمة وهو بالمؤمنين رؤوف رحيم، فهل يعقل أن يكون هذا بابًا من أبواب الرحمة ويتركه الرسول طول حياته، ولا يقرأ على ميت مرة واحدة، مع العلم بأن القرآن الحكيم ما نزل للأموات، وإنما نزل للأحياء، نزل ليكون ترغيبًا للمطيع وترهيبًا للعاصي، نزل لتهذيب نفوسنا وإصلاح شؤوننا، أنزل الله عز وجل القرآن كغيره من الكتب السماوية ليعمل على طريقه العاملون ويهتدي بهديه المهتدون، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ=

= يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الإسراء: ٩، ١٠]، فهل سمعتم أن كتابًا من الكتب السماوية قرئ على الأموات أو أخذت عليه الأجور والصدقات، والله يقول لنبيه: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [ص: ٨٦، ٨٧]، لهم أن يتصدقوا عن موتاهم، لكن لا ثمناً للقرآن».

وقال الألباني في «أحكام الجنائز» ٢٠٠: «حديث ابن عباس في وضع النبي ﷺ شقي جريدة النخل على القبرين وقوله: «**لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**» متفق عليه؛ خاصٌّ به ﷺ بدليل أنه لم يجر العمل به عند السلف ولأمور أخرى يأتي بيانها. قال الخطابي رحمه الله تعالى في «معالم السنن» تعليقًا على الحديث: «إنه من التبرك بأثر النبي ﷺ ودعائه بالتخفيف عنهما، وكأنه جعل مدة بقاء النداوة فيهما حدًّا لما وقعت به المسألة من تخفيف العذاب عنهما، وليس ذلك من أجل أن في الجريد الرطب معنى ليس في اليابس، والعامة في كثير من البلدان تغرس الخوص في قبور موتاهم، وأراهم ذهبوا إلى هذا، وليس لما تعاطوه من ذلك وجه». قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على «الترمذي» عقب هذا: «وصدق الخطابي، وقد ازداد العامة إصرارًا على هذا العمل الذي لا أصل له، وغلوا فيه، خصوصًا في بلاد مصر، تقليدًا للنصارى، حتى صاروا يضعون الزهور على القبور، ويتهادونها بينهم، فيضعها الناس على قبور أقاربهم ومعارفهم تحية لهم، ومجاملة للأحياء، وحتى صارت عادة شبيهة بالرسمية في المجاملات الدولية، فتجد الكبراء من المسلمين إذا نزلوا بلدة من بلاد أوربا ذهبوا إلى قبور عظمائها أو إلى قبر من يسمونه (الجندي المجهول) ووضعوا عليها الزهور، وبعضهم يضع الزهور الصناعية التي لا نداوة فيها تقليدًا للإفرنج، واتباعًا لسنن من قبلهم، ولا ينكر ذلك عليهم العلماء أشباه العامة، بل تراهم أنفسهم يضعون ذلك في قبور موتاهم، ولقد علمت أن أكثر الأوقاف التي تسمى أوقافًا خيرية موقوف ريعها على الخوص والريحان الذي يوضع على القبور، وكل هذه بدع ومنكرات لا أصل لها في الدين، ولا سند لها من الكتاب والسنة، ويجب على أهل العلم أن ينكروها، وأن يبطلوا هذه العادات ما استطاعوا». قلت: ويؤيد كون وضع الجريد على القبر خاصٌّ به، وأن التخفيف لم يكن من أجل نداوة شقها أمور: (أ) حديث جابر رضي الله عنه الطويل في «صحيح مسلم» وفيه قال ﷺ: «**إني مررت بقبرين يعذبان، فأحببت بشفاعتي أن يرد عنهما ما دام الغصنان رطبين**». فهذا صريح في أن رفع العذاب إنما هو بسبب شفاعته ﷺ ودعائه، لا بسبب النداوة، وسواء كانت قصة جابر هذه هي عين قصة ابن عباس المتقدمة كما رجحه العيني وغيره، أو غيرها كما رجحه الحافظ في «الفتح»، أما على الاحتمال الأول فظاهر، وأما على الاحتمال الآخر، فلأن النظر=

....

= الصحيح يقتضي أن تكون العلة واحدة في القصتين للتشابه الموجود بينهما، ولأن كون النداوة سببًا لتخفيف العذاب عن الميت مما لا يعرف شرعًا ولا عقلاً، ولو كان الأمر كذلك لكان أخف الناس عذابًا، إنما هم الكفار الذين يدفنون في مقابر أشبه ما تكون بالجنان، لكثرة ما يزرع فيها من النباتات والأشجار التي تظل مخضرة صيفًا وشتاء! يضاف إلى ما سبق: أن بعض العلماء كالسيوطي قد ذكروا أن سبب تأثير النداوة في التخفيف كونها تسبح الله تعالى، قالوا: فإذا ذهبت من العود ويبس انقطع تسبيحه! فإن هذا التعليل مخالف لعموم قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]. (ب) في حديث ابن عباس نفسه ما يشير إلى أن السر ليس في النداوة، أو بالأحرى ليست هي السبب في تخفيف العذاب، وذلك قوله: ثم دعا بعسيب فشقه اثنين، يعني طولاً، فإن من المعلوم أن شقه سبب لذهاب النداوة من الشق ويبسه بسرعة، فتكون مدة التخفيف أقل مما لو لم يشق، فلو كانت هي العلة لأبقاه ﷺ بدون شق، ولوضع على كل قبر عسيبًا أو نصفه على الأقل، فإذا لم يفعل دل على أن النداوة ليست هي السبب، وتعين أنها علامة على مدة التخفيف الذي أذن الله به استجابة لشفاعة نبيه ﷺ، كما هو مصرح به في حديث جابر، وبذلك يتفق الحديثان في تعيين السبب، وإن احتمل اختلافهما في الواقعة وتعددها. فتأمل هذا، فإنما هو شيء انقدح في نفسي، ولم أجد من نصَّ عليه أو أشار إليه من العلماء، فإن كان صوابًا فمن الله تعالى وإن كان خطأ فهو مني، وأستغفره من كل ما لا يرضيه. (ج) لو كانت النداوة مقصودة بالذات، لفهم ذلك السلف الصالح ولعملوا بمقتضاه، ولوضعوا الجريد والآس ونحو ذلك على القبور عند زيارتها، ولو فعلوا لاشتهر ذلك عنهم، ثم نقله الثقات إلينا، لأنه من الأمور التي تلفت النظر، وتستدعي الدواعي نقله، فإذ لم ينقل دل على أنه لم يقع، وأن التقرب به إلى الله بدعة، فثبت المراد. انتهى كلام الألباني رحمه الله.

ومذهب جمهور العلماء على أن القراءة على القبور غير مشروعة، وهو مذهب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد في رواية عنه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «اقتضاء الصراط المستقيم»: «ولا يحفظ عن الشافعي في هذه المسألة كلام، لأن ذلك كان عنده بدعة، وقال مالك: ما علمت أحدًا يفعل ذلك. فعلم أن الصحابة والتابعين ما كانوا يفعلونه».

وقال في «الفتاوى الكبرى» ٢٣٧/٤: «والعلماء لهم في وصول العبادات البدنية: كالقراءة والصلاة والصيام إلى الميت قولان أصحهما أنه يصل، لكن لم يقل أحد من العلماء بالتفاضل في مكان دون مكان، ولا قال أحد قطُّ من علماء الأمة المتبوعين: أن الصلاة أو القراءة عند القبر أفضل منها عند غيره، بل القراءة عند القبر قد اختلفوا=

= في كراهتها، فكرهها أبو حنيفة ومالك والإمام أحمد في إحدى الروايتين، وطوائف من السلف. ورخص فيها طائفة أخرى من أصحاب أبي حنيفة، والإمام أحمد وغيرهم. وهو إحدى الروايتين عن أحمد، وليس عن الشافعي في ذلك كله نص نعرفه. ولم يقل أحد من العلماء أن القراءة عند القبر أفضل، ومن قال إنه عند القبر ينتفع الميت بسماعها دون ما إذا بعُدَ القارئ؛ فقوله هذا بدعة باطلة، مخالفة لإجماع العلماء. والميت بعد موته لا ينتفع بأعمال يعملها هو بعد الموت لا من استماع ولا قراءة، ولا غير ذلك باتفاق المسلمين، وإنما ينتفع بآثار ما عمله في حياته، كما قال النبي ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**». وينتفع أيضًا بما يهدَى إليه من ثواب العبادات المالية كالصدقة والهبة باتفاق الفقهاء، وكذلك العبادات البدنية في أصح قوليهم».

وقال في «الاختيارات العملية»: «والقراءة على الميت بعد موته بدعة، بخلاف القراءة على المحتضر فإنها تستحب بـ: ﴿يس﴾». ونقله الألباني في «أحكام الجنائز» ١٩٢ وقال: لكن حديث قراءة ياسين ضعيفٌ، والاستحباب حكم شرعي، ولا يثب بالحديث الضعيف، كما هو معلوم من كلام ابن تيمية نفسه في بعض مصنفاته وغيرها.

وفي «الشرح الكبير» من كتب المالكية: «وكره قراءة بعده، أي بعد موته وعلى قبره لأنه ليس من عمل السلف». وقال الدسوقي في حاشيته عليه ٤٢٣/١: «قوله: لأنه ليس من عمل السلف؛ أي فقد كان عملهم التصدق والدعاء لا القراءة».

وقال الألباني في «أحكام الجنائز» ١٩١: «وأما قراءة القرآن عند زيارتها، فمما لا أصل له في السنة، بل الأحاديث المذكورة في [السلام على الميت والدعاء والاستغفار له] تشعر بعدم مشروعيتها، إذ لو كانت مشروعة، لفعلها رسول الله ﷺ وعلمها أصحابه، لا سيما وقد سألته عائشة رضي الله عنها - وهي من أحب الناس إليه ﷺ - عما تقول إذا زارت القبور؟ فعلمها السلام والدعاء، ولم يعلمها أن تقرأ الفاتحة أو غيرها من القرآن، فلو أن القراءة كانت مشروعة لما كتم ذلك عنها، كيف وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز كما تقرر في علم الأصول، فكيف بالكتمان، ولو أنه ﷺ علمهم شيئًا من ذلك لنقل إلينا، فإذ لم ينقل بالسند الثابت دلَّ على أنه لم يقع. ومما يقوي عدم المشروعية قوله ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر، فإن الشيطان يفرُّ من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة**». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. فقد أشار ﷺ إلى أن القبور ليست موضعًا للقراءة شرعًا، فلذلك حضَّ على قراءة القرآن في البيوت، ونهى عن جعلها كالمقابر التي لا يقرأ فيها، كما أشار في الحديث الآخر إلى أنها ليست موضعًا لصلاة أيضًا، وهو قوله: «**صلوا في بيوتكم، ولا تتخذوها قبورًا**». أخرجه مسلم وغيره عن ابن عمر، وهو عند البخاري بنحوه، وترجم=

وأجمع العلماء أنَّ المسلم يؤجر على الأمراض والأعراض حتى الشوكة يشاكها، يرفع له بها درجة، ويحط عنه بها خطيئة، وهذا ليس من سعيه، وقد حصل له الأجر. قال بعضهم: مات أخ لي، فرأيته في المنام، فسألته عن حاله، فقال: أتاني آتٍ بشهابٍ، من نار، فلولا أن داعٍ دعا لي لرأيت أنه سيضربني به.

وحكي: أن رجلاً مرَّ بمقبرة فصلى على النبي ﷺ، وكان في المقبرة جماعة في العذاب؛ فرُفِعَ عنهم.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

= له بقوله: (باب كراهية الصلاة في المقابر)، فأشار به إلى أن حديث ابن عمر يفيد كراهة الصلاة في المقابر، فكذلك حديث أبي هريرة يفيد كراهة قراءة القرآن في المقابر، ولا فرق. ولذلك كان مذهب جمهور السلف كأبي حنيفة ومالك وغيرهم كراهة القراءة عند القبور، وهو قول الإمام أحمد فقال أبو داود في مسائله (ص ١٥٨): سمعت أحمد سئل عن القراءة عند القبر؟ فقال: لا». (ت)



فصل فيما يبتدع في القراءة والخطب

عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «**يا عائشة**: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ **فَارَقُوا** دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ [الروم: ٣٢] **من هم؟**» قالت: الله ورسوله أعلم. قال: «**هم أصحاب الأهواء والبدع ليست لهم توبة، أنا منهم بريء، وهم مني برآء**»(١).

وقال علي كرم الله وجهه: أرجو التوبة للفاسق، ولا أرجوها للمبتدع؛ لأن الفاسق مضرته قاصرة على نفسه، والمبتدع مضرته على دين الله تعالى(٢).

---

(١) كذا قرأها المصنف، وهي قراءة حمزة والكسائي. وقراءة الجمهور: ﴿فَرَّقُواْ﴾ بالتشديد. «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي ١٤/٣٢.
أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٤) و(٣٨)، والطبراني في «الصغير» (٥٦٠)، وأبو نعيم في «الحلية» ٤/١٣٨ من حديث عمر رضي الله عنه.
وقال الألباني: إسناده ضعيف.
وذكره ابن كثير في «تفسيره» وقال: وهذا رواه ابن مردويه، وهو غريب أيضًا، ولا يصح رفعه. والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفًا له، فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق، فمن اختلف فيه ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ أي: فرقًا كأهل الملل والنحل ـ وهي الأهواء والضلالات ـ فالله قد برأ رسوله مما هم فيه. وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ الآية [الشورى: ١٣]... إلى آخر كلامه رحمه الله.

(٢) لم نقف عليه بهذا اللفظ، وأخرج محمد بن وضاح القرطبي في «البدع والنهي عنها» (١٤٦) بإسناد ضعيف عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: «ما كان رجل على رأي من البدعة فتركه؛ إلا إلى ما هو شرٌّ منه». =

. . . .

= وقال الشاطبي في «الاعتصام» ١٦٢/١: وأما أن صاحبها ليس له من توبة: فلما جاء من قوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله حجر التوبة على كل صاحب بدعة» [أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» وصححه الألباني بشواهده]. وعن يحيى بن أبي عمرو الشيباني، قال: كان يقال: يأبى الله لصاحب بدعة بتوبة، وما انتقل صاحب بدعة إلا إلى أشر منها. ونحوه عن طريق علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ما كان رجل على رأي من البدعة فتركه، إلا إلى ما هو شر منه. خرَّج هذه الآثار ابن وضاح. وخرج ابن وهب عن عمر بن عبد العزيز: أنه كان يقول: اثنان لا نعاتبهما: صاحب طمع، وصاحب هوى، فإنهما لا ينزعان. وعن ابن شوذب قال: سمعت عبد الله بن القاسم وهو يقول: ما كان عبد على هوى تركه؛ إلا إلى ما هو شر منه. قال: فذكرت ذلك لبعض أصحابنا، فقال: تصديقه في حديث عن النبي ﷺ: «يمرقون من الدِّين مروق السهم من الرمية، ثم لا يرجعون إليه حتى يرجع السهم على فُوقه». وعن أيوب قال: كان رجل يرى رأيًا، فرجع عنه، فأتيت محمدًا فرحًا بذلك أخبره، فقلت: أشعرت أن فلانًا ترك رأيه الذي كان يرى؟ فقال: انظر إلامَ يتحوَّل؟ إن آخر الحديث أشد عليهم من أوله: «يمرقون من الدين ثم لا يعودون». وهو حديث أبي ذرٍّ أن النبي ﷺ قال: «سيكون من أمتي قوم يقرءون القرآن ولا يجاوز حلاقيمهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه، هم شر الخلق والخليقة». فهذه شهادة الحديث الصحيح لمعنى هذه الآثار، وحاصلها: أن لا توبة لصاحب البدعة عن بدعته، فإن خرج عنها، فإنما يخرج إلى ما هو شر منها، كما في حديث أيوب، أو يكون ممن يظهر الخروج عنها وهو مصر عليها بعد، كقصة غيلان مع عمر بن عبد العزيز. ويدل على ذلك أيضًا حديث الفرق إذ قال فيه: «وإنه سيخرج في أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبه، لا يبقى منه عرقٌ ولا مفصل إلا دخله» [أخرجه أبو داود (٤٥٩٧) وحسَّنه الألباني]؛ وهذا النفي يقتضي العموم بإطلاق، ولكنه قد يحمل على العموم العادي، إذ لا يبعد أن يتوب عما رأى ويرجع إلى الحق، كما نقل عن عبد الله بن الحسن العنبري، وما نقلوه في مناظرة ابن عباس الحرورية الخارجين على علي رضي الله عنه، وفي مناظرة عمر بن عبد العزيز لبعضهم. ولكن الغالب في الواقع الإصرار، ومن هنالك قلنا: يبعُد أن يتوب بعضهم، لأن الحديث يقتضي العموم بظاهره... وسبب بعده عن التوبة: أن الدخول تحت تكاليف الشريعة صعب على النفس، لأنه أمر مخالف للهوى، وصاد عن سبيل الشهوات، فيثقل عليها جدًّا، لأن الحق ثقيل، والنفس إنما تنشط بما يوافق هواها لا بما يخالفه، وكل بدعة فللهوى فيها مدخل، لأنها راجعة إلى نظر مخترعها لا إلى نظر الشارع، فإن تعلقت بحكم الشارع فعلى حكم التبع لا بحكم الأصل، مع=

....

= ضميمة أخرى، وهي أن المبتدع لا بد له من تعلق بشبهة دليل ينسبها إلى الشارع، ويدعي أن ما ذكره هو مقصود الشارع، فصار هواه مقصودًا بدليل شرعي في زعمه، فكيف يمكنه الخروج عن ذلك وداعي الهوى مستمسك بحسن ما يتمسك به، وهو الدليل الشرعي في الجملة؟! ومن الدليل على ذلك ما روي عن الأوزاعي قال: بلغني أن من ابتدع بدعة ضلالة آلفه الشيطان العبادة، أو ألقى عليه الخشوع والبكاء كي يصطاد به. وقال بعض الصحابة: أشد الناس عبادةً مفتونٌ. واحتج بقوله عليه الصلاة والسلام: «يحقر أحدكم صلاته في صلاته وصيامه في صيامه» إلى آخر الحديث. ويحقق ما قاله الواقعُ كما نقل في الأخبار عن الخوارج وغيرهم. فالمبتدع يزيد في الاجتهاد لينال في الدنيا التعظيم والمال والجاه وغير ذلك من أصناف الشهوات، بل التعظيم على شهوات الدنيا، ألا ترى إلى انقطاع الرهبان في الصوامع والديارات عن جميع الملذوذات، ومقاساتهم في أصناف العبادات والكف عن الشهوات، وهم مع ذلك خالدون في جهنم؟! قال الله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ۝ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً ۝﴾ [الغاشية: ٢ ـ ٤]. وقال: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤]؛ وما ذاك إلا لخفة يجدونها في ذلك الالتزام، ونشاط بداخلهم، يستسهلون به الصعب، بسبب ما داخل النفس من الهوى، فإذا بدا للمبتدع ما هو عليه، رآه محبوبًا عنده، لاستبعاده للشهوات وعمله من جملتها، ورآه موافقًا للدليل عنده، فما الذي يصده عن الاستمساك به والازدياد منه؟ وهو يرى أن أعماله أفضل من أعمال غيره، واعتقاداته أوفق وأعلى؟! أفيفيد البرهان مطلبًا؟ ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [المدثر: ٣١]. انتهى كلام الشاطبي رحمه الله.

والمقصود: أن صاحب البدعة لا يوفق إلى التوبة، وذلك من شؤم البدعة على صاحبها، لأن الشيطان زين له بدعته فنظر إليها على أنها طاعة وقربة، ولم ينظر إليها على أنها معصية، ومن كانت هذه حاله فقل أن يتوب إلا من يتداركه الله برحمته. وعلى هذا المعنى تحمل الأحاديث والآثار الواردة في هذا الباب، وليس المقصود أن توبة المبتدع لا تقبل، بل إن تاب توبة صادقة بشروطها، قبل الله منه وغفر له، والله تعالى يقبل توبة من هو أعظم شرًّا منه وهو المشرك، فكيف بالمبتدع الذي هو في دائرة الإسلام؟! قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦]؛ فهاتان الآيتان وغيرهما من آيات التوبة في القرآن ـ وكذلك الأحاديث الواردة في التوبة ـ تدلان دلالة واضحة على أن باب التوبة مفتوح لكل من أسرف على نفسه أو ظلم، إذا عاد وتاب واتبع الحق. ولا شك أن المبتدع=

وأهل الأهواء هم قومٌ استعملوا أهواءهم، فمالت بهم عن الحق كلما استحلوا شيئًا اتخذوه دينًا: كالروافض، والقدرية، والجهمية وأشباههم، ساروا شيعًا وأحزابًا، ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢].

وأهل البدع هم قومٌ تركوا طرق أنبيائهم، واتبعوا طرق أشياخهم، وجدوهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون.

ثم اعلم بأن في الخطب ما يبتدع فعله، وفيه ما يسن، وعليه يثاب، وفيه شيء افترضه الكريم الوهاب، وهي خطبة الجمعة، والسنة هي خطبة العيدين، وفي الاستسقاء والخسوف والكسوف خلاف.

وفي الحج ثلاث خطب: إحداهن قبل التروية بمكة بعد الظهر؛ خطبة واحدة لا يجلس فيها، وخطبة يوم عرفة بعد الزوال، قبل الصلاة يخطب خطبتين يجلس بينهما جلسة خفيفة كخطبة الجمعة إذا فرغ المؤذنون خطب؛ لأنها مقدمة على صلاة الظهر، كما يصلي بعد خطبة يوم الجمعة، والخطبتان الأخريان لا يجلس فيهما؛ لأنهما للتعليم، ليس عقبهما صلاة، فصارتا كخطبة العيدين، وكسائر الخطب التي تخطب للحوادث.

= داخل ضمن المسرفين على أنفسهم والظالمين لها، فتشمله آيات التوبة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: قال أئمة الإسلام كسفيان الثوري وغيره: إن البدعة أحب إلى إبليس من المعصية لأن البدعة لا يُتاب منها والمعصية يتاب منها. ومعنى قولهم: إن البدعة لا يتاب منها؛ أن المبتدع الذي يتخذ دينًا لم يشرعه الله ولا رسوله قد زُين له سوء عمله، فرآه حسنًا، فهو لا يتوب ما دام يراه حسنًا، لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيئ ليتوب منه. أو بأنه ترك حسنًا مأمورًا به أمر إيجاب أو استحباب ليتوب ويفعله، فما دام يرى فعله حسنًا وهو سيئ في نفس الأمر فإنه لا يتوب. ولكن التوبة منه ممكنة وواقعة، بأن يهديه الله ويرشده حتى يتبين له الحق، كما هدى سبحانه وتعالى من هدى من الكفار والمنافقين، وطوائف من أهل البدع والضلال، وهذا يكون بأن يتبع من الحق ما علمه، فمن عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾﴾ (مجموع الفتاوى: ١٠/٩). (ت)

والخطبة الثالثة بعد يوم النحر بيوم بمنى: يعلمهم كيف النفر، وطواف الصدر، ولا يحتاج الناس يوم النحر إلى خطبة يعلمهم بما يحتاجون إليه في خطبة يوم عرفة، وهذا مذهب الإمام أبي حنيفة[1]، ونسأل الله تعالى حسن الخاتمة بقدرته اللطيفة.

وخطبة النكاح سنة باتفاق العلماء، وقال بعضهم بوجوبها، ولا معتبر بقوله[2].

والذي يبتدع فيه هو نصب المنابر أو الكراسي عند الختم في رمضان؛ كرهه جماعة من العلماء خوفًا من أن يظن الناس أن الخطبة عقيب الختم في رمضان سنة ثابتة، ولو كانت سنة يثاب عليها لحرض النبي ﷺ عليها كما بيَّن قيام رمضان وتلاوة القرآن فيه.

وكثير من الناس يظنون أن الخطبة مشروعة فيه؛ لما فشت بينهم، ولم يفعلها النبي ﷺ، ولا الصحابة، ولا التابعون، ولا حرض على فعلها أحد من العلماء.

فإن قال قائل: إن هذا ذِكْر الله تعالى وتمجيده والثناء عليه، ودعاء، واجتماع المسلمين على طاعة رب العالمين، وإظهار شعائر المؤمنين، فيستحب، كقيام شهر رمضان.

فالجواب: أن الذكر والثناء على الله تعالى يستحب إذا لم يخالف السنة، ألا ترى أن قراءة القرآن عبادة عظيمة؟ وفي مواضع كثيرة لا يؤجر عليها كمن يقرأ في ركوعه وسجوده وتشهده.

ولا يؤجر المسلم بقراءة القرآن في الطريق والأسواق والمزابل والحمامات، كما يفعله بعض المترفين أو أحد من صعاليك المسلمين، فيقرؤون خلف الجنائز، وفي الأسواق، وفي الأزقة، وباب الدار؛ لينالوا

---

(١) انظر: «حاشية ابن عابدين» ٢/٥٠٢ ـ ٥٠٤، و«تحفة الفقهاء» لعلاء الدين السمرقندي ١/٤٣٢.

(٢) انظر «المغني» لابن قدامة ٧/٤٢٨.

شيئًا من أموال المسلمين، أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار.

وكره بعضهم القراءة في الطواف، وقال: إنها بدعة. وقال بعضهم: لا تكره؛ لأنها بدعة حسنة[1].

وأجمع العلماء: أن قراءة القرآن لا تجوز للجنب، وفي المرأة الحائض إذا خافت من النسيان خلافٌ، فلو قرأ الجنب أو صلى النافلة في وقت النهي بغير سبب، يعاقبه الله تعالى بالإجماع؛ لأنه فعل الشيء في غير محله[2]. قال له القائل: أيعاقب الإنسان على قراءة القرآن، وعلى وقوفه بين

---

(١) لم أر من وصف قراءة القرآن في الطواف بالبدعة، وأقل الأقوال فيه الجواز، وهو مذهب الحنفية، فقد قال محمد بن الحسن الشيباني في «الأصل» ٤٠٢/٢: ويكره له أن يرفع صوته بقراءة القرآن فيه، ولا بأس بقراءته في نفسه. وقال ابن قدامة في «المغني»: ولا بأس بقراءة القرآن في الطواف، وبذلك قال عطاء، ومجاهد، والثوري، وابن المبارك، والشافعي، وأبو ثور، وأصحاب الرأي. وعن أحمد أنه يكره. وروي ذلك عن عروة، والحسن، ومالك. ولنا: أن عائشة روت، أن النبي ﷺ كان يقول في طوافه: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]. وكان عمر وعبد الرحمٰن بن عوف يقولان ذلك في الطواف، وهو قرآنٌ، ولأن الطواف صلاة، ولا تكره القراءة في الصلاة. قال ابن المبارك: ليس شيء أفضل من قراءة القرآن. ويستحب الدعاء في الطواف، والإكثار من ذكر الله تعالى؛ لأن ذلك مستحب في جميع الأحوال، ففي حال تلبسه بهذه العبادة أولى. (ت)

(٢) في (خ، ب): موطنه.

قلتُ: ادعاؤه الإجماع على منع الجنب من القراءة؛ غريب جدًا، ولعلَّ المؤلف رحمه الله قد بالغ في الاعتداد بالقول المشهور في المنع ـ وهو مذهب الحنفية وبقية المذاهب الأربعة ـ؛ حتَّى ظنَّه إجماعًا. والحق أن المسألة خلافية، فقد قال أبو جعفر الطحاوي الحنفي في «اختلاف العلماء» كما في مختصره للجصاص ١٧٢/١: لا تقرأ القرآن عند أصحابنا والثوري حائض ولا نفساء ولا جنب، وقال مالك: تقرأ النفساء والحائض ما شاءتا، وأما الجنب فلا يقرأ إلا الشيء الخفيف. وقال الأوزاعي: تقرأ الحائض القرآن إذا رحلت وإذا ركبت. وقال الليث: لا يقرأ الجنب إلا عند الفزعة يفزعها. وقال الشافعي: لا يمنع من قراءة القرآن إلا جنب. وقال ابن قدامة في «المغني»: ولا يقرأ القرآنَ جنبٌ ولا حائض ولا نفساء، رويت الكراهية لذلك عن عمر وعلي والحسن والنخعي والزهري وقتادة والشافعي وأصحاب الرأي. وقال الأوزاعي لا يقرأ إلا آية الركوب والنزول: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾ [الزخرف: =

يدي الرحمٰن؟! لا يأثم المؤمن على نفس الصلاة والقراءة، ويأثم لمخالفة الشرع؛ لأنه مأمور بترك القراءة والصلاة في تلك الحالة.

وكذلك الذكر جهرًا يكره فعله خلف الجنازة، وليس فيه أجر للذاكر ولا للميت.

وكذلك الصلاة على النبي ﷺ عبادة في موطنها، فلو صلى عليه في الأسواق كما يفعله بعض العوام، أو صلى عليه وقت الغلبة والازدحام، أو عند بيع الطعام؛ ويُجَلُّ أن يذكر في مثل هذه الأماكن عليه أفضل الصلاة والسلام. وكذلك ما يفعله بعض الجهال فيصلون على الأنبياء في وقت بيعهم، كقول هذا المفتون: الفول والصلاة على الرسول. فيأتي بها على القافية، فهؤلاء القوم قلوبهم بها مرض، ونسأل الله العفو والعافية، وينبغي تحذيرهم؛ فإن لم ينتهوا فتعزيرهم، ومن ذلك ما يفعل بعض العوام من الخزي والآثام عند بيع الطعام، بقوله: عدس الخليل، وعلى الخليل السلام[1]. ومثال هذا كثير، وهو ذكر وقراءة وصلاة على البشير النذير.

= ١٣]، ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾ [المؤمنون: ٢٩]. وقال ابن عباس يقرأ وِرْدَه. وقال سعيد بن المسيِّب: يقرأ القرآن، أليس هو في جوفه؟! وحكي عن مالك للحائض القراءة دون الجنب؛ لأن أيامها تطول، فإن منعناها من القراءة نسيت.

أما النافلة في وقت النَّهي؛ فقد قال ابن قدامة في «المغني»: «لا أعلم خلافاً في المذهب أنه لا يجوز أن يبتدئ صلاة تطوع غير ذات سبب في أوقات النهي، وهو قول الشافعي وأصحاب الرأي، وقال ابن المنذر: رخصت طائفة في الصلاة بعد العصر، روينا ذلك عن علي والزبير وابنه وتميم الداري والنعمان بن بشير وأبي أيوب الأنصاري وعائشة، وفعله الأسود بن يزيد وعمر وابن ميمون ومسروق وشريح وعبد الله بن أبي الهذيل وأبو بردة وعبد الرحمن بن الأسود وابن البيلماني والأحنف بن قيس، وحكي عن أحمد أنه قال: لا نفعله ولا نعيب فاعله». فقول المؤلف: (يعاقبه الله تعالى بالإجماع) بعيد عن الصواب.

(١) قال ابن الحاج في «المدخل» ٢٤٦/٤ ـ في بدع زيارة قبر الخليل، وهو قبر مبتدع، إذ لا سند ولا أصل في تحديد موضعه ـ: وليحذر مما يقوله بعضهم عن العدس الذي يفرقونه فيه: هذه ضيافة الخليل عليه الصلاة والسلام! فيفردونه بالذكر، فقد يوهم ذلك أن ضيافته عليه الصلاة والسلام كانت بالعدس ليس إلا، وكانت ضيافته عليه السلام بذبح البقر، وهذا لفظ ينبغي أن ينهى عنه قائله، وقد شاع هذا في غير ذلك الموضع =

ثم اعلم بأن الناس في أول شهر رمضان أحوج إلى الخطبة والدعاء والتنبيه والتحريض على صيامه وقيامه من الخطبة في آخره، وله شبه في أصول الشرع: كخطبة العيدين في أول النهار، يعلم الناس فيها المناسك والضحايا، وما يعطوا على عملهم من الخيرات والعطايا، فلو فعل الخطبة في أول الشهر مع الحاجة إليها؛ لم يجز، ولا يجوز في آخر الشهر بطريق الأولى، وإن شاع هذا الأمر، وقلَّ إنكاره لا يدل ذلك على جوازه، إن لم يكن له أصل في الشرع، وكذلك إن كتمه لا يدل على منعه، فإن كان الخطيب صبيح الوجه، نقي البشرة، تصير البدعة بدعتين، والذي خلقه وقدره وحسنه وصوره؛ لأن النفس تلتذ بلمسه، وبنظره وبخلوته، وبما يقول. وقد نهينا عن ذلك كله، وصحَّ ذلك عن الرسول. والخطب والمواعظ جائزة؛ تذكرة للقلوب الواعية الحاضرة، وتنبيهًا للقلوب الغافلة النافرة، ويؤجر العبد على ذلك كله؛ إذا كانت خالصة لله تعالى، موافقة للسنة المباركة الطاهرة، ويخلص القائل قوله من الطمع، ومن تجديد الأحزان، ومن حضرة النساء في المقبرة، ونسأل الله حسن الخاتمة والحراسة من ذلك كله، وهو أهل التقوى وأهل المغفرة، وأن لا يشغل قلوبنا بشؤم نظرنا عما ينفعنا من أمور الآخرة.

ثم اعلم بأن إطلاق النظر هو سبب لعمى القلب؛ ولذلك نهانا الشرع عن ذلك، وقد رُويَ: أن النظر سهمٌ مسموم من سهام إبليس، وأنه يزرع في القلب الشهوة؛ وكفى بها فتنة[1].

واعلم أيها الغافل أن السُّم قاتل، ويزرع في قلب الغافل شيئًا لا تحصده المناجل، وينكب فاعله في العاجل والآجل: أما في العاجل فعمى القلوب، وأما في الآجل فالبعد عن علام الغيوب، فيصير الإنسان لمخالفة الشرع بين يدي الله مهانًا ذليلاً، قال المولى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ۝٧٢﴾ [الإسراء: ٧٢].

= من البلاد تسمعهم ينادون على العدس المطبوخ في الأسواق: عدس الخليل عدس الخليل! قال الله عز وجل في كتابه العزيز ﴿فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ﴾ [الذاريات: ٢٦]، وإذا فعل ذلك في حق نفسه فيتعين عليه أن ينصح إخوانه المسلمين ممن يعلم أنه يقبل منه نصيحته، وإلا فليعتزلهم، وإلا فعليه بخاصة نفسه.

(١) يشير إلى الحديث الآتي قريبًا بلفظ: «النظر سهم مسهوم» وهو ضعيف جدًا.

قال الجنيد لفقيرٍ: اصرف همتك إلى الله تعالى، وإياك أن تنظر بالعين التي بها تشاهد الله إلى غير الله؛ فتسقط من عين الله تعالى[1].

هجم العيد على بعض المحبين فأنشد:

الناس بالعيد قد سروا وقد فرحوا ... وما سررت به والواحد الصمد
لما تخوفت أني لا أعاينكم ... غضضت طرفي فلم أنظر إلى أحد[2]

فمن ترك النظر إلى المحرمات أحبه الله تعالى، ورزقه إيمانًا يجد حلاوته في قلبه، ويورثه حكمة على لسانه يهدي بها سامعيه، قاله العلماء، ومن جملتهم الإمام مجاهد. فاهجر ـ أيها المؤمن! ـ ما فيه عمى قلبك، وفي الله جاهد. قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. وقال ﷺ: «**المهاجر من هجر ما حرم الله، والمجاهد من جاهد هواه**»[3]، فمن جاهد هواه جعل الله تعالى الجنة مأواه، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠ ـ ٤١]، وقال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: ١٩]. قال العلماء: تفسيرُه أن الرجل يكون في القوم، إن رأى منهم غفلة نظر إلى الحرام، فإن خاف أن يفطنوا له غضَّ بصره، وقد علم الله تعالى ما في قلبه، وأنه ما ترك النظر إلا حياءً منهم، لا حياءً من الله تعالى[4]. فقد ثبت أن هذا العبد عند الله تعالى من الخائنين؛ وخزائن

---

(١) أورده ابن الجوزي في «ذم الهوى» ٨٥.

(٢) أورده ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٣٩٢/٣٢ والبيت لأبي بكر الشبلي.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ قال: الرجل يكون في القوم فتمر بهم المرأة فيريهم أنه يغض بصره عنها، وإذا غفلوا لحظ إليها، وإذا نظروا غض بصره عنها، وقد اطلع الله من قلبه أنه ودَّ أنه ينظر إلى عورتها. وأخرج أبو نعيم في «الحلية» وابن أبي حاتم والطبراني في «الأوسط» والبيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ﴾ قال: نظرت إليها لتريد الخيانة أم لا؟ ﴿وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾ قال: إذا قدرت عليها أتزني بها=

الملك لا يطلع عليها إلا أمين، وإياك أن يغرك الشيطان بقوله: هو ذنب صغير، فتداوم عليه (فيصبح بالمداومة وهو كبير)[1].

وقد جاء في الحديث: «**لا صغيرة مع إصرار، ولا كبيرة مع استغفار**»[2]، وقال: «**النظر سهم مسموم**»[3].

فاحذره أيها المحروم؛ لأن قليل السم قاتل، ويورث الناظر العمى في القلب في العاجل والآجل، ألا ترى أن الإنسان يتهاون في إطفاء شرارة فتحرق بيته.

نظر بعض الصوفية إلى غلام فافتتن به، وكاد يذهب عقله صبابة، وكان يقف كل يوم على طريقه لكي يراه إذا أقبل وإذا انصرف، فطال عليه البلاء، وأقعده عن الحركة، فكان لا يقدر يمشي خطوة، فأتاه صوفي يعرف بأبي حمزة يعوده فقال له: يا أبا محمد، ما قضيتك؟ وما هذا الأمر الذي بلغ بك؟ فقال: أمور امتحنني الله بها فلم أصبر على البلاء فيها، ولم يكن لي بها طاقة، فرُبَّ ذنب استصغره الإنسان وهو

= أم لا؟ ألا أخبركم: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ قادر على أن يجزي بالحسنة الحسنة وبالسيئة السيئة. وأخرج عبد بن حميد وأبو الشيخ في «العظمة» عن قتادة رضي الله عنه: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ قال: يعلم همزه وإضمامه بعينيه فيما لا يحب الله تعالى. وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد رضي الله عنه: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ قال: نظر العين إلى ما نهي عنه. وأخرج عبد بن حميد عن أبي الجوزاء رضي الله عنه: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ قال: كان الرجل يدخل على القوم في البيت، وفي البيت امرأة، فيرفع رأسه فيلحظ إليها ثم ينكس.

(١) في (خ): فيصير بالمداومة كثيرًا.

(٢) أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٨٥٣)، وابن أبي الدنيا في «التوبة» (١٧٣)، والطبراني في «الدعاء» (١٧٩٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً. وفي إسناده أبو شيبة الخراساني: نكرة لا يُعرف، قال الذهبيُّ في «الميزان»: أتىٰ بخبر منكرٍ. انظر: «سلسلة الأحاديث الضعيفة» للألباني (٤٤٧٥) و(٤٨١٠).

(٣) سبق تخريجه، وهو ضعيف جدًا.

أعظم عند الله من تنِّين[١]، فحقيقٌ على من تعرَّض للنظر الحرام أن تطول به الأسقام. ثم بكى، قلت: ما يبكيك؟ قال: أخاف أن يطول في النار شقائي. فانصرفت عنه، وأنا راحم له مما رأيت من سوء الحال[٢].

فاحذر ـ يا أخي، وفقنا الله وإيَّاك ـ من شرِّ النظر، فكم أهلك من عابد، وفسخ عزم زاهد، وعلاجه في ابتدائه قريب، فإذا تمكن صَعُب، ثم اعلم بأن النظرة الأولى لك والثانية عليك، إذا لم تتعمد الأولى وإلا فالكل عليك، والنظر أوله أسفٌ، وآخره تلَفٌ، وأول المحبة نظرة، والثانية فساد للدين وحسرة.

نظر بعض الصالحين في الطواف إلى مُحرم[٣]، وإذا بلطمة أعمت عينه التي نظرت، وسمع قائلاً يقول: نظرة بلطمة، وإن زدت زدناك[٤].

فإن قال قائل: ها أنا قد نظرت إلى المحرمات فلا عميت ولا رمدت.

جوابه: يكفيك ـ أيها المغرور! ـ عماء قلبك، وبعدك عن الله تعالى؛ إذ شغلت بمخلوق عن الخالق، يخولك في نعمته، وأنت تتمرد عليه

---

(١) كذا في النسخ، والتنين: حَيَوَان أسطوريٌّ، يجمع بَين الزواحف وَالطير، وَيُقَال لَهُ: مخالب أَسد وَأَجْنِحَة نسر وذنب أَفْعَى، كذا في «المعجم الوسيط»، وفي «تلبيس إبليس»: (وهو عند الله أعظم من كبير)، وفي «ذم الهوى»: «. . . من ثبير»، وثَبِيرٌ: جبل بمكة.

(٢) أخرج هذه القصة ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» ٢٤١، وفي «ذم الهوى» ١١٩، بإسناده عَنْ أبي حمزة الصوفي قال: كان عَبْد الله بن مُوسَى من رؤساء الصوفية ووجوههم، فنظر إلى غلام حسن في بعض الأسواق فبلى به، . . . فذكرها.

(٣) يمكن أن تقرأ: (مُحْرِم)، أو: (مُحَرَّم).

(٤) قال عبد الرحمٰن بن عبد السلام الصفوري (ت: ٨٩٤هـ) رحمه الله في «نزهة المجالس ومنتخب النفائس» ١/١٤٢: حكاية: قال بعض الصالحين: رأيت رجلاً في الطواف، وهو يقول: اللَّهم إني أعوذ بك من سهم غائر. فسألته عن ذلك فقال: كنت طائفًا فنظرت بعيني الواحدة إلى غلام حسن الوجه، فأصابني سهم من الهواء، فأخرجته من عيني، فرأيت عليه مكتوبًا: نظرت إلى الحرام بعينك الواحدة للعبرة، فرميناك بسهم الأدب، ولو نظرت بعين الهوى لرميناك بسهم القطيعة على قلبك، حتى ينكر معرفتنا. والغائر: هو الذي لا يعلم راميه.

بمعصيته، فربما يكون ذلك استدراجًا. قال المولى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٤٤]. واسمع قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [فاطر: ٤٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢].

وهذا وعيد، وفيه تخويف وتهديد، وإذا أحب الله تعالى عبدًا عجَّل عقوبته في الدنيا، وعفا عنه في الآخرة، وبعكس ذلك إذا أبغضه، ويكفيك في هذا الباب ما جرى لفرعون لعنه الله؛ أنه عاش أربع مئة سنة لم يختلج له عرق، ولم يضرب له ضرس، ولم ترمد له عين، وكان أبغض الخلق إلى الله تعالى، وبرز منه شيء لم يبرز من إبليس لعنهما الله جميعًا؛ لأن إبليس تكبر على آدم، وفرعون قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، فعند ذلك أخذه المولى، واسمع قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٤].

نظر عَمرُو بن مُرَّةٍ إلى امرأة فأعجبته، فكُفَّ بصره فقال: أرجو أن تكون كفارة لي[1].

والحقُّ يغار على من يحبه أن ينظر إلى غيره، ومن أبغضه رماه للكائنات.

مسألة: رجل مسَّ أمرد بشهوة.

للفقهاء في المسألة قولان:

أحدهما: كمس النساء بشهوة ينقض الوضوء. ذكره القاضي أبو يعلى

---

(١) أخرجه أبو نُعيم في «الحلية» ٩٥/٥ عن عمرو بن مرة قال: نظرت إلى امرأة فأعجبتني، فكف بصري، فأرجو أن يكون ذلك كفارة.
ووقع في نسخ كتابنا: (عمر بن مرو)، وصوابه: (عمرو) وهو عمرو بن مرة بن عبد الله بن طارق بن الحارث الجملي المرادي، أبو عبد الله وقيل: أبو عبد الرحمٰن، الكوفي الأعمي، ثقة عابد، أحد الأعلام، من صغار التابعين، توفي سنة (١١٨) وقيل قبلها، رحمه الله تعالى.

في شرح مذهب مالك[1]، وينقض أيضًا في مذهب أحمد بن حنبل[2] ومن تابعهما.

والقول الآخر: لا ينقض، وهو مذهب أبي حنيفة[3] والشافعي[4].

وأجمعوا أن الإنسان يأثم إذا التذَّ بلمسه ونظره.

وإذا كان الأمردُ الحسنُ الوجه صالحًا، قال بعض العلماء: لا بأس بمصافحته بغير شهوة، وكذلك النظر إليه. وعند بعضهم: لا يصافحه ولا ينظر إليه، ولا يخلو به، وسواء كان النظر والمصافحة بشهوة أو بغير شهوة خوفًا من الفتنة واقتداءً بالسنة.

واختار بعض العلماء أن لا يسمع الإنسان قراءته للقرآن.

وقد كان السلف الصالح إذا مرَّ أحدهم بغلام حسن الوجه يفرُّ منه كفراره من الأسد؛ خوفًا على نفسه من الفتنة، فلا تتعرض أيها الغافل لهذه المحنة.

سألت جارية بشر الحافي عن باب حربٍ[5] فأجابها، وكانت ذات منصب وجمال، ثم جاء بعدها غلام حسن الوجه فسأله، فأطرق بشر، فرد[6] الغلام السؤال، فغمض الشيخ عينيه، فقال الفقراء للشاب: الباب بين

---

(١) انظر «الشرح الكبير» للدردير ١/١٢٠.

(٢) المشهور من مذهب أحمد أن لمس الأمرد لا ينقض الوضوء ولو بشهوة. انظر: «الشرح الكبير» لابن قدامة ١/١٨٨، و«الروض المربع شرح زاد المستنقع» للبهوتي ١/٣٤.

(٣) انظر «الفتاوى الهندية» ١/١٣.

(٤) انظر «الحاوي الكبير في فقه الشافعي» للماوردي ١/١٨٨.

(٥) باب حرب موضع في بغداد، عند «الحربية» وهي محلة كبيرة مشهورة، وكان بقرب الباب مقبرة مشهورة دفن فيها بشر الحافي وأحمد بن حنبل وغيرهما، وهذه النسبة إلى حرب بن عبد الله البلخي، ويعرف بالراوندي، أحد قوَّاد أبي جعفر المنصور، وكان يتولى شرطة بغداد، وقتلت الترك حربًا في أيام المنصور سنة (١٤٧) رحمه الله. انظر: «معجم البلدان» لياقوت (مادة: حرب).

(٦) كذا، وفي «سلوة الأحزان»: «ردَّدَ».

يديك. فلما غاب الشاب فتح الشيخ عينيه، فقال الفقراء: سألت المرأة فأجبتها، والغلام فلم تجبه؟! فروى الشيخ عن سفيان الثوري أنه قال: إذا أقبلت المرأة أقبل معها شيطان، وإذا أقبل الأمرد أقبل معه شيطانان. فخفت على نفسي من شياطينه[1].

فانظر - يا أخي! - إلى فعل هذا السيد مع قوة إيمانه، ونحن ننظر إلى الحرام في كل وقت وأوان، وذلك يدل على قلة الدين وضعف الإيمان، ونسأل الله التوبة والإعانة، ونعوذ به من القطيعة والخذلان.

قال الجنيد: دخل رجل على الإمام أحمد بن حنبل، وكان الداخل من رؤساء الناس ومعه ابنه، وهو حسن المنظر، فقال أحمد: لا تأتِ به معك مرةً أخرى. أي بالصبي[2].

هكذا رأينا أشياخنا، وبه أخبرونا عن أسلافهم.

وقال أسامة: كنا نقرأ على شيخ فبقي عنده غلام يقرأ عليه، فأردت القيام، فأخذ بيدي فقال: اصبر حتى يقرأ هذا الغلام. فكره أن يخلو به[3].

وكان أبو حنيفة يُجلس محمد بن الحسن خلفه ثم يعلمه خوفًا من الفتنة، واتباعًا للسنة؛ فقد ورد أن النبي ﷺ أقام أمرد من بين يديه وأجلسه خلفه، فقال عمر: سبحان الله يا رسول الله! فقال: «**أما تخشى الفتنة يا عمر؟!**»[4].

---

(١) يرد هذا الخبر في «سلوة الأحزان للاجتناب عن مجالسة الأحداث والنسوان»، وقد اختلف في نسبته، والظاهر أنه لمحمد بن حميد المشتولي المتوفى بعد: (١١٦٧هـ) رحمه الله.

(٢) هو في «سلوة الأحزان» بعد الخبر السابق مباشرة.

(٣) كلام أسامة - ولم أعرفه - في «سلوة الأحزان» أيضًا في نفس السياق.

(٤) ذكره أيضًا في «سلوة الأحزان» بعد قول أسامة دون قوله: «فقال عمر...».
وقال ابن القطان الفاسي في «أحكام النظر» ١١٩: روى ابن شاهين بإسناد مجهول إلى أبي أسامة حماد بن أسامة، عن مجالد، عن الشعبي، قال: قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ وفيهم غلام أمرد ظاهر الوضاءة؛ فأجلسه النبي ﷺ وراء ظهره، وقال: =

اسمع أيها الناظر المحروم قول السيد المعصوم، فترى بعض المبتدعين يؤاخي الأمرد ويصافحه، ويخلو به لأجل ما حصل بينهما من الصحبة والأخوة، فيتمرد على الله سبحانه بفعله وقوله، ويخرج عن طريق النبوة فيقول: ما أنا ممن يُغيِّره هذا. فيدعي العصمة، وهي ضمير الكفر، ويقع في العناء بقوله: أنا.

ومن السنة أن لا يُمكِّن المؤمن ولده إذا كان له حسن ظاهر من التبرج، والخروج إلى الأمكنة التي يخاف منها الفتنة إن كان يؤمن الأب بالله واليوم الآخر؛ لئلا يتخلق بأخلاق الشيطان، ولكي لا يعبث به الرجل الفاجر، وكذلك الأزمنة كالمواسم والأعياد، إلا لحاجة ضرورية خوفًا من الفتنة والفساد، ولكي لا تشغل به قلوب العباد، ولا يُمكَّن من الاختلاط بالرجال، ولا يدخل مع الفسقة الحمام، ولا يجلس في الأزقة مع أهل العربدة والعوام، ولكن يعلمه ما ينفعه من أمر أخراه، ويجتمع بمن صدقت محبته في سيده ومولاه؛ لأنه يستحي من سيده أن يرتكب ما عنه نهاه، أو ينظر إلى شيء سواه. ويقال: التعليم في الصغر كالنقش في الحجر، فينشأ الولد مباركًا متبعًا للأثر، ومن لم يؤدبه فقد خالف الآية والخبر.

قال شيخنا رحمه الله لمريدٍ له: أنت تختلط بهؤلاء المماليك السلطانية ولهم حسن ظاهر؟! قال: يا سيدي، أنا مشغول عنهم بمن حسَّنهم؛ فعينٌ نظرت إلى ما حرم الله سبحانه عليها العمى أولى بها.

نظر بعض الصالحين إلى محرَّم فدعا الله تعالى بكف بصره؛ فعمي، فكان ولده يقوده (لكي يصلي)[1] مع الجماعة في مسجد النبي ﷺ، فصلى

= «كانت خطيئة داود النظر».

قال ابن القطان: مَن دون أبي أسامة مجهول، ومجالد ضعيف، وهو مع ذلك مرسل. وقال ابن حجر في «التلخيص» ٣/٣١٥: إسناده واهٍ.

(١) في (ق): ليصلي.

مرةً وشُغل عنه ولدُه باللعب، وأخذ الرجلَ بطنُه فخاف الفضيحةَ، فسأل الله تعالى بردَّ بصره؛ فأبصر، قال مالك بن أنس: رأيته بصيرًا ثم أعمى ثم بصيرًا[1].

والولي ليس بمعصوم، والمعصية لا تسقط ولايته؛ [2](لأنه لم يتعمدها، وليست بباله، فإذا رماه فيها الشيطان أخذ بيده الرحمٰن؛ لأجل رجوعه بالتوبة والندم والاستغفار، وحلَّ من قلبه عقدة الإصرار.

قال رب العالمين: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥ ـ ١٣٦].

وقال ﷺ: «**لا صغيرة مع إصرار، ولا كبيرة مع استغفار**»[3].

وفي حديثٍ آخر: «**ما أصرَّ[4] من استغفر، ولو عاد في اليوم مئة**

---

(١) أخرج ابن الجوزي في «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» ٨/١٦٤، في ترجمة: (يونس بن يوسف أبو عمر بن حماس، وقيل: يوسف) ـ وكان عابدًا مجتهدًا يصوم الدهرَ ويقوم الليل، وكان مستجاب الدعوة، توفي سنة (١٥٢هـ) رحمه الله ـ بإسناده عن أبي ضمرة عاصم بن أبي بكر الزهري، قال: سمعت مالك بن أنس يقول: كان يونس بن يوسف من العباد ـ أو قال: من خيار الناس ـ فأقبل ذات يوم، وهو رائح من المسجد، فلقيَتْه امرأةٌ، فوقع في نفسه منها، فقال: اللَّهم إنك جعلت لي بصري نعمةً وقد خشيتُ أن تكون عليَّ نقمة فأقبضه إليك. قال: فعمي، وكان يروح إلى المسجد يقوده ابن أخ له، فإذا استقبل به الأسطوانة اشتغل الصبيُّ يلعب مع الصبيان، فإن أتته حاجة حصبه فأقبل إليه، فبينا هو ذات ضحوةٍ في المسجد إذ حس في بطنه بشيء فحصب الصبيَّ، فاشتغل عنه مع الصبيان، حتى خاف الشيخ على نفسه، فقال: اللَّهم إنك كنت جعلت لي بصري نعمة وخشيت أن يكون نقمة فسألتك فقبضته إليك، وقد خشيت الفضيحة فردَّه عليَّ. فانصرف إلى منزله صحيحًا يمشي. قال مالك: فرأيته أعمى، ورأيته صحيحًا.

(٢) من هنا بداية سقوط ورقة من (ق).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) في (ط): ضر.

مرة»[1].

وقال ﷺ: **«الندم توبة»**[2].

فإذا خرج من القلب الإصرار، ودخل فيه الندم والتوبة والاستغفار؛ ذهبت الذنوب والأوزار.

فانظر إلى بركة التوبة والاستغفار! أما التوبة فإنها تجبُّ ما قبلها؛ لقوله ﷺ: **«التائب من الذنب كمن لا ذنب له»**[3].

والاستغفار هو من صفات الأبرار، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]، وقال تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٧ ـ ١٨]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣]، وقال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]، وقال الله سبحانه: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠].

فقد تبين لك بركة التوبة والاستغفار، وما فيهما من الخيرات، وتكفير السيئات، وقد وصى الحق سبحانه نبيه ﷺ بذلك، فقال: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩].

---

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» (١٥١٤)، والترمذي في «جامعه» (٣٥٥٩) من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما أَصَرَّ من استغفر، ولو عاد في اليوم سبعين مرة»**.

وقال الترمذي: حديث غريب وليس إسناده بالقوي.

وخرَّجه الألباني في «الضعيفة» (٤٤٧٤).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٤٢٢/١ (٤٠١٢)، والبخاري في «التاريخ الكبير» ٣٧٣/٣، وابن ماجه في «سننه» (٤٢٥٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٤٥): حسن لغيره.

(٣) سبق تخريجه.

فمن عمل بهذه الوصية حشره الله تعالى مع خير البرية، وغفر له كل خطية، وقال ﷺ: **«والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»**[(١)]، رواه البخاري ومسلم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مئة مرة: **«رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم»**[(٢)].

وقال ﷺ: **«طُوبى لمن وُجِدَ في صحيفته استغفارٌ كثيرٌ»**[(٣)].

وقال صلوات الله عليه وسلامه: **«من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه؛ غُفرت ذنوبه وإن كان فرَّ من الزحف»**[(٤)]، صححه الحاكم.

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في «مسنده» ٢/٣٤١ (٨٤٩٣)، والبخاري في «صحيحه» (٦٣٠٧)، وابن ماجه في «سننه» (٣٨١٦)، والترمذي في «جامعه» (٣٢٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٢١)، ومسلم في «صحيحه» (٢٧٠٢)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٤٥) من حديث الأغر بن يسار المزني رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: **«توبوا إلى ربكم، فوالله إنِّي لأتوب إلى ربِّي عزَّ وجلَّ في اليوم مئة مرَّة»**.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٠٥٦)، وأحمد في «مسنده» ٢/٢١ (٤٧٢٦)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٧٨٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦١٨)، وابن ماجه في «سننه» (٣٨١٤)، وأبو داود في «سننه» (١٥١٦)، والترمذي في «سننه» (٣٤٣٤)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٢٩٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٩٢٧).

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٣) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (٣٨١٨)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٥٥) من حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه.

وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه»: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (١٦١٨): صحيح.

(٤) أخرجه أبو داود في «سننه» (١٥١٧)، والترمذي في «سننه» (٣٥٧٧) من حديث بلال بن يسار بن زيد، عن أبيه، عن جده: زيدٍ، أبي يسارٍ، مولى النبيِّ ﷺ ورضي عنه.

=

وكان ﷺ يعجبه أن يدعو ثلاثًا ويستغفر ثلاثًا[1].

وجاء في الحديث أيضًا: «**إذا قال العبد: يا رب. ثلاثًا؛ يقول الله تعالى: لبيك عبدي. فيعجِّلُ من ذلك ما يشاءُ ويؤخِّرُ ما يشاء**»[2].

وقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا وتستغفروا لذهب الله بكم، وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى؛ فيغفر لهم**»[3].

وهذا الحديث وما يقاربه ليس هو مذكور لكي يتجرأ العبد على المعصية، فقد كادت المعصية أن تكون كفرًا؛ لما جاء في الحديث: إن المعاصي تزيد الكفر، وتنقص الإيمان، وتبعد العبد عن رحمة الملك الديان.

والمراد من الحديث أن العبد لا ييأس من رحمة الله تعالى؛ وإن كثرت ذنوبه، فيستغفر الله تعالى منها فيغفرها، وإن كثرت؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقال ﷺ: «**رُبَّ ذنبٍ أدخلَ صاحبَه الجنةَ**»[4].

= وقال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.
وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (١٦٢٢): صحيح لغيره.
وأخرجه الحاكم في «المستدرك» ٦٩٢/١ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣٩٤/١ (٣٧٤٤)، وأبو داود في «سننه» (١٥٢٤)، و«النسائي» في «الكبرى» (١٠٢٩١)، و«عمل اليوم والليلة» (٤٥٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٤٢٨١): ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف جدًا: أخرجه الديلمي في «الفردوس» (٦٢٢٣)، والواحدي في «الوسيط» ٢٨٤/١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٠٢٧١)، وأحمد في «مسنده» ٣٠٩/٢ (٨٠٨٢)، ومسلم في «صحيحه» (٢٧٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) هذا ليس بحديثٍ، ولكنه مما فهمه السلف من دلائل النصوص وأحوال العباد:
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والذنوب تنقص الإيمان، فإذا تاب العبد أحبه الله، وقد ترتفع درجته بالتوبة. قال بعض السلف: كان داود بعد التوبة خيرًا منه=

فترى الشيطان يزين للإنسان المعاصي، فيوقعه[1] في الذنوب والأوزار، فيأخذ الله بيده إذا رجع بالتوبة والاستغفار، فلا يزال نادمًا مستغفرًا حتى يدخل الجنة، فيقول الشيطان: لو علمت أن هذا الذنب يكون سبب دخول هذا الجنة ما أوقعته فيه. ألا ترى كيف ورَّث آدمَ الذنبُ النبوة

= قبل الخطيئة. فمن قُضي له بالتوبة كان كما قال سعيد بن جبير: إن العبد ليعمل الحسنة فيدخل بها النار، وإن العبد ليعمل السيئة فيدخل بها الجنة. وذلك أنه يعمل الحسنة فتكون نصب عينه، ويعجب بها، ويعمل السيئة فتكون نصب عينه فيستغفر الله، ويتوب إليه منها، وقد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «**الأعمال بالخواتيم**». (مجموع الفتاوى: ١٠/٤٥)

وقال ابن القيم في «مدارج السالكين» ١/٣٠٧: «إن الذنب قد يكون أنفع للعبد إذا اقترنت به التوبة من كثير من الطاعات، وهذا معنى قول بعض السلف: قد يعمل العبد الذنب فيدخل به الجنة، ويعمل الطاعة فيدخل بها النار! قالوا: وكيف ذلك؟ قال: يعمل الذنب فلا يزال نصب عينيه، إن قام وإن قعد وإن مشى ذكر ذنبه، فيحدث له انكسارًا، وتوبة، واستغفارًا، وندمًا، فيكون ذلك سبب نجاته، ويعمل الحسنة، فلا تزال نصب عينيه، إن قام وإن قعد وإن مشى، كلما ذكرها أورثته عُجُبًا وكبرًا ومنة، فتكون سبب هلاكه، فيكون الذنب موجبًا لترتب طاعات وحسنات، ومعاملات قلبية، من خوف الله والحياء منه، والإطراق بين يديه منكسًا رأسه خجلاً، باكيًا نادمًا، مستقيلاً ربه، وكل واحد من هذه الآثار أنفع للعبد من طاعة توجب له صولةً، وكبرًا، وازدراءً بالناس، ورؤيتهم بعين الاحتقار، ولا ريب أن هذا الذنب خير عند الله، وأقرب إلى النجاة والفوز من هذا المعجَب بطاعته، الصائل بها، المانّ بها، وبحاله على الله عز وجل وعباده، وإن قال بلسانه خلاف ذلك، فالله شهيد على ما في قلبه، ويكاد يعادي الخلق إذا لم يعظموه ويرفعوه، ويخضعوا له، ويجد في قلبه بغضة لمن لم يفعل به ذلك، ولو فتش نفسه حق التفتيش لرأى فيها ذلك كامنًا، ولهذا تراه عاتبًا على من لم يعظمه ويعرف له حقه، متطلبًا لعيبه في قالب حمية لله، وغضب له، وإذا قام بمن يعظمه ويحترمه، ويخضع له من الذنوب أضعاف ما قام بهذا فتح له باب المعاذير والرجاء، وأغمض عنه عينه وسمعه، وكف لسانه وقلبه، وقال: باب العصمة عن غير الأنبياء مسدود! وربما ظن أن ذنوب من يعظمه تكفَّر بإجلاله وتعظيمه وإكرامه إياه. فإذا أراد الله بهذا العبد خيرًا ألقاه في ذنب يكسره به، ويعرفه قدره، ويكفي به عباده شره، وينكس به رأسه، ويستخرج به منه داء العجب والكبر والمنة عليه وعلى عباده، فيكون هذا الذنب أنفع لهذا من طاعات كثيرة، ويكون بمنزلة شرب الدواء ليستخرج به الداء العضال».

(١) في (خ): فيرفعه.

والخلافة لندمه ولإقلاعه، ولعلم الله سبحانه أنه لم يرد بذلك خلافه.

وأمَّا مَن ندم على الماضي ولم يصلح المستقبل، ويستغفر بلسانه وقلبه، ومصرٌّ على عصيانه، فهذا كالمستهزئ بربه، والخلل في إيمانه.

وهذا كما قال الحسن البصري رضي الله عنه:)[1] استغفارنا هذا يحتاج إلى استغفار كثير. أو كما قال الفضيل رحمة الله عليه: استغفار بلا إقلاع توبة الكذابين.

وكان بعض العرب يقول وهو متعلق بأستار الكعبة: اللَّهم إن استغفاري مع إصراري لُؤم، وإن تركي الاستغفار مع علمي بسعة عفوك لعجزٌ، فكم تتحبَّبُ إليَّ بالنعم مع غناك عنِّي، وأتبغض إليك بالمعاصي مع فقري إليك، يا من إذا وعد وفَّى، وإذا توعَّد[2] تجاوز وعفا؛ أدخل عظيمَ جُرمي في عظيم عفوك، يا أرحم الراحمين.

فمن علامة التوبة أن يكون العبد تائبًا مستغفرًا بلسانه، مقلعًا عن الذنوب بقلبه، ويقضي الفرائض، ويرد المظالم، ويذيق نفسه مرارة الطاعة كما أذاقها حلاوة المعصية، والبكاء عوض الضحك، وتغيير الحال في المأكل والملبس والمنام، وأن تضيق عليه الأرض ونفسه، كما جرى لأصحاب النبي ﷺ وهم الثلاثة الذين خُلفوا في غزوة تبوك[3].

---

(١) إلى هنا نهاية سقوط ورقة من (ق).

(٢) في (خ، ق): تواعد.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣/٤٥٦ (١٥٧٨٩)، والبخاري في «صحيحه» (٢٧٥٧)، ومسلم في «صحيحه» (٢٧٦٩)، وأبو داود في «سننه» (٢٢٠٢)، والنَّسائي في «الكبرى» (١١٢٣٢) عن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن كعب بن مالك؛ أن عبد الله بن كعب بن مالك وكان قائد كعب من بنيه حين عَمِي قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فقال كعب بن مالك: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غيرها قط إلا في غزوة تبوك؛ غير أني كنت تخلفت في غزوة بدر ولم يُعاتب أحدًا تخلف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين توافقنا على الإسلام، ما أحب أن لي بها مشهد بدر=

. . . .

= وإن كانت بدر أذكر في الناس منها وأشهر، وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك لأني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزاة، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتها في تلك الغزاة، وكان رسول الله ﷺ قلما يريد غزاة يغزوها إلا وَرَّى بغيرها، حتى كانت تلك الغزاة فغزاها رسول الله ﷺ في حرٍّ شديدٍ، واستقبل سفرًا بعيدًا ومفازًا، واستقبل عدوًّا كثيرًا، فجلا للمسلمين أمره ليتأهبوا أهبة عدوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير لا يجمعهم كتاب حافظ - يريد الديوان - فقال كعب: فقلَّ رجلٌ يريد يتغيَّب إلا ظنَّ أنَّ ذلك سيخفَى له ما لم ينزل فيه وحي من الله عز وجل، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظل وأنا إليها أصعر، فتجهز إليها رسول الله ﷺ والمؤمنون معه، وطفقت أغدو لكي أتجهز معه فارجع ولم أقض شيئًا، فأقول في نفسي: أنا قادر على ذلك إذا أردت. فلم يزل كذلك يتمادى بي حتى شمر بالناس الجد، فأصبح رسول الله ﷺ غاديًا والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئًا، فقلت: أتجهز بعد يوم أو يومين ثم ألحقهم، فغدوت بعد ما فصلوا لأتجهز، فرجعت ولم أقض شيئًا من جهازي، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئًا، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا، وتفارط الغزو؛ فهمَمت أنْ أرتحل فأدركهم - وليت أني فعلت - ثم لم يُقدَّر ذلك لي، فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ، فطفت فيهم يحزنني أن لا أرى إلا رجلاً مغموصًا عليه في النفاق أو رجلاً ممن عذره الله، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال: وهو جالس في القوم بتبوك: «**ما فعل كعب بن مالك؟**» قال رجل من بني سلمة: حبسه يا رسول الله برداه والنظر في عطفيه. فقال له معاذ بن جبل: بئسما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرًا. فسكت رسول الله ﷺ، فقال كعب بن مالك: فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلاً من تبوك، حضرني بثي فطفقت أتفكر الكذب، وأقول: بماذا أخرج من سخطه غدًا، وأستعين على ذلك كل ذي رأي من أهلي، فلما قيل أن رسول الله ﷺ قد أظل قادمًا، زاح عني الباطل، وعرفت أني لن أنجو منه بشيء أبدًا، فأجمعت صدقه، وصبَّح رسول الله ﷺ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس؛ فلمَّا فعل ذلك جاءه المتخلفون، فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم ويستغفر لهم، ويكل سرائرهم إلى الله تبارك وتعالى، حتى جئت فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب، ثم قال لي: « **تعال**». فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: «**ما خلَّفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟!**» قال: فقلت: يا رسول الله، إني لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني أخرج من سخطته بعذر؛ لقد أعطيت جدلاً، ولكنه=

. . . .

= والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى عني به ليوشكن الله تعالى يسخطك عليَّ، ولئن حدثتك اليوم بصدق تجد علي فيه إني لأرجو قرة عيني عفوًا من الله تبارك وتعالى، والله ما كان لي عُذر، والله ما كنت قط أفرغ ولا أيسر مني حين تخلفت عنك. قال رسول الله ﷺ: «**أمَّا هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله تعالى فيك**». فقمت وبادرت رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبًا قبل هذا، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر به المتخلفون؛ لقد كان كافيك من ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك. قال: فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع فأكذِّب نفسي. قال: ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم لقيه معك رجلان قالا ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك. قال: فقلت لهم: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العامري وهلال بن أمية الواقفي. قال: فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرًا لي فيهما أسوة. قال فمضيت حين ذكروهما لي. قال: ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه؛ فاجتنبنا الناس، قال: وتغيروا لنا حتى تنكرت لي من نفسي الأرض، فما هي بالأرض التي كنت أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشبَّ القوم وأجلدهم؛ فكنت أشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف بالأسواق ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأسلم عليه فأقول في نفسي حرك شفتيه برد السلام أم لا، ثم أصلي قريبًا منه وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي، فإذا التفت نحوه أعرض، حتى إذا طال علي ذلك من هجر المسلمين؛ مشيت حتى تسورت حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إلي فسلمت عليه، فوالله ما ردَّ علي السلام، فقلت له: يا أبا قتادة، أنشدك الله هل تعلم أني أحب الله ورسوله؟ قال: فسكت، قال: فعدت فنشدته؛ فسكت، فعدت فنشدته، فقال: الله ورسوله أعلم. ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار، فبينما أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة، يقول: من يدلني على كعب بن مالك؟ قال: فطفق الناس يشيرون له إليَّ حتى جاء فدفع إليَّ كتابًا من ملك غسان، وكنت كاتبًا فإذا فيه: أما بعد فقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك. قال: فقلت حين قرأتها: وهذا أيضًا من البلاء. قال: فتيممت بها التنور فسجرته بها، حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا برسول رسول الله ﷺ يأتيني، فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك. قال: فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: بل اعتزلها فلا تقربها. قال: وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك. قال: فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر. قال: فجاءت=

....

= امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ، فقالت له: يا رسول الله، إن هلالاً شيخ ضائع ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: «**لا، ولكن لا يقربنك**». قالت: فإنه والله ما به حركة إلى شيء، والله ما يزال يبكي من لدن أن كان من أمرك ما كان إلى يومه هذا. قال: فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه. قال: فقلت: والله لا استأذن فيها رسول الله ﷺ، وما أدري ما يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته وأنا رجل شاب. قال: فلبثنا بعد ذلك عشر ليال كمال خمسين ليلة حين نهي عن كلامنا. قال: ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله تبارك وتعالى منا قد ضاقت علي نفسي، وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعت صارخًا أوفى على جبل سلع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك، أبشر. قال: فخررت ساجدًا وعرفت أن قد جاء فرج، وآذن رسول الله ﷺ بتوبة الله تبارك وتعالى علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قِبَلَ صاحبيَّ يبشرون، وركض إلي رجل فرسًا، وسعى ساع من أسلم وأوفى الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبيَّ فكسوتهما إياه ببشارته، والله ما أملك غيرهما يومئذ فاستعرت ثوبين فلبستهما، فانطلقت أتأمَّمُ رسولَ الله ﷺ، يلقاني الناس فوجًا فوجًا يهنئوني بالتوبة يقولون: ليهنك توبة الله عليك. حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس في المسجد حوله الناس، فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره. قال: فكان كعب لا ينساها لطلحة، قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال وهو يبرق وجهه من السرور: « **أبشر بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك**». قال: قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: « **لا بل من عند الله**». قال: وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر حتى يعرف ذلك منه. قال: فلما جلست بين يديه، قال: قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله تعالى وإلى رسوله. قال رسول الله ﷺ: «**أمسك بعض مالك فهو خير لك**». قال: فقلت: إني أمسك سهمي الذي بخيبر. قال: فقلت: يا رسول الله، إنما الله تعالى نجاني بالصدق؛ وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقًا ما بقيت. قال: فوالله ما أعلم أحدًا من المسلمين أبلاه الله من الصدق في الحديث مُذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني الله تبارك وتعالى، والله ما تعمدت كذبة مذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا، وإني لأرجو أن يحفظني فيما بقي. قال: وأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿**لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ**=

ولقد طلب بعض الصحابة الموت، وبعض الناس دعا على نفسه بالعمى خوفًا وحياءً من رب السماء.

روي في «الصحيح»: أن رجلًا وامرأةً شهدا على أنفسهما بالزِّنى عند النبي ﷺ، فرُجما وماتا إلى رحمة الله تعالى[1]. وهذه صفات المشتاقين، قال المولى: ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الجمعة: ٦]. من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل.

ثم اعلم بأن الكافر لا يتمنى الموت لأجل كفره، ولقد قال ﷺ لليهود: «**أنتم تزعمون أنكم أبناء الله وأحباؤه فتمنوا الموت إن كنتم صادقين**». ثم قال: «**والذي نفسي بيده لن يتمناه أحد منكم إلا غصَّ بريقه**»[2]، فلم يتمنَّه أحدٌ منهم. قال الله تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ

= رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٧ ـ ١١٩]، قال كعب: فوالله ما أنعم الله تبارك وتعالى علي من نعمة قط بعد أن هداني أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ يومئذ أن لا أكون كذبته؛ فأهلك كما هلك الذين كذبوه حين كذبوه، فإن الله تبارك وتعالى قال للذين كذبوه حين كذبوه شرَّ ما يقال لأحد، فقال الله تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [التوبة: ٩٥ ـ ٩٦]، قال: وكنا خلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا فبايعهم واستغفر لهم، فأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله تعالى، فبذلك قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ [التوبة: ١١٨]، وليس تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا الذي ذكر مما خلفنا بتخلفنا عن الغزو؛ وإنما هو عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه.

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٦٩٥)، وأبو داود في «سننه» (٤٤٣٣)، والنسائي في «الكبرى» (٧١٨٦) عن سليمان بن بريدة، عن أبيه.

(٢) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» ٢٧٤/٦ من حديث ابن عباس رضي الله عنه مرفوعًا. وقال العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» ٦٩٢/١: إسناده ضعيف.
وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٣٦٣/٢ عن ابن عباس موقوفًا.
وأخرج أبو يعلى في «المسند» (٢٦٠٤) من طريق عبد الله بن جعفر، قال: حدثنا=

﴿أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ [البقرة: ٩٥]. وكذلك العاصي لا يحب الموت؛ لسوء ما قدَّم، ولولا الخوف من قلة الأدب لصرح بطلب الموت أولوا الألباب.

قال بعض العلماء: لا بأس بطلب الموت خوفًا من الوقوع في المعاصي.

قيل لبعض الصالحات: ما تشتهين؟ قالت: الموت. فقيل لها: ولم؟ قالت: والله إني أخاف كلما أصبح أن أجني على نفسي جنايةً يكون فيها عطبي أمام الآخرة.

ولا يتمنى الموت أحدٌ من أهل الطاعة فيخرج عن سنة صاحب المعجزات والشفاعة؛ لأن بفروغ[1] الأجل ينقطع العمل، وما أحب الصالحون طول الأعمار إلا لكثرة قيام الليل وصيام النهار، والتلذذ بالطاعة والأذكار، والتردد لصلاة الجماعة وللزيارة لتلك الديار. قال قائلهم:

علي لربع العامرية وقفة ... لتملي عليَّ الشوق والدمع كاتب
ومن عادتي حب الديار وأهلها[2] ... وللناس فيما يعشقون مذاهب

وقال بعضهم:

مضت لنا بمنى والخيف أوقات ... وطيب عيش قطعناه ولذات
لأسلكن ولو أن الأسود بها ... قوافل ورماح الخط غابات

= عبيد الله، عن عبد الكريم، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمدًا يصلي عند الكعبة لأتيته حتى أطأ على عنقه. قال: فقال رسول الله ﷺ: **«لو فعل لأخذته الملائكة عيانًا. ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً»**.
قال الألباني في «الصحيحة» (٣٢٩٦): وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين. وتابعه معمر عن عبيد الله به مختصرًا جدًا، ليس عنده إلا قوله: «لو فعل؛ لأخذته الملائكة عيانًا».
أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/٥٢ و٢/٣٣٤، ومن طريقه البخاري (٤٩٥٨).

(١) في (ق): بفراغ.
(٢) في (خ): لأهلها.

أين هؤلاء من قوم يجهرون بالمعاصي، ولا يستحيون ممن بيده جميع النواصي؟ حتى إنَّ بعض المخذولين يفتخر بها، فيقول أحدهم لخليله: لست مثلي أنا في قعدة أشرب جرة، أو أزني كذا كذا مرة. وهذه المصائب ظلمات بعضها فوق بعض، ويخاف عليهم من سوء الخاتمة، وهو أشد ما يكون من العقوبة، وأهون من ذلك: موت القلب، ومحو لذة مناجاة الرحمٰن، والحرص على الذنوب، ونسيان القرآن.

وقف أبو عبد الله بن الجلاء ينظر إلى [غلام] نصرانيٍّ حسن الوجه، فمرَّ به أبو عبد الله البلخي وقال له: ما أوجب وقوفك هنا؟ قال: يا عم، أما ترى هذه الصورة الحسنة كيف تعذب بالنار؟ فضربه الشيخ بين كتفيه وقال: لتجدنَّ غبَّها ولو بعد حين. قال: فوجدت غبها بعد أربعين سنة، وذلك أني نسيت القرآن(١).

وقد افتتن بالمرد جماعة؛ لأن الشيطان يدخل على العبد من حيث يمكنه؛ لأنه لا يأتي للعابد يزين له الزنى أولاً، وإنما يحسن له النظر، والعالم والعابد قد أغلقا عنهما(٢) باب النظر إلى النساء لقلة المخالطة، والصبي مخالط لهما، والآدمي يعجبه النظر إلى الأمرد الحسن أكثر من النظر إلى المرأة، وسببه لأن المادة التي خُلق منها أقوى من مادة النساء.

وقال السيد الجليل سهل بن عبد الله: سيكون في هذه الأمة أناس يقال لهم اللوطيون، وهم على ثلاثة أصناف: صنف ينظرون، وصنف

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في «ذم الهوى» ١٢٧ بإسناده إلى محمد بن الحسين بن الجلندي المقرئ قال: سمعت أبا عبد الله بن الجلاء يقول، فذكر الخبر والزيادة منه. وأخرجه من هذا الوجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٦/٨٤، في ترجمة: (أحمد بن يحيى أبو عبد الله بن الجلاء) وقال: أحد مشايخ الصوفية الكبار، توفي سنة (٣٠٦) رحمه الله. وله ترجمة في «تاريخ بغداد» ٥/٢١٣. وأبو عبد الله البلخي هو محمد بن الفضل بن العباس الزاهد، الحَبرُ الواعظ، توفي سنة (٣١٩) رحمه الله، مترجم في «سير أعلام النبلاء» ١٤/(٢٩٨).

(٢) في (خ): عليهما.

يصافحون، وصنف يعملون ذلك العمل الخبيث. نعوذ بالله من ذلك كله. وقد ذمَّ الله تعالى اللوطي ولعنه، ومع ذلك كله ترى العبد المخذول ينظر؛ فيُلعن، ويخرج عن طريق الرسول؛ وذلك لقوة المادة التي خلقوا منها، وهي أنموذج ما في الجنة.

فإن قيل: ما فائدة تحسين هذه الصورة ثم نهى عن النظر إليها؟

ذكرت ذلك مبينًا في باب التكبر تحت هذا الباب، ولا فائدة في إعادته. وقد حسن الله تعالى المحسنات وابتلاك بها، ليعلم صبرك، وهل تحبُّها أو تحبُّه، ومنن الله تعالى موجودة، لكن منع الإنسان من الشهود تعظيمه لنفسه، واشتغاله بهذا الوجود، وعدم وقوفه على الحدود، فمن محا نفسه أثبته الله، ومن غض بصره فتح الله بصِيرته، ومن ذلَّ لعظمة الله أعزَّه الله.

رأى بعض الصالحين ربه في منامه فقال: يا رب، بم يتقرب المتقرِّبون إليك؟ قال: بشيء ليس هو عندي وهو الذلُّ.

قال بعضهم شعرًا يناسب هذا:

إذا رمت عز الوصل ذُلَّ لمن تهوى	فكم عزة قد نالها المرء بالذل
إذا كان من تهوى عزيزًا ولم تكن	ذليلاً له فاقر السلام على الوصل

فطلب العلو في الدنيا والرئاسة هو من قلة الدين، وكثرة الخساسة؛ لأن من طلب أن يكون رأسًا(١) ألقى نفسه للعطب، ويكفيك من الأدلة قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، قيل لبعض الصالحين: أتريد أن ترى الله تعالى؟ قال: لا. قيل: ولم؟ قال: أنزه ذلك الجلال(٢) عن نظر مثلي.

ويحكى أن أبا حنيفة رأى الحق سبحانه في المنام وقال له: تمنَّ

(١) في (ق): رئيسًا.

(٢) في (خ): الجمال.

عليَّ؟ فقال رضي الله عنه: يا رب، أسألك أن تنجيني من النار، فمثلي لا يسألك الجنة.

قيل لأبي يزيد: لم لا سألت الله المعرفة وقت قال لك: ما تريد؟ قال: غرت[1] عليه أن يعرفه مثلي.

وقيل لبعض الصالحين وقد رأى فتح باب الكعبة: لم لا تدخلها؟ قال: أنا لا أرى نفسي أهلاً أن أطوف حول بيته، فكيف أدخله؟![2]

وقال أحد المشايخ ـ إما أبو يزيد أو غيره ـ: لو سخرت من كلب لخشيت أن أحول كلبًا.

وقيل لإبراهيم بن أدهم: أنت خيرٌ أم الكلب؟ فقال: أنا خيرٌ من الكلب إن جزت الصراط، والكلب خيرٌ مني إن لم أجز. وكذلك قال أبو يزيد.

وكان عطاء السُّلمي يقول إذا وقع الغلاء والوباء: ما أصابكم هذا إلا بشؤمي، لو مات عطاء لاستراح الناس.

وكان أحد المشايخ إذا رأى من أصحابه فترةً يقول: ما أصابكم هذا إلا بإدباري أنا.

ودخل شيخ من الصوفية الحمام، وإذا بصغار يلعبون على بطونهم، فأراد صغيرٌ منهم يدخل خلوة الشيخ، (فقال له صغير آخر: لا تدخل، ففي الخلوة رجل يهودي. ثم جاء الخادم بثياب الشيخ)[3] فوجده قد اصفرَّ، فقال له: ما بالك يا سيدي؟ قال: جاء صغير ليدخل الخلوة عليَّ فقال له صغير آخر[4]: لا تدخل ففي الخلوة رجل يهودي، فقلت في نفسي: لو لم يكن

---

(١) في (ق، ب): يعز.

(٢) هذه الأخبار عن أبي حنيفة وأبي يزيد وغيرهما من الصالحين النكارةُ عليها ظاهرة، وهي مخالفة لقطعيات الكتاب والسنة، في سؤال الله تعالى العلم به، والجنةَ والنظر إلى وجهه الكريم.

(٣) ليست في (خ).

(٤) في (خ): مثله.

فيَّ شيء من أفعال اليهود ما أنطق الله تعالى هذا الصغير بهذا.

وخرج رجل يعرف بالشيخ عبد العزيز الدِّيْرِينيّ[١] مسافرًا، فلقيه الصغار رعاة الغنم، فظنوا أنه يهودي فقالوا له: يا شيخ، قل أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله. فقالها الشيخ، فجاؤوا له بحمارة طويلة وركَّبوا الشيخ من الغيط إلى البلد وزفُّوه، فلما دخل[٢] البلد عرف الرجال[٣] الشيخ، (فقصدوا ضرب)[٤] الصغار، فنهاهم الشيخُ، وقال: ما عملوا معي إلا خيرًا، جدَّدوا إسلامي وركَّبوني إلى البلد[٥].

وجرى لهذا السيد ما هو أعظم من هذا: دخل يومًا المحلة الكبيرة من أعمال مصر، فشبَّهه عَرِيف النَّصارى بنصراني هارب من الجالية، فمَسك الشيخَ وخنقه، وقال له: يا ملعون، إلى كم تهرب مني؟ لا بدَّ ما أُخَلِّي

---

(١) هو الشيخ الزاهد الفقيه الواعظ الأديب عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميري المعروف بالديريني الشافعي (٦١٢ ـ ٦٩٤ هـ)، نسبته إلى «ديرين» في غربية مصر، وقبره بها، من كتبه «التيسير في علم التفسير»، و«الدرر الملتقطة في المسائل المختلطة»، و«طهارة القلوب، والخضوع لعلام الغيوب» في التصوف، و«إرشاد الحيارى في ردع من مارى في أدلة التوحيد ورد النصارى»، و«نظم الوجيز للغزالي في فروع الفقه الشافعي»، و«الشجرة في سيرة النبي ﷺ وأصحابه العشرة». قال العيني في «عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان» ٢٩٠/١: «كان فاضلاً، عالمًا بالنحو واللغة والأصلَيْن، وله في كل فنٍّ فضل، وكان مع ذلك راضيًا ببذاذة الحال، توفي ببلدته ديرين، ودفن فيها».

(٢) في (خ): وصل.

(٣) في (ق): الناس.

(٤) في (خ): فطلبوا ينهروا.

(٥) قال ابن السبكي في «طبقات الشافعية» ٢٠٠/٨ في ترجمة الديريني: حكي أنه دخل إلى المحلَّة الغربية في بعض أسفاره، وعليه عمامة متغيِّرة اللون، فظنها بعض من رآه زرقاء، فقال: قل: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله. فقالها، فنزع العمة من رأسه، وقال له: اذهب إلى القاضي لتسلم على يديه، فمضى معه، وتبعهم صبيان وخلق كثير على عادة من يسلم، فلما نظره القاضي عرفه، فقال له: ما هذا يا سيدي الشيخ؟ قال: قيل لي: قل الشهادتين فقلتهما، فقيل: امض معنا إلى القاضي لتنطق بهما بين يديه؛ فجئت.

اليومَ القشاشَ يرمي أجنابك بالمقارع. وكان القشاشُ[1] يومئذٍ متولي المحلة، فقال الشيخ للعريف: كم عليَّ؟ قال: أربع سنين ما دفعت لنا جالية[2]. فقال الشيخ: خذ مني هذه السنة واذهب. فلم يقبل وجذب الشيخ بثيابه، ودخل به لمجلس الوالي، وكان الوالي قد قام ودخل بيته، فعرف الناظر الشيخ فانتهر[3] العريف، فأشار الشيخ له بالصمت، فصمت، فقال الشيخ عبد العزيز للعريف: تأخذ مني الذي قلت لك وإلا أقولها. فقال العريف: تهددني بإسلامك؟! ما آخذ إلا الكل. فقال الشيخ: أنا أقول أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله. فقال الناظر للعريف: ويحك، تعرف من هذا؟ قال: نعم، هو نصراني. فقال الناظر: (كذبت هذا الشيخ عبد العزيز الديريني صاحب الكرامات)[4]. فبُهت العريف من قوة حلم الشيخ وأسلم، وكان الشيخ عبد العزيز قليل الدنيا والمعلوم، ويفتي في جميع العلوم، ولم يلبس كلبس المشايخ، بل ما تيسر من اللباس، ولأجل ذلك كان يقع فيه الشك والالتباس.

---

(١) القشَّاشُ: ترجم له المقريزي في «السلوك لمعرفة دول الملوك» في وفيات سنة (٧٠٢) في وقعة شقحب ضدَّ التتار، فقال: «ومات الأمير أيدمر الشمسيُّ القشاش، وكان قد ولِي الغربية والشرقية جميعًا، واشتدت مهابته، وكان يعذب أهل الفساد بأنواع قبيحة من العذاب، منها: أنه كان يغرس خازوقًا، ويجعل محدَّده قائمًا، وبجانبه صار كبير يعلق فيه الرجل، ثم يرسله فيسقط على الخازوق، فيدخل فيه ويخرج من بدنه، ولم يجرؤ أحد من الفلاحين بالغربية والشرقية في أيامه أن يلبس مئزرًا أسود، ولا يركب فرسًا ولا يتقلد سيفًا، ولا يحمل عصًى محلية بحديد، وعمل بها الجسور والترع وأتقنها، وأنشأ جسرًا بين ملقة صندفا وأرض سمنود عرف بالشقفي، فرآه بعد أن استشهد بمدة قاضي المحلة في النوم، فقال له: سامحني الله وغفر لي بعمارة جسر الشقفي. وكان قد فلج واستعفى من الولاية ولزم بيته، وخرج لغزوة شقحب في محفَّة إلى وقت القتال، فلبس سلاحه، وركب وهو في غاية الألم، فقيل له: إنك لا تقدر! فقال: والله لمثل هذا اليوم أنتظر، وإلا إيش يتخلص القشاش من ربه بغير هذا؟! وحمل على العدو، وقاتل فقتل، ورئي فيه ست جراحات».

(٢) الجالية: الذين جَلَوْا عن أوطانهم، يقال: استُعمِل فلانٌ على الجالِيَةِ، أي على جزية أهل الذمَّة. «لسان العرب» مادة: جلا.

(٣) في (خ): فطلب أن ينهر.

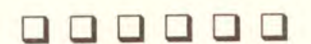
(٤) في (خ): بل هو الشيخ عبد العزيز.

جاء إليه مرة ثلاثة من العرب، فقال الواحد: هذا قال عنك إنك يهودي، والآخر قال إنك نصراني، وأنا قلت: مسلم. قال له: أصبت أنت يا ولدي. ولم يغضب.

قال له بعض أصحابه: أرنا كرامة. قال: نعم، اليوم أريكم كرامة. فعُزم على الشيخ إلى بلدٍ آخر، فقام هو وأصحابه، وجاؤوا إلى البلد، فلما دخل المساء قال الفقراء: يا سيدي، وأين الكرامة؟ قال: وما هذه كرامة؟! نعصي الحق سبحانه وهو يحملنا من بلدٍ إلى بلد، ولم ينزل علينا رجزًا من السماء ولا خسف بنا الأرض.

اعلم أن من خاف الملامةَ لم تكن همَّته[1] الكرامة، ليس الشأن لمن طلب؛ الشأن لمن رزق حسن الأدب.

لقد طال هذا الباب بذكر الأحباب، وذكر من أناب إلى الله تعالى وخضع أَحَبُّ لمؤلف هذا الكتاب[2] من ذكر من خاب وابتدع.



(١) في (ب): له همة.

(٢) في (خ): الكلام.



فصل فيما يبتدع من التكبر وما يُسنُّ وهو على قسمين: تكبر بحق، وتكبر بغير حق

قال الله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦]. فدلت هذه الآية أن ثَمَّ تكبرًا بحق، وهو قوله ﷺ: «**إذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم**»(١)، فينبغي للمؤمن أن يتكبر على المتكبرين إن لم يخف شرَّهم؛ لأنهم قد سقطوا من رحمة الله ورضوانه؛ لما روي أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: قل للمتكبرين لا يدعوني، فليس لهم عندي رحمة(٢). وقال ﷺ: «**ثلاث مهلكات: شحٌّ مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**»(٣).

---

(١) أورده الغزالي في «إحياء علوم الدين» ٣/٣٤١ بلفظ: «**إذا رأيتم المتواضعين من أمتي فتواضعوا لهم، وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم؛ فإن ذلك مذلة لهم وصغار**».
وقال العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» ٢/٩٥٦: غريب. وذكره الفتني في «تذكرة الموضوعات» ١٩١.

(٢) لم أقف عليه. وهو من منكرات الإسرائيليات.

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٤٥٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٤٥)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٣٢٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/٣٤٣) من حديث أنس رضي الله عنه.
وقال الهيثمي في «المجمع» ١/٩١: فيه زائدة بن أبي الرقاد وزياد النميري، وكلاهما مختلف في الاحتجاج به.
وفي الباب عن عبد الله بن عباس، وأبي هريرة، وعبد الله بن أبي أوفى، وعبد الله بن عمر، وقد حسنه الألباني بمجموع طرقه في السلسلة الصحيحة (١٨٠٢).

فالكبر والعجب مصيبتان في الدين عظيمتان، وآفتان كبيرتان، قال الواحد القهار: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[1] [غافر: ٣٥]، وقال ربُّ العالمين: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠].

عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن قال: التقى عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو على الصفا[2] فتواقفا، فمضى ابن عَمرٍو[3]، وأقام ابن عُمر[4] يبكي، فقالوا: وما يبكيك يا أبا عبد الرحمٰن؟ قال: هذا - يعني عبدَ الله بن عمرو[5] - زعم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**من كان في قلبه مثقال حبةٍ من خردلٍ من كبرٍ أكبَّه الله في النار على وجهه**»[6].

وقال: «**لا يزالُ الرجلُ يَذهبُ بنفسه حتى يُكتبَ في الجبَّارين فيصيبه ما أصابهم**»[7].

وقال موسى عليه السلام يوم الطور: يا رب، من أبغض خلقك إليك؟

---

(١) في (خ، ق): (إن الله لا يحب كل متكبر جبار). وهذا سبق قلم من الناسخ، فليس في كتاب الله عز وجل هذا، بل فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨]، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

(٢) كذا في النسخ، وفي مصادر الحديث: (على المروة).

(٣) في النسخ: (ابن عُمر) وهو وهم من المؤلف أو النساخ.

(٤) في النسخ: (ابن عَمرو) وهو وهم أيضًا.

(٥) في النسخ: (عبد الرحمٰن بن عمرو) وهو ثالث الأخطاء، وقد صححناها من مصادر التخريج.

(٦) حديث صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده» ٢/ ٢١٥ (٧٠١٥)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٦٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨١٥٤)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٤٣٧٤) عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن بن عوف، فذكره.

(٧) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٢٠٠٠)، والروياني في «المسند» (١١٦٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٦٢٥٤)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٥٨٩) من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.
وقال الألباني في «الضعيفة» (١٩١٤): ضعيف.

قال: يا موسى، من تكبَّر قلبه، وغلظ لسانه، وصفقت عينه، وبخلت يده[1].

ثم اعلم بأن الله سبحانه جعل التواضع من أخلاق النبيين والصالحين، وجعل التكبر من أخلاق الأبالسة والجبابرة والفراعنة، لعنهم الله أجمعين، فإن[2] اتصفتَ به في الدنيا، حشركَ الله تعالى معه في الآخرة. واسمع قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣]. وقال صلوات الله عليه وسلامه: «**طُوبى لمن تواضع من غير مَسْكنةٍ**»[3]، فالمتواضع هو من أهل الجنة، ومن جار فله النار.

قال ﷺ: «**يقول الله عزَّ وجلَّ: الكبرياءُ رِدائي، والعظمةُ إِزاري، من نازعني واحدًا منهما قذفتُه في النار ولا أبالي**»[4].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في النسخ: (ومن).

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٦١٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٤/ ١٨٢ عن ركب المصري قال: قال رسول الله ﷺ: «**طوبى لمن تواضع من غير منقصة، وذلَّ في نفسه من غير مسكنة، وأنفق مالاً جمعه في غير معصية، ورحم أهل الذلة والمسكنة، وخالط أهل الفقه والحكمة، طوبى لمن ذل في نفسه، وطاب كسبه، وصلحت سريرته، وحسنت علانيته، وعزل عن الناس شره، طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله**».
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٩٥): رواه الطبراني من طريق نصيح العبسي عن ركب ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.
وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٣٨٣٥).

(٤) أخرجه الحميدي في «مسنده» (١١٤٩)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٧١١١)، وأحمد بن حنبل في «مسنده» ٢/ ٣٧٦ (٨٨٩٤)، وابن ماجه في «سننه» (٤١٧٤)، وأبو داود في «سننه» (٤٠٩٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وليس فيه: «ولا أبالي».
وأخرج مسلم في «الصحيح» (٢٦٢٠) عن الأغر أبي مسلم، عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالا: قال رسول الله ﷺ: «**العزُّ إزارُه، والكبرياءُ رداؤه، فمن ينازعني عذبته**». قال الحميدي في «الجمع بين الصحيحين» (٢٦٢١): كذا فيما رأينا من نسخ=

فإيَّاك - أيها المسكين! - أن تتصف في هذا الباب ببعض صفات مولاك، فتكون النار مأواك، وارجع إلى قدرك، فإنك عبدٌ ضعيف، لكي يرحمك المولى اللطيف. قال ﷺ: «**رحم الله من عرَفَ قدره، وكفى الناس أمره**»[1]، فمن تواضع عرف قدرَه، ومن تكبر ما عرف قدرَه ولا كفى الناس أمره، فيوقعهم بتكبره في الغيبة، ونسأل الله تعالى أن يحرسنا من كل المعاصي، ومن هذه المصيبة.

انظر - أيها المبعود[2] - إلى حالك ثم تكبَّر: أوَّلك نطفة، وآخرك جيفة، وأنت الآن كجراب حسن، ظاهره مليح، وباطنه قبيح، دمٌ وقيح، وبول ومصارين، وما يبرز منك يؤذي الناظرين.

مرَّ بعضهم بكَنيفٍ مكشوفٍ فسدَّ أنفَه من نتن رائحته، وإذا لسان الحال يقول: أنا ما كنت كذا. كان الناظر يودُّ لو رآني أو شمَّني، صحبتك ستَّ ساعات من النهار فصرت إلى ما ترى من الأوساخ والأكدار.

فانظر - أيها العبد - كل شيء يصحبك تلف، حتى المسك والورد، فيا من هذا حاله، وبعد هذا يموت، ولا يحمل قرصة برغوث، أيليق لك التكبر أيها الممقوت؟!

ثم اعلم بأن التكبر أول معصية عُصي الله تعالى بها، وعبد إبليس ربه مئة ألف سنة - على قول بعض العلماء -، ورفعه الله إلى السماء، وكان رفيع المنزلة، حسن الصورة، مستجاب الدعوة، خازنًا من خزان الجنة،

= كتاب مسلم. وأخرجه أبو بكر البرقاني في كتابه من حديث عمر بن حفص بن غياث الذي أخرجه مسلم من حديثه وبذلك الإسناد إلى أبي مسلم الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد أنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عز وجل: العزُّ إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني شيئًا منهما عذبته**». وهكذا أخرجه أبو مسعود في كتابه. (ت)

(1) ليس هذا بحديث، وإنما حكمة قديمة تذكر عن بعض السلف، فقد ذكر القشيري في «الرسالة» ٢٨١/١ عن عمر بن عبد العزيز قال: رحم الله امرأ عرف قدر نفسه. وذكر ابو منصور الثعالبي في «درر الحكم» ٣٩ عن علي رضي الله عنه قال: ما هلك امرؤٌ عرف قدرَهُ.

(2) في (خ): المعبد. وفي (ب): المبعد.

تحت يده ألوف من الملائكة، يحكم عليهم، فتكبر على آدم، فصيَّره الله تعالى بعد الملكية[1] شيطانًا، وغيَّر لونه ومكانه، ولعنه إلى يوم القيامة، فيخاف على المتكبر أن يحبط عمله الله تعالى، ويكون رفيقًا لإبليس في جهنم، فيعود في حسرة وندامة؛ لتشبهه بالأبالسة والفراعنة لعنهم الله، ومن تشبه بقوم حُشر معهم[2]. روي ذلك عن من ظللته الغمامة.

قال العلماء: لما خلق الله هذا الوجود، طلب الكل العلو إلا الماء، فتواضع فجرت منه السيول، وطلبت بطون الأودية والسهول، ولم تتعرض للعلو، فجعل الله تعالى منه كل شيء حي، مما يعقل ومما لا يعقل، وعاشت الأشجار، وأذهب الله به الأكدار، وطهر به الأنجاس، وعاش النبات والحيوان والناس، وكذلك أنت أيها المؤمن؛ إن تواضعت (لله ولعظمته)[3]؛ جعل منك كل شيء حي، فيحيي[4] جوارحك بالمجاهدة، ويحيي قلبك بالمشاهدة، قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

فإن قال قائل: قد أخبرتني ببعض ما أعد الله تعالى من الحسنات لمن تواضع لعظمة الله تعالى وخضع، وما أعده لمن خرج عن طريق الله ورسوله فتكبر وابتدع، فأخبرني ما صفة التواضع؟ وما هو التكبر؟ وما صفة الرحمة؟ فإن كان فيَّ شيء من صفة المتكبرين فادع الله الكريم الغفار أن ينقذني من صفات أهل النار، وإن ظهر[5] فيَّ شيء من التواضع شكرت الله تعالى الذي خصني بحلية الأبرار.

---

(١) في (خ): المليكة.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢/٥٠ (٥١١٤)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٨٤٨)، وأبو داود في «سننه» (٤٠٣١) من حديث ابن عمر، بلفظ: «**ومن تشبَّه بقوم فهو منهم**».
وقال الزركشي في «اللآلي المنثورة في الأحاديث المشهورة»: أخرجه أبو داود من حديث ابن عمر بإسناد فيه ضعف.

(٣) في (خ، ب): لعظمة الله سبحانه.

(٤) في (خ): هو يحيي.

(٥) في (ق): كان. وفي (ب): حق.

اعلم - رحمك الله تعالى! - أن الكبر صفة[1] من صفات الجبل الشامخ والتلِّ العالي، وصفة المتواضع[2] كالأرض اللينة الوطية، وصفة الرحمة كالمطر.

فإن قال القائل: إن المطر إذا نزل عمَّ العالي والمتواطي.

قيل: صدقت، لكنه لا يستقر الماء على ما علا من الأرض، وينزل الجميع إلى الأرض الوطيَّة فتصبح مخضرة من هذه الخيرات والعطيَّة. قال الله سبحانه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. والعبد المتواضع هو من المتقين، قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، أي: يمشون وهم متواضعون. وقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَاعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾[3] [لقمان: ١٨]، أي: لا تمله عن الناس معرضًا وتكبرًا عليهم واستخفافًا بهم. وهذه صفة من صفات المتكبر: يغمض المؤمنين الأخيار، ولا يدور مع الحق حيث دار.

قال ﷺ: **«ثلاثٌ هن أصل كل خطيَّة، فاتقوهن واحذروهن: إيَّاكم الكبر؛ فإن إبليس حمله الكبر على أن لا يسجد لآدم، وإيَّاكم الحرص؛ فإن آدم حمله الحرص على أن يأكل من الشجرة، وإيَّاكم الحسد؛ فإن ابني آدم إنما قتل أحدهما الآخر حسدًا»**[4].

وفي حديث آخر أنه قال ﷺ: **«عُرِض عليَّ أول ثلاثة يدخلون الجنة، وأول ثلاثة يدخلون النار؛ فأمَّا أول ثلاثة يدخلون الجنة: الشهيد، وعبد**

---

(١) في (خ، ب): المتكبر صفته.

(٢) في (خ، ب): المتضع.

(٣) وهي قراءة نافع وأبي عمرو والكسائي وخلف بألف بعد الصاد وتخفيف العين لغة الحجاز، وافقهم اليزيدي والأعمش، والباقون بتشديد العين بلا ألف لغة تميم. انظر: «إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر» للبناء (ص ٤٤٨).

(٤) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٤٩/٤٠ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وأورده الألباني في «الضعيفة» (٦٦٦٩) وقال: ضعيف جدًا.

مملوك لم يشغله رقُّ الدنيا عن طاعة ربه، وفقير ضعيف ذو عيال. وأمّا أول ثلاثة يدخلون النار: أميرٌ مسلط، وذو ثروة من المال لا يؤدي الزكاة، وفقير فخور»[1]، فالتكبر هو حجاب بين العبد ورب الأرباب، ونسأل الله الكريم الوهاب أن يخرق هذا الحجاب.

ثم اعلم بأن الله عز وجل قد جعل قبل خلق السموات والأرض العزَّ في الطاعة، والذُّل في المعصية، والمؤمن هو عالم بأن الحق تعالى لا بد أن يعزَّ من أطاعه، ويذلَّ من عصاه، وتراه على الدوام يخالف سيده ومولاه، وكيف هذا؟! قال: حتى تعلم أن ناصيتك بيده، وأن العلم والخبر لا يحجزان أحدًا عن القضاء والقدر، ونسأل الله تعالى أن يدرك نفوسنا الهالكة التالفة، فليس لها من دون الله كاشفة، فمن رزقه الله تعالى علمًا وعقلاً، ثم سعى في استجلاب ما يضره، وفي دفع ما ينفعه (كان هذا العلم والعقل)[2] حجة عليه يوم يوقفه الحق بين يديه، ليته لا رزق هذا العقل والعلم؛ لأن الجهل خيرٌ من علمه، والمجنون أحسن حالاً من هذا العاقل؛ لأن المجنون القلم مرفوع عنه، ويثاب على جُنِّه، وهذا المسكين يعاقب على عقله، وكان ﷺ يتعوذ من علم لا ينفع، ومن أذن لا تسمع، ومن قلب لا يخشع، (ومن عين لا تدمع)[3]، ومن بطن لا يشبع[4]. وقد وصف الله تعالى لنا في الكتاب صفة الأعداء وصفة الأحباب؛ لكي (نتصف

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٤٢٥/٢ (٩٤٩٢)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٢٤٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٣١٢) و(٧٢٤٨) و(٧٤٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٤٦٤): ضعيف.

(٢) في (خ): هذا العلم والعقل يكونا.

(٣) ليست في (ق).

(٤) أخرج مسلم في «صحيحه» (٢٧٢٢)، والنسائي في «الكبرى» (٧٨١٦) من حديث زيد بن أرقم قال: كان رسول الله ﷺ يقول: **«اللّٰهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهرم وعذاب القبر، اللَّهم آت نفسي تقواها، وزكِّها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللَّهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها»**.

بصفة)[1] أحبابه، ونعدل عن وصف من طرده الله تعالى عن بابه، فقال في صفة أعدائه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٤]، وقال تعالى: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [ص: ٧٤]. فالكبر يؤدي إلى الكفر بالحرمان، ولأجل التواضع جعل الله موسى ﷺ نبيًّا وكلمه بغير ترجمان، فاختر - أيها المؤمن! - لنفسك ببيان، ولا تَبْع الهدى بالضلالة والخسران، ثم اعلم أن سبب ما كثَّرنا هاهنا الأخبار والأمثال والدليل إلا لكثافة هذا الآدمي؛ فإن طبعه ثقيل، وفي أكثر أوقاته إلى اللهو والبدع والباطل يميل، ولا سيما المتكبر؛ فإنه أثقل الجماعة الخارجين عن طريق صاحب المعجزات والشفاعة.

ومن الكبر - أيضًا - أن يسخر الإنسان بخلقٍ من خلقِ الله تعالى مؤمنًا كان أو كافرًا، برًّا كان أو فاجرًا، قال المولى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجرات: ١١] فإن قدرت أن لا تسخر من كلبٍ فافعل؛ لأنه خلق من خلق الله.

قال بعض الصالحين: لو سخرت من كلب خفت أن يحوِّلني الله كلبًا. سخر بعضهم من كلب فسمع قائلاً يقول: اخلق مثله. فكان سبب توبته؛ فلم يسخر من شيء بعد ذلك.

وكذلك لا يسخر الإنسان من أهل الكفر والفسوق والعصيان، ويشكر الله عند رؤياهم؛ لأجل ما عافاه وابتلاهم؛ قال ﷺ: «**إذا رأيتم أهل البلاء اسألوا الله العافية**»[2]، فإذا رأى الإنسان من ابتلي في جسمه بأمراض

---

(١) في (خ): تتصف بوصف.

(٢) ليس لهذا الحديث أصل بهذا اللفظ، وساق الخطيب في «تاريخ بغداد» (٦٦٤٦) في ترجمة: العباس الآجري، عن الحسن بن غالب، قال: سمعت عباسًا الآجري، يقول: سئل الشبليُّ عن قول النبي ﷺ: «إذا رأيتم أهل البلاء فاسألوا الله العافية»، قال: من هم أهل البلاء؟، قال: أهل الغفلة عن الله.

والشبلي هو أبو بكر دلف بن جحدر، وقيل: ابن جعفر، الخراساني الأصل، والبغدادي المولد والمنشأ، من الزهاد والعباد، مالكي المذهب، صحب الجنيد وطبقته، وتوفي سنة (٣٣٤) رحمه الله.

ولعلهم أخذوا هذا اللفظ من الحديث الثابت في هذا الباب؛ وهو ما أخرجه الترمذي=

مختلفة أيسخر منه أو يشمت به؟ قال: لا، بل يرحمه. قال: فالعاصي أشد بلاءً؛ لأن العاصي قد ابتلي في دينه، والكافر ذهب دينه كله؛ فارحمهما جميعًا[1].

رأى إبراهيم بن أدهم سكرانًا على قارعة الطريق وقد تعفر وجهه بالتراب، فأخذ ماءً وغسل وجه السكران، ثم دعا له بالتوبة والغفران، فقيل للسكران حين صحا: إن إبراهيم رآك معفَّر[2] الوجه طريحًا، فغسل وجهك، ودعا لك بالتوبة. فقال الرجل: اللَّهم إني تائب إليك. فقيل لإبراهيم في منامه: يا إبراهيم، طهرت فمه لأجلنا؛ طهرنا قلبه لأجلك.

وكان رجل في زمن عيسى ابن مريم عليه السلام يُعرف بالملعون؛ (لأجل قلة دينه و)[3] خيره، فطلب منه رجل سيفًا يجاهد به في سبيل الله

= (٣٤٣٢) عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من رأى مبتلى، فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً، لم يصبه ذلك البلاء**».
وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه.
أخرجه ابن ماجه (٣٨٩٢) عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من فجَئَه صاحب بلاءٍ، فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضلني على كثيرٍ ممن خلق تفضيلاً؛ عوفي من ذلك البلاء كائنًا ما كان**».
وأخرجه عبد بن حميد (٣٨)، والترمذي (٣٤٣١) من الوجه الذي أخرجه ابن ماجه، لكنه عندهما من حديث ابن عمر، عن أبيه رضي الله عنهما مرفوعًا.
قال الترمذي: هذا حديث غريب، وعمرو بن دينار، قهرمان آل الزبير، شيخ بصري، وليس هو بالقوي في الحديث، وقد تفرد بأحاديث عن سالم بن عبد الله بن عمر.
والحديث صحَّحه بطرقه الألبانيُّ في «الصحيحة» (٦٠٣) و(٢٧٣٧). (ت)

(١) كذا في النسخ، وفي السياق خلل ظاهر، ويبدو أن هذه الفقرة جاءت جوابًا على من استشكل حمل الحديث على الابتلاء المعنوي، مع أن ظاهره في الابتلاء الجسدي، فقال المؤلف ـ أو من ينقل عنه، ولا أدري إن كان المراد الشبلي فليس في المصدر السابق هذه التتمة ـ فإذا رأى الإنسان من ابتلي. . .، قال محاوره: لا بل يرحمه، . . . .

(٢) في (خ): مغيَّر. ويمكن أن تقرأ: مغبّر.

(٣) في (خ): لقلة.

تعالى، فأخرج له سيفًا، فمرَّ الرجل والسيف بيده[1] على عيسى عليه السلام، فقال له: من أين لك هذا السيف؟ فقال: دفعه لي الملعون. ففرح عيسى ودعا له، فنزل جبريل عليه السلام وقال: إن الله تعالى غفر للملعون بدعائك، وهو رفيق هذا العابد الماشي معك. فبشر عيسى العابد؛ فسخر منه العابد، وقال: الجنة حرام عليَّ لأجله. فنزل جبريل ثانيًا، وقال لعيسى: إن الله تعالى أحبط عمل العابد، وجعله مكان الملعون في النار، وغفر للملعون وجعله مكان العابد في الجنة[2].

فيجب على المسلم أن يهجر الفسقة، ويبغضهم، ويزجرهم إما بسبٍّ أو بضربٍ إن عملوا ما يستحقون ذلك[3]، كل[4] ذلك بالظاهر؛ لامتثال

---

(١) في (ق): في يده.

(٢) لم أقف عليه. ويغني عن هذه القصة ما أخرجه مسلم (٢٦٢١) عن جندب، أن رسول الله ﷺ، حدَّث: «**أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألَّى علي أن لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان، وأحبطت عملك**» أو كما قال. يتألى: يحلف والألية اليمين.

وأخرج أبو داود (٤٩٠١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كان رجلان في بني إسرائيل متآخيين، فكان أحدهما يذنب، والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول أقصر. فوجده يومًا على ذنب، فقال له: أقصر. فقال: خلني وربي أبعثت على رقيبًا؟ فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله الجنة! فقبض أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالمًا أو كنت على ما في يدي قادرًا؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي. وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار**». قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته.

وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٤٤٥٥).

(٣) هذا قول بعيد عن الصواب، والنهي عن المنكر لا يكون بالسبِّ والضرب، وإنما بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة، وبالترغيب والترهيب بالآيات والأحاديث الصحيحة. أما السب والضرب فظلم وبغي وسوء خلق، وهو يزيد المبتدع والفاسق نفرة من الحق والخير، والسب لا يجوز بحال إلا أن ينتصف الإنسان ممن سبه دون أن يفحش في القول، أما الضرب فمن اختصاص من له سلطة وولاية، وبالله التوفيق. (ت)

(٤) في (ق): على.

الشرع الظاهر، ويرحمهم، ويدعو لهم في الباطن، وكذلك الحاكم يقتل مَن قتل، ويقطع يدَ مَن سرق، ويُحدُّ مَن وجب عليه الحدَّ، ويعزر من وجب عليه التعزير؛ يستوي في ذلك الرجال والنساء، ولا يقبل فيهم شفاعة الشافعين، هذا في الظاهر، وفي الباطن لا يسخر منهم، ولا يشمت بهم؛ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ [الحجرات: ١١] الآية. ولقوله ﷺ: «**لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك**»[١].

فلا تسخر من أحد واقتبس من هذه الأنوار، وإياك والعجب؛ فإنها بدعة مشؤومة، يلقي صاحبها في النار، كما جاء في الأخبار: «**ثلاث منجيات، وثلاث مهلكات، فأما المهلكات: فشحٌ مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه. وأما المنجيات: فالعدل في الرضى والغضب، والاقتصاد في الفاقة والغنى، وخشية الله تعالى في السر والعلانية**»[٢].

قال الشعبي: كان رجل إذا مشى أظلته سحابة[٣]، فقال رجل: لأمشينَّ في ظله. فأعجب العابد بنفسه، وقال: مثل هذا يمشي في ظلي. فلما افترقا ذهب الظل مع ذلك الرجل الذي كان يمشي معه[٤].

فانظر إلى شؤم العجب، كيف صير هذا العابد كمريض بغير عائد.

وقال مطرف بن عبد الله: لأن أبيت نائمًا وأصبح نادمًا أحب إليَّ من أن أبيت قائمًا، وأصبح معجبًا[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي في «جامعه» (٢٥٠٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» ٥٣/٢٢ (١٢٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٧٧٧) من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وقال الألباني في «الضعيفة» (٥٤٢٦): ضعيف.

(٢) سبق تخريجه قريبًا.

(٣) في (ق): غمامة.

(٤) ذكره أبو الليث السمرقندي في «تنبيه الغافلين» ٤٨٥.

(٥) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٤٤٨)، وأحمد بن حنبل في «الزهد» ٢٤١/١، من كلام التابعي الجليل مطرِّف بن عبد الله بن الشخير البصري رحمه الله.

ومن عرف نفسه لا يدخل عليه العجب كالصحابة والتابعين لهم بإحسان: كان أحدهم لا يعرف من بين عبيده، يأكلون جميعًا، ويلبسون سواءً، فكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يشتري ثوبين، ويخيطهما ويلقيهما بين يدي عبده، فيختار العبد أيهما شاء.

وصحَّ أن البشير النذير كان يطحن مع الخادم، ويحلب الشاة، ويعلف البعير، ويحمل حوائجه من السوق البعض على يديه وشيء في ثوبه، ويخيط ثوب الأرملة، ويخصف نعل(١) الفقير(٢).

---

(١) في (ق): ثوب.

(٢) قال الغزالي في «إحياء علوم الدين» ٣٥٦/٣: وقد قال أبو سلمة قلت لأبي سعيد الخدري: ما ترى فيما أحدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم؟ فقال: يا ابن أخي كل لله، واشرب لله، والبس لله، وكل شيء من ذلك دخله زهو أو مباهاة أو رياء أو سمعة فهو معصية وسرف، وعالج في بيتك من الخدمة ما كان يعالج رسول الله ﷺ في بيته، كان يعلف الناضح، ويعقل البعير، ويقم البيت، ويحلب الشاة، ويخصف النعل، ويرقع الثوب، ويأكل مع خادمه، ويطحن عنه إذا أعيا، ويشتري الشيء من السوق، ولا يمنعه الحياء أن يلعقه بيده أو يجعله في طرف ثوبه، وينقلب إلى أهله يصافح الغني والفقير والكبير والصغير، ويسلم مبتدئًا على كل من استقبله من صغير أو كبير، أسود أو أحمر، حر أو عبد، من أهل الصلاة، ليست له حلة لمدخله، وحلة لمخرجه، لا يستحي من أن يجيب إذا دعي، وإن كان أشعث أغبر، ولا يحقر ما دعي إليه وإن لم يجد إلا حشف الدقل، لا يرفع غداء لعشاء، ولا عشاء لغداء، هين المؤنة، لين الخلق، كريم الطبيعة، جميل المعاشرة، طليق الوجه، بسام من غير ضحك، محزون من غير عبوس، شديد في غير عنف، متواضع في غير مذلة، جواد من غير سرف، رحيم لكل ذي قربى ومسلم، رقيق القلب دائم الإطراق، لم يبشم قط من شبع، ولا يمد يده من طمع. قال أبو سلمة: فدخلت على عائشة رضي الله عنها فحدثتها بما قال أبو سعيد في زهد رسول الله ﷺ، فقالت: ما أخطأ منه حرفًا، ولقد قصر إذ ما أخبرك أن رسول الله ﷺ لم يمتلئ قط شبعًا، ولم يبث إلى أحد شكوى، وإن كانت الفاقة لأحب إليه من اليسار والغنى، وإن كان ليظل جائعًا يلتوي ليلته حتى يصبح، فما يمنعه ذلك عن صيام يومه، ولو شاء أن يسأل ربه فيؤتى بكنوز الأرض وثمارها، ورغد عيشها، من مشارق الأرض ومغاربها، لفعل، وربما بكيت رحمة له مما أوتي من الجوع، فأمسح بطنه بيدي، وأقول: نفسي لك الفداء، لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك، ويمنعك من الجوع؟ فيقول: **«يا عائشة إخواني من أولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا، فمضوا على**=

وروي أنه كان يحط يده في يد الجارية، فتذهب به حيث شاءت[١].

وركب حمارًا عريانًا، وكان من جملة خُلُقه اللطيف إذا ركب الناقة يحب الرديف؛ فخلقه الجميل وخلق الأصحاب لا يحصرهم هذا الكتاب، لكن ذكرنا شيئًا من بعض صفات الأحباب، وليعلم الإنسان أن الله سبحانه قد نفى عنهم الكبر والإعجاب.

روي أن سلمان الفارسي كان يضفر الخوص في أمريته، فلامه بعض الناس[٢]، فقال رضي الله عنه: جئتكم ومعي درهم من حلال أشتري به خوصًا وأعمله قففًا[٣]، فيصير الدرهم ثلاثًا، فأتصدق بدرهم، والدرهم الآخر أنفقه على عيالي، والدرهم الباقي هو رأس مالي، والله لو نهاني عن ذلك عمر بن الخطاب ما انتهيت[٤].

وكان أبو هريرة رضي الله عنه يحتطب ويبيعه، فينفقه على نفسه وعلى عياله، وهو يومئذٍ أمير بالمدائن، وكان إذا اشتد الزحام والحطب على ظهره يقولون: طرِّقوا للأمير[٥].

ومع هذا الاحتياط العظيم كان الخوف قد استولى على قلوبهم،

= **حالهم، وقدموا على ربهم، فأكرم مآبهم، وأجزل ثوابهم، فأجدني أستحيي إن ترفهت في معيشتي أن يقصر بي دونهم، فأصبر أيامًا يسيرة، أحب إلي من أن ينقص حظي غدًا في الآخرة، وما من شيء أحب إلي من اللحوق بإخواني وأخلائي»**، قالت عائشة رضي الله عنها: فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله عز وجل.

قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: حديث أبي سعيد الخدري وعائشة... بطوله؛ لم أقف له على إسنادٍ.

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في «مسنده» ٣/ ٩٨ (١١٩٤١)، وابن ماجه في «سننه» (٤١٧٧) عن أنس بن مالك موصولاً.

وأخرجه البخاري في «صحيحه» (٦٠٧٢) معلقًا، بلفظ: إن كانت الأَمَة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ، فتنطلق به حيث شاءت.

(٢) في (خ): الصالحين.

(٣) في (ب): قفصًا.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) ذكره ابن الأثير في «جامع الأصول» في ألفاظ حديث لأبي هريرة برقم: (٨٢١٧).

فبعض الصحابة لم يدخل في أمر من أمور الدنيا قط، وخُطب على الولاية وأبى، وبعضهم عزل نفسه، وولّى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يُعرف بعمير على أهل حمص، ثم عزله بعد سنة، فذهب من حمص[1] ماشيًا، وأتى إلى المدينة على ساكنها السلام ماشيًا، فدخل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد تغير من مشقة الطريق، فقال عمر: ما بالك؟ قال: ما بي شيء، هذا جرابي لزادي، وقصعتي لأجل وضوئي وطعامي، وعكازي أجاهد به عدوي، والدنيا كلها تبعًا لي. فلام عمر أهل حمص لأجل ما تركوا أميرهم بعد سنة يأتي من عندهم ماشيًا، فقال عمير: اتق الله يا عمر، ولا تغتاب المسلمين، فقد نهاك الله عن الغيبة، أنا لم أطلب منهم شيئًا. فطلب عمر أن يوليه أمرًا آخر، فأبى وقال: لقد كان يومًا مشؤومًا عليَّ الذي (عملت لك)[2] فيه، لقد قلت يومًا لنصراني: أخزاه الله. فكيف يكون حالي بين يدي الله تعالى؟! فلو لم تولني أنت ما سببت أحدًا. ثم ذهب إلى أهله، وكانوا في قرية ظاهر المدينة، فطلبه عمر وأعطاه وسقًا من طعام وثوبين، فقبل الثوبين وقال: أم فلان عريانة. وردَّ الوسق، وقال: قد تركت في البيت قُوت يومين، وما ندري نعيش لثلاث أم لا. فمات عمير بعد ثلاثة أيام، فخرج عمر بن الخطاب في جنازته حافيًا باكيًا[3].

فمَن هذا من بعض أحواله، من أين يأتيه الكبر أو العجب؟! لا يدخلان إلا على رجل قد سخط الله عليه لجلوسه متكئًا، والخدم قد طال وقوفهم (بغير حاجة)[4] بين يديه، وقد جاء في الأخبار أن (تلك صفة)[5] أهل النار.

---

(١) في (خ، ق): لحمص.

(٢) في (خ، ب): رأيتك.

(٣) انظر: «طبقات ابن سعد» ٧/٤٠٢.

وعمير هذا هو عمير بن سعد بن عبيد الأنصاري الصحابي، الذي كان يقال فيه: «عمير نسيج وحده».

(٤) ليست في (ق).

(٥) في (خ، ب): هذه صفات.

وقد وصى النبي ﷺ على الإماء والعبيد، فمن عمل بوصيته ورحمهم؛ رحمه الله تعالى، وأعطاه ما يريد، فقال في وصيته: «**لا تكلفوهم؛ فإنهم لحم ودم كأمثالكم؛ ألا من كلَّفهم كنت خصمه يوم القيامة**»[1].

ومن السنة أن لا يغلظ عليهم في الكلام جبرًا لقلوبهم؛ فإنها مكسورة لأجل العبودية، ولمفارقة الإخوان والأهل والأوطان، والتشتت في البراري والبلدان، فمن جبرهم جبره علام الغيوب يوم تنكسر فيه القلوب، ومن رحمهم وأراحهم في هذه المدة القليلة أراحه[2] الله تعالى راحة طويلة[3].

قال صلوات الله عليه وسلامه: «**الرحماء يرحمهم الرحمٰن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، من لا يَرحم لا يُرحم**»[4].

فإذا طال وقوف الأجناد والمماليك بغير حاجة بين يدي الأمير، ولم يأذن لهم بالجلوس، فقد سقط من عين الملك القدوس القدير، وخرج عن طريق البشير النذير، وهو نوع من التكبر، ومن صفات الجبابرة والفراعنة

---

(١) لم نجده، وانظر حديث أبي ذر الآتي، وقد صحَّ أنَّ عامة وصية رسول الله ﷺ كانت: «**الصلاةَ الصلاةَ، وما ملكت أيمانكم**»، وفي لفظ: «**اتقوا الله، وما ملكت أيمانكم**» حتى جعل يغرغر بها في صدره، وما يفيض بها لسانه. انظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٨٦٨).

(٢) في (ق): أراحهم.

(٣) وأخرج أحمد في «مسنده» ١٦١/٥ (٢١٤٣٢)، والبخاري في «صحيحه» (٣٠)، وفي «الأدب المفرد» (١٨٩)، ومسلم في «صحيحه» (١٦٦١)، وابن ماجه في «سننه» (٣٦٩٠)، وأبو داود في «سننه» (٥١٥٧)، والترمذي في «جامعه» (١٩٤٥) عن المعرور بن سويد قال: لقيت أبا ذر بالربدة وعليه حلة وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك، فقال: إني سابتت رجلًا فعيرته بأمه؛ فقال لي النبي ﷺ: «**يا أبا ذر، أعيرته بأمه؟! إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم**».

(٤) هذا حديث حسن صحيح، وقد سبق تخريجه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص بلفظ: «**الراحمون يرحمهم الرحمٰن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**».

(لعنهم الله)[1]، ومن تشبه بقوم (في الدنيا)[2] حُشر معهم في الدار الآخرة، كذا ورد في الأخبار المتواترة[3]، وقال ﷺ: «**من تشبه بغيرنا فليس منا**»[4].

ومن السنة أن يعفو السيد عن عبده إذا غضب عليه، ويتذكر غضب الله تعالى، كما جاء في الحديث: «**يقول الله تعالى: يا عبدي، اذكر غضبي إذا غضبت**»[5].

فقد مدح الله تعالى من كظم غيظه بقوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، والمحب لا يعذب محبوبه. وفي الخبر: «**ينادي منادٍ يوم القيامة: أين من كان أجره على الله؟ فليقم. فلا يقوم إلا من عفا**»[6].

وتصديق الحديث قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، فإن كان ولا بد من ضربه، فلا يزيد على ثلاث، فإنه

---

(١) ليست في (ق).

(٢) ليست في (ق).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (٥٠٣) من حديث جابر، قال: قال النبي ﷺ: «**من تشبه بغيرنا فليس منا، ولا تسلموا بتسليم اليهود والنصارى، فإن تسليم اليهود بالأكف، وتسليم النصارى بالإشارة**».
وإسناده ضعيفٌ جدًا، لكن له طرق ليس فيها الجملة الأولى، فراجع «الصحيحة» (١٧٨٣).

(٥) لم أقف عليه.

(٦) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» ٨٧/١٨ عن علي بلفظ: «**ينادى مناد يوم القيامة من بطنان العرش: ألا فليقم من كان أجره على الله. فلا يقم إلا من عفا عن أخيه**».
وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٣١٣) عن أنس: عن النبي ﷺ قال: «**ينادي مناد: من كان أجره على الله فليدخل الجنة مرتين. فيقوم من عفا عن أخيه، قال الله تعالى**: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]».
وقال العراقي في «تخريج الإحياء»: أخرجه الطبراني في «مكارم الأخلاق»، وفيه الفضل بن يسار ولا يتابع على حديثه.
وانظر: «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٢٥٨٣).

قصاص يوم القيامة، ويرى السيد تقصير رقيقه في خدمته من تقصيره هو في خدمة سيده وخالقه.

كان محمد بن المنكدر إذا غضب على غلامه يقول: ما أشبهك بسيدك[1].

وعرك عثمان بن عفان رضي الله عنه أذن غلامه مرة، ثم ندم على فعله، وقال لغلامه: اعرك أذني كما فعلت بك. وأكرهه على ذلك[2].

وغضب مرة أبو هريرة على غلام[3] له فرفع يده ليضربه، فافتكر القصاص، وقال: لأبيعنك لمن يوفيني ثمنك. فأعتقه[4].

وإذا ضرب الرجل مملوكه، فأقسم عليه بالله تعالى؛ فليتركه ويبر قسم الله تعالى[5]؛ إلا أن يكون حدًّا من حدود الله عز وجل، فإن لم يوافقه المملوك على ما يريد فلا يعذبه على ممر الأيام والشهور، والحق سبحانه غيور، وليس له ناصر إلا الرب الغفور. وقد نهى الشرع[6] عن تعذيب الحيوان؛ فما ظنك بالإنسان! فينبغي بيعه ولو بثمن بخس؛ نقص الدنيا ولا ذهاب الآخرة. وإن كانت الدابة تحمل السيد وعبده فلا يتركه يسعى خلفه؛ فإنه نوع من التكبر، وخلاف للسنة، فإن لم تطق الدابة حملهما فلا يسرع في السير لأجل راحة عبده، فلا يدري لعل العبد أفضل من سيده عند الله تعالى، فيا حسرة سيد تجره إلى النار الزبانية، وعبده تتلقاه الملائكة لجنة قطوفها دانية، وهذه حسرة عظيمة؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾

---

(١) أخرج ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٧/٥٠ أن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود كان إذا غضب على غلامه قال: ما أشبهك بمولاك، تعصيني وأنا أعصي الله، فإذا اشتد غضبه قال: أنت حر لوجه الله.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في (خ): خادم.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) في (ق): قسمه.

(٦) في (ق): الحق.

[مريم: ٣٩]، ومن الإحسان: إذا طالت المدة، أو كبر العبد عند سيده، (أن يعتقه)[1] لعله ينجو من عهدته كفافًا.

وجاء في الحديث الصحيح: «**إن الله تعالى يعتق بكلِّ عضوٍ من العبد عضوًا من السيد حتى الفرج بالفرج**»[2]، ويحسن السيد لمن كان (من مماليكه)[3] أكثر دينًا، لا أكثر حسنًا؛ موافقة لله تعالى، فإنه يحب من أطاعه ويبغض من عصاه. فإن كان العبد طائعًا لربه ممتثلاً أوامر سيده، معتدل القامة؛ كان خيرًا على خير، الذي حسَّن الله تعالى خَلقه وخُلقه. لكن النفس تميل إلى الشاب الجميل، ومن نظر إليه بشهوة سقط من عين المولى الجليل، وقد حسَّن الله سبحانه هذه المحسنات لمعانٍ ثلاث:

الأولى: يقول الإنسان[4]: هذا حُسْنُ ما يفنَى، فما بالك بحسن ما يبقى.

والثانية: ليحصل للصابر الثواب بكف الكف عن العصيان، وظهور ثمرة الإيمان؛ فإن في الشرع لا يحل النظر إليه بغير حاجة، وتحرم الخلوة به، ولا يحل أيضًا لمسه إلا بغير شهوة؛ لأن النفس تلتذ بجميع ما ذكرناه، وتلتذ النفس أيضًا بمجالسته وبكلامه وبسلامه، ونهى الشرع عن مجالستهم، وعن النظر إليهم.

وقد تقدم قول سهل بن عبد الله: إنه سيكون في هذه الأمة أناس يقال لهم: اللوطيون، وهم على ثلاثة أصناف: صنف ينظرون، وصنف

---

(١) في (خ، ب): أعتقه.

(٢) أخرجه أحمد ٣/٤٩٠ (١٦٠١٠)، وأبو داود (٣٩٦٤)، والنسائي في «الكبرى» (٤٨٩٢)، وابن حبان (٤٣٠٧)، والحاكم ٢/٢١٢، عن الغريف الديلمي، قال: أتينا واثلة بن الأسقع الليثي، فقلنا: حدِّثنا حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ، قال: أتينا النبيَّ ﷺ في صاحبٍ لنا قد أوجب، فقال: «**اعتقوا عنه، يعتق الله عز وجل بكل عضو منه عضوًا منه من النار**».

وقال ابن الملقن في «البدر المنير» ٨/٥٠٣: حديث صحيح.

(٣) في (ق): في ممالكه.

(٤) في (خ، ب): القائل.

يصافحون، وصنف يعملون ذلك العمل الخبيث. نعوذ بالله العظيم من ذلك كله. قال ﷺ: «**ملعون ملعون ملعون، من عمل بعمل قوم لوط**»[1]، وقال: «**أخوف ما أخاف على أمتي من بعدي عمل قوم لوط، ألا فلترتقب أمتي العذاب إذا اكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء**»[2].

وفي حديثٍ آخر: «**لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلًا أو امرأة في دبرها**»[3]. وقال عليه السلام: «**من مات من أمتي وقد عمل عمل قوم لوط؛ نقله الله إليهم حتى يحشر معهم**»[4].

---

(١) سلف ذكره وتخريجه.

(٢) أخرج أحمد ٣/٣٨٢، وابن ماجه (٢٥٦٣)، والترمذي (١٤٥٧) عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط».
قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.
وحسَّنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤١٧).
وأخرج البيهقي في «شعب الإيمان» (٥١٩٤) عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا استعملت أمتي خمسًا فعليهم الدمار: إذا ظهر فيهم التلاعن، ولبس الحرير، واتخذوا القينات، وشربوا الخمور، واكتفى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء**». ثم ساقه من وجه آخر (٥١٩٥) عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا استحلت أمتي خمسًا فعليهم الدمار: إذا ظهر التلاعن، وشربوا الخمور، ولبسوا الحرير، واتخذوا القيان، واكتفى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء**». ثم قال البيهقي: إسناده وإسناد ما قبله غير قوي، غير أنه إذا ضم بعضه إلى بعض أخذ قوة، والله أعلم.
وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٠٥٤): حسن لغيره.

(٣) أخرجه الترمذي (١١٦٥)، والنسائي في «الكبرى» (٨٩٥٢)، وأبو يعلى (٢٣٧٨)، وابن حبان (٤٢٠٣) و(٤٢٠٤) و(٤٤١٨) عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلاً أو امرأة في الدبر**».
قال الألباني في «آداب الزفاف»: وسنده حسن وحسنه الترمذي وصححه ابن راهويه كما في «مسائل المروزي». وصححه أيضًا: ابن حزم في «المحلى» ١٠/٧٠، وابن دقيق العيد في «الإلمام» (١١٢٧).
وراجع طرق الحديث وشواهده الكثيرة في «البدر المنير» لابن الملقن ٧/٦٥٠.

(٤) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» ١٢/٤٧٤، وابن الجوزي في «ذم الهوى» ٢٠٨ من حديث أنس رضي الله عنه.
وهو ضعيف جدًا، كما قال الألباني في «ضعيف الجامع الصغير» (٥٨٥١).

قال المؤلف: يكفي اللوطي من البلاء اختلاطه يوم القيامة مع قوم لوط، وبعده من المؤمنين.

والثالثة: حسَّنَ المحسَّنات ليختبرك هل تحبها أو تحبه؟ فإن تركت ما يفنى عوضك الحق بما يبقى. وجاء في الحديث: «**من ترك شيئًا لله عوضه الله ما هو خير منه**»[1]، فكثير من العباد نظروا[2] لظاهر زينة الدنيا، فافتتنوا[3]، ومن أيقظه الله تعالى نظر إلى باطنها، فرأى أولها حسنًا، وآخرها فناءً وبلاءً وحزنًا، فلما رأى (آخرها زهد في أولها)[4]، فتركها قبل أن تتركه، وعمَّر قبره بالأعمال الصالحة، قبل أن يدخله، وعمل على رضَى مولاه قبل أن يلقاه.

قال بعض الأغنياء لفقير: ما لنا لا نحب الموت؟ قال: لأنكم عمرتم دنياكم، وأخربتم أخراكم، والإنسان لا يحب النقلة من العمارة إلى الخراب[5].

ومن البدع ما يفعله بعض جهلة المسلمين، فيلبس مملوكه الجميل الذهب والحرير، فيزداد بذلك حسنًا على حسنه، فيشغل به القلوب، ويوقع العباد في المعاصي والذنوب، فيسقط السيد من عين علام الغيوب؛ لفعله ذلك، ولوقوفه بغير حاجة بين يديه، ولتمتعه بالنظر إليه، فيكون مبتدعًا عاصيًا من ثلاث وجوه، ونعوذ بالله من فعل الرابعة أن يوقعه الشيطان فيها.

أولها: لبس الذهب والحرير، وهما حرامان على ذكور هذه الأمة، والإثم على من ألبسه.

والثاني: النظر إليه بشهوة، وهذه والأولى حرامان على المسلمين[6]

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) في (ق): إذا نظر.

(٣) في (ق): افتتن.

(٤) في (خ، ب): أولها زهد في آخرها.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) في (خ، ب): المؤمنين.

بإجماع المسلمين، وطول الوقوف بغير حاجة من أفعال المتكبرين، فإن قال قائل: أنا أحب النظر إلى ما حسَّنه الله من الصور، لكن ما في قلبي خيانة. كذب والذي أسبل على الخلق ستره وإحسانه؛ لأن الله تعالى لما خلق النفوس خلق فيها الميل، ولذلك قال تعالى: ﴿فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ [النساء: ١٢٩]، وقد خلق الله تعالى في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وأباح الجميع لآدم عليه السلام غير شجرة، وكان جلساؤه الملائكة فلما خلق تعالى حواء ترك آدم الجميع ومشى خلفها، فلما مالت نفسه إليها زوجه الله تعالى بها، ولما دخل النسوة على يوسف عليه السلام يراودنه بأن لا يخالف امرأة العزيز خاف على نفسه من الميل؛ فدعا ربه وقال: يا رب، كانت واحدة صرن جماعة، ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ [يوسف: ٣٣ ـ ٣٤]. فمن بارز الله تعالى بالميل إلى محرم ثم ادعى القوة والعصمة، يخاف عليه (من الميل به إلى)[١] جهنم، وقد جاء في بعض الآثار: من قارف الفتنة وادعى العصمة فارجموه فإنه كذاب[٢]. فنفس آدم عليه السلام مالت، وهذا العبد الكثيف الخارج عن الشرع الشريف يدعي القوة، وهو ضعيف، والدليل على ضعفه قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]. فسَّرها سفيان وقال: هي المرأة تمر بالرجل فلا يملك نفسه عن النظر إليها، ولا ينتفع بها. وأي شيء أضعف من هذا؟[٣].

والغلام الحسن الوجه هو بمنزلة النساء؛ بل هو أشد فتنة؛ لأن المرأة بمعزل عن الرجال، وهذا مختلط بهم، والمرأة قد يصل إليها بالزواج، وهذا قد حرَّمه الله تعالى أبدًا (على طول المدى)[٤]، فلا تلق نفسك بصحبته في

---

(١) في (خ): أن تميل به.

(٢) أورده السفاريني في «غذاء الألباب شرح منظومة الآداب» ٧٢/١.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢١٦/٨، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٩٢٦/٣ عن سفيان، عن ابن طاوس، عن أبيه.

(٤) ليست في (ق).

المهالك والردى، ولا تقل بمشاهدته فتخرج عن السنة، وتدخل في طريق من ضلَّ واعتدى. وكان السلف الصالح إذا رأى أحدهم الأمرد يفر منه كما يفر من الأسد.

قال المؤلف عفا الله عنه: رأيت فرسًا عند بعض الأصحاب إذا قرب منه الأمرد يميل برأسه إليه ويلعب معه، وإذا جاءه الرجل الملتحي يكدمه ويرفسه. فالدابة تميل وهذا الآدمي الخارج الثقيل قال إنه لا يميل، فيخالف بقوله وفعله الدليل، ويعصى المولى الجليل.

ثم اعلم بأن المملوك عند سيده أمانة؛ فإن ظلمه أو أغضبه أو نظر إليه بشهوة وقع في الذنوب والخيانة، فيخاف على سيده أن لا يوفقه الله تعالى، ولا يرزقه أمانَهُ.

وإن كان السيد محصنًا وأراد الفساد بعبده، ولم يمكن الخلاص لعبده منه إلا بقتل سيده لم يأثم العبد بقتله، فيقلُّ الفساد، وتستريح منه البلاد والعباد؛ لأن المملوك هو للخدمة لا للفراش كما جاء في الحديث «الصحيح»[(١)]، وكذلك إذا غصب الرجل امرأةً أجنبيةً، وأراد بها الفساد، ولم تقدر أن تتخلص منه إلا بقتله لم تأثم بقتله. وكذلك إذا علمت المرأةُ أن زوجها طلقها ثلاثًا، أو الطلاق البائن ثم جاء يريد جماعها بقلة دينه؛ إن عملت له شيئًا فمات منه لم تأثم، بهذا أخبرنا علماؤنا[(٢)].

---

(١) لا ندري أي حديث يقصد، وكون العبد المملوك الذَّكر للخدمة لا للفراش مما لا يختلف فيه أحد من المسلمين، وكذلك سيدته لا يجوز لها أن تستمتع بعبدها إجماعًا، ولكن لها أن تعتقه وتتزوجه إذا شاءت ذلك، أما الأمة المملوكة فيباح للسيد الذكر الاستمتاع بأمته، وفي هذا رفع لشأنها، فإن الأمة إذا استمتع بها سيدها ربما تأتي منه بولد فيرتفع قدرها بذلك، وتكون حرة بعد موت سيدها لا تورث ولا تباع.

(٢) قال ابن نجيم في «البحر الرائق شرح كنز الحقائق» ٢٧٧/٣: «وهل لها أن تقتله إذا أراد جماعها بعد علمها بالبينونة فيه قولان، والفتوى: أنه ليس لها أن تقتله، وعلى القول بقتله تقتله بالدواء، فإن قتلته بالسلاح وجب القصاص عليها، وليس لها أن تقتل نفسها، وعليها أن تفدي نفسها بمال أو تهرب، وليس له أن يقتلها إذا حرمت عليه، =

والذي يباح من النظر هو أن يقع نظره على شيء بغير تعمد، وينظر السيد أو المعلم للصبي الحسن بقدر الحاجة من أمر ونهي أو تعليم شيء، فإذا فرغ من حاجته غضَّ بصره.

وكذلك الطبيب والشاهد ومشتري الجارية، ينظرون بقدر الحاجة، فما[1] زاد نقص عند الله تعالى، وكل مَن تحلت النفس بالنظر إليه فنظره حرام، وسواء كان المنظور إليه ابن سبعين سنة أو بنت شهرين، وسواء كانت امرأة أبيه أو امرأة ابنه، أو بنت امرأته التي دخل بها، والنظر يباح للشاهد والطبيب ومشتري الجارية وإن اشتهت نفوسهم؛ لأجل الضرورة ولمصالح العباد، فإذا عرف حلية المرأة لا يزيد[2].

ألا ترى أن الإنسان إذا اضطر أُحلت له الميتة، فيتناول منها قدر القوت؛ لكي لا يموت، والزيادة حرام، وقال بعضهم: يأكل حتى يشبع ولا عليه ملام؟ ويجوز شرب الخمر لمن وقف في حلقه شيء، فإذا نزلت اللقمة فالزيادة حرام، وكذلك من ابتلي بالعطش المهلك، ولم يجد غير محرم يشرب منه قدر ما يزيل عطشه، والزيادة حرام، ونظيره كثير، ونسأل الله حسن الخاتمة واللطف والتدبير فيما جرت به المقادير.

وقد جاء في الحديث: «**إن سبعة لا ينظر الله إليهم ولا يزكيهم، ويقول: ادخلوا النار مع الداخلين**»، وذكر من جملتهم: «**اللوطي، والجامع بين المرأة وابنتها**»[3]، وهذا يدل على أن النفس الخبيثة تزني بمحارمها،

= ولا يقدر أن يتخلص منها بسبب أنه كلما هرب ردته بالسحر، الكلُّ في «شرح المنظومة» لابن الشحنة».

قلتُ: هذا رأي خالٍ من الدليل، وهو غير سديد، والإذن لها بقتله سرًا بسمٍّ ونحوه أقبح وأسوأ من تحريضها على قتله بالسلاح، فإنه يفتح بابًا عظيمًا للفساد والفوضى والجرأة على الدماء، خاصَّة من امرأة قد أغاظها طلاق زوجها لها، فتصنع له مكيدة وتقتله، وتدعي أنه أراد جماعها! (ت)

(١) في (خ): ومن.

(٢) في (خ): يزاد.

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٤٧٠) من حديث أنس بن مالك، ولفظه: =

وهذه الآفات تأتي من النظر إلى المحرمات. فالقلب كثير التقلب والميل إلى المحسنات، قال ﷺ: «**ما سمي القلب قلبًا إلا لتقلبه، فإذا ثبَّته الحقُّ ثبت**»[1]، قال المولى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. وكان ﷺ يقول: «**اللَّهم يا مثبت القلوب ثبت قلبي على طاعتك**»[2].

والقلوب على أقسام: قلب كالشجرة الخضراء، وقلب كالشجرة اليابسة، فإذا هبت رياح المعاصي فالشجرة[3] الخضراء تتحرك، لكن أصلها ثابت، مالت ولم تقلع، وهذه صفة قلب المؤمن الطائع، وأما الشجرة اليابسة فتقلع، وهذا قلب المؤمن العاصي.

والقلب هو قوام البدن؛ إن مال القلب مالت جميع الجوارح معه، وإن اعتدل القلب اعتدل الكل؛ قال ﷺ: «**إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»[4].

= «**سبعة لا ينظر الله عز وجل إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا يجمعهم مع العالمين، يدخلهم النار أول الداخلين إلا أن يتوبوا، إلا أن يتوبوا، إلا أن يتوبوا، فمن تاب تاب الله عليه: الناكح يده، والفاعل، والمفعول به، ومدمن الخمر، والضارب أبويه حتى يستغيثا، والمؤذي جيرانه حتى يلعنوا، والناكح حليلة جاره**».

قال ابن الجوزي في «العلل المتناهية» ٦٣٣/٢: هذا حديث لا يصح عن رسول الله.

وقال ابن كثير في «تفسيره» ٤٦٣/٥: هذا حديث غريب، وإسناده فيه من لا يعرف؛ لجهالته.

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٤٠٨/٤ عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما سمي القلب من تقلبه، إنما مثل القلب كمثل ريشة معلقة في أصل شجرة، يقلبها الريح ظهرًا لبطن**».

واختلف في رفعه ووقفه، والظاهر أن الأرجح هو الوقف كما تجده في التعليق على «المسند» (١٩٧٥٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٣٦٥) مرفوعًا.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٤١٨/٢ (٩٤٢٠)، وعبد بن حميد في «مسنده» (١٥١٨)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٣٠٤) من حديث عائشة أنها قالت: ما رفع رسول الله ﷺ رأسه إلى السماء إلا قال: «**يا مصرف القلوب ثبت قلبي على طاعتك**».

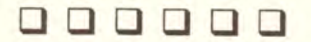
(٣) في (خ): على الشجرة.

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٥٢)، ومسلم في «صحيحه» (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

والعبد الطائع لله تعالى ولسيده له أجران، والآبق يحبط الله عمله ويدخله النار؛ إلا أن يهرب من دار الحرب، فيعتق على سيده بدخوله دار الإسلام والإيمان. ومن الدناءة أن يستعمل السيد من أعتقه.

ولا يخرج العبد من طاعة سيده إلا أن يأمره بمعصية، وكذلك الجارية والزوجة إن لم تخف إحداهن على هلاك[1] عضو من أعضائها (أو الإتلاف)[2]، فحينئذٍ لم تأثم بفعل المعصية لأجل الخوف بلا خلاف. ويبنى على ذلك الكفر بالله تعالى والسب والسجود للصليب؛ كل ذلك لا يضرُّه إذا كان القلب مؤمنًا بالحبيب.

ويكره للخادم أن يذوق الطعام في وقت الصِّيام، إذا كان السيد صالحًا؛ لأن الصالح لا يعذب الخدام لأجل ملوحة الطعام؛ لأنه يرى الأشياء من الملك العلام، وهو راضٍ عن الله سبحانه، والله تعالى يرضى عنه، ويدخله الجنة بسلام، فإن كانَ السيد ظالمًا يؤلم عبده لأجل ملوحة الطعام؛ فيذوقه العبد قبل غروب الشمس في رمضان وغيره ولا عليه ملام، ومن السنة أن لا يرضى السيد من خدمه بالفاحشة لكيَ لا يكون شريكهم في الإثم، وقال بعض العلماء: يقيم عليهم الحد؛ فإن لم يفعل خرج عن طريق من ظللته الغمامة، ويؤخذ منه الحد يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، والخدم من جملة الأهل، ومن السنة إذا بلغ العبد الصالح، وخاف عليه سيده من العنت يزوجه، والولد بطريق الأولى، فإن بلغ الولد ولم يزوجه والده مع القدرة؛ خرج الأب عن السنة. ومهما وقع من الولد من المعاصي الأب شريك الولد في الإثم، على كل واحدٍ منهما إثْمٌ كاملٌ؛ عملاً بحديث رسول الله ﷺ.



(١) في (ق): تلاف.

(٢) ليست في (ق).

فصل فيما ابتدعته المرازِقَةُ
في أقوالها وأفعالها في بعض القرى
بمصر والشام من الخزي والآثام
فأسخطوا بقولهم وفعلهم الملك العلام
وخرجوا عن طريق النبي عليه أفضل الصلاة والسلام

فتراهم مذبذبين: تارةً يتمسكون بمذهب الشافعي، وتارة يخالفونه ومن عداه من المسلمين، ويوافقون شيخهم والشيطان الغوي، ونسأل الله تعالى المليِّ الغنيِّ أن يسلمنا من البدع في الأقوال والأفعال، ويهدينا للطريق السَّويِّ، ويرزقنا حسن الخاتمة وهو القدير القوي، فترى أحد هؤلاء الأشقياء يخرجون عن السنة وعن طريق الأتقياء، ويفعلون شيئًا لا يرضي الخالق ولا المخلوق، ويستدلون على بدعتهم بكلام الشيخ مرزوق[1]، فيجتنبون جماعات المسلمين، وجُمَعَهُم، وشعائرهم، وأعيادهم، فإن صلى أحدهم في جماعة خوفًا من التوبيخ والعار والشناعة نوى الصلاة وحده، وإن اتفق ذلك في مكة المشرفة أو المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام والسكينة.

فانظر ـ رحمك الله! ـ إلى ما قدم هذا المخذول من البضاعة بين يدي

---

(١) هو الشيخ الفقيه عثمان بن مرزوق بن حميد القرشي المصري الحنبلي (ت ٥٦٤هـ) رحمه الله، وسنذكر ترجمته وكلام العلماء في أتباعه في آخر هذا الفصل.

الساعة، أحرم نفسه أجر الجماعة، وأخرجها عن طريق صاحب المعجزات والشفاعة، فتشبه هؤلاء المعتدون بأعداء الله المنافقين؛ فخسرت تجارتهم، وضل سعيهم وما كانوا مهتدين. قال ﷺ: «**الجماعة من سنن الهدى، لا يتخلف عنها إلا منافق**»[1].

ولقد همَّ النبي ﷺ أنْ يحرق بيوت من تخلف عن الجماعة بالنار صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وأتباعه السادة الأخيار، صحَّ ذلك في الأخبار[2]، فاعتبروا يا أولي العقول والأبصار.

روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: علمنا رسول الله ﷺ سنن الهدى، وإن من سنن الهدى الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه، ولقد رأيتُنا وما يتخلَّف عنها إلا منافق معلوم النفاق أو مريض، وإن كان المريض ليهادى بين رجلين حتى يقام في الصف، ولو صليتم كما يصلي هذا المتخلف في بيته؛ لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم[3].

---

(١) قال ابن حجر في «الدراية في تخريج أحاديث الهداية» (٢٠٠): لم أره مرفوعًا، وإنما لمسلم (٦٥٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه موقوفًا. وسيذكره المؤلف بعد أسطر.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٧٠)، وأحمد في «مسنده» ٢/٤٢٤ (٩٤٨٦)، والدارمي في «سننه» (١٢٧٣)، والبخاري في «صحيحه» (٦٥٧)، ومسلم في «صحيحه» (٦٥١)، وابن ماجه في «سننه» (٧٩١)، وأبو داود في «سننه» (٥٤٨)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٤٨٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٠٩٧) من حديث أبي هريرة بلفظ: «**إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلًا فيصلي بالناس، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار**».

(٣) أخرجه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (٣١٣)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١٩٧٩)، وأحمد في «مسنده» ١/٣٨٢، ٤١٤ ـ ٤١٥ (٣٦٢٣) و(٣٩٣٦)، ومسلم في «صحيحه» (٦٥٤)، وابن ماجه في «سننه» (٧٧٧)، وأبو داود في «سننه» (٥٥٠)، والنسائي في «المجتبى» ٢/١٠٨ (٨٤٨)، وفي «الكبرى» (٩٢٤)، وأبو عوانة في «مسنده» (١٢٦٢) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. ولفظ مسلم: «لقد رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة إلا منافق قد علم نفاقه، أو مريض، إن كان المريض ليمشي بين رجلين حتى يأتي الصلاة»، وقال: «إن رسول الله ﷺ علمنا سنن الهدى، وإن من سنن الهدى الصلاة في=

فمن اجتنب جماعات المسلمين وجُمَعَهُم فهو عبد معتدٍ كثيف، قد سقط من رحمة[1] المولى اللطيف؛ لدخوله في البدع، ولخروجه عن الشرع الشريف. قال صلوات الله عليه وسلامه: «**الجماعة رحمة**»[2]. فإذا ثبت أن الجماعة رحمة فمن خرج عنها فقد خرج من الرحمة وفاتته هذه المنة[3]، ودخل في البدعة واللعنة. وقال ﷺ: «**يد الله على الجماعة**»[4]، ولم يرخص النبي ﷺ في ترك الجماعة لمن كُفَّ بصره وهو ابن أم مكتوم، فاعمل بحديث السيد المعصوم، أيها التارك المحروم، فلما شكا ابن أم مكتوم للنبي ﷺ بُعد الدار، وما يلاقيه في مجيئه إلى المسجد من الأوعار، قال له: «**تسمع النداء؟**» قال: نعم. قال: «**فأجب**»[5]، فمن سمع النداء صار جار المسجد، وفي الحديث: «**لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد**»[6]،

= المسجد الذي يؤذن فيه». وفي رواية أخرى له: «من سره أن يلقى الله غدًا مسلمًا، فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهنَّ، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته، لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور، ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد، إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف».

(١) في (ق): عين.

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في «المسند» ٢٧٨/٤ (١٨٤٤٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٩٣)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٥)، عن النعمان بن بشير قال: قال النبي ﷺ على المنبر: «**من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، التحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر، والجماعة رحمة، والفرقة عذاب**».
وقال الألباني في «ظلال الجنة» (٩٣): حسن.

(٣) في (ب): السنة.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٦٥٣)، والنسائي في «المجتبى» ١١٠/٢ (٨٥٠)، وفي «الكبرى» (٩٢٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) أخرجه الدارقطني في «سننه» (٤٢٠/١)، والحاكم في «المستدرك» (٢٤٦/١)، والبيهقي في «الكبرى» (٥٧/٣) من حديث أبي هريرة.
وقال الألباني في «إرواء الغليل» (٢٥١/٢): ضعيف.

واسمع قول رب العالمين: ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٣١]. قال بعض العلماء: هو المؤذن. فالمؤذن يُعرِّف الناس بدخول الوقت، ويدعوهم إلى خدمة الملك العلام، وإلى الصلاة مع الإمام، والحق سبحانه يدعوهم إلى دار السلام[1]، يدعوك أيها العبد وهو غني عنك، ولم تجبه وأنت محتاج إليه، فانظر ماذا يكون حالك إذا (أوقفك الله تعالى)[2] بين يديه، ثم اعلم أن بلالاً وابن أم مكتوم رضي الله عنهما كانا يؤذنان في مسجد النبي ﷺ، وكان بلال يؤذن الفجر بليل، وابن أم مكتوم يؤذن في الوقت إذا طلع الفجر الثاني، ولكل منهما فائدة جليلة: أما أذان بلال بليل ليوقظ النائم ويسحر الصائم، فإذا أذن ابن أم مكتوم أمسك الصائم عن أكله وشربه، واستعد لخدمة خالقه وربه.

نرجع إلى مقصود الكتاب: قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩]. وقال ﷺ: **«من ترك جمعةً اسودَّ قلبُه»**[3]، وقال ﷺ: **«من ترك ثلاث جمع طبع الله على قلبه»**[4]. والطبع أشد من السواد، طبع الحق سبحانه على قلوبهم، لتخلفهم عن السعي بغير عُذر لخدمة سيدهم ومحبوبهم. فلما ادعوا المحبة وسعوا في مخالفة محبوبهم؛ محاهم الله سبحانه من ديوان المحبة، ولم يبلغهم إلى محبوبهم[5]، قال بعضهم:

---

(١) في (ب): الإسلام.

(٢) في (ق): وقفت.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣/٤٢٤ (١٥٤٩٨)، والدارمي في «سننه» (١٥٧٩)، وابن ماجه في «سننه» (١١٢٥)، وأبو داود في «سننه» (١٠٥٢)، والترمذي في «سننه» (٥٠٠)، والنسائي في «المجتبى» ٣/٨٨ (١٣٦٩)، وفي «السنن الكبرى» (١٥٨٢)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٨٥٧) عن أبي الجعد الضمري، قال: قال رسول الله ﷺ: **«من ترك ثلاث جمع تهاونًا بها طبع الله على قلبه»**.

وقال الحاكم في «المستدرك» ١/٢٨٠: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (٧٢٧): حسن صحيح.

(٥) في (خ، ب): مطلوبهم.

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا محالٌ في القياس[1] بديع
لو كنت فيه صادقًا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

قال ﷺ: **«يا أيها الناس، توبوا إلى ربكم من قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الزاكية قبل أن تشغلوا، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له، وبالصدقة في السر والعلانية؛ تنصروا وتجبروا وترزقوا، واعلموا أن الله قد فرض عليكم الجمعة في مقامي هذا، في يومي هذا، في شهري هذا، في عامي هذا إلى يوم القيامة، فمن تركها في حياتي أو بعد مماتي استخفافًا بها أو جحودًا لها وله إمام عادل أو جائر فلا جمع الله شمله، ولا بارك الله له في أمره: ألا لا صلاة له، ألا لا زكاة له، ألا لا صيام له، ألا لا حج له إلا أن يتوب، فإن تاب تاب الله عليه»**[2].

وفُرضت الجمعة وصيام شهر رمضان، وحُولت القبلة في المدينة على ساكنها الصلاة والسلام.

وسئل ابن عباس عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل، إلا أنه لا يأتي الجماعة ولا الجُمُعَة، قال: هو في النار[3]. وما قال إنَّه في النار إلا لعدوله عن الآيات والأخبار، ولخروجه عن طريق النبي المختار، والمسلمين الأخيار، والنار لمن جار، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

---

(١) في (خ): الفعال.

(٢) أخرجه عبد بن حميد في «مسنده» (١١٣٦)، وابن ماجه في «سننه» (١٠٨١)، والبيهقي في «الكبرى» ٣/١٧١، وأخرجه أبو يعلى في «مسنده» (١٨٥٦) من حديث جابر رضي الله عنه.
وقال البوصيري في «الزوائد»: هذا إسناد ضعيف.

(٣) أخرجه الترمذي في «سننه» (٢١٨) عن ابن عباس رضي الله عنه موقوفًا.
وقال الألباني في «ضعيف سنن الترمذي» (٢٦/١): ضعيف الإسناد.

[1](قال رجل لبعض الصالحين: أوصني. قال: يا بني، إيَّاك أن تفارق الجماعة فتفارق دينك وأنت لا تشعر.

وقال صلوات الله عليه وسلامه: **«أثقل الصلاة على المنافقين: صلاة العشاء، وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلًا يصلي بالناس، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قومٍ لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بالنار»**[2]، رواه البخاري ومسلم.

وجلس رجل ولم يصل مع الجماعة، فلما قضى النبي ﷺ صلاته قال للرجل: **«ألست مسلمًا؟»** قال: بلى. قال: **«فما منعك أن تصلي معنا؟»** فقال: قد كنت صليت مع أهلي. فقال: **«صل مع الناس وإن كنت صليت مع أهلك»**[3].

وقال ﷺ: **«صلوا خلف كل برٍّ وفاجر»**[4]، وفي حديث آخر: **«صلوا**

---

(١) من هنا بداية سقوط ورقة من (ق).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٥١)، وأحمد في «مسنده» ٢/٤٢٤ (٩٤٨٢)، والدارمي في «سننه» (١٢٧٣)، والبخاري في «صحيحه» (٦٥٧)، ومسلم في «صحيحه» (٦٥١)، وابن ماجه في «سننه» (٧٩١)، وأبو داود في «سننه» (٥٤٨)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٤٨٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٠٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مالك في «الموطأ» (٢٩٦)، والشافعي في «مسنده» (١/٢١٤)، وأحمد في «مسنده» ٤/٣٤ (١٦٣٩٣)، والنسائي في «المجتبى» ٢/١١٣ (٨٥٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٤٠٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/٣٠٠) عن بسر بن محجن، عن أبيه قال: أتيت النبي ﷺ فأقيمت الصَّلاة فجلست، فلمَّا صلَّى قال لي: **«ألست بمسلم؟»** قلت: بلى. قال: **«فما منعك أن تصلِّي مع النَّاس؟»** قال: قلت: صلَّيت في أهلي. قال: **«فصلِّ مع النَّاس ولو كنت قد صلَّيت في أهلك»**.
وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٣٣٧): صحيح.

(٤) أخرجه الدارقطني في «سننه» ٢/٥٧، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٤/١٩ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وقال البيهقي: قد روي في الصلاة على كل بر وفاجر، أحاديث كلها ضعيفة غاية=

خلف من قال: لا إله إلا الله. وعلى من قال: لا إله إلا الله»[1].

وفي مذهب الشافعي[2] رحمة الله عليه: إذا أمَّ رجل بجماعة مدة ثم تبين لهم أن الإمام كان فاجرًا أو على غير وضوء لم تجب عليهم إعادة شيء من الصلوات.

وهؤلاء المرازقة يقولون إنهم من الشافعية، فلم يعملوا[3] بمذهبه، ويخالفون خير البريَّة والمذاهب المرضيَّة، والأحاديث الصحيحة المُضيَّة، ولم يرض بهذه البليَّة، إلا هذه الطائفة الرديَّة، فيعدلون عن طريق الصادق المصدوق، ويتركون ما أفتى به جميع هذا المخلوق، ويعملون بقول الشيخ مرزوق، فقد ذكروا أنه قال لهم: لا تصلوا إلا خلف من تعرفونه.

يروى عنه أيضًا أنَّه قال لهم: إذا كان أحدكم لا يسلم دنياه إلا لمن[4] يعرفه، فكيف يسلم دينه لمن لم يعرفه؟ وهذا قياس، والدين ليس هو بالرأي والقياس؛ ولكن هو بكتاب الله تعالى وبسنة خير الناس، وأول من قاس هو إبليس لعنه الله، فصيره الله تعالى بعد الملائكة شيطانًا رجيمًا، بعد أن كان ملكًا عظيمًا، فصار من جملة الشياطين، ولعنه الله إلى يوم الدين، فكل شيء ثبت[5] بالكتاب والسنة، ما بقي للقياس فيه مدخل، فمن أراد الوصول فعليه بالأصول، وهو التمسك بكتاب الحق سبحانه وبحديث الرسول، فتمسك من العلماء بالأقوال، ومن المشايخ بالأحوال.

= الضعف، وأصح ما روي في الباب حديث مكحول عن أبي هريرة، وقد أخرجه أبو داود في «سننه» إلا أن فيه إرسالاً كما ذكره الدَّارقطني.

(١) أخرجه الدارقطني في «سننه» (٥٦/٢)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢١٧/٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.
وقال الألباني في «إرواء الغليل» (٣٠٦/٢): سند واه جدًا.

(٢) انظر «الشرح الكبير» للرافعي ٣٢٥/٤.

(٣) في (خ): يعلموا.

(٤) في (خ): لمن لم.

(٥) في (ب): يثبت.

وقد جاء في الأخبار: «إن من قال في الدين برأيه فليتبوأ مقعده من النار»[1].

وسئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن مسألة فتوقف فقال: لم أسمع من النبي ﷺ فيها شيئًا. فقال السائل: قل أنت يا خليفة رسول الله. فغضب وقال: أي سماء تظلني أو أي أرض تقلني إذا قلت في الدين برأيي[2]. وقال المولى عز وجل: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

وقد أمرنا ﷺ بلزوم الجُمعة والجماعة، والصلاة خلف كل بر وفاجر، ونهانا عن التخلف بقوله: «**من فارق الجماعة قدر شبرٍ فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه**»[3].

ولولا شفقة النبي المختار لأحرق بيوت من تخلف عن الجماعة بالنار[4]، فإذا ثبت هذا فلا يلتفت لكلام الشيخ مرزوق؛ لأنه كلام غير لائق، وللسنة لا يوافق، والحق فيما قاله النبي ﷺ أو فعله، (وماذا بعد الحق إلا الضلال؟ ولا ينبغي للمسلم أن يطيع شيخه ويعصي ربه ونبيه)[5]،

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ١/٣٢٣ (٢٩٧٦)، والترمذي في «سننه» (٢٩٥١)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٣٣٨) من حديث ابن عباس، بلفظ: «**اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم؛ فمن كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار**». وقال الترمذي: هذا حديث حسن.
وضعَّفه ابن القطَّان في «الوهم والإيهام» ٥/٢٥٢، والألباني في «الضعيفة» (١٧٨٣).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٧٢٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٧٨).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ٥/١٨٠ (٢١٦٠٠)، وأبو داود في «سننه» (٤٧٥٨)، والحاكم في «المستدرك» (١/٢٠٣) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.
وقال الألباني في «ظلال الجنة» (٨٩٢): صحيح.
وفي الباب عن: ابن عمر، وأبي هريرة، وأبي الدرداء، وحارث الأشعري، وعامر بن ربيعة، عن النبي عليه السلام.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) ليست في (خ).

قال ﷺ: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»(١).

ولهم بدعة أخرى أطمُّ من هذه وأغمُّ، وهي أنهم لا يقولون بتوبة الشاب إذا رجع إلى الله وتاب، وهذا القول مما يسخط رب الأرباب، وهو مخالف للسنة والكتاب، قال الله تعالى: ﴿**قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ**﴾ [الأنفال: ٣٨].

وقد أجمع المسلمون على قبول توبة الكفار إذا رجعوا إلى السيد الغفار، فرحمة الله تعالى وسعت الكافر، أفما تسع المؤمن الفاجر؟! أتضيق أيها المسكين هذه الرحمة الواسعة على المسلمين، وتقنطهم من رحمة رب العالمين؟! قال الله تعالى: ﴿۞ **قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ** ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

فمن ضيَّق على المسلمين هذه الرحمة الواسعة فقد غرُبَت شمسُ إيمانه بعد أن كانت طالعة، وجاء في الحديث أن عابدًا وعظ رجلاً مسرفًا على نفسه، فوعظه مرارًا فلم يأتمر، وقال: دعني)(٢) وربي، ما بُعثت(٣) عليَّ رقيبًا. فغضب العابد، وقال للمسرف: والله لن يغفر الله لك. فأحبط الله تعالى عمل العابد وأدخله النار، وغفر للمسرف وأدخله الجنة(٤). فهذا

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٤٠٦) من طريق الحسن، والبغوي في «شرح السنة» ١٠/٤٤ من طريق النواس بن سمعان، والطبراني في «الكبير» ١٨/(٣٨١)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٨٧٣) من طريق عمران بن حصين رضي الله عنه، به. قال الألباني في «الصحيحة» (١٧٩): صحيح.
وأخرجه أحمد في «مسنده» ١/٩٤ (٧٢٤)، والبخاري في «صحيحه» (٧٢٥٧)، ومسلم في «صحيحه» (١٨٤٠)، وأبو داود في «سننه» (٢٦٢٥)، والنسائي في «المجتبى» ٧/١٥٩ (٤٢٠٥) من حديث علي بلفظ: «**لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف**».

(٢) إلى هنا نهاية سقوط ورقة من (ق).

(٣) في (خ): بعث.

(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٦٢١)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٧١١) عن جندب؛ أن رسول الله ﷺ حدث: «**أن رجلاً قال: والله لا يغفر اللّه لفلان، وإنَّ الله تعالى قال: من ذا الَّذي يتألَّى عليَّ أن لا أغفر لفلان؟ فإنِّي قد غفرت لفلان وأحبطت عملك**».

العابد حصر بجهله رحمة الله تعالى، ودخل في علمه، وحلف كاذبًا، وأفتى بجهل؛ فأرْدَاه جهلُه، كالراهب الذي أتاه القاتل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا، واستفتاه هل له من توبة؟ فأجابه بأن ليس له عند الله توبة، فقتل الراهب وكمَّل به المئة، ثم ذهب إلى رجل آخر وكان عارفًا، فقال له: هل لي من توبة؟ فأجابه: نعم؛ رحمة الله واسعة، تُب واذهب إلى القرية الفلانية. وكان في القرية قومٌ صالحون، فتاب الرجل وخرج يريد القرية ليعبد الله فيها، فأدركه الموت قبل وصولِه، فاختصمت عليه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فابتعث الله تعالى ملكًا وقال: إن كان قد مات في أرض الصالحين فيتولى أمره ملائكة الرحمة، وإن كان في أرض الآخرين فيتولى أمره ملائكة العذاب، وكانت منيته في وسط الأرضين، فانقلب عند (خروج روحه)[1] إلى أرض الصالحين، فتولى أمره ملائكة الرحمة[2].

وهذا حديث صحيح، لكن قلته بالمعنَى؛ لأنِّي نسيتُ أن أنقله على الوضع[3]، وكثير من حكايات الصالحين ذكرتهم بالمعنى، وقد جوز هذا

---

(١) في (ق): خروجه.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٢٢٠)، وأحمد في «مسنده» ٣/ ٢٠ (١١١٥٤)، ومسلم في «صحيحه» (٢٧٦٦)، وابن ماجه في «سننه» (٢٦٢٢)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٣٥٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٦١١) عن أبي سعيد الخدري؛ أن النبي ﷺ قال: «**إن رجلاً قتل تسعة وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلَّ على رجل، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا، فهل له من توبة؟ قال: لقد قتل تسعة وتسعين نفسًا فليست له توبة. قال: فانتضى سيفه فقتله، فكمل مئة، ثم إنه مكث ما شاء الله، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلَّ على رجل، فقال: إنه قد قتل مئة نفس فهل له من توبة؟ فقال: ومن يحول بينه وبين التوبة؟! اخرج من القرية الخبيثة التي أنت بها إلى قرية كذا وكذا، فاعبد ربك عز وجل فيها. قال: فخرج وعرض له أجله، فاختصم فيه ملائكة العذاب وملائكة الرحمة، قال إبليس: إنه لم يعصني ساعة قط. قالت ملائكة الرحمة: إنه خرج تائبًا. فبعث الله ملكًا فاختصما إليه، فقال: انظروا إلى أي القريتين كان أقرب فألحقوه بها. فقرَّب الله منه القرية الصالحة وباعد عنه القرية الخبيثة؛ فألحقوه بأهلها**».

(٣) في (ب): الموضع.

بعض العلماء، وهو تيسير لمن حل بقلبه الغفلة والعمى؛ فإني[1] ألفته بمكة المشرفة، وليس هي بمعدن لما يريده الإنسان من الكتب.

وصحَّ - أيضًا - أن الله سبحانه مئة رحمة أنزل منها واحدة إلى الأرض، فوسعت جميع الخلائق، فبها يتراحم[2] الإنس والجن والطير والهوام والدَّواب[3]. فكيف لا تسع الشاب[4] إذا رجع إلى الله وتاب؟! وادخر سبحانه وتعالى لعباده تسعة وتسعين رحمة ليوم القيامة، وهذه المئة رحمة مخلوقة، ولله تعالى رحمة متصلة بذاته، لا تنعد ولا تنحصر، وهو اسمه الرحيم، فسبحان المولى الكريم الواسع العليم، ولأهل السنة دلائل كثيرة من الكتاب والسنة. أما الكتاب، فقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

وقال ﷺ: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**»[5]، فترى بعض المخذولين يعرض عن كلام رب العالمين، وعن قول سيد المرسلين، وعما أفتى به العلماء الموحدون، ويستدل بقوله ﷺ: «**سبُّ أبي بكرٍ ذنبٌ لا يُغفر**»[6].

---

(١) في (ق): فإذا.

(٢) في (خ): فيها يتراحمون. وفي (ب): فيها يتراحم.

(٣) أخرجه الدارمي في «سننه» (٢٧٨٨)، والبخاري في «صحيحه» (٦٠٠٠)، ومسلم في «صحيحه» (٢٧٥٢)، عن أبي هريرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**جعل الله الرحمة مئة جزء وأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل في الأرض جزءً واحدًا؛ فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه**».

(٤) في (خ): السباب.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) ذكره عن المرازقة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بلفظ: «سب أصحابي ذنب لا يغفر»، وقال: هذا الحديث كذب باتفاق أهل العلم بالحديث وهو مخالف للقرآن والسنة والإجماع. (مجموع الفتاوى: ٣/٢٩٠، و٧/٦٨٣، و١٨/٤٨١).

اعلم أن الرجل إذا فرط في حق الله تعالى، وفي حق الآدميين ثم تاب فإذا جيء به إلى الشرع يقول له: التوبة تسقط عنك ما بينك وبين الله من المخالفة، ويحبسه لأجل حق ابن آدم إن لم يهبه صاحب الدين، وكذلك إذا تاب الرافضي توبة نصوحًا؛ يتوب الله عليه، ويبقى على مقتضى الحديث - إن صحَّ - في ذمة الرافضي، ويبقى بين أمور ثلاث: إما أن يهبه الصديق ما برز منه من الأشياء التي لا تليق؛ فهو ممن خصه الله تعالى بالكرم العميق، أو يؤخذ من حسناته وتدفع لأبي بكر الصديق؛ فإن نفدت حسناته فيؤخذ من سيئات غريمه، ويطرح عليه، ويلقى في النار ذات الحريق.

وكان شيخنا رحمة الله عليه يقول: إذا رضي الله تعالى عن عبدٍ أرضى عنه خصومه.

وفي الحديث: «**إن الله سبحانه يري صاحب الدَّين قصرًا حسنًا في الجنة، فيقول صاحب الدَّين: يا رب هذا القصر لمن؟ فيقول الله سبحانه: هو لمن وهب دين أخيه. فيهبه، ويدخلان الجنة برحمة الله وكرمه**»(1).

---

(1) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» كما في «إتحاف الخيرة المهرة» للبوصيري ٢٠٣/٨، والبخاري في «التاريخ الكبير» ٤٥٩/١/٢ إشارة، وابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» (١١٨)، وابن أبي داود في «البعث» (٣٢)، والحاكم في «المستدرك» ٥٧٦/٤، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» كما في «المغني عن حمل الأسفار» للعراقي ٢/ ١٩٩ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: بينا رسول الله ﷺ جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه، فقال له عمر: ما أضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟ قال: «**رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة، فقال أحدهما: يا رب، خذ لي مظلمتي من أخي. فقال الله تبارك وتعالى للطالب: فكيف تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته شيء؟ قال: يا رب، فليحمل من أوزاري**». قال: وفاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء، ثم قال: «**إن ذاك اليوم عظيم يحتاج الناس أن يحمل عنهم من أوزارهم، فقال الله تعالى للطالب: ارفع بصرك فانظر في الجنان. فرفع رأسه فقال: يا رب، أرى مدائن من ذهب وقصورًا من ذهب مكللة باللؤلؤ، لأي نبي هذا أو لأي صديق هذا أو لأي شهيد هذا؟ قال: هذا لمن أعطى الثمن. قال: يا رب، ومن يملك ذلك؟ قال: أنت تملكه. قال: بماذا؟ قال: بعفوك عن أخيك. قال: يا رب، فإني قد عفوت عنه**».=

وقال ﷺ لأصحابه: «**أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم؟ كان إذا أصبح يقول: اللَّهم إنَّك تعلم ليس لي شيئًا أساوي به المسلمين، ولا أملك اليوم إلا عرضي، وقد سبَّلته للمسلمين**»، [(١)] وهذا فعل بعض المؤمنين، فما بالك بسيد المؤمنين وخليفة خير النبيين! فتغالت هذه الطائفة في أبي بكر الصديق حتى خرجت عن الطريق، وأفرطت الرفضة[(٢)] في بغضه حتى برز منهم فعل لا يليق، فلطف الله تعالى بأهل السنة، فأخذت الأمر الوسط، وخيار الأمر أوسطه فقط، فقدموا أبا بكر رضي الله عنه، ولم ينكروا فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والكل بفضل الله في أشرف المنازل وأعلا المراتب.

روي لما بويع أبو بكر رضي الله عنه، قال بعض المنافقين: بايع المسلمون من ليس بخيارهم، فبلغ أبا بكر رضي الله عنه فأمر بجمع المسلمين، ثم قام فيهم خطيبًا، فحمد الله وأثنى عليه وقال: معاشر المسلمين - رحمكم الله - أقيلوني بيعتكم، فإني لستُ بخياركم. فقام علي رضي الله عنه وقال: والله لا أقلناك، ولا استقلناك، والله إنك لخيارنا. ثلاث مرات؛ فأحبوه ووقروه وقدموه على جميع الأصحاب[(٣)].

= **قال الله عز وجل: فخذ بيد أخيك فأدخله الجنة»**.

وقال البوصيري: رواه أبو يعلى الموصلي، بسند ضعيف؛ لضعف سعيد بن أنس، وعباد بن شيبة.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد. فقال المنذري: كذا قال! يستنكره عليه، وكذلك فعل الذهبي، فقال متعقبًا له: عباد ضعيف، وشيخه لا يعرف.

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» (٤٨٨٧)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (١٧٧٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٠٨٣) عن أنس رضي الله عنه.

وقال الضياء: رجاله موثقون والصحيح أنه مرسل.

وقال الألباني في «إرواء الغليل» (٤٢/٨): ضعيف.

(٢) في (خ): (الرقصة). والمقصود: الرافضة.

(٣) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده على «فضائل الصحابة» (١٠١) عن أبي الجحاف قال: لما بويع أبو بكر، فبايعه علي وأصحابه، قام ثلاثًا يستقيل الناس، يقول: أيها الناس، قد أقلتكم بيعتكم، هل من كاره؟ قال: فيقوم علي في أوائل الناس فيقول: والله لا نقيلك، ولا نستقيلك أبدًا، قدَّمك رسول الله ﷺ تصلي=

وقالوا: بتوبة الشاب[1] إذا رجع إلى الله وتاب، وخافوا عليه إن مات على غير توبة من سوء الخاتمة ومن عظيم العذاب؛ لأن سب أبي بكر رضي الله عنه ذنب من الكبائر، وصاحبه إلى النار صائر، إن جازاه على فعلته الملك القادر، فقد جاء في الحديث الصحيح قوله ﷺ: **«شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»**[2].

ويجب على المؤمن أن لا يغلو في الدين فيمرق منه ويخرج عن طريق سيد المرسلين، فقد تغالت اليهود في العُزير، وجعلوه ابن الله، وتغالت النصارى في عيسى ابن مريم، فجعلوه ابن الله، وبعضهم أفرطوا وجعلوه إلهًا، وكما أفرط بعض جهلة الأكراد في الشيخ عدي[3]، وقالوا فيه

= بالناس، فمن ذا يؤخرك؟

وأخرجه (١٣٣) عن أبي الجحاف داود بن أبي عوف قال: لما بويع أبو بكر أغلق بابه ثلاثًا، يقول: أيها الناس، أقيلوني بيعتكم، كل ذلك يقول له علي: لا نقيلك ولا نستقيلك، قدمك رسول الله ﷺ، فمن ذا يؤخرك؟

وفي إسناد هذا الأثر ضعف، لكنه مشهور في كتب التاريخ.

وأخرجه معمر بن راشد في «الجامع» (٢٠٧٠٢) قال: وحدثني بعض أهل المدينة، قال: خطبنا أبو بكر فقال: «يا أيها الناس! إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن ضعفت فقوموني، وإن أحسنت فأعينوني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، الضعيف فيكم القوي عندي حتى أزيح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم الضعيف عندي حتى آخذ منه الحق إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالفقر، ولا ظهرت ـ أو قال: شاعت ـ الفاحشة في قوم إلا عَمَّمَهم البلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله» قال معمر: وأخبرنيه بعض أصحابي.

(١) في (خ): السباب.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣/٢١٣ (١٣٢٢٢)، وأبو داود في «سننه» (٤٧٣٩)، والترمذي في «جامعه» (٢٤٣٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٨٣١)، وأبو يعلى في «مسنده» (٣٢٨٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٤٦٨)، والطبراني في «الكبير» (٧٤٩)، والحاكم في «المستدرك» ١/١٣٩ من حديث أنس رضي الله عنه.

وقال الترمذي: حسن صحيح غريب.

وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.

(٣) هو الشيخ عدي بن مسافر الأموي سلف ذكره.

ما لا ينبغي ذكره[1] من القول الردي، وبعضهم (تغالوا في حب)[2] علي بن أبي طالب حتى جعلوه إلهًا، وبعضهم قدمه على جميع الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وقد ألقى بعضهم التغالي في البدع والمهالك، وقد نهينا عن جميع ذلك، فقال المولى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النساء: ١٧١]، فهذه الداهية كانت سبب هلاك الأمم الماضية، فمن اتصف بهم حشر معهم في الهاوية. قال صلوات الله عليه وسلامه: «**صنفان من أمتي لا تنالهما شفاعتي: إمام ظلوم، وغالٍ في الدين، صارفٌ منه**»[3]، معنى الحديث: أي يغلو في دينه حتى يخرج عن طريق السنة والجماعة.

وقال ﷺ: «**لعن الله اليهود؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[4]، أي: تغالوا في القبر حتى جعلوه مسجدًا.

وقال ﷺ: «**اللَّهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد**»[5].

وأراد رجل السجود للنبي ﷺ فنهاه عن ذلك، وقال: لا تسجد لي، ولا لأحد من بعدي؛ لأن هذا من التغالي، ولا يصلح السجود إلا للكبير المتعالي[6]. فترى بعض المبتدعين يسجد لشيخه؛ في أيِّ جهةٍ كان سَجَدَ

---

(١) في (ق): قوله.

(٢) في (ق): تغالى في.

(٣) أخرجه مسدَّد في «مسنده» كما في «المطالب العالية» (٢١٥٧)، والروياني في «مسنده» (١١٨٦)، والطبراني في «الكبير» (٨٠٧٩) عن أبي أمامة رضي الله عنه.
وقال الهيثمي في «المجمع» ٤٢٣/٥: رجاله ثقات.
وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤٧٠): هذا إسناد حسن.
وليس في مصادر الحديث: «صارف منه».

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣٨١/٤ (١٩٤٠٣)، وابن ماجه في «سننه» (١٨٥٣) من حديث معاذ، ولفظه: أنه لما قدم من الشام سجد للنبي ﷺ، فقال: «**ما هذا يا معاذ؟!**» قال: أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم، فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك. فقال رسول الله ﷺ: «**فلا تفعلوا**».
وقال الحاكم في «المستدرك» (١٩٠/٤): صحيح على شرط الشيخين. وقال الألباني في «الإرواء» (٥٥/٧): حسن صحيح.

له، وقد يتفق السجود نحو شيخه وعجزه وباطن قدميه نحو القبلة، وهذا أيضًا من التغالي الذي جعل شيخه كالأصنام التي تعبد من دون الملك العلام، فحينئذٍ يقال لهذا الساجد: الإله واحد، ولا يصلح السجود إلا للسيد الماجد؛ قال الله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ [النحل: ٥١].

ثم إنهم يقولون بالحرف والصوت[1]، ويشكون في الأهل والأولاد،

---

(١) سيأتي في كلام العلماء عن المرازقة الإشارة إلى كلامهم في الحرف والصوت، والمقصود: إثبات الحرف والصوت لكلام الله عز وجل، وهذه المسألة تحتاج إلى تفصيل، وربما وقع من المرازقة بعض غلو في الإثبات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: المنصوص عن الإمام أحمد ونحوه من العلماء أن من قال: إن اللفظ بالقرآن والتلاوة مخلوقة؛ فهو جهمي. ومن قال: إنه غير مخلوق؛ فهو مبتدع لأن «اللفظ والتلاوة» يراد به الملفوظ المتلو، وذلك هو كلام الله، فمن جعل كلام الله الذي أنزله على نبيه مخلوقًا فهو جهمي. ويراد بذلك «المصدر وصفات العباد» فمن جعل «أفعال العباد وأصواتهم غير مخلوقة» فهو مبتدع ضال. وهكذا ذكره الأشعري في كتاب «المقالات» عن أهل السنة والحديث قال: ويقولون: إن القرآن كلام غير مخلوق، والكلام في الوقف واللفظ بدعة، من قال: باللفظ أو الوقف: فهو مبتدع. وعندهم لا يقال: اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال: غير مخلوق. وليس في الأئمة والسلف من قال: إن الله لا يتكلم بصوت بل قد ثبت عن غير واحد من السلف والأئمة: أن الله يتكلم بصوت، وجاء ذلك في آثار مشهورة عن السلف والأئمة، وكان السلف والأئمة يذكرون الآثار التي فيها ذكر تكلم الله بالصوت، ولا ينكرها منهم أحد، حتى قال عبد الله بن أحمد: قلت لأبي: إن قومًا يقولون: إن الله لا يتكلم بصوت، فقال: يا بني هؤلاء جهمية، إنما يدورون على التعطيل. ثم ذكر بعض الآثار المروية في ذلك. وكلام البخاري في «كتاب خلق الأفعال» صريح في أن الله يتكلم بصوت، وفرق بين صوت الله وأصوات العباد، وذكر في ذلك عدة أحاديث عن النبي ﷺ، وكذلك ترجم في كتاب الصحيح: باب في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ وذكر ما دل على أن الله يتكلم بصوت وهو القدر. وكما أنه المعروف عند أهل السنة والحديث فهو قول جماهير فرق الأمة، فإن جماهير الطوائف يقولون: إن الله يتكلم بصوت مع نزاعهم في أن كلامه هل هو مخلوق أو قائم بنفسه؟ قديم أو حادث؟ أو ما زال يتكلم إذا شاء؟ فإن هذا قول المعتزلة والكرامية والشيعة وأكثر المرجئة والسالمية وغير هؤلاء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية والصوفية. وليس من طوائف المسلمين من أنكر أن الله يتكلم=

وفي خير العباد، فيقول أحدهم لولده: ولدي إن شاء الله! ولشيء قد مضى حكمه وانفصل أمره، فيقول: سما إن شاء الله! أو لعصاه: هي عصًى إن شاء الله! ونعوذ بالله من قولهم لرسول الله ﷺ: نبي إن شاء الله. ومقتهم لأهل السنة، وكسرهم ما يمسونه من الأواني، ولتطهيرهم لمكان جلس عليه لابس الثوب الأزرق؛ لأنه عندهم من صفات أهل النار، ويستدلون بقوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢]. قال العلماء: زرق العيون[1]. قالوا هم: بل زرق الثياب. وقد تشبه من تغالى منهم (في كسر)[2] آنية مسَّها السُّني بيده، أو[3] شرب منها بالسمرة، وخالف المسلمين البررة، وعدل عن قول الحق سبحانه فيما أمره؛ قُتل هذا العبد ما أكفره، فهذا مبتدع ومسرف، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾

= بصوت إلا ابن كُلَّاب ومن اتبعه، كما أنه ليس في طوائف المسلمين من قال: إن الكلام معنى واحد قائم بالمتكلم إلا هو ومن اتبعه، وليس في طوائف المسلمين من قال: إن أصوات العباد بالقرآن قديمة أزلية، ولا إنه يسمع من العباد صوتًا قديمًا، ولا إن القرآن نسمعه نحن من الله إلا طائفة قليلة من المنتسبين إلى أهل الحديث من أصحاب الشافعي وأحمد وداود وغيرهم، وليس في المسلمين من يقول: إن الحرف الذي هو مداد المصاحف قديم أزلي؛ فإثبات «الحرف والصوت» بمعنى أن المداد وأصوات العباد قديمة بدعة باطلة، لم يذهب إليه أحد من الأئمة، وإنكار تكلم الله بالصوت وجعل كلامه معنى واحدًا قائمًا بالنفس بدعة باطلة، لم يذهب إليها أحد من السلف والأئمة. والذي اتفق عليه السلف والأئمة أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ، وإليه يعود، وإنما قال السلف: «منه بدأ» لأن الجهمية - من المعتزلة وغيرهم - كانوا يقولون: إنه خلق الكلام في المحل. فقال السلف: منه بدأ. أي: هو المتكلم به فمنه بدأ، لا من بعض المخلوقات كما قال تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾، وقال تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾، ومعنى قولهم: «إليه يعود» أنه يرفع من الصدور والمصاحف، فلا يبقى في الصدور منه آية، ولا منه حرف؛ كما جاء في عدة آثار. (مجموع الفتاوى: ٦/٥٢٧).

(١) انظر تفسير «معالم التنزيل» للبغوي ٥/٢٩٤.

(٢) في (ق): بكسر.

(٣) زاد في (خ): شربة.

[الأنعام: ١٤١]، ونهى ﷺ عن إضاعة المال[١]. وقد تشبه هذا المتعوس في فعله هذا بأعداء الله المجوس، وقال ﷺ: «**من تشبه بغيرنا فليس منا**»[٢].

ومتى ثبت عندهم أن واحدًا يعتقد أن الله سبحانه يغفر للرفضة أو يخرجهم الله سبحانه من النار بشفاعة النبي المختار؛ ثم يعتقد ما يعتقده أهل[٣] السنة يستحلون ماله ودمه، فإن صحَّ هذا عن المرازقة فهم على الحقيقة زنادقة.

وجاء في الحديث: «**لن يؤمن أحد[٤] حتى يأمن الناس[٥] بوائقه**»[٦]. (البوائق: هو الغش والظلم)[٧].

وقال ﷺ: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إلٰه إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**»[٨]، رواه البخاري ومسلم.

وهو حجة على الطائفة الملعونة المخالفة التي تُفارق جماعة المسلمين

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) في (ق): من.

(٤) في (ق): أحدكم.

(٥) زاد في (ق): من.

(٦) أخرجه أحمد في «مسنده» ٦/ ٣٨٥ (٢٧١٦٢)، والبخاري في «صحيحه» (٦٠١٦) عن أبي شريح الكعبي: أن رسول الله ﷺ قال: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**». قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «**الجار لا يأمن جاره بوائقه**». قالوا: يا رسول الله، وما بوائقه؟ قال: «**شره**».

(٧) ليست في (ق). وفي «النهاية»: أي: غوائلهُ وشرُوره، واحدها: بائِقَة، وهي الدَّاهِيَة.

(٨) أخرجه الحميدي في «مسنده» (١١٩)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٨٤٨٠)، وأحمد في «مسنده» ١/٣٨٢ (٣٦٢١)، والدارمي في «سننه» (٢٢٩٨)، والبخاري في «صحيحه» (٦٨٧٨)، ومسلم في «صحيحه» (١٦٧٦)، وابن ماجه في «سننه» (٢٥٣٤)، وأبو داود في «سننه» (٤٣٥٢)، والترمذي في «جامعه» (١٤٠٢)، والنسائي في «الكبرى» (٣٤٦٥) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وتستحل أموالهم ودماءهم؛ قال ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى (يشهدوا أن)[1] لا إلٰه إلا الله، فإذا شهدوا أن لا إلٰه إلا الله عصموا مني أموالهم ودماءهم إلا بحقها وحسابهم على الله**»[2].

وقال صلوات الله عليه وسلامه: «**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا** ـ ويشير إلى صدره ثلاث مرات ـ **بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه**»[3]، رواه مسلم.

وما كفى ما قالت هذه الطائفة الضالة المضلة الخارجة في استحلال دم المسلمين وأموالهم، وما تقدم من أفعالهم، حتى تكلموا وقالوا في صفات المولى الجليل، وقد نهاهم الشرع عن القال والقيل، فتكلموا في صفاته وذاته ولم يتفكروا في ملكوت السموات والأرض، وفي عجائب مخلوقاته، فأثبتوا لله تعالى الحرف والصوت والصعود والنزول ـ تعالى الله عما يصفون ـ وقال قائلهم بالاستواء[4]، فخاض بجهله بحرًا لا قرار له؛ فضلَّ وغوى،

---

(١) في (ق): يقولوا.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٢٩٤٦)، ومسلم في «صحيحه» (٢١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢/٢٧٧ (٧٧٢٧)، وعبد بن حميد في «مسنده» (١٤٤٢)، ومسلم في «صحيحه» (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) تقدَّم التفصيل في إثبات الحرف والصوت، ولا وجه للإنكار على من قال بالنزول والاستواء، لثبوت ذلك بالنصوص الصريحة، أما الاستواء فصفةٌ فعليةٌ خبريَّةٌ ثابتةٌ لله عَزَّ وجَلَّ بصريح القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤، يونس: ٣، الرعد: ٢، الفرقان: ٥٩، السجدة: ٤، الحديد: ٤].

وأما الصعود: فهو من معاني الاستواء، كما نقله ابن القيم في «النونية» عن أبي عُبيدة من أئمة اللغة.

أما النزول فبالسنة المتواترة: فقد أخرج الإمام أحمد ٢/٢٦٤ (٧٥٩٢)، والبخاريُّ=

وما تعدى ساحل هذا البحر إلا العوامون الأقوياء؛ فآمنوا بما جاء به كتاب الله تعالى وبما صح عن رسول الله ﷺ، وما تشابه منه وَكَلُوا أمره إلى الله تعالى[1]. فسلكوا فيه طريق الأولياء، فزكّى الله سبحانه أقوالهم،

= (١١٤٥)، و(٦٣٣١)، و(٧٤٩٤)، ومسلم (٢٥٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قال: «**يَنزِلُ ربُّنا تَبارَكَ وتعالَى كلَّ لَيلَةٍ إلى السَّماءِ الدُّنيا، حِينَ يَبْقى ثُلُثُ اللَّيلِ الآخِرِ، يقولُ: مَن يَدْعُونِي فأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يسألُنِي فأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فأَغْفِرَ لَهُ؟**». وللحديث طرق كثيرة عن أبي هريرة، راجع: «المسند الجامع» ١٧/(١٤٣٧٣) ـ (١٤٣٧٩)، و«إرواء الغليل» (٤٥٠). وثبت عن جمع من الصَّحابة، منهم: أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، أخرجه أحمد ٣٤/٣ (١١٢٩٥)، ومسلم (٧٥٨). وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، أخرجه أحمد ١٢٠/١ (٩٦٨)، والدارمي (١٥٢٤)؛ بإسنادٍ حسنٍ. وقال الألبانيُّ في «الإرواء»: سنده جيِّد. وجبير بن مطعم رضي الله عنه، أخرجه أحمد ٨١/٤ (١٦٧٤٥)، والدارمي (١٥٢١)؛ بإسنادٍ صحيحٍ. وعبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه، أخرجه أحمد ٣٨٨/١ (٣٦٧٣)، وأبو يعلى (٥٣١٩)، قال الألبانيُّ: بإسنادٍ صحيحٍ. ورفاعة الجهني رضي الله عنه، أخرجه أحمد ٢١/٤ (١٦٢١٥)، والدارمي (١٥٢٢)، وابن ماجه (١٣٦٧)، وقال الألبانيُّ: سنده صحيح، رجاله ثِقات رجال الشيخين. وعثمان بن أبي العاص رضي الله عنه، أخرجه أحمد ٢٢/٤ (١٦٢٨٠). وقال أبو عمر بن عبد البرِّ في «التمهيد» ١٢٨/٧ ـ ١٢٩: هذا حديث ثابتٌ مِن جهة النَّقل، صحيح الإسناد، لا يَختلف أهلُ الحديث في صحته، وهو حديثٌ منقولٌ مِن طرقٍ متواترةٍ، ووجوهٍ كثيرةٍ؛ مِن إِخْبار العُدول عن النبيِّ ﷺ. وفيه دليلٌ على أن الله عزَّ وجلَّ في السَّماء على العرش، مِن فوق سبع سماوات؛ كما قالتِ الجماعةُ [يعني: أهل السنة]، وهو من حجَّتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم: إنَّ الله عزَّ وجلَّ في كلِّ مكانٍ؛ وليس على العرش! والدليلُ على صحَّة ما قالَهُ أهلُ الحقِّ في ذلكَ؛ قولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾، وقوله تبارك اسمه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[فاطر: ١٠]، وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، والجهميُّ يزعم أنه أسفل!.... وذكر آياتٍ أخرى في إثبات العلوِّ لله تعالى. وقد جمع طرق حديث النزول الإمام الحافظ الدارقطنيُّ (ت: ٣٨٥ هـ) رحمه الله، في كتابه: «النُّزول» طبع سنة (١٤٠٣ هـ)، ولشيخ الإسلام ابن تيمية النُّميري ـ رحمه الله ـ رسالة قيمة في شرح الحديث، طبعت ضمن «مجموع الفتاوى» ٣٢١/٥ ـ ٥٨٢، ونشره المكتب الإسلامي ببيروت مفرداً.

(١) أي: فوَّضوا أمره إلى الله تعالى. وهذا صحيح، وهو حقٌّ لازم فيما يتعلق بكيفية صفات الله تعالى وحقيقتها في نفس الأمر، فهذا مما لا نخوض فيه، ونكل أمره إلى الله تعالى. أما إثبات العلم بصفات الله تعالى كما أخبرنا الله بها في كتابه، أو=

وتقبل أعمالهم وسلمها من البدعة والسمعة والرياء، فغرق في هذا البحر أناس كثيرون، وهوى بهم ما هوى؛ قال ﷺ: **«تفكروا في آلاء الله، ولا تتفكروا في ذاته»**[1]، وكان ﷺ يقول: **«لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»**[2].

وسئل أبو حنيفة ومالك رحمة الله عليهما عن الاستواء: كيف استوى الله سبحانه على عرشه؟ فقالا: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة[3]. فأمسكا عن ذلك مع علمهما وقوة إيمانهما، وتكلمت فيه هذه الطائفة الخبيثة مع ضعفها وجهلها.

وسئل أبو حنيفة: من هو أهل السنة؟ قال: من قدم الشيخين، وأحب الحسنين - وفي رواية: وأحب الختنين، يعني عثمان وعليًا - ورأى المسح على الخفين، ولم يكفِّر أحداً بذنبٍ، ولم ينطِقْ في الله بشيء.

ثم اعلم بأن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين لم يتكلموا في مثل هذا ولا التابعين، ولن[4] يسأل الله تعالى عبده يوم القيامة عن حقيقة

= أخبرنا بها النبي ﷺ في سنته؛ فحقٌّ لازم أيضًا، ولا يجوز أن نتعرض لها بالتحريف والتأويل، ولا بالتمثيل والتكييف، بل نؤمن بها، ونجزم بالعلم بها، ونثبت ظواهرها كما جاءت، ونعلم أنها حقٌّ. فهاهنا فرق بين إثبات العلم وإثبات الكيف، فلا يجوز التفويض في الأول، ويجب في الثاني، كما أننا نثبت عذاب القبر علمًا ويقينًا، ولا ندرك كيفيته، وجهلنا بها غير قادح في علمنا به. وما سيذكره المؤلف رحمه الله عن أبي حنيفة ومالك يدل على هذا التفصيل ويرشد إليه. (ت)

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦٣١٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٢٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.
قال البيهقي: هذا إسناد فيه نظر.
وقال الهيثمي في «المجمع» ٨١/١: فيه الوازع بن نافع وهو متروك.

(٢) أخرجه مالك في «الموطأ» (١٥٠)، وأحمد في «مسنده» ٥٨/٦ (٢٤٣١٢)، ومسلم في «صحيحه» (٤٨٦)، وابن ماجه في «سننه» (٣٨٤١)، وأبو داود في «سننه» (٨٧٩)، والترمذي في «جامعه» (٣٤٩٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) راجع: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» ٣٧٩/٢.

(٤) في (خ): ولم.

الاستواء والكلام والنزول، بل يكتفي الديان من العبد بالإيمان؛ يؤمن بذلك كله. وقد أجمع العلماء أن العرش والكرسي مخلوقان، أفيخلق شيئًا ثم يحتاج إليه؟! فمن اعتقد ذلك فقد افترى عليه؛ فثبت أن هذا عند أهل البصيرة محال، فاتركه وخف من شديد المحال، فالخوض في مثل هذه الأشياء يجر إلى التعمق في الدين، وهو مفتاح الضلال، ومن جملة ما نهينا عنه من الجدال، وكان سبب هلاك الأمم الماضية، فاحذر من هذه الداهية، واكتف بما ثبت من السنة المباركة الماضية، قال ﷺ: «**المتمسك**[1] **بسنتي عند فساد أمتي له أجر مئة شهيدٍ**»[2] فتمسك بها، وعض عليها بالنواجذ؛ لتنجو غدًا من الكرب والشدائد، فقد جاء في الحديث الصحيح: «**من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»[3].

دخل الزهري على أنس بن مالك بدمشق فوجده يبكي، فقال: ما يبكيك؟ فقال: ما أعرف شيئًا على عهد رسول الله ﷺ إلا وقد أنكرته اليوم[4]. فيجب على المسلم التمسك بالسنة لكي تدركه المنة؛ قال ﷺ: «**من أحيَى سنتي كان معي في الجنة**»[5].

فلا يتكلم المسلم في الله وصفاته، ولا يناظر أحدًا في ذاته؛ فقد جاء في الحديث الصحيح: أن هلاك هذه الأمة إذا تكلمت في المولى القدير الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[6]، فيقتصر الإنسان على القرآن

---

(١) في (ب): التمسك.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرج البخاري (٥٣٠) عن عثمان بن أبي رواد، أخي عبد العزيز بن أبي رواد، قال: سمعت الزهري، يقول: دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ فقال: لا أعرف شيئًا مما أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضيعت.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) لم نقف عليه صريحًا، ولعله يشير إلى ما أخرجه البخاري (٧٢٩٦) من حديث أبي طوالة عبد الله بن عبد الرحمٰن، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لن=

والخبر، ولا يتكلم في شيء من القدر، فإنه طريق مظلم، وهو سرٌّ من أسرار الله تعالى، لم يطلع عليه أحد، وهو بدء إشراك الأمم الماضية، وكان ﷺ يخر ساجدًا إذا سمع ما يتعالى الله عز وجل عنه[1]. ولا يبحث فيه، ولا يجيب السائل إلا بمثل ما جاء في القرآن، ويقتصر على ظاهره، وما أُبْهِمَ علمه يَكِلُه الإنسان إلى الله تعالى؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] رحمةً منه وفضلاً، فمن تكلف وخاض فيه أدخله النار جزاء وعدلاً، ويقتصد المؤمن في الأعمال الصالحة، ولا يكره نفسه طاعة الله، وهذا هو الصراط المستقيم. قال ﷺ: **«القَصْدَ، القَصْدَ، تبلغوا»**[2].

فإن قال قائل: قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [المائدة: ٤٨]، وفي

= يبرح الناسُ يسألون حتى يقولوا: هذا الله خالق كل شيء، فمن خلق الله؟». وأخرجه مسلم (١٣٦) من حديث المختار بن فلفل عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال: **«قال الله عز وجل: إن أمتك لا يزالون يقولون: ما كذا؟ ما كذا؟ حتى يقولوا: هذا الله خلق الخلق، فمن خلق الله؟»**.

وما أخرجه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يزال الناس يسألونكم عن العلم، حتى يقولوا: هذا الله خالق كل شيء، فمن خلق الله؟»** فقال أبو هريرة ـ وهو آخذ بيد رجل: صدق الله ورسوله، قد سألني اثنان، وهذا الثالث. وفي رواية قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يزال الناس يسألونك يا أبا هريرة، حتى يقولوا: هذا الله، فمن خلق الله؟»** قال: فبينا أنا في المسجد، إذ جاءني ناس من الأعراب، فقالوا: يا أبا هريرة، هذا الله، فمن خلق الله؟ قال: فأخذ حصى بكفه فرماهم، ثم قال: قوموا، قوموا. وفي أخرى: قال: قال رسول الله ﷺ: **«يأتي الشيطان أحدكم، فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول فمن خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله، ولينته»**. وفي أخرى: قال: **«لا يزال الناس يتساءلون، حتى يقال: هذا خلق الله، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئًا فليقل: آمنت بالله ورسله»**. وعند أبي داود (٤٧٢١): **«فإذا قالوا ذلك، فقولوا: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ ثم ليتفل عن يساره ثلاثًا، وليستعذ من الشيطان»**.

(١) لم نقف عليه.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢/ ٥١٤ (١٠٦٧٧)، والبخاري في «صحيحه» (٦٤٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

آية أخرى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، فاعلم رحمك الله أن المسارعة هي المتابعة، فينبغي للمؤمن أن يسأل الله تعالى أن يرزقه المتابعة، ويحرسه مما يخطر بباله من هواجس النفس، وشبهات الدين، ومما خيل في ضميره مما تنفيه عظمة الله سبحانه، فإن الحق تعالى بخلافه، فيستغفر الله منه؛ فإنه من الشيطان.

فإن صحَّ ما تقدم ذكره عن المرازقة(١)، فهي أفعال غير لائقة، تمنع من دخول الجنة، وإلى النار سائقة؛ لأنه خرج عن الطريق وعصى خالقه، فأعمالهم أعمى لهم، وأفعالهم أفعى لهم، وهي كاسدة غير نافقة، اسمعوا أيها المرازقة: إن من شرط المرافقة الموافقة. قال ﷺ: «**من ترك سنتنا فليس منَّا...**»(٢) الحديث.

فعليك - أيها المؤمن! - بالمتابعة، ودع عنك المنازعة، فالمتابعة تثبت الاتصال، وعدمها يثبت الانفصال، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فلما عمل سلمان الفارسيُّ بالسنة سبق العجم إلى الجنة، وبلال لأجل اتباعه سبق الحبشة؛ فله الفضل والمنة؛ ولأجل ذلك سبق صهيب الروم، وأبو طالب لخروجه في الحضرة وهو محروم، فقربت المتابعة هؤلاء العبيد للنبي ﷺ وللمولى المجيد، وبعدت المعاصي والبدع بين النبيين وأولادهم وأزواجهم، فسبحان الفعال لما يريد.

وقد ذم الله أقوامًا ولعن آخرين؛ لخروجهم عن طريق(٣) أنبيائهم، ولم يتبعوا حكم الكتاب، فاعتبروا يا أولي الألباب؛ بما أصاب غيركم من شؤم

---

(١) أحسن المصنف رحمه الله في تعليق ما ذكره من ذم المرازقة بثبوت ذلك عنهم، فالكلام بين الطوائف المختلفة لا يخلو في الغالب من مبالغات ومجازفات، والكلام في الناس لا بدَّ أن يكون بعلم وعدل، لا بجهل وظلم. (ت)

(٢) سبق تخريجه بلفظ: «**من رغب عن سنَّتنا فليس منا**».

(٣) في (ق): طرق.

البدعة ما أصاب. ونسأل الله التوفيق وإليه المرجع والمآب. ثم اعلم بأن انتشار البدع من علامات الساعة.

فيجب على ولاة الأمر ومن كان قادرًا أن يجتهد في زوال البدع، فهو جهاد في سبيل الله تعالى، ورَدُّ العبيد للمولى المجيد، قال ﷺ: **«يا علي لأنْ يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك مما طلعت عليه الشمس»**(١).

وفي الجملة: إن الأمر بالمعروف يقرِّب للرب الرؤوف(٢).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) هذا آخر الفصل الذي خصَّه التركماني رحمه الله للكلام عن طائفة المرازقة، وقد تضمن معلومات تفصيلية قيمة، ونضيف إلى ما ذكره ما تيسر لنا الوقوف عليه عن هذه الطائفة وشيخها وهو عثمان بن مرزوق بن حميد القرشي المصري (ت ٥٦٤هـ)، وقد ترجم له ابن رجب في «ذيل طبقات الحنابلة» فقال ٣٠٦/١: عثمان بن مرزوق بن حميد بن سلام القرشي، الفقيه، العارف، الزاهد، أَبو عمرو. نزيل الديار المصرية: صحب شرف الإسلام عبد الوهاب ابن الجيلي بدمشق، وتفقه، واستوطن مصر وأقام بها إلى أن مات، وأفتى بها ودرس وناظر، وتكلم على المعارف والحقائق. وانتهت إليه تربية المريدين بمصر. وانتمى إليه خلق كثير من الصلحاء، وأثنى عليه المشايخ، وحصل له قبول تامٌّ من الخاصِّ والعامِّ، وانتفع بصحبته خلق كثير. وكان يعظم الشيخ عبد القادر، ويقال: إنه اجتمع به هو وأَبو مدين بعرفات ولبسا منه الخرقة، وسمعا منه جزءً من مروياته. وسمع الحديث ورواه. حدث عنه أَبو الثناء محمود بن عبد الله بن مطروح المقرىء الجيلي، وأبو الثناء أحمد بن ميسرة بن أحمد بن موسى بن غنام الغمراني الحنبلي المصري الكامخي. وكانا صالحين. وكان الأول مقرئًا، حسن التلفظ بالقرآن. وكان الثاني كثير الذكر والتسبيح. حدث عنه المنذريُّ، وقرأ على الأول القرآن. وكان الشيخ أبو عمرو له كرامات، وأحوال ومقامات، وكلام حسن على لسان أهل الطريقة. فمن ذلك قوله: الطريق إلى معرفة الله وصفاته: الفكر، والاعتبار بحكمه وآياته، ولا سبيل للألباب إلى معرفة كنه ذاته. ولو تناهت الحكم الإلهية في حد العقول، وانحصرت القدر الربانية في درك العلوم؛ لكان ذلك تقصيرًا في الحكمة، ونقصًا في القدرة، لكن احتجبت أسرار الأزل عن العقول، كما احتجبت سبحات الجلال عن الأبصار، فقد رجع معنى الوصف في الوصف، وعمي الفهم عن الدرك، ودار الملك في الملك، وانتهى المخلوق إلى مثله، واشتد الطلب إلى شكله: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨]، فجميع المخلوقات من الذرة إلى العرش سبل متصلة إلى معرفته، وحجج بالغة على أزليته، والكون جميعه ألسُنٌ ناطقة بوحدانيته، والعالم كله كتاب يقرأ حروف أشخاصه المتبصرون على قدر=

....

= بصائرهم. ومن كلامه أيضًا: من لم يجد في قلبه زاجرًا فهو خراب. ومن عرف نفسه لم يغتر بثناء الناس عليه. ومن لم يصبر على صحبة مولاه ابتلاه بصحبة العبيد. ومن انقطعت آماله إلا من مولاه فهو عبد حقيقة. والدعوى من رعونة النفس، واستلذاذ البلاء تحقق بالرضى، وحلية العارف الخشية والهيبة. وإياكم ومحاكاة أصحاب الأحوال قبل إحكام الطريق، وتمكن الأقدام فإنها تقطع بكم. ودليل تخليطك صحبتك للمخلِّطين. ودليل وحشتك أنسك بالمستوحشين. وكان يتمثل بهذه الأبيات:

يا غارس الحب بين القلب والكبد ... هتكت بالصد ستر الصبر والجلد

يا من تقوم مقام الموت فرقته ... ومن يحل محل الروح في الجسد

قد جاوز الحب في أعلا مراتبه ... فلو طلبت مزيدًا منه لم أجد

إذا دعا الناس قلبي عنك مال به ... حسن الرجاء، فلم يصدر ولم يرد

إن ترضني لم أُرِدْ ما دمت لي بدلاً ... وإن تغيرت لم أسكن إلى أحد

وحكي عن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن مرسيل الضرير، الفقيه الشافعي الزاهد رحمه الله تعالى، قال: كان الشيخ أبو عمرو ابن مرزوق، من أوتاد مصر، كان شائع الذكر، ظاهر الكرامات، زاد النيل سنة زيادة عظيمة، كادت مصر تغرق، وأقام على الأرض، حتى كاد وقت الزرع يفوت، فضج الناس بالشيخ أبي عمرو ابن مرزوق بسبب ذلك، فأتى إلى شاطىء النيل، وتوضأ منه، فنقص في الحال نحو ذراعين، ونزل عن الأرض حتى انكشفت، وزرع الناس في اليوم الثاني. قال: وفي بعض السنين لم يطلع النيل ألبتةَ، وفاضت أكثر وقت زراعته. وغلت الأسعار وظُنَّ الهلاك، وضجوا بالشيخ أبي عمرو ابن مرزوق، فجاء إلى شاطىء النيل، وتوضأ فيه بإبريق كان مع خادمه، فزاد النيل في ذلك اليوم. وتعاقبت زيادته إلى أن انتهت إلى حدِّه، وبلَّغ الله به المنافع، وبارك في زرع الناس تلك السنة. قرأتُ بخط الشيخ ناصح الدين عبد الرحمٰن بن نجم بن الحنبلي قال: حكى لي الشيخ زين الدين علي بن نجا، قال: زرت الشيخ عثمان بن مرزوق بمصر فقال: يجيء أسد الدين شيركوه إلى هذه البلاد ويروح، ولا يحصل له شيء، ثم يعود يجيء ويروح، ولا يأخذ البلد، ثم يجيء فيأخذ ـ ما أدري قال في الثالثة أو الرابعة. ـ فيملك مصر. فجرى الأمر كما ذكر، فقلت له: يا سيدي من أين لك هذا؟ فقال: والله يا ولدي ما أعلم الغيب، وإنما لي عادة: أن أرى رسول الله ﷺ، أراه في بعض الجُمَع، فيخبرني. قلت: لعله أراد في المنام. قال الناصح: وسمعت خادم الشيخ عثمان بن مرزوق، وكان يعرف بسيف السنة، وعليه آثار الصلاح، وقال له زين الدين بن نجا: أتعرف الأبيات التي أُنشدتْ تلك الليلة بحضرة الشيخ عثمان بن مرزوق، فسمع وبكى. قال: نعم، قال: قلها. فقال: =

....

= فديت من واصلني مختفيًا في وصله | كنَّا على وعد فما كدَّره بمطله
وعاد عندي كله مشتغلاً بكلِّه | ما خلت أن يصلح مثلي في الهوى لمثله
وإنما جاد عليَّ منعمًا بفضله | ولم أكن أهلاً له لكنه من أهله

وذكر الناصحُ في ترجمة ولد الشيخ أبي عمرو بن مرزوق سعد: أن والده ـ يعني الشيخ: أبا عمرو ـ كان يُذكر عنه أنه كان يقول في أفعال العباد: إنها غير مخلوقة. وكذا حكى ابن القطيعي في «تاريخه»، قال: حكى لي أبو محمد بن سعيد البزار التاجر، قال: كنت بمصر ووقع بها فتنة بين والد الشيخ سعد ـ يعني عثمان بن مرزوق ـ وبين الكيزاني، وتلك الفتنة كانت سبب قدوم سعد إلى بغداد، فقلت له: ما كانت. فقال: كان عثمان بن مرزوق يقول: أفعال العباد قديمة. وكان له بمصر قبول، وبمصر يومئذٍ رجل آخر له قبول، يعرف بابن الكيزاني [ت: ٥٦٢]، يقول: ليست قديمة. فثارت الفتن، فقالوا: طريق الحق أن تكتب إلى بغداد في ذلك، فكتبوا إلى علماء بغداد، فأفتوهم على اختلاف مذاهبهم بحدثها، فقال سعد ـ يعني: ابن الشيخ عثمان بن مرزق ـ: الآن قد شككت في هذا الأمر، والمكتوب لا يقلَّد، ولا بدَّ من المضي إلى بغداد، وأسمع مقالة العلماء، وأعود أخبر أبي بذلك، فدخل بغداد، وسمع مقالة العلماء، فمات أبوه بمصر، وبلغه وفاته، فأقام ببغداد. قلت: وذكر أبو المظفر سبط ابن الجوزي في «مرآة الزمان»: أن أبا عبد الله ابن الكيزاني كان يقول: إن أفعال العباد قديمة. فحينئذٍ فقد اختلف في نسبة هذا القول: هل هو إلى ابن الكيزاني، أو إلى ابن مرزوق، ولم يثبت لنا من وجه صحيح عن ابن مرزوق أنه كان يقول ذلك، ولعل ذلك ألزموه به لقوله: إن اللفظ بالقرآن غيرَ مخلوق. وإن هذا القول يقوله طائفة من أصحابنا، وربما نسبوه إلى الإمام أحمد. والصحيح الصريح عن أحمد: أنه كان يبدِّع قائل ذلك، ولعله لما التزم هذا القول الضعيف طرَّده في سائر الأفعال. والله أعلم بحقيقة الحال. ثم وجدت لأبي عمرو ابن مرزوق مصنفات في أصول الدين، ورأيته يقول: إن الإيمان غير مخلوق، أقواله وأفعاله، وإن حركات العباد مخلوقة، لكن القديم يظهر فيها كظهور الكلام في ألفاظ العباد. وقال الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله تعالى: وثَمَّ جماعات منتسبون إلى الشيخ أبي عمرو ابن مرزوق، ويقولون أشياء مخالفة لما كان الشيخ أبو عمرو عليه، وهذا الشيخ كان ينتسب إلى مذهب الإمام أحمد، وكان من أصحاب الشيخ عبد الوهاب ابن الشيخ أبي الفرج، وهؤلاء ينتسبون إلى مذهب الشافعي، ويقولون أقوالاً مخالفة لمذهب الشافعي وأحمد، بل ولسائر أئمة المسلمين، ولشيخهم الشيخ أبي عمرو. وهذا الشيخ أبو عمرو: شيخ من شيوخ أهل العلم والدين، وله أسوة أمثاله، وإذا قال قولاً قد علم أن قول أحمد والشافعي بخلافه، وجب تقديم قول الشافعي وأحمد على قوله، مع دلالة=

= الكتاب والسنة على قول الأئمة، فكيف إذا كان القول مخالفًا لقوله، ولقول الأئمة، وللكتاب والسنة؟ وذلك مثل قولهم: لا نقطع، ولا نقول قطعًا، ويقولون: نشهد أن محمدًا رسول الله، ولا نقطع، ونقول: السماء فوقنا، والأرض تحتنا، ولا نقطع بذلك، ويروون في ذلك أثرًا عن علي، أو حديثًا مرفوعًا، وهو من الكذب المفترى.
قال: وأصل شبههم: أن السلف كانوا يستثنون في الإيمان، فيقول أحدهم: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى، وعلى ذلك كان أهل الثغر ـ عسقلان، وما يقرب منها ـ فإنه كان قد سكنها محمد بن يوسف الفريابيُّ، وكان يأمر بذلك، وكان شديدًا على المرجئة، وعامة هؤلاء القوم جيران عسقلان، ثم صار كثير منهم يستثني في الأعمال الصالحة، فيقول: صليت إن شاء الله، وهو يخاف أن لا يكون أتى بالصلاة كما أُمر، ولا تقبلت منه، فيستثني خوفًا من ذلك. وصنف في ذلك بعض أهل الثغر مصنفًا، وشيخهم أبو عمرو ابن مرزوق، غايته أن يتَّبع هؤلاء، ولم يكن الرجل ولا أحد قبله من أهل العلم يمتنعون أن يقولوا ـ لما يعلم أنه موجود ـ: هذا موجود قطعًا. لكن لما مات أحدث بعض أتباعه الاستثناء في كل شيء، حتى في الإخبار عن الماضي والحاضر.

وقد نقل عن بعض الشيوخ: أنه كان يستثني في كل شيء، كأنه ـ والله أعلم ـ في الخبر عن الأمور المستقبلة، لقوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]، وقول النبي ﷺ: **«وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»**. وصاروا يمتنعون عن التلفظ بالقطع، مع أنهم محققون بقلوبهم أن محمدًا رسول الله، ولا يشكون في نبوة محمد ﷺ، ولكن يكرهون لفظ القطع. وهذا جهل منهم. والواجب عليهم موافقة جماعة المسلمين. فإن قول القائل: أقطع بذلك، مثل قوله: أشهد بذلك، وأجزم وأعلم بذلك. وأطال الشيخ الكلام في ذلك. توفي الشيخ أبو عمرو ابن مرزوق بمصر سنة أربع وستين وخمس مئة. انتهى كلام ابن رجب رحمه الله.

وسئل شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية النميريُّ رحمه الله عن بدعة المرازقة؟ فأجاب: ثم إن جماعات ينتسبون إلى الشيخ عثمان بن مرزوق ويقولون: أشياء مخالفة لما كان عليه، وهو منتسب إلى مذهب أحمد، وكان من أصحاب الشيخ عبد الوهاب بن أبي الفرج الشيرازي، وهؤلاء ينتسبون إلى مذهب الشافعي، ويقولون أقوالاً مخالفة لمذهب الشافعي وأحمد، بل ولسائر الأئمة، وشيخهم هذا من شيوخ العلم والدين، له أسوة أمثاله، وإذا قال قولاً قد علم أن قول الشافعي وأحمد يخالفه وجب تقديم قولهما على قوله، مع دلالة الكتاب والسنة على قول الأئمة، فكيف إذا كان القول مخالفًا لقوله ولقول الأئمة وللكتاب والسنة. وذلك مثل قولهم: ولا نقول قطعًا، ونقول: نشهد أن محمدًا رسول الله ولا نقطع. ونقول: إن السماء فوقنا ولا نقطع. ويروون أثرًا عن علي، وبعضهم يرفعه: أنه قال: لا تقل قطعًا. وهذا من الكذب=

. . . .

= المفترى باتفاق أهل العلم، ولم يكن شيخهم يقول هذا، بل هذه بدعة أحدثها بعض أصحابه بعد موته، وإذا قيل لواحد منهم: ألا تقطع قال: إن الله قادر على أن يغير هذه الفرس. فيظن أنه إذا قال: قطعًا؛ أنه نفيٌ لقدرة الله على تغيير ذلك، وهذا جهل، فإن هذه الفرس فرس قطعًا في هذه الحال، والله قادر على أن يغيرها. وأصل شبهة هؤلاء: أن السلف كانوا يستثنون في الإيمان فيقول أحدهم: أنا مؤمن إن شاء الله، وكانت ثغور الشام ـ مثل عسقلان ـ قد سكنها محمد بن يوسف الفريابي، شيخ البخاري، وهو صاحب الثوري، وكان شديدًا على المرجئة وكان يرى الاستثناء في الإيمان كشيخه الثوري وغيره من السلف. والناس لهم في الاستثناء ثلاثة أقوال: منهم من يحرمه كطائفة من الحنفية، ويقولون من يستثني فهو شكّاك. ومنهم من يوجبه: كطائفة من أهل الحديث. ومنهم من يجوزه ـ أو يستحبه ـ وهذا أعدل الأقوال، فإن الاستثناء له وجه صحيح، فمن قال: أنا مؤمن إن شاء الله، وهو يعتقد أن الإيمان فعل جميع الواجبات، ويخاف أن لا يكون قائمًا بها، فقد أحسن. ولهذا كان الصحابة يخافون النفاق على أنفسهم، قال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه. ومن اعتقد أن المؤمن المطلق هو الذي يستحق الجنة؛ فاستثنى خوفًا من سوء الخاتمة فقد أصاب، وهذا معنى ما يروى عن ابن مسعود أنه قيل له عن رجل أنت مؤمن؟ فقال: نعم. فقيل له: أنت من أهل الجنة؟ فقال: أرجو! فقال: هلا وكّل الأولى كما وكل الثانية، ومن استثنى خوفًا من تزكية نفسه أو مدحها أو تعليق الأمور بمشيئة الله فقد أحسن، ومن جزم بما يعلمه أيضًا في نفسه من التصديق فهو مصيب. والمقصود أن أصل شبهة هؤلاء الاستثناء في الإيمان كما عليه أهل ثغر عسقلان، وما يقرب منها، وعامة هؤلاء جيران عسقلان، ثم صار كثير منهم يستثني في الأعمال الصالحة فيقول: صليت إن شاء الله. وهو يخاف أن لا يكون أتى بالصلاة كما أُمر، وصنف أهل الثغر في ذلك مصنفًا. وشيخهم ابن مرزوق غايتُه أن يتبع هؤلاء، ولم يكن هو ولا أحد قبله من أهل العلم يمتنعون أن يقولوا ـ لما يعلم أنه موجود ـ: هذا موجود قطعًا. وقد نقل بعض الشيوخ أنه كان يستثني في كل شيء، وكأنه يستثني ـ والله أعلم ـ في الخبر عن الأمور المستقبلة لقوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ وقوله ﷺ: **«وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»**. والواجب موافقة جماعة المسلمين، فإن قول القائل قطعًا بذلك مثل قوله: أشهد بذلك، وأجزم بذلك، وأعلم ذلك. فإذا قال: أشهد ولا أقطع، كان جاهلاً، والجاهل عليه أن يرجع، ولا يصر على جهله، ولا يخالف ما عليه علماء المسلمين، فإنه يكون بذلك مبتدعًا جاهلاً ضالاً. وكذلك من جهلهم قولهم: إن الرافضي لا يقبل الله توبته، ويروون عن النبي ﷺ أنه قال: **«سبُّ أصحابي ذنب لا يغفر»**، =

....

= ويقولون: إن سب الصحابة فيه حق لآدمي فلا يسقط بالتوبة؛ وهذا باطل لوجهين: أحدهما: أن الحديث كذب باتفاق أهل العلم بالحديث وهو مخالف للقرآن والسنة والإجماع؛ فإن الله يقول في آيتين من كتابه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، وبهذا احتج أهل السنة على أهل البدع الذين يقولون: لا يغفر لأهل الكبائر إذا لم يتوبوا، وذلك أن الله قال: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾، وهذا لمن تاب، فكل من تاب تاب الله عليه؛ ولو كان ذنبه أعظم الذنوب، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ فهذا في حق من لم يتب. الثاني: أن الحديث لو كان حقًّا فمعناه: أنه لا يغفر لمن لم يتب منه، فإنه لا ذنب أعظم من الشرك، والمشرك إذا تاب غفر الله له شركه باتفاق المسلمين، كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾، وفي الأخرى ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾، ومعلوم أن الكافر الحربي إذا سب الأنبياء ثم تاب تاب الله عليه بالإجماع، فإنه كان مستحلاً لذلك، وكذلك الرافضي هو يستحل سب الصحابة، فإذا تبين له أنه حرام، واستغفر لهم بدل ما كان منه، بدَّل الله سيئاته بالحسنات، وكان حق الآدمي في ذلك تبعًا لحق الله، لأنه مستحل لذلك، ولو قدر أنه حق لآدميٍّ لكان بمنزلة من تاب من القذف والغيبة، وهذا في أظهر قولي العلماء لا يشترط في توبته تحلله من المظلوم، بل يكفي أن يحسن إليه في المغيب، ليهدم هذا بهذا. ومن البدع المنكرة تكفير الطائفة غيرها من طوائف المسلمين، واستحلال دمائهم وأموالهم كما يقولون: هذا زرع البدعيِّ، ونحو ذلك، فإن هذا عظيم لوجهين:

أحدهما: أن تلك الطائفة الأخرى قد لا يكون فيها من البدعة أعظم مما في الطائفة المكفرة لها، بل تكون بدعة المكفرة أغلظ، أو نحوها، أو دونها، وهذا حال عامة أهل البدع الذين يكفر بعضهم بعضًا، فإنه إن قدر أن المبتدع يكفَّر؛ كُفِّر هؤلاء وهؤلاء، وإن قدر أنه لم يكفَّر، لم يكفَّر هؤلاء ولا هؤلاء، فكون إحدى الطائفتين تكفِّر الأخرى ولا تكفر طائفتها، هو من الجهل والظلم، وهؤلاء من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾.

والثاني: أنه لو فرض أن إحدى الطائفتين مختصة بالبدعة، لم يكن لأهل السنة أن يكفِّروا كل من قال قولاً أخطأ فيه، فإن الله سبحانه قال: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ وثبت في «الصحيح» أن الله قال: «**قد فعلت**»، وقال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان**» وهو حديث حسن، رواه ابن ماجه وغيره. وأجمع الصحابة وسائر أئمة المسلمين على أنه ليس كل من قال قولاً أخطأ فيه أنه يكفر بذلك، وإن=

. . . .

= كان قوله مخالفًا للسنة، فتكفير كل مخطئ خلاف الإجماع، لكن للناس نزاع في مسائل التكفير، قد بسطت في غير هذا الموضع. والمقصود هنا أنه ليس لكل من الطوائف المنتسبين إلى شيخ من الشيوخ، ولا إمام من الأئمة أن يكفروا من عداهم، بل في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما**»، وقال أيضًا: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**». وقال: «**لا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخوانًا**»، وقال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم: كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر». وليس للمنتسبين إلى ابن مرزوق أن يمنعوا من مناكحة المنتسبين إلى العوفي، لاعتقادهم أنهم ليسوا أكْفَاء لهم، بل أكرم الخلق عند الله أتقاهم، من أي طائفة كان من هؤلاء وغيرهم، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾، وفي «الصحيح»: أن النبي ﷺ سئل: أي الناس أكرم؟ قال «أتقاهم». وفي «السنن» عنه أنه قال: «**لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض، إلا بالتقوى، الناس من آدم، وآدم من تراب**» (مجموع الفتاوى: ٧/٦٨٠).

وسئل ابن تيمية أيضًا: عن الصلاة خلف المرازقة وعن بدعتهم؟ فأجاب: يجوز للرجل أن يصلي الصلوات الخمس والجمعة، وغير ذلك خلف من لم يعلم منه بدعة، ولا فسقًا باتفاق الأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة المسلمين. وليس من شرط الائتمام أن يعلم المأموم اعتقاد إمامه، ولا أن يمتحنه فيقول: ماذا تعتقد؟ بل يصلي خلف مستور الحال. ولو صلى خلف من يعلم أنه فاسق أو مبتدع ففي صحة صلاته قولان مشهوران في مذهب أحمد ومالك. ومذهب الشافعي وأبي حنيفة الصحة. وقول القائل: لا أسلم مالي إلا لمن أعرف. ومراده لا أصلي خلف من لا أعرفه، كما لا أسلم مالي إلا لمن أعرفه. كلام جاهل، لم يقله أحد من أئمة الإسلام، فإن المال إذا أودعه الرجل المجهول فقد يخونه فيه وقد يضيعه. وأما الإمام فلو أخطأ أو نسي لم يؤاخذ بذلك المأموم، كما في البخاري وغيره أن النبي ﷺ قال: «**أئمتكم يصلون لكم ولهم. فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطئوا فلكم وعليهم**». فجعل خطأ الإمام على نفسه دونهم، وقد صلى عمر وغيره من الصحابة رضي الله عنهم وهو جنب ناسيًا للجنابة فأعاد، ولم يأمر المأمومين بالإعادة، وهذا مذهب جمهور العلماء كمالك والشافعي وأحمد في المشهور عنه. وكذلك لو فعل الإمام ما يسوغ عنده، وهو عند المأموم يبطل الصلاة مثل أن يفتصد ويصلي ولا يتوضأ، أو يمس ذكره، أو يترك البسملة وهو يعتقد أن صلاته تصح مع ذلك، والمأموم يعتقد أنها لا تصح مع ذلك، =

....

= فجمهور العلماء على صحة صلاة المأموم كما هو مذهب مالك وأحمد في أظهر الروايتين، بل في أنصهما عنه، وهو أحد الوجهين في مذهب الشافعي، اختاره القفال وغيره. ولو قدر أن الإمام صلى بلا وضوء متعمدًا والمأموم لم يعلم حتى مات المأموم، لم يطالب الله المأموم بذلك، ولم يكن عليه إثم باتفاق المسلمين، بخلاف ما إذا علم أنه يصلي بلا وضوء، فليس له أن يصلي خلفه، فإن هذا ليس بمصلٍ، بل لاعب، ولو علم بعد الصلاة أنه صلى بلا وضوء ففي الإعادة نزاع. ولو علم المأموم أن الإمام مبتدع يدعو إلى بدعته، أو فاسق ظاهر الفسق، وهو الإمام الراتب الذي لا تمكن الصلاة إلا خلفه، كإمام الجمعة والعيدين والإمام في صلاة الحج بعرفة ونحو ذلك؛ فإن المأموم يصلي خلفه عند عامة السلف والخلف، وهو مذهب أحمد والشافعي وأبي حنيفة وغيرهم. ولهذا قالوا في العقائد: إنه يصلي الجمعة والعيد خلف كل إمام برًّا كان أو فاجرًا، وكذلك إذا لم يكن في القرية إلا إمام واحد فإنها تصلى خلفه الجماعات، فإن الصلاة في جماعة خير من صلاة الرجل وحده، وإن كان الإمام فاسقًا. هذا مذهب جماهير العلماء: أحمد بن حنبل والشافعي وغيرهما، بل الجماعة واجبة على الأعيان في ظاهر مذهب أحمد. ومن ترك الجمعة والجماعة خلف الإمام الفاجر فهو مبتدع عند الإمام أحمد. وغيره من أئمة السنة. كما ذكره في رسالة عبدوس وابن مالك والعطار. والصحيح أنه يصليها ولا يعيدها، فإن الصحابة كانوا يصلون الجمعة والجماعة خلف الأئمة الفجار، ولا يعيدون، كما كان ابن عمر يصلي خلف الحجاج، وابن مسعود وغيره يصلون خلف الوليد بن عقبة، وكان يشرب الخمر حتى أنه صلى بهم مرة الصبح أربعًا ثم قال: أزيدكم؟ فقال ابن مسعود: ما زلنا معك منذ اليوم في زيادة. ولهذا رفعوه إلى عثمان. وفي صحيح البخاري: أن عثمان رضي الله عنه لما حُصر صلى بالناس شخص فسأل سائل عثمان، فقال: إنك إمام عامة وهذا الذي يصلي بالناس إمام فتنة. فقال: يا ابن أخي إن الصلاة من أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسنوا فأحسن معهم، وإذا أساؤوا فاجتنب إساءتهم. ومثل هذا كثير. والفاسق والمبتدع صلاته في نفسه صحيحة، فإذا صلى المأموم خلفه لم تبطل صلاته، لكن إنما كره من كره الصلاة خلفه، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب، ومن ذلك أن من أظهر بدعة أو فجورًا لا يرتب إمامًا للمسلمين، فإنه يستحق التعزير حتى يتوب، فإذا أمكن هجره حتى يتوب كان حسنًا، وإذا كان بعض الناس إذا ترك الصلاة خلفه وصلى خلف غيره أثر ذلك حتى يتوب، أو يعزل، أو ينتهي الناس عن مثل ذنبه، فمثل هذا: إذا ترك الصلاة خلفه كان فيه مصلحة، ولم يفت المأموم جمعة ولا جماعة، وأما إذا كان ترك الصلاة يفوت المأموم الجمعة والجماعة فهنا لا يترك الصلاة خلفهم إلا مبتدع مخالف للصحابة رضي الله عنهم. وكذلك إذا كان الإمام قد=

. . . .

= رتبه ولاة الأمور ولم يكن في ترك الصلاة خلفه مصلحة فهنا ليس عليه ترك الصلاة خلفه بل الصلاة خلف الإمام الأفضل أفضل، وهذا كله يكون فيمن ظهر منه فسق أو بدعة تظهر مخالفتها للكتاب والسنة، كبدعة الرافضة والجهمية ونحوهم. ومن أنكر مذهب الروافض وهو لا يصلي الجمعة والجماعة، بل يكفر المسلمين، فقد وقع في مثل مذهب الروافض، فإن من أعظم ما أنكره أهل السنة عليهم تركهم الجمعة والجماعة وتكفير الجمهور.

وأما الصلاة خلف المبتدع: فهذه المسألة فيها نزاع وتفصيل. فإذا لم تجد إمامًا غيره كالجمعة التي لا تقام إلا بمكان واحد، وكالعيدين وكصلوات الحج خلف إمام الموسم، فهذه تفعل خلف كل بر وفاجر، باتفاق أهل السنة والجماعة، وإنما تدع مثل هذه الصلوات خلف الأئمة أهل البدع كالرافضة ونحوهم ممن لا يرى الجمعة والجماعة، إذا لم يكن في القرية إلا مسجد واحد، فصلاته في الجماعة خلف الفاجر خير من صلاته في بيته منفردًا؛ لئلا يفضي إلى ترك الجماعة مطلقًا. وأما إذا أمكنه أن يصلي خلف غير المبتدع فهو أحسن وأفضل بلا ريب، لكن إن صلى خلفه ففي صلاته نزاع بين العلماء. ومذهب الشافعي وأبي حنيفة تصح صلاته. وأما مالك وأحمد ففي مذهبهما النزاع وتفصيل. وهذا إنما هو في البدعة التي يعلم أنها تخالف الكتاب والسنة مثل بدع الرافضة والجهمية ونحوهم. فأما مسائل الدين التي يتنازع فيها كثير من الناس في هذه البلاد مثل مسألة الحرف والصوت ونحوها فقد يكون كل من المتنازعين مبتدعًا، وكلاهما جاهل متأول، فليس امتناع هذا من الصلاة خلف هذا بأولى من العكس، فأما إذا ظهرت السنة وعلمت فخالفها واحد، فهذا هو الذي فيه النزاع، والله أعلم. (مجموع الفتاوى: ٣٥١/٢٣).

قلتُ: ذكر ابن عبد الهادي في «العقود الدرية» ٧٦ في مؤلفات ابن تيمية: «وجواب عن المرازقة وما يفعلونه من أعمال والرد عليهم فيما أخطؤوا فيه»، وذكره الصفدي في «أعيان العصر» ٢٤٦/١، وفي «الوافي بالوفيات» ١٩/٧ باسم: «كشف حال المرازقة». وفي مركز المخطوطات والوثائق بالكويت، رقم ٥/١١٣ مخطوطة لابن تيمية باسم: «الصلاة خلف المرازقة وذكر بدعتهم»، في (٤٣) ورقة، ولا أدري هل فيها زيادات على «المجموع»؟!

وقال العلامة أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (ت: ٧٥٦هـ) في «الفتاوى» ٥٣/١ «قوله: أنا مؤمن إن شاء الله؛ اطلعت على أن ذلك قول أكثر السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، والشافعية والمالكية والحنابلة ومن المتكلمين الأشعرية والكلابية. وهو قول سفيان الثوري، وكان صاحبه محمد بن يوسف الفريابي مقيمًا في عسقلان، فشهر ذلك في الشام عنه، وأخذه عنه عثمان بن مرزوق، فزاد=

. . . .

= أصحابه المشهورون اليوم بالمرازقة في الديار المصرية الاستثناء في كل شيء، وهو بدعة وضلال، أعني ما زادوه».

وقال أيضًا ٥٨/١: «أما الحاضر المقطوع به من جميع وجوهه فلا يتصور تعليقه، فلا يقال: أنا إنسان إن شاء الله! ولا اعتبار بقول المرازقة، فإنهم مبتدعة جهال ضلال في ذلك».

وأخرج الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٧٥٦)، واللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١٦٨١) من طريق داود بن المحبر ـ وهو كذاب ـ، قال: حدثنا المعارك بن عباد القيسي، عن عبد الله بن سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إن من تمام إيمان العبد أن يستثني في كل حديثه».

وذكره الذهبي في «ميزان الاعتدال» في ترجمة (معارك بن عباد) ١٣٣/٤ (٨٦١٧)، وقال: «هذا الحديث الباطل، قد يحتج به المرقة الذين لو قيل لأحدهم: أنت مسيلمة الكذاب؟! لقال: إن شاء الله!». كذا وقع في «الميزان»: «المرقة»، وصوابه: «المرازقة»، وعلى الصواب نقله ابن عراق في «تنزيه الشريعة» ١٥٤/١. ونقله ابن حجر في «تهذيب التهذيب» ١٩٨/١٠، وتحرَّف في المطبوع إلى: «الموارقة»، وتعقَّب ابن حجر الذهبيَّ بقوله: «وقد بالغ». والحديث خرَّجه الألباني في «الضعيفة» (٧١٢٤) وقال: موضوع.

فائدة: يطلق لقب: «المرازقة» أيضًا على الذين يأخذون معاشًا وراتبًا من غلة الوقف، ويسمى هؤلاء: أهل الوظائف أيضًا كإمام الجامع وخَدَمته. كما في «أبحاث هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية» ١٧٢/٧. ويُعرف بالمرازقة أيضًا فريقٌ ينضم إلى عشيرة البطوش، وهي من عشائر الكرك في الأردن، تقطن في قرية خنزيرة، وقد خرج منهم فرع إلى قرية ريمون بعجلون، ويعرفون بالمرازقة أيضًا، والمرازقة: من عشائر الجولان الصغيرة تقيم في قرية دبورة، وتعد خمسين بيتًا.كما في «معجم قبائل العرب القديمة والحديثة» لعمر رضا كحالة ٨٥/١، و١٠٦٧/٣، وقال الزبيدي في «تاج العروس» ٣٤٢/٢٥: والرَّوازِقُ، والمَرازِقَةُ، والرَّزاقِلَةُ: قبائِلُ. (ت)



فصل فيما يبتدع إذا التقى الرجلان

فلا يصافح أحدهما صاحبه، ولا يسلم عليه، بل يقول: أبقاك الله، والباقي هو الله. وهذا سلام الدَّهرية، وليس هو بتحية؛ لمخالفة السُّنة المرضية(١).

أو يحط كل واحد منهما يده في الهواء ويقبلها، وهذا سلام النصارى والكُتَّاب، وهو مخالف للسنة والكتاب، وأنحس من ذلك: حط اليد على الأرض وتقبيلها، وأكثر ما يفعله اليهود، فلا يتشبه بهم إلا العبد المبعود.

(١) أخرج عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد «الزهد» (١٧١٧) عن طلحة بن يحيى قال: كنت جالسًا عند عمر بن عبد العزيز فجاءه رجل، فقال له: يا أمير المؤمنين، أبقاك الله ما كان البقاء خيرًا لك. فقال: أما ذاك فقد فرغ منه، ولكن قل: أحياك الله حياة طيبة، وتوفاك مع الأبرار.

وقال ابن مفلح في «الآداب الشرعية» ٣٨٧/١: قال الخلال في «الأدب»: كراهية قوله في السلام: أبقاك الله. أنبأنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: رأيت أبي إذا دعي له بالبقاء يكرهه، ويقول: هذا شيء قد فرغ منه. وقال إسحاق جئت أبا عبد الله بكتاب من خراسان، فإذا عنوانه: لأبي عبد الله أبقاه الله. فأنكره، وقال: أيش هذا؟ وذكر الشيخ تقي الدين [ابن تيمية] أنه يكره ذلك، وأنه نص عليه أحمد، وغيره من الأئمة.

وقال ابن مفلح: قال أبو جعفر النحاس: ومن الاصطلاح المحدَث كَتْبُهم: أطال الله بقاءك. وقد حكى إسماعيل بن إسحاق أنه دعاء محدَث، واستدل على هذا بأن الكتب المتقدمة كلها لا يوجد فيها هذا الدعاء، غير أنه ذكر أن أول من أحدثه الزنادقة.

ومن البدعة: الانحناء وبوس الأرض بين أيدي الأمراء والكبراء، وأتعس من ذلك كله: السجود للمشايخ والفُقراء[1] وهذه كانت تحية الأمم السالفة، وهي لسنة النبي ﷺ مخالفة.

فمن سجد لأحد لأجل التكريم فهو شديد التحريم، فإن نوى بسجوده لشيخه يخاف عليه الكفر، ويقال لهذا الساجد: [2](الإله واحد ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَـٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ [النحل: ٥١].

تحرم ـ أيضًا ـ المعانقة للأمرد الحسن الوجه، وتقبيل الخدود، فاسمع وأطع ولا تتعد الحدود، وأما مصافحة الصبي الحسن الوجه والنظر إليه ففيه خلاف للعلماء: فبعضهم حرم النظر إليه بغير حاجة بشهوة وبغير شهوة؛ خوفًا من الفتنة؛ ولأنه بمنزلة النساء[3]. وعند بعض العلماء: لا يحرم ذلك إلا بشهوة[4]. وفي نقض الوضوء من لمس الأمرد نزاع، فاعمل على تركه، وعليك بالاتباع، فمن أذهب الله تعالى عن قلبه الغفلة والعمى اجتهد في الخروج من خلاف العلماء، قال ﷺ: **«ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر الله لهما قبل أن يفترقا»**[5]. وفي حديث آخر: **«إذا التقى الرجلان فتصافحا نزلت بينهما مئة رحمة: تسعة وتسعون لأبشِّهما وجهًا لصاحبه»**[6].

---

(١) كذا في النسخ، وهو صحيح، ومراده بالفقراء: المتصوفة الذين هم دون مرتبة المشايخ.

(٢) من هنا بداية سقوط ورقة من (ق).

(٣) انظر «المجموع» ٤/٦٣٥، ١٦/١٣٣.

(٤) انظر: «الإقناع» للشربيني ٢/٤٠٧، و«الدر المختار» ١/٤٠٧.

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» ٤/٢٨٩ (١٨٥٤٧)، وابن ماجه في «سننه» (٣٧٠٣)، وأبو داود في «سننه» (٥٢١٢)، والترمذي في «جامعه» (٢٧٢٧) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

وأخرجه أبو داود في «سننه» (٥٢١١) من حديث البراء أيضًا، بلفظ: **«إذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله عز وجل واستغفراه غفر لهما»**.

وقال الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٧٧): حسن.

(٦) أخرجه البزار في «مسنده» (٣٠٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بلفظ: **«إذا التقى الرجلان المسلمان فسلَّم أحدهما على صاحبه فإنَّ أحبَّهما إلى الله أحسنهما=**

وقوله: «الرجلان» احترازًا من المرأة الأجنبية ومن الأمرد الجميل؛ فإن مصافحتهما لا ترضي المولى الجليل؛ لأن النفس تلتذُّ برؤيا الشاب الجميل وبمصافحته وبكلامه وبخلوته، فاقصر ولا تطيل[١].

ومن السنة أن يلقى الإنسان أخاه المسلم الطائع ببشاشة[٢]؛ لقوله ﷺ: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**»[٣].

وقوله في الحديث المتقدم: «**تسعة وتسعون لأبشِّهما**».

كان بعض الصالحين إذا لقي أخاه يسلم عليه ولا يبش في وجهه، فقيل له في ذلك، فقال: حتى يذهب هو بتسعة وتسعين رحمة، وأنا أذهب بفرد رحمة.

فانظر رحمك الله إلى أهل الخير كيف يؤثرون إخوانهم على أنفسهم بالآخرة، ونحن نبخل عليهم بالدنيا، ونبتدع بقول آخر نقول: إن الدنيا كلها لا تسوى عند الله جناح بعوضة. وقد شغل بعضها كلنا، ونحسد أخانا المسلم على جزء منها، فنرى العبد الممقوت يقول: إن الموت قريب، ويعمل عمل من لا يموت. قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٢ ـ ٣].

= **بشرًا بصاحبه، فإذا تصافحا نزلت عليهما مئة رحمةٍ: للبادي منهما تسعون، وللمصافح عشرةٌ**».

وقال: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبيِّ ﷺ إلاَّ من هذا الوجه بهذا الإسناد، ولم يتابع عمر بن عمران على هذا الحديث.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧٦/٨: رواه البزار وفيه من لم أعرفه.

وقال الألباني في «ضعيف الترغيب» (١٦٢٧): ضعيف جدًّا.

(١) كذا، وصوابه: (ولا تُطِلْ).

(٢) في (خ): ببشاشته.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ١٧٣/٥ (٢١٥١٩)، ومسلم في «صحيحه» (٢٦٢٦) (١٤٤)، والترمذي في «جامعه» (١٨٣٣) من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه.

فإن قال القائل: فإذا التقى الرجلان، وهذا أبشَّ في وجه صاحبه والآخر أبشَّ؟ قال العلماء: لكل واحد تسعة وتسعون حسنة.

وابتداء السلام سنة، وكذلك المصافحة.

وأمَّا المصافحة في الصلاتين بعد صلاة العصر وبعد صلاة الصبح فبدعة من البدع التي استوى طرفاها لا أصل لها في الشرع، واختار بعض العلماء تركها؛ لأنها زيادة في الدين.

ويستحب الدعاء عقيب الصلوات ولا يُسن، فإن كان بعد الصلاة سنة فالأولى أن يشتغل بالسنة؛ لأنها أرفع درجة من المستحب.

وأما السجدة يوم الجمعة في أول ركعة من صلاة الصبح فلم يواظب النبي ﷺ عليها، بل فعلها في وقت وتركها في وقت، فمن فعل ذلك فهو أقرب للسنة. وهذا قول المؤلف، فإن كان خطأ يرد عليه، وإن كان صوابًا فلله الحمد والمنة[1].

---

(١) أخرج مسلم (٨٧٩) عن ابن عباس: أن النبي ﷺ كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ السجدة، و: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾.

وأخرج أيضًا (٨٨٠) عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ كان يقرأ في الصبح يوم الجمعة: ﴿الٓمٓ ۝١﴾ في الركعة الأولى، وفي الثانية: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١﴾.

قال ابن القيم رحمه الله في «زاد المعاد» ١/٣٧٥: كان ﷺ يقرأ في فجر يوم الجمعة بسورتي ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ و: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾، ويظن كثير ممن لا علم عنده أن المراد تخصيص هذه الصلاة بسجدة زائدة، ويسمونها سجدة الجمعة، وإذا لم يقرأ أحدهم هذه السورة استحب قراءة سورة أخرى فيها سجدة، ولهذا كره من كره من الأئمة المداومة على قراءة هذه السورة في فجر الجمعة دفعًا لتوهم الجاهلين. وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: إنما كان النبي ﷺ يقرأ هاتين السورتين في فجر الجمعة لأنهما تضمنتا ما كان ويكون في يومها، فإنهما اشتملتا على خلق آدم، وعلى ذكر المعاد وحشر العباد، وذلك يكون يوم الجمعة، وكان في قراءتها في هذا اليوم تذكير للأمة بما كان فيه ويكون، والسجدة جاءت تبعًا، ليست مقصودة حتى يقصد المصلي قراءتها حيث اتفقت، فهذه خاصة من خواص يوم الجمعة.

وتحرم المصافحة للنساء الأجنبيات وللشاب الجميل بشهوة، وتكره المصافحة للظَّلمة وأعوانهم، وللفسقة وإخوانهم، والكفار بطريق الأولى، والأولى أن لا ينظر الإنسان إليهم؛ لأنهم ساقطون من عين الله تعالى، فنظرهم يعمي القلوب، ويبعد(١) عن علام الغيوب.

ولا يسلم على من كان مشغولاً بقراءة، وبخطبة، وذكر، وأذان، وبدرس، وإقامة صلاة، أو كان مشغولاً ببول أو جماع وما يشبه ذلك، كمن هو مشغول بالتلبية، أو مستغرق في الأدعية، فإن سلَّم لا يستحق جوابًا، وفي بعضها خلاف.

ويسلم على النسوة إذا كن جماعة، ويجوز السلام على العجوز وإن كانت منفردة، ومن يجوز السلام عليه تجوز مصافحته إلا المرأة الشابة الأجنبية فلا يجوز السلام عليها، ولا يجوز مصافحتها، ولا الخلوة بها(٢). ومن كُرِه سلامه كُرِه مصافحته، فكَرِه بعض العلماء ابتداء أهل الذِّمة بالسلام، وقال بعضهم بتحريمه، فإن سلموا فيردُّ المسلم عليهم بقوله: وعليكم(٣).

---

(١) في (ب): يبعدهم.

(٢) هذا على مذهب الحنفية في جواز مصافحة العجوز، قال أبو الليث السمرقندي في «تحفة الفقهاء» ٣/٣٣٣: «الأجنبيات وذوات الرحم بلا محرم فإنه يحرم النظر إليها أصلاً، من رأسها إلى قدمها سوى الوجه والكفين، فإنه لا بأسَ بالنظر إليهما من غير شهوة، فإن كان غالب رأيه أنه يشتهي يحرم أصلاً، وأما المس فيحرم سواء عن شهوة أو عن غير شهوة، وهذا إذا كانت شابة، فإن كانت عجوزًا فلا بأس بالمصافحة إن كان غالب رأيه أنه لا يشتهي. ولا تحلُّ المصافحة إن كانت تشتهي، وإن كان الرجل لا يشتهي...».
قلتُ: الصواب في هذه المسألة التفريق بين السلام والمصافحة، فالأول جائز بإطلاق، بل مستحب، بين الرجال والنساء على اختلاف أعمارهم، إلا إن وجدت مفسدة أو خُشيت فتنة، أما المصافحة فحرام بإطلاق، واستثناء العجوز ليس عليه دليل صريح، لكنه قد يؤخذ اجتهادًا من عموم قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [النور: ٦٠]. (ت)

(٣) الصواب مشروعية ابتداء غير المسلم بالتحية الإسلامية: (السلام عليكم)، وهذا مذهب كثير من السلف وبعض الأئمة كإسحاق بن راهويه وابن تيمية، والنهي الوارد إنما هو=

ولا يسلم المسلم على مَن كان مجموعًا على الباطل؛ كشرب خمر، أو لعب نرد وشطرنج وقمار، وما يشبه ذلك، فإن سلموا هم أولاً يردُّ عليهم، ويجوز أن يدعو لهم لأجل الأخوة، وإن كان الأخ قليل الدين والمروءة. وأما الفاسق المعلن بفسقه ومن كان مجموعًا على بدعة فلا يسلم عليهم)[1]، ولا يردُّ عليهم السلام إذا سلموا. وروي أن النبي ﷺ مرَّ على جماعة نسوة فسلم عليهنَّ[2]، وعلى الصبيان فقال: «**السلام عليكم يا صبيان**»[3].

ويبتدئ المسلم بالسلام لمن لم يجز السلام عليه دفعًا للضرر وللحاجة إليه، والسلام سُنة على القريب والغريب.

وإذا دخل الرجل بيته يسلم على أهله، فإن لم يكن فيه أحد يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. فإن اجتمع بقوم يسلم عليهم، وكذلك إذا فارقهم.

والإشارة بالإصبع من دأب اليهود، وبالكف من عادة النصارى،

= خاص بحال الحرب والعداوة، وقد فصلت القول في هذه المسألة بأدلتها في كتاب: «التعامل مع غير المسلمين في السنة النبوية»، فليراجع. (ت)

(١) هنا نهاية سقوط ورقة من (ق).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣٦٣/٤ (١٩١٥٤)، وأبو يعلى في «مسنده» (٧٥٠٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» ٣٥٣/٢ (٢٤٨٦) من حديث جرير بن عبد الله.
وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢١٣٩): صحيح بطرقه.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ١٨٣/٣ (١٢٨٩٦)، والدارمي في «سننه» (٢٦٣٦)، والبخاري في «صحيحه» (٦٢٤٧)، ومسلم في «صحيحه» (٢١٦٨) (١٤)، وابن ماجه في «سننه» (٣٧٠٠)، وأبو داود في «سننه» (٥٢٠٢)، والترمذي في «جامعه» (٢٦٩٦) من حديث أنس رضي الله عنه.
وأخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٤٨٢) (١٤٥) من حديث ثابت، عن أنسٍ أيضًا، قال: أتى عليَّ رسولُ اللَّه ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان، قال: فسلَّم علينا فبعثني إلى حاجةٍ، فأبطأت على أمّي، فلمَّا جئت قالت: ما حبسك؟ قلت: بعثني رسولُ اللَّه ﷺ لحاجةٍ. قالت: ما حاجته؟ قلت: إنَّها سِرٌّ. قالت: لا تحدِّثنَّ بسرّ رسول اللَّه ﷺ أحدًا. قال أنسٌ: واللَّهِ لو حدَّثت به أحدًا لحدَّثتك يا ثابتُ.

والجثي على الركبة من أخلاق التَّطَر[1]، وبوس الأرض ما جاء فيه خبر، ومَن انحنى في سلامه لم يتبع الأثر، ومَن سجد لغير الله فقد كفر، ومن قال لظالم: أبقاك الله! فقد رضي بأن يُعصى الله في أرضه.

ومن السنة أن لا يمدح الرجل في وجهه، ولا يغلو فيه عند غيبته، ويقول الممدوح: اللَّهم اجعلني خيرًا مما يقولون، واغفر لي ما لا يعلمون.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦]، فابتداء السلام سنة، ورده فريضة من فروض الكفاية، إذا قام به واحد سقط عن الباقين وحرموا أجر العاملين، فإذا قال واحد منهم: وعليك السلام. سقط الفرض عن الكل ولهذا عشر حسنات، فإن قال: ورحمة الله. له عشرون حسنة، فإن قال: وبركاته. فله ثلاثون حسنة، وإن زاد زاد الله تعالى في حسناته.

ولا بأس أن يكرم أهل العلم والزهد والورع بالسلام وبتقبيل اليد والقيام، ولا يفعل ذلك لأهل الفسق والظلم والبدع والآثام، ولا يفعله تعظيمًا للدنيا وأهلها فإنه حرام. قال ﷺ: **«من تواضع لغنيٍّ لأجل غناه ذهب ثُلثا دِينه»**[2].

قال المؤلف: إن صحَّ هذا الحديث ففيه صعوبة على كثير من الناس، ومن تواضع لغني لأجل دينه لا يكون آثمًا؛ لأنه تواضع لأجل مولاه لا لأجل غناه.

---

(١) كذا في (ب) و(خ)، وفي: (ق): (التتار)، وقد تقدَّم للمؤلف كتابته بالطاء، وهو ـ على نُدرته ـ وجيه جدًا.

(٢) أخرجه الشاشي في «المسند» (٦٠٩)، وابن الجوزي في «الموضوعات» ٣/١٣٣، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٠٤٥) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، بلفظ: **«من أصبح حزينًا على الدنيا أصبح ساخطًا على الله، ومن أصبح يشكو مصيبة أصابها به فإنما يشكو الله، ومن تواضع لغني ذهب ثلثا دينه، ومن قرأ القرآن من هذه الأمة ثم دخل النار كان من الذين اتخذوا آيات الله هزوًا»**. وعند ابن الجوزي والبيهقي: **«ومن دخل على غني فتضعضع له»**.
وهذا الحديث ضعيف جدًا، راجع «المقاصد الحسنة» للسخاوي (١١٠٢).

وروي أن رجلاً دخل على النبي ﷺ فقال لأصحابه: «**قوموا لسيدكم**»[١]. وكان ﷺ يكره أن يقام له، وأيُّ مكانٍ وجَدَ فيه فُرجةً جلس فيه[٢].

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢٢/٣ (١١١٦٨)، والبخاري في «صحيحه» (٣٠٤٣)، ومسلم في «صحيحه» (١٧٦٨)، وأبو داود في «سننه» (٥٢١٥) من حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي اللَّه عنه، قال: نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ، قال: فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد فأتاه على حمار، قال: فلما دنا قريبًا من المسجد، قال رسول الله ﷺ: «**قوموا إلى سيدكم أو خيركم**». ثم قال: «**إن هؤلاء نزلوا على حكمك**». قال: تُقتل مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم. قال: فقال النبي ﷺ: «**لقد قضيت بحكم الله**». وربما قال: «**قضيت بحكم الملك**».

(٢) أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٨) ضمن حديث طويل، ضعيف جدًا.



فصل فيما أعد الله تعالى للمسلمين الحيارى الذين يُوَلُّونَ[1] اليهودَ والنصارَى

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]. قال بعض المفسرين: هو كافر مثلهم[2]. وقال بعضهم: لا يكون من الكفار، لكن يحشر معهم في النار[3].

فمن أكرمهم ووَلَّاهم خرج عن السنة وعن طريق الأتقياء، ودخل في طريق الأشقياء؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، ولقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١]، وقال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨]. معنى الآية: أي من يفعل ذلك فقد برئ من الله تعالى وفارق دينه، ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ أي: إذا خاف المسلم على نفسه وماله

---

(١) كذا في النسخ: (يولون) بإسقاط الألف، ومراده توليتهم أمور المسلمين. وإن كان المراد موالاتهم يقال: (يوالون) و(يتولَّون).

(٢) انظر: «روح المعاني» للألوسي ١٥٧/٦.

(٣) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي ٢١٧/٦.

وهذه المسألة فيها تفصيل، فمن الولاء ما هو كفر مخرج من الملة، ومنه ما هو من كبائر الذنوب، ومنه ما هو دون ذلك، وقد أكثر أهل زماننا من الخوض في هذه المسألة بالإفراط أو التفريط، والحق وسط بين ذلك، وبالله التوفيق. (ت)

فله أن يداريهم باللسان وقلبه مطمئن بالإيمان. قال الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]، أي: يخوفكم الله على موالاة الكفار عذاب نفسه[١]، كأنه قال: ويحذركم الله إياه.

رُوي أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه رفع حسابًا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فأعجبه وقال: ادع كاتبك يقرأه. قال: إنه لا يدخل المسجد. قال: أوَليس هو مسلمًا؟ قال: لا. قال: لا تؤمنوهم بعد إذ خوَّنهم الله، ولا تعزوهم بعد إذ أذلهم الله، ولا تصدقوهم بعد إذ كذبهم الله[٢].

ورُوي أنه قال لأبي موسى: قاتلك الله، أما سمعت قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ [المائدة: ٥١]. ثم خَذَفَه بالدرة[٣] فلو أصابته لأوضعته[٤].

---

(١) في (ق): عذابه.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦٥١٠) من حديث عياض الأشعري.
وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» ٢٠٤/٩، وفي «شعب الإيمان» (٩٣٨٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.
وقال الألباني في «إرواء الغليل» ٣٧٨/٨: صحيح.

(٣) الخَذْفُ: رميك بحصاةٍ أو نواةٍ أو نحوهما، تأخذ بين سبابتيك تخذف به، أو بمخذفة من خشب. والدِّرَّةُ: السوطُ يُضربُ به. وفي (خ): بالدراة. وفي (ب): بالدواة.

(٤) لم أجده بهذا اللفظ، لكن أخرجه ابن زبر الربعي في «شروط النصارى» (٢٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٢١٦/١٠، وفي «شعب الإيمان» (٨٩٣٩) عن سماك بن حرب، عن عياض الأشعري: عن أبي موسى الأشعري، أنه قدم على عمر ومعه كاتبٌ له، فسأله عمر عما صنع في عمله، فقال: أنفقت كذا وكذا، فقال: إني لست أدري ما تقول، ولكن انطلق فاكتب فيما أنفقت. فانطلق فكتب: أنفقت في كذا وكذا، وفي كذا وكذا. ثم جاء به إلى عمر، فلما رآه أعجبه. فقال: من كتب لك هذا؟ قال: كاتبٌ لي. قال: فادْعُه حتى يقرأ لنا كتبًا جاءتنا من الشام. فقال: يا أمير المؤمنين إنه لا يدخل المسجد. فقال: لم؟ أجنبٌ هو؟ قال: لا، ولكنه نصراني. فضرب على فخذي ضربةً كاد يكسرها، ثم قال: أما سمعت إلى الله تبارك وتعالى يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾ [المائدة: ٥١]، أفلا اتخذت كاتبًا حنيفًا يكتب لك؟ قال: يا أمير المؤمنين ما لي وله؟ له دينه ولي كتابته! فقال=

(وكتب إليه خالد بن الوليد رضي الله عنه: إنَّ بالشَّام نصرانيًّا لا يصلح خِراج الشام إلا به)[1]. فكتب إليه عمر رضي الله عنه: لا تستعمله. فكتب ثانيًا: إنه ليس لنا منه بدٌّ. فكتب رضي الله عنه إلى خالد: مات النصراني والسلام. فصرف خالد النصراني[2].

ثم اعلم أن من علامة حب الله تعالى أن لا تكرم عدوه، فمن أكرمهم أهانه الله، ومن أعزهم أذله الله، قال الله سبحانه في كتابه الذي خذل به الباطل وهدَّه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١].

= عمر: لا تأمنهم إذ خونهم الله، ولا تكرمهم إذ أهانهم الله، ولا تدنهم إذ أقصاهم الله. وأخرجه الخلال في «أهل الملل والردة من الجامع» ١٩٧/١ من هذا الوجه بنحوه، وفيه: قال عمر: ما لكَ، قاتلك الله! أما سمعت الله تبارك وتعالى يقول... فذكر الآية. (ت)

(١) ليست في (خ).

(٢) ذكره ابن تيمية في «مسألة في الكنائس» ١٢٨، وفي «المجموع» ٦٤٣/٢٨ فقال: كتب خالد بن الوليد إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، يقول له: إن بالشام كاتبًا نصرانيًا، لا يقوم خراجُ الشام إلا به. فكتب إليه: لا تستعمله! فكتب: إنه لا غناءَ بنا عنه. فكتب إليه، لا تستعمله! فكتب إليه: إذا لم نولِّه ضاع المالُ. فكتب إليه عمر رضي الله عنه: مات النصرانيُّ، والسلام.

ونقله عن ابن تيمية: ابن مفلح في «الآداب الشرعية» ٤٤٨/٢، وابن الموصلي البعلي في «حسن السلوك الحافظ لدولة الملوك» (٢١٦) والخزاعي في «تخريج الدلالات السمعية» ٧٨٠، ولم أجده في المصادر المسندة، وأول من ذكره بهذا اللفظ الزمخشري في «الكشاف» ١/ ٦٢، ولكن بسياق آخر فقال: وروي أنه قال له أبو موسى: لا قوام للبصرة إلا به، فقال: مات النصرانيّ والسلام، يعني: أنه مات فما كنت صانعاً حينئذٍ فاصنعه الساعة واستغن عنه بغيره. وخرَّجه الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤١٨) بأثر أبي موسى عند البيهقي في «الشعب»، وليس فيه هذا اللفظ.

وذكره ابن القيم في «أحكام أهل الذمة» ٤٤٥/١ بسياق آخر، فقال: وورد عليه كتاب معاوية بن أبي سفيان: أما بعد، يا أمير المؤمنين، فإن في عملي كاتبًا نصرانيًّا لا يتم أمر الخراج إلا به، فكرهت أن أقلده دون أمرك، فكتب إليه: عافانا الله وإياك، قرأت كتابك في أمر النصراني، أما بعد: فإن النصراني قد مات، والسلام. (ت)

رأى رجل الخليفة قد قرَّب رجلاً نصرانيًا، فقال: أتأذن لي بالكلام يا أمير المؤمنين؟ فأذن له، فقال هذه الأبيات:

أيا إمامٌ حكمه لازم ... وحبه مفترض واجب
إن الذي شرفت من أجله ... يزعم هذا أنه كاذب

وأشار بيده نحو النصراني، فقال الخليفة للنصراني: أنت تزعم أن جدي كاذب؟ قال: لا يا أمير المؤمنين. ثم (أتى النصراني)[1] بالشهادتين، فقال الرجل للخليفة: ألست تعلم أنه أسلم خوفًا من هيبتك؟ قال: نعم. قال: فإسلامه نفاق؛ فإذًا لا يصلح أن يكون للخليفة من الرفاق. فطرده الخليفة[2]. فذهب لا هو بدينه، وذهبت دنياه. وهذا حال من خذله مولاه، فمن رضي بالله ربًّا وبمحمد ﷺ رسولاً وبالإسلام دينًا فلا يتخذ يهوديًا، ولا نصرانيًا كاتبًا ولا خازنًا ولا أمينًا، فمن فعل ذلك كان لدين الإسلام مهينًا، فقد أخطأ الطريق وما أصاب يقينًا، وأكثر ما يقع في هذه المصائب الولاة والأمراء، ونسأل الله تعالى الهداية وحُسن الخاتمة لنا ولهم وللمسلمين أجمعين، وكان الله على كل شيء مقتدرًا.

ثم اعلم بأنه يجب على المسلم أن لا يولي على إخوته المسلمين كافرًا، ولا مسلمًا ظالمًا ولا فاسقًا، فإن فعل فقد أعان الظالم على ظلمه، وقوَّى الفاسق على فسقه، وأعان الكافر لتوليته على إخوانه، وأذلَّ المؤمن مع وجود إيمانه.

وجاء في الأخبار: «يقول الحق سبحانه يوم القيامة: أين الظلمة وأعوان الظلمة؟ فيجعلون في توابيت ويلقون في النار»[3].

---

(١) في (ق): أن النصراني أعلن.

(٢) انظر: «سراج الملوك» للطرطوشي ٧١، و«بدائع السلك في طبائع الملك» لابن الأزرق ٢٨/٢، و«سير أعلام النبلاء» ٤٩٢/١٩. وفي «اتعاظ الحنفاء» للمقريزي ١٢٦/٣ حادثة وقعت سنة (٥٢٣) ذُكر فيها بعض هذا الشعر. (ت)

(٣) ضعيف: أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» (٩٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله=

وكذلك إذا ولِّي على المسلمين مبتدعًا أو فاسقًا فقد غشهم، وقال ﷺ: «**من غشنا فليس منا**»[1]. لأن المبتدع يجر الناس لبدعته، والفاسق يكلفهم حضور المحرمات لأجل معصيته، فإن شكر المسلم كافرًا بقوله: عندي نصراني صادق أمين، وهو خير من كثير من المسلمين. يكفر وتحرَّم عليه زوجته[2]، والعياذ بالله رب العالمين، ولا بد من تجديد النكاح إذا جدد

= عنه. وذكره أحمد بن حنبل في «الورع» ٩٣/١ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وقال الزيلعي في «تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف» ٢٨/٣: غريب.

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٤١٧/٢ (٩٣٩٦)، ومسلم في «صحيحه» (١٠١)، وابن ماجه في «سننه» (٢٢٢٤)، وأبو داود في «سننه» (٣٤٥٢)، والترمذي في «جامعه» (١٣١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأخرجه أحمد في «مسنده» ٥٠/٢ (٥١١٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) قال ابن نجيم في «البحر الرائق» ١٣٣/٥ - في بيان ألفاظ التكفير الموجبة للردة -: وبقوله: معلِّم صبيان اليهود خير من المسلمين بكثير، فإنهم يقضون حقوق معلمي صبيانهم!

قلتُ: في إطلاق التكفير لمن فضَّل كافرًا على مسلم مجازفة، والحق التفصيل: فتفضيل الكافر على المسلم إن كان من حيث الدين، فهو ردَّةٌ وإلا فلا، كما قال علِّيش المالكي (ت: ١٢٩٩) في «فتح العلي» ٣٤٨/٢، وإن لم يكن بسبب الدين فإطلاق التفضيل قبيح يجب اجتنابه، وإن قيِّد بشيء معيَّن فلا يتَّجه منعه.

وفي «فتاوى نور على الدرب»: سئل عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله عن سائلٍ يعقد مقارنة أو موازنة بين العمال من المسلمين وغير المسلمين فيقول: إن غير المسلمين هم من أهل الأمانة، وأستطيع أن أثق فيهم، وطلباتهم قليلة، وأعمالهم ناجحة، أما أولئك فهم على العكس تمامًا؟ فأجاب: هؤلاء ليسوا بمسلمين على الحقيقة، هؤلاء يدعون الإسلام، أما المسلمون في الحقيقة فهم أولى وأحق وهم أكثر أمانة وأكثر صدقًا من الكفار، وهذا الذي قلته غلط لا ينبغي أن تقوله، والكفار إذا صدقوا عندكم وأدوا الأمانة حتى يدركوا مصلحتهم معكم، وحتى يأخذوا الأموال عن إخواننا المسلمين، فهذه لمصلحتهم؛ فهم ما أظهروا هذا لمصلحتكم ولكن لمصلحتهم هم، حتى يأخذوا الأموال وحتى ترغبوا فيهم. فالواجب عليكم ألا تستقدموا إلا الطيبين من المسلمين؛ وإذا رأيتم مسلمين غير مستقيمين فانصحوهم ووجهوهم فإن استقاموا وإلا فردُّوهم إلى بلادهم واستقدموا غيرهم، وطالبوا الوكيل الذي يختار لكم أن يختار الناس الطيبين المعروفين بالأمانة، المعروفين بالصلاة، المعروفين بالاستقامة؛ =

إسلامه عند أبي حنيفة رضي الله عنه، (وفي ذلك خلاف للعلماء)[1]، فإن كفر الزوج والزوجة معًا ثم جدد الإسلام؛ فلا يحتاج لتجديد النكاح. ونسأل الله تعالى الحراسة في الأفعال والأقوال، وأن يجعلنا من أهل الدين والصلاح، ويرزقنا حسن الخاتمة والسَّماح؛ لأن الشرع إذا حكم بكفر المسلم تحرُم عليه زوجته، فيكون قد فارق ربه، ونبيه ودينه وزوجته، فإن ندم على فعلته، وتاب من زلته، وجدد إسلامه؛ تاب الله عليه، ورجع كل من فارقه إليه.

= لا يستقدم من هبَّ ودبَّ. وهذا لا شك أنه من خداع الشيطان، أن يقول لكم: إن هؤلاء الكفار أحسن من المسلمين، أو أكثر أمانة، أو كذا أو كذا؛ كله لما يعلمه عدو الله وجنوده من الشر العظيم في استقدام الكفرة واستخدامهم بدل المسلمين؛ فلهذا يرُغِّب فيهم ويزين لكم استقدامهم حتى تدعوا المسلمين، وحتى تستقدموا أعداء الله، إيثارًا للدنيا على الآخرة ولا حول ولا قوة إلا بالله. وقد بلغني عن بعضهم أنه يقول: إن المسلمين يصلون ويعطلون الأعمال بالصلاة، والكفار لا يصلون حتى يأتوا بأعمال أكثر، وهذا أيضًا من جنس ما قبله، ومن البلاء العظيم؛ أن يعيب المسلمين بالصلاة ويستقدم الكفار لأنهم لا يصلون، فأين الإيمان؟ وأين التقوى؟ وأين خوف الله؟ أن تعيب إخوانك المسلمين بالصلاة! نسأل الله السلامة والعافية.
وسئل محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله عن وصف الكفار بالصدق والأمانة وحسن العمل؟ فأجاب بقوله: هذه الأخلاق إن صحت مع أن فيهم الكذب والغدر والخيانة والسطو أكثر مما يوجد في بعض البلاد الإسلامية وهذا معلوم، لكن إذا صحت هذه فإنها أخلاق يدعو إليها الإسلام، والمسلمون أولى أن يقوموا بها ليكسبوا بذلك حسن الأخلاق مع الأجر والثواب. أما الكفار فإنهم لا يقصدون بها إلا أمرًا ماديًّا فيصدقون في المعاملة لجلب الناس إليهم. لكن المسلم إذا تخلق بمثل هذه الأمور فهو يريد بالإضافة إلى الأمر المادي أمرًا شرعيًا وهو تحقيق الإيمان والثواب من الله عز وجل وهذا هو الفارق بين المسلم والكافر. أما ما زعم من الصدق في دول الكفر شرقية كانت أم غربية، فهذا إن صحَّ فإنما هو نِزرٌ قليل من الخير في جانب كثير من الشر، ولو لم يكن من ذلك إلا أنهم أنكروا حق من حقه أعظم الحقوق وهو الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]. فهؤلاء مهما عملوا من الخير فإنه نزر قليل مغمور في جانب سيئاتهم، وكفرهم، وظلمهم فلا خير فيهم. (مجموع فتاوى ورسائل العثيمين: ٣/٢٣) (ت)

(١) في (خ، ب): ففي هذه خلاف العلماء.

وقال أبو حنيفة: فإن تاب المسلم عن هذه المقالة تقبل الله أعماله، ويكون أيضًا نادمًا على هذه الفعلة ليوم القيامة، فيجدد إسلامه ونكاحه، فيعجل الله خيره وفلاحه.

قال ﷺ: «**أفضل الأعمال ثلاث: إنصاف المؤمن من نفسه، ومواساة الأخ في ماله، وذكر الله تعالى على كل حال**»[1].

أنصفنا - أيها المؤمن! - من نفسك، فإذا ثبت عندك أن رجلاً يبغض دين الإسلام ولا يحب النبي ﷺ؛ أفتكرمه لأجل فعلته هذه غاية الإكرام فتجلسه في مكان مرتفع والمسلمون وقوف بين يديه كالخدام؟! قال المؤمن: كيف أكرم من يبغض ديني، ويكذِّب نبيي، وهما عندي أحب إليَّ من نفسي وأهلي والأموال والأنعام! فقم - أيها المؤمن! - بما قلته من الكلام، ولا تولِّ على أمور المسلمين يهوديًا، ولا نصرانيًا، ولا راهبًا، إن كنت في الجنة راغبًا، ولله ولرسوله محبًا طالبًا، فقد غدا كل أمير بهذه البلوى ناشبًا[2] إلا من حرسه الله تعالى، ولم يردُّه من كرمه خائبًا.

ثم اعلم بأن اليهود والنصارى من خبثهم ولعانتهم في ابتداء أمرهم

---

(١) أخرجه الرافعي في «التدوين في أخبار قزوين» ٤/ ٧٠ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، بلفظ: «**أشد الأعمال ثلاثة: إنصاف الناس من نفسك، ومواساة الأخ من مالك، وذكر الله على كل حال**».

وأورده ابن حجر في «لسان الميزان» ٦/ ٣٢٦ ترجمة (١١٦٣) يوسف بن علي الطبري، وقال: أورد عنه الرافعي في «تاريخ قزوين» هذا السند النظيف لمتن غير صحيح، لكنه يركب عليه عن ابن عمر رفعه ... ثم ذكره، وقال: هذا موضوع على هؤلاء من الشريف فصاعدًا.

وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ١/ ٨٥ من حديث علي رضي الله عنه موقوفًا.

وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٧٤٤)، وهناد في «الزهد» (١٠٤٨) من حديث أبي جعفر مرسلاً، وعند هناد: «**أسدّ الأعمال**».

(٢) النُّشَّابُ: النَّبْلُ، واحدتُه نُشَّابة، والناشِبُ ذو النُّشَّاب، ومنه سمي الرجل ناشِباً، والناشِبةُ قومٌ يَرْمونَ بالنُّشَّابِ، والنُّشَّابُ: السِّهامُ، وقوم نَشَّابة يَرْمُونَ بالنُّشَّابِ.

يتخدمون ويجتهدون ويظهرون[1] النصح لمخدومهم؛ فإذا ثبت ذلك عنده فعلوا ما أرادوا من الخيانة، وخيارهم لا يرى النصح ويأكل البرطيل[2]، وما شهدنا إلا بما علمنا، فأقصر ولا تطيل.

فمن سلامة صدر المسلم يزعم أنه ناصح له فيحبه ويولِّيه، ويقول: عندي كاتب صادق أمين، فيسقط بقوله وفعله من رحمة رب العالمين؛ فقد كذَّبهم الله تعالى ورسوله ﷺ وخوَّنهم، فيحرم على المؤمن أن يولِّيهم أو يصدقهم ويزكيهم، فكل من أكرم النصراني أو اليهودي (ما يكرمهم إلا لأجل ما ولاهم الأمير، وخوفًا من لعانة هؤلاء الخنازير)[3]، فيكون مجموع الإثم على من أكرمه وولاه، فالله الله من تعظيمهم وتزكيتهم ومحبتهم، عباد الله!

ونهى عمر بن الخطاب في خلافته التُّجار أن يجلبوا شيئًا من علوج النصارى إلى مدينة النبي ﷺ المختار؛ لعلمه بلعانتهم وخيانتهم، وكان عبدُ المغيرةِ عِلْجًا من علوج النصارى، فشكاه المغيرة لعمر، فأغلظ عمر على العلج الكلام، فغضب العلج، فسنَّ سكينًا ودخل المسجد يريد الصلاة، وأظهر الدين والأمانة، ثم ظهر منه الجور والخيانة، فضرب عمر رضي الله عنه بالسكين وهو واقف يصلي بالجماعة، وجرح جماعةً من المسلمين، فلما علم أنه مأخوذ قتل نفسه[4].

---

(١) في (خ): ويورون.

(٢) البِرْطِيلُ بكسر الباء: الرشوة، كأنه مأخوذ من البِرْطِيلُ الذي هو المعول؛ لأنه يستخرج به ما استتر، وفتح الباء عامي لفقد فعليل بالفتح. انظر: «المصباح المنير» (ص ٣١).

(٣) في (خ): ما يكرمه إلا لأجل ما ولاه الأمير وخوفًا من لعانة هذا الخنزير.

(٤) قاتل الفاروق عمر رضي الله عنه لم يكن نصرانيًا، بل كان ـ باتفاق المحدثين والمؤرخين ـ مجوسيًا فارسيًا، وهو أبو لؤلؤة فيروز، وقد أخرج القصة البخاري في «الصحيح» (٣٧٠٠) عن عمرو بن ميمون رحمه الله، مطولاً، وفيها: قال: إني لقائم ما بيني وبينه، إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب، وكان إذا مر بين الصفين، قال: استووا، حتى إذا لم ير فيهن خللاً تقدم فكبر، وربما قرأ سورة يوسف، أو النحل، أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبر فسمعته يقول: قتلني ـ أو أكلني ـ الكلب، حين طعنه، فطار العلج بسكين ذات طرفين، لا يمر على=

فانظر إلى فعل دينهم وأمنهم كيف شقَّ بطن خليفة المسلمين، وقتل من الصحابة قومًا آخرين، فجرح ثلاثة عشر رجلاً، وقتل ستة، ثم قتل نفسه؛ هذا فعله وقد أظهر الإسلام وصلى الجماعة خلف الإمام، فلا ينبغي للمؤمنين الأتقياء أن يولوا أحدًا من هؤلاء الأشقياء؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١].

= أحدٍ يمينًا ولا شمالاً إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً، مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسًا، فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه، وتناول عمر يد عبد الرحمٰن بن عوف فقدَّمه، فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى، وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون، غير أنهم قد فقدوا صوت عمر، وهم يقولون: سبحان الله سبحان الله، فصلى بهم عبد الرحمٰن صلاة خفيفة، فلما انصرفوا قال: يا ابن عباس، انظر من قتلني، فجال ساعة، ثم جاء فقال: غلام المغيرة، قال: الصنع؟ قال: نعم، قال: قاتله الله، لقد أمرت به معروفًا، الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدعي الإسلام، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة - وكان العباس أكثرهم رقيقًا - فقال: إن شئت فعلت، أي: إن شئت قتلنا؟ قال: كذبت بعد ما تكلموا بلسانكم، وصلوا قبلتكم، وحجوا حجكم.

وأخرج ابن سعد في «الطبقات» ٣/٣٤٥ بإسناد صحيح عن ابن شهاب الزهري قال: كان عمر لا يأذن لسبي قد احتلم في دخول المدينة، حتى كتب المغيرة بن شعبة، وهو على الكوفة، يذكر له غلامًا عنده صنعًا، ويستأذنه أن يدخله المدينة، ويقول: إن عنده أعمالاً كثيرة فيها منافع للناس، إنه حداد نقاش نجار. فكتب إليه عمر فأذن له أن يرسل به إلى المدينة، وضرب عليه المغيرة مئة درهم كل شهر، فجاء إلى عمر يشتكي إليه شدة الخراج، فقال له عمر: ماذا تحسن من العمل؟ فذكر له الأعمال التي يحسن، فقال له عمر: ما خراجك بكثير في كنه عملك. فانصرف ساخطًا يتذمَّر، فلبث عمر ليالي، ثم إن العبد مرَّ به فدعاه، فقال له: ألم أحدث أنك تقول: لو أشاء لصنعت رحى تطحن بالريح، فالتفت العبد ساخطًا عابسًا إلى عمر، ومع عمر رهط، فقال: لأصنعنَّ لك رحى يتحدث بها الناس، فلما ولى العبدُ أقبل عمر على الرهط الذين معه فقال لهم: أوعدني العبد آنفًا! فلبث ليالي ثم اشتمل أبو لؤلؤة على خنجر ذي رأسين، نصابه في وسطه، فكمن في زاوية من زوايا المسجد في غلس السحر، فلم يزل هناك حتى خرج عمر يوقظ الناس للصلاة صلاة الفجر، وكان عمر يفعل ذلك، فلما دنا منه عمر وثب عليه فطعنه ثلاث طعنات، إحداهن تحت السرة، قد خرقت الصفاق، وهي التي قتلته، ثم انحاز أيضًا على أهل المسجد فطعن من يليه، حتى طعن سوى عمر أحد عشر رجلاً، ثم انتحر بخنجره... (ت)

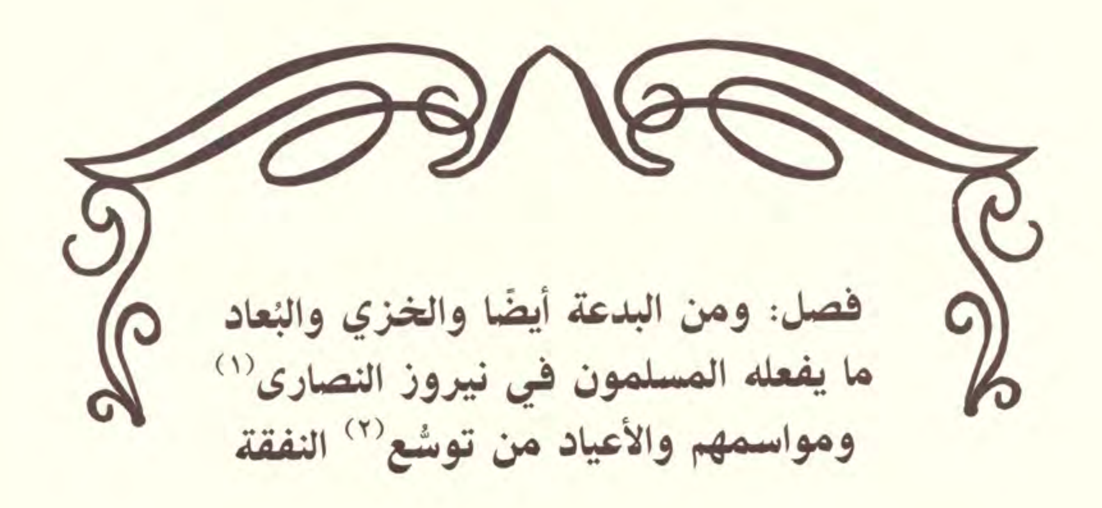
وجاء رجل من أبطال المشركين ليقاتل بين يدي النبي ﷺ فردَّه، وقال: «**لم أستعن**[1] **بمشرك**»[2]، فلما أسلم قَبِلَه رسول الله ﷺ، وقد ذكرت هذا الحديث مبينًا في باب سبت النور.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

---

(١) في (ق): فردوه وقالوا: لا نستعين.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٦/٦٧ (٢٤٣٨٦)، والدارمي في «سننه» (٢٤٩٦)، ومسلم في «صحيحه» (١٨١٧)، وابن ماجه في «سننه» (٢٨٣٢)، وأبو داود في «سننه» (٢٧٣٢)، والترمذي في «جامعه» (١٥٥٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٧٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.



فصل: ومن البدعة أيضًا والخزي والبُعاد ما يفعله المسلمون في نيروز النصارى(١) ومواسمهم والأعياد من توسُّع(٢) النفقة

وهذه النفقة غير مخلوفة، وسيعود شرُّها على المنفِق في العاجل والآجل؛ كتكثير الزَّلابية، وكسر البطِّيخ، والتغالي في ألونة الطبيخ، وكصبغ البيض، وشراء البخور؛ ومجموع ذلك لا يرضي المولى الغفور، ويخاف على من وسع في هذه الأوقات النفقات أن يضيق الله تعالى عليه القبور، وأن لا يسلمه من أهوال يوم النشور؛ لتشبهه بهذه الطوائف الملعونة أهل الكفر والفجور، ولتعظيمه عيد هذا الكافر الملعون المغرور.

---

(١) النَّيروز - فَيْعول بفتح الفاء - والنَّوروز لغةٌ، وهو معرَّب، وهو أول السنة، لكنه عند الفرس عند نزول الشمس أول الحمل، وعند القبط أول توت، والياء أشهر من الواو، لفقد فوعول في كلام العرب. قال في «المصباح المنير» (مادة: نزر).

قلت: نيروز أكبر أعياد الفرس المجوس، يحتفلون به في الحادي والعشرين من شهر مارس من السنة الميلادية، لا يُعرف إلا بهم، وأصلها في الفارسية «نوروز» ومعناها: اليوم الجديد، ثم استعمل لاحقًا لبداية السنة القبطية في مصر، وهو المعروف بعيد شَمِّ النَّسيم.

قال الذهبي رحمه الله في «تشبه الخسيس بأهل الخميس» ٤٦: «فأما النيروز، فإن أهل مصر يبالغون في عمله، ويحتفلون به، وهو أول يوم من سنة القبط، ويتخذون ذلك عيدًا، يتشبه بهم المسلمون، وهو أول فصل الخريف». (ت)

(٢) كذا، ولتقرأ: (توسيع).

وقد جاء في الأخبار المتواترة: من أحب قومًا أو تشبَّه بهم حشر معهم في الآخرة[1].

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» ١٩/٣ (٢٥١٩) من حديث أبي قرصافة رضي الله عنه، بلفظ: «**من أحب قومًا حشره الله في زمرتهم**».
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٥٠٠/١٠: رواه الطبراني، وفيه من لم أعرفه.
وقال الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٣٤٣): ضعيف.
وأخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» ٩١٦/٢، والديلمي في «مسند الفردوس» (٥٨٧٠) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، ولفظه: «**من أحب قومًا على أعمالهم حُشر يوم القيامة في زمرتهم، فحوسب بحسابهم وإن لم يعمل بأعمالهم**».
وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، والمتهم به إسماعيل، قال ابن عدي: يحدث عن الثقات بالبواطيل. وقال الدارقطني: كذاب متروك.
قلتُ: ومراد المؤلف رحمه الله بالأخبار المتواترة ليس ما ورد بهذا اللفظ على وجه الخصوص، لكن ما دل على هذا المعنى، وهو صحيح متواتر بيقين، فمن ذلك ما أخرجه البخاري (٦١٦٩)، ومسلم (٢٦٤٠) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف تقول في رجل أحب قومًا ولم يلحق بهم؟ فقال رسول الله ﷺ: «**المرء مع من أحب**».
وما أخرجه البخاري (٦١٧١)، ومسلم (٢٦٣٩) عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: بينما أنا ورسول الله ﷺ خارجين من المسجد، فلقينا رجلًا عند سدة المسجد، فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال رسول الله ﷺ: «**ما أعددت لها؟**» قال فكأن الرجل استكان، ثم قال: يا رسول الله ما أعددتُ لها كبيرَ صلاةٍ ولا صيامٍ ولا صدقةٍ، ولكني أحب الله ورسوله! قال: «**فأنت مع من أحببت**». قال أنس: فما فرِحنا، بعد الإسلام فرحًا أشدَّ من قول النبي ﷺ: «**فإنك مع من أحببت**» قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله، وأبا بكر وعمر، فأرجو أن أكون معهم، وإن لم أعمل بأعمالهم.
وما أخرجه البخاري (٦١٧٠)، ومسلم (٢٦٤١) عن أبي موسى، قال: قيل للنبي ﷺ: الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم؟ قال: «**المرءُ مع من أحبَّ**».
قال الكتاني في «نظم المتناثر في الحديث المتواتر» (٢٤٦) حديث: «**المرء مع من أحب**» أورده في «الأزهار» في كتاب الأدب من حديث أبي موسى، وصفوان بن عسال، وجابر بن عبد الله، وابن مسعود، وأبي هريرة، وعلي، وأبي قتادة، وأبي سريحة، وعبد الله بن يزيد الخطمي، وصفوان بن قدامة، وعروة بن مضرس الطائي، ومعاذ بن جبل، وأبي أمامة الباهلي ثلاثة عشر نفسًا. قال الكتاني: ورد أيضًا من حديث أبي ذر، وأنس، وفي «شرح المواهب»: هذا الحديث متواتر. قال في «الفتح»: جمع أبو نعيم الحافظ طرقه في كتاب: «المحبين مع المحبوبين»، وبلغ عدد الصحابة=

ومن قلة التوفيق والسعادة ما يفعله المسلم الخبيث في يوم يعرف بالميلادة، فيشتري لأولاده القصب، والشمع، والقفص، والحطب، أو ما يناسبه ويطرحه في النار، فيقع في البدع، ويخرج عن طريق النبي المختار صلوات الله عليه وسلامه آناء الليل وأطراف النهار، وهو في فعلته هذه قد تشبَّه بالكفار، وفيه إضاعة المال وقد نهينا عن ذلك كلِّه، وصحَّ ذلك في القرآن والأخبار؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]، وهذا إسراف بلا خلاف، ونهى ﷺ أمته عن إضاعة المال، وعن القيل والقال[١].

فمن ضيع فلسًا في غير مصلحة فهو داخل في النهي؛ لأن الفلس مال، فكيف يكون حال من ضيع ماله، وأنحس عند الله تعالى حاله بمخالفته للشرع الشريف، ولموافقته لكل عبدٍ كافرٍ ومعتدٍ وكثيف؟ رُوي أن عيسى عليه السلام ولد في برية خالية، وكانت ليلة شاتية، فأوقد عندها النار، فصار ذلك سنة للكفار. فمن فعل ذلك فقد تشبه بهم، قال ﷺ: «من

= فيه نحو العشرين، وفي رواية أكثرهم: «**المرء مع من أحب**»، وفي بعضها بلفظ حديث أنس: «**أنت مع من أحببت**». وفي «التيسير» مشهورًا ومتواترًا. وفي «شرح الأحياء»: هو مشهور جدًا، أو متواتر عن النبي ﷺ لكثرة طرقه.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾؛ قال الربيع بن خثيم رحمه الله: يحشر المرء مع صاحب عمله. (ت)

(١) أخرجه الدارمي في «سننه» (٢٧٥١)، وأحمد في «مسنده» ٤/٢٤٦ (١٨١٤٧)، والبخاري في «صحيحه» (٢٤٠٨)، ومسلم في «صحيحه» (١٧١٥) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله حرم عليكم: عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنع وهات، وكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**».

وأخرجه أحمد في «مسنده» ٢/٣٢٧ (٨٣٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «**إن الله كره لكم ثلاثًا، ورضي لكم ثلاثًا: رضي لكم أن تعبدوه لا تشركون به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا، وأن تنصحوا لولاة الأمر، وكره لكم قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال**».

وأخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٦٦٧) من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه، بلفظ: «**إن الله كره لكم ثلاثًا: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**».

تشبه بغيرنا فليس منَّا». فقد برئ ﷺ ممن يفعل ذلك، ونهى أمته أن يتشبهوا بأهل الكتاب، فاعتبروا يا أولي الألباب، فاسمعوا وَعُوا قول مولاكم: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

قال بعض علماء الحنفية: من فعل ما تقدم ذكره ولم يتب فهو كافر مثلهم[(١)]. وقال بعض أصحاب مالك: من كسر يوم النيروز بطيخة فكأنما ذبح خنزيرًا[(٢)].

وقال مالك: يكره معهم الركوب في السفن التي يركبونها لأجل أعيادهم؛ لنزول السخط واللعنة عليهم فتصيب من جالسهم، فيأثم المسلم بمجالسته لهم، وبإعانته لهم بذبحٍ وطبخ، وإعارة دابة يركبونها لمواسمهم وأعيادهم[(٣)].

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا تدخلوا عليهم في كنائسهم؛ فإن السخطة تنزل عليهم[(٤)].

ثم اعلم بأن من جالس الجماعة المرحومة رحمه الله تعالى؛ إذا نزلت الرحمة عليهم أصابت من جالسهم كما جاء في الحديث الصحيح: «**يقول الله تعالى لجليس الذاكرين: هم الجلساء الذين لا يشقى جليسهم**»[(٥)]. وكذلك

---

(١) قال ابن نجيم في «البحر الرائق» ٥/١٣٣ ـ فيما يوجب التكفير والحكم بالردَّة عند الحنفية ـ: وبخروجه إلى نيروز المجوس، والموافقة معهم فيما يفعلون في ذلك اليوم، وبشرائه يوم النيروز شيئًا لم يكن يشتريه قبل ذلك تعظيمًا للنيروز لا للأكل والشرب، وبإهدائه ذلك اليوم للمشركين ولو بيضةً تعظيمًا لذلك اليوم؛ لا بإجابته دعوة مجوسيٍّ حلقَ رأس ولده.

(٢) لم أجده، وقد ذكر ابن الحاج العبدري الفاسي المالكي (ت: ٧٣٧) رحمه الله في «المدخل» ٢/٤٦ـ٥٤؛ فصلاً مطولاً في ذم مشاركة المسلمين لنيروز النصارى. (ت)

(٣) «المدونة» ٣/٤٣٥.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٦٠٩).
وأخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٦٨٠٦) من كلام عطاء.

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢/٣٥٨ (٨٧٠٤)، والبخاري في «صحيحه» (٦٤٠٨)، ومسلم في «صحيحه» (٢٦٨٩)، والترمذي في «جامعه» (٣٦٠٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

من جالس الجماعة الملعونة لعنه الله؛ إذا نزلت اللعنة عليهم أصابت من جالسهم، فلا تجالسهم، ولا تكرمهم؛ فمن أكرمهم أهانه الله، ومن أحبهم أبغضه الله، ولا تطعمهم، ولا تقرضهم شيئًا لكي لا يستعينوا به على معصية الله سبحانه وتعالى، فتكون قد ساعدتهم على المعصية، ولا تتصدق عليهم؛ لما جاء في الحديث: «**اختاروا لصدقاتكم كما تختاروا لبناتكم**»[(١)]. وكان صلوات الله عليه وسلامه يقول (لمن ضيَّفه)[(٢)]: «**أكل طعامكم الأبرار، وأفطر عندكم الصائمون، وذكركم الله فيمن عنده**»[(٣)]. وقال أيضًا لبعض أصحابه: «**لا تصحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقي**»[(٤)].

وقال أبو الليث في حديث يرفعه إلى النبي ﷺ: «**من أقرض شارب خمرٍ درهمًا سلط الله على جسده حيَّةً وعقربًا**»[(٥)]، ولا يعطي المسلم هذا

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، وذكره ابن الحاج في «المدخل» ٣/٢٨٣ بلفظ: «اختاروا لنطفكم كما تختارون لصدقاتكم». ولا يصحُّ.

(٢) ليست في (ق)، وفي (خ): فيمن ضيفه.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٧٩٠٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٩٨٣٨)، وأحمد في «مسنده» ٣/١١٨ (١٢١٧٧)، وعبد بن حميد في «مسنده» (١٢٣٤)، والدارمي في «سننه» (١٧٧٢)، وأبو داود في «سننه» (٣٨٥٤)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٠١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٤/٢٣٩ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. وأخرجه ابن ماجه في «سننه» (١٧٤٧) من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنه. وقال الألباني في «صحيح الجامع» (١١٣٧): صحيح.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) ذكره أبو الليث السمرقندي الحنفي في «تنبيه الغافلين» ١٤٧، فقال: وروت عائشة رضي الله تعالى عنها، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «من أطعم شارب الخمر لقمة، سلط الله على جسده حيةً وعقربًا، ومن قضى حاجته فقد أعان على هدم الإسلام، ومن أقرضه قرضًا فقد أعان على قتل مؤمن، ومن جالسه حشره الله تعالى يوم القيامة أعمى لا حاجة له، ومن شرب الخمر فلا تزوجوه، فإن مرض فلا تعودوه، وإن شهد فلا تقبلوا شهادته. فوالذي بعثني بالحق نبيًا إنه ما يشرب الخمر إلا ملعون في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ومن شرب الخمر فقد كفر بجميع ما أنزل على أنبيائه. ولا يستحل الخمر إلا كافر، ومن استحل الخمر فأنا منه بريء في الدنيا والآخرة». قلتُ: لم يُسنده أبو الليث رحمه الله، ولا نعرف لهذا الحديث أصلاً، والنكارة عليه ظاهرة. (ت)

شيئًا من الزكاة، ولا من الصدقة؛ لأنه من جملة الفسقة؛ فإن أعطاه جاز، ويكره. أما الجواز فلقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ﴾ [التوبة: ٦٠]. ويكره لمخالفة الحديث[١].

وكذلك تكره الصلاة خلف الفاسق عند أكثر العلماء[٢]، وإن حفظ القراءات السَّبع والسُّنن، وكلَّ كتاب أُنزل من السماء؛ لأن الشرع قد أمرنا بأن نختار لصدقاتنا، فكذلك نختار لصلاتنا؛ لأن الصلاة هي من أفضل الأعمال، وبها نجا العُمَّال. قال صلوات الله عليه وسلامه: «**ألا أنبئكم بما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟**» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط**»[٣].

فتكره[٤] الصلاة خلف من هو قليل الدين والمروءة، (وإن قام في مقام النبوة)[٥]. قال ﷺ: «**أئمتكم شفعاؤكم، فانظروا بمَنْ تَسْتَشْفعوا**»[٦].

---

(١) يفهم من سياق المؤلف رحمه الله أن هذا آخر كلام أبي الليث السمرقندي رحمه الله، وقد ذكر الحديث في كتابه: «تنبيه الغافلين» وليس فيه هذا التعليق، كما لم أجده في مظانه من تفسيره المسمى: «بحر العلوم»، ولا في كتابه الفقهي «تحفة الفقهاء» حيث عقد بابًا في من يوضع فيه الصدقة ١/٢٩٩؛ فلم يذكر الفاسق بشرب خمر أو غيره. والله أعلم. (ت)

(٢) انظر: «المجموع» ٤/٢٥٣، و«المبسوط» ١/٧٢.

(٣) أخرجه مالك في «الموطأ» (٣٨٤)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١٩٩٣)، وأحمد في «مسنده» ٢/٢٣٥ (٧٢٠٩)، ومسلم في «صحيحه» (٢٥١)، وابن ماجه في «سننه» (٤٢٨)، والترمذي في «جامعه» (٥١)، والنسائي في «سننه» ١/٨٩ (١٤٣)، وابن حبان في «صحيحه» (١٠٣٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وأخرجه أحمد في «مسنده» ٣/٣ (١٠٩٩٤)، وابن ماجه في «سننه» (٤٢٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٠٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
وأخرجه عبد بن حميد في «مسنده» (٩١) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولفظه: «**إسباغ الوضوء في المكاره، وإعمال الأقدام إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة تغسل الخطايا غسلاً**».

(٤) في (خ): فتركه.

(٥) ليست في (ق).

(٦) لم أقف عليه بهذا اللفظ. =

وتجوز الصلاة خلفه؛ لأجل الإيمان، وقراءة القرآن، وأتى بجميع الأركان، قال ﷺ: **«صلوا خلف كل برٍّ وفاجر»**[1]، وفي حديث آخر: **«صلوا خلف من قال: لا إلٰه إلا الله، وعلى من قال: لا إلٰه إلا الله»**[2].

وعند بعض العلماء: لا تصح الصلاة خلف الفسقة، وهو مذهب سعيد بن جبير[3] ومن تابعه رضي الله عنهم أجمعين، فقد اختلف في هذه المسألة أولوا الألباب، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

= وأخرج الدارقطني في «سننه» (١١)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» ٥١/٢، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٧٠٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، مرفوعًا: **«إن سركم أن تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم»**.

وقال الخطيب: هذا حديث منكر بهذا الإسناد، ورجاله كلهم ثقات، والحمل فيه على الرازي.

(١) أخرجه الدارقطني في «سننه» (١٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» ١٩/٤، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٧١٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال الدارقطني: مكحول لم يسمع من أبي هريرة.

وقال الألباني في «ضعيف الجامع» (٣٤٧٨): ضعيف.

(٢) أخرجه الدارقطني في «سننه» (٣)، وتمام في «الفوائد» (٤٠١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» ٣٢٠/١٠، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٧١٢)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وأخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» (٣٧٠٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال الدارقطني بعد أن ساق الحديث من عدة طرق: وليس فيها شيء يثبت.

وقال البيهقي في «السنن الكبرى» ١٩/٤: قد روي في الصلاة على كل بر وفاجر، والصلاة على من قال: لا إلٰه إلا الله. أحاديث كلها ضعيفة غاية الضعف.

(٣) لم أجده. وقال ابن المنذر في «الأوسط» ٢٣٢/٤: اختلف أهل العلم في الصلاة خلف من لا يرضى حاله من أهل الأهواء، فأجازت طائفة الصلاة خلفهم، روينا عن أبي جعفر: أنه سئل عن الصلاة خلف الخوارج؟ فقال: صلِّ معهم. وكان الحسن البصري يقول: لا تضر المؤمن صلاته خلف المنافق، ولا تنفع المنافق صلاة المؤمن خلفه. وقال الحسن في صاحب البدعة: صل خلفه وعليه بدعته صاغرًا. وكان الشافعي يقول: ومن صلى من مسلم بالغ يقيم الصلاة أجزأ ومن خلفه صلاتهم، وإن كان غير محمود=

وينبغي - أيضًا - للمؤمن أن لا يجالس أصحاب الأفعال الرَّدية، الخارجين عن الطريق المحمدية: كالظلمة وأعوانهم، وشَرَبة الخمر، ولَعَبة النرد وإخوانهم، والمجتمعين على الباطل واللهو والطرب، حين يطربون ويشربون، فإذا نزلت اللعنة عليهم أصابت من جالسهم، كما قيل: إذا دارت الأقداح واحمرت الوجنات، ذهب الإيمان، وتساقطت الحسنات، ولعنهم الله سبحانه من فوق سبع سموات. وقد جاء في الحديث: **«من كثَّر سواد قوم فهو منهم»**[(١)]. و: **«من أحب قومًا حشر معهم»**[(٢)]. وقال ﷺ: **«إن الرحمة لا تنزل على جماعة فيهم قاطع رحم»**[(٣)].

وفي الجملة: إن الله تعالى يبغض الفسقة، فيجب على المسلم أن لا يحب من أبغضه الله، ولا يصل من قطعه الله، ولا يسلم عليهم، ولا ينظر إليهم؛ لأنهم ساقطون من عين الله سبحانه؛ هذا في مسلم قد بارز بفسقه الواحد القهار، فما بالك بالمجرمين والكفار.

وقد أجمع الأئمة على ما شرط عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسائر الصحابة، أن أهل الكتاب لا يُظهرون أعيادهم وشعائرهم في بلاد

= الحال في دينه، أي بلغ غايةً يخالف الحَمدَ في الدين، وقد صلى أصحاب رسول الله ﷺ خلف من لا يحمدون حاله من السلطان وغيرهم. وكرهت طائفة الصلاة خلف أهل البدع وأمر بعضهم من صلى خلفهم بالإعادة، كان سفيان الثوري يقول: في الرجل يكذِّب بالقدر: لا تقدموه. وقال أحمد في الجهمي يصلى خلفه: يعيد، والقدري إذا كان يرد الأحاديث ويخاصم فليعد، والرافضي يصلي خلفه يعيد. وقال أحمد: لا يصلى خلف أحد من أهل الأهواء إذا كان داعية إلى هواه. وقد حكي عن مالك أنه قال: لا يصلى خلف أهل البدع من القدرية وغيرهم، ويصلى خلف أئمة الجور.

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه هناد في «الزهد» (١٠٠٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٣)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٧٤٩٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٦٦/٢٠ من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه.
وقال الألباني في «ضعيف الجامع» (١٤٦٣): ضعيف.

المسلمين[1]. فإذا منعهم الشرع، فمن لم ينكر عليهم في إظهار ذلك وشاركهم في شيء من أفعالهم أو ساعدهم بإعارة شيء، أو كثَّر سوادهم حُشر معهم، ولذلك قال بعض العلماء: يصير كافرًا مثلهم[2].

ويجب على المسلم أن يحب من أحبه الله تعالى، ويبغض من أبغضه الله، ويعظم ما عظم الله، ويحقر ما حقره، وقد جاء في الحديث: «**من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**»[3].

ويجب على ولاة الأمر - وفقنا الله وإياهم وجميع المسلمين لطاعته - زجرهم ومنعهم، ويحرم على المؤمن أن يخالطهم في أعيادهم وشعائرهم في كل مكان وزمان، وإن قصد التفرج لا التعظيم؛ لأن تكثير هذا السَّواد يسخط رب العباد؛ لقوله ﷺ: «**من كثَّر سواد قومٍ فهو منهم**»[4].

وإن كان عيسى عليه السلام قد أمرهم بهذه المواسم والأعياد لا يحل للمسلم أن يختلط بهم؛ لأنها منسوخة بشريعة الإسلام، ولو كان عيسى عليه السلام حيًّا في زمان النبي ﷺ لاتبعه، فكيف وقد أحدثت هذه الطائفة الملعونة الضالة أعيادًا ومواسم من تلقاء أنفسهم؟ وغرَّهم الشيطان، وما أنزل الله بها من سلطان، فهم على الله يفترون ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ

---

(١) هذا ورد في الشروط العمرية، وقد خرجتها بتفصيل مع نقد متنها في «التعامل مع غير المسلمين في السنة النبوية»، ومنعهم من أظهار شعائرهم وأعيادهم في المجتمع الإسلامي يثبت بغير الشروط العمرية، فليس هو موضع اختلاف بين الفقهاء. (ت)

(٢) هذا ليس على إطلاقه، بل فيه تفصيل، فمن شاركهم مستحسنًا لدينهم، أو مستحلاً لمعاصيهم، أو راضيًا بحالهم يكفر، ومن شاركهم بفعله دون استحلال فقد ارتكب محرمًا، إلا إن فعل ما هو كفر بنفسه كالذبح لغير الله، أو السجود للصليب، أو مشاركتهم بكلام فيه كفر صريح كالقول بالتثليث ووصف عيسى عليه السلام بالربِّ؛ فيكفر بهذه الأمور. (ت)

(٣) أخرجه أبو داود في «سننه» (٤٦٨١)، والطبراني في «المعجم الكبير» ٨/١٣٤ (٧٦١٣) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.
وأخرجه أحمد في «مسنده» ٣/٤٣٨ (١٥٦١٧) من حديث معاذ بن أنس رضي الله عنه.
وقال الألباني في «صحيح الجامع» (٥٩٦٥): صحيح.

(٤) سبق تخريجه.

بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة: ٧٩].

فمن كثَّر سوادهم، أو انشرح لأجل ذلك اليوم، أو سافر معهم، أو تجمل لأجل ذلك بالثياب خرج عن السنة والكتاب، وخالف أولي العقول والألباب؛ قال ﷺ: «**من تشبه بغيرنا فليس منا**»[1].

تدبر ـ أيها المبتدع المخذول! ـ حديث الرسول، وافهم ما أقول: من عظم شعائر الكفرة هو من المدبرين الفجرة، فإن تاب تاب الله عليه وهو أهل التقوى وأهل المغفرة.

ثم اعلم بأن تعظيم شعائر الكافر المنكوب من قلة تقوى القلوب، قال بعض العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢] قال: هم الذين لا يشهدون أعياد النصارى[2].

وقد أمرنا الواحد الغفار بتعظيم شعائر النبي المختار، فإن بدل شعائر الكفر ليظهر عز الإسلام، ولتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الكفار هي السفلى؛ فمن عظم شعائر الكفرة فقد جعل كلمة الكفار هي العليا، فيكون يوم القيامة من الأسفلين؛ لأنه عظم ما حقر الله تعالى، وأعزهم بعد إذ أذلهم الله، قال ﷺ: «**اليهود والنصارى خونةٌ، لعن الله من ألبسهم ثوبَ عِزٍّ**»[3].

وأشدُّ بلاءً من الأول: سعي المسلم لزيارة رهبانهم، والتبرك بقرصهم؛ من أين تأتي البركة في هذا الطعام، وصاحبه قد باء بغضب الملك العلام، وقد برئ من دين الإسلام، وهو عدو للنبي عليه السلام؟!

---

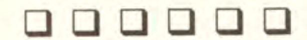
(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر «البحر المحيط» ٤٧٣/٦ لأبي حيان الأندلسي.

(٣) لا أصل له: قال العجلوني في «كشف الخفاء» (٣٢٤٢): أورده الشيخ عبد الغفار في كتابه الوحيد في سلوك أهل التوحيد، كذا عزاه بعضهم لصاحب الكتاب المذكور ولم يبيِّن من خرَّجه فلينظر، وكثيرًا ما كنت أسمعه من الشيخ تقي الدين الحصني المتأخر.

والمسلم المغرور هو الذي ينذر للكنائس أو البِيَع النذور، وهذه بدعة محرمة لا ترضي المولى الغفور، ولا يجوز النذر للستِّ نفيسة[1]، فما بالك بالنذر للديورة[2] والبيع والكنيسة؟!

فمن سافر من فسقة المسلمين مع هذه الطائفة الملعونة إلى أعيادهم ومواسمهم فنفقته غير مخلوفة؛ لخروجه عن الشرع، ولدخوله في هذه الأمور المخيفة، فتنقص دنياه، ويسقط من عين الله، فإن مات أحدهم في البَر مات ميتة جاهلية، وإن مات في البحر فيبتلى بالغرق في الدنيا، وبالعذاب في الآخرة، وإن كان ماشيًا فالخُطَا كلها خَطَا؛ لأنه تغرب وهاجر في رضى الشيطان، وفي شيء يغضب الرحمٰن.



(١) هي نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ت: ٢٠٨هـ)، كانت تقية صالحة، عالمة بالتفسير والحديث، ولدت بمكة، ونشأت في المدينة، وتزوجت إسحاق المؤتمن ابن جعفر الصادق، وانتقلت معه إلى القاهرة فتوفيت فيها، حجت ثلاثين حجة، وكانت تحفظ القرآن، وسمع عليها الإمام الشافعي، ولما مات أدخلت جنازته إلى دارها وصلت عليه. وكان العلماء يزورونها ويأخذون عنها، وهي أميَّة، ولكنها سمعت كثيرًا من الحديث. وقد جُعل قبرها وثنًا، وبني عليه مشهد كبير، ما زال قائمًا، يمارس فيه الشرك الصريح من غير نكير، وقد قال الذهبي في ترجمتها في «سير أعلام النبلاء» ١٠/١٠٦: «ولجهلة المصريين فيها اعتقادٌ يتجاوز الوصف، ولا يجوز مما فيه من الشرك، ويسجدون لها، ويلتمسون منها المغفرة، وكان ذلك من دسائس دعاة العبيدية». وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» ١٠/٢٦٢: «وإلى الآن قد بالغ العامة في اعتقادهم فيها وفي غيرها كثيرًا جدًّا، ولا سيما عوام مصر، فإنهم يطلقون فيها عبارات بشيعة مجازفة تؤدي إلى الكفر والشرك، وألفاظًا ينبغي أن يُعرَّفوا أنها لا تجوز، وربما نسبها بعضهم إلى زين العابدين، وليست من سلالته، والذي ينبغي أن يعتقد فيها ما يليق بمثلها من النساء الصالحات، وأصل عبادة الأصنام من المغالاة في القبور وأصحابها، وقد أمر النبي ﷺ بتسوية القبور وطمسها، والمغالاة في البشر حرام، ومن زعم أنها تفكُّ من الخشب، أو أنها تنفع أو تضر بغير مشيئة الله فهو مشرك، رحمها الله وأكرمها».

(٢) أي: الأديرة، جمع الدير.



فصل: فيما ابتدعته المسلمون الحيارى في نيروز أعداء الله النصارى من ضرب المسلمين وغيرهم وأخذ أموالهم بغير حق، مجموع ذلك يكون عليهم وبالاً يوم القيامة، يوم الحسرة والندامة

قال عبد الله بن عَمرٍو رضي الله عنه: من أتى بلادهم، وعمل نيروزهم؛ حُشر معهم يوم القيامة[١].

ومن البدعة قول بعض المخذولين من عقلاء المجانين لمن يُضرب ويهان من المسلمين: لا تَحْرَدْ، يوم النيروز ما فيه حرد![٢] قال كلامًا باطلًا يريد به حقًّا، وهذا الكلام يسقط قائله من رحمة الملك العلام، ويخرجه عن طريق النبي عليه أفضل الصلاة والسلام؛ لأنه قال الباطل، وأعان الظالم على ظلمه، وليس هذا من حلية الأبرار، ويخاف على فاعله من سخط

---

(١) صحيح أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» ٩/٢٣٤، والدولابي في «الكنى والأسماء» (٢٦٥٥) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: من بنَى ببلادِ الأعاجم، وصنع نيروزهم ومهرجانهم، وتشبَّه بهم حتى يموت وهو كذلك؛ حُشر معهم يوم القيامة.

ووقع في النسخ: (بن عُمر) وهو تحريف. وذكر البيهقي رحمه الله عن بعض أشياخه أنَّ لفظ: (بنَى) هو الصواب.

(٢) الحَرَدُ: الغضَب.

الجبار، ومن عذاب النار، ومن قوة جهل هذا اللئيم يحسب هذا الإثم هينًا، وهو عند الله عظيم. قال ﷺ: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم سبعين خريفًا**»(١).

ويخاف أيضًا على من يلوث ثوب مسلم يوم النيروز أن يلوث الله تعالى ثوب إيمانه، ومن سوَّده أن يسود الله قلبه في الدنيا، ووجهه في الآخرة ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]. قال ﷺ: «**من عصى الله نُكت في قلبه نكتة سوداء**»(٢).

وأي معصية أعظم عند الله تعالى من أذى المسلمين وضربهم، وأخذ أموالهم بغير حق؟! قال ﷺ: «**الظلم ظلمات يوم القيامة**»(٣).

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (١٧٨٢)، وأحمد في «مسنده» ٢٣٦/٢ (٧٢١٥)، والبخاري في «صحيحه» (٦٤٧٧)، ومسلم في «صحيحه» (٢٩٨٨)، وابن ماجه في «سننه» (٣٩٧٠)، والترمذي في «جامعه» (٢٣١٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٧٠٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي في «جامعه» (٣٣٣٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٦٥٨)، وابن ماجه في «سننه» (٤٢٤٤)، والحاكم في «المستدرك» ٥/١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ العبد إذا أخطأ خطيئةً نُكتت في قلبه نكتةٌ سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب سقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتَّى تعلو قلبه، وهو الرَّان الَّذي ذكر الله** ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: ١٤]».
وقال الترمذي: حسن صحيح.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين، وقد احتج مسلم بأحاديث القعقاع بن حكيم عن أبي صالح.
وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٢٠): حسن.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ١٠٥/٢ (٥٨٣٢)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٨١٤)، والبخاري في «صحيحه» (٢٤٤٧)، وفي «الأدب المفرد» (٤٨٥)، ومسلم في «صحيحه» (٢٥٧٩)، والترمذي في «جامعه» (٢٠٣٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
وأخرجه أحمد في «مسنده» ١٥٩/٢ (٦٤٨٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٥١٧٦) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.
وأخرجه الحميدي في «مسنده» (١١٥٩)، وأحمد في «مسنده» ٤٣١/٢ (٩٥٦٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٧٠، ٤٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. =

وقد أجمع العلماء والعباد أن سبب سلب الإيمان عند الموت هو من الاستخفاف بالدين، ومن ظلم العباد. وجاء في الحديث الصحيح: «**الرحماء يرحمهم الرحمٰن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، من لا يَرحم لا يُرحم**»[1].

ويُروَى أيضًا: بينما النبي ﷺ يحدث أصحابه ويشير إليهم بقضيب في يده، فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام، وقال له: «**ربك يسلم عليك، ويقول لك: ارم هذا القضيب من يدك، لا تخوف قلوب أصحابك**»[2].

فكيف ترى حال من يقف يوم النيروز في طريق المسلمين بخشبة أو سلبة أو سوط وشكال؟![3]

اعلم ـ أيها المدْبِر ـ أن فعلك هذا فيه إشكال، كسرك لقلوب المؤمنين، وتعظيمك لشعائر الكافرين، والله ليندمنَّ مَن فعل ذلك ندمًا لا أجر بعده، وإن مات وهو من التائبين؛ لأن حقوق المسلمين وظلمهم لا تسقط بالتوبة، فإن مات المسلم وهو مُصرٌ على ذلك؛ يحشر يوم القيامة في زمرة الظالمين، فإن استحله صار من الكافرين.

ومن مدح أحدًا من الرهبان فهو بعيد الشبه من السنة، ومن أهل الخير

= وأخرجه أحمد في «مسنده» ٢/٣٢٣ (١٤٤٦١)، وعبد بن حميد في «مسنده» (١١٤٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٨٣) و(٤٨٨)، ومسلم في «صحيحه» (٥٦) (٢٥٧٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(١) أخرجه الحميدي في «مسنده» (٥٩١)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٥٨٦٤)، وأحمد في «مسنده» ٢/١٦٠ (٦٤٩٤)، وأبو داود في «سننه» (٤٩٤١)، والترمذي في «جامعه» (١٩٢٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.
وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
وقال الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥٢٢): صحيح.

(٢) لم أجده.

(٣) سلبة: خيط يشد على خطم البعير دون الخطام. والشِّكَال: العِقَال، وشَكَل الدَّابَّة يَشْكُلها شَكْلاً، وشَكَّلَها: شَدَّ قوائمها بحَبْل، واسم ذلك الحَبْلِ الشِّكَالُ، والجمع: شُكُلٌ.

والإيمان، وقد يتفق لبعض الرهبان لكثرة رياضته شيء من المكاشفة: يتولَّد من الجوع نور، وتكون تلك المكاشفة استدراجًا لهذا الملعون، وضلالةً لكل جاهل ومفتون، قال الله سبحانه: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢].

فإن قال قائل: المكاشفة كرامة. نسلِّمُ أنها كرامة من كرامات الدنيا، فكذلك العوافي والعزُّ، والغنى والجاه، وحمل الإنسان في البر والبحر، وما أشبه ذلك، يجازى بها الكافر في الدنيا لأجل إحسانه، ثم يسلب ذلك كله عند خروج روحه ويخيب؛ وما له في الآخرة من نصيب، كما اتفق لفرعون وللسامري لعنهما الله: مكث فرعون لأجل كرمه أربع مئة سنة لم يختلج له عرق ولم يضرب له ضرس، وأي بلدة قصدها سيروا له مفاتيحها؛ فملك من مصر إلى بلاد المغرب، وكشف للسامري حين فلق الله تعالى البحر لموسى ﷺ فرأى فرس جبريل عليه السلام كلما وضع رجله على الأرض اخضرت، فقبض قبضةً من أثر حافره، فصنع في غيبة موسى عليه السلام عجلاً لبني إسرائيل من حليهم، ثم رمى القبضة التي أخذها من أثر حافر فرس جبريل في فم العجل، فأحياه الله تعالى، فافتتن به طائفة من بني إسرائيل، فصارت هذه الكرامة مشؤومة على السامري، وعلى من عبد العجل.

فانظر ـ رحمك الله تعالى! ـ فعل الخير كيف تعود بركته على صاحبه في الدنيا مع كفره، وأما المؤمن فتعود بركة خيره عليه في الدنيا والآخرة، وفي الأخبار أن شابًّا من اليهود كان يتخدم للنبي ﷺ (ويقضي حوائجه، فلما مرض عاده النبي ﷺ)[1] وجلس عند رأسه، وقال له: «**أسلم تسلم**». فنظر الشاب إلى أبيه، فقال أبوه: أطع أبا القاسم. فعند ذلك قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله. ثم مات، فحمله المسلمون فغسلوه وكفنوه ودفنوه، وصلى عليه النبي ﷺ وأصحابه، رضي الله عنهم أجمعين[2].

---

(١) ليست في (ق).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣/١٧٥ (١٢٧٩٢)، والبخاري في «صحيحه» (١٣٥٦)، وفي «الأدب المفرد» (٥٢٤)، وأبو داود في «سننه» (٣٠٩٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

فانظر أيها الإنسان إلى بركة الخير والإحسان.

وكان كعب الأحبار من أكابر اليهود، فصيره الله مؤمنًا خيِّرًا وبلَّغه المقصود، وكان وهب بن منبه أيضًا من علماء اليهود، فأسلم وشهد بأحدية المعبود، وبذل في طاعة الله تعالى المجهود، قال المولى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ١٠٥].

ثم اعلم بأن المكاشفة بعيدة ممن قد أعمى الله قلبه، وتقع مصادفةً، كما يتفق لبعض المنجمين، وقد تكون ملعَنَةً وخباثةً، ليضلوا بها قلوب الغافلين، وليسقطوا العباد بزيارتهم وبالإقبال عليهم من رحمة رب العالمين؛ لأن اللعنة إذا نزلت عليهم أصابت من جالسهم. ويجب على ولي الأمر زجر من ظهر من الرهبان وغيرهم من أهل الكفر والطغيان بشيء من هذه الفتن، والملعنة واللائمة، فهي والله حسنة عظيمة يلقاها العبد يوم الحاجة والفاقة أمامه، فإن قدر ولم يأمره يصير في حسرة عظيمة وندامة. وما تولدت[1] هذه الآفة وغيرها في الملة المحمدية إلا من جهة التهاون في إزالتها حين ظهورها، وتأخيرها من ساعاتها وسنيها وشهورها، وتهاون المسلمون أيضًا في هذه الطائفة الضالة الملعونة، فأظهرت أعيادها ومواسمها على رؤوس الأشهاد، وما اكتفوا بذلك حتى طافوا بصلبانهم في بعض البلاد، وأظهر من ترهب منهم شيئًا يضل به العباد، حتى صار جماعة من جهلة المسلمين يتبركون بدعاء الرهبان وبقرصهم، وبصليبهم ويضعونه فوق الجرون، ولا يفعل هذه البدعة إلا كل مدبر مفتون؛ لأن النصارى قد خسروا بكذبهم على الله تعالى الدنيا والآخرة وهم لا يشعرون، فإن بورك لأحدهم في دنياه فهو ما رزقه الله في الأجل، فالرزق لا يزيد بطاعة أحد ولا بكفره، فثق بربك يا بعيد الأمل، ولا تخرج عن السنة خوفًا من سوء الخاتمة عند فروغ الأجل.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

---

(١) في (ب): توكدت.



فصل: ومن البدعة أيضًا والخزي والفجور ما يفعله المسلم المدبر المغرور في يومٍ يعرف بسبت النور

من شراء الشِّبِت[1] لأجل البركة، والاكتحال لزوال الرَّمد، وهذه البدع تغضب المولى الصمد، ولا ترضي الرب الغفور.

ومن البدعة أيضًا ما تفعله المسلمة الخبيثة الرَّدية من دخولها الحمام في هذا اليوم، والتدلك باللبنيَّة[2]، كل ذلك مصيبة عليها في الدين وبليَّة؛ لتعظيمها هذه الأيام، ولخروجها عن طريق خير البرية، وجميع ما ينفقه المسلم على ما تقدم ذكره في ذلك اليوم يكون وبالاً عليه يوم يوقفه الحق بين يديه، وهي نفقة غير مخلوفة؛ لتهجم صاحبها على هذه البدع والأمور المخيفة، وجميع ما ينفقه المسلم في هذا اليوم على شربه، أو دواء يكون عليه بلاءً وداءً؛ لأن في ذلك تعظيم شعائر الكفرة، وليس هو من أفعال المؤمنين البررة، فإن تاب المسلم عن ذلك كله غفر الله له، وهو أهل التقوى وأهل المغفرة.

ثم اعلم بأن مَن عظَّم يوم سبت النُّور لم يعظم الله قدره، ويورثه

---

(١) الشِّبِت: نَبَات عشبي من الفصيلة الخيمية، تسْتَعْمل أوراقه وبذوره في إكساب الأطعمة نكهة طيبةً. «المعجم الوسيط».

وراجع «المدخل» لابن الحاج ٥٦/٢ فصل في ذكر اليوم الذي يزعمون أنه سبت النور.

(٢) في (خ): بالبنية.

ضيقًا في القبور، وظلمةً يوم النشور، والظلام أحب إلى الله تعالى من هذا النور، وهم سموه سبت النور، وليس هو كذلك عند الرب الغفور، كما قال الواحد المنان: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [النجم: ٢٣] فصار مثل هؤلاء المدبرين كمثل رجل دنيء الأصل، كثيف، سموه: أيها السيد الشريف، أو كلِصٍّ اسمه عفيف! فهذه الأسماء ليس لها فائدة، وشؤم هؤلاء القوم وكذبهم عليهم عائدة، والحق سبحانه لا يكرم أحدًا لأجل اسمه، ولا يبجل قدر أحد لأجل علمه إذا كان الاسم على غير مسمى، والعلم مع غير عامل، واسمعوا ما قال مولاكم: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، فلو أحيَى الله تعالى قلوب هؤلاء المسلمين ما عظموا شعائر الكافرين.

قد تسبخت أرض قلوبهم لارتكاب السيئات، والأرض السَّبِخَةُ لا ينتج فيها النبات، عالية على البلاد، لا تروى من نيل - نيل الأفضال والأمداد - يسقي الحياض بفيض المدد الرباني، وهي يابسة عطشانة من لطائف المعاني، وإن بذر فيها حبًّا انمحق وتلاشى بالأذى، قال المولى: ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٥٨]. لا ترى فيها مسجدًا ولا مشهدًا، شيخ بلدها - وهو القلب - بيته مسودًّا ظالمًا مبتدعًا خارجًا[(١)]، أضحى عن طلب الحق مفندًا، شيخ من أهل الفسوق لا يقوم بواجبات الحقوق، قد صيَّر بيته خانًا، مأوى للبهائم، وهو في كل وادٍ من أودية الهوى والغفلة هائم، لا يرده إلى الله تعالى لومة لائم، ولا يصغي لقول ناصح، وليس له ورع يحجزه عن المحارم؛ فأفٍّ لهذا القلب من بين القلوب؛ ينسى الله تعالى في الرخاء، ولا يذكره إلا عند الكروب.

فلذلك لا يأخذ الله بيده ولا يغيثه كإغاثة المحبوب، إن وعد أخلف، وإن اؤتمن خان، وإن حدث فهو عبد كذوب، وما أصاب هذا العبد المتعوس هذه المصائب إلا لركونه إلى النفوس، فحُرم الوصول،

---

(١) كذا تقرأ في النسخ: (بيته...) وما بعده منصوب، وأقترح: (تجده مسودًّا...)؛ فتستقيم الجملة. (ت)

وهو في حيف الجفاء محبوس، وعلم إيمانه دون الألوية منكوس، ألم تسمع قول الملك الجبار: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣]، فمن وافق نفسه فليس هو من أهل الطاعة، ومن اشتغل بها غفل عن أهوال يوم الساعة، ومن كانت هذه بضاعته فبئس والله البضاعة، فأرض النفس خربة لا يجد فيها غصنًا رطبًا بذكر الله، ولا عينًا جاريةً من خشية الله، ولا جامعًا يجتمع فيه لذكر الله غير أعراب منافقين، كأنهم قد أخذوا عهدًا من الله ووثاقًا، فلا يزدادون إلا إثمًا وشقاقًا، ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ [التوبة: ٩٧]. فنفاق العين لعدم غضها، ونفاق اللسان بالغيبة والبهتان، والقذف لأعراض الإخوان، ونفاق الأذن لسماعها الباطل، فلا تصغي[1] إلى الخيرات والنصيحة، وتجتهد في سماع الأفعال القبيحة، ونفاق اليد المنع عند الرخاء، وفي فقرها التقاعد عن الدعاء، فلا تنبسط في حالة الغنى بالعطية، ولا في حالة فقرها بالأدعية المرضية، ونفاق الأقدام في سعيها وإسراعها في الخطِيَّة، وإذا لاح لها طريق الآخرة فترى خطاها بطِيَّة، وفساد هذه الجوارح من فساد القلب؛ لأنه هو الملك وهم الرعية، قال ﷺ: «**إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهو القلب**»[2]. روي ذلك عن خير البرية.

فلو لم تفسد قلوب هؤلاء الغافلين ما عظموا شعائر الكافرين، فدل على أن القلب فاسد؛ لتعظيمه أيام الكافر الجاحد، ولسماعه من نفسه الخبيثة، ومن شيطانه المارد، ولمخالفته لنبيه وحبيبه، وللسيد الماجد، فمن عظَّم هذه الأفعال أو الفاعلين حُشر معهم، وسقط من عين رب العالمين. ولا يحبهم - أيضًا - خوفًا من قوله ﷺ: «**المرء مع من أحب**»[3]. كما يفعله بعض فسقة المسلمين من صحبتهم ومخالطتهم للنصارى، ومؤاكلتهم

(١) في (ق): تسعى.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

وإعارتهم الأشياء؛ ليتجملوا بها في مواسمهم وأعيادهم، وإعارتهم كتب المسلمين حتى القرآن العظيم الذي لا يمسه إلا المطهرون.

ولقد رأيت نصرانيًا ـ لعنه الله ـ يقرأ القرآن العظيم بغير لحنٍ، ويجادل به المسلمين، ويقول: قد مدحنا الله تعالى في القرآن، وقرأ قوله تعالى: ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [المائدة: ٨٢]. ثم سكت، فقال له صاحبي: اقرأ ما بعدها. فقال النصراني: (حفظي إلى هاهنا)[1]. فقال له صاحبي: اسمع أيها الملعون، إن الله سبحانه أول ما ذم اليهود ثم أنتم؛ لقوله: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة: ٨٢] الذين أشركوا هم أنتم، وأما قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ [المائدة: ٨٢]، هذا المدح إلى آخر الآية هو في حق النجاشي وأصحابه رضي الله عنه، قرأ عليهم جعفر الطيار رضي الله عنه: ﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾﴾، فلما قرأ هذه السورة بكى النجاشي وأصحابه ثم أسلموا، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣]، فعندها سكت النصرانيُّ[2].

---

(١) في (خ): حفظني لا هنا.

(٢) قال ابن الجوزي في «زاد المسير»: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ يعني: عبدة الأوثان. فأما: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ فهل هذا عامٌّ في كل النصارى أم خاصٌّ؟ فيه قولان: أحدهما: أنه خاصٌّ، ثم فيه قولان: أحدهما: أنه أراد النجاشي وأصحابه لما أسلموا، قاله ابن عباس وابن جبير. والثاني: أنهم قوم من النصارى كانوا متمسّكين بشريعة عيسى، فلما جاء محمد عليه السلام أسلموا، قاله قتادة. والقول الثاني: أنه عامٌّ. قال الزجَّاجُ: يجوز أن يراد به النصارى لأنهم كانوا أقلَّ مظاهرةً للمشركين من اليهود.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» ١٠٧/٣ ـ في رد دعوى النصارى أن القرآن نفى عنهم الشرك ـ: ثم قالوا: وكذلك جاء في هذا الكتاب يقول: ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ=

= ﴿أَشْرَكُوا۟ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [المائدة: ٨٢]. فذكر القسيسين والرهبان، لئلاَّ يقال: إن هذا قيل عن غيرنا، ودل بهذا على أفعالنا وحسن نياتنا، ونفى عنا اسم الشرك بقوله: اليهود والذين أشركوا أشدُّ الناس عداوةً للذين آمنوا، والذين قالوا: إنا نصارى؛ أقربهم مودة. والجواب أن يقال: تمام الكلام: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [المائدة: ٨٣ ـ ٨٥]، فهو سبحانه لم يعد بالثواب في الآخرة إلا لهؤلاء الذين آمنوا بمحمد ﷺ الذين قال فيهم: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة: ٨٣]. والشاهدون هم الذين شهدوا له بالرسالة فشهدوا أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ﷺ وهم الشهداء الذين قال فيهم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. ولهذا قال ابن عباس وغيره في قوله: ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣]، قال مع محمد ﷺ وأمته. وكل من شهد للرسل بالتصديق فهو من الشاهدين كما قال الحواريون: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران: ٥٣]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٧ ـ ٧٨]، وأما قوله في أول الآية: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ [المائدة: ٨٢]. فهو كما أخبر سبحانه وتعالى فإن عداوة المشركين واليهود للمؤمنين أشد من عداوة النصارى، والنصارى أقرب مودة لهم، وهذا معروف من أخلاق اليهود، فإن اليهود فيهم من البغض والحسد والعداوة ما ليس في النصارى، وفي النصارى من الرحمة والمودة ما ليس في اليهود، والعداوة أصلها البغض فاليهود كانوا يبغضون أنبياءهم، فكيف ببغضهم للمؤمنين. وأما النصارى فليس في الدين الذي يدينون به عداوة ولا بغض لأعداء الله الذين حاربوا الله ورسوله وسعوا في الأرض فسادًا، فكيف بعداوتهم وبغضهم للمؤمنين المعتدلين أهل ملة إبراهيم، المؤمنين بجميع الكتب والرسل؟ وليس في هذا مدح للنصارى بالإيمان بالله، ولا وعد لهم بالنجاة من العذاب، واستحقاق الثواب وإنما فيه أنهم أقرب مودة، =

....

= وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢]، أي بسبب هؤلاء، وسبب ترك الاستكبار يصير فيهم من المودة ما يصيرهم بذلك خيرًا من المشركين وأقرب مودة من اليهود والمشركين. ثم قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣]، فهؤلاء الذين مدحهم بالإيمان ووعدهم بثواب الآخرة، والضمير وإن عاد إلى المتقدمين، فالمراد جنس المتقدمين لا كل واحد منهم، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وكأن جنس الناس، قالوا لهم: إن جنس الناس، قد جمعوا ويمتنع العموم، فإن القائل من الناس، والمقول له من الناس، والمقول عنه من الناس، ويمتنع أن يكون جميع الناس قال لجميع الناس: إنه قد جمع لكم جميع الناس. ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، أي جنس اليهود قال هذا، لم يقل هذا كل يهودي. ومن هذا أن في النصارى من رقة القلوب التي توجب لهم الإيمان ما ليس في اليهود، وهذا حق، وأما قولهم: ونفى عنا اسم الشرك، فلا ريب أن الله فرق بين المشركين، وأهل الكتاب في عدة مواضع، ووصف من أشرك منهم في بعض المواضع، بل قد ميَّز بين الصابئين والمجوس وبين المشركين في بعض المواضع، وكلا الأمرين حق، فالأول كقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ [البينة: ١]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [الحج: ١٧]، وقال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢]، وأما وصفهم بالشرك ففي قوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١]، فنزه نفسه عن شركهم، وذلك أن أصل دينهم ليس فيه شرك، فإن الله إنما بعث رسله بالتوحيد، والنهي عن الشرك، كما قال تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، فالمسيح صلوات الله عليه وسلامه ومن قبله من الرسل إنما دعوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وفي التوراة من ذلك ما يعظم وصفه، لم يأمر أحد الأنبياء بأن يعبد ملك ولا نبي ولا كوكب ولا وثن، ولا أن تسأل ولا تطلب الشفاعة إلى الله من ميت ولا غائب، لا نبي ولا ملك، فلم يأمر أحد من الرسل بأن يدعو الملائكة، ويقول: اشفعوا لنا إلى الله ولا=

فيحرم على المؤمن البصير أن يفعل شيئًا من ذلك، فإن فعل يخاف عليه من سوء الخاتمة، فيُحشر معهم في جهنم وبئس المصير.

ولا يظلم المسلمُ النصرانيَّ، ولا يسبُّه في وجهه لأجل كفره، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، وإذا سبَبْتَهُ[١] ظاهرًا سبَّ هو دينك باطنًا، وإذا ظلم الإنسانُ دابةً أو كلبًا يُقتصُّ منه يوم القيامة، والنصراني هو مفضَّل عليهما في حكم الدنيا؛ لأجل الآدمية والعقل، قال المولى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠].

وقال أبو حنيفة رحمه الله: إذا قتل مسلم ذميًا بغير حق، يُقتل المسلم به عاملاً بقوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥][٢]، هذا في حكم

= يدعو الأنبياء والصالحين الموتى والغائبين، ويقول: اشفعوا لنا إلى الله ولا تصور تماثيلهم لا مجسدة ذات ظل، ولا مصورة في الحيطان، ولا بجعل دعاء تماثيلهم وتعظيمها قربة وطاعة، سواء قصدوا دعاء أصحاب التماثيل، وتعظيمهم والاستشفاع بهم، وطلبوا منهم أن يسألوا الله تعالى، وجعلوا تلك التماثيل تذكرة بأصحابها، أو قصدوا دعاء التماثيل ولم يستشعروا أن المقصود دعاء أصحابها، كما فعله جهال المشركين، وإن كان في هذا جميعه إنما يعبدون الشيطان وإن كانوا لا يقصدون عبادته، فإنه قد يتصور لهم في صورة ما يظنون أنها صورة الذي يعظمونه، ويقول: أنا الخضر، أنا المسيح، أنا جرجس، أنا الشيخ فلان. كما قد وقع هذا لغير واحد من المنتسبين إلى المسلمين والنصارى، وقد يدخل الشيطان في بعض التماثيل فيخاطبهم، وقد يقضي بعض حاجاتهم، فبهذا السبب وأمثاله ظهر الشرك قديمًا وحديثًا، وفعل النصارى وأشباههم ما فعلوه من الشرك.

وأما الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه فنهوا عن هذا كله، ولم يشرع أحد منهم شيئًا من ذلك، والنصارى لا يأمرون بتعظيم الأوثان المجسدة، ولكن بتعظيم التماثيل المصورة، فليسوا على التوحيد المحض، وليسوا كالمشركين الذين يعبدون الأوثان ويكذبون الرسل، فلهذا جعلهم الله نوعًا من غير المشركين تارة، وذمهم على ما أحدثوه من الشرك تارة.

(١) في (خ، ق): سبيته.

(٢) انظر «البحر الرائق» لابن نجيم الحنفي ٣٣٦/٨ ـ ٣٣٧.

الدنيا، وأما في حكم الآخرة فالكلب والخنزير أفضل من الكفار؛ لأنهم باؤوا بغضب من الله، وهم وقود النار؛ لأن الحقَّ سبحانه إذا أخذ حقوق البهائم يوم القيامة ممن ظلمها يصيرها ترابًا، فحينئذٍ يقول الكافر: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾. فيودُّ من مات كافرًا أن لو كان في الدنيا بهيمةً أو خنزيرًا لكي ينجو من عذاب الآخرة.

فيجب على المسلم أن يشكر الله تعالى الذي جعله مؤمنًا، ويسأله على الدوام أن يختم له بخير ويثبته على دين الإسلام، ولا يسخر من أحد من الكفار، ويحمد الله تعالى الذي عافاه مما ابتلاهم به من الكفر والأوزار. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ. . .﴾ [الحجرات: ١١] الآية. وقال ﷺ: «**إذا رأيتم أهل البلاء فسلوا الله العافية**»[١]. وإذا رأى المؤمن رجلاً قد ابتلي في بدنه رحمه، والكافر قد ابتلي في دينه، فصار أشد بلاءً فارحمهما جميعًا.

وضاع لبعض الصالحين حمار، فخرج في طلبه فاستقبله يهودي فرجع ودخل بيته، وقال: الحمد لله الذي ضيَّع حماري، وأبقى علي ديني. كان بعضهم يقول: إذا كنتَ لي، ما ضرَّني من عدمته.

وينبغي للمؤمن أن لا يخون الكافر في جداره إذا كان في جواره؛ لأن الحقَّ سبحانه لا يهدي كيد الخائنين، وأوجب لعنته وغضبه على الظالمين.

اعلم ـ أيها الظالم المبعود! ـ أن الله سبحانه يوم القيامة يسأل العود: لمَ خَدَشَ العود؟ وكذلك إذا دخل المسلم إلى بلاد الكفار تاجرًا، لا يسرق لهم شيئًا، ولا يقتل منهم أحدًا إذا قدر على قتله، ويكرمهم إذا خاف من شرَّهم:

---

(١) سبق تخريجه.

دارهـــم مـــا دمـــتَ فـــي دارهـــم وأَرْضِـهـم مـا دمـتَ فـي أرضـهـم

اعلم أن الكلام إذا كان يوافق السنة يقبل من القائل، وسواء كان منظومًا أو منثورًا، وهذا الكلام هو موافق للسنة؛ لقوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨].

متى خاف الإنسان على نفسه، أو على تلاف عضو من أعضائه أن يقطع، أو يقتل بسيف أو سنان، يكفر بلسانه إذا طلبوا منه ذلك، وقلبه مطمئن بالإيمان، ويبنى على ذلك السبُّ والتَّبري من الدين والسجود للصليب، كل ذلك لا يأثم به إذا كان قلبه مطمئنًا بالحبيب، فإن لم يفعل المسلم شيئًا من ذلك وقتلوه يُحشر يوم القيامة مع الشهداء ومع كل عبد صالح منيب.

رُوي أن سعدَ بن مالك رضي الله عنه قال: كنت رجلًا بارًّا بأمي، فلما أسلمت قالت: يا سعدُ! ما هذا الدين الذي قد أحدثته؟ لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتُعيَّر بي، فيقال لكَ: يا قاتل أمه. قلت: لا تفعلي يا أماه، إني لا أدع ديني هذا لشيء. قال: فمكثَتْ لا تأكل شيئًا يومًا وليلةً، فأصبحتْ وقد جهدتْ، ثم مكثت يومًا آخر وليلة أخرى لا تأكل، قلت: تعلمين والله يا أماه لو كانت لك مئة نفس فخرجت نفسًا نفسًا، ما تركت ديني هذا لشيء، فكلي إن شئت أو لا تأكلي. فلما رأت ذلك أكلت، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [لقمان: ١٥][1].

قال ابن عباس رضي الله عنه في تفسير هذه الآية: قال: إذا كان

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٧٤٨)، والترمذي في «جامعه» (٣١٨٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٣٣١/٢٠ من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

وفي النسخ في الموضعين: (سعيد)، وهو خطأ.

الأبوان كافران[١]، والولد مسلم ينفق عليهما ما عاشا، ويزور قبرهما إذا ماتا[٢].

فإن قال الكافر لولده المسلم: امض بي إلى الكنيسة، أو إلى بِيَع اليهود، أو إلى شيء لا يرضي الملك المعبود. فلا يطعه؛ لقوله ﷺ: «**لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق**»[٣].

فإن قال لولده: أخرجني من الكنيسة وامض بي إلى البيت فليطعه ويريحه من الكفر.

وكذلك لا يطيع المسلم أحدًا من الأبوين المسلمين في ترك شيء فرضه الله عليه: كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد وغيره.

وكذلك إذا أمره بشراء[٤] محرم، أو بشرب خمر، وما يشبه ذلك مما فيه معصية الله تعالى، أو خروج عن سنة رسول الله ﷺ فلا يطعهما، فإن كان ما أمره به تطوعًا فليطعهما كصلاة التطوع، وصوم التطوع، والحج، والجهاد، فإن خالفهما وفعل شيئًا من التطوعات لم تقبل منه، فإن مات غازيًا لا يكتب شهيدًا، فمن أراد القبول فليطع الوالدين ولا يخرج عن طريق الرسول.

فإن مات أحد الوالدين كافرًا ـ والعياذ بالله ـ يغسله ولده المسلم[٥]،

---

(١) كذا في النسخ، وصوابه: (كافرين).

(٢) لأنَّ تمام هذه الآية من سورة لقمان (١٥): ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾. وهذا الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يذكره السيوطي في «الدر المنثور»، وذكر ما أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة رحمه الله في قوله: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ قال: تعودهما إذا مرضا، وتتبعهما إذا ماتا، وتواسيهما مما أعطاك الله.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) في (خ): بشر أو.

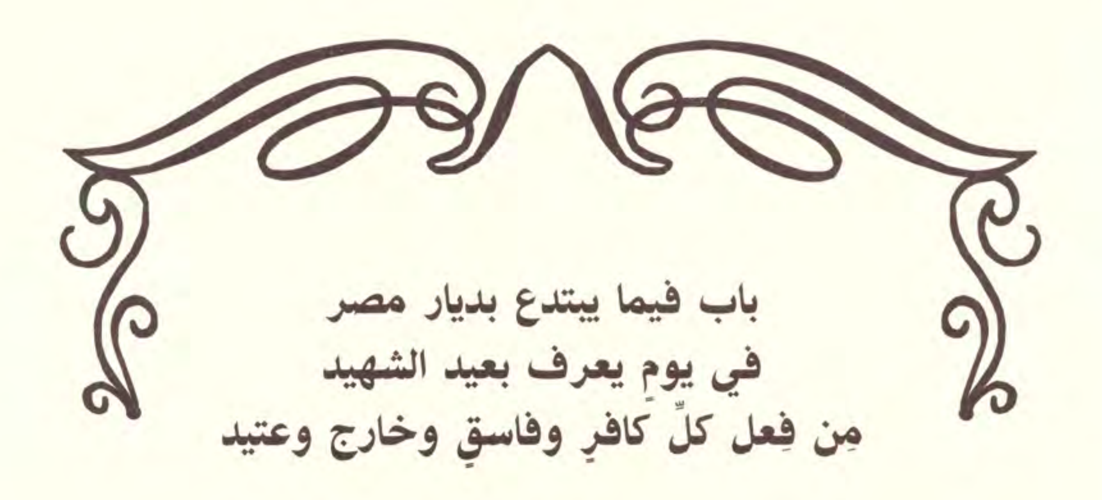
(٥) غسل جثة الكافر مذهب الحنفية والشافعية، انظر: «البناية شرح الهداية» للعيني ٣/٢٣٧، و«الأوسط» لابن المنذر ٥/٣٤١، ولا يصح دليل الغسل، انظر: «أحكام الجنائز» للألباني (٨٧).

ويكفنه، ويواريه التراب، ولا يتغالى في جميع ذلك، فيخرج عن السنة والكتاب، فيغسله كما يغسل الثوب النجس، ويكفن في ثوب خلق، وتحفر له حفرة بغير لَحْدٍ، ويرمى فيها كما يرمى الكلب[1]، فإنه يتمنى لو كان كلبًا من كلاب الدنيا، لكي ينجو من عذاب الآخرة، ألا تراه كيف يقول يوم القيامة: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النبأ: ٤٠].

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

---

(١) هذا تعبير غير جيِّد، والذي ورد في أمر النبي ﷺ لعليٍّ رضي الله عنه بدفن عمِّه أبي طالب: «**اذهب فوارِه**». والمواراة: الدفنُ والسِّترُ. (ت)



باب فيما يبتدع بديار مصر في يومٍ يعرف بعيد الشهيد مِن فِعل كلِّ كافرٍ وفاسقٍ وخارج وعتيد

يُخاف على مسلم يحضر لهذا العيد، ويقول لصاحبه: «إنه شهيد»؛ من سوء الخاتمة، ومن غضب المولى المجيد؛ لأنه أسلم ثم ارتدَّ لعنه الله تعالى ودخل في دين النصرانية؛ فهو من الرحمة والخيرات بعيد. فاحذر - أيها المؤمن! - أن تقول إنه شهيد؛ فإنه إثم شديد، النصارى يزعمون أنه مات مظلومًا، والمظلوم شهيد، وعندنا مات ظالمًا كافرًا مخالفًا للمولى المجيد، فصار الاسم على غير مسمى، كلصٍّ اسمه عفيف، أو كرجل دنيء الأصل كثيف واسمه: أيها السيد الشريف. وهذه الأسماء ليس لها فائدة، وشؤمها عليهم عائدة؛ لأن الله سبحانه لا يكرم أحدًا لأجل اسمه، ولا لحسبه ونسبه .قال الله سبحانه: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٣]. واختلاط المسلم مع هذه الطائفة الملعونة في وقت رميهم لشهيدهم في بحر النيل، لا يرضي المولى الجليل، فإن اعتقد المسلم[1] أن البحر ببركة هذا الملعون يزيد، فهو كافر بالمولى المجيد، فإن تاب من هذه الأفعال والأقوال؛ تاب الله عليه، ويُبلغه ما يريد، فقد توقف نيل مصر سبع سنين، وحاكمها يوسف الصديق عليه

---

(١) في (خ، ب): المؤمن.

السلام وهو نبي كريم على ربِّ العالمين، فكيف يزيد برمي هذا اللعين؟!

وجاء في السِّيَر: أنَّ أهل المقوقز ملك مصر كانوا يرمون شيئًا في نيل مصر لكي يزيد، فلما فتح الله تعالى مصر على يد عمرو بن العاص رضي الله عنه أخبر عمر بن الخطاب بذلك فنهاهم، وقال: لا ترموا في البحر شيئًا، فزاد البحر بقدرة الله، أكثر من عادته[1].

ويجب على ولاة الأمر ـ وفقهم الله لطاعته ـ زجر هذه الطائفة الضالة الملعونة عن إظهار دينهم وأعيادهم وشعائرهم بين ظهور المسلمين، وعن رمي هذا الملعون؛ لكي لا يفتتن به كل مسلم جاهل ومفتون.

ولقد رأيت رجلاً يقال له الخيَّاطُ، وكان متولِّي القاهرة، نهى النصارَى عن رمي شهيدهم في نيل مصر، ونهى المسلمين عن الذهاب إليه، وعن ذلك الاجتماع المذموم، والاختلاط، وهي والله مثوبةٌ عظيمةٌ تكون لفاعلها نورًا يوم القيامة، وجوازًا على الصراط. فلما توفي متولِّي القاهرة وطال الأمر، وتولى أمور المسلمين هذه الطائفة المسْلِمَانيَّة[2]؛ أظهروا المواسم

---

(١) أخرجه الواقدي في «فتوح الشام» ٦٣/٢، وأبو الشيخ في «العظمة» ١٤٢٥/٤، واللالكائي في «كرامات الأولياء» ١٢٠/١، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٣٣٧/٤٤.

(٢) المسلمانية: لقب أطلق على الذين أسلموا في عصر المماليك، ويظهر أن هذا ارتبط بسلوك مريب أراد منه بعض الأقباط التمكن من بعض المناصب في الدولة، لهذا نجد الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ١٥/٢ يقول: «فمن أسلم في باطنه هكذا، فيرجى له الخلاص من خلود النار، إذ قد حصَّل في باطنه إيمانًا ما، وإنما يخاف أن يكون قد خضع للإسلام وللرسول واعتقد أنهما حق، مع كون أنه على دين صحيح، فتراه يعظِّمُ للدِّينين، كما قد فعله كثيرٌ من المسلمانية الدَّواوين، فهذا لا ينفعه الإسلام حتى يتبرَّأ من الشرك».

وقد استعمل هذا اللقب على وجه التنقص بإطلاقٍ، وهو إطلاق سيء يدل على ما أصاب المسلمون في عصور الانحطاط من نقص في تدينهم ومعاملاتهم وأخلاقهم، حتى صار الزواج من امرأة حديثة عهد بإسلام منقصة، فقد ذكر محمد بن يوسف الجندي اليمني (ت: ٧٣٢) في «السلوك في طبقات العلماء والملوك» ٢٢٧/٢ أنَّ عمر بن محمَّد بن سالم الزَّبيدِيَّ قد لُقِّب بالمسلماني، لأنه تزوج بامرأة كانت مسلمانية. ويرد في بعض كتب المالكية التمثيل للمرأة الدنيئة بالمسلمانية. انظر: «تفسير=

والأعياد على رؤوس الأشهاد، وأعادوا رمي شهيدهم بين ملأ من العباد، وأحيوا هذه البدعة بعد موتها، أمات الله قلوبهم وشتَّتهم في أطراف البلاد، فكم كسروا مسلمًا، وكم هرَّبُوا مؤمنًا، وأرملوا النساء، وأيتموا الأولاد، وكم أغنوا راهبًا، وأسعدوا نصرانيًا في القاهرة ومصر، (وما كان)[1] حولهما من البلاد. فتراهم يرمون السكر وغيره على كل مسلم معيل وعفيف بأضعاف قيمته، (ولا يفعلون)[2] ذلك مع نصرانيٍّ معتدٍ كثيف، فلا يخافون من السلطنة، ولا يستحيون من المولى اللطيف[3].

= القرطبي» [البقرة: ٢٢١]، و«مواهب الجليل شرح مختصر خليل» ٤٣١/٣، و«الشرح الكبير» للدردير ٢٢٦/٢.

ولا شكَّ أن جهل المسلمين، وما طرأ عليهم من فساد كبير في عقائدهم وعباداتهم وأخلاقهم؛ كان من أعظم أسباب عدم إسلام الأقليات الكثيرة في العالم الإسلامي، رغم مرور مئات السنين على احتكاكهم بالمسلمين. ولابن السبكي في «معيد النعم ومبيد النقم» شكوى مرَّة من تقصير العلماء والفقهاء في دعوة أهل الذمة، والله المستعان. (ت)

(١) في (ق): وفيما.

(٢) من (خ، ب): ولم يفعلوا.

(٣) قال المقريزي (ت: ٨٤٥) في «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» ١٢٩/١: ومما كان يعمل بمصر: عيد الشهيد، وكان من أنزه فرج مصر، وهو اليوم الثامن من بشنس، أحد شهور القبط، ويزعمون أن النيل بمصر لا يزيد في كل سنة حتى يلقي النصارى فيه تابوتًا من خشب فيه إصبع من أصابع أسلافهم الموتى، ويكون ذلك اليوم عيدًا، ترحل إليه النصارى من جميع القرى، ويركبون فيه الخيل، ويلعبون عليها، ويخرج عامَّة أهل القاهرة، ومصر على اختلاف طبقاتهم، وينصبون الخيم على شطوط النيل وفي الجزائر، ولا يبقى مغنٍّ ولا مغنية، ولا صاحب لهو، ولا رب ملعوب، ولا بغيٌّ ولا مخنث ولا ماجن، ولا خليع ولا فاتك ولا فاسق إلا ويخرج لهذا العيد، فيجتمع عالم عظيم لا يحصيهم إلا خالقهم. وتصرف أموال لا تنحصر، ويتجاهر هناك بما لا يحتمل من المعاصي والفسوق، وتثور فتن، وتقتل أناس، ويباع من الخمر خاصة في ذلك اليوم بما ينيف على مئة ألف درهم فضة، منها خمسة آلاف دينار ذهبًا، وباع نصرانيٌّ في يوم واحد باثني عشر ألف درهم فضة من الخمر، وكان اجتماع الناس لعيد الشهيد دائمًا بناحية شُبرا من ضواحي القاهرة، وكان اعتماد فلاحي شبرا دائمًا في وفاء الخراج على ما يبيعونه من الخمر في عيد الشهيد. ولم يزل الحال على ما ذكر من الاجتماع كذلك، إلى أن كانت سنة اثنتين وسبع مئة، والسلطان يومئذٍ=

....

= بديار مصر: الملك الناصر محمد بن قلاوون، والقائم بتدبير الدولة الأمير: ركن الدين بيبرس الجاشنكير، وهو يومئذ أستادار السلطان، والأمير سيف الدين سلار نائب السلطنة بديار مصر، فقام الأمير بيبرس في إبطال ذلك قيامًا عظيمًا، وكان إليه أمور ديار مصر هو والأمير سلار، والناصر تحت حَجْرهما، لا يقدر على شبع بطنه إلا من تحت أيديهما، فتقدَّم أمر الأمير بيبرس أن لا يرمى أصبع في النيل، ولا يعمل له عيد، وندب الحجاب ووالي القاهرة لمنع الناس من الاجتماع بشُبرا على عادتهم، وخرج البريد إلى سائر أعمال مصر، ومعهم الكتب إلى الولاة بإجهار النداء وإعلانه في الأقاليم بأن لا يخرج أحد من النصارى، ولا يحضر لعمل عيد الشهيد، فشقَّ ذلك على أقباط مصر كلهم من أظهر الإسلام منهم، وزعم أنه مسلم، ومن هو باقٍ على نصرانيته، ومشى بعضهم إلى بعض وكان منهم رجل يعرف: بالتاج بن سعيد الدولة يعاني الكتابة، وهو يومئذ في خدمة الأمير بيبرس، وقد احتوى على عقله، واستولى على جميع أموره، كما هي عادة ملوك مصر، وأمرائها من الأتراك في الانقياد لكتَّابهم من القبط سواء منهم من أسرَّ الكفر ومن جهر به. وما زال الأقباط بالتاج إلى أن تحدّث مع مخدومه الأمير بيبرس في ذلك، وخيل له من تلف مال الخراج إذا بطل هذا العيد، فإن أكثر خراج شُبرا إنما يحصل من ذلك، وقال له: متى لم يعمل العيد لم يطلع النيل أبدًا، ويخرب إقليم مصر لعدم طلوع النيل. ونحو ذلك من هتف القول، وتنميق المكر، فثبَّت الله الأمير بيبرس، وقوَّاه حتى أعرض عن جميع ما زخرفه من القول، واستمرَّ على منع عمل العيد. وقال للتاج: إن كان النيل لا يطلع إلا بهذا الإصبع فلا يطلع، وإن كان الله سبحانه هو المتصرف فيه فيُكَذِّبُ النصارى. فبطل العيد من تلك السنة، ولم يزل منقطعًا إلى سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة. وعمَّر الملك الناصر محمد بن قلاوون الجسر في بحر النيل، ليرمي قوَّة التيار عن برِّ القاهرة إلى ناحية الجيزة، فطلب الأمير يلبغا اليحياوي، والأمير الطنبغا المارديني من السلطان أن يخرجا إلى الصيد ويغيبا مدَّة، فلم تطب نفسه بذلك لشدَّة غرامه بهما، وتهتُّكه في محبتهما، وأراد صرفهما عن السفر، فقال لهما: نحن نعيد عمل عيد الشهيد، فيكون تفرُّجكما عليه أنزه من خروجكما إلى الصيد! وكان قد قرب أوان وقت عيد الشهيد، فرضيَا منه بذلك، وأشيع في الإقليم إعادة عمل عيد الشهيد، فلما كان اليوم الذي كانت العادة بعمله فيه ركب الأمراء النيل في الشخاتير بغير حراريق، واجتمع الناس من كل جهة، وبرز أرباب الغناء وأصحاب اللهو والخلاعة، فركبوا النيل وتجاهروا بما كانت عادتهم المجاهرة به من أنواع المنكرات، وتوسع الأمراء في تنوُّع الأطعمة والحلاوات وغيرها توسعًا خرجوا فيه عن الحدِّ في الكثرة البالغة، وعمَّ الناس منهم ما لا يمكن وصفه لكثرته، واستمرُّوا على ذلك ثلاثة أيام، وكانت مدَّة انقطاع عمل عيد=

. . . .

= الشهيد منذ أبطله الأمير بيبرس إلى أن أعاده الملك الناصر، ستًّا وثلاثين سنةً، واستمرَّ عمله في كل سنة بعد ذلك إلى أن كانت سنة خمس وخمسين وسبع مئة، تحرَّك المسلمون على النصارى، وعملت أوراق بما قد وقف من أراضي مصر على كنائس النصارى، ودياراتهم، وألزم كتَّاب الأمراء بتحرير ذلك، وحملت الأوراق إلى ديوان الأحباس، فلما تحرَّرت الأوراق اشتملت على خمسة وعشرين ألف فدَّان، كلها موقوفة على الديارات والكنائس، فعرضت على أمراء الدولة القائمين بتدبير الدولة في أيام الملك الصالح: صالح بن محمد بن قلاوون، وهم: الأمير شيخو العمري، والأمير صرغتمش، والأمير طاز، فتقرَّر الحال على أن ينعم بذلك على الأمراء زيادة على إقطاعاتهم، وألزم النصارى بما يلزمهم من الصَّغار، وهدمت لهم عدَّة كنائس، فلما كان العشر الأخير من شهر رجب من السنة المذكورة خرج الحاجب والأمير علاء الدين عليُّ ابن الكورانيِّ والي القاهرة إلى ناحية شُبرا الخيام من ضواحي مصر، فهدمت كنيسة النصارى، وأخذ منها إصبع الشهيد في صندوقٍ، وأحضر إلى الملك الصالح، وأحرق بين يديه في الميدان، وذرى رماده في البحر حتى لا يأخذه النصارى، فبطل عيدُ الشهيد من يومئذٍ إلى هذا العهد، ولله الحمد والمنة.

أما الخيَّاط فهو الأمير علم الدين سنجر المسروري، متولِّي القاهرة. ترجم العيني (ت: ٨٥٥) في «عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان» في وفيات سنة (٦٩٥)، فقال: «كان يعرف بعلم الدين الخيَّاط، لقبه به أستاذه الذي اشتراه، وكان ذا شكل حسن، مهابًا مصطنعًا للناس بالخير في ولايته، عاقلاً محتشمًا، متعقلاً عما يبدو من الفواحش، رضيَّ الأخلاق مع لطف وكرم، وكان له تولع بالشراب واجتماع الندماء اللطاف مثل السراج الوراق وشمس الدين الكحال أبي دانيال ونصر الحمامي، وله مكارم عليهم وقبول شفاعات ينالون بها إلى مقاصدهم، واتفق لهم معه مجاري كثيرة من الهزليات المضحكة يطول شرحها... وكان له حسن تأتٍّ في أموره واصطناع المعروف».

ومن أخبار الخيَّاط أن الملك المنصور قلاوون وجَّهه سنة (٦٨٦) مع الأمير عز الدين الكوراني إلى غزو بلاد النوبة. فساروا إليها وغزوا وغنموا وعادوا.

وذكره المقريزي في «السلوك» ٣١٦/٢ في المتوفين سنة (٦٩٨). وللخيَّاط كتاب: «المختصر من الكامل في التاريخ وتكملته» صدر عن مكتبة المكتبة العصرية في لبنان (٢٠٠٢م)، ولم أقف عليه.

وتوفي الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصوري سنة (٧٠٩)، وكان من خيار أمراء وملوك تلك الحقبة سيرةً. أما الملك الصالح صلاح الدين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون فتوفي سنة (٧٦١)، وكان ملكًا عظيمًا، دينًا خيرًا، حسن السيرة، رحمهما الله جميعًا. =

وما سبب تحكم هذه الطائفة الرَّدية على رقاب المسلمين، إلا لخروجهم عن السنة المحمدية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، كما تكونوا يولَّى عليكم.

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر في خلافته أن تهدم كل كنيسة لم تكن قبل الإسلام، ومنع أن تُحدَث كنيسة، وأن لا يظهروا أعيادهم، ولا يظهروا صليبًا خارج الكنيسة إلا كُسر على رأس صاحبه[1].

وكان محمد بن عروة يهدمها بصنعاء، وهذا مذهب علماء المسلمين أجمعين، وشدد في ذلك الحسن البصري، وعمر بن عبد العزيز وأمر أن لا تترك في دار الإسلام كنيسة ولا بيعة بحال قديمة ولا حديثة، ويمنع أهل الذمة من بناء ما خرب من كنائسهم وبيعهم. وقال بعض العلماء: إن طيَّنُوا ظاهرها منعوا، وإن طينوا باطنها لم يمنعوا، ويمنعون من أن يعلوا على المسلمين في البناء، وتجوز المساواة، وقيل: لا تجوز.

قال عمر بن أسيد: أتانا كتاب عمر بن عبد العزيز إلى محمد بن الميسر: أما بعد؛ فإنه قد بلغني أن في عملك رجل يقال له حسان بن يزيد على غير دين الإسلام، والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [المائدة: ٥٧]، فإذا أتاك كتابي هذا فادع حسان بن يزيد إلى الإسلام، فإن أسلم فهو منا ونحن منه، وإن أبى فلا تستعن به، ولا تأخذ من غير أهل الإسلام على شيء من أعمال المسلمين. فقرأ الكتاب عليه

= قلتُ: يظهر مما تقدَّم أن عيد الشهيد استمر العمل به حتى أبطله بَيبَرس سنة (٧٠٢)، ثم أعاده الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة (٧٣٨)، وتمَّ القضاء عليه نهائيًا سنة (٧٥٥) بأمر الملك الصالح رحمه الله. أما الخياط فتوفي قبل هذه الحوادث سنة (٦٩٥) أو: (٦٩٨). ولم يذكروا في شيء من أخباره ما يتعلق بأمر هذا العيد، فلعله تمكن من القيام بمنع جزئي لبعض مفاسده، فلما مات توسَّع الناس فيه مجددًا، فاستوجب الأمر تدخل الأمير بيبرس، فأبطله بعد سنوات قليلة من وفاة الخياط رحمه الله، والله أعلم. (ت)

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٢/١٨١.

فأسلم، وعلمه الطهارة والصلاة[١].

ولما خرج النبي ﷺ إلى بدر تبعه رجل من المشركين فلحقه، وقال: إني أريد أن أتبعك، وأصيب معك. قال: «**تؤمن بالله ورسوله؟**» قال: لا. قال: «**فارجع، فلن أستعين بمشرك**». ثم لحقه (عند الشجرة، ففرح به أصحاب النبي ﷺ وكان له قوة وجلادة، قال: جئت لأتبعك وأصيب معك. قال: «**تؤمن بالله ورسوله؟**» قال: لا. قال: «**فارجع فلن أستعين بمشرك**». ثم لحقه)[٢] على ظهر البيداء، فقال له مثل ذلك، قال: «**تؤمن بالله ورسوله؟**» قال: نعم. فخرج به[٣].

وهذا أصل عظيم في أن لا يستعان بكافر، هذا وقد خرج ليقاتل بين يدي رسول الله ﷺ، ويراق دمه، فكيف استعمالهم على رقاب المسلمين.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله: لا تولوا على أعمالنا إلا حملة القرآن. فكتبوا إليه: إنا وجدنا فيهم خيانة. فكتب إليهم: إن لم يكن في أهل القرآن خير فأجدر أن لا يكون في غيرهم خير[٤].

وفي الخبر أن النبي ﷺ كان يعطي لبعض المشركين شيئًا من الزكاة ليؤلف قلوبهم للإيمان[٥]، فجاؤوا لأبي بكر رضي الله عنه في خلافته وطلبوا منه ما كان يعطيهم النبي ﷺ، فكتب لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقطَّع الورقة وطردهم، وقال: إن الله أعز الإسلام، وأغنى عنكم.

ولما جاء نصارى نجران ـ لعنهم الله ـ إلى المباهلة دخل ﷺ لبيت فاطمة رضي الله عنها، وحمل الحسين على كتفه، وأخذ الحسن بيده، وفاطمة خلفه، وعلي خلفهما، وقال: «**إذا دعوت فأمِّنوا**». فلما رآهم الأسقف قال: يا معشر النصارى، لقد رأيت وجوهًا لو سألوا الله أن يزيل

---

(١) لم أجده.

(٢) ليست في (خ).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) انظر «المستطرف» للأبشيهي ٢٤٩/١.

(٥) انظر «تبيين الحقائق» لفخر الدين الزيلعي ٢٩٩/١.

جبلًا من مكانه لأزاله، ولقد علمتم أن محمدًا نبيًا مرسلًا[1]، ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم، فلا تباهلوه فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة[2].

والمباهلة الدعاء على الظالم من الفريقين، فخافوا دعوته، وقبلوا الجزية، وانصرفوا إلى بلادهم.

قال ابن عباس رضي الله عنه: كتب النبي ﷺ لنصارى نجران كتاب الصلح على مالٍ مُقدَّر، نَجم في صفر، ونَجم في رجب، فكثروا وصاروا ألوفًا[3]، ثم وقع منهم شيء على خلاف عهدة[4] الكتاب، فبلغ

---

(١) كذا، وصوابه: (أن محمدًا نبيٌّ مرسلٌ).

(٢) أخرج البخاري في «الصحيح» (٤٣٨٠) عن حذيفة، قال: جاء العاقب والسيد، صاحبا نجران، إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبيًا فلاعنًا لا نفلح نحن، ولا عقبنا من بعدنا.

وأخرج أبو نعيم في «الدلائل» (٢٤٥) من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس: أن وفد نجران من النصارى قدموا على رسول الله ﷺ، وهم أربعة عشر رجلًا من أشرافهم منهم السيد وهو الكبير، والعاقب وهو الذي يكون بعده، وصاحب رأيهم فقال رسول الله ﷺ لهما: «**أسلما**»، قالا: أسلمنا قال: «**ما أسلمتما**»، قالا: بلى قد أسلمنا قبلك. قال: «**كذبتما يمنعكما من الإسلام ثلاث فيكما: عبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير، وزعمكما أن لله ولدًا**»، ونزل: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ الآية، فلما قرأها عليهم قالوا: ما نعرف ما تقول. ونزل: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾، يقول: من جادلك في أمر عيسى من بعد ما جاءك من العلم من القرآن: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟﴾ إلى قوله ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾، يقول: نجتهد في الدعاء أن الذي جاء به محمد هو الحق، وإن الذي يقولون هو الباطل، فقال لهم: «**إن الله قد أمرني إن لم تقبلوا هذا أن أباهلكم**»، فقالوا: يا أبا القاسم بل نرجع فننظر في أمرنا، ثم نأتيك. فخلا بعضهم ببعض، وتصادقوا فيما بينهم، قال السيد للعاقب: قد والله علمتم أن الرجل نبيٌّ مرسلٌ، ولئن لاعنتموه إنه ليستأصلكم، وما لاعن قوم قط نبيًا فبقي كبيرهم، ولا نبت صغيرهم، فإن أنتم لم تتبعوه وأبيتم إلا إلف دينكم فوادعوه، وارجعوا إلى بلادكم. وقد كان رسول الله ﷺ خرج ومعه علي والحسن والحسين وفاطمة، فقال رسول الله ﷺ: «**إن أنا دعوت فأمّنوا أنتم**»، فأبوا أن يلاعنوه، وصالحوه على الجزية.

(٣) في (خ): ألوف مقاتل.

(٤) في (ط): عهد.

ذلك عمر، فاغتنمه رضي الله عنه في إزعاجهم من جزيرة العرب، فجاؤوا إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وقالوا: يا أبا الحسن، هذا كتاب صاحبكم خطك، وفيه شهادة أصحابك، أنشدك الله، كتابك بيدك، وشفاعتك بلسانك، حتى تردنا إلى نجران، ولا تزعجنا عن الأوطان. قال علي رضي الله عنه: (دعوني فإن)[1] عمر رشيد الأمر، سديد الرأي. قال سالم بن الجعد: وهم أربعون ألف مقاتل. فجاؤوا إلى عمر، وقالوا: قد اصطلحنا، فأقلنا. فقال: والله لا أُقيلكم أبدًا. فأخرج فرقة إلى الشام وفرقة إلى ديار مغرب[2].

قال العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] إلى قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]، نسخ منها الدعاء لهما بالرحمة إذا كانا كافرين.

وكان في ابتداء الإسلام يجوز الدعاء للمؤمن والكافر من الآباء والأمهات؛ لما روي أنَّ النبي ﷺ قال لأصحابه لما أنزل الله تعالى حاكيًا عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الشعراء: ٨٦]: «**هلموا بنا فلنذهب إلى قبور آبائنا وأمهاتنا فنستغفر لهم؛ فإن إبراهيم عليه السلام قد استغفر لأبيه**» .فتفرقوا كلٌّ يدعو لأبيه ولأمه على قبره، فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣]، فقال النبي ﷺ وأصحابه[3] رضي الله عنهم أجمعين: «**أي ربنا قد استغفر إبراهيم لأبيه**». فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة: ١١٤]، لما وعد إبراهيم أبوه بالإيمان وعده بالاستغفار، وهو قوله: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة: ٤]، فلما تبين له أنه عدوٌّ

---

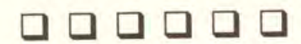
(١) في (ق): إن.

(٢) انظر تفسير «مقاتل بن سليمان» (١/٢١٢).

(٣) في (ب): لأصحابه.

لله بموته كافرًا تبرأ منه، فالدعاء له حرام، وموالاته حرام[1].

فينبغي للمؤمن أن لا يوالي أحدًا من أهل الكتاب، ولا يحب أحدًا من فسقة المسلمين الخارجين عن السنة والكتاب، ويعتزل عن كل مبتدع وغافل عن يوم الحساب؛ تبعًا للنبي ﷺ وعلى الآل والأصحاب، وعلى كل عبد اتبع القوم ثم أناب.



---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٥١٣/١٤ من حديث قتادة قال: ذَكر لنا أن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ قالوا: يا نبي الله، إن من آبائنا من كان يُحْسِن الجوار، ويصل الأرحام، ويفك العاني، ويوفي بالذمم، أفلا نستغفر لهم؟ قال: فقال النبي ﷺ: **«بلى، والله لأستغفرنَّ لأبي، كما استغفر إبراهيم لأبيه»**. قال: فأنزل الله ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ حتى بلغ: ﴿ٱلۡجَحِيمِ﴾، ثم عذر الله إبراهيم فقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ﴾.



باب من العزلة
وما يستحب فيها وما يبتدع

والبدعة أن يصحب الإنسان أهل الأهواء والمعاصي والفجور، ومن فيه أدنى بدعة، وكل عبد معتدٍ وكفور، ومتكبر وفخور؛ لأنه بصحبتهم يكون راضيًا بفعلهم وبدعتهم.

قال ﷺ: «**من رضي بالفاحشة كمن فعلها**»[1]، وقال: «**من كثَّر سواد قوم فهو منهم**»[2]، وفي حديثٍ آخر: «**يموت المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»[3]، واسمع قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، وأخرجه أبو داود في «سننه» (٤٣٤٥)، والطبراني في «الكبير» ١٣٩/١٧ (٣٤٥)، وابن قانع في «معرفة الصحابة» (١٣٣٨) من حديث العرس بن عميرة بلفظ: «**إذا عُمِلت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها**».

وأخرجه البيهقي في «الكبرى» ٢٦٦/٧، وابن وضاح في «البدع» (٢٧١) موقوفًا على عبد الله بن مسعود قال: إذا عُمِل في الأرض خطيئة، فمن حضرها فكرهها كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كمن شهدها.

قال الألباني في «صحيح الجامع» (٦٨٩)، و«المشكاة» (٥١٤١): حسن.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

[الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩]. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: لو قام رجل بين الركن والمقام وعَبَدَ الله سبعين سنة حشره[(١)] الله يوم القيامة مع من أحب[(٢)].

وقد جاء في الحديث الصحيح ما يؤيد هذا، وهو قوله: «**المرء مع من أحب**»[(٣)].

والمستحب أن يصحب الإنسان أهل الخير؛ ليكون معهم يوم القيامة، وينجو من الهموم والندامة، قال ﷺ: «**إذا أراد الله بعبدٍ**[(٤)] **خيرًا رزقه جليسًا صالحًا، إن نسي ذكَّره، وإن ذكر أعانه**»[(٥)].

فالجليس الصالح خير من الوحدة؛ لأنه يعينك على مصلحة دينك ودنياك، ويحرضك على الأعمال الصالحة التي تقربك لسيدك ومولاك، والقرين السوء يزين لك القبيح حتى تراه حسنًا، فيعمل على ذهاب دنياك، وعلى إسقاط حرمتك عند خالقك ومولاك.

والجلساء على ثلاثة أقسام:

الأول: كالعافية لا يُستغنى عنها.

والثاني: كالدواء يحتاج إليه في وقت دون وقت.

والقسم الثالث: كالداء، وقد يبتلى به الإنسان، كعبدٍ صالح عند سيد فاسق، أو كولد مقبل عند أب مدبر، فالسيد هذا والوالد، لا يستحييان من المولى الرؤوف، والولد والعبد لا يقدران على الأمر بالمعروف، فينكران عليهما بالقلوب، ويدعوان لهما بغفران الذنوب، ويشكران الله تعالى على ما أسبغ عليهما من نعمه، ويسألان تمام النعمة، وهي حسن الخاتمة من علام

---

(١) في (خ): يحشره. وفي (ب): ليحشره.

(٢) ذكره الغزالي في «الإحياء» ٢/١٦٠.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) في (ب): لعبد.

(٥) سبق تخريجه.

الغيوب؛ لما جاء في الحديث: «**إذا رأيتم أهل البلاء اسألوا**[١] **الله العافية**»[٢].

فمن أراد العافية ودوام العافية فليتفقه في الدين، ويعتزل الناس في هذه الدار، ويدور مع الحق حيث[٣] دار، وينوي في عزلته أن يسلم الناس من شره، فيسيء الظن بنفسه، ويحسن الظن بخلق الله تعالى، كما قيل لراهب: أراك قد اعتزلت الناس. قال: إن نفسي كلب عقور تعقر الناس فأخرجتها من بينهم.

فيجب على المسلم أن يشتغل قبل عزلته بما يحتاج إليه من العلم أولاً، ثم يعتزل عن نفسه ثانيًا، يترك محابها وشهواتها الفاسدة.

قال الشيخ علي بن الصباغ رضي الله عنه: العزلة مجانبة النفس وما تدعو إليه، والخلوة مراقبة القلب وما يرد عليه[٤].

وأنشد بعضهم:

يا من يحاول عزلةً للناس ... وفعاله فعل الجهول الناسي
لا تغفلن عن الحقائق جاهلاً ... وانظر بعين[٥] مجرب بقياس
إن كنت تطلب عزلة تحيا بها ... وتقرر التقوى إذًا بأساس[٦]
فابدأ بنفسك فاعتزلها واعتزل ... مجموع ما تهوى من الأدناس
فهي التي لولا هواها لم يصل ... أبدًا إليك وساوس الخناس
فإن اعتزلت النفس فاعمل بعد ذا ... يا ذا البصيرة في اعتزال الناس

ثم اعلم بأن العزلة لها أصل في الشرع، وهو قوله ﷺ: «**تفقهوا ثم**

---

(١) في (ب): فاسألوا.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) في (ق): كيف.

(٤) لم أجده.

(٥) في (ب): بين.

(٦) في (خ): على الأساس.

اعتزلوا»[١]، وفي حديث آخر: «**السلامة في العزلة**»[٢].

وقد خلقك الله تعالى وحدك وستموت وحدك، وتبعث يوم القيامة وحدك، قال الله تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ۝٩٥﴾ [مريم: ٩٥]، فعَلِّمْ نَفسك الوحدة، واعلم أن الله فرد يحب الفرد.

قال رجل لبعض الصالحين: أريد أن أصحبك. قال الشيخ: فإذا مات أحدنا [فمن][٣] يصحب الآخر؟ قال: الله. قال: فمن الآن[٤].

وكان سفيان الثوري يقول: والله لقد حلت العزلة[٥].

وقال الجنيد: إن كان قد حلت العزلة في زمانهم فقد وجبت في زماننا[٦].

واعلم أن العزلة عند ظهور البدع والفتن واختلاف الأهواء وإعجاب كل ذي رأي برأيه من سنن الأنبياء؛ وهو طريق الأولياء، وقد اعتزل ﷺ

---

(١) أخرجه أحمد في «الزهد» ٣١٠/١ من كلام مطرف بلفظ: تفقهوا وتعبدوا ثم اعتزلوا. قال العجلوني في «كشف الخفاء» (١٠٠٣): قال النجم: ليس بحديث وإنما نقله في «الإحياء» عن النخعي، ورواه أبو نعيم الأصبهاني عن الربيع بن خثيم.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العزلة والإنفراد» (٢٦)، وأبو نعيم في «الحلية» ١٨٠/٥ ـ ١٨١، والبيهقي في «الزهد» (١٢٥)، وابن حجر في «المطالب العالية» (٣٢٥٧) من كلام مكحول بلفظ: إن كان في الجماعة فضل؛ فإن السلامة في العزلة.
قال الملا علي القاري في «المصنوع في معرفة الحديث الموضوع» ١١١/١: ليس بحديث.
وقال السفاريني في «غذاء اللباب» ٣٦٣/٢: فهو وإن كان معناه صحيحًا فليس بحديث.
وقال محمد خليل الطرابلسي في «اللؤلؤ المرصوع» ٩٧/١: كلام صحيح، وليس لمبناه أصل صريح.

(٣) في النسخ: لمن. والمثبت من مصادر التخريج، وهو أليق بالسياق.

(٤) ذكره الغزالي في «الإحياء» ٢٢٣/٢، والقشيري في «الرسالة القشيرية» ١٣٣/١بلفظ: وقال رجل لسهل: أريد أن أصحبك. فقال: إذا مات أحدنا فمن يصحب الآخر؟ قال: الله. قال: فلتصحبه الآن.

(٥) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٣٨٨/٦، وذكره الغزالي في «الإحياء» ٢٢٢/٢، ٢٣٣.

(٦) لم أجده.

قريشًا حين أخذوا في أذيته؛ فأعلى الله تعالى كلمته، وتولى إعزازه ونصرته، وقد أمر ﷺ أمته بأن يتفقهوا ويعتزلوا[1].

وكان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول: وددت أن أغلق عليَّ، (فلا يدخل علي بشر ولا)[2] أخرج إليه حتى ألحق بالله عز وجل[3].

وقيل للفضيل: إن ابنك عليًّا قال: ليتني في مكانٍ (أرى الناس ولا يروني. فقال رضي الله عنه: يا ويح علي، ليته لو قال: ليتني في مكان)[4] لا أراهم ولا يروني[5].

ودخل أمير البلدة على حاتم الأصم، وقال للشيخ: عسى لسيدي حاجة. قال الشيخ: حاجتي إليك أن لا تراني ولا أراك[6].

وقال الفضيل رحمه الله لرجل: أقلل من معرفة الناس؛ فإنَّ معرفة الناس داء كبير[7].

وقال: من سخافة عقل الرجل كثرة معارفه، فمن عامل الله بالصدق استوحش من الخلق[8].

وقال: لا أعلم أحدًا أحب أن يُعرف إلا ذهب دينه وافتضح[9].

---

(١) سبق بيان أن هذا ليس بحديث.

(٢) في (خ): فلم يدخل علي بشر ولم.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٩٤٨)، وهناد في «الزهد» (١٢٣٣) من كلام حذيفة رضي الله عنه.

(٤) ليست في (خ).

(٥) ذكره الغزالي في «الإحياء» ٢/٢٢٣.

(٦) ذكره الغزالي في «الإحياء» ٢/٢٢٣.

(٧) لم أجده من قول الفضيل، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٦/٣٨٣، ٣٨٩، وذكره الغزالي في «الإحياء» ٢/٢٣٤ من قول سفيان الثوري بألفاظ متقاربة.

(٨) ذكره الغزالي في «الإحياء» ٢/٢٢٣.

(٩) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (٧٢)، وأبو نعيم في «الحلية» ٨/٣٤٣، وذكره الغزالي في «الإحياء» ٣/٢٧٦ من قول بشر بلفظ: ما أعرف رجلًا أحب أن يُعرف إلا ذهب دينه وافتضح. وقال أيضًا: لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس.

وقال أيضًا: من لم يستأنس بالقرآن لا آنس الله تعالى وحدته[1].

وقال مالك بن دينار رحمه الله: من لم يأنس بمحادثة الله تعالى عن محادثة المخلوقين؛ فقد قلَّ علمه، وعمي قلبه، وضيع عمره[2].

وقال منصور بن إسماعيل[3]:

الناس بحر عميق والبعد عنهم سفينة   وقد نصحتك فانظر لنفسك المسكينة

بينما أويس القرني جالس إذ جاءه هارون بن حيان، فقال له أويس: ما جاء بك؟ قال: جئت لآنس بك، فقال له أويس: ما كنت أرى أحدًا يعرف ربه ويأنس بغيره[4].

وقيل لبعض الصالحين: ما حملك على أن تعتزل الناس؟ فقال: خشيت أن أسلب ديني، ولا أشعر[5].

واسمع قوله تعالى لنبيه وحبيبه محمد ﷺ وهو في مكان العصمة: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ﴾ [النساء: ١١٣]، وفي آية أخرى: ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

وقال سعيد بن المسيب: العزلة عبادة[6].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العزلة والإنفراد» (٥١).
(٢) ذكره الغزالي في «الإحياء» ٢/٢٢٧.
(٣) أخرجه البيهقي في «الزهد» (٢٢٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٣/٥٠.
(٤) ذكره الغزالي في «الإحياء» ٢/٢٢٧.
(٥) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٢٢/٤٦٢، عن عبد الله بن لهيعة، عن بكر بن سوادة قال: كان رجل يعتزل الناس إنما هو وحده، فجاءه أبو الدرداء فقال: أنشدك الله ما يحملك على أن تعتزل الناس. فقال: إني أخشى أن أسلب ديني ولا أشعر. فقال: أترى في الجند مئة يخافون الله ما تخافه؟ قال: فلم يزل ينقص حتى بلغ عشرة. قال: فحدثت به رجلًا من أهل الشام، فقال: ذاك شرحبيل بن السمط.
وشرحبيل بن السمط تابعي عابد فاضل.
(٦) أخرجه الخطيب في «المتفق والمفترق» (١٦٩١) من قول سعيد بن المسيب، وأخرجه=

وإياك والأمراء أن تدنو منهم، وتخالطهم في شيء من الأشياء، وإياك أن تُخدع[1] فيقال لك: رجل تشفع فيه، فإنما ذلك خديعة إبليس اتخذها فخًا[2].

وقال ابن عباس رضي الله عنه: يا معشر الفقراء، إياكم وأبواب الأمراء؛ فإنكم لا تأخذون من دنياهم شيئًا، إلا أخذوا من آخرتكم ما هو خير منه[3].

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله: أوصاني أستاذي أن أهرب من خير الناس أكثر مما أهرب[4] من شرهم؛ قال: فإن شرهم يصيب بدنك، وخيرهم يصيب قلبك؛ ولأن تصاب في بدنك خير لك من أن تصاب في قلبك، ولعدو يرجع بك إلى مولاك خير لك من حبيب يشغلك عن مولاك[5].

قال عقبة بن عامر الجهني: فيم النجاة يا رسول الله؟ قال: «**أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك**»[6].

وقيل: من أنس بغير الله في الخلوة فهو أبدًا في وحشة[7].

كان بعضهم ينشد:

أنست بوحدتي فلزمت بيتي ... فطاب الأنس لي ونما السرور

وأدبني الزمان فلا أبالي ... هجرت فلا أُزار ولا أزور

= ابن أبي الدنيا في «العزلة والإنفراد» (١٤)، وابن حبان في «الثقات» ٧/٢٧٤، والغزالي في «الإحياء» ٢/٢٢٢، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٥٠٤) من قول ابن سيرين.

(١) في (ب): تنخدع.

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ١/٨٨.

(٣) لم أجده.

(٤) في (خ): تهرب.

(٥) ذكره ابن عجيبة في «البحر المديد» ٦/٣٣٨، وإسماعيل حقي في «روح البيان» ٥/١٤٦.

(٦) سبق تخريجه.

(٧) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» ٥٤/٤٦.

ولست بسائل ما دمت حيًّا أقام الشيخ أم ركب الأمير

قال مالك: كل جليس لا تستفيد منه خيرًا، فاجتنبه[١].

وقال ابن عباس رضي الله عنه: قلنا لرسول الله ﷺ: لِمَنْ نجالس؟ قال: **«لِمَنْ يزيدُ في علمكم منطقه، ويرغِّبكم في الآخرة عمله، ويزهِّدُكم في الدنيا فعلُه»**[٢].

قال المؤلف عفا الله عنه: والله إنَّ مثل هذا العبد الجليل في زماننا هذا لقليل! ولكن ينبغي للمؤمن أن يعمل بما تقدم من الأحاديث، وهو قوله ﷺ: **«تفقَّهوا ثم اعتزلوا»**، والحديث الآخر: **«السلامة في العزلة»**[٣].

والصحبة لها حقوق كثيرة، والآدمي ضعيف لا يطيق حملها إلا بمعونة الله، فيخاف عليه أن يعجز عن أدائها فيأثم بلسان الشرع، ومن رزقه الله تعالى الأنس به لا يختار الأنس بغيره.

كما قيل: إن رجلاً دق الباب على معروف الكرخي، فقال الشيخ من داخل بيته: اللَّهم من جاء يشغلني عنك فأشغله بك عني. فاستجيبت دعوة معروف وشغل الرجل بالله[٤].

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «الزهد» (٨٦)، وأبو نعيم في «الحلية» ٢/٣٧٢.

(٢) عزاه الهندي في «كنز العمال» ٩/١٧٨ إلى ابن النجار، وقال: فيه مبارك بن حسان قال الأزدي: رمي بالكذب.
وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣٥٥)، وأحمد في «الزهد» ١/٥٤، وأبو نعيم في «الحلية» ٧/٤٦، والبيهقي في «الشعب» (٩٤٤٥) من كلام عيسى ابن مريم.
قال البيهقي: قد روي هذا الكلام الأخير عن نبينا ﷺ بإسناد ضعيف.

(٣) سبق هذا والذي قبله، وليسا بحديث.

(٤) لم أجده، وذكره أبو نعيم في «الحلية» ١٠/٣٦٦، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٧٦٨) عن علي بن عبد الحميد الغضائري يقول: دققت على أبي الحسن السري بن المغلس السقطي بابه، فسمعته يقول: اللَّهم من شغلني عنك فأشغله بك عني. فكان من بركة دعائه أني حججت من حلب ماشيًا على قدمي أربعين حجة، وكان يُعد من الأبدال.

وقال رجل لسفيان الثوري: أوصني. فقال رضي الله عنه: هذا زمان السكوت ولزوم البيوت[1].

وقال العنبري: اجتمع أصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض، فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي، ولحيته ترجف، وقال: عليكم بالقرآن، عليكم بالصلاة، ويحكم ليس هذا زمان حديث؛ إنما هذا زمان بكاء وتضرع ودعاء كدعاء الغريق، إنما هذا زمانُ احفظ لسانك، وأَخْفِ مكانك، وعالج قلبك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر[2].

هذا هو قول هذا السيد في زمانه، وهو الصدر الأول؛ لأنه كان من التابعين الزاهدين، ومن العلماء الموحدين، فما بالك يا أخي بزماننا هذا الذي كثر فيه البدع وقل إنكارها، فترى أحدنا قد مُلِئ قلبه بحب الدنيا، فصار همه بطنه، ودينه هواه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ويقال إن العافية عشرة أجزاء: تسعة في الصمت، وواحدة في الهرب من الناس[3]، فجرَّبوها فوجدوا خير هذه الأجزاء الهرب من الناس.

قال سفيان بن عيينة: قال لي سفيان الثوري في اليقظة والمنام وفي حياته وبعد وفاته: أقلل من معرفة الناس؛ فإن التخلص منهم لشديد، ولا أحسب أنك رأيت ما تكره إلا ممن عرفت[4].

قال ﷺ: «**سبَقَ المفَرِّدُونَ**»[5]، رواه أبو هريرة رضي الله عنه.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العزلة والإنفراد» (٩٤).

(٢) ذكره الغزالي في «الإحياء» ١٨٦/٤، وابن الحاج في «المدخل» ١٦٠/٣.

(٣) ذكره الدارقطني في «المؤتلف والمختلف» ٤٧/٢، والجرجاني في «تاريخ جرجان» (٤٠٤)، وابن ناصر الدين في «توضيح المشتبه» ١٨٣/٥ من قول دَاوُد بن سُرَيج رحمه الله.

(٤) ذكره الغزالي في «الإحياء» ٢٣٤/٢.

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣٢٣/٢ (٨٢٩٠)، ومسلم في «صحيحه» (٢٦٧٦)، والترمذي في «جامعه» (٣٥٩٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة، فمرَّ على جبلٍ=

وقال ﷺ لأبي الدرداء: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وعد نفسك من الموتى**»[١].

وقال صلوات الله عليه وسلامه: «**طلب الحق غربة**»[٢]، فطالب الحق غريب وإن كان بين أهله. وفي حديث آخر: «**فطوبى للغرباء**»[٣].

ليست[٤] الغربة مفارقة الأهل والأوطان، والسفر من مكانٍ إلى مكان، الغريب هو العامل بالسنة والقرآن، ولم يجد من يساعده على ذلك، فيصير بين الخلق غريبًا، ومن الله ورسوله قريبًا، فحينئذٍ يقول بلسان الحال: إذا كنت لي ما ضرني من عدمته[٥].

= يقال له: جُمْدان، فقال: «**سيروا هذا جمدان، سبق المفَرِّدُون**»، قالوا: وما المفَرِّدُون يا رسول الله؟ قال: «**الذاكرون الله كثيرًا، والذاكرات**».

قال النووي في «شرح مسلم»: هكذا الرواية فيه: المفَرِّدون بفتح الفاء وكسر الراء المشددة، وهكذا نقله القاضي عن متقني شيوخهم، وذكر غيره أنه روي بتخفيفها وإسكان الفاء، يقال: فرَدَ الرجل وفرَّد بالتخفيف والتشديد، وأفرد، وقد فسرهم رسول الله ﷺ بالذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، تقديره: والذاكراته، فحذفت الهاء هنا كما حذفت في القرآن لمناسبة رؤوس الآي، ولأنه مفعول يجوز حذفه، وهذا التفسير هو مراد الحديث، قال ابن قتيبة وغيره: وأصل المفردين الذين هلك أقرانهم، وانفردوا عنهم، فبقوا يذكرون الله تعالى. وجاء في رواية: هم الذين اهترُوا في ذكر الله، أي لهجوا به. وقال ابن الأعرابي: يقال فرد الرجل إذا تفقه، واعتزل، وخلا بمراعاة الأمر والنهي.

وقال ابن القيم في «الوابل الصيب»: وفي بعض ألفاظ الحديث: «المستهترون بذكر الله» ومعناه: الذين أولعوا به، يقال: استهتر فلان بكذا إذا ولع به. وفيه تفسير آخر: أنهم أهتروا في ذكر الله، أي كبروا، وهلك أقرانهم، وهم في ذكر الله تعالى.

وقال في «مدارج السالكين»: والمفردون إما الموحِّدون، وإما الآحاد الفرادَى.

قلتُ: على أي المعنيين كان فلا يدل على استشهاد المؤلف به على العزلة، فإن النبي ﷺ قد كفانا مؤنة تأويل الحديث، فبيَّن أن المفردون هم أهل الذكر الموحدون لربهم، وهم أيضًا الآحاد الفرادى لقلة الذاكرين الشاكرين في الناس.

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) في (خ، ق): ليس.

(٥) في (ق): عرفته.

أو كما قال بعضهم:

إذا رضيت عني كرام عشيرتي فلا زال غضبانًا عليّ لئامها

فعلم نفسك الوحدة، واعلم أن الله تعالى وترٌ يحب الوتر[1]، فمن تجنب الخلق آنسه الحق، ومن اشتغل بالله عز وجل تولى الله سبحانه جميع شأنه، يقول الله عزَّ وجل: «**من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين**»[2].

دخل رجل على بعض المشايخ باكيًا، فقال الشيخ: ما بالك؟ فقال الرجل: يا سيدي أستاذي مات. فقال له الشيخ: أنت ظالم؛ لم خدمت من يموت؟[3]

وكان بعضهم يقول: فإن اعتززت بمن يموت فإن عزك ميت.

وفي الخبر: «يقول الله عز وجل كل يوم: أنا العزيز، فمن أراد عز الدارين فليطع العزيز»[4].

ثم اعلم رحمك الله أنه لا عيش إلا مع الله، ولا عِزَّ إلا بالتعلق بجناب الله، فمن تعلق بجناب مولاه كفاه جميع أمره، وسخر له الكون بأسره، ومن يتوكل على الله فهو حسبه.

قال بعضهم: مررت ببعض جبال الشام بعابد على رأس جبل، فلما

---

(١) يشير إلى الحديث الذي أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٨٠١)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦٩٣٥)، وأحمد في «مسنده» ٢/٢٧٧(٧٧٣١)، والدارمي في «سننه» (١٥٨٠)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٠٧١) من حديث أبي هريرة، وقد ورد عن علي، وابن عمر، وابن مسعود، وعائشة رضي الله عنهم.

(٢) أخرجه البخاري في «أفعال العباد» (٦٩)، والبيهقي في «الشعب» (٥٧٢) عن عمر رضي الله عنه، وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٧٣)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٥٨٤) من حديث جابر رضي الله عنه.
قال الألباني في «الضعيفة» (٤٩٨٩): ضعيف.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) سبق تخريجه، وهو موضوع.

رآني هرب مني، فقلت: رحمك الله، إنسيٌّ يهرب من إنسي؟ قال: وهل البلاء إلا معكم؟ التزين والرياء والتصنع، إني لفي هذا الجبل ما شاء الله، تمر بي السباع فلا أجد لها وحشةً في قلبي، وإني لأشد أُنْسًا بها من أنسي بكم، إنكم قوم مَلأَتِ الدنيا قلوبكم؛ فمالت أبدانكم إليها، واستأنستم بها، فأنتم تستوحشون عند فَقْدِ أهلها، وأنتم مع انقطاعكم إليها لا يطيب لكم عيشٌ معها، إن دخلت عليكم أتعبتكم، وإن انصرفت عنكم أحزنتكم، فهلموا يا أبناء الشقاء وعبيد الدنيا إلى الراحة من رِقِّ الهوى، والتنعم بخدمة المولى(١).

قيل لرابعة: بم نلتي هذه المنزلة؟ قالت: بتركي ما لا يعنيني، وبأنسي بمن لم يزل(٢).

اللَّهم اجعلنا من المنقطعين إليك، ومن الدائمين بين يديك، ومن المستسلمين لقضائك، ولا تجعلنا من المتعرِّضين عليك.

اعلم رحمك الله أن الداخل مع الناس لا يسلم من إحدى وجهين: إما يخوض معهم إذا خاضوا في الباطل، أو يسكت(٣) إذا رأى منهم منكرًا فيأثم، أو يمدحوه فيعينوا نفسه عليه، أو يغتابوا عنده أحدًا فيذهب الله بحسناته؛ لأن المستمع شريك القائل في خير سمعه منهم أو شر.

قال بعضهم: مررت بالفضيل بن عياض في بيت الله الحرام عند سارية وحده - وكان صديقي - فجلست وسلمت عليه، فقال: ما جاء بك؟ فقلت له: اغتممت لوحدتك. فقال: اخْتَرْ إما أقوم عنك أو تقوم عني. فقلت له: أوصني. فقال: أَخْفِ مكانك، واحفظ لسانك، واستغفر الله لذنبك(٤).

وقال السيد الجليل سهل بن عبد الله رضي الله عنه: اجتمع الخير كله

---

(١) لم أجده.

(٢) لم أجده.

(٣) في (خ، ب): سكت.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العزلة والإنفراد» (٧٢)، وفي «التواضع والخمول» (٦٨).

في هذه الأربع خصال، وبها صارَ الأبدالُ أبدالاً: إخماص[1] البطن، والصمت، وسهر الليل، واعتزال الخلق[2].

ودخل رجل على شعيب فقال له: ما جاء بك رحمك الله؟ قال: جئت أؤانسك. قال: تؤانسني ولي أعالج الوحدة أربعين سنة[3].

اعلم رحمك الله تعالى أنك خرجت إلى الدنيا وحدك، وستدخل القبر وحدك، وستقوم يوم القيامة وحدك، قال الله تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم: ٩٥].

فعلم نفسك الوحدة والانفراد، واعمل ليوم المعاد، قال الله تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات: ٦١]، فمن ضيَّق على نفسه في الدنيا؛ وَسَّعَ الله عليه في الآخرة.

قال أبو مسلم الخولاني: كان الناس ورقًا لا شوك فيه، وهم اليوم شوك لا ورق فيه[4].

وقال الفضيل: إذا رأيت السبع فلا يهولك، وإذا رأيت ابن آدم ففر منه[5].

دخل رجل من أهل العزلة على أخ له، فوجد عنده جماعة قد اجتمعوا حوله، فوقف ولم يقعد، ثم نظر إلى أخيه المزار وقال له: صرت مناخًا للبطالين. ثم ذهب[6].

---

(١) إخماص البطن: إجاعتها. «لسان العرب» مادة: خمص.

(٢) ذكره التستري في «تفسيره» ٢١٨/١، وأبو طالب المكي في «قوت القلوب» ١٧٤/١.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العزلة والإنفراد» (٥٥)، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٣٧٢).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ١٢٣/٢، ١٦١/٣، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٢٢٨/٢٧ عن أبي مسلم الخولاني.
وأخرجه ابن أبي الدنيا في «مداراة الناس» (١٣)، وذكره الغزالي في «الإحياء» ١٧٨/٣، وأبو طالب في «قوت القلوب» ٣١٩/٢ عن أبي الدرداء.

(٥) أخرجه البيهقي في «الزهد» (١٥٢)، والخطابي في «العزلة» ١٤٦/١، وابن عساكر في «تاريخه» ٤٠٩/٤٨.

(٦) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ١١٨/١٠.

قال بعض الحكماء: إذا ألف الزاهد أبناء الدنيا انقطعت عروته، فإن نال من دنياهم شيئًا انحلت عقدته، فإن تمتع بها ضلَّ[١].

وكان بعضهم يقول: ارحموا فقيرًا أفسدت معدته طعام الأغنياء[٢].

قال جعفر بن حميل: صحبت الناس خمسين سنة فلم أجد فيهم من ستر عورتي، ولا وصلني حين قطعته، ولا آمنه إذا غضب، فالاشتغال بهؤلاء حمق[٣].

قال المؤلف: من اشتغل بكريم فهو كريم، ومن اشتغل بمهان فهو مهان، وإذا أراد الله بعبد خيرًا شغله به، وإن لم يرد به خيرًا شغله بغيره.

وكان بعض الصالحين ينشد هذه الأبيات:

أتوب إلى الذي أضحى وأمسى ... وقلبي يتقيه ويرتجيه

تشاغل كل مخلوق بشغل ... وشغلي في محبته وفيه

قيل للحسن البصري: هنا رجل لم ير جالسًا قط مع الناس. ودلوه عليه، فقال له الحسن: يا عبد الله، أراك قد أحببت العزلة واجتناب الناس. قال: أمرٌ شغلني عنهم. (فقال له: فما يمنعك أن تأتي الحسن فتسمع منه؟ قال: أمر شغلني عنهم)[٤]. قال له الحسن: وما هو يرحمك الله؟ فقال: إني أصبح وأمسي في نعمة وذنب، فرأيت أن أشغل نفسي عن الناس بشكر الله تعالى على النعمة والاستغفار من الذنب. فقال له: يا عبد الله، أنت عندي أفقه من الحسن، الزم ما أنت عليه[٥].

وقيل: لما قدم ابن المبارك المصيصة سأل عن محمد بن يوسف فلم يعرف أحد مكانه، فبكى ابن المبارك وقال: هذا والله من فضله أن لا يعرف

---

(١) لم أجده.

(٢) لم أجده.

(٣) أخرجه الخطابي في «العزلة» (١٤٦).

(٤) ليست في (ق).

(٥) ذكره الغزالي في «الإحياء» ٢/٢٢٧.

ببلد هو فيه[1].

يحكى عن بعض الخلفاء قال لفقير: إني أحبك، وأقسم عليه أن يتردد في بعض الأوقات إليه. وأمر الخليفة البوابين أن لا يرد الشيخ أحدٌ، فدخل الشيخ يومًا فلما أحست سريَّة الخليفة به هربت، وتركت طبقًا فيه جواهر ولؤلؤ كانت تنظمهم، فجاء الطاووس فالتقطهم[2]، فلما ذهب الشيخ خرجت السرية فلم تجد في الطبق شيئًا، فتحيرت، إن قالت أخذهم[3] الشيخ لم تصدَّق، ولم يدخل أحدٌ غير الشيخ، فحملت على قلبها ومرضت، فقال لها الخليفة: ما سبب مرضك؟ قالت: لما كنت أنظم اللؤلؤ والجواهر والفصوص دخل الشيخ ففررت من بين يديه، وتركت الطبق، فلما ذهب الشيخ خرجت فلم أجد في الطبق شيئًا، فهذا سبب مرضي. فطلب الخليفة الطبيب، وقال: انظر إلى مرضها وإلى ما يوافقها. فقال الطبيب: مرضها في قلبها، اذبحوا لها طاووسًا واشووا قلبه وأطعموه لها تصيب العافية إن شاء الله تعالى. فأمر الخليفة بذبح الطاووس الذي التقط اللؤلؤ، فذبحوه، فخرج الجميع من حوصلته، فاستحيا الخليفة من الشيخ لما خالط قلبه من الشك.

وكان الشيخ قد علم أنهم شكوا، هل أخذ جواهرهم الشيخ أم لا؟ فطلب الخليفة الشيخ واعتذر، وقال: اجعلني في حلٍّ. فقال الشيخ: والله لا أحاللك حتى تحلف لي أن لا تخالفني في جميع ما آمرك به. فحلف له بالأيمان المغلظة أن مهما قاله الشيخ لا يخالفه. فقال الشيخ: ائتني بحمار، وأْمر المشاعلية بأن يركبوني عليه مقلوبًا، ويجعلوا على وجهي الدقيق،

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٨/٢٢٦، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٦٦٤) عن عبد الله بن المبارك: قلت لابن إدريس: أريد الثغر فدلني على أفضل رجل به. فقال: عليك بمحمد بن يوسف الأصبهاني. فقلت: فأين يسكن؟ قال: المصيصة، ويأتي السواحل. فقدم عبد الله بن المبارك المصيصة فسأل عنه فلم يعرف، فقال ابن المبارك: من فضلك لا تعرف.

(٢) في (ط): فالتقطها.

(٣) في (ط): أخذها.

ويدوروا بي في أسواق المدينة وأزقتها، ويضربوني بالدرة ويقولون: هذا جزاء فقير يصحب أبناء الدنيا. فأمر الخليفة بذلك وشقَّ عليه، ولولا الأيمان المغلظة ما فعل[1].

وقيل لإبراهيم بن أدهم: لم لا تصحب الناس؟ قال: إن صحبت من هو دوني آذاني بجهله، وإن صحبت من هو فوقي تخيَّر[2] عليَّ، وإن صحبت من هو مثلي حسدني، فاشتغلت بمن لا في صحبته ملالة، ولا في أنسه وحشة، ولا في وصله انقطاع[3].

قال المؤلف عفا الله عنه وعن جميع المسلمين: إن في زيارة الصالحين، وصحبتهم، والاشتغال بخدمتهم خيرًا، فقد سمعت من بعض العلماء أنه قال: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: يا موسى، إذا رأيت لي طالبًا، فكن له خادمًا[4]، وسمعت من بعض الأولياء وكان قد بلغ من العمر أكثر من مئة وأربعين سنة أنه قال: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود، من خدمني فله الجنة، ومن خدم أوليائي فله أنا[5].

فمن خدم خُدِم، ومن تهاون ندم، فقد علمت أن الاشتغال بخدمة الأولياء أجرٌ عظيم وخير جسيم، والاشتغال بالله وخدمته أفضل وأخير[6].

كان بعضهم ينشد هذه الأبيات:

أجللت قدرك إن خدمت جليلًا ... ولك الجمال إذا طلبت جليلا
لا تغترر بغرور دنيا زخرفت ... لخليلها حتى تراه قتيلا
إن الذين تيقظوا لمعادهم ... صبروا على جد المسير قليلا

---

(١) لم أجده.

(٢) في (ط): تفضل بخير.

(٣) لم أجده.

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ١٠/١٩٤، والبيهقي في «الشعب» (٩٩٥٥).

(٥) لم أجده.

(٦) في (ق، ب): خير.

فتعجلوا عيشًا هنيئًا طيبًا وتبوءوا دار السلام مقيلا

طرق الفضيل بن عياض الباب على داود الطائي، قال: من؟ قال: أخوك الفضيل جئت لزيارتك. فلم يفتح له الباب، وقال: تؤخر الزيارة للآخرة، طاعة الرحمٰن أحب إليّ من زيارة الإخوان، فصار داود يبكي من داخل، والفضيل يبكي من خارج(١).

انظر - رحمك الله! - إلى أولياء الله تعالى كيف آنَسَهم به حتى استوحشوا من غيره، فمن انتسب إليهم أو إلى العلماء ثم أكثر التردد إلى الأغنياء والأمراء فقد رضي بالدنيا، وما نال منهم وطرًا.

صحب صوفيٌّ بعض الأمراء وانجمع عليه، فعرضت للصوفي حاجة ضرورية، فسأل الله أن يقضي حاجته، فسمع قائلاً يقول له: اطلب حاجتك من: ﴿إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ [طه: ٩٧](٢).

فمن انتسب إلى العلماء والأولياء، وعلى هذه الآفات أقام، كمن قال: ربي الله وما استقام. ونسأل الله تعالى الاستقامة والأمن من فزع يوم القيامة.

قال أميرٌ لفقير يعرفه: ما يمنعك من المجيء إليّ؟ قال الفقير: أنتم دنياكم تمنعكم من المجيء إلينا، ونحن آخرتنا تمنعنا من الرواح إليكم.

والذي بلغنا عن ساداتنا أن أحدهم كان يفر من الملوك والأمراء كما يفر الرجل من الأسد، ولا ينظرون إليهم ولا لأبنيتهم، وربما صادف أحدهم أميرًا فيحول وجهه إلى الحائط؛ خوفًا على قلبه أن يتمتع بالنظر إليه فيبتلى بالعمى، وهؤلاء القوم كانت لهم قلوب منورة، خافوا عليها من العمى، ومن أعمى الله تعالى قلبه فمن أي شيء يخاف؟! وإذا دخل أحد من العلماء أو الفقراء على الأمير ولم ينهه عن كل بدعة رآها فقد خرج عن طريق سيد المرسلين، والخلفاء الراشدين، والعلماء الموحدين، فيدخل بدينه ويخرج

---

(١) لم أجده.

(٢) لم أجده.

بغير دين[1]؛ لأنه ترك واجبًا، ورضي بالفاحشة، ومن رضي بالفاحشة كمن فعلها، ويقع سكوته تزكيةً لعملهم ولضلالتهم، وطلبًا لرضاهم، وتعظيمًا لدنياهم، ومن عظَّم حقيرًا فهو حقير عند الله تعالى.

قال الفضيل: لو أن رجلاً لا يأتي هؤلاء - يعني السلطان - ولا يزيد على الفرائض، هو أفضل من رجلٍ يخالط السلطان ويصوم النهار ويقوم الليل[2].

وفي الخبر: «العلماء أمناء الرسل ما لم يخالطوا السلطان ويدخلوا في الدنيا، فإذا فعلوا ذلك ودخلوا في الدنيا فقد خانوا الرسل عند ذلك؛ فاعتزِلوهم واحذروهم»[3].

قال الشيخ أبو العبَّاس رحمة الله عليه: ما رأيت العز إلا في رفع الهمة عن الخلق[4].

فاعلم - رحمك الله - أن رفع الهمة عن الخلق هو ميزان الفقراء، وأحوال الرجال، وكما توزن الذوات كذلك توزن الأحوال والصفات: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ۝٩﴾ [الرحمٰن: ٩] فيظهر الصادق بصدقه، والمدعي بكذبه ومَذْقه[5]. ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]. وقد ابتلى الله تعالى بحكمته الفقراء الذين ليسوا بصادقين، بإظهار ما أخفوا من الرغبة وأسرُّوا من الشهوة، فطرحوا أنفسهم لأبناء الدنيا مباسطين لهم، موافقين لهم على

---

(١) في (ط): دينه.

(٢) لم أجده.

(٣) أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» ٢٦٢/١، وذكره الديلمي في «مسند الفردوس» ٧٥/٣، والغزالي في «الإحياء» ١٤٢/٢، وإسماعيل حقي في «روح البيان» ١٢٥/٤من حديث أنس، قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح عن رسول الله. وقال الألباني في «الضعيفة» (٢٦٧٠): ضعيف.

(٤) ذكره ابن عجيبة الإدريسي في «البحر المديد» ٧٥/٨، وإسماعيل حقي في «روح البيان» ٣٧٤/٩ عن أبي العبَّاس المرسي.

(٥) رجل مَذَّاقٌ: كَذُوب. «لسان العرب» مادة: مذق.

مآربهم، مدفوعين على أبوابهم، فترى أحدهم يتزين كما تتزين العروس؛ يجتهدون في إصلاح ظواهرهم، وهم عن إصلاح بواطنهم[1] غافلون، ولقد وسمهم الحق وسمةً كشف بها عوراتهم، وأظهر أخبارهم، فبعد أن كانت نسبته أن لو صدق مع الله تعالى أن يقال فيه: عبد المولى القدير. فأخرج عن هذه النسبة لعدم صدقه، فصار يقال له: شيخ الأمير. أولئك المبعدون عن باب الله، الصادون العباد عن صحبة أولياء الله بما يشهده العموم منهم، يظنون ذلك على كل منتسب إلى الله تعالى، فهم حجُب أهل التحقيق، وبعداء من الخير والتوفيق، ألسنتهم منطلقة بالدعوى، وقلوبهم خالية من التقوى، ألم يسمعوا قول المولى: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٨]، أترى إذا سأل الصادقين أيترك المدعين أو الكاذبين بغير سؤال؟! فقد أظهروا زي الأولياء والمقبلين، وأفعالهم أفعال المعرضين، فظواهرهم صالحة، ولم يشموا للخير[2] رائحة، وأنشد بعضهم[3]:

أما الخيام فإنها كخيامهم	وأرى نساء الحي غير نسائها
لا والذي حجَّت قريش بيته	مستقبلين الركن من بطحائها
ما أبصرت عيني خيام قبيلةٍ	إلا بكيت أحبتي بفنائها[4]

ثم اعلم بأنك لا تقدر في هذا الزمان على الأمر بالمعروف وقيام الحق، ولا تهون نفسك عليك بالضرب أو السب أو الحبس، فلا تتهم نفسك على منزلة لا تقدر عليها.

فإن قيل: لا بد لنا من الاجتماع بالناس للبيع والشراء، وما يُحتاج إليه من الأسباب؛ نعم، لكن تدخل معهم مشمرًا عن ساعديك، كما تدخل في الوادي الكثير الحيات، وقل: ربِّ سلِّم، ربِّ سلِّم. واسمع قوله تعالى:

---

(١) في (خ): سرائرهم.

(٢) في (خ، ب): للفقر.

(٣) في (خ، ب): كما قيل.

(٤) هذه الفقرة من قوله: (فاعلم رحمك الله...) إلى هنا: نقلها المؤلف من «التنوير في إسقاط التدبير» لشيخه ابن عطاء الله.

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقوله ﷺ: «**إذا رأيت شحًا مطاعًا، وهوىً متبعًا، وإعجاب كل ذي رأي برأيه؛ فعليك بخويصة نفسك**»(١).

وقال الفضيل لرجل: لأعلمنك كلمة [هي] خير من الدنيا وما فيها، والله لئن علم الله منك إخراج الآدميين من قلبك حتى لا يكون في قلبك مكان لغيره لم تسأله شيئًا إلا أعطاك(٢).

وقال: ما يؤمّنك أن تكون بارزت الله عز وجل بعمل مقتك عليه، فأغلق دونك أبواب المغفرة، وأنت تضحك، كيف ترى يكون حالك؟(٣)

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي فيما يحكيه عن أستاذه رحمة الله عليهما: الله، الله، والناس، نزّه لسانك عن(٤) ذكرهم، وقلبك عن التماثيل من قبلهم، وعليك بحفظ الجوارح، وأداء الفرائض، وقد تمت ولاية الله عندك، ولا تذكرهم إلا بواجب حق الله عليك، وقد تم ورعك، وقل: اللّهم أرحني من ذكرهم، ومن العوارض من قبلهم، ونجني من شرهم، وأغنني بخيرك عن خيرهم، وتولني بالخصوصية من بينهم، إنك على كل شيء قدير.

وقال أيضًا: أوصاني حبيبي: لا تنقل قدميك إلا حيث ترجو ثواب الله، ولا تجلس إلا حيث تأمن غالبًا من معصية الله، ولا تجالس إلا من تستعين به على طاعة الله، ولا تصطفِ لنفسك إلا من تزداد به يقينًا بالله، وقليلٌ ما هم(٥).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» ٤٠٣/٤٨، وذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» ٢٤١/٢.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٥٤/٨، وذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢١٨)، و«ذم الهوى» ٢١١/١.

(٤) في (خ، ب): من.

(٥) ذكره ابن عجيبة في «إيقاظ الهمم» ٥٨.

وقال رضي الله عنه: مَن لم يذق الأنس مع الله، إذا أعرض عنه من ينفع؛ أشد من ذوقه إذا أقبلوا عليه؛ فليس معه من الأنس بالله لا قليل ولا كثير.

ثم اعلم أن مَن علم قُرب رحيله سعى في تحصيل الزاد خوفًا من مشقة الطريق، ومن الفضيحة في يوم المعاد، فشغله ذلك عما تقدم ذكره، وعن العباد.

يا هذا، لو أحبك الحق سبحانه لجمعك عليه، ولحبب لك الطريق الذي[1] يوصلك إليه؛ لأن الله تعالى لا يدع من يحبه لغيره، ألم تسمع قوله ﷺ: «**يقول الله عز وجل: يا جبريل أنم فلانًا وأقم فلانًا**»[2]. فمن أحبك نبهك، وإذا أبغضك قال: دعوه نائمًا.

ثم اعلم بأن الله تعالى انتخب لحضرته من يصلح لها، ومن لم يصلح رماه للكائنات، ومن لم تفتح له المنازل رضي بالمزابل.

وقف بعض الصالحين يصلي ورده بالليل، فلم يسمع حسَّ أحد، فقال: يا رب ما أقل الواقفين ببابك. فسمع قائلاً يقول: ليس ذلك من قلة الأحباب، ولكن ليس كل أحد يصلح للباب[3].

وقالوا في هذا المعنى:

قل لمن أعرض عنا إن إعراضك منا
لو أردناك لأضحى كل ما فيك يردنا

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

(١) في (ق): التي.
(٢) لم أجده.
(٣) لم أجده.



باب: فيما يبتدع من الملابس وما يكره وما يحرم وما يباح

اللَّهم اكسنا كسوة تقينا بها من الفتن والهلاك، ونسألك الغنى بك حتى لا نشهد إلا إياك، قال الله تعالى جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ [الأعراف: ٢٦].

اعلم ـ رحمك الله وإيانا وجميع المسلمين! ـ أن اللباس على قسمين: لباس الأبدان، ولباس الإيمان. فالأول فيه خير، والثاني أفضل منه وخير؛ لأن الأول يفنى ويبلى، والثاني لا فناء له، فيجب على المسلم أن يصون ثوب الإيمان عن نجاسات المخالفة والعصيان، ويجتهد في تجديده وتطهيره بالطاعة والإحسان، قال صلوات الله عليه وسلامه: «**جدِّدُوا إيمانَكم بلا إله إلا الله**»[1]. ونعوذ بالله من قلة التوفيق ومن الخذلان.

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمة الله عليه: رأيت النبي ﷺ في

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣٥٩/٢ (٨٧١٠)، وعبد بن حميد في «مسنده» (١٤٢٤)، والحاكم في «المستدرك» ٢٥٦/٤ من حديث أبي هريرة بلفظ: «**جددوا إيمانكم**». قالوا: كيف نجدد إيماننا؟ قال: «**قولوا: لا إله إلا الله**».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢١٢/١: رواه أحمد، وإسناده جيد، وفيه سمير بن نهار وثقه ابن حبان.

وقال الألباني في «الضعيفة» (٨٩٦): ضعيف.

المنام، فقال لي: يا علي طهِّر ثيابك من الدنس؛ تحْظَ بمدد الله في كل نفس. فقلت: يا رسول الله، وما ثيابي؟ فقال: اعلم أن الله قد كساك حلة الإيمان، وحلة المعرفة، وحلة التوحيد، وحلة المحبة. فقال: ففهمت حينئذٍ قوله سبحانه: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾ [المدثر: ٤][(١)].

قال قتادة ومجاهد رحمة الله عليهما في تفسير هذه الآية: أي نفسك فطهر من الذنوب. وقال بعض المفسرين: عملك فأصلح. وقال السدي: يقال للرجل إذا كان صالحًا إنه لطاهر الثياب، وإذا كان فاجرًا إنه لخبيث الثياب. وقال ابن سيرين وابن زيد: أمر بتطهير الثياب من النجاسة التي لا تصح معها الصلاة[(٢)].

فصُنْ ـ أيها المملوك! ـ خِلَع الملوك، لكي لا تُنزع عنك، ولا تكثر الفجور فالحقُّ غيور، وكانت رابعة تقول:

ما بال دينك ترضى أن تدنسه	وثوبك الدهر مغسول من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها	إن السفينة لا تجري على اليبس

فاشكر الله ـ أيها المؤمن! ـ الذي منَّ عليك بخلعة الإيمان بعد سبع مئة سنةٍ وكسور من الهجرة، وأحرمها غيرك وهو في الحضرة، قال بعضهم: لما فاح عطر النبوة شمَّها سلمانُ من العجم، وبلال من الحبشة، وصهيب من الروم، وأبو طالب في الحضرة وهو مزكوم، ومن هذه السعادة والخيرات محروم، فمن أراد هذه السعادة فلا يعصى عالم الغيب والشهادة.

فصُن ـ أيها المؤمن! ـ هذه الخلعة المحمدية من الأفعال الردية، وافرح بما خصك الله به: أن جعلك من خير الأمم، وحرسك من السجود للصليب والصنم، فقيد هذه الخيرات بالشكر، والعمل الصالح؛ فإن المعاصي تزيل النعم. قال ﷺ: «**المعاصي بريد الكفر**»[(٣)]، فكادت المعصية أن تكون كفرًا.

---

(١) ذكره الثعالبي في «الجواهر الحسان» ٣٥٩/٤، وابن عجيبة في «البحر المديد» ٢٦٢/٨.

(٢) راجع لهذه الأقوال «الدر المنثور»، و«تفسير البغوي» ٢٦٥/٨.

(٣) سبق تخريجه.

تاب بعضهم عن نبش القبور، فقال له شيخه: يا بني، بلغني أنَّ[1] من مات على غير القبلة يحول عنها؛ فهل رأيت أحدًا مصروفًا عن القبلة؟ فقال: يا سيدي، رأيت أكثرهم مصروفين عن القبلة.

فانظر ـ رحمك الله تعالى! ـ إلى شُؤم المعصية والطغيان، كيف يؤدي إلى ذهاب الإيمان.

هجم العيد على إبراهيم بن أدهم، وعليه هِدْمَتان[2]، فقيل له: ما تلبس في العيد؟ أنشد في المعنى يقول:

قالوا غدًا العيد ماذا أنت لابسه	فقلت خلعة ساقٍ حبه جرعا
فقرٌ وصبرٌ هما ثوباي تحتهما	قلبٌ يرى الله في الأعياد والجمعا
العيد لي مأتمٌ إن غبت يا أملي	والعيد ما كنت لي مرأى ومستمعا
أحرى الملابس ما تلقى الحبيب به	يوم التزاور في الثوب الذي خلعا

وقد تقدم أن اللباس على أقسام: منه ما يحرم، وهو لبس الذهب والحرير والإبريسم والديباج على الرجال، وللنساء حلال؛ لأن النبي ﷺ أخذ الذهب والحرير بيديه وقال: «**هذان حرامان على ذكور أمتي**[3] **حلالان لإناثهم**»[4].

وعند أبي حنيفة[5] رحمه الله يحرم لبس الحرير والذهب والديباج

---

(١) في (ق): أنه.

(٢) الهِدْمُ بالكسر: الثوبُ البالي، والجمع أهدام.

(٣) زاد في (ط) تبعًا لـ (ب): يشتمل الصغير والكبير. وستأتي بعد قليل.

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» ١/١١٥(٩٣٥)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٨٠)، وابن ماجه في «سننه» (٣٥٩٥)، والنسائي في «سننه» ٨/١٦٠ (٥١٤٤)، و«الكبرى» (٩٤٤٥)، وأبو داود في «سننه» (٤٠٥٧) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
قال ابن الملقن في «البدر المنير» ١/٦٤٣: قال عبد الحق في «الأحكام»: قال ابن المديني: حديث حسن، ورجاله معروفون.
وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٢٧٤).

(٥) «بداية المبتدي» ١/٢٢١ ـ ٢٢٢.

والإبريسم[1] على الرجل الكبير وعلى الطفل الصغير؛ لقوله ﷺ: «**حرامان على ذكور أمتي**». يشمل الصغير والكبير، لكن القلم مرفوع عن الصغير والإثم على من ألبسه. وقال أيضًا بتحريمه في الحرب؛ لورود النهي، ولأن الملحَّم يقوم مقامه.

وفي المسألتين خلاف للعلماء[2]: لبسه في الحرب للرجل الكبير، وفي الإقامة للصبي[3] الصغير، واختلاف العلماء رحمةً، والخروج من خلافهم نعمة، وقد ورد في الأخبار المتواترة: أن من لبس الحرير في الدنيا، لم يلبسه في الآخرة.

قال بعض العلماء: يُخاف على لابس الحرير من سوء الخاتمة؛ لقوله ﷺ: «**من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة**»[4]. ولأن الحرير والذهب من حلي أهل الجنة ولباسهم، قال المولى القدير: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ [فاطر: ٣٣].

واختلف العلماء في الأعلام في الثياب[5]: هل يجوز إذا [كانت][6] من الحرير والإبريسم أم لا؟ قال بعض العلماء: يُكره؛ لما روي عن جابر بن عبد الله، قال: كنا نقطع الأعلام من الثياب[7].

وروى الأعمش عن مجاهد أن عبد الله بن عمر اشترى عمامة، فرأى

---

(١) الإِبْرَيْسَمُ: الحَرِيرُ.

(٢) انظر: «المجموع» ٤/٤٣٥ ـ ٤٣٦.

(٣) في (ق): للطفل.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» ١/٣٧ (٢٥١)، والبخاري في «صحيحه» (٥٨٣٤)، ومسلم في «صحيحه» (٢٠٦٩)، و«النسائي» ٨/٢٠٠ (٥٣٠٥)، وفي «الكبرى» (٩٦٢٢) من حديث عمر رضي الله عنه.

(٥) «الاستذكار» ٨/٣١٩، و«المغني» ١/٦٦٠.

(٦) في (خ، ق): كانا.

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٥١٩٢).

علمها حريرًا فقطعه[1]، وقال: اجتنبوا ما خالط الثياب من الحرير[2].

وأما من قال: لا بأس به. دليله: ما روى أبو أمامة الباهلي، قال: قلت: يا رسول الله، نهيتنا عن لبس الحرير، فما يحل لنا منه؟ قال: **«ثلاثة أصابع، وذلك لا خير فيه»**[3].

فلا بأس بلبس الثوب إذا كان سداؤه من حرير أو إبريسم، واللُّحمة من قطن أو خز أو صوف أو كتان، وفي لبس الخزّ[4] خلاف للعلماء[5].

ويكره للمؤمنين الأخيار التشبه بزي الكفار؛ لقوله ﷺ: **«من تشبه بغيرنا فليس منا»**[6].

والذي أذكره في هذا الباب من المكروهات فيه ما هو كراهة تنزيه، وكراهة تحريم، وكلا الطرفين ذميم.

ويكره للرجل التشبه بزي النساء، كلبس الثياب المحمرة والمعصفرة، والتقنع، ولبس السراويل القزواني، واختضاب يديه ورجليه بالحناء من غير عذر؛ لأن هذه الأشياء من زي النساء، ويكره أيضًا للمرأة التشبه بزي الرجال، كلبس القبع، والشاش، والقباء[7]، والسراويل

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٥١٩٠).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٥١٨٥).

(٣) لم أجده عن أبي أمامة بهذا اللفظ، وأخرجه أبو عوانة في «مسنده» (٨٥٠٠)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» ٢٧٤/٤، والطبراني في «الكبير» ١٢٠/٨(٧٥٥٢)، والبيهقي في «الكبرى» ٢٦٦/٣ عن أبي أمامة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«لا يلبس الحرير في الدنيا إلا من لا خلاق له في الآخرة»**.
وأخرجه النسائي في «الكبري» (٩٦٢٦)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢١٤) عن عمر قال: إياكم ولباس الحرير؛ فإن رسول الله ﷺ نهى عن لباس الحرير إلا هكذا. ورفع أصابعه السبابة والوسطى.

(٤) في (ق): الحرير.

(٥) «الإستذكار» ٣٠٥/٨.

(٦) سبق تخريجه.

(٧) قَبا الشيءَ قَبْواً جمعه بأصابعه، والقَباء ممدود من الثياب الذي يلبس مشتق من ذلك لاجتماع أطرافه والجمع أَقْبِية.

الفاتحي؛ لأنه من زي الرجال ولا يستر عورتها، ولا تلبس الدلق العسلي، ولا الزربول[(١)] الصيدي؛ فإنه من زي الرجال، وصحَّ أنَّ النبيَّ ﷺ لعن المتشبهين من الرجال بالنساء، ولعن المتشبهات من النساء بالرجال[(٢)].

ويكره من غير عذر لبس الطيلسان[(٣)] لكل إنسان، ويكره كشف الرأس عامدًا، ويكره حلق داير الرأس، وكذلك الناصية كما يفعله أهل العربدة، وهم حمَّاري هذه الأمة. فإن فعل شيئًا من ذلك لغير عذر لم يجز، وإن فعله لعذر جاز، بغير كراهة.

ويكره تلبيد الشعر[(٤)]، وأن يوصل شعرًا آخر، فمن لبَّده من جهلة المسلمين لا يزال جنبًا ولو اغتسل في سبعة أبحر؛ لأن الماء لا يصل إلى أصول شعره، وهذا عبدٌ جاهل مفتون، والواصل شعره بشعر غيره ملعون؛ قال ﷺ: «**لعن الله الواصلة والمستوصلة**»[(٥)]، فإن لُعنت المرأة لأجل ما وصلت شعرها بشعر غيرها زينة لأجل زوجها، فالرجل يكون ملعونًا بطريق الأولى؛ لأنه وصله عبثًا، وأكثر ما يفعله فقراء الروم والعجم، الخوارج عن طريق سيد الأمم.

وكذلك الواشمة إذا وشمت شيئًا من بدنها لأجل التزين لأجل زوجها تكون ملعونة، والرجل يكون ملعونًا بطريق الأولى؛ لأنه[(٦)] غيَّر خلق الله

---

(١) الزربونُ والزربولُ: وهو ما يلبَسُ في الرِّجْلِ.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) الطيلسان، أو: الطالسان: ضرب من الأوشحة يلبس على الْكَتف، أَو يُحِيط بِالْبدنِ، خَال عَن التفصل والخياطة، أَو هُوَ مَا يعرف فِي العامية المصرية بالشال، فَارسي مُعرب: تالسان أَو تالشان. «المعجم الوسيط» (مادة: طلس).

(٤) تَلْبِيد الشَّعَرِ: أَنْ يُجْعَل فِيهِ شيءٌ مِن صَمْغ عِنْدَ الإحْرام، لِئَلَّا يَشْعَثَ ويَقْمَل إبْقاءً عَلَى الشَّعَر. وإنَّما يُلَبِّد مَن يَطُول مُكثُه فِي الإحْرام. «النهاية» لابن الأثير.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) في (خ، ب): فإنه.

تعالى عبثًا، فإن وشم هذا الشيطان شيئًا من أطرافه بالقرآن فقد ارتكب فعلاً محرمًا يوجب له غضب الرحمٰن، ويخرجه عن طريق النبي ﷺ، وعن طريق أصحابه، وعن طريق أهل الخير والإيمان.

ويكره أن يكون الرجل ثائر الرأس واللحية؛ لما روي أن رجلاً دخل على النبي ﷺ وهو ثائر الرأس واللحية؛ فأشار إليه أن اخرج وأصلح رأسك، ففعل، ثم دخل على النبي ﷺ، فقال له: «**أليس هذا خير من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان؟!**»[(١)]، ويكره لبس الشعر، وإن كان قد لبسه بعض العباد، فهو مخالف لسنة خير[(٢)] العباد.

وقال الأوزاعي رحمه الله: لبس الصوف سنَّة في السفر، بدعة في الحضر[(٣)].

دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم وعليه جبة صوف، فقال له قتيبة: ما دعاك إلى لبس مدرعة الصوف؟ فسكت، فقال: أكلمك ولا تجيبني؟ فقال: أكره أن أقول: زُهدًا؛ فأزكي نفسي، أو أقول: فقرًا؛ فأشكو ربي[(٤)].

وقال ابن السماك لأصحاب الصوف: والله لئن كان لباسكم هذا موافقًا لسرائركم لقد أحببتم أن يطلع الناس عليها، ولئن كان مخالفًا لقد هلكتم[(٥)].

رأت عجوز شبابًا عليهم ثياب الصوف وهم جلوس يتضاحكون،

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (١٧٠٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٤٦٢) من حديث عطاء بن يسار رضي الله عنه.
وأخرجه النسائي في «سننه» ١٨٣/٨ (٥٢٣٦) من حديث جابر بن عبد الله، قال: أتانا النبي ﷺ فرأى رجلاً ثائر الرأس، فقال: «**أما يجد هذا ما يسكن به شعره؟!**».
وقال الألباني في «صحيح سنن النسائي»: صحيح.

(٢) في (خ، ب): سيد.

(٣) ذكره الذهبي في «تذكرة الحفاظ» ١٣٦/١، وسير أعلام النبلاء» ٦٩/١٧.

(٤) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٥٧/٥٦. وذكره الغزالي في «الإحياء» ٢٣٤/٤.

(٥) أخرجه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٥٣٨).

فقالت: سبحان الله، زي الصالحين وفعل الجاهلين[1]. أنكرتْ عليهم لعدم التناسب.

وقال الحسن لفرقد السبخي: يا فرقد، تحسب أن لك فضلاً على الناس بكسائك؟ بلغني أن أكثر أهل النار أصحاب الأكسية[2]. وأنشدوا:

إذا المرء لم يلبس ثيابًا من التقى ... تقلب عريانًا وإن كان كاسيًا
وخير خصال العبد[3] طاعة ربه ... ولا خير فيمن كان لله عاصيًا

اعْلَم - أيها الإنسان! - أن لبس الدروع الحسان محرم على كل جبان، فلا تلبس أيها البطَّال لباس الأبطال، ثم تأخذ في الهزيمة؛ فإنه من أفعال كل خنثى العزيمة، فدع الدرع الحسن لصاحبه، فهو أولى منك بالغنيمة، وكانوا أحق بها وأهلها؛ لأن أحدهم عرف ما يطلب، فحينئذٍ هان عليه ما يبذل، ومن أراد الفوائد هجم على الشدائد.

ثم اعلم أن بعض الناس اختار الترفع في الملابس ونيته الإظهار لنعم الله تعالى، فلا بأس بذلك إذا كان من حلال، وروي أن الله جميل يحب الجمال[4]، وقد حُكِي عن جماعةٍ من الصالحين أنهم كانوا يظهرون الغِنَى في الفقر، تراهم على فاقة وهم يجتهدون في تحسين ثيابهم، وقال الله فيمن هذه صفاتهم: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]. ومن وسع الله تعالى عليه يجب أن يرى (أثر نعمته)[5] عليه، قال أمير

---

(١) لم أجده.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٢/١٥٦، وذكره الغزالي في «الإحياء» ٤/٢٣٥.

(٣) في (ق): المرء.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» ١/٣٩٩ (٣٧٨٩)، ومسلم في «صحيحه» (٩١)، والترمذي في «جامعه» (١٩٩٩) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**». قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة. قال: «**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس**».

(٥) في (خ): أثرها.

المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إذا وسَّع الله عليكم فوسعوا[1].
وقول عمر موافق لقوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٦].

وينبغي للمؤمن أن يكون في لباسه موافقًا لأقرانه؛ فلا يرتفع في لباسه جدًا، ولا يتنازل جدًا، وخير الأمر أوسطه؛ فإن لم يفعل ارتكب النهي، وأوقع الناس في الغيبة والإثم.

وقد جاء في الحديث: «**رحم الله من عرف قدره، وكفى الناس أمره**»[2]، فمن ارتفع في لباسه جدًا أو تنازل جدًا فقد شهر نفسه، وجعلها علمًا بين الناس، فخرج عن السنة، ولا عرف قدره، ولا كفى الناس أمره، وقد نهى النبي ﷺ عن الشهرتين[3]، فرحم الله من عرف قدره، وكفى الناس أمره.

قال النبي ﷺ: «**البسوا من ثيابكم البيض، وكفنوا فيها موتاكم؛ فإنها خير ثيابكم**»[4].

ويقال: كُلْ من الطعام ما اشتهيت والْبَسْ من الثياب ما اشتهى الناس.

وقال بعضهم:

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (١٦٢٢).
(٢) لم أجده.
(٣) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٦٢٣١) من حديث أبي هريرة وزيد بن ثابت، قال الشيخ: أبو نعيم هذا لا نعرفه.
وقال الألباني في «الضعيفة» (٢٣٢٦): موضوع.
(٤) أخرجه الحميدي في «مسنده» (٥٢٠)، وأحمد في «مسنده» ٢٤٧/١ (٢٢١٩)، وأبو داود في «سننه» (٣٨٧٨)، وابن ماجه في «سننه» (١٤٧٢)، والترمذي في «جامعه» (٩٩٤)، وفي «الشمائل» (٥٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
قال الترمذي: حديث ابن عباس حسن صحيح.
وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٢٣٦).

تجمل بالثياب تعش حميدًا لأن العين قبل الاعتبار
فلو لبس الحمار ثياب خزٍّ لقال الناس يا لك من حمار

وهذه الأشياء من رخص الشرع: المآكل الطيبة، والملابس اللينة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، فقد رخَّص الشرع في ذلك لمن لا يلتزم الزهد، فيقف على رُخص الشرع بأن لا يكون لباسه مرتفعًا جدًّا فيكون علمًا بين الناس.

ولا يلبس ما يُجَرُّ من الثياب؛ فقد صح في (الحديث: «**من جر إزاره بطرًا لم ينظر الله إليه يوم القيامة**»[1]، وهو نوع من التكبُّر ـ أعاذنا الله منه ـ، والسنة في الثياب أن تكون فوق الكعاب؛ فقد صحَّ في)[2] الأخبار: «**ما كان أسفل من الكعبين فهو في النَّار**»[3].

وقد لبس بعض الصحابة ومن صلحاء التابعين ما نَعُم من الثياب بعلم، ونيَّةٍ صالحة يلقى الله سبحانه بصحَّتها، وبعضهم اختار الاختصار، فلا يُتَعَرَّضُ عليهم؛ لأن له أصلاً في الشرع، فمن الخلفاء الراشدين من لبس ما نعم، وبعضهم لبس ما خشن، وقد بشرهم ﷺ بالجنَّة فلله الحمد والمنَّة، وسيأتي بيانه إن شاء الله.

لكن ما خشن من الثياب وما رقِّع يصلح للفقير لأجل التقليل من الدنيا وزهرتها[4]، فإذا تركها لله سبحانه عوضه الله ما هو خيرٌ منها،

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣٨٦/٢ (٩٠٠٤)، ومسلم في «صحيحه» (٢٠٨٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٩٧٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وقد ورد من حديث ابن عمر وغيره رضي الله عنهم.

(٢) ليست في (خ).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ٤١٠/٢ (٩٣١٩)، والبخاري في «صحيحه» (٥٧٨٧)، والنسائي في «سننه» ٢٠٧/٨ (٥٣٣١)، وفي «السنن الكبرى» (٩٧٠٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) في (ط): زهوتها.

أي: يا عبادي، من صبر منكم على الطاعة وعلى ذهاب دار الفناء حصلتُ له أنا، ومن وجدني وجد كل شيء، وذهب عنه التعب والنصب والعناء، ومن فتُّه فاته كل شيء؛ فابتلي بالغضب والذل الطويل، والفقر بعد العِزِّ والغنى.

وروي أن النبي ﷺ لبس الصوف واحتذى المخصوف[1]، (وكان يرتدي بالبُرُد الغليظ الحاشية)[2]، وكان إذا أُهْدِيَ له شيئًا من الحلل أو مما نعم من الثياب يفرقه على[3] الأصحاب[4].

وقال بعض التابعين: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته، وعليه قميص فيه سبع رقع. وروي أنه خطب يومًا وعليه ثوب فيه ثلاث رقع بعضها فوق بعض[5].

وكان إذا رأى رجلاً عليه ثوبان رقيقان يقول له: دع هذه البراقات للنساء[6].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (٣٣٤٨)، والحاكم في «مستدركه» ٣٢٦/٤، قال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
وتعقبه الذهبي فقال: لم يصح.
وضعفه الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه» (٧٢٨).

(٢) ليست في (خ).

(٣) في (ق): بين.

(٤) من ذلك: حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أهديت لرسول الله ﷺ حلة سِيَراء، فبعث بها إلي فلبستها؛ فعرفت الغضب في وجهه، فقال: **«إني لم أبعث بها إليك لتلبسها، إنما بعثت بها إليك لتشققها خُمُرًا بين النساء»**.
أخرجه أحمد في «مسنده» ١٣٩/١ (١١٧١)، والبخاري في «صحيحه» (٢٦١٤) مختصرًا، ومسلم في «صحيحه» (٢٠٧١)، وأبو داود في «سننه» (٤٠٤٣)، والنسائي في «المجتبى» ١٩٧/٨ (٥٢٩٨)، وفي «السنن الكبرى» (٩٥٦٦).

(٥) لم أقف عليه بهذا اللفظ، لكن أخرج مالك في «الموطأ» (١٦٣٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦١٨٢) عن أنس رضي الله عنه قال: رأيت عمر بن الخطاب وهو يومئذ أمير المؤمنين، وقد رقع بين كتفيه برقاع ثلاث، لبَّدَ بعضها فوق بعض في قميصه.

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٩٩٧٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٥٢٢٨).

وكان عليُّ بن أبي طالب كرَّمَ الله وجهه يشتري الثوبين الغليظين، ويلقيهما بين يدي عبده، فيختار العبد أي الثوبين[1] شاء، ويلبس الآخر عليٌّ رضي الله عنه[2].

وروي أنه لبس قميصًا بثلاثة دراهم، ثم قطع كمه من رؤوس أصابعه[3] فعابه الخوارج بذلك، فقال: أتعيبونني على لباس هو أبعد عن الكبر وأجدر أن يقتدي به المسلم[4].

وروي أنه قال لعمر بن الخطاب: إن أردت أن تلقى صاحبيك؛ فرقِّع قميصك، واخصف نعلك، وقصر أملك، وكل دون الشبع[5].

وروي أنه قال لرجل من أهل العراق: اشتر هذا السيف فطالما كَشَفْتُ به الكرب عن وجه رسول الله ﷺ، ولو كنت أملك ثمن عباءة ما بعته[6]. وكان ذلك في خلافته رضي الله عنه.

---

(١) في (ق): أيهما.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على «فضائل الصحابة» (٩١٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» ٨٣/١ عن أبي سعيد الأزدي ـ وكان إمامًا من أئمة الأزد ـ قال: رأيت عليًّا أتى السوق وقال: من عنده قميص صالح بثلاثة دراهم؟ فقال رجل: عندي. فجاء به فأعجبه؛ قال: لعله خير من ذلك. قال: لا ذاك ثمنه. قال: فرأيت عليًّا يقرض رباط الدراهم من ثوبه فأعطاه، فلبسه فإذا هو يفضل عن أطراف أصابعه؛ فأمر به فقطع ما فضل عن أطراف أصابعه.

(٤) جزء من أثر أخرجه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (٩٠٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٩١٨)، وضعفه الألباني في «ظلال الجنة» (٩١٨)، وقد دمج المصنف الأثرين السابقين فجعلهما أثرًا واحدًا.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (١٤٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٦٨١).

(٦) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على «فضائل الصحابة» (٨٩٧) مختصرًا، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٧١٩٨) بنحوه.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٥٨٢/١٠: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه سليمان بن الحكم وهو ضعيف.

وقيل: لما مات أبو الدرداء رضي الله عنه وجدوا في ثوبه أربع مئة رقعة، وكان عطاؤه أربعة آلاف[1].

وقَوَّمُوا ثياب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في خلافته من فرقه لقدمه حتى مِنديل كمِّه باثني عشر درهمًا[2].

وهجم العيد وعلى ولده قميص خَلِقٌ فبكى عمر رضي الله عنه، فقال له ولده: ما يبكيك يا أبت؟ قال: يا بني كسر قلبك في مثل هذا اليوم، الصبيان قد تجملوا بثيابهم وأنت بهذا القميص الخلق. فقال: يا أمير المؤمنين، إنما ينكسر قلب من أعدمه الله رضاه، وعَقَّ أمه وأباه، وإني لأرجو أن يكون الله تعالى راضيًا عني برضاك. فبكى عمر وضم ولده إليه، وقبَّل بين عينيه ودعا له، وسيَّر ولده لعامله، وطلب منه ثلاثة دراهم لثلاثة أيام؛ ليكسو[3] ولده بها قميصًا، فأبى وقال: قل للخليفة: إن ضمن الحياة لثلاثة أيام أقرضه. فلم يضمن ومات بعد ثلاثة أيام رحمه الله، فكان ولده يبكي ويقول: صدق العامل[4]، لم يعش والدي لثلاثة أيام[5].

فانظر إلى أوصاف القوم يا من حسن ظاهره بالثياب، وباطنه خراب. قال قائلهم:

أرى[6] وجــهــك لــي عــيــدًا ... فــمــا أصــنــع بــالــعــيــد؟

دخل تلميذ الحسن البصري على رابعة في يوم عيد وسلم عليها عن الحسن، ورآها جالسة على قطعة حصير خلق[7]، (وعليها مدرعة صوف

---

(١) لم أقف عليه.
(٢) أخرجه الدولابي في «الأسماء والكنى» (٢٩٧٨)، وأبو نعيم في «الحلية» ٥/٣٢٣.
(٣) في (خ): ليلبي.
(٤) في (خ): النايب.
(٥) لم أقف على هذه القصة، والنكارة عليها ظاهرة، والأحرى بها أن تكون موضوعة.
(٦) في (ق): أراك.
(٧) في (خ): خليع.

خليع)[1]، وبين يديها طبق فيه نخالة وكسر يابسة وهندبا[2] بائتة، وهي تخرج الكسر اليابسة من النخالة وتأكلها بتلك الهندبا، فبكى تلميذ الحسن، فقالت له: ما يبكيك؟ فقال: مثلك في يوم عيد هذا نومها وهذا غطاؤها وهذا غذاؤها! فقالت: يا هذا، وما يوم العيد عندكم؟ فقال: يومٌ يَترَفَّهُ فيه الناس. فقالت: يا هذا، ذلك عِيدُ الغافلين في الدنيا، العيد لمن غفر له المولى. فخرج من عندها وذكر ذلك لبعض جيرانها، وكان من الأغنياء فقال: إنها لا تقبل مِنَّا شيئًا، فإن قبلت مني شيئًا على يديك شكرت سعيك. فقال: هات. فأعطاه خرقة فيها مئة دينار، فأخذها ووضعها بين يديها، فقالت: ما هذه؟ فقال: مئة دينار من جارك فلان. فقالت: أَوَ قَد أعلمته بما رأيت؟ أهكذا علَّمَك الحسن؟! مثلك من يستأمنه الناس على أسرارهم؟! خذها وأعدْها لصاحبها، وقل له لا ينغص عليَّ عيدي، ولا تَعُد تدخل عليَّ[3].

فانظر إلى قول هذه السيدة: العيد لمن غفر له المولى. هو والله العيد الكبير، كما قيل لبعض الرهبان: متى عيد هذا الدير؟ قال: إذا غُفر لأهله[4]. ليس العيد لمن أكل الطعام اللذيذ، ولبس الثوب الجديد، وعصى المولى المجيد، وافتخر بما أوتي من المال والجاه والعبيد.

قال بعض المحبين شعر:

النـاس بـالـعـيـد قـد سـروا وقـد فـرحـوا ... ومـا سـررت بـه والـواحـد الـصـمـد
لـمَّـا تـخـوفـت أنـي لا أعـايـنـكـم ... غـضـضـت طـرفـي فـلـم أنـظـر إلى أحـد

وقال بعض العارفين: العيد لمن حظي بالأجر والثواب، لا لمن تجمَّل بالملابس والثياب. وأنشدوا:

---

(١) ليست في (ق)، وفي (ب): وعليها قدر ثمة صوف خلق.

(٢) هِنْدَبٌ وهِنْدَبا وهِنْدَباة: بَقْلَة.

(٣) لم أقف عليه، وهذا السلوك مخالف للسنة النبوية.

(٤) لم أقف عليه.

عيدي مقيم وعيد الناس منصرف والقلب مني عن اللذات منحرف
ولي قرينان ما لي منهما خلفٌ طول الحنين وعينٌ دمعها يَكِفُ

قيل لراهب: ما مذهب الرهبان في لبس السواد؟ قال: هو أشبه بلباس أهل المصائب. قيل له: وكلكم أصيب بمصيبة؟ قال: وأي مصيبة أعظم من مصائب الذنوب[(١)].

قال علي بن ثابت: رأيت سفيان الثوري في طريق مكة، فقَوَّمْتُ جميع ما عليه حتى نعليه درهمًا وأربع دوانق[(٢)]، ولو لقيت سفيان ومعك فلسان تريد التصدق بهما، وأنت ممن لا يعرف سفيان لوضعتهما في يده[(٣)].

ولبس سفيان يومًا ثوبه مقلوبًا ولم يعلم بذلك، فقيل له، فهَمَّ أن يخلعه ثم تركه وقال: لبسته لله، فلا أغيره لنظر الخلق، ولا أنقض نيتي[(٤)].

ثم اعلم بأن المراد من الثوب ستر العورة، وأن يرُدَّ عن لابسه الحر والبرد، وأن يكون طاهرًا لصحة الصلاة، وأن يكون لنصف ساق الرجل متابعةً للرسول ﷺ[(٥)]، وأن يكون من حلال لأجل القبول وما عدا ذلك فهو زيادة وفضول.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) أخرجه أبو القاسم البغوي في «الجعديات» (١٧٧٠)، وأبو نعيم في «الحلية» ٣٧٨/٦، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٢٢٢).

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٢٢٣)، وذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» ١٤٧/٣.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) أخرجه مالك في «الموطأ» (١٦٣١)، والحميدي في «مسنده» (٧٣٧)، وأحمد في «مسنده» ٥/٣ (١١٠١٠)، وأبو داود في «سننه» (٤٠٩٣)، وابن ماجه في «سننه» (٣٥٧٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٩٧١٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٤٤٦) عن أبي سعيد؛ أنَّ رَسُول الله ﷺ قال: «**إزرة المؤمن إلى أنصاف الساقين، لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين، فما أسفل من الكعبين ففي النار، لا ينظر الله إلى من جرَّ إزاره بطرًا**».
وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٩٢١).

قيل لبعض الصوفية: ثوبك ممزق. قال: ولكنه من وجه حلٍّ[1].

وينبغي أيضًا لمن خشن ثوبه أن يخشن مأكله، ويكون مسكينًا ذليلاً بين يدي خالقه، عسى يراه على تلك الحالة فيرحمه، فمن خشن ثوبه ولم يخشن حاله فليس بشيء.

قال أبو سليمان الدارانيُّ رحمة الله عليه: يلبس أحدهم عباءة بثلاثة دراهم، وشهوته في بطنه بخمسة دراهم[2]. أنكر عليهم لقلة التناسب.

لبس أبو سليمان ثوبًا عسليًا، فقيل له: لو لبست ثوبًا أجود من هذا. فقال: ليت قلبي في القلوب مثل قميصي في الثياب[3]. قال ﷺ: «**من ترك ثوب جمال وهو قادر على لبسه؛ ألبسه الله تعالى من حلل الجنة**»[4].

دخل جماعة على بشر وعليهم ثياب مرقعة، فقال لهم: يا قوم، اتقوا الله ولا تظهروا هذا الزي؛ فإنكم تعرفون به وتكرمون له. فسكتوا عن آخرهم، فنهض شاب من بينهم وقال: الحمد لله الذي جعلنا ممن يعرف به، ويكرم له، والله لنظهرن هذا الزي حتى يكون الدين كله لله. فقال له بشر: أحسنت يا غلام مثلك من يلبس المرقعة[5].

وقد تقدم أن لبس ما خشن ورقع له أصل في الشرع، فعله جماعة من الصحابة مع القدرة، وفعله أهل الصفة لأجل الحاجة، فكان أحدهم يخرج

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ٩/٢٦٠.

(٣) أخرجه أبو عبد الرحمٰن السلمي في «طبقات الصوفية» (ص ٧٥).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣/٤٣٩ (١٥٦٣١)، والترمذي في «جامعه» (٢٤٨١) عن معاذ بن أنس الجهني؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**من ترك اللباس تواضعًا لله، وهو يقدر عليه؛ دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها**».

قال الترمذي: هذا حديث حسن.

وحسنه الألباني في « الصحيحة» (٧١٨).

(٥) لم أقف عليه.

إلى مزابل المسلمين يلتقط الخرق والجلود ويطهرهم، ثم يرقعهم في ثوبه سترًا لعورته.

فمن فعل ذلك مع القدرة إهانةً لنفسه التي تلبس الجديد ثم تخالف المولى المجيد، وتأكل الطعام اللذيذ، وتصرفه في معصية الله تعالى وفيما لا يريد، فيؤجر الإنسان على إهانتها؛ لأن الله تعالى يبغض النفس المتمردة التي هي عن الحق مائلة.

فلا تكرم النفس التي هي مهانة عند الله سبحانه بما أنعم من الملابس، ولا بالأطعمة الطيبة الهائلة، فمثل من يفعل ذلك كمثل رجل له زوجة، وهو عالم بخيانتها وفجورها، وهو يحب الإقامة معها، ويلبسها الثياب اللينة، ويطعمها الأطعمة الفاخرة، فحينئذٍ لا يفلح هذا العبد في الدنيا، ويكون ديوثًا في الآخرة.

دخل نسوة على رجل يعرف بالشيخ أيوب الكردي، وكان في زاوية تعرف بزاوية الشيخ خضر بالحسينية بالديار المصرية، وكان الشيخ صالحًا عارفًا بالعلوم، فلما دخل على النسوة قال لهن: يا ستَّات، اذهبْنَ (إلى الحاجَّة ـ يريد)[1] زوجته ـ فقلن: يا شيخُ، ما نحن ستَّات، بل نحن قحاب، وقد جئناك لنتوب. فبكى الشيخ كثيرًا وقال لهن: أنتنَّ قحَّبتُنَّ فروجكنَّ، وأنا قحَّبتُ[2] قلبي، فأَنْتُنَّ خير منِّي[3].

---

(١) في (خ): لعند الحاجة أي.

(٢) في (خ): قحبة. قال في «تاج العروس» (مادة: قحب): القحب: الشيخ المسنُّ، والعجوز قحبة، وهو الذي يأخذه السعال، قاله أبو زيد. وقد قَحَب: إذا سعل. ورجل قحب وامرأة قحبة: كثيرة السعال مع الهرم، وقيل: هما الكثيرا السعال مع هرم أو غير هرم. قال الأزهري: قيل للبغي قحبة، لأنها كانت في الجاهلية تؤذن طلابها بقحابها وهو سعالها. وعن ابن سيده: القحبة: الفاجرة. وأصلها من السعال، سميت: لأنها تسعل أو تنحنح أي ترمز به، أو هي أي القحبة كلمة مولَّدة، وبه جزم الجوهري وغيره. وقال أبو هلال في كتاب «الصناعتين»: صار تسمية البغي المكتسبة بالفجور قحبة حقيقةً، وإنما القحاب: السعال. وفي «شفاء الغليل»: العامة تسمي البغي قحبة.

(٣) لم نقف على هذه القصة، وقد ترجم ابن حجر في «الدُّرر الكامنة في أعيان المئة=

....

= الثامنة» ١/٥١٩ لأيوب الكردي، فقال: هو المعروف بالخصيِّ أحد المعتقدين بدمشق، ويذكر عنه مكاشفات وكرامات وشطحات، وكانت له زاوية بقصر الجنيد بدمشق، ثم تحول إلى غزة في سنة (٦٩٩)، ثم تحول إلى مصر، فأقام بزاوية كان عمَّرها ابن قرمان، مجاورة لداره بالحسينية، فرتب له عشرين رطل خبز، وراويتي ماء، وشرع الأمراء، والناس يزورونه، وكان من شرطه أن من زاره إن لم يحضر معه شيء لا يكلمه، ولا يدعو له، وكان لا يوقِّر أحدًا، وربما دعا مقلوبًا، ثم خرج مع العسكر إلى التتر، فوقف في الصف وهو عريان، فلما وقعت الكسرة على الميسرة سقط عن فرسه، فبقي مطرقًا، فيقال: إن بعض المسلمين قتله ظنًّا منه أنه من التتر، فاستمر طريحًا إلى أن مات بعد أيام، فدفن، وذلك في شهر رمضان سنة (٧٠٢).

قلتُ: تلك الواقعة هي معركة شَقحَب أو معركة مرج الصُفر، كانت في الثاني من رمضان (٧٠٢هـ)، بسهل شقحب بالقرب من دمشق، بين المماليك بقيادة الناصر محمد بن قلاوون سلطان مصر والشام والمغول بقيادة قتلغ شاه نويان (قطلوشاه) نائب وقائد محمود غازان إلخان مغول فارس (الإلخانات)، وانتهت بنصر مؤزر للمسلمين قضى على التهديد المغولي في دخول الشام والتوسع في قلب العالم الإسلامي. قال العيني في «عقد الجمان» ١/٤٣٩: الشيخ نجم الدين أيوب الكردي، قُتل في هذه الوقعة، كان قد ورد من البلاد في سنة سبع وثمانين وستِّ مئة، ومعه جماعة من الأكراد، وأقام بدمشق مدة سنتين، ونال من أمرائها حظًّا كبيرًا. وظهرت له أمور من المكاشفات والصلاحية، وكان لا يدخل إليه أمير إلا ويطالبه بالهدية، ولا بد أن يحمل له شيئًا من الدنيا، واتَّبعوا أمره فيما يأخذه، فوجدوه يتصدق به ولا يدخره. ثم رحل إلى مصر ويوم عبوره حصلت له معرفة مع ابن قرمان، فأخذه إلى بيته، ثم بنى له زاوية بجوار بيته، وأقام فيها إلى أن خرج السلطان للقاء العدو، فخرج معهم. ولما التقوا بالعدو كان راكبًا بآلة الحرب، واقفًا إلى جانب ابن قرمان، فقُتل معه، ثم دفنا جملةً واحدةً، رحمهما الله تعالى. وذكر نحو هذا مختصرًا المقريزي في «السلوك لمعرفة دول الملوك» ٢/٣٦٧.

وابن قرمان: هو الأمير حسام الدين أوليا بن قرمان أحد الأمراء في الدولة الظاهرية بمصر، وهو ابن أخت قرمان ـ وعرف بابن قرمان ـ، وكان شجاعًا.

أما الشيخ خضر، فهو: ابن أبي بكر محمد بن موسى أبو العباس المهرانيُّ العدويُّ، ذكره ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» ٧/٢٧٦، فقال: كان أصله من قرية المحمدية من أعمال جزيرة ابن عمر، وهو شيخ الملك الظاهر بيبرس، وصاحب الزاوية التي بناها له الملك الظاهر بالحسينية على الخليج بالقرب من جامع الظاهر. وكان الشيخ خضر بشَّر الملك الظاهر قبل سلطنته بالملك، فلمَّا تسلطن صار له فيه العقيدة العظيمة حتى إنه كان ينزل إليه في الجمعة المرة والمرتين، وكان=

. . . .

= يطلعه على غوامض أسراره، ويستشيره في أموره، ويستصحبه في أسفاره، وكان الشيخ يخبر الملك الظاهر بأمور قبل وقوعها فتقع على ما يخبره، ثم تغير الملك الظاهر عليه لأمور بلغته عنه وأحضر السلطان من حاققه، وذكروا عنه من القبائح ما لم يصدر عن مسلم! والله أعلم بصحة ذلك؛ فاستشار الملك الظاهر الأمراء في أمره، فمنهم من أشار بقتله، ومنهم من أشار بحبسه، فمال الظاهر إلى قتله ففهم خضر، فقال للظاهر: اسمع ما أقول لك، إن أجلي قريب من أجلك، وبيني وبينك مدة أيام يسيرة، فمن مات منّا لحقه صاحبه عن قريب! فوجم الملك الظاهر وكف عن قتله، فحبسه في مكان لا يسمع له فيه حديث، وكان حبسه في شوال سنة إحدى وسبعين وست مئة، وتوفي يوم الخميس أو في ليلة الجمعة سادس المحرم سنة ست وسبعين وست مئة، ودفن بزوايته بالحسينية. وكان الملك الظاهر بدمشق، فلما بلغه موته اضطرب وخاف على نفسه من الموت لما كان قال له الشيخ خضر: إن أجله من أجله قريب! فمرض الظاهر بعد أيام يسيرة ومات، فكان بين الشيخ خضر وبين الملك الظاهر دون الشهر.

وقال ابن تغري بردي ـ أيضًا ـ في حوادث سنة (٦٧٢) ١٦٣/٧: وفي يوم الاثنين ثاني عشر شوال استدعى الملك الظاهر الشيخ خضرًا إلى القلعة، وأحضره بين يديه، وأحضر معه جماعة من الفقراء حاققوه على أشياء كثيرة منكرة، وكثر بينه وبينهم فيها المقالة، ورموه بفواحش كثيرة، ونسبوه إلى قبائح عظيمة؛ فرسم الملك الظاهر باعتقاله، وكان للشيخ خضر المذكور منزلة عظيمة عند الملك الظاهر... متى فتح مكانًا أفرض له منه أوفر نصيب، فامتدت يد الشيخ خضر بذلك في سائر المملكة يفعل ما يختار لا يمنعه أحد من النواب، حتى إنه دخل إلى كنيسة قمامة [هي كنيسة القيامة ببيت المقدس] ذبح قسيسها بيده! وانتهبَ ما كان فيها تلامذَتُه! وهجم كنيسة اليهود بدمشق ونهبها! وكان فيها ما لا يعبر من الأموال! وعمرها مسجدًا وعمل بها سماعًا ومد بها سماطًا! ودخل كنيسة الإسكندرية وهي عظيمة عند النصارى فنهبها وصيرها مسجدًا، وسماها المدرسة الخضراء! وأنفق في تعميرها مالاً كثيرًا من بيت المال، وبنَى له الملك الظاهر زاوية بالحسينية، ظاهر القاهرة، ووقف عليها، وحبس عليها أرضًا تجاورها تحتكر للبناء، وبنى لأجله جامع الحسينية.

قلتُ: يظهر من أخبار هذا الرجل أنه كان دجالاً من دجاجلة الصوفية، ورأس عصابة من الحرامية والمجرمين، وقد وجد في أهل الذمة ـ مع فساد الدولة، وعجز العلماء، وجهل العامة ـ هدفًا سهلاً للنَّهب والسَّلب والاعتداء، وأخرج ذلك في قالب نصرة الدين من تحويل الكنيسة إلى مسجد، أو قتل راهب. وكل ذلك أعمال محرمة، منافية لأحكام الشريعة السمحة، وأخلاق أهل الإسلام، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا به. (ت)

فمن لبس ثياب الصالحين ولم يتخلق بأخلاقهم يقال له: هذه الخرقة فأين الاجتهاد والحرقة؟!

دخل بعضهم على أخٍ له في الله، فرأى أولاده[1] يستتر بعضهم ببعض من العري[2]، قال: فقلتَ له: لم لا تدعو الله لهم؟ قال: هو أعلم بمصالح عباده، دعهم عسى يراهم فيرحمهم[3].

وقال محمد بن واسع: رأيت كأني أنا وفلان نستبق إلى الجنة فسبقني إليها، فقلت: بماذا سبقتني؟ فقيل لي: كان له ثوب واحد، ولك ثوبان[4].

فإذا كان لك ثوب فلا تحسد صاحب ثوبين، وقل عسى أن تكون الملابس قد هُيئت لي في الآخرة، ولكن حتى[5] تكتحل البصائر بنور الهدى؛ اللَّهم اكحل بصائرنا بنور الهدى، وجنبنا وجميع المسلمين المعاصي والبدع والردى.

نختم هذا الباب بما يكره وما يحرم من الملابس والثياب، كره بعض العلماء الأعلام الحرير في الثياب[6]، وكذلك جلود السباع كلها لبسها

---

(١) في (خ): الوليدات.

(٢) في (ب): القرى.

(٣) لم أقف على هذه الحكاية، وقد أخطأ هذا الذي ترك أولاده يتسترون ببعضهم من العري؛ إذ الظاهر أنه ترك العمل فلم يجد ما ينفقه عليهم، وأكبر من هذا الخطأ ترك الدعاء لهم، وكفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت.

(٤) جاء في «الرسالة القشيرية»: وقال بعضهم: رأيت كأن القيامة قد قامت، وقيل: أدخلوا مالك بن دينار، ومحمد بن واسع الجنة. فنظرت أيهما يتقدم: فتقدم محمد بن واسع، فسألت عن سبب تقدمه، فقيل لي: إنه كان له قميص واحد ولمالك قميصان.

(٥) في (ب): متى.

(٦) ننقل هنا كلام ابن عبد البر في «الاستذكار» ٣٢٣/٨ وما بعدها فإنه استوعب كلام العلماء في المسألة والآثار الواردة فيها، قال: وأما نصوص أقوال الفقهاء في هذا الباب: فروى ابن وهب وابن القاسم عن مالك قال: أكره لباس الخز؛ لأن سداه حرير. قال مالك وذكر لبس الخز فقال: قوم يكرهون لباس الخز، ويلبسون قلانس الخز فعجبًا من اختلاف رأيهم، قال مالك: وإنما كره لباس الخز؛ لأن سداه حرير.=

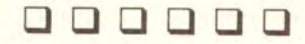
وافتراشها، وأباحه الأكثرون[1]، واختلفوا أيضًا في طرز الذهب: فجوزه

= قال أبو عمر: هذا كله خلاف ما في موطئه عن عائشة: أنها كست عبد الله ابن الزبير مطرف خز كانت تلبسه. وقد روي عن مالك أنه لبس الخزَّ، وما أظنه الصحيح عنه ـ والله أعلم ـ والصحيح عنه ما ذكره الدولابي، عن الزبير بن بكار، قال: حدثني مطرف بن عبد الله، قال: كان مالك بن أنس يلبس الثياب العجمية ويستجيدها. وقد ذكرنا جماعة ممن لبس الخزَّ من السلف الصالح فيما تقدم من كتابنا هذا، وذلك كله يشهد لما قاله ابن عباس في الحرير الذي حرمه رسول الله ﷺ على الرجال. والدليل على ذلك أيضًا أن عبد الله بن الزبير كان يلبس الخز، ويحرم لباس الحرير والصرف الخالص. وروى شعبة عن أبي ذبيان خليفة بن كعب، قال: سمعت عبد الله بن الزبير يخطب فقال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تلبسوا الحرير؛ فإنه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة**». وقال أبو نعيم وهب بن كيسان: رأيت سعد بن أبي وقاص، وجابر بن عبد الله، وأبا هريرة، وأنس بن مالك يلبسون الخزَّ. وروى عمار بن أبي عمار قال: قدمت على مروان مطارف خزٍّ فكساها أصحاب رسول الله ﷺ، فكأني أنظر إلى أبي هريرة وعليه منها مطرف أغير، وكأني أنظر إلى طرف الإبريسم فيه. وقال بسر بن سعيد: رأيت على سعد بن أبي وقاص جبة شامية، قيامها قزٌّ، ورأيت على زيد ابن ثابت خمائص معلمة. وهذا كله يدل على أن الخز الذي كانوا يلبسونه كان فيه الحرير، وروي عن ابن عمر أن الخزَّ الذي كانوا يلبسونه لم يكن فيه حرير. وكان مالك ـ رحمه الله ـ يعجبه مذهب ابن عمر وورعه، ولذلك كان يكره لباس الخز. ذكر أبو بكر ابن أبي شيبة قال: حدثني معتمر بن سليمان، عن حميد، قال: سئل أنس عن الحرير قال: أعوذ بالله من شرِّه، كنا نسمع أن من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة. وحدثني أبو معاوية، عن سعيد، عن قتادة، عن داود السراج، عن أبي سعيد الخدري، قال: من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة. قال: وحدثني معمر، عن يونس، عن الحسن أنه كان يكره قليل الحرير وكثيره. وهذا كله حجة لمالك ومن تبعه. وأما الشافعي ـ رحمه الله ـ فأباح لباس قباء محشو بقز؛ لأن القز باطن، فكأن الملبوس عنده المكروه من الحرير ما كان ظاهرًا ـ والله أعلم ـ لأن الأصل في الكراهة الواردة في الشبهة بِزِي الأعاجم والشهرة بذلك، والله أعلم.

(١) قال ابن قدامة في «المغني» ١/٨٦: فأما جلود السباع فقال القاضي: لا يجوز الانتفاع بها قبل الدبغ ولا بعده. وبذلك قال الأوزاعي، ويزيد بن هارون، وابن المبارك، وإسحاق، وأبو ثور. وروي عن عمر وعلي رضي الله عنهما كراهة الصلاة في جلود الثعالب، وكرهها سعيد بن جبير، والحكم، ومكحول، وإسحاق. وكره الانتفاع بجلود السنانير: عطاء، وطاوس، ومجاهد، وعبيدة السلماني. ورخص في جلود السباع جابر، وروي عن ابن سيرين وعروة أنهم رخصوا في الركوب على جلود النمور، =

بعضهم تبعًا للثوب، وقال بعضهم بتحريمه. وقال بعض العلماء: إنْ تلاشى الذهب إذا وضع في النار؛ يجوز لُبسُه، والله أعلم[١].

فمن أذهب الله تعالى قلبه إلى الغفلة والعمى اجتهد عن الخروج من خلاف العلماء، ومن فعل ذلك لأجل الذلة والاتِّضاع؛ أعزه الله ورفعه، وجعله من أهل الخير والاطلاع؛ لأن من تحققت ذلته وهب له الحق نصرته، فحينئذٍ ينصلح الحال بذهاب البدع والضلال، ومتى تمكن حب الدنيا والبدع في الصدور؛ توقف على الفاعلين الخيرات والأمور.



= ورخص فيها الزهري. وأباح الحسن، والشعبي، وأصحاب الرأي الصلاة في جلود الثعالب؛ لأن الثعالب تفدى في الإحرام فكانت مباحة؛ ولما ثبت من الدليل على طهارة جلود الميتة بالدباغ.

(١) انظر: «الاختيارات الفقهية» ٤٣٧.



باب في الشفاعة وما يبتدع فيها وما يؤجر (عليه منها)[1]

قال الله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥]. قال العلماء: هي كل شفاعة تجوز في الشرع، يكون للشافع نصيب منها، أي يؤجر عليها .﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥]، (أي: ومن يشفع شفاعةً سيئةً، و)[2] هي التي لا تجوز في الشرع، يكن له كفلٌ منها، أي: نصيبٌ من الوزر والإثم.

قال مجاهد في تفسير الآية، قال: هي شفاعة الناس بعضهم لبعض؛ يؤجر الشفيع على شفاعته، وإن لم تقبل شفاعته منه[3].

قال ﷺ: «**اشفعوا تُؤجَروا**»[4].

---

(١) في (خ): عليها. وفي (ط): عليها منها.

(٢) في (ق): والشفاعة السيئة.

(٣) «تفسير مجاهد» (ص ٢٨٧).

(٤) طرف حديث أخرجه الحميدي في «مسنده» (٧٧١)، وأحمد في «مسنده» ٤/٤٠٠ (١٩٥٨٤)، والبخاري في «صحيحه» (١٤٣٢)، ومسلم في «صحيحه» (٢٦٢٧)، وأبو داود في «سننه» (٥١٣١)، والترمذي في «جامعه» (٢٦٧٢)، والنسائي في «المجتبى» ٧٧/٥ (٢٥٥٦) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا جاءه السائل، أو طلبت إليه حاجة قال: «**اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ﷺ ما شاء**».

وألفاظهم متقاربة وسقنا لفظ البخاري رحمه الله.

ولا يشفع الإنسان في حدٍّ من حدود الله؛ لما روي أن الصحابة شفعوا لامرأة سرقت، فقال ﷺ: «**أتشفعون في حدٍّ من حدود الله؟! والله لو سرقت بنتي فاطمة لقطعت يدها، أما سمعتم قوله تعالى:** ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]»[١].

ولا يشفع في خلاص مجرم؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣٣].

قال أبو حنيفة رحمة الله عليه: نفيهم: حبسهم[٢].

ورُوي عن بريرةَ أنها كانت تحت عبدٍ؛ فلما أعتقت اختارت نفسها، وكان الزوج يحبها، فدخل النبي ﷺ لكي يشفع له عسى أن تقيم معه، فشفع له، فقالت: يا رسول الله، إن كنت آمرًا فالسمع والطاعة، وإن كنت شافعًا فإني أكره الإقامة معه[٣].

فَفَرَّقَ بينهما؛ لأن الحرة إذا كانت تحت عبدٍ فهو نَقْصٌ لها، وضرر

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٦/٤١ (٢٤١٣٨) مختصرًا، والدارمي في «سننه» (٢٣٠٢)، والبخاري في «صحيحه» (٣٤٧٥)، ومسلم في «صحيحه» (١٦٨٨)، وأبو داود في «سننه» (٤٣٧٣)، وابن ماجه في «سننه» (٢٥٤٧)، والترمذي في «جامعه» (١٤٣٠)، والنسائي في «المجتبى» ٨/٧٢ (٤٨٩٥) بنحوه.

(٢) انظر «المبسوط» للسرخسي ٩/٣٥٣.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ١/٢١٥ (١٨٤٤)، والدارمي في «سننه» (٢٢٩٢)، والبخاري في «صحيحه» (٥٢٨٣)، وأبو داود في «سننه» (٢٢٣١)، وابن ماجه في «سننه» (٢٠٧٥)، والترمذي في «جامعه» (١١٥٦) مختصرًا، والنسائي في «المجتبى» ٨/٢٤٥ (٥٤١٧) من حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما خيرت بريرة، رأيت زوجها يتبعها في سكك المدينة، ودموعه تسيل على لحيته؛ فكلَّمَ العبَّاسَ ليكلم فيه النبي ﷺ؛ فقال رسول الله ﷺ لبريرة: «**إنه زوجك**». فقالت: تأمرني به يا رسول الله؟ قال: «**إنما أنا شافع**». قال: فخيَّرَهَا فاختارت نفسها، وكان عبْدًا لآلِ المغيرة يقال له مغيث.

عليها، ولا ضرر ولا إضرار في دين النبي المختار[1]. فإذا أعتقا جميعًا فلا تختار نفسها؛ لأنه حر وهي حرة، فصارا في منزلةٍ واحدة.

انظر إلى فهم أَمَتِهِم ومُعْتَقَتِهِمْ في قولها: إن كنت آمرًا فالسمع والطاعة؛ لأن أمره ﷺ واجب على كل مسلم، قال المولى الكريم: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، فلما قال: «**ما أنا آمر بل شافع**». والشفاعة هنا ليست بفرض، فلم تقبل، والنبي ﷺ لم يغضب، فمن شفع شفاعةً ولم تقبل منه فغضب لأجل علو قدره؛ خرج عن السنة، وعمل على إبطال أجره.

دخل ﷺ بيت بريرة يومًا، فوجد عندها برمة فيها لحم، فقدمت له قرص شعير، وقالت: إن اللحم تصدقوا عليَّ به. فقال ﷺ: «**هو عليك صدقة ولنا هدية**»[2].

فقد علمت أن الشفاعة إذا خرجت عن الشرع فالشافع مأزور لا مأجور، وهذا الباب واسع جدًا، وليس بمحصور، وإن قبل الشفيع وقع في البدعة والإثم والفجور، ونقول طرفًا منه:

حكي عن رجل علق قلبه بمحبة شخص، فتمنع عنه، واشتد بلاء المحب إلى أن لزم الفراش، فلم تزل الوصايا تمشي بينهما ويشفعون، حتى وعده أن يعوده، فأخبر بذلك ففرح واشتد سرورًا، وانجلى عنه بعض ما كان يجد، فلما كان في بعض الطريق رجع، وقال: والله لا أدخل مداخل الرَّيب، ولا أعرض نفسي لمواقع التُّهم. فأخبر بذلك المتيم المسكين؛ فرجع

---

(١) يشير إلى حديث: «**لا ضرر ولا ضرار**»: أخرجه أحمد في «مسنده» ١/٣١٣ (٢٨٦٧)، وابن ماجه في «سننه» (٢٣٤١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الألباني في «الإرواء» (٨٩٦).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣/٢٧٦ (١٣٩٢٢)، والبخاري في «صحيحه» (١٤٩٥)، ومسلم في «صحيحه» (١٠٧٤)، وأبو داود في «سننه» (١٦٥٥)، والنسائي في «المجتبى» ٦/٢٨٠ (١٠٧٤)، وفي «السنن الكبرى» (٦٥٩٥) من حديث قتادة عن أنس رضي الله عنه، وقد ورد أيضًا من حديث عائشة رضي الله عنها.

إلى أشد ما كان عليه، وبدت عليه أمارات الموت، قال الراوي: فسمعته يقول وهو في تلك الحال:

سلام يا راحة العليل ... وتردد المدنف النحيل
رضاك أشهى إلى فؤادي ... من رحمة الخالق الجليل[1]

قال: فقلت له: يا فلان، اتق الله. فقال: قد كان. فقمت عنه، فما جاوزت باب داره حتى سمعت صيحة الموت قد قامت عليه، فنعوذ بالله من سوء العاقبة وشؤم الخاتمة[2].

فمثل هذه الشفاعة وأخواتها لا تجوز في الشرع الشريف، فتيقظ من[3]

---

(١) نصُّ البيتين في رواية الحميدي في «جذوة المقتبس» ـ وهو مصدر القصة، وعنه ذكرها الضبي في «بغية الملتمس» (٤٦٢)، وابن الجوزي في «المنتظم» ٢٤٩/١٥، والقفطي في «إنباه الرواة» ١٣٢/١، وياقوت في «معجم البلدان» ٤٢٤/١، وابن كثير في «البداية والنهاية» ٤٨/١٢، والصفدي في «الوافي بالوفَيَات» ١٩٦/٧، وغيرهم ـ بهذا اللفظ:

أسلَمُ يا راحةَ العَليل ... رفقًا على الهائم النَّحِيل
وصلُكَ أشهَى إلى فؤادي ... من رحمةِ الخالقِ الجليل

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: وهذه زلةٌ شنعاء، وعظيمة صلعاء، وداهية دهياء، ولولا أنَّ هؤلاء الأئمة ذكروها ما ذكرتُها، ولكن فيها عبرة لأولي الألباب، وتنبيه لذوي البصائر والعقول، أن يسألوا الله رحمته وعافيته، وأن يستعيذوا بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وأن يرزقهم حسن الخاتمة عند الممات، إنه كريم جواد. (ت)

(٢) هذه القصة وقعت في قرطبة لأحمد بن كليب النحوي، وهو أديب وشاعر مشهور الشعر، ولا سيما شعرُه في أسلم، وكان قد أفرط في حبه حتى أداه ذلك إلى موته، وهو الأديب الشاعر أبو الحسن أسلم بن أحمد بن سعيد بن قاضي الجماعة أسلم بن عبد العزيز، وقد أرخ ابن الجوزي لوفاة ابن كُليب بسنة (٤٢٦)، وساقها الحميدي في «جذوة المقتبس» في ترجمة ابن كليب (٢٤٤) مطولاً، بروايته لها عن أبي محمد ابن حزم، قال: حدثني أبو عبد الله محمد بن الحسن المذحجي، قال: كنت أختلف في النحو إلى أبي عبد الله محمد بن خطاب النحوي في جماعة، وكان معنا عنده أبو الحسن أسلم بن أحمد بن سعيد بن قاضي الجماعة أسلم بن عبد العزيز، صاحب المزني والربيع، فذكر القصة بطولها، وقد استوفيت الكلام عليها في تحقيق مختصر «طوق الحمامة» لابن حزم ص ٣٣٣، والملحق (٢). (ت)

(٣) في (خ): عن.

غفلتك أيها العبد الكثيف، وكن تابعًا لسنة نبيك وأصحابه، وكل عبد تقي وعفيف، ولا تخرج عن طريقهم، وخف من سطوة المولى اللطيف.

قال الشيخ أبو الحسن الشاذليُّ - رحمة الله عليه - لرجلٍ قد أحاط به الهم والغم حتى كاد أن يمنعه من الأكل والشرب والنوم: يا ابن فلان، اسكن لقضاء الله تعالى، وعلق قلبك بالله، ولا تيأس من روح الله، وانتظر الفرج من الله، وإياك والشرك بالله تعالى، والنفاق مع رسول الله ﷺ، وسوء الظن بالله؛ فإنه يوجب دوائر السوء من الله وغضبه ولعنته، وإعداد ناره. قال: فرأيته مربوطًا يسير بين يدي رسول الله ﷺ وهو يتلو: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾ [الأنفال: ٧٠] إلى قوله تعالى: ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧١]. فقيل للشيخ: ما النفاق مع رسول الله ﷺ؟ قال: التظاهر بالسنة، والله يعلم منك غير ذلك. قلت: وما الشرك بالله؟ قال: اتخاذ الأولياء شفعاء دون الله: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: ٤]، ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ﴾ [الزمر: ٤٣]، ﴿قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [الزمر: ٤٣]. قال: قلت: قال رسول الله ﷺ: «**اشفعوا تؤجروا**»[(١)]، قال: في حقٍّ بحقٍّ، حيث أمرك الله ورسوله بحق، وقد بيَّن لك حق البيان بقوله: تؤجروا. فمن شفع في معصية أو طلب[(٢)] جاهٍ أو منصب، أو طلب على وجه الرغبة لن يؤجر على ذلك، بل يعذب، ويتوب الله على من يشاء. ثم تلا: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ﴾ [النساء: ٨٥]. قال: قلت: فما سوء الظن بالله؟ قال: من رجا غير الله، واستنصر بغير الله، آيسًا من الله أن ينصره؛ فقد ساء ظنه بالله. ثم تلا: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ الآية [الحج: ١٥][(٣)].

---

(١) تقدم قريبًا.

(٢) زاد في (ب): على.

(٣) لم أقف على هذه الحكاية.

روَى البخاريُّ عن رجلٍ مرَّ على رسول الله ﷺ، فقال لرجل عنده جالس: «**ما رأيك في هذا؟**» فقال الرجل: من أشراف الناس، هذا والله حَرِيٌّ إن خطب أن يُنكح، وإن شَفَعَ أن يُشَفَّعَ. قال: فسكت النبي ﷺ، ثم مَرَّ رجل، فقال له رسول الله ﷺ: «**ما رأيك في هذا؟**» قال: يا رسول الله، هذا الرجل من فقراء المسلمين، هذا حَرِيٌّ إن خطب لا يُنكح، وإن شَفَعَ لا يُشَفَّع، وإن قال لا يسمع لقوله. فقال[1] رسول الله ﷺ: «**هذا خيرٌ من ملء الأرض مثل هذا**»[2].

فصار الناس على أقسام: منهم من تقبل شفاعته في الدنيا، ويسمع كلامه، وفي الآخرة لا تقبل شفاعته، ولا يسمع كلامه. ومنهم من لا تقبل شفاعته في الدنيا، ولا يسمع كلامه، ولا يعرف مكانه، وفي الآخرة تقبل شفاعته، ويسمع كلامه، ويعرف مكانه. ومنهم من لطف الله به بقدرته القاهرة، فتقبل شفاعته، ويسمع كلامه في الدنيا والآخرة، (ومنهم من لا تقبل شفاعته، ولا يسمع كلامه في الدنيا ولا في الآخرة)[3].

فالأول: هو الفقير الضعيف الحال، المتعفف عن السؤال، الصادق في الأقوال والأحوال؛ فشفاعة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يوم القيامة لأصحاب الذنوب الكبائر، والأولياء يشفعون في أصحاب الذنوب الصغائر؛ كل منهم يشفع على قدر منزلته عند الله سبحانه، وهذا له أصل في الشرع، قال الله تعالى إخبارًا عن المشركين: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الشعراء: ١٠٠، ١٠١].

هذا إذا رأى الكفارُ المؤمنينَ يشفعون، ويقبل الحق شفاعتهم، وفي الخبر أن الله سبحانه يُشَفِّع الفقراء فيمن أحسن إليهم؛ ولذلك قال النبي ﷺ:

---

(١) زاد في (ب): له.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٥٠٩١)، وابن ماجه في «سننه» (٤١٢٠) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٣) ليست في (ق).

«**اتخذوا مع الفقراء أيادي؛ فإن لهم يوم القيامة دولة، وأيَّ دولة**»[1]، عرَّفَ العبادَ بمراتبهم.

فانظر - رحمك الله! - إلى بركة الطاعة كيف تعود بركتها عليك، وعلى أصحابك وأقاربك ووالديك حين يرفعهم[2] الله يوم القيامة إليك ليقر بهم[3] عينيك، وكذلك يرفع الولد لوالديه في الجنة وإن لم يبلغ الولد بعمله إلى تلك المنزلة؛ تكرمًا من الحق سبحانه وتفضلاً، ولم ينقص من مرتبة الأبوين شيئًا، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الطور: ٢١]. والولد الطفل يوضع في ميزان أبيه يوم القيامة، ويشفِّع الله تعالى الآباء في الأبناء، والأبناء في الآباء؛ ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ [النساء: ١١].

قال قائل: كيف نعمل بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: ٤٨]، وبقوله سبحانه: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٦]، وكل أحد يقول يوم القيامة: نفسي نفسي؟ هذا كله في ابتداء الأمر؛ لا يشفع أحد في أحد، ويفر كل واحد من أهله وأصحابه وأقاربه وأحبابه، حتى يأذن الله بالشفاعة لمن يشاء ويرضى، وقوله: ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: ٤٨]، أي: لا يشفع المؤمن في كافر.

رأى بعض الصالحين في سياحته شابًّا في سفح جبل وعليه أثر القلق، فسأله عن حاله فقال: عَبْدٌ آبِقٌ من سيده. قال: فقلت له: تعلق بمن يشفع لك عنده. فقال الشاب: كل الشفعاء يخافون منه. فقلت له: من هو؟ قال:

---

(١) لم أقف عليه مرفوعًا، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٧١/٤ من كلام وهب قال: اتخذوا اليد عند المساكين فإن لهم يوم القيامة دولة.
قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» ١٢٣/١٨ بعد ذكره هذا الحديث وحديثًا آخر: كلاهما كذب لا يعرف في شيء من كتب المسلمين المعروفة.

(٢) في (خ): يرفعهما.

(٣) في (خ، ب): بهما.

سيدي رباني صغيرًا، وعصيته كبيرًا، وَاحَيَائِي منه! وصرخ صرخةً، وخرَّ إلى الأرض ميتًا، فخرجت عجوز من مغارة على سماع صوته، فرأته ميتًا، فقالت: من أعان على قتل ولدي اللابس الأحزان؟ فقلت لها: أقيم حتى أعينك عليه. فقالت: دعه بين يدي قاتله؛ حتى يرى مصرعه فيرحمه[1].

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

(١) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» ٤/٣٦٧.



باب ما يبتدع في الوصيَّة
وما على الوصِيِّ التارك لها من الذنوب والخطيَّة
وما له إن عمل بوصيته من الأجر والعطيَّة

فتأخيرها من غير عذر بدعة رَدِيَّة، ومصيبة في الدِّينِ وبلِيَّة، فلا تتهاون رحمك الله في هذه القَضِيَّة، فقد نصحتك غاية النصح، فاقبل مني هذه الهدية، فقد جاء في الحديث: «**إن النصح من الإيمان**»[1]. صحَّ ذلك عن خير البريَّة ﷺ وعلى آله وأصحابه المتشبهين بالنجوم المضيَّة، أهل الدين والكرم والشجاعة والأخلاق الرضيَّة.

ثم اعلم بأن الوصية رحمة من الله تعالى لصاحبها ولمنفذها، وهي نفع متعدٍّي، وهي بالإجماع من أفضل الأعمال، وبسببها وصل إلى الله سبحانه الأولياء والعمال. والإجماع من أقوى الحجج؛ لأنَّ أمة محمد ﷺ لا تجتمع على بدعة ولا ضلال، بل تجتمع على الحق، وعلى ما يرضي الكبير المتعال، فينبغي إخراجها على الفور، ليرحم بها أصحابها، وينتفع بها الفقير وصاحب العيال.

ثم اعلم بأن للتأخير آفات، ولذلك قال المولى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وفي آيةٍ أخرى: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ [المائدة: ٤٨].

---

(١) تقدم تخريجه بلفظ: «الدين النصيحة».

فرحم الله من عمل بما سمع من الأخبار والآيات، واجتهد في تحصيل الأجر والحسنات، واغتنم المهلة والصحة وهذه الأوقات، من قبل أن يقال: «لا رحم الله فلانًا فإنه قد مات»؛ وذلك لقلة أمانة الوَصِيِّ، ولتأخيره لهذه الخيرات، أو لظلمه وأكله هذا التراب، (وقَّع الله سبحانه المبْغَضَةَ في قلوب العباد فورث منهم هذا الميراث؛ لأن)[1] الظالم مبغوضٌ عند أهل الأرض وسكان السماوات؛ لما جاء في الحديث الصحيح: «**إن الله سبحانه إذا أحب عبدًا يقول لجبريل عليه السلام: يا جبريل، إني أحب فلانًا فأحبه، وناد في السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، ثم توضع محبته في الأرض**»[2]. وإذا أبغض عبدًا يقول بعكس ذلك، والحديث مشهور، فمن عمل به نجا، ومن لم يعمل به فهو عبد مغرور.

ومما يناسبُ هذا الظلم ما يفعله بعضُ العباد المتشبهين بأهل الجور والظلم والعناد، الراضون لأنفسهم بسخط من لا يخلف الميعاد في مكة خير البلاد: من أكل الوقوفات بغير حقٍّ، وتعطيل المدارس وسكناها بالأهل والأولاد، يفعلون هذه المصائب ويزعمون أنَّهم على شيء، وأنَّهم من جملة الأولياء والعباد، فَمَن عمل المعصية والظلم في خير البقاع وأشرف الأراضي فالحقُّ سبحانه عنه ليس براضٍ، قال المولى الكريم: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]. هذا حال من همَّ بالظلم، فكيف يكون حال من ظلم؟

فاحذر الظلم ـ أيها الطالب! ـ لكي تبلغ المطالب والإرب، وعظِّم المكان لأجل صاحبه، ولا تكن قليل الأدب، فتلقي نفسك (للمهالك

---

(١) في (ق): و. وفي (ب): ولأن.

(٢) أخرجه مالك في «الموطأ» (١٧١٠)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١٩٦٧٣)، وأحمد في «مسنده» ٢/٢٦٧ (٧٦٢٥)، والبخاري في «صحيحه» (٧٤٨٥) مقتصرًا على ذكر المحبة، وفي «خلق أفعال العباد» (٣٥)، ومسلم في «صحيحه» (٢٦٣٧)(١٥٧)، والترمذي في «جامعه» (٣١٦١)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٧٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والعطب)[1]، وتحشر يوم القيامة في زمرة من ظلم، فتستوجب من الله اللعنة والغضب، فقد ورد في الكتاب المكنون أن الظالم ملعون، فاسمعوا أيها المؤمنون قوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

وهذا المكان الشريف وضع لحط الذنوب لا لحملها، وفعل الذنب بمكة شديد، وإثمه أكيد؛ لكونه في حضرة الله تعالى وفِناء بيته، وأي شيء أعظم من مبارزة الملك في (حرمته، ومخالفته في محل)[2] حضرته، لكن ما أسرع نفوس الغافلين إلى قبول البدعة، ونبذ السنة، وما أشد تفريطها فيما هي مكلفة به ومسئولة عنه، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

وقد صحَّ عن جماعة من الصحابة ومن تابعهم من السادات أن السيئة تضاعف بمكة المشرفة كما تضاعف الحسنات[3].

وقد أجمع العلماء والعباد أن سبب سوء الخاتمة هو من ظلم العباد، وقالوا: ليس شيء بعد الإيمان أعظم أجرًا من نفع المسلمين، وليس شيء بعد الكفر أعظم ذنبًا من أذية المؤمنين[4].

فأفق من سكرتك - أيها المسكين! - قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨]. وقد ورد في الأخبار عن النبي المختار صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه السادة الأخيار، أنه قال: «**من آذى مسلمًا فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فليتبوَّأ مقْعَده من النار**»[5].

---

(١) في (ق): للعطب.

(٢) ليست في (ق).

(٣) انظر «أخبار مكة» للفاكهي ٢/٣٠٤ - ٣٠٨.

(٤) في (خ): المسلمين.

(٥) طرفُ حديث أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣٦٠٧) من حديث أنس رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ يخطب؛ إذ جاء رجل تخطى رقاب الناس حتى جلس قريبًا من النبي ﷺ، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال: «**ما منعك يا فلان أن تجمع؟**»=

فمن أَخَّر الوصية فقد آذى صاحبها؛ لأنه أَخَّر الرحمة عنه، فحينئذٍ يخاف على هذا الوصي أن لا يُرحم، ولا يُحشر في زمرة كل صالح وولي؛ لتشبهه بكلِّ معتدٍ وظالمٍ وشقيٍّ.

وما أردنا بهذا التطويل إلا لكثافة الظالم، ولطبعه الثقيل، ألا تراه كيف يعمل على ذهاب دينه؟ فيخالف الرب الجليل، ويتجنب الحق، وإلى الظلم والباطل يميل.

ثم اعلم بأن الوصية أمانة، فمن أَخَّرها بغير عذر أو طمع في شيء منها؛ خرج عن السنة، ووقع في البدعة والخيانة، ولم يتشبه بأهل الخير والديانة، فيخاف عليه أن لا يرزقه الله أمانه، قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال: ٢٧]. والخيانة من صفة العبد المنافق، ولأجل ذلك تبرأ منها المؤمن الموافق خوفًا من بعده عن النبي ﷺ، ومن غضب الخالق، قال صلوات الله عليه وسلامه: «**من تشبه بغيرنا فليس منا**»[١]، وفي حديث آخر: «**من تشبَّه بقوم فهو منهم**»[٢]، وقال ﷺ: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كَذَب، وإذَا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»[٣] رواه البخاري، وفي صحيح مسلم: «**وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم**»[٤]، فينبغي للمؤمن أن يعمل على سلامة إيمانه بطاعته لله ولرسوله، وبنصحه لإخوانه.

قال ﷺ: «**الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة**». قالوا:

= قال: يا رسول الله، قد حرصت أن أضع نفسي بالمكان الذي ترى، قال: «**قد رَأيتك تَخطَّى رِقابَ المسلمين وتؤذيهم، من آذى مسلمًا فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله**». وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٣١٦).

(١) تقدم.

(٢) تقدم.

(٣) تقدم.

(٤) «صحيح مسلم» (٥٩).

لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[1].

فمن علم أن الدين النصيحة وغشَّ؛ يقع الخلل في دينه، ويصير يوم القيامة في بلية وبعدٍ وفضيحة، قال ﷺ: «**من غشَّنا فليس منا**»[2].

فانظر - رحمك الله! - إلى شؤم حال الغاش المخذول، كيف حُرم الوصول، وتبرأ منه الرسول، قال صلوات الله عليه وسلامه: «**من غش أمتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**»[3]، وفي حديث آخر: «**من أصبح لهم غاشًا لم يشمَّ رائحةَ الجنة**»[4].

فيجب على المؤمن أن يكون ناصحًا لإخوانه المسلمين لحيِّهِمْ وميتهم[5]، يفرح لمحسنهم، ويستغفر لمسيئهم، ويوقر كبيرهم، ويرحم صغيرهم، ويريد لهم ما يريد لنفسه، لا يظلمهم، ولا يخونهم، ولا يغشهم، ولا يغتابهم، ولا يحقرهم، ولا يخذلهم، ولا يسخر منهم، ولا يهزأ بهم، ولا يشمت بمصابهم، ولا يسبهم بغير حق، ولا يلعنهم لزللهم، ولا يكفِّر أحدًا منهم بذنب، ولا يحسدهم إلا على فعل الخير؛ ليكون شريكهم في الحسنات، وفي ارتفاع الدرجات، ويعود مرضاهم، ويشيع جنائزهم، ويصلي عليهم، ويحضر دفنهم، وإن غابوا حفظ منازلهم، وكذلك في الشهادة: إن أراد أن يموت مسلمًا وله في سكنى الجنة إرادة؛

---

(١) تقدم تخريجه، وهو عند مسلم، وهذا اللفظ لأبي داود (٤٩٤٤).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) عزاه العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١٨٦) للدارقطني في «الأفراد» بسند ضعيف جدًا.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢٥/٥ (٢٠٢٨٩)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٤٠١)، والدارمي في «سننه» (٢٧٩٦)، والبخاري في «صحيحه» (٧١٥٠)، ومسلم في «صحيحه» (١٤٢) من حديث معقل بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة**».

(٥) في (خ): ولموتاهم أجمعين.

لما جاء في الحديث: «**لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه**»[1] والبوائق: الغش والظلم، و: «**العائد يخوض في الرحمة**»[2]، «**المصلي على الميت له قيراط من الأجر، فإن حضر دفنه؛ فله قيراطان من الأجر أصغرهما كأُحُد**»[3].

ثم اعلم أن عيادة المرضى، والصلاة على الموتى، وتشميت العاطس، ورد السلام، والجهاد، من فروض الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، ونسأل الله سبحانه التوفيق والهداية.

فإن عجزت عن نفعهم فلا تضرهم بأكل أموالهم بغير حق، وبغشك وخيانتك لتأخير وصاياهم، وإن كان صاحب الوصية قد مات فعجل له الحسنات[4]؛ فإنه محتاج إلى ما وصى به من الخيرات، فقد انقطع عمله، وصار لأجل التفريط في ندم وحسرات، قال الله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦].

فتعجيل الخير ليرحم به الميت هي حسنة عظيمة وخير؛ لأنه محتاج إليها، ولو أمكنه لترامى عليها، قال العلماء: إن مدار العلم كله شيئان: التعظيم لأمر الله، والشفقة والرحمة على خلقه. وجاء في الحديث: «**الرحماء**

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣٧٢/٢ (٨٨٥٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٢١)، ومسلم في «صحيحه» (٤٦)(٧)، وأبو يعلى في «مسنده» (٦٤٩٠) بهذا اللفظ من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٠٩٣٩)، وأحمد في «مسنده» ٣٠٤/٣ (١٤٢٦٠) من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من عاد مريضًا لم يزل يخوض في الرحمة حتى يرجع، فإذا جلس اغتمس فيها**».
وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٩٢٩)، وانظر كلامه هناك فإنه هام.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ٤٣٠/٢ (٩٥٥١)، والبخاري في «صحيحه» (٤٧)، ومسلم في «صحيحه» (٩٤٥)، وأبو داود في «سننه» (٣١٦٨)، والترمذي في «جامعه» (١٠٤٠)، والنسائي في «سننه» ١٢٠/٨ (٥٠٣٢)، وفي «السنن الكبرى» (١١٧٦٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٠٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) في (خ): بالحسنات.

يرحمهم الرحمٰن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[1]، «**من لا يَرْحم لا يُرْحم**»[2] وهذا حديث صحيح.

فلو كان في قلب هذا المسلم شفقة وإحسان ما أخَّر وصية[3] الميت المحتاج، وابتدع وخان، ولا خرج عن طريق نبيه وحبيبه، وعن طريق أهل الخير والإيمان[4]، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

قال ﷺ: «**بابان من الخير ليس فوقهما ثالث: الإيمان بالله تعالى، والإحسان إلى خلقه. وبابان من الشر ليس فوقهما ثالث: الإشراك بالله تعالى، والإساءة إلى خلقه**»[5].

وقد نظر العلماء في الذنوب التي تذهب بإيمان العبد، فوجدوها في الاستخفاف بالدين، وفي أذيَّة المسلمين، نسأل الله تعالى السلامة وحسن الخاتمة، وقصر الأمل، واليقظة؛ لكي نستعد للموت قبل فروغ الأجل، فمن علم أن أذيَّة المسلمين مصيبة في الدين وعليها أقام فمثله كمثل من قال: ربي الله. وما[6] استقام، ونسأل الله سبحانه الاستقامة، والأمن من فزع يوم القيامة، وأن يدخلنا الجنة مع من ظلَّلته الغمامة ﷺ صلاة دائمة تكون نورًا بين يديه وأمامه.

وما طولنا الكلام ـ والطريق بحمد الله بائنة ـ إلا لعمى هذه النفس الكثيفة الخائنة، ونسأل الله تعالى رب الأرض والسماء أن يذهب عن قلوبنا الخيانة والغفلة والعمى، فالخروج عن الطريق يتولد من عمى القلب، ومن

---

(١) سبق تخريجه

(٢) سبق تخريجه

(٣) في (خ): الوصية عن.

(٤) في (ق): والإحسان.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) في (ق): ثم.

عدم التوفيق، قال المولى الغفور: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]. قال ﷺ: **«إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»**(١).

ومن سلك الطريق فهو للأنبياء والأولياء رفيق؛ لأنَّ من شرط المرافقة الموافقة، فمن خرج عن طريقهم وصحب مبتدعًا ثقيلاً ندم ندمًا طويلاً، وصار بعد العز ذليلاً قائلاً: ﴿يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٧]. فلا يقبل منه هذا القول، ويجاب بأن قد عمَّرناك عمرًا طويلاً، فخرجت عن طريق نبيِّك ﷺ، وخالفت مولى جليلاً.

فإذا وفقك الله تعالى وعملت بوصية مخلوق مثلك فلا تنسى وصية الخالق، فيكون لك أجران: وهو تقوى الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]، فسَّرها ﷺ قال: **«مخرجًا من شبهات الدنيا، ومن غمرات الموت، وأهوال يوم القيامة»**(٢).

وله باب في هذا الكتاب، ولا فائدة من إعادته، وفي هذا كفاية لمن رزقه الله تعالى التوفيق والهداية.

وإذا وصَّى الرجل أخاه بأن يحجَّ عنه إذا مات أو ابتلي بمرضٍ حابس فهو بمنزلة الموت، فيحج عنه على الفور؛ لكي يُرحم الميت؛ لأنه مرهون به؛ لقوله ﷺ: **«الميتُ مرهون بدَيْنه**(٣)**، فكَّ الله رهانَ من فكَّ رهانَه»**(٤).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه الواحدي في تفسيره «الوسيط» ٣١٣/٤، والثعلبي في تفسيره «الكشف والبيان» ٣٣٦/٩ من حديث ابن عباس، عن النبي ﷺ، مرفوعًا. وإسناده ضعيف جدًا، والصواب في هذا ما أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ٣٤٠/٢ من تفسير التابعي قتادة بن دعامة السدوسي رحمه الله، ولم يرفعه.

(٣) في النسخ: (بذنبه)، وهو تصحيف، والمثبت من مصادر التخريج.

(٤) جزء من حديث أخرجه الدارقطني في «سننه» ٤٦/٣، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٧٣/٦ عن علي ابن أبي طالب قال: كان رسول الله ﷺ إذا أُتِي بجنازة لم يسأل عن شيء من عمل الرجل إلا أن يسأل عن دينه، فإن قيل: عليه دين. كفَّ عن الصلاة عليه، وإن قيل: ليس عليه دين. صلى عليه، فأُتي بجنازة فلما قام سأل أصحابه: **«هل**=

وفي حديث آخر: «**من مات ولم يحجَّ ولم يوصِ فليس منَّا**»[1].

فعند أبي حنيفة رحمه الله: يحج عنه من موطنه الذي مات فيه راكبًا[2]، فإن أوصى بألف درهم يدفعها الوصي لرجل لا يدفع لرجلين، وإن كفاهما النفقة، وكذلك إذا أوصى أن يشتري عبدًا بألف درهم ويعتق بعد موته، لا يشتري عبدين؛ لأنهما في الأجر سواء، وعملاً بالوصية، ورب الأرباب عالمٌ بالحساب. (ويدخل الذي يحج)[3] عن الميت بحجة مفردة، فإن دخل بعمرة تكون الحجة له[4]، والدراهم تصير في ذمته؛ لأن العمرة تكون[5] آفاقية والحجة مكية، فكأنه حجَّ عن الميت من مكة المشرفة، وهذا لا يسقط الحج عن الميت عند الحنفية، فإن فضل شيء من النفقة يردها لعيال الميت، ولا يرد شيئًا في مذهب الشافعي إن أوصى لرجل بعينه أو استأجر غيره، والإجارة في العبادات فيها خلاف للعلماء، ونسأل الله العظيم أن يذهب عن قلوبنا الغفلة والعمى.

= **على صاحبكم من دين؟**» قالوا: عليه ديناران دَيْن، فعدل عنه رسول الله ﷺ فقال: «**صلوا على صاحبكم**». فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يا نبي الله، هما علَيَّ، بَرِئ منهما. فتقدم رسول الله ﷺ فصلى عليه، ثم قال: «**يا علي، جزاك الله خيرًا، فكَّ الله رهانك كما فككت رهان أخيك، إنه ليس من ميت يموت وعليه دين إلا وهو مرتهن بدينه، فمن فكَّ رهان ميت؛ فكَّ الله رهانه يوم القيامة**». فقال بعضهم: هذا لعلي خاصة أم للمسلمين عامة؟ فقال: «**لا بل للمسلمين عامة**».

وفي إسناده عطاء بن عجلان، قال البيهقي: عطاء بن عجلان ضعيف.

وقال الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (١١٣٤): ضعيف جدًا.

وقد ورد نحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**لا تزال نفس ابن آدم معلقة بدينه حتى يقضى عنه**».

أخرجه أحمد في «مسنده» ٥٠٨/٢ (١٠٦٠٧)، والدارمي في «سننه» (٢٥٩١)، وابن ماجه في «سننه» (٢٤١٣)، والترمذي في «جامعه» (١٠٧٩) وغيرهم.

وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٧٧٩).

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر «البحر الرائق» ٧٢/٣.

(٣) في (خ): فيدخل الذي حج. وفي (ب): ويدخل في الذي حج.

(٤) في (ب): صلة.

(٥) في (خ، ب): تصير.

دليل ما تقدم ذكره: قال ﷺ: «**تعجلوا الحج؛ فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له**»[1]، فتأخير الحج بغير عذرٍ شديدٌ وإثمه أكيدٌ؛ لقوله ﷺ: «**من لم يمنعه من الحج حاجة، أو مرض حابس، أو سلطان جائر، فمات؛ فليمت إن شاء يهوديًا وإن شاء نصرانيًا**»[2].

في هذا الحديث إشارة لتشبه هذا المسلم بتركه للحج عامدًا باليهود والنصارى؛ لأنهم يتعبدون بالصوم والصلاة والزكاة والصدقات، ولا يتعبدون بالحج، ولا يهتمون له، ولا ينبغي للمسلمين أولي الألباب أن يتشبهوا بأهل الكتاب، ولا بكل فاسق مرتاب؛ لكي لا يحشرون[3] معهم، ويغضب عليهم رب الأرباب؛ لقوله ﷺ: «**من تشبه بغيرنا فليس منا**»[4] و«**من تشبه بقوم فهو منهم**»[5]، صحَّ ذلك عن النبي ﷺ وعلى الآل والأقارب والأصحاب، وعلى كل عبد اتبع القوم ثم أناب.

روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لقد هممت أن أكتب إلى نوابي في الأمصار: من وجب عليه الحج ولم يحج أن تضرب عليه الجزية، والله ما أراهم مسلمين. قالها ثلاثًا[6].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣١٣/١ (٢٨٦٩)، وابن ماجه في «سننه» (٢٨٨٣)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٦٠٣١)، عن ابن عباس، عن الفضل، أو أحدهما عن الآخر قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أراد الحج، فليتعجل، فإنه قد يمرض المريض، وتضل الضالة، وتعرض الحاجة**».
وحسَّنه الألباني في «إرواء الغليل» (٩٩٠).

(٢) أخرجه الدارمي في «سننه» (١٧٨٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٩٧٩) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٧٥٤).

(٣) كذا، وصوابه: (لا يحشروا).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (١٥٦٧) من طريق مطر الوراق عن عمر، وهذا منقطع، وعزاه الزيلعي في «نصب الراية» ٤١١/٤ لسنن سعيد بن منصور من طريق الحسن عن عمر، وهذا أيضًا منقطع.

وعن إبراهيم النخعي ومجاهد وطاوس أنهم قالوا: لو علمنا أن رجلاً وجب عليه الحج ومات ولم يحج ما صلينا عليه[1].

وسئل سعيد بن جبير عن رجل وجب عليه الحج، ومات ولم يحج، قال: هو في النار. كررها ثلاثاً[2].

وقال ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠]، قال: هو في رجل وجب عليه الحج ومات ولم يحج، فيطلب الرجعة ليحج، فيقال له: كلا[3].

فإذا أوصى الإنسان بوصية الحج وعمل الوصي بها؛ غفر الله له جميع الذنوب والأوزار؛ لأنه أدى الأمانة، وخلَّص أخاه المسلم من عذاب النار، ومن التوبيخ والعار.

قال ﷺ: «**يغفر لثلاث: للحاج، والمحجوج عنه، وللوصي**»[4]، صحَّ ذلك في الأخبار، وصحَّ في الحديث: «**من فرَّج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا؛ فرَّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة**»[5].

---

(١) ذكره الغزالي في «إحياء علوم الدين» ١/٢٤٥.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) ذكره الغزالي في «إحياء علوم الدين» ١/٢٤٥.

(٤) أخرجه الدارقطني كما في «اللآلئ المصنوعة» ٢/١١٠، والديلمي في «الفردوس» (٢٦٩٦) من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**حجة للميت ثلاث: حجة للمحجوج عنه، وحجة للحاج، وحجة للوصي**».
وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (١٩٧٩).

(٥) طرف حديث أخرجه أحمد في «مسنده» ٢/٩١ (٥٦٤٦)، والبخاري في «صحيحه» (٢٤٤٢)، ومسلم في «صحيحه» (٢٥٨٠)(٥٨)، وأبو داود في «سننه» (٤٨٩٣)، والترمذي في «جامعه» (١٤٢٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٢٩١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
وقد ورد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

اصْغ ـ رحمك الله تعالى ـ إلى قوله ﷺ: «**من فرَّج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا** ـ وهِي كربة فانية ـ **فرَّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة**». فما بالك بمن يسعى في خلاص مسلم من النَّار؛ فلا يعلم هذا الأجر إلا الواحد القهار.

ونختم هذا الباب بحديث نبينا وحبيبنا ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، ويُهَوِّنُ علينا ببركتهم العرض والحساب، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في خطبته: «**أيها الناس، إن العبد لا يُكْتَبُ في المسلمين حتى يَسلم الناس من يده ولسانه، ولا ينال درجة المؤمنين حتى يأمن جاره بوائقه، ولا يُعد من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرًا مما به البأس. أيها الناس، إنه من خاف المبيت أدلج، ومن أدلج في المسير وصل، وإنما تعرفون عواقب أعمالكم لو طويت صحائف آجالكم، أيها الناس، إن نية المؤمن خير من عمله، ونية الفاسق شرٌّ من عمله**»[1].

---

(١) لم أقف عليه بهذا الطول وهو ملفق من أحاديث.

الأول: إن العبد لا يكتب في المسلمين.. سبق تخريجه عند حديث: «**المهاجر من هجر ما نهى الله عنه**».

الثاني: ولا ينال درجة المؤمنين حتى يأمن جاره بوائقه، يعني حديث: «**والله لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه**». أخرجه أحمد في «مسنده» ٤/٣١ (١٦٣٧٢)، والبخاري في «صحيحه» (٦٠١٦) من حديث أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه.

وقد ورد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الثالث: «**ولا يعد من المتقين حتى يدع ما لا بأس به**». أخرجه عبد بن حميد في «مسنده» (٤٨٤)، وابن ماجه في «سننه» (٤٢١٥)، والترمذي في «جامعه» (٢٤٥١) من حديث عطية السعدي رضي الله عنه.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٦٣٢٠).

الرابع: «**إنه من خاف المبيت أدلج**». أخرجه عبد بن حميد في «مسنده» (١٤٦٠)، والترمذي في «جامعه» (٢٤٥٠) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة**».

قال الترمذي: هذا حديث غريب. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٢٢).

الخامس: «**نية المؤمن خير من عمله ونية الفاجر شر من عمله**». أخرجه الشهاب القضاعي في «مسنده» (١٤٨) من حديث النواس بن سمعان الكلابي رضي الله عنه، وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٢٧٨٩): موضوع.

باب في بدعة يفعلها من يدعي الدين والخير والصلاح وهو في الحقيقة قليل الدين والتوفيق والنجاح لخروجه عن طريق أهل الخير والفلاح ولمخالفته لله سبحانه ولما ورد في الأحاديث الصحاح فيزعم أنه شيخ للأنام، ثم يتكلم في حضرة من حضر عنده من العوام أنه رأى فاسقًا في الجنة، وخيِّرًا في النار

فانظر - رحمك الله - ما أنحس هذا المنام، وما أبعده عن الحقِّ وعن طريق النبي عليه الصلاة والسلام! لأن الشرع أمرنا بأن نشهد لأهل الخير بالخيرات والإنعام، ونخاف على أهل الشر، ولا نقنِّط أحدًا من رحمة الملك العلام. هذا طريق الموحدين، وطريق من (قال: ربي الله)[1]. ثم استقام، فلا تخرج رحمك الله عن طريق القوم؛ فإنه يخاف على من خرج عن طريقهم سرعة الأخذ، وشدة الانتقام، وأن لا يجمع الله شمله بهم، والله عزيزٌ ذو انتقام. ولا تذكر مؤمنًا حيًا كان أو ميِّتًا بعيب تعرفه منه أو بمنام، ولكن اعمل على ستر عيبه، وعلى إظهار جميلٍ كان فيه تدخل الجنة بسلام، وتكون محبوبًا عند الله تعالى، وعند النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، فقد صح أن النبي ﷺ دعا لمن ستر

(١) في (خ): آمن بالله.

مسلمًا[1]، ولمن شغل بعيبه عن عيوب الناس[2]، فاوع في قلبك هذا الكلام. وقال صلوات الله عليه وسلامه: «**دعوة المسلم لأخيه مستجابة، عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل ذلك**»[3]، رواه مسلم في «صحيحه».

والملَك أيضًا دعاؤه لا يرد أبدًا، ودعاء الرسول مقبول، فاغتنم هذه الأدعية، ولا ترد نصيحتي لتكون سبب نجاتك، فاسمع ما أقول، ولا تذكر ما رأيته في منامك يدل على إسقاط حرمة حي أو ميت؛ فإنه لا يعنيك، وهو من سوء الخلق والحال، واعمل على ستر أخيك، وإقامة جاهه؛ فيرحمك الله تعالى الكبير المتعال، وينجيك من الشدائد والأهوال.

قال ﷺ: «**من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»[4]وقال أيضًا ﷺ: «**رحم الله من شغله عيبه عن عيوب الناس**»[5]وقال صلوات الله عليه وسلامه: «**لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك**»[6]وقال أيضًا ﷺ:

---

(١) سبق تخريجه عند حديث: «**من فرج عن مسلم كربة**».

(٢) يعني حديث: «**طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس**». وهو جزء من حديث طويل أخرجه البزار في «مسنده» (٦٢٣٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥٦٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
وأخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٣٨٥) وعقبه بقوله: هذا ليس من كلام رسول الله ﷺ، قال ابن حبان: سمعه أبان من الحسن فجعله عن أنس وهو يعلم، قال يحيى: أبان ليس بشيء، وقال شعبة: يكذب على رسول الله ﷺ لأن أزني أحب إلي من أن أحدث عنه.
وذكره الألباني في «السلسلة الضعيفة» ٨/٢٩٩ وقال: إسناده ضعيف جدًا.

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٧٣٢)، وأبو داود في «سننه» (١٥٣٤) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٤) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (٣٩٧٦)، والترمذي في «جامعه» (٢٣١٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٢٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٩١١).

(٥) سبق تخريجه بلفظ: «**طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس**».

(٦) أخرجه الترمذي في «جامعه» (٢٥٠٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» ٢٢/٥٣ (١٢٧) من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. =

«**من حمى مؤمنًا من منافق آذاه؛ بعث الله ملكًا يحمي لحمه يوم القيامة، ومن رمى مسلمًا بشيء يريد شينه؛ حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال**»[1].

ثم اعلم بأن غيبة الميت وأذيته تسقط العبد المدبر من عين الله تعالى، وهي أعظم ذنبًا من غيبة الحي؛ لأن الحي يقدر الإنسان أن يتحلل منه في الدنيا، والميت خصم المغتاب بين يدي رب الأرباب.

اعلم ـ أيها العبد المحروم! ـ أن لحم الميت مسموم، والنائبُ عنه هو الحي القيوم، فانتبه من غفلتك ـ أيها العبد المبعود! ـ، واعلم أن الله سبحانه يسأل يوم القيامة العود لم خدش العود، ولا تتشبه بقوم ظاهرهم أيقاظ، وهم في الحقيقة رقود، قال صلوات الله عليه وسلامه: «**النَّاس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا**»[2]. وأنشد بعضهم:

أما والله لو علم الأنام ... لما خلقوا لما غفلوا وناموا
لقد خلقوا ليومٍ لو رأته ... عيون قلوبهم ساحوا وهاموا
ممات ثم قبر ثم حشر ... وتوبيخ وأهوال عظام
ليوم الحشر قد عملت أناس ... فصلوا من مخافته وصاموا
ونحن إذا أُمرنا أو نهينا ... كأهل الكهف أيقاظ نيام

فمن أكثر من الصيام والقيام وأنواع العبادات، ثم أخذ يشتغل بعيوب الأحياء والأموات مثله كمثل من غرس ما حسن من الأشجار، ثم أطلق في أصولها النار.

= وذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» ٣/٢٢٤ وقال: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٦٢٤٥).

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣/٤٤١ (١٥٦٤٩)، وأبو داود في «سننه» (٤٨٨٣) من حديث معاذ بن أنس رضي الله عنه.
وحسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

(٢) سبق تخريجه.

وقد جاء في الحديث أن بعض الناس يجد شرب الخمر في صحيفته، وما شرب، (ويجد الزنا وما)[1] زنا، فيقول: يا رب، ما هذا وأنت الحكم العدل؟ لم أفعل هذا! فيقال له: ولكن اغتبت من عمله. وآخر يعطى كتابه بيمينه، فيجد فيه الحج والجهاد والصوم والصدقة وغير ذلك من أفعال البر، فيقول: يا رب، ما فعلت شيئًا من ذلك، وليس هذا كتابي. فيقول الله تعالى: حصل لك هذا الأجر من غيبة الناس لك[2].

فالحذر كل الحذر من ظلم من لم تملك التحلل منه، مثل: غيبة ميت، أو ظلم البهائم، أو أن تزني بامرأةٍ لا يمكنك التحلل من زوجها وأهلها، أو بامرأة جارك؛ فيكونوا خصماؤك يوم القيامة.

قال يحيى بن معاذ: ليكن حظ المؤمن منك ثلاث، فتكون من المحسنين: أحدها: إن لم تنفعه فلا تضره. الثاني: إن لم تسره فلا تغمه. الثالث: إن لم تمدحه فلا تذمه[3].

وسئل عمر بن عثمان: ما الكرم؟ قال: التعامي عن زلل الإخوان[4].

فيجب على المسلم أن لا يتجسس على عيوب مسلم وعثراته، فإن الله آخذ بيده كلما عثر، ولا يثبت نفسه ويمحو غيره؛ ليكون رأسًا، فيستوجب الغضب، ويلقي نفسه للمهالك والعطب؛ لأن آفات الرأس كثيرة.

فالمؤمن الصالح قليلٌ بنفسه، كثيرٌ بأخيه، هذا طريق القوم، به إلى الله تعالى وصلوا، وتحت كنفه الكريم نزلوا، فقد بانت الطريق، أين السالكون؟ وعُرضت السلعة، فأين المشتري؟ وهذه المنازل، فأين النازل؟ فكم أنوح ولا نائح، وكم أزمزم ولا متحرك!

اعلم ـ رحمك الله! ـ أن الحيَّ يؤلمه نَخْزُ إبرة[5]، والميت لا يتألم ولو قطع بالسيوف، كما قال بعضهم:

---

(١) في (خ): ولا. وفي (ب): والزنى ولا.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) أخرجه الخطيب في «الزهد» (٩١) به.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) نخز: نَخَزْتُ الرجلَ وغيرَه: وجَأتُهُ وجئًا بحدٍّ. وبكلام: أوجعته.

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيًّا ... ولكن لا حياة لمن تنادي

فإذا رأى المسلم في منامه عن ميت كان خيرًا، مثل أن رآه في النار، أو عليه ثوب أسود، وما يشبه[(١)] ذلك؛ فلا يسيء الظن به، ولا يقص هذا المنام على أحد من الأنام، فيخرجٍ عن سنة خير الأنام صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه السادة الكرام. بل يكذِّب منامه تصديقًا للحديث؛ فإن النبي ﷺ أمرنا أن نشهد لأهل الخير بالخير، وأن لا نسيء الظن بالمسلمين، فقد تكون الرؤيا أضغاث أحلام، أو حديثُ نَفْسٍ، أو من تدنيس الشياطين اللئام، يريد الشيطان لتسيء[(٢)] الظن بأخيك؛ فيحرمك الله تعالى أجر حسن الظن، ويوقعك[(٣)] في الغيبة؛ فتبتلى ببلية عظيمة ومصيبة.

وقد وَرَدَ: لا تسئ الظن بالكلمة تسمعها من أخيك، وأنت[(٤)] تجد لها في الخير محملاً[(٥)]. كمن سمع من رجل يقول عن نفسه: إنه مقصر أو مدبر أو عاصٍ، لا تحمل كلامه على حقيقة المعصية، بل تحمل كلامه أنه مُخرِّب على نفسه، أو على غفلة طرأت على قلبه، فترى من نوَّر الله قلبه يجتهد في أوصاف محاسن الناس، ويتعامى عن عيوبهم، وإن وقعت منهم منقصة يعتذر عنهم، فيقول: لعله نسي، أو ما علم أن هذه خطية، أو ما عمل هذه المثوبة لعذر لحقه، فالمؤمن حقًّا من يعمل على سلامة عرض أخيه خوفًا من أن يعافي الله الأخ ويبتليه، فإن كلم الرجل امرأة يُحْمَلُ أمرهما على أن الرجل مَحْرَمٌ لها أو زوج، فإن رأيت في تصانيف بعض الفضلاء شيئًا لا يوافق الشرع فلا تَنْفِ عنه الفضيلة، ولا تستحمره نفسك الثقيلة؛ فإنها لا تصلح أن تكون تلميذًا له، فيمقتها الله سبحانه بقدرته

---

(١) في (خ): يناسبه.

(٢) في (ق، ب): ليسيء.

(٣) في (خ): أو يوقعك.

(٤) في (خ): فأنت. وفي (ق): ما دمت.

(٥) جزء من أثر طويل أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٣٤٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٤٤/٣٦٠ من كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الجليلة، فتقول: لعله غلط، أو سها، أو اقترأه[1] لا افتراه.

والذي بلغنا أن الصالحين أصحاب شفقة وسكينة، يظهرون الجميل، ويسترون القبيح، وإذا سمعوا شيئًا فيه نقص أَوَّلُوهُ سبعين[2] تأويلًا، جبرًا وسترًا لإخوانهم المسلمين؛ ومن جبر مسلمًا أو ستره في الدنيا ستره[3] الله تعالى ولم يفضحه في عرصات القيامة، وسلمه من التوبيخ والملامة، قال ﷺ: «**من ستر مسلمًا ستره الله، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**»[4].

وإياكَ، إياك ـ رحمك الله! ـ أن تقع في عَالِم تقي، أو في رجل ولي؛ لأن شأنهما عظيم، والوقوع فيهما أو فيمن يذكِّر شيئًا رآه في منامه في نقصهما[5]، لا يرضي المولى الكريم؛ لأن العالم التقي في منزلة نبي. قال ﷺ: «**العلماء ورثة الأنبياء**»[6]. حديث صحيح. وفي حديث آخر: «**علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل**»[7].

فكاد العالم العامل بالعلم أن يكون نبيًا، ويكفيك ما جاء في الولي قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقوله ﷺ: «**إن الله عز وجل قال: من آذى لي وليًا فقد آذنني بالحرب**»[8].

---

(١) في (خ): افتراه.

(٢) في (خ): بسبعين.

(٣) في (خ، ط): جبره.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) في (خ): يقضهما.

(٦) طرف حديث أخرجه أحمد في «مسنده» ٥/١٩٦ (٢١٧١٥)، والدارمي في «سننه» (٣٤٢)، وأبو داود في «سننه» (٣٦٤١)، وابن ماجه في «سننه» (٢٢٣)، والترمذي في «جامعه» (٢٦٨٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٨) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.
وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٨٢).

(٧) لم أقف عليه، وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٤٦٦): لا أصل له باتفاق العلماء.

(٨) سبق تخريجه.

ومما يدلك أيضًا على عظيم قدر المؤمن قوله سبحانه فيما يحكيه عنه رسوله ﷺ: «**لم تسعني أرضي ولا سمائي، ويسعني قلب عبدي المؤمن**»[١].

انظر - رحمك الله! - إلى هذا القلب، ماذا مَنَّ الله عليه حتى صار إلى هذه المرتبة أهلًا؟ قال بعض العلماء: لو كشف الحق سبحانه عن مشرقات قلوب أوليائه، لانضوى نور الشمس والقمر في أنوارهم، لكن الحق سبحانه يوفي أعيان الكائنات حقها، فيقر لكل كون زينته، ولذلك[٢] ستر سر الخصوصية في وجود البشرية، ولا بد للشمس من سحاب، وللحسناء من نقاب، فستر سر الأولياء في دار الفناء، وسيظهره في دار البقاء التي رضيها لهم، فيرفع منارهم، ويبجل أقدارهم. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم: ٩٦].

ثم اعلم بأن الولي خرج عن تدبيره لتدبير الله عز وجل، وعن انتصاره لنفسه لانتصار الله تعالى له، وعن حوله وقوته بصدق التوكل على الله تعالى، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]. فكان ذلك لهم لأنهم تركوا اختيارهم وجعلوا الله تعالى مكان همومهم، فدفع عنهم الأغيار، وقام لهم بوجود الانتصار، فنصرهم وتولاهم وحارب من عاداهم، كما جاء في الحديث: «**يقول الله عز وجل: من عادى لي وليًا فقد آذنني بالحرب**»[٣] حديث صحيح.

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى معاذًا يبكي، فقال: ما يبكيك؟ قال: سمعت من رسول الله ﷺ يقول: «**اليسيرُ من الرياء شركٌ، ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله تعالى بالمحاربة**»[٤].

وقد طولنا هذا الباب، لكي لا يقع العاقل في أولي الألباب،

---

(١) تقدم الكلام عليه.

(٢) في (ق): وكذلك.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

فيوبخه الله تعالى كما فعل بالمؤمنين، ويوقعه في الذل والبعد والعذاب.

جاء رجل إلى أبي حنيفة رحمه الله وقال له: رأيتك البارحة في المنام وأنت في النار. قال له الإمام: ما تقول في هؤلاء الرهبان؟ قال الرجل: هم من أهل النار. قال أبو حنيفة: فقد يرى لهم بعض محبيهم أنهم في الجنة (من قوة المحبة)[1] وأنت تبغضني؛ فلأجل ذلك رأيتني في النار[2].

قال المؤلف: قال لي من أثق بقوله: إن الشيخ إبراهيم بن معضاد الجَعْبَرِيَّ قال في ميعاده للحاضرين: مكثتُ مدَّةً أسأل الله تعالى أن يريني النبي ﷺ في منامي، فرأيته ليلةً[3] على صفة رجل كرديٍّ، فأصبحت مهمومًا من هذه الرؤيا، وقلت في نفسي: النبي ﷺ عربيٌّ، فكيف رأيته (أنا على)[4] هذه الصفة؟! فدعوتُ الله تعالى أن يكشف لي عن حقيقة هذا الأمر، فبينما أنا سائرٌ في بعض شوارع المدينة بديارِ مصرَ، وإذا بضربةٍ بين كتفيَّ، فالتفتُّ وإذا هو رجل حَرْفُوشٌ على رأسه طُرْطُورٌ[5]، فقال لي: ما

---

(١) ليست في (ق، ب).

(٢) لم أقف على هذه الحكاية.

(٣) في (ق): عليه السلام.

(٤) في (ق): في.

(٥) الحرفوش ـ وجمعه: الحرافيش ـ يفهم من استخدام الكتاب لهذه اللفظة في عصر المماليك أنهم يريدون بها الرجل التافه، سخيف العقل، من دهماء العامة أو الرعاع. ولعلها من احرنفش: إذا تهيأ للشر، أو من الحرنفش وهو الغليظ الجافي الطبع. انظر تعليق المحقق على «نهاية الأرب» للنويري ١٨/٣٣.

وقال الذهبي في «تاريخ الإسلام» ٥٢/٤٨٠ ـ في ترجمة عبد الله الفاتولة الحلبي، ثم الدمشقي ـ: شيخ مسنٌّ، حرفوشٌ، مكشوف الرأس، عليه دلق وقبق وسخ من رقاع، وله مجمرة يتوضأ بها، ويجلس عند قناة عقبة الكتان، ويكابد البرد والمشقة، ولا يسأل أحدًا فيما علمت، ولا يقرب الصلاة، وعقله ثابت، ورأيتهم يذكرون له كرامات وكشف من بابة كشف الرهبان والكهان، وكان الصبيان يعبثون به فيزظ عليهم. توفي في شوال سنة (٧٠٠)، وصلّي عليه بجامع دمشق عقيب الجمعة، وازدحم الناس على نعشه، وكانت جنازته مشهودة، وكان لهم فيه اعتقاد، ويعدونه من عقلاء المجانين، ودفن بالجبل بتربة المولّهين!

وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» ١٣/٣٧٠ ـ في وفيات سنة (٦٨٨) ـ: العالمُ ابن=

لكَ يا جعبريُّ؟ لولا أن عملك عملٌ نحسٌ مُرْدي؛ ما رأيتَ النبي ﷺ على صفة رجل[1] كردي![2].

= الصاحب، الشيخُ الماجنُ، هو الشيخ الفاضل علم الدين أحمد بن يوسف بن عبد الله بن شكر، كان من بيت علم ورياسة، وقد درَّس في بعض المدارس، وكانت له وجاهة ورياسة، ثم ترك ذلك كلَّه، وأقبل على الحرفشة وصحبة الحرافيش، والتشبه بهم في اللباس والطريقة، وأكل الحشيش واستعمله، كان من إلفهم في الخلاعة والمجون، والزوائد الرائقة الفائقة التي لا يلحق في كثير منها، وقد كان له أولاد فضلاء ينهونه عن ذلك فلم يلتفت إليهم، ولم يزل ذلك دأبه حتى توفي ليلة الجمعة الحادي والعشرين من ربيع الأول. ولما ولي القضاة الأربعة كان ابن خالته تاج الدين ابن بنت الأعزِّ مستقلاً في القضاء قبل ذلك، فقال له ابن الصاحب المذكور: ما متُّ حتى رأيتك صاحب رُبْع! فقال له: تسكت وإلا خليتهم يسقونك السمَّ؟ فقال له: في قلة دينك تفعل، وفيَّ قلة عقولهم يسمعوا منك. ثم ذكر له ابن كثير أبياتًا في مدح الحشيشة!

أما (طُرطُور) فقد قال عبد السلام هارون رحمه الله في «كناشة النوادر» ٧١: الطرطور: كلمة من صميم العربية، وأخذها الفرس والترك لفظًا وملبسًا من العربية، وكم لبس الفرس والتركُ من الطراطير، ولا سيما بعض أصحاب الطرق الصوفية من المولوية والبكتاشية، ولم ترد هذه الكلمة في كثير من المعاجم. جاء في «اللسان»: والطرطور: الوغد الضعيف من الرجال والجمع الطراطير. وأنشد:

قد علمت يشكر من غلامها ... إذا الطراطير اقشعر هامها

ورجل طرطور أي: دقيق طويل، ثم يقول: والطرطور قلنسوة للأعراب طويلة الرأس. وجاء في «القاموس»: والطرطور الدقيق الطويل، والقلنسوة تكون كذلك، والوغد الضعيف. أما استينجاس في «المعجم الفارسي الإنجليزي» فيرمز له بالحرف (A) الدال على اقتراضه من العربية، وفسَّره بعين ما جاء في «اللسان»، وزاد عليه أنه يطلق أيضًا على الضعيف الدقيق من معزي الجبال وتيوسها. وقد جرت هذه الكلمة في لغتنا المعاصرة لكن بفتح الطاء الأولىٰ بمعني الرجل الذي ليس له حل ولا عقد، والذي لا يعبأ به، ولا بمكانه بين القوم، وهو مجاز صادق. (ت)

(١) في (ق): في صورة.

(٢) لم نقف على هذه القصة، وصاحبها هو الشيخ الصالح العابد الواعظ أبو إسحاق إبراهيم بن معضاد بن شدَّاد بن ماجد الجعبري، أصله من قلعة جعبر، ثم أقام بالقاهرة، وكان يعظ الناس، وكان الناس ينتفعون بكلامه كثيرًا. توفي بالقاهرة يوم السبت ٦٨٧/١/٤هـ، ودفن في تربته بالحسينية، وله نظم حسن، وكان من الصلحاء المشهورين رحمه الله. قاله ابن كثير في «البداية والنهاية» ٣٦٧/١٣. =

. . . .

= وقال الذهبي في «العبر» ٣/٣٦٤: الزاهد الواعظ المذكي، روى عن السخّاوي، وسكن القاهرة، وكان لكلامه وقع في القلوب، لصدق كلامه، وإخلاصه، وصدعه بالحق، توفي في الحمام عن سبع وثمانين سنة وشهر. وقال في «تاريخ الإسلام» ١/٢٩٧: كتب عنه: البِرْزالي، والمصريون. وسكن القاهرة دهرًا. وكان له مسجد هو شيخه وإمامه، فكان يجلس فيه، ويقص على الناس، ويخوف ويحذر، ولكلامه وقع في النفوس. وكان زاهدًا، عابدًا، أمَّارًا بالمعروف، قوَّالاً بالحق، حلو العبارة، ولأصحابه فيه عقيدة ومغالاة. وله شعر في التصوف والزهد. ورأيت كلَّ من عرفه يعظِّمه، ويثني عليه، وعلى طريقته، رحمة الله عليه، وعليه مآخذ في عباراته.

وقال الصفدي في «الوافي بالوفيات» ٦/٩٥: أخبرني الشيخ الإمام العلامة أثير الدين أبو حيَّان من لفظه قال: رأيت المذكور بالقاهرة، وحضرت مجلسه أنا والشيخ نجم الدين ابن مكي، وجرت لنا معه حكاية، وكان يجلس للعوام يذكرهم، ولهم فيه اعتقاد، وكان يروي شيئًا من الحديث، وله مشاركة في أشياء من العلم وفي الطب وله شعر. قال: ولما مرِضَ مَرَضَ موته أمر أن يخرج به حيًا إلى مكان مدفنه ظاهر القاهرة بالحسينية، فلما وصل إليه قال له: قُبَيْرُ جاءك دُبَيْر! وتوفي بعد ذلك بيوم أو يومين سنة سبع وثمانين وست مئة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ في أثناء كلامه على من تولى الشيطان والكفار من غلاة الصوفية ـ: وكان الشيخ إبراهيم بن معضاد يقول ـ لمن رآه من هؤلاء كاليونسية والأحمدية ـ: «يا خنازيرُ! يا أبناء الخنازير! ما أرى الله ورسوله عندكم رائحة، ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾﴾ كل منهم يريد أن يحدثه قلبه عن ربه، فيأخذ عن الله بلا واسطة الرسول: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾. (مجموع الفتاوى: ١٣/٢٢٤).

وقال الذهبي في «تاريخ الإسلام» ٤٧/٢٧٩ ـ في وصف كلام ابن عربي الصوفي الضال ـ: هو محضُ الكفر والزندقة، ولكن كان ابن العربي منقبضًا عن الناس، وإنما يجتمع به آحاد الاتحادية، ولا يصرح بأمره لكل أحد، ولم تشتهر كتبه إلا بعد موته بمدة، ولهذا تمادى أمره، فلما كان على رأس السبع مئةِ جدَّد الله لهذه الأمة دينها بهتكه وفضيحته، ودار بين العلماء كتابه: «الفصوص»، وقد حطَّ عليه الشيخ القدوةُ الصالح إبراهيم بن معضاد الجعبريُّ، فيما حدَّثني به شيخنا ابنُ تيمية، عن التاج البرنباري: أنه سمع الشيخَ إبراهيم يذكر ابن العربيِّ فقال: كان يقول بقدم العالم ولا يحرِّمُ فرجًا.

قلت: وقلعة جَعْبَر تقع في منطقة الجزيرة السورية على الضفة اليسرى لنهر الفرات على بعد (٥٣) كيلو مترًا من مدينة الرَّقَّة في سوريا. (ت)

وقال للمؤلِّف بعض المجاورين بمكَّة: إن مريدًا قال لشيخه: يا سيدي، رأيتك البارحة في المنام، وقد تبدَّل وجهكَ بوجه خنزيرٍ! فقال الشيخ: يا بني، الشيخ مرآة المريدين، والمرآة لا يرى إلا ما ظهر فيها، والمنام يا بني هو صفتك، ثم اعلم أن من أصلح نهاره أصلح الله ليله، وصحة المنام موقوف على الصدق في الأحوال والكلام، فمن أراد أن يصلح الحق سبحانه له اليقظة والمنام، ويدخل الجنة مع بدر التمام، ويسلم[1] من التوبيخ والملام، فَلْيُطِعِ الملك العلام، ولا يخرج عن طريق النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، بدخوله في ذم المسلمين، وفيما يراه لهم من نحس المنام، كان بعضهم يقول:

لا تشتغل بالعتب للورى ... فيضيع وقتك والزمان قصير
وعلام تعتبهم وأنت مصدق ... أنَّ الأمور جرى بها المقدور
هم لم يوفوا للإله بحقِّه ... أتريد توفِّيه وأنت حقير
فاشهد[2] حقوقهم وقم لهم[3] بها ... واستوف منك لهم وأنت صبور
فإذا فعلت فأنت أنت بعين من ... هو بالخفايا عالم وخبير

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور: ١٩].

روي أن عائشة رضي الله عنها ذكرت للنبي ﷺ قِصَر صفية، فقال لها: **«لقد قلت كلمةً لو مزجت بماء البحر لمزجته»**[4].

---

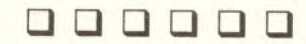
(١) في (خ، ب): ويسلمه.

(٢) في (ب): واشهد.

(٣) ليست في (خ).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» ٦/١٨٩ (٢٥٥٦٠)، وأبو داود في «سننه» (٤٨٧٥)، والترمذي في «جامعه» (٢٥٠٢) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: حكيت للنبي ﷺ رجلًا؛ فقال: **«ما يسرني أني حكيت رجلًا، وأنَّ لي كذا وكذا»**. قالت: فقلت: يا رسول الله، إنَّ صفية امرأة. وقالت بيدها هكذا كأنها تعني قصيرة، فقال: **«لقد مزجت بكلمة لو مزجت بها ماء البحر لمزج»**.
وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».

معنى الحديث: أي لو خلطت كلمتك هذه بماء البحر لغيرت طعمه أو ريحه لشدة نتنها، وهذا الحديث الصحيح، والآية التي تقدم ذكرها من أعظم الزواجر في ترك الذم لمسلم كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فمن رأى منامًا قبيحًا لرجل حسن دِيِّن وقَصَّه، يقال له: هذا المنام صفتك، أو البعيد مبغض. فإن لم يكن المنام صفته ولا هو مبغض فهو من تلبيس إبليس، لكي يغير عقيدته، ويحرمه أجر حسن الظن بهذا الإنسان، فترى الجاهل اللئيم يظن أن هذا هَيِّنٌ وهو عند الله عظيم.



بابٌ: فيما يرى الإنسان لنفسه من حسن الحال وما يرى من أضغاث الأحلام ومن رؤيا النبي عليه الصلاة والسلام وعلى الآل والأصحاب السادة الكرام

فإن رأى المسلم منامًا أو سمع كلامًا فرأى كأنه في الجنة، أو سمع قائلاً أو هاتفًا يقول له: أنت من أهل الجنة! فلا تغتر ـ أيها المؤمن! ـ بذلك، ولا بكثرة اجتهادك وجهادك، ولا بصومك وصلاتك، ولا بكثرة ذكرك وحجك وغزواتك، فأنت أعلم بحالك، هل فعلك فعل مسلم ناجٍ أم فعل رجل هالك؟ وقد روي أن جماعة صحبوا النبي ﷺ، وكان فيهم مَنْ كَتَبَ الوحي، وفيهم من جاهد مع النبي ﷺ، وكان فيهم من حج إلى بيت الله الحرام، وماتوا على غير ملة الإسلام[1]، ولا تغتر أيضًا بكثرة رؤياك للنبي ﷺ في منامك، فقد رآه غيرك يقظةً ومات كافرًا، وبعضهم مات مرتدًا ـ والعياذ بالله ـ فنزل فيهم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]. ومنهم من مات جاحدًا

---

(١) لم يُصب المؤلف رحمه الله في قوله هذا، فقد بالغ وأطلق العبارة، والصواب قول الخطابي رحمه الله: لم يرتدَّ من الصحابة أحدٌ، وإنما ارتدَّ قوم من جفاة العرب، ممن لا نصرة له في الدين، وذلك لا يوجب قدحاً في الصحابة المشهورين. نقله ابن حجر في «الفتح».
وقال البغدادي في: «الفَرْق بين الفِرق»: أجمع أهل السنة على أن الذين ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ من كندة وحنيفة وفزارة وبني أسد وبني بكر بن وائل؛ لم يكونوا من الأنصار ولا من المهاجرين فهؤلاء بحمد الله ومنّه درجوا على الدين القويم والصراط المستقيم.

لا مكذبًا، قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]. وبعضهم مات منافقًا بعدما كان موافقًا، وسببه أنه عاهد الله تعالى ثم غدر، فألحقه الله عز وجل بمن نافق وكفر، وهذه الآية في حقه: ﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [التوبة: ٧٥ ـ ٧٧]. والكلُّ قد ذكرهم الله تعالى في القرآن، وهذا المختصر ليس هو موضوع لشرح أهل الكفر والطغيان.

ولا تغترَّ ـ أيضًا ـ بكثرة المجاورة في بيت ربِّ العالمين، ولصحبتك لعباد الله الصالحين، واعلم وتحقق أن العاقبة للمتقين، فالحق سبحانه لا يكرم أحدًا لأجل ما تقدم ذكره، ولا بكثرة علمه ولو كان شريفًا من أصل سيد المرسلين، إن لم تكن أحواله مستقيمة وأفعاله أفعال المتقين، واسمعوا ما قال مولاكم: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. قال ﷺ: «**من سرَّهُ أنْ يكونَ أكرمَ النَّاسِ فلْيتَّقِ الله**»(١).

فاعرضْ ـ أيها المؤمن! ـ أحوالك وأفعالك وأقوالك على الكتاب والسنة، فإن وافق فلله الحمد والمنَّة الذي ظهر فيك أوصاف أهل الجنَّة، فهي دار المتقين، ومستقر أهل اليقين، ولا تغتر أيضًا بكثرة بكائك، ولترددك للمواعيد، والنفس غافلة عما هي مسؤولة عنه، وعن التأهب ليوم الوعيد، فيكون جميع ما قاله الإنسان أو سمعه حجة عليه يوم يوقفه الحقُّ بين يديه، فليس الشأن لمسرف يبكي وينتحب ويمسح عينيه، الشأن لمن عمل بالكتاب والسنة وترك ما يعاقب عليه.

ولا تغتر ـ أيضًا ـ بما بُشِّرتَ به فيما ظهر لك في الختمة، أو في ضرب رملٍ، أو حصًى، أو ما ظهر لك من الفأل في كتبٍ ألَّفها المنجمون

---

(١) طرف من حديث طويل أخرجه عبد بن حميد في «مسنده» (٦٧٥)، والحاكم في «المستدرك» ٤/٢٧٠ من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح. وتعقبه الذهبي بقوله: هشام بن زياد متروك. ونقل الزيلعي في «نصب الراية» ٣/٦٣ عن البيهقي قوله: هشام بن زياد تكلموا فيه بسبب هذا الحديث.

الجهال، فكل ذلك بدعة وضلال، فأعرض عن ذلك كله، وتوكل على الكبير المتعال؛ ليكون حسبك في جميع الأحوال، وينجيك من الشدائد والأهوال، ويخلصك من القطيعة والأوحال، ويسلمك من البدع وسوء الحال، قال ﷺ: «**من أتى عرافًا فقد كفر بما أُنزلَ على محمدٍ**»[(1)].

فإن صحَّ شيء من كلامه وقع مصادفةً لا من قوة علمه بالغيوب ولا مكاشفة، والمنجم لا يعرف عاقبة نفسه، فكيف يعرف عاقبة غيره؟! قال الله تعالى إخبارًا عن نبيه وحبيبه ﷺ: ﴿**وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ**﴾ [الأعراف: ١٨٨].

قال بعض الملوك لمنجِّمه: أريد أركب الساعةَ! فنهاه، فركب الملك وتوكَّل على مولاه، فرجع سالمًا، فدعا المنجِّمَ، وضربه وحبسه، وقطع جامكيته[(2)]، وقال له: أنت تعلم عاقبة غيرك، فكيف لا تعرف عاقبة نفسك؟! إن هذه الأشياء تجري عليك[(3)].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢/٤٧٦ (١٠١٦٧)، والدارمي في «سننه» (١١٣٦)، وأبو داود في «سننه» (٣٩٠٤)، وابن ماجه في «سننه» (٦٣٩)، والترمذي في «جامعه» (١٣٥) من حديث أبي تميمة عن أبي هريرة رضي الله عنه.
قال الترمذي: لا نعرف هذا الحديث إلا من حديث حكيم الأثرم، عن أبي تميمة الهجيمي، عن أبي هريرة، وإنما معنى هذا عند أهل العلم على التغليظ، وقد رُوي عن النبي ﷺ قال: «**من أتى حائضًا فليتصدق بدينار**». فلو كان إتيان الحائض كفرًا لم يؤمر فيه بالكفارة، وَضَعَّفَ محمد هذا الحديث من قِبَلِ إسناده.
وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٥٢٢).

(٢) الجامكية: رواتب أصحاب الوظائف من الأوقاف، وهو لفظ فارسي معرب.

(٣) في سنة (٢٢٣) غزا الخليفة المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد الرومَ، فأنكاهم نكايةً عظيمةً لم يسمع بمثلها لخليفةٍ، وشتَّت جموعهم، وخرَّب ديارهم، وفتح عمورية بالسيف، وقتل منها ثلاثين ألفًا، وسبى مثلهم، وكان لما تجهز لغزوها حكم المنجِّمُون أن ذلك طالع نحس، وأنه يُكسر، فكان من نصره وظفره ما لم يخفَ، فقال في ذلك أبو تمام الطائي قصيدته المشهورة، وهي هذه:

السيفُ أصدقُ إنباء من الكتب ... في حدِّه الحدُّ بين الجدِّ واللَّعب
والعلَمُ في شهب الأرماح لامعة ... بين الخميسين، لا في السبعة الشهب
أين الرواية؟ أم أين النجوم؟ وما ... صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصًا وأحاديثًا ملفَّقةً ... ليست بعجم إذا عدت ولا عرب=

ونسأل الله تعالى أن يطهرنا من البدع والعيوب، ويسلمنا من الدخول في علم الغيوب، والسر في أن الحق سبحانه وتعالى لم يكشف لأحد عن عاقبة أمره في الدنيا ولا في الآخرة: ﴿لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٢].

لو علم الإنسان أنه يغرق في سَفْرته ما ركب البحر، ولو علم أن هلاكه في البر ما أخذ في نقل قدم، (فما كان يغرق في البحر، ولا يهلك في البر، فيبطل ما كتب عليهم في القدم)[١]، ولو كشف للمؤمن أنه من أهل الجنة تهاون في العمل، ولو علم أنه من أهل النار لترك العمل، ولتمادى في الطغيان والكسل، لكن الحق سبحانه وتعالى يكشف لكل أحد عن مقامه عند الغرغرة، فإن كان من أهل الجنة أحب لقاء الله؛ فأحب الله لقاءه، وإن كان من أهل النار كره لقاء الله؛ فكره الله لقاءه[٢]. ولذلك نرى الميت يشْخَص[٣] قبل خروج روحه، فاعمل - أيها المؤمنُ! - لساعتك هذه، فلذلك: ﴿فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١].

= هذه القصة ذكرها ابن خلكان في «وفيات الأعيان» ٢/٢٣، نقلاً عن «نشوار المحاضرة» للتنوخي، ونقلها الذهبي في «تاريخ الإسلام» ١٦/٣٩٥، وفي «سير أعلام النبلاء» ٨/٣٩٠، وأشار إلى ضعفها فصدرها في الكتاب الأول بقوله: «وبلغنا»، وفي الثاني: «قيل»، وهكذا صنع ابن تغري بردي في «مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة» ١/١٤٨ فقال: «ويُحكى».

(١) ليست في (ق).

(٢) يشير إلى الحديث الذي أخرجه أحمد في «مسنده» ٢/٣٤٦ (٨٥٥٦)، ومسلم في «صحيحه» (٢٦٨٥)، والنسائي في «المجتبى» ٤/٩ (١٨٣٤)، وفي «السنن الكبرى» (١٩٦٠) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»**. قال: فأتيت عائشة فقلت: يا أم المؤمنين، سمعت أبا هريرة يذكر عن رسول الله ﷺ حديثًا إن كان كذلك فقد هلكنا، فقالت: إن الهالك من هلك بقول رسول الله ﷺ، وما ذاك؟ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»**. وليس منا أحد إلا وهو يكره الموت، فقالت: قد قاله رسول الله ﷺ وليس بالذي تذهب إليه، ولكن إذا شخص البصر، وحشرج الصدر، واقشعر الجلد، وتشنجت الأصابع، فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه.
والللفظ لمسلم، وقد ورد أيضًا من حديث أنس وأبي موسى رضي الله عنهما.

(٣) شَخَصَ الرجل بِبَصَرِه عند الموت يَشْخَصُ شُخُوصاً: رَفَعَه فلم يَطْرِفْ.

قال بعضهم: دخلت كهفًا فوجدت شيخًا قد نحل من الهرم وهو ساجد يبكي، ويقول: لئن أطلت عنائي[1] في الدنيا وعذبتني في الآخرة، لقد أبعدتني وأهنتني يا كريم. فلما قضى سجوده سلمت عليه، وقلت له: ما حملك على الانقطاع؟ قال: يا أخي، من طلب الله لم يرض بغيره عوضًا، فحيثما وجدت قلبك أقرب إلى الله فلا تطلب غيره. قلت له: فالقوت من أين؟ قال: الأمر أقل من ذلك؛ إذا احتجنا إلى ذلك فنبات الأرض وقلوب الشجر. قلت: ألا أحملك إلى مواضع الخصب؟ قال: الخصب حيث يطاع الله عز وجل، ولا حاجة لي بالناس. قلت له: أوصني. قال: لا تدَّخر من نفسك شيئًا، ولا تؤثرن بحظك من الله أحدًا، وارع حدود الله عند مغالبة الهوى، ولا ترد بعملك غير الله تعالى والسلام. ثم اشتغل عني بالبكاء[2].

فانظر - رحمك الله! - إلى خوف أهل الطاعة، مع كثرة الاجتهاد والانقطاع والقناعة؛ (وإلى أمننا)[3] مع الاختلاط بالناس، والتخليط، وحب الدنيا، وترك العمل الصالح مع وجود الاستطاعة، والمصيبة العظمى غفلة أحدنا عن الموت وأهوال يوم الساعة مع كثرة الإفلاس وقلة البضاعة.

كان مالك بن دينار - (رحمنا الله تعالى به)[4] - إذا صلى ورده ليلاً يقول: إلهي خلقت دارين وخلقت لكل دار أهلاً، ولا أدري من أي الدارين أنا، اللَّهم حرِّم شيبة مالك على النار[5].

---

(١) في (ب): غيابي.

(٢) لم أقف عليه، وسلوك هذا الشيخ مخالف لمنهج النبي ﷺ وسنته وهديه المتواتر في عبادته ومعيشته ومعاناته لشؤون الحياة، وهو أعلم الناس بالله وبدينه وشرعه، وأتقاهم له، وأعظمهم خوفًا وعبادةً ورغبة فيما عند الله عز وجل، وخير الهدي هدي محمد ﷺ. (ت)

(٣) في (خ): ولا تمتنا.

(٤) ليست في (ق). وهذا من التوسُّل الممنوع، وهو من الوسائل المؤدية إلى الشرك، لهذا قال جمهور أهل العلم بتحريمه، وهو مذهب الحنفية أيضًا. (ت)

(٥) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص ٣٢٥)، وأبو نعيم في «الحلية» ٣٦١/٢ بنحوه دون قوله: إلهي خلقت دارين. وانظر «إحياء علوم الدين» ٣٥٥/١.

فانظر أيها المؤمن إلى صفات الأبرار، فمن سوء الحال والاغترار أن يعمل أحدنا عمل الفجار، ويطلب منازل الأخيار، فالحق سبحانه خوَّفهم ليجمعهم عليه، وليؤمنهم يوم يوقفهم(١) بين يديه، قال الله تعالى في كتابه المكنون: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٦٨﴾ [الزخرف: ٦٨].

فمن اتصف بصفات هؤلاء المتقين؛ أمَّنه الله تعالى يوم الفزع الأكبر، وحشره معهم عن يقين، (وقد أوردت حكاية مالك بن دينار رحمه الله لقوله: لا أدري من أي الدارين أنا؟)(٢).

واسمع قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾ [الأحقاف: ٩]، فأهل اليقظة لا يعلم أحدهم ما غاب عنه من أمر الدنيا، ولا من أمر الآخرة ولا إلى ماذا مصيره، فكيف يعلمها المنجِّم وهو أعمى القلب والبصيرة؟! فالعاقبة مغيَّبة، والإرادة غير مغالبة، ولا يكون أبدًا إلا ما يريد؛ فسلم لربوبيته، وكن من جملة العبيد؛ يأتيك من الله الخير والمزيد، فالأشياء كلها إليه مصروفة، والخاتمة والاستقامة على مشيئته موقوفة.

ولا يدرك أحد شيئًا إلا بمشيئة الله تعالى؛ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الإنسان: ٣٠]، وكان كثيرًا يحلف ﷺ: **«لا ومقلِّب القلوب»**(٣)، أي: يصرِّفها أسرع من البرق(٤).

فمن رضي الله عليه صرف قلبه إلى ما يقربه إليه، ومن لم يرض عنه

---

(١) في (ق): يقفون.

(٢) ليست في (ق).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢/٢٥ (٤٧٨٨)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٧٤١)، والدارمي في «سننه» (٢٣٥٠)، والبخاري في «صحيحه» (٦٦١٧)، وأبو داود في «سننه» (٣٢٦٣)، وابن ماجه في «سننه» (٢٠٩٢)، والترمذي في «جامعه» (١٥٤٠)، والنسائي في «المجتبى» ٧/٢ (٣٧٦١)، وفي «السنن الكبرى» (٤٧٠٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

(٤) في (خ): الريح.

صرف قلبه إلى ما (يبعده عنه)[1]، ويسوِّد وجهه يوم يقف بين يديه، وفي التنزيل: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤].

قال العلماء: يحول بين المرء وعقله حتى لا يدري ما يصنع العبد.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: إن الهدهد كان يرى الماء من تحت الأرض، ويخبر به سليمان عليه السلام. فقال نافع[2]: فما باله[3] لا يرى الفخ؟ قال ابن عباس للرجل: إنها كلمة ألقاها الشيطان في فيك، ألا ترى إذا جاء القضاء عمي البصر[4]. وفي الحديث أن النبي ﷺ كان يكثر أن يقول: «**يا مثبت القلوب ثبِّت قلبي على طاعتك**». فقالت عائشة: يا رسول الله، إنك تكثر أن تدعو بهذا الدعاء، فهل تخشى؟ قال: «**وما يؤمنني يا عائشة؛ وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الجبار، إذا أراد أن يقلب قلب عبدٍ قلبه**»[5].

ورُوي: «**إنَّ الرجلَ ليعمل الزَّمن الطويل بعمل أهل الجنة، ثم يختم له [عملُه] بعمل (أهل النَّار، وإنَّ الرجلَ ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم [له] عملُه بعمل)[6] أهل الجنَّة**». رواه مسلم[7].

---

(١) في (ق): لا يقربه إليه.

(٢) هو ابن الأزرق رأس الخوارج.

(٣) في (ق): له.

(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٩٠٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦٢١٢).

(٥) أخرجه بهذا السياق أحمد في «مسنده» ٦/٢٥٠ (٢٦١٣٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤٦٦٩) من حديث عائشة.
وأخرجه من حديث أنس رضي الله عنه الترمذيُّ في «جامعه» (٢١٤٠) وغيره، قال الترمذي: هذا حديث حسن. وصححه الألباني في «المشكاة» (١٠٢).

(٦) ليست في (خ).

(٧) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢/٤٨٤ (١٠٢٨٦)، ومسلم في «صحيحه» (٢٦٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ، قال: . . . فذكره، واللفظ لمسلم، والزيادتان منه.
وقد ورد من حديث عائشة وابن مسعود رضي الله عنهما.

قال [أبو][١] محمدٍ عبد الحقِّ: اعلم أن سوء الخاتمة أعاذنا الله منها لا تكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه، ما سُمع بهذا ولا عُلم به ـ والحمد لله ـ وإنما تكون لمن كان له فسادًا في العقيدة، أو إصرارًا على الكبائر، أو إقدامًا على العظائم ـ والعياذ بالله، ثم العياذ بالله ـ أو[٢] يكون ممن كان مستقيمًا، ثم تغيَّر عن حاله، وخرج عن سنته، (وأخذ في غير طريقته)[٣]؛ فيكون ذلك سببًا لسوء خاتمته، وشؤم عاقبته[٤]. كإبليس الذي عبد الله ثمانين ألف سنة، ثم تكبَّر على آدم؛ فأحبط الله عمله، وقُطع من الجنة والرحمة أمله. وبلعام بن باعورا[٥] الذي آتاه الله تعالى آياته فانسلخ منها بخلوده إلى الأرض، واتبع هواه، وبرصيصا العابد[٦] الذي قال الله تعالى في حقه: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾ [الحشر: ١٦]. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، فمتى لزم القلب السنة، وعلى طاعة الله تعالى أقام؛ سلَّمه الله تعالى

---

(١) ليست في النسخ، وأبو محمد هو عبد الحق بن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد بن إبراهيم الأزدي الأندلسي الإشبيلي، المعروف بابن الخراط (ت: ٥٨١ هـ) صاحب كتاب «الأحكام» وغيره.

(٢) في (ق): أن.

(٣) ليست في (خ).

(٤) «العاقبة في ذكر الموت» (ص ١٨٠ ـ ١٨١) لعبد الحق الإشبيلي، وهذا لفظه كما في كتابه المطبوع: «واعلم أنَّ سوء الخاتمة ـ أعاذنا الله منها ـ لا يكون لمن استقام ظاهره، وصلح باطنه، وإنما يكون ذلك لمن كان له فساد في العمل، وإصرار على الكبائر، وإقدام على العظائم، فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة، ويثب عليه قبل الإنابة، ويأخذه قبل إصلاح الطوية، فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمة، ويختطفه عند تلك الدهشة، والعياذ بالله، ثم العياذ بالله أن يكون لمن كان مستقيمًا: لم يتغير عن حاله، ويخرج عن سنته، ويأخذ في غير طريقه، فيكون ذلك سببًا لسوء الخاتمة، وشؤم العاقبة، والعياذ بالله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١٣]. . .».
وفي نقل المؤلف: (فسادًا. . . إصرارًا. . . إقدامًا)، كذا في نسخ كتابه، وهو خطأ نحوي.

(٥) انظر قصته في «تفسير الطبري» ١٣/٢٥٣ وما بعدها.

(٦) انظر قصته في «تفسير الطبري» ٢٣/٢٩٦.

من سوء الخاتمة، والجنة له مقام، ومتى زاغ القلب وابتدع يخاف عليه، والله عزيز ذو انتقام، ونسأل الله تعالى الاستقامة، ولزوم السنة، والأمن من فزع يوم القيامة، فترى الصالحين كل منهم خائف حزين، يتأوه ويبكي ويئنُّ لإبهام الخاتمة، ولما تقدم من حديث سيد المرسلين. وقد أخبر عنهم رب العالمين بقوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [الطور: ٢٥ ـ ٢٦] أي: خائفين.

سمعت عائشة رضي الله عنها قارئًا يقرأ: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الطور: ٢٦ ـ ٢٧]، فبكت وقالت: رب منَّ عليَّ وقني عذاب السموم(١).

وروي أن النبي ﷺ استأذن عائشة وكانت ليلتها، وقام يصلي، وأطال القيام ثم الركوع ثم السجود، حتى ظنت عائشة أن الله سبحانه قبض نبيه في سجوده، ثم جلس يبكي في وقت السحر، فدخل عليه بلال وقال: أتبكي يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! قال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**»(٢).

وصحَّ أن ضحكه ﷺ كان تبسمًا(٣)، وروي أنه قال لجبريل عليهما السلام: «**ما لي لا أراك ضاحكًا؟ فقال جبريل: يا محمد، ما ضحكت منذ خلقت النار**»(٤).

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٤٠٤٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» ٢/٣٧٥ بنحوه.

(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٦٢٠)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي ﷺ» (ص ٢٠٠ ـ ٢٠١) من حديث عائشة رضي الله عنها.
وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٦٨).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ٥/١٠٥ (٢١٠٠٤)، والترمذي في «جامعه» (٣٦٤٥)، وفي «الشمائل» (٢٢٦) من حديث جابر بن سمرة.
وورد من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء أخرجه الترمذي في «جامعه» (٣٦٤٢) وصححه الترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٨٦١).

(٤) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص ٣٦) من حديث رباح قال: حُدِّثْت أنَّ النبي ﷺ قال=

وكان الصحابي إذا أصبح كأنه خرج من قبر من قوة خوفه وكثرة اجتهاده، وكانت زوجة الصحابي تتعلق به قبل خروجه من بيته وتقول: الله الله فينا، لا تدخلوا فيما لا يحل لكم لأجلنا، نصبر على الجوع ولا نصبر على النار(١).

وخرج بعض الصحابة بعدما صلى العشاء خلف النبي ﷺ يريد بيته، فوقف يتفكر في الطريق حتى أذَّن بلال الفجر، فرجع وصلى مع النبي ﷺ صلاة الصبح بوضوء العشاء(٢).

وروي أن جماعةً من الصحابة ومن التابعين رضي الله عنهم أجمعين صلُّوا بوضوء العشاء الصبحَ أربعين سنة، ومن جملتهم أبو حنيفة(٣). (ونسأل الله اللطف بقدرته اللطيفة)(٤)، قال الله عز وجل: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٧ ـ ١٨]، يديمون الصلاة إلى الأسحار، ثم يأخذون في الاستغفار، فهم رضي الله عنهم ما أسلفوا الجرائم في ليلهم، لكن هذه من عادة الأبرار: الطاعة والأذكار والندم والاستغفار.

قيل لعطاء السلمي في مرضه الذي مات فيه: ما تشتهي؟ قال: ما ترك خوف جهنم في قلبي موضعًا للشهوات(٥). وقيل: إنه مكث أربعين سنة لم ينظر إلى السماء، فنظر يومًا، فسقط إلى الأرض، وانفتق في أمعائه فتق(٦).

= لجبريل عليه السلام: «**لِم تأتني إلا وأنت صارٌ بين عينيكَ؟ قال: إني لم أضحك منذ خلقت النار**». وهذا منقطع كما ترى.

(١) انظر «إحياء علوم الدين» ٥٨/٢.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) «البداية والنهاية» ١١٤/١٠.

(٤) ليست في (ق).

(٥) انظر «إحياء علوم الدين» ١٨٥/٤.

(٦) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ٢٢١/٦.

ودخل المزني على الشافعي في مرضه الذي مات فيه، وقال له: كيف تجدك يا إمام؟ قال: أصبحت من الدنيا راحلاً، ولإخواني مفارقًا، ولسوء أعمالي ملاقيًا؛ فما أدري هل أنا من أهل الجنة فأهنِّى أم من أهل النار فأعزِّى[(١)]، ثم أنشد رضي الله عنه يقول:

أسفي أموت وليس لي عملٌ به نفسي تطيب
والغبن أني راحلٌ ما لي من التقوى نصيب

وقال محمد بن يوسف: تأملت سفيان ليلةً بكى حتى أصبح، فقلت: أتبكي على الذنوب؟ قال: لا، بل خوفًا أن أسلب الإيمان[(٢)].

وكان إبراهيم بن أدهم لا يزال مهمومًا، فقيل له في ذلك، قال: كيف نأمن وإبراهيم الخليل عليه السلام يقول: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، ويوسف الصديق ﷺ يقول: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]؟![(٣)].

وقال إمام الحرمين: إذا سمعت أخبار الكفار في النار وخلودهم فيها فلا تأمن على نفسك، فإن الأمر على خطر، فما تدري ماذا يكون من العاقبة؟ وماذا سبق في حكم الغيب؟ فلا تغترَّ بصفاء الأوقات، فإن تحتها غوامض الآفات[(٤)].

---

(١) أخرجه البيهقي في «الزهد الكبير» (٥٧٥) دون ذكر الشِّعر.

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وأخرج أبو نعيم في «الحلية» ١٢/٧ عن عبد الرحمٰن بن مهدي قال: مات سفيان الثوري عندي، فلما اشتد به جعل يبكي، فقال له رجل: يا أبا عبد الله، أراك كثير الذنوب، فرفع شيئًا من الأرض فقال: والله لذنوبي أهون عندي من ذا، إني أخاف أن أسلب الايمان قبل أن أموت.
ومن طريق أبي نعيم أخرجه ابن الجوزي في «الثبات عند الممات» (ص ٨١) بنحوه.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) ذكره المناوي في «فيض القدير» ٤٥٦/١، ولم يذكر مصدر النقل عن إمام الحرمين، وهو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجُوَيْني (٤١٩ - ٤٧٨هـ) رحمه الله.

وأُنشد في نحو ذلك:

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ... ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها ... وعند صفو الليالي يحدث الكدر

قال الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٧ - ٩٩].

قال بعض العلماء: إن أكثر ما يجد المؤمن في صحيفته من الحسنات الهم والحزن.

قال المؤلف: ولَأَنْ يكونَ المؤمنُ في الدنيا مخمولاً مهمومًا، خيرٌ له من أن يكون كذلك في الآخرة؛ لأن هموم الدنيا فانية، وهموم الآخرة باقية، قال الله تعالى مخبرًا عن أهل النار: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤]. تفسيره: لا يموت في جهنم فيستريح، ولا يحيا حياة تنفعه.

قال الثوريُّ يومًا بين يدي رابعة: واحزناه. قالت: لا تكذب، لو كنت محزونًا ما هنأ لك العيش[(١)].

انظر - رحمك الله! - إلى خوف هؤلاء السادة مع الزهد والعبادة، وإلى أَمْنِنَا مع حبِّ الدنيا والمخالفة لعالم الغيب والشهادة.

ثم اعلم بأن الخوف مع وجود الطاعة والاستقامة هما طريق من أخذ الله تعالى بيده وأقامه، وهما نعمتان عظيمتان؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦]. فإن قيل لك: أتخاف الله تعالى، ولم يظهر فيك صفات الخائفين! فاسكت؛ لأنك إن قلت: نعم. تقع في الكذب، وإن قلت: لا. فتكفر.

ثم اعلم بأنَّ القبض والخوف أقرب إلى وجود السلامة من البسط؛

---

(١) أخرجه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص ٣٨٩).

لأن القبض هو وطن العبد؛ إذ هو في أسر قبضة الله تعالى، ومن أن يكون للعبد البسط؛ لأنه خروج عن حكم وقته، والخوف أليق بحكم هذه الدار؛ لأنها موطن التكليف، وإبهام الخاتمة، وعدم العلم بالسلامة، والمطالبة بالوفاء، وأن لا يخرج العبد عن طريق النبي المصطفى، وعن طريق أصحابه أهل الخير والجود والوفاء.

قال بعض الصوفية: رأيت شيخي بعد موته في المنام مقبوضًا، فقلت له: يا أستاذ، ما لك مقبوضًا؟ قال: يا بني، القبض والبسط مقامان؛ من لم يوفهما في الدنيا، وفاهما في الآخرة. وكان هذا الشيخ الغالب عليه في حياته البسط، وأنشد بعضهم يقول:

عجبتُ لمن يدوم له السرورُ ... ويعلم أن مسكنه القبور
ومن يمسي ويصبح في أمانٍ ... وموعده القيامة والنشور

وقال بعض المشايخ: بلغني أن الإنسان خلق أحمق، ولو لم يكن كذلك ما هنئ له العيش[1].

قال المؤلف: لأنَّ الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر كما جاء في الحديث[2]، ولا يجد الراحة المسجون، ومن عادة المسجون أن يحدق بعينيه ويصغي بأذنيه متى يُدعى، فيجيب. وفي حديثٍ آخر: لا راحة للمؤمن دون لقاء ربه[3].

فاعمل - رحمك الله! - على الراحة الطويلة، فلذلك فليعمل العاملون،

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (٢٦) من كلام الثوري رحمه الله تعالى.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢/٣٢٣ (٨٢٨٩)، ومسلم في «صحيحه» (٢٩٥٦)، وابن ماجه في «سننه» (٤١١٣)، والترمذي في «جامعه» (٢٣٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص ١٥٦) موقوفًا على ابن مسعود رضي الله عنه.
وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٦٦٣): لا أصل له مرفوعًا، وهو صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه.

واسمع قوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزخرف: ٦٨]. فالدنيا طريق نصب، فيه آدم نصب، وفيه ناح نوح وما استراح، وعُرض الخليل على النار للاختبار، وفقد يعقوب بصره، وابتُلي بالرق يوسف، ونُشر بالمنشار زكريا، وذُبح يحيى، وابتُلي بالبلاء أيوب، وبكى حتى نبت العشب من عبرته داود، وتكدر عيش سليمان في ملكه، ورعى موسى الغنم من أجله، وهام في البراري عيسى ابن مريم، وعالج النبي المختار الفقر، مع حمل أذى الكفار، ﷺ وعلى جميع الأنبياء، وعلى أتباعهم السادة الأخيار، صلاةً دائمة إلى يوم القرار.

فترى أحدنا قد أُعمي قلبه بحب الدنيا، لا يعمل إلا على راحة نفسه، ولا بد من المخالفة للمولى الكريم، ويطلب من قلة حيائه أن يكون مع أنبياء الله تعالى وأوليائه في جنات النعيم، وقد أجمع العلماء والحكماء أنه لا يدرك نعيم بنعيم.

وقيل: إن إبراهيم بن أدهم أراد أن يدخل الحمام، فمُنع من الدخول، فبكى وقال: اللَّهم لا يُؤذَن لي بالدخول إلى بيت الشيطان مجانًا[1]، فكيف يؤذن لي بالدخول إلى بيت النبيين والصديقين مجانًا؟![2] وكانت رابعة تقول:

ما بالُ دينك ترضى أن تدنِّسه ... وثوبك الدهر مغسولٌ من الدَّنَس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجري على اليبَس[3]

وقول هذه السيدة يناسب قولَه ﷺ: «**الكَيِّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله**». وسبب هذا الحديث أنَّ رجلاً مُدِحَ بين يدي النبي ﷺ بالكياسة، قال لهم: «**الكيِّس من دان نفسه...**» الحديث، هذا سببه[4]، ومعناه والله أعلم: أي لا يعمل العبد

(١) في (خ): نجانا الله منه.

(٢) انظر تفسير «روح البيان» ٤/١٨٤.

(٣) انظر تفسير «روح البيان» ٢/٩٧.

(٤) سلف هذا الحديث وذكرنا مصادره من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه، وإسناده=

عمل الفجار، ويطلب منازل الأخيار، لكن يجب على العبد أن يجتهد في التوبة، وقصر الأمل، ثم يسأل الله تعالى الجنة، وما قرب إليها من قول وعمل.

وقد طوَّلنا هذا الباب عسى أن ترجع هذه النفس خُطَيوة[(١)] مما هي عليه من حب الدنيا، ومما يسوِّد وجهها يوم القدوم على الله سبحانه، وحين[(٢)] تقف بين يديه، وعجبٌ إن رجعت لشقوتها؛ ولأن الدنيا في قلبها قد رسخت، وعلامات الشقاء في وجهها قد ظهرت، ونجوم سعادتها قد أَفَلَت.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أربع من الشقاء: جمود العين، وقسوة القلب، والحرص على الدنيا، وطول الأمل**»[(٣)].

قال مالك بن دينار رحمة الله عليه: البدن إذا سقم لا ينجع فيه طعام ولا شراب، والقلب إذا علق فيه حب الدنيا لا تنجع فيه المواعظ[(٤)]. فالويل

= ضعيفٌ، وليس فيه بيان السبب الذي ذكره المؤلف رحمه الله، لكن ورد في حديث آخر:

أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥٤٥) من طريق محمد بن يونس الكديمي، قال: حدثنا عون بن عمارة العبديُّ، قال: حدثنا هشام بن حسان، عن ثابت، عن أنس بن مالكٍ قال: جاءت بي أم سُليم إلى النبيِّ ﷺ فقالت: يا رسول الله! خادمُك أنسٌ، فادع له، وهو كيِّسٌ، وهو عارٍ يا رسولَ الله، فإن رأيتَ أن تكسوه رَازِقِيَّتَيْنِ يَسْتَتِرُ بهمَا؟ فقال رسول الله ﷺ: «الكيِّس من عمل لما بعد الموت، والعاري العاري من الدين، اللَّهُمَّ! لا عيش إلاَّ عيشَ الآخرة، اللَّهُمَّ اغفر للأنصار والمهاجرة».

وهذا إسناد ضعيف جدًا أو موضوع، محمد بن يونس الكديمي متروك الحديث، اتُّهم بوضع الحديث. (ت)

(١) في (ق): قليلا.

(٢) في (ق): يوم.

(٣) أخرجه ابن عدي في «الكامل» ٣/٢٤٨، وأبو نعيم في «الحلية» ٦/١٧٥، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٧٥٨).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٢/٣٦٣، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٢٥١) به.

ثم الويل لمن لعبت به الدنيا، ثم فقد قلبًا واعيًا، وطرفًا باكيًا، وعملاً زاكيًا، يكفي للعبد المبعود إقباله على نفسه وعلى هذا الوجود، وإعراضه عن السيد المعبود.

وهذه أمراض نسأل الله منها العافية، فكلُّ عليل يمكن علاجه[1] إلا عليلاً يعجبه مرضه، فما منع العباد من النفوذ إلى الله تعالى إلا إقبالهم على نفوسهم وجواذب التعليق بغير الله سبحانه وتعالى، فكلما همَّت قلوبهم أن ترحل إلى الله تعالى جذبها ذلك التعلق، فالحضرة محرمة على من هذا وصفه، وممنوعة على من هذا نعته، فلا يطمعنَّ طامع أن يدخل الحضرة الإلهية وخلفه من يجذبه.

واسمع قول المولى الجليل الرحيم: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩].

قال بعض العلماء: القلب السليم هو الذي لا تعلُّق له بشيء دون الله عز وجل.

قال المؤلف ـ (ألَّف الله قلبه على الإيمان، وسلَّمه والقارئ والسامع من الكفر والفسوق وحب الدنيا والعصيان)[2] ـ: لما سمع الصالحون قوله ﷺ: «**الدنيا جيفة تتجافى عنها الأنفس العفيفة**»[3]. ثم أقبلوا على الآخرة، واجتهدوا في إقامة الوظيفة، فلما علم الله تعالى صدقهم وضعفهم؛ أدركهم بقدرته اللطيفة، وهوَّن عليهم ما ثقل على غيرهم، فصارت بقدرته خفيفة.

قال علماء التفسير في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢]، قالوا: هو التجافي عن دار الغرور، والإنابة

---

(١) في (خ، ب): العلاج فيه.

(٢) ليست في (ق).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٨/٢٣٨ موقوفًا على عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله[1]، فمن عُدم هذا النور وقع في ظلمات الجهل، والتهى بدار الغرور.

سئل معروف الكرخي رحمه الله عن أولياء الله تعالى كيف قدروا على الطاعة؟ قال: بإخراج الدنيا من قلوبهم، ولو كانت في قلوبهم ما صحَّت لهم سجدة[2].

وقال الحسن البصري رضي الله عنه: والله ما عُبدت الأصنام بعد معرفة الرحمٰن إلا لحب الدنيا[3].

وقال حامد اللَّفَّاف: من شاء صدقني، ومن شاء كذَّبني، وإنه لا يستحق الرجل عبادة ربه ومعه خصلتان: قدر الشيء، وقدر النفس[4].

قال المؤلف: متى عظَّم الإنسان نفسه ودنياه كان محقورًا عند خالقه ومولاه؛ لأنه عظَّم ما قلله الله، فحينئذٍ لا يعد من السعداء، ولا يفلح هذا العبد أبدًا، فمن تطهَّر من تعظيم نفسه، ومن حب هذه الدنيا الدنيئة؛ يجد حلاوة الطاعة، وتزكو له الأعمال الدينية، ويحبه الله تعالى، ويحببه لخلقه، ويلحقه بخير البرية.

فقد جاء في الحديث: «إن حب الدنيا وحب الله سبحانه وتعالى لا يجتمعان في قلب عبدٍ أبدًا»[5]. و: «إنَّ حبَّها رأسُ كل خطيَّة»[6]؛ فمن

---

(١) انظر «الجامع لأحكام القرآن» ١٥/٢٤٧.

(٢) أخرجه أبو عبد الرحمٰن السلمي في «طبقات الصوفية» (ص٨٥).

(٣) لم أقف عليه. وحامد اللفاف من تلاميذ حاتم الأصم، له بعض الأقوال والروايات في الزهد، ولم أجد ترجمته.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) ليس بحديث، وذكره الغزالي في «الإحياء» ٣٢٦/٤ قال: وفي أخبار داود: إن الله تعالى أوحى إليه: تزعم أنك تحبني، فإن كنت تحبني فأخرج حبَّ الدنيا من قلبك؛ فإنَّ حبي وحبها لا يجتمعان في قلب.

(٦) أخرجه البيهقي في «الشعب» (١٠٥٠١)، وقال الألباني في «الضعيفة» (١٢٢٦): موضوع.

تطهَّر مما تقدم ذكره من الدَّنس يحظَى بمدد الله تعالى في كل نفس. وقد جاء في الحديث الصحيح: أن الله سبحانه وتعالى لما خيَّر نبيه ﷺ بين الفقر والغنى، اختار الفقر على الغنى[1]، فلو كان في الكثرة خير لاختاره نبينا ﷺ، ولذلك قال علماء الحنفية: من لا يأخذ ولا يعطي أفضل ممن أخذ وأعطى[2].

أتظن أيها المؤمن أن النبي ﷺ جهل الاختيار لنفسه؟ فمن اتبعه من أمته حُشر معه، وحصل له الخير والمنى، فابْكِ على نفسك أيها المغتر بالدنيا، والسابق للبكاء أنا، قال المولى الغفور: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]. فاصغ لهذا الخطاب، واسأل الله العمل به (أيها العبد المرتاب)[3]، قال ﷺ: «**ما زال ربي معرضًا عن الدنيا وعمن غرَّقه فيها إلى يوم القيامة**»[4]، وقال المولى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٢٩﴾ [النجم: ٢٩]. فإذا ثبت أن الله سبحانه وتعالى قد أعرض عن الدنيا وقد أعرض النبي ﷺ عنها، وعن من أقبل عليها فكيف يفلح أو ينجح من قد شغل كله ببعضها، وقد أطال النظر إليها؟ كما قال بعضهم (ما يناسب هذا القول)[5]:

إذا كان شيء لا يساوي جميعه ... جناح بعوضة عند من أنت عبده
تملَّك[6] جزءٌ منه كلك ما الذي ... يكون غدًا في الحشر قدرك عنده

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢/٢٣١ (٧١٦٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٣٦٥) من حديث أبي هريرة قال: جلس جبريل إلى النبي ﷺ، فنظر إلى السماء، فإذا ملك ينزل، فقال جبريل: إنَّ هذا الملك ما نزل منذ يوم خلق قبل الساعة، فلما نزل قال: يا محمد، أرسلني إليك ربك، قال: أفمَلِكًا نبيًّا يجعلك أو عبدًا رسولاً؟ قال جبريل: تواضع لربك يا محمد. قال: «**بل عبدًا رسولاً**». وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٠٠٢).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) ليست في (ق).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) ليست في (ق).

(٦) في (خ): واشغل.

فترى الصادق في محبة الدنيا إن دخلت عليه فرح غاية الفرح، وأقبل على نفسه، وأخذ في البناء والعمارة، فيبني الدار لغيره، ويرضى لنفسه بفقر الآخرة والخسارة، وكم رئي من إنسان بنى دارًا ليسكنها صارت قبره، وربما زخرفها لزوج امرأته وداره خراب، وغرس غروسًا لعدوه، وعليه الحساب، فليته لا بنى ولا غرس.

أمر الخليفة هارون الرشيد أو غيره ببناء قبة في وسط لجة (ماء، وأجرى المهندسون الماء من أسفل القبة إلى أعلاها)[1]، وصار الماء يتفجر من (فوقها، ويُرى[2] من داخلها)[3]، فلما فرغ من عمارتها دخلها الخليفة فأعجبته، فنام (في ظلها، فسمع قائلاً يقول له في منامه)[4]:

أتبني بناء الخالدين وإنما	مقامك فيها لو عقلت قليل
لقد كان في ظل الأراك كفاية	لمن كل يوم يعتريه رحيل

فمات ذلك الخليفة بعد جمعة[5].

فيا حسرة عبد يعتد لصيفه وشتائه ولما يهواه، ولا يتجهز للقاء سيده وخالقه ومولاه، فيترك زاد التقى مع علمه بقرب الرحيل، وقلة البقاء؛ فترى عمر الغافل منهوبًا قد أسكره حب الدنيا، فابتلي بالغفلة وما حصَّل مطلوبًا، وأهل اليقظة تفرقوا عن جميع الكائنات وانجمعوا على المحبوب، فطاب عيشهم وحصل لهم المطلوب. قال قائلهم:

كانت لقلبي أهواءٌ مفرقة	فاستجمعت مذ رآك القلب أهوائي
فصار يحسدني من كنت أحسده	وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي

انظر - رحمك الله! - إلى أوصاف إخوانك المؤمنين، فترى أحدنا

(١) ليست في (ق).
(٢) في (ب): ويجري.
(٣) في (ق): جوانبها.
(٤) في (ق): فيها فسمع منشدًا ينشد.
(٥) تقدمت هذه الحكاية، وذكرنا مصدرها هناك.

يخالف إخوانه ويفتح على نفسه أبواب الرخَص فيضيع وقته، فيهلك مع جملة الهالكين.

كان شيخُنا رحمه الله يقول: ما أَقلَّ بركةَ مالٍ وقع فيه أيدي النَّاهبين.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما مات عثمان بن مظعون رضي الله عنه كشف النبي ﷺ الثوب عن وجهه، وقبَّل بين عينيه، وبكى بكاءً طويلاً، فلما رفع على السرير قال: «**طوبى لك يا عثمان، لم تلبسك الدنيا ولم تلبسها**»[1] رواه البغويُّ، واسمه: عبد الله.

---

(١) أخرجه أبو الحسن الطيوري في «الطيوريات» ٣/٩٢٠ من طريق عبد الله بن محمد البغوي، قال: حدثنا محمد بن عبد الواهب الحارثي، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير، عن يحيى بن سعيد، عن القاسم بن محمد، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: لما مات عثمان بن مظعون كشف النبيُّ ﷺ الثوب عن وجهه، وقبَّل بين عينيه، ثم بكى طويلاً، فلما رُفع السرير، قال: «**طُوبى لك يا عثمان! لم تلبَسْكَ الدنيا ولم تلبسها**».
وقال الطيوري: غريب من حديث يحيى بن سعيد الأنصاري، عن القاسم بن محمد، تفرد به محمد بن عبد الله بن عبيد، والله أعلم.
وأخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» ٢١/٢٢٤، وابن الجوزي في «المنتظم» ٣/١٩١ من طريق البغوي - وهو أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي (ت: ٣١٧هـ) -، به.
وقال ابن عبد البر في «الاستذكار» ٣/١٢٠: وقد رويناه متصلاً مسندًا من وجه صحيح حسن، ذكرتُه في «التمهيد» من حديث يحيى بن سعيد، . . . فساقه.
قلتُ: كذا قال رحمه الله، والصواب أن إسناده ضعيف جدًا من أجل محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير، فقد ضعفه ابن معين، وقال: ليس بثقة. وقال: ليس حديثه بشيء. وقال البخاري: منكر الحديث. وقال النسائي: متروك الحديث. وقال الدارقطني: ضعيف. وقال مرة: متروك.
وقد ورد هذا الحديث مختصرًا بإسناد أحسنُ حالاً من هذا، فأخرجه أحمد ٦/٤٣ و٥٥ و٢٠٦، وابن ماجه (١٤٥٦)، وأبو داود (٣١٦٣)، والترمذي (٩٨٩)، وفي «الشمائل» (٣٢٦) من طريق عاصم بن عبيد الله، عن القاسم بن محمد، عن عائشة، قالت: قبَّل رسول الله ﷺ عثمان بن مظعون وهو ميت، فكأني أنظر إلى دموعه تسيل على خديه.
وقال الترمذي: حديث عائشة حديث حسن صحيح. =

وروى زيد بن أرقم أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه استسقى ماءً، فأتي بماء وعسل[1] في إناءٍ؛ فلما أدناه من فيه بكى وأبكى من حوله؛ ثم سكت وسكتوا، ثم عاد فبكى حتى ظنوا أنهم لا يقدرون على مساءلته، ثم مسح وجهه وأفاق، فقالوا: ما هيج هذا البكاء عليك؟ قال: كنت مع النبي ﷺ فجعل يدفع عنه شيئًا: «**إليك عني**». ولم أر أحدًا معه، فقلت: يا رسول الله، أراك تدفع شيئًا ولم أر أحدًا معك؟ فقال: «**هذه الدنيا تمثلت لي بما فيها، فقلت لها: إليك عني. فتنحَّت وقالت: والله لئن انفلتَّ مني لا ينفلت مني من بعدك**». فخشيت أن تكون قد لحقتني فذاك الذي أبكاني[2].

قال المؤلف: متى ملأ حب الدنيا القلوب التي في الصدور، توقفت على أربابها جميع الأمور، فلا يجدون حلاوة الطاعة، ولا ينزل نور العلم لقلوبهم لغفلة أحدهم وذهوله عن الموت وأهوال يوم الساعة، فتراه إذا صلى وحده توسوس ونقر الصلاة، ودرج القراءة ليتفرغ لحظوظ نفسه، فبئس ما قدم والله من البضاعة بين يدي الساعة، وإن صلَّى مع القوم سبق إمامه، والدنيا واقفة أمامه؛ فتارةً يعبث بلحيته، (وتارةً ينظر لجبته)[3]، ويعدل العمامة، وأما القلب فقد أعماه حب الدنيا، وهو غافل عن أهوال يوم القيامة، قد ملأت الدنيا عينه وقلبه وسمعه، لها ينظر، ولها يسمع، ولها يأخذ، ولها يمنع، اللَّهم سلمنا من شر هذه الأربع.

فتراه لا يقبل قول ناصح، ولا يتعظ بكلام رجل صالح، دينه هواه، وحديثه دنياه؛ وهذا حال من خذله خالقه ومولاه؛ فإن جمع المحب للدنيا منها ما يكفيه، وقيل له: تفرغ من هموم هذه الدنيا الفانية فالموت قريب، واعمل على كل شيء يؤمنك يوم القيامة، ويوصلك إلى الحبيب، لا يسمع

= قلتُ: عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب ضعَّفه ابن معين، وقال البخاري وغيره: منكر الحديث. ومدار الحديث عليه، لهذا جزم الألباني بضعفه في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٦٠١٠)، والله أعلم. (ت)

(١) في (ق، ب): وغسل.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٣١/١.

(٣) ليست في (ق).

شيئًا من هذا؛ ولذلك قالوا: لا تقل للمحب فيما يحب إلا ما يحب، ألا ترى إلى هذا القليل السعادة كيف يقول للدنيا: إن الدنيا ليست بشيء، ولا يزداد فيها إلا محبة وإرادة، فيخالف قولُه فعلَه[1]، ويصير ممقوتًا عند عالم الغيب والشهادة.

فلا تتعب أيها المؤمن نفسك معه، فهو عالمٌ بما تقول له وزيادة؛ لأن الدنيا لم تُبق له سمعًا يسمع به الحكمة من أهل الله تعالى المخصوصين بالاصطفاء والسعادة. وقد جاء في الحديث: «**لا تُلقوا الحكمةَ على غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم**»[2]، فلا تخالف الحديث؛ فهو لا يسمع منك أبدًا، قال المولى: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

هل رأيت محبًّا يفارق محبوبه؟! فتراه غافلًا في مكان اليقظة، وفي موضع أسبغ الحق سبحانه على الطائفين والعاكفين والمصلين والناظرين فضله وإنعامه؛ يطوف بقالبه وقلبه يذكر ماله وأنعامه، قد أعرض في طوافه عن ذكر مولاه، وشغل غيره ونفسه بذكر دنياه، فمثله كمثل من أهدى لسيده دُرًّا ثم أخلط فيه بعرًا؛ فبئس ما قدمت يداه، فإن نصحه النُصَّاح لم يقبل[3] وقال: هذا أمرٌ مباح. ولا يعجبه إلا ذكر الدنيا، ومن ذكر محبوبه استراح، قد فتح على نفسه أبواب الدنيا والرُّخَص فأسكراه؛ فلا تراه قط صاحٍ.

(وهذه الأحوال من بعض صفات المؤلف لهذا الكلام)[4]، فسبحان من يظهر الجميل، ويستر الذنوب القباح، ونسأل الله تعالى لنا ولجميع المسلمين اليقظة وحسن الخاتمة، وأن يجعلنا من أهل الدين والخير

---

(١) في (خ، ب): وفعله.

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه عبد بن حميد في «مسنده» (٦٧٥)، والحاكم في «المستدرك» ٤/ ٢٧٠.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح. وتعقبه الذهبي بقوله: هشام بن زياد متروك.

(٣) في (ط): ينس.

(٤) ليست في (ق).

والصلاح، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم، وآله وصحبه وسلم، ما غاب نجم ولاح.

قال بعض العلماء: بلغنا أن جماعةً من الصحابة ومن التابعين تصدقوا بجميع أموالهم خوفًا من فساد قلوبهم، وأن يحجبوا عن محبوبهم. انظر - أيها المؤمن! - إن كان قلبك أصفى من قلوبهم، جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال لبعض أصحابه: «**إن استطعت أنْ تلقى الله فقيرًا ولا تلقاه غنيًا فافعل**»(١).

واعلم أن القلب له وجهة واحدة متى توجه إليها حجب عن غيرها، قال الله تعالى: ﴿**مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ**﴾ [الأحزاب: ٤]. فمتى تفرَّغ القلب من محبة الدنيا وأهلها، سكن فيه محبة الله تعالى، وكذلك جاء في الحديث المشهور: «**إذا أحبَّ الله العبدَ زوَى عنه الدنيا**»(٢).

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٢١)، والحاكم في «المستدرك» ٣٥٢/٤، وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» ١٥٠/١ من حديث أبي سعيد الخدري، عن بلال رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يا بلال، الق الله فقيرًا ولا تلقه غنيًا» قال: قلت: وكيف لي بذلك يا رسول الله ﷺ؟ قال: «**إذا رزقتَ فلا تَخْبأْ، وإذا سُئلت فلا تمنع**». قال: قلت: وكيف لي بذلك يا رسول الله؟ قال: «هو ذاك، وإلا فالنار».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وردَّه الذهبي بقوله: «واهٍ»، وأحسن، فهذا الحديث منكر، وإسناده ضعيف جدًّا. وخرَّجه الألباني في «الضعيفة» (٦٧٤٢). (ت)

(٢) حديث صحيح أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٢٩٦)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢٦٧٣) و(٢٦٧٤)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٣٩٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٤٤)، والشجري في «أماليه» (٢٢٢٤) - باللفظ الذي ذكره المصنف - من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه.

وأخرجه الترمذي (٢٠٣٦) عن محمود بن لبيد، عن قتادة بن النعمان: أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أحب الله عبدًا حماه الدنيا، كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء**».

قال الترمذي: وهذا حديث حسن غريب، وقد روي هذا الحديث، عن محمود بن لبيد، عن النبي ﷺ، مرسلًا.

وأخرجه أحمد ٤٢٧/٥ و٤٢٨، والترمذي (٢٠٣٦) عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن=

(كان الشِّبليُّ يُنشد على سور عسقلان هذه الأبيات)[1]:

إن بيتًا أنت ساكنه غير محتاجٍ إلى السرج
ومريضًا أنت عائده قد أتاه الله بالفرج
وجهك المأمول حجتنا يوم يأتي الناس بالحجج[2]

وقد جاءت الآثار وكثرت الأخبار أن مثل الدنيا والآخرة كضرَّتين: إن أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى، وأنهما بمنزلة المشرق والمغرب، إذا أقبلت على أحدهما استدبرت الأخرى، وأنهما بمنزلة كفتي الميزان؛ إذا رجح أحدهما نقص الآخر، قال بعض السلف: من زهد في الدنيا مع التنعم فيها، مثله كمثل من غسل يديه من الزفر بالسمك، ومثل من تعبد مع طلب الدنيا كمثل من يطفئ النار بالحلفاء[3].

طلب الحواريون من عيسى عليه السلام بيتًا يعبدون الله فيه، فقال لهم: اذهبوا وابنوا بيتًا على الماء. فقالوا له: وهل يثبت بيتًا[4] على الماء؟! فقال: وهل تصح عبادة مع حب الدنيا؟![5].

= محمود بن لبيد، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله عز وجل ليحمي عبده المؤمن من الدنيا، وهو يحبه، كما تحمون مريضكم من الطعام والشراب، تخافونه عليه**».

قال الترمذي: وقتادة بن النعمان الظفري هو أخو أبي سعيد الخدري لأمه، ومحمود بن لبيد قد أدرك النبي ﷺ، ورآه وهو غلام صغير.

وأخرجه الحاكم في «المستدرك» ٤٤٤/٢ عن عاصم بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**إن الله تعالى ليحمي عبده المؤمن الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه**».

قال الحاكم: كذا قال عن أبي سعيد وفي حديث عمارة بن غزية، عن قتادة بن النعمان، والإسنادان عندي صحيحان والله أعلم.

والحديث صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٧٩ ـ ٣١٨٢).

(١) في (ق): وأنشد.

(٢) أخرج نحوه الخطيب في «تاريخ بغداد» ٣٩٦/١٤.

(٣) هذا الكلام برمته في «قوت القلوب» لأبي طالب المكي ٤٣٥/١.

(٤) كذا، وصوابه: (بيتٌ).

(٥) ذكره الغزالي في «إحياء علوم الدين» ٢٢٣/٤.

كشف لبعض الصالحين فرأى الدنيا في صورة جيفة، ورأى إبليس في صورة كلب، وهو جاثم عليها، ومنادٍ ينادي من فوق: أنت كلبٌ من كلابي، وهذه جيفة من خلقي، وقد جعلتها نصيبك مني، فمن نازعك شيئًا منها فقد سلَّطتك عليه[1].

ويفهم من قوله: من نازَعك شيئًا منها: أي من الدنيا. وأما الحاجة فليست من الدنيا؛ لما جاء في الإسرائيليات أن موسى ﷺ عرضت له حاجة، فقصد صديقًا له، فلم يقرضه شيئًا، فرجع مهمومًا، فأوحى الله إليه: كنت تطلب حاجتك مني؟ قال موسى: يا رب علمت مقتك للدنيا، فاستحييت منك أن أطلب شيئًا منها؛ فتمقتني، فأوحى الله إليه: يا موسى، الحاجة ليست من الدنيا[2]. قال الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١٤]، فمن أحب هذه السبعة فقد أحب الدنيا كلها، ومن أحب شيئًا منها فقد أحب بعضها، ومتى كانت الحاجة داعية إلى شيء منها فليست من الدنيا. وكان عيسى ابن مريم ﷺ والسلف الصالح يسمون الدنيا: خنزيرة![3] ولو وجدوا لها اسمًا شرًّا من ذلك لسموها به.

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «**لتأتينكم من بعدي دنيا تأكل أديانكم كما تأكل النار الحطب**»[4] وفي حديث آخر: «**إن لكلِّ أمةٍ فتنةً، وفتنةُ أمتي المال**». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح[5]، وفي خبر آخر: «**إنما**

---

(١) انظر «قوت القلوب» لأبي طالب المكي ٤٠٦/١.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٢٣٥/٥ من كلام يزيد بن ميسرة.

(٤) ذكره الغزالي في «إحياء علوم الدين» ٢٠٦/٣، وقال العراقي في «تعليقه على الإحياء»: لم أجد له أصلاً.

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» ١٦٠/٤ (١٧٤٧١)، والترمذي في «جامعه» (٢٣٣٦) من حديث كعب بن عياض رضي الله عنه.
قال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب. وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥٩٢).

أهلك من كان قبلكم الدينار والدرهم، وهما مهلكاكم». رواه البزَّار[١]. وقال صلوات الله عليه وسلامه: «**هلك الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة**»[٢]، وهذا الحديث فيه دليل أن الدنيا إذا زادت نقصت الآخرة، وإن كان الإنسان كريمًا على الله تعالى؛ (لذلك تركها الأولياء قبل أن تتركهم)[٣]، ولا خير في دنيا تنقص الآخرة، ولو دامت الدنيا لأهلها لا ينبغي أن يحسدوا عليها لنقص الآخرة، والأكدار في طرف العصا؛ لأنها إذا دخلت أشغلت وإذا ولَّت أحزنت. ويُخاف على المسلم أيضًا من الطغيان ومن طول الحساب؛ وأن لا يبلغه الله تعالى درجة الأحباب.

قال محمد بن واسع: رأيت كأني أستبق أنا وفلان إلى الجنة؛ فسبقني إليها، فقلت: بماذا سبقتني؟ فقيل لي: كان له ثوب واحد ولك ثوبان[٤].

وقال المؤلف: نخاف عليه من الطغيان؛ لقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق: ٦ ـ ٧]، فإن سلَّمه الله تعالى من الطغيان ومن التوبيخ والملامة، فاعلم أن العطب فيها أكثر من السلامة.

قال لقمان لابنه: يا بني، الدنيا بحرٌ عميق، غرق فيه أناس كثيرون، فاجعل سفينتك فيه تقوى الله تعالى لعلك تنجو[٥]، ولا أراك ناجيًا[٦].

---

(١) أخرجه البزار في «مسنده» (١٦١٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٢٩٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.
وقد ورد من حديث أبي موسى رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٢٤٥).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٠٥٤٧)، وأحمد في «مسنده» ٣٠٩/٢ (٨٠٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وقد ورد من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وصححه الألباني وانظر «السلسلة الصحيحة» (١٧٦٦).

(٣) ليست في (ق).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) في (خ، ب): لعلك ناج.

(٦) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٥٣٧)، وأحمد بن حنبل في «الزهد» (ص ١٠٤).

فابك على نفسك - أيها المغترُّ! - بالدنيا، والسابق للبكاء أنا، واتَّعظ بمن هدم الموت منه أركان ما بنى؛ فأصبح في لحده مسكينًا ذليلًا؛ بعد العزِّ والجاه والغنى، واسمع ما قال بعض الفضلاء:

إن لله عبادًا فُطنا	طلَّقوا الدنيا وخافوا الفتنا
فكَّروا فيها فلما علموا	أنها ليست لحيٍّ سكنا
جعلوها لجَّةً واتخذوا	صالح الأعمال فيها سُفنا

قال العلماء[1]: إن ثعلبة كان فقيرًا، (وكان يصلي الصلوات)[2] خلف النبي ﷺ فطلب[3] الدعاء من النبي ﷺ أن يوسِّع الله سبحانه عليه الدنيا، وعاهد الله سبحانه أن يكون في غناه صالحًا متصدقًا، فلما دخلت عليه الدنيا تمكَّن حبها من قلبه؛ فترك ما عاهد الله سبحانه عليه، وطغى في أفعاله وأقواله؛ أما الأفعال: فقلَّت صلواته خلف النبي ﷺ، ومنع الزكاة ونسي العهد. وأما في أقواله: لما سمع آية الزكاة قال: والله إنْ هي إلا أختُ الجالية[4]. فمات ثعلبة منافقًا، بعد ما كان موافقًا، وذلك في خلافة عمر رضي الله عنه. قال الله تعالى في حقه: ﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [التوبة: ٧٥ - ٧٧][5].

---

(١) في (ق): قيل.

(٢) في (ق): يصلي.

(٣) في (ق): فسأل.

(٤) قال الفيومي في «المصباح المنير»: قيل لأهل الذمة الذين أجلاهم عمر رضي الله عنه عن جزيرة العرب: جالية، ثم نقلت الجالية إلى الجزية التي أخذت منهم، ثم استعملت في كل جزية تؤخذ، وإن لم يكن صاحبها جلا عن وطنه، فيقال: استعمل فلان على الجالية، والجمع: الجوالي.

(٥) قصة ثعلبة مشهورة، وهي مع شهرتها منكرة لا تصحُّ، وقد أخرجها الطبراني في «المعجم الكبير» ٢١٨/٨ (٧٨٧٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٣٥٧) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه: أنَّ ثعلبة بن حاطب الأنصاري أتى رسول الله ﷺ فقال: يا=

وكذلك دخلت الدنيا على بلعام، وكان راسخًا في العلوم فأطغته الدنيا؛ فمات وهو كافر محروم[1]. قال الله تعالى في حقه: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ

= رسول الله، ادعُ الله أن يرزقني مالاً. قال: «**ويحك يا ثعلبة! قليل تؤدي شكره خيرٌ من كثير لا تطيقه**». ثم رجع إليه فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالاً. قال: «**ويحك يا ثعلبة! أما تريد أن تكون مثل رسول الله ﷺ؟! والله لو سألتُ أن تسيل لي الجبال ذهبًا وفضّة لسالت**». ثم رجع إليه فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالاً، والله لئن آتاني الله مالاً لأوتين كل ذي حقٍّ حقَّه. فقال رسول الله ﷺ: «**اللَّهم ارزق ثعلبة مالاً**». فاتخذ غنمًا فنمت كما ينمو الدود، حتى ضاقت عنها أزِقَّة المدينة فتنحى بها، وكان يشهد الصلاةَ مع رسول الله ﷺ، ثمَّ يخرج إليها، ثم نمت حتى تعذرت عليه مراعي المدينة فتنحى بها، فكان يشهد الجمعة مع رسول الله ﷺ، ثم يخرج إليها، ثم نمت فتنحى بها فترك الجمعة والجماعات، فيتلقى الركبان ويقول: ماذا عندكم من الخبر؟ وما كان من أمر الناس؟ فأنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، قال: فاستعمل رسول الله ﷺ على الصدقات رجلين: رجلٌ من الأنصار، ورجل من بني سليم، وكتب لهما سُنَّة الصدقة وأسنانها، وأَمَرهما أن يصدقا النَّاس، وأنْ يمرَّا بثعلبة فيأخذا من صدقة ماله، ففعلا حتى ذهبا إلى ثعلبة فأقرآه كتاب رسول الله ﷺ، فقال: صدِّقا الناس فإذا فرغتما فمرا بي. ففعلا، فقال: والله ما هذه إلا أُخَيَّةُ الجزية. فانطلقا حتى لحقا رسول الله ﷺ، وأنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ: ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿يَكۡذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥ ـ ٧٧]، قال: فركب رجل من الأنصار قريبٌ لثعلبة راحلة حتَّى أتى ثعلبة، فقال: ويحك يا ثعلبة! هلكتَ، أنزل الله عزَّ وجل فيك القرآن كذا؛ فأقبل ثعلبة ووضع التراب على رأسه وهو يبكي ويقول: يا رسول الله، يا رسول الله، فلم يقبل منه رسول الله ﷺ صدقته حتى قبض الله رسول الله ﷺ، ثم أتى أبا بكر رضي الله عنه بعد رسول الله ﷺ، فقال: يا أبا بكر، قد عرفت موقعي من قومي ومكاني من رسول الله ﷺ فاقبل مني، فَأَبى أن يقبله، ثم أتى عمر رضي الله عنه فأبى أن يقبل منه، ثم أتى عثمان رضي الله عنه فأبى أن يقبل منه، ثم مات ثعلبة في خلافة عثمان رضي الله عنه.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠٧/٧: رواه الطبراني وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو متروك.

قال البيهقي: في إسناد هذا الحديث نظر، وهو مشهور فيما بين أهل التفسير والله أعلم.

وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٤٠٨١): ضعيف جدًّا.

(١) سبق تخريجه.

﴿ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦]. أي مال إلى الدنيا، (فلما مال إليها)[١] واتبع هواه؛ جعل الله النار مثواه. كانت همته سفلية، ولذلك طلب الأدنى وترك الأعلى، قال المولى الجليل: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

قيل لعلي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه: هل السفلة مذكور في كتاب الله تعالى؟ قال: نعم، مذكور في قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾﴾ [النجم: ٢٩][٢]. وكان رضي الله عنه يقول: الدنيا جيفة، من أراد شيئًا منها فليصبر على مزاحمة الكلاب[٣].

قال ﷺ لبعض أصحابه: «**قليل تؤدي شكره خيرٌ من كثير لا تطيقه**»[٤]. وقال: «**من رضي عن الله بقليل من الرزق؛ رضي الله عنه بقليل من العمل**»[٥]. وفي حديث آخر: «**طوبى لمن كان عيشه كفافًا وقنع**»[٦].

روى البخاريُّ: أنَّ رجلاً مرَّ على رسول الله ﷺ فقال لرجل عنده

---

(١) ليست في (ق).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٨/٢٣٨.

(٤) جزء من الحديث الوارد في قصة ثعلبة، وقد تقدم تخريجه.

(٥) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٤٥٨٥) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
وقال الألباني في «الضعيفة» (١٥٧٣): ضعيف جدًا.

(٦) أخرجه أحمد (٢٣٩٤٤)، والترمذي (٢٣٤٩)، وابن حبان (٧٠٥)، والطبراني في «الكبير» ١٨/(٧٨٦)، والحاكم ٣٤/١، من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «طُوبَى لمن هُدي إلى الإسلام، وكان عيشه كفافًا وقَنَع».
قال الترمذي: حديث حسن صحيح.
وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.
وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٨٣٠): صحيح.

جالس: «**ما رأيك في هذا؟**» فقال: رجل من أشراف الناس، هذا والله حريٌّ إن خطب أن يُنكح، وإن شفع أن يُشفَّع. قال: فسكت النبي ﷺ، ثم مرَّ رجل، فقال له رسول الله ﷺ: «**ما رأيك في هذا؟**» فقال: يا رسول الله، هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حريٌّ إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يشفَّع، وإن قال أن لا يسمع لقوله. فقال رسول الله ﷺ: «**هذا خيرٌ من ملء الأرض مثل هذا**»[1].

وقال ﷺ: «**إن الله يقول: يا ابن آدم تفرَّغ لعبادتي؛ أملأ صدرك غنًى وأسدُّ فقرك، وإلا تفعل ملأت يدك شغلاً ولم أسُدَّ فقرك**»[2]، رواه الترمذي.

وفي حديث آخر: «**يقول الله عز وجل للدنيا: يا دنيا اخدمي من خدمني، وأتعبي يا دنيا من خدمك**»[3].

فمن شغل بالله تعالى، وفارق المعاصي في ظاهره، ونبذ حب الدنيا من قلبه، كان الله سبحانه وتعالى في شغله وآتاه الزوائد من ربه، ووكَّل به حارسًا يحرسه من عنده وجمعه في سيره، وأخذ الله تعالى بيده في جميع أموره، والزوائد زوائد العلم واليقين، يقول الله عز وجل: «**من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين**»[4]. ومن عرف الله تعالى لم يشتغل بشيء سواه. سمع سفيانُ الثوريُّ رجلاً ينشد:

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢/٣٥٨ (٨٦٩٦)، وابن ماجه في «سننه» (٤١٠٧)، والترمذي في «جامعه» (٢٤٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٩١٤).

(٣) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» ٨/٤٤، والشهاب القضاعي في «مسنده» (١٤٥٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.
وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (١٢): موضوع.

(٤) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (٦٩) من حديث عمر رضي الله عنه.
وقد ورد أيضًا من حديث أبي سعيد أخرجه الدارمي في «سننه» (٣٣٥٦)، والترمذي في «جامعه» (٢٩٢٦) وقال: هذا حديث حسن غريب.
وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (١٣٣٥).

أتوب إلى الذي أُضحي وأُمسي وقلبي يتقيه ويرتجيه
تشاغل كل مخلوق بشغلٍ وشغلي في محبته وفيه

فبكى سفيان، وقال: نِعْمَ الشُّغلُ شغلك[١].

فإذا طلبتَ - أيها المؤمن! - أن يوسِّع الله عليك الدنيا ويطيِّبَ عيشَك فيها، فزَوَّاها[٢] عنك، ووسَّعَ عليك عملَ الآخرة، (فطيَّب عيشَك فيها؛ فما صنَعَ معكَ إلا معروفًا حسنًا)[٣]، (وارض بتدبير الله وتقديره، وألطافه إذا زوَى عنك الدُّنيا؛ لأنَّها تُشغلك عنه)[٤]، وتنقص مرتبتك عنده[٥]، (وحقيقة الدنيا ليس بشيء)[٦]، (وعيش الدنيا ليس يطيب)[٧]؛ لأنها كالظل الزائل عن أيام قلائل؛ ظاهرها حسن، وحقيقتها بلاء وحزن، إن أقبلت أشغلت، وإن أدبرَت أحزنت، عمرها قصير، ومحبها حقير، وخطرها كبير.

كُشِف لبعض الصالحين فرأى الدنيا مزينة فاستعاذ بالله منها، فقالت: إن أردت أن يعيذك الله مني فأبغض الدرهم والدينار[٨].

وفي أخبار موسى ﷺ: إن لم تلق الفقير مثل ما تلقى به الغني، فاجعل كل علم علَّمتك تحت التراب، وإذا رأيت الفقر مقبلاً فقل: مرحبًا بشعار الصالحين. وإذا رأيت الغنَى مقبلاً فقلْ: ذنبٌ عُجِّلت عقوبته[٩].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) من (خ)، وفي (ق): (فازوها). وفي (ط) تبعًا لـ: (ب): (فزوِّها). وزَوَّى الشيء يزويه زيًا: جمعه وقبضه.

(٣) ليست في (ق).

(٤) في (خ): الذي زوى عنك ما يشغلك عنه في الدنيا.

(٥) في (خ): في الآخرة.

(٦) ليست في (خ).

(٧) في (ق): وعيشها يطيب. وفي (ب): وعيشها لا يطيب.

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣١١٥٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» ٢/٢٤٤ من كلام العلاء بن زياد.

(٩) ذكره أبو طالب المكي في «قوت القلوب» ١/٤٠٧.

وبلغنا أن جماعةً من الصحابة تصدقوا بجميع أموالهم[1]، وبعضهم لم يدخل في أمر من أمور الدنيا، ومنهم من عزل نفسه، ومنهم من ولي وذهب ماشيًا، ولما عُزل عاد[2] ماشيًا، وأبو ذر - رضي الله عنهم - لم يقبل هدية عثمان في خلافته مع فقره وفاقته، ولم يدخل في أمرٍ من الأمور[3]. وخطب على أن يكون أميرًا فأبى، وتوكَّلُوا على الله سبحانه وتعالى وانجمعوا عليه، فعرَّفهم الطريق الموصلة إليه، ووقاهم شر هذه الدنيا[4] الغرارة، فمن صدق في توكله أخذ الله تعالى بيده وأجاره، وبلغنا ذلك عن جماعة من التابعين رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) منهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، أخرجه أحمد في «مسنده» ٦/ ٣٥٠ (٢٦٩٥٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» ٨٨/٢٤ (٢٣٥) من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: لما خرج رسول الله ﷺ وخرج معه أبو بكر، احتمل أبو بكر ماله كله معه - خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم - قالت: وانطلق بها معه. قالت: فدخل علينا جدي أبو قحافة وقد ذهب بصره فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه. قالت: قلت: كلا يا أبت إنه قد ترك لنا خيرًا كثيرًا. قالت: فأخذت أحجارًا فتركتها فوضعتها في كوة البيت كان أبي يضع فيها ماله. ثم وضعت عليها ثوبًا، ثم أخذت بيده فقلت: يا أبت، ضع يدك على هذا المال. قالت: فوضع يده عليه، فقال: لا بأس إن كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا لكم بلاغ. قالت: لا والله ما ترك لنا شيئًا، ولكني قد أردت أن أسكن الشيخ بذلك.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧٤/٦: رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع.

(٢) في (خ، ط): جاء.

(٣) أخرجه الطبري في «تهذيب الآثار» ٢٩٣/١ عن ابن سيرين قال: قال أبو ذر: خرجت إلى الشام فقرأت هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [التوبة: ٣٤]. فقال معاوية: إنما هي في أهل الكتاب. قال: فقلت: إنها لفينا وفيهم. فكتب إلى عثمان رضي الله عنه إن أبا ذر قال. . .، وكتب إِلَيَّ عثمانُ أن أقدِم. فلما خرج انتقل متاعه، فأخرج أهله مزودًا ينوء باليد، فقال الناس: هذا أبو ذر الذي كان يُزَهِّد في الدنيا. فقال أهله: والله ما هو بذهب ولا فضة؛ إنما هي فلوس كان إذا خرج عطاؤه اشتراها لأهله. فلما قدمتُ على عثمان قال لي: تروح عليك اللقاح؟! فقلت: الدنيا لا حاجة لي فيها. قال: فاعتزل ما هاهنا.

(٤) في (ق): الدار.

هؤلاء السادة كان لهم قلوب نَيِّرة[1]، خافوا عليها من العمى فصبروا تلك المدة اليسيرة على الجوع والعُري والظمأ، فتعجلوا عيشًا هنيًّا طيبًا، واستبشرت لقدوم أرواحهم ملائكة السماء، أنشد بعضهم:

استعمل الصبر تجني بعده العسلا ... وقف على الباب ليلاً تبلغ الأملا
وزاحم القوم في باب الكريم تجد ... بابًا عن القاصد الملهوف ما قُفِلا

فالصالحون كان لهم قلوب خافوا عليها، ومن أعمى الله قلبه على أي شيءٍ يخاف؟

قال المولى الغفور: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]. فمتى عميت القلوب التي في الصدور؛ توقفت على أربابها جميع الأمور.

نظر بعض الصالحين إلى محرم وهو في الطواف، فجاءته لطمة أعمت عينه الواحدة التي نظرت، وسمع قائلاً يقول: نظرة بلطمة، وإن زدت زدناك[2].

(فإن قال قائل: فكم لي أنا من نظرة فلم أعم ولم أرمد؟

جوابه: يكفيك أيها المفتون عمى قلبك الذي تعلم أن هذا حرام وأنت تفعله على الدوام، فتخالف الله تعالى وتخرج عن طريق النبي عليه الصلاة والسلام)[3]، والحق سبحانه يغير على عبده أن ينظر إلى غيره، ومن نور الله تعالى قلبه لا يتأسف على عمى عينه، (كما كان بعضهم يقول)[4]:

إذا كـــنـــت لـــي مـــا ... ضـــرَّنـــي مـــن عـــدمـــتـــه

فمن أراد أن ينور الله تعالى قلبه، ويكرمه في الدار الآخرة وهنا،

(١) في (ب): خيرة.
(٢) سلف ذكره.
(٣) ليست في (ق).
(٤) ليست في (ق).

ويبلغه الله المقصود والمنى، فليتبع السنة، وليكن الفقر والذل أحب إليه من العز والغنى، وقد قيَّدنا الفقر باتباع السنة وبالذل؛ ليرتقي المؤمن إلى منازل السعداء، فإن لم يتبع الفقير السنة، ويكون ذليلاً مسكينًا بين يدي خالقه؛ ضل واعتدى، وتاه في ميادين الغفلة والقطيعة وما اهتدى. قال المولى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]. فحينئذٍ يجتمع على هذا الفقير الضالِّ فقرُ الدنيا وعذاب الآخرة؛ لكبره، ولخروجه عن السنة المباركة الطاهرة، قال رسول الله ﷺ: **«الدِّين ديني، والسنة سنتي، من ابتدع بدعة فعليه لعنة الله»**[1].

والمتكبر هو من أثقل الجماعة الخارجين عن سنة صاحب المعجزات والشفاعة، وما قلنا إنه من أكبر المبتدعين إلا لقوله سبحانه: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠]. وفي الحديث النبوي: **«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذابٌ أليم: أمير مُسلَّط، وذُو ثروة من المال لا يؤدي الزكاة، وفقير فخور»**[2].

ويكفي لمن بلاه الله بهذه المصائب والتعكيس ما جرى للَّعين إبليس، فالمتواضع محبوب عند الله تعالى وعند العباد، والمتكبر يبغضه الله تعالى ومن في السموات والأرض، وهو في قطيعة وبعاد، وهو مريض لا يعاد،

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢/٤٢٥ (٩٤٩٢)، وعبد بن حميد في «مسنده» (١٤٤٦)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٢٤٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: **«عرض عليَّ أول ثلة يدخلون الجنة وأول ثلة يدخلون النار، فأما أول ثلة يدخلون الجنة: فالشهيد، وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده، وعفيف متعفف ذو عيال. وأما أول ثلة يدخلون النار: فأمير مسلط، وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله في ماله، وفقير فخور»**.

وقال الألباني في «ضعيف الجامع» (٣٧٠٣): ضعيف جدًا.

وأخرج مسلم في «الصحيح» (١٧٢) عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زانٍ، وملك كذَّاب، وعائل مستكبرٌ»**. والعائل هو الفقير.

فمعصية يصحبها الذل والانكسار، خيرٌ من طاعةٍ يصحبها العجب والاستكبار. فانظر ماذا في الطاعات من المهالك والآفات، لا يحتاج الفاعل معها لشيء من السيئات، فإذا كان السيد عظيمًا عزيزًا، فينبغي للعبد أن يكون حقيرًا ذليلاً. قال بعضهم:

إذا رمت عز الوصل ذل لمن تهوى ... فكم عزة قد نالها المرء بالذل
إذا كان من تهوى عزيزًا ولم تكن ... ذليلاً له فاقرَا السلام على الوصل

وأنشد بعضهم مخبرًا عن حاله:

حبيب أرتجيه وإن جفاني ... ويعلم ما لقيت من الصدود
ويظهر في الهوى عز المعالي[1] ... فيلزمني له ذل العبيد

ويكفي من الأدلة قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، فإذا دعوت الله تعالى - أيها المؤمن! - بأن يطيِّب عيشك في الدنيا، ويرزقك العزَّ والجاه والغنى، ولم تجد ذلك فلا تحزن؛ لأن عيش الدنيا ليس بطيب؛ فإنَّ آخره الموت، فإذا متَّ زالت الدنيا، ومات عزُّك وجاهك، فإن أخَّر الله تعالى دعوتك إلى الآخرة ووَسَّعها عليك فقد أسبغ نعمه عليك، ونظر بعين كرمه إليك، وأقامك في مقام الأحباب، وأمَّنك[2] من شدة الحساب، وجعل لك أسوة بنبيه وحبيبه ﷺ، وعلى الآل والأقارب والأصحاب، وكان ذلك مقدَّرًا عليك في أم الكتاب، فلا تقل: دعوت الله تعالى وما رأيت الإجابة، فقد جاء في الحديث: **«كل داعٍ يجاب ولكن لا تشعرون»**[3].

---

(١) في (خ): الموالي.

(٢) في (خ، ب): وحرسك.

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ، ولفظه المشهور من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي»**.
أخرجه مالك في «الموطأ» (٤٩٧)، وأحمد في «مسنده» ٣٩٦/٢ (٩١٤٨)، والبخاري في «صحيحه» (٦٣٤٠)، وفي «الأدب المفرد» (٦٥٤)، ومسلم في «صحيحه»=

أَتدعُو - أيها المؤمن! - كريمًا ولا يجيبك؟! وترفع يديك لغني لا يخشى الفاقة ويردك خائبًا؟! لا تظنَّ في الله تعالى ذلك، ولو كنت عاصيًا والخلل في أحوالك؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى قد أجاب دعوة إبليس مع تمرده، وما كان فيه من المخالفة والتعكيس، فاسمع قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأعراف: ١٤ - ١٥][1].

كان يحيى بن معاذ الرازي يقول: إلهي كيف أدعوك وأنا عاصٍ؟! وكيف لا أدعوك وأنت كريم؟![2]، فالمؤمن الموفق إذا طلب من الله سبحانه شيئًا من الدنيا ولم يعطه ترك مراده لمراد الله تعالى، ورأى المنع عطاءً، ويقول: عسى أن يكون في التأخير مصلحة؛ لأنَّ[3] السيد أعلم بمصلحة عبده.

وقد تؤخر الإجابة[4] لمصلحة يعلمها الله في التأخير، ويجاب أو يُدفع عن الداعي بلاءً، أو يدَّخر له عند الله سبحانه، فيكون قد طلب شيئًا فانيًا فيعطى شيئًا باقيًا فلا يقول الإنسان: دعوت وما رأيت الإجابة. لا تظنَّ بالله

= (٢٧٣٥)، وأبو داود في «سننه» (١٤٨٤)، وابن ماجه في «سننه» (٣٨٥٣)، والترمذي في «جامعه» (٣٣٨٧).

(١) وأحسن من هذا مثلاً أن الله تعالى يستجيب دعوة المشركين إذا أخلصوا له في الدعاء، وتوجَّهوا إليه وحده بالاستغاثة والنداء، قال ربنا سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يونس: ٢٢ - ٢٣]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾ [لقمان: ٣٢].

(٢) ذكره النووي في «الأذكار» (ص ٣٩٦).

(٣) في (ط): فإن.

(٤) في (خ): الدعاء.

ذلك فتلقي نفسك بسوء ظنها في البدعة والمهالك، ولا تتعرض وكن من جملة العبيد، وسلِّم لربوبيته، فلا يكون أبدًا إلا ما يريد، فإذا فعلتَ ذلك أتاك من الله الخير والمزيد، ولو أعطى الحق سبحانه لكل أحدٍ ما طلب لهلكوا، قال الله تعالى: ﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ۝٢٧﴾ [الشورى: ٢٧]، وقال الحق سبحانه: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ﴾ [المؤمنون: ٧١]. وقد يزوي الإنسان عن مريضه ما يطلبه ـ وإن كان شيئًا يسيرًا ـ مع محبَّتِه له، فما فعل ذلك بخلاً عليه؛ ولكن خوفًا من ضرر يصل إليه.

قال ضرارُ بن ضَمُرة: إنَّ عليًّا رضي الله عنه كان غزير الدمعة طويل الفكرة، يقلب كفه، ويخاطب نفسه، ويعجبه من اللباس ما خَشُن، (ومن الطعام ما جَشُنَ)[١]؛ يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل[٢] وظلمته، وأشهد بالله لرأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سجوفه[٣]، وغارتْ نجومه، وقد مثل في محرابه قابضًا على لحيته، يتمثل تمثل السليب، ويبكي بكاء الحزين، وكأنِّي أسمعه، وهو يقول: يا دنيا، يا دنيا، إليَّ تعرضت أم إليَّ تشوفت؟ هيهاتَ هيهاتَ، غُرِّي غيري، قد طلقتك ثلاثًا، لا رجعة لي فيك، فعُمرك قصير، وعيشك حقير، وخطرك كبير، آهِ من قِلَّةِ الزاد، وبُعد السفر، ووحشة الطريق. قال الراوي: فذَرَفَتْ عينا معاويةَ على لحيته فَمَا تَملَّكَها، وقد اختنق القومُ بالبكاء[٤].

---

(١) ليست في (ق). والجَشَن: الغليظ عن كراع زاد غيره أو ما هو في معناه. «لسان العرب»: جشن.

(٢) في (خ، ب): من الليل.

(٣) السَّجْفُ والسِّجْفُ: السِّتْر.

(٤) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٤٠١/٢٤ في ترجمة (ضرار بن ضمرة الكناني)، وقال: وفد على معاوية، ثم ساق بسنده إلى محمد بن السائب الكلبي، عن أبي صالح قال: دخل ضرار ابن ضمرة الكناني على معاوية، فقال له: صف لي عليًّا؟ فقال: أو تعفيني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا أعفيك. قال له: إذ لا بدَّ فإنه والله كان بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجَّر العلم من جوانبه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، يستأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير العبرة، طويل=

يُحكَى عن السيد شرف الدين الكليمي: أَنَّهُ رأى عليَّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه في منامه، فسأله عن حقيقة الفقر، فقال رضي الله عنه: قد سألني عن ذلك عبد العزيز المنُوفيُّ! قال الشريف: فما قلتَ له يا أمير المؤمنين؟ قال: قطع الأمل، قطع الأمل، قطع الأمل. قال الشريف: فلما استيقظت جئت إلى عند الشيخ عبد العزيز وقلت له: رأيتَ الإمام علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه قَطُّ؟ قال: نعم. قال: قلت: فما سألته؟ قال لي: يا بُطَيْطيلُ! جئت لتقول لي منامك، إذا خرجوا هؤلاء من عندي. وكان عنده جماعة من الجند، فلما خرجوا من عنده جئت إليه فقال: أنت لا تقدر على قطع الأمل ولا أنا، هذا مما لا يُقدر عليه(١).

= الفكرة.. فذكره بنحوه، وفي آخره: فقال معاوية: هكذا كان أبو الحسن رحمه الله، فكيف وجدك عليه يا ضرار؟ قال: وجد من ذبح أوحدها في حجرها، لا ترقأ دمعتها، ولا يسكن حرها. ثم قام فخرج.

ثم ساقه ابن عساكر من طريق: عمر بن شبَّة النمري، قال: حدثنا أبو الحسن علي بن محمد المدائني، عن محمد بن غسان الكندي، قال: دخل ضرار بن ضمرة النهشليُّ على معاوية، فذكره بنحوه.

(١) لم أجده. والكليميُّ، صوابُه: (الكُلِينيُّ) ـ نسبة إلى كُلِين من قرى العراق ـ ولم أجد له ترجمة سوى ما ذكره ابن ناصر الدين في «توضيح المشتبه» ٣٣٧/٧، وابن حجر في «تبصير المنتبه» ١٢١٩/٣ فقالا: القاضي شرف الدين إبراهيم بن عثمان الكليني، سمع مع أبي العلاء الفرضي على الكمال هبة الله السامري جزءَ البانياسيِّ.

وترجم ابن حجر في «الدرر الكامنة» ١٠٤/٦ لأبي العلاء، فقال: محمود بن أبي بكر بن أبي العلاء محمد السنجاري الكلاباذي، أبو العلاء الفرضي الصوفي الحنفي، مولده سنة (٦٤٤) ببخارى، وتفقه بها، وسمع بها الحديث، وقدم دمشق سنة (٦٨٤)، فسمع بها، ثم دخل مصر فسمع بها، سمع من سبع مئة وخمسين شيخًا، وحدَّث، سمع منه المزي وأبو حيان والقطب الحلبي والبرزالي والذهبي وابن سيد الناس وابن المهندس وآخرون، وكتب بخطه الحسن كثيرًا، وقرأ بنفسه، وعني بالطلب، وكان إمامًا فقيهًا ديِّنًا، خيرًا بارعًا في الفرائض، ومات في ربيع الأول سنة سبع مئة، بماردين، رحمه الله.

والمنوفيُّ هو الشيخ الصوفي أبو فارس عبد العزيز بن عبد الغني بن سرور بن سلامة، قال ابن حجر في «الدرر الكامنة» ١٧٠/٣: هو المنوفيُّ الحسنيُّ، أصلُه من الينبع، وانتقل سلفه إلى الإسكندرية، وسكن الصعيد مدة، وتعانى التصوف، =

قال المؤلف عفا الله عنه: قِصَر الأمل: ترك الدنيا، والاجتهاد في اتباع السنَّة، مع إصلاح العمل. فاغسل قلبك بماء الندم على حبِّ الدنيا، وعلى ما فاتك من الحبيب، واستدرك ما بقي؛ فكل آتٍ قريب، فيا حسرة

= فتقدَّم فيه، وروى عن المشايخ الذين لقيهم، وأخذ عن أبي الحجاج الأقصري، ومحي الدين ابن العربي، والشيخ فتح الواسطي، وغيرهم. ونقل عن عبد الغفار كرامات كثيرة جدًّا، ولم يزل على طريقته حاضر الحسن، سليم الحواس، حتى مات. قال الجزري في «تاريخه»: ذكر لي أن له أسمعة كثيرة، وله ديوان شعر، نقلت منه نحو أربعين قصيدة، وقرأت عليه منه شيئًا، وأجاز لي. قال: ورأيت في ديوانه ما ملخصه: أن الأقطاب سبعة والأبدال والأعين وهم النجباء كذلك، والأديان أربعة، والغوث يجمعهم، وهو مقيم بمكة، والخضر يجول، ولا حكم له إلا على أربعة أشياء: إغاثة ملهوف، أو إرشاد ضال، أو بسط سجادة شيخ، أو تولية الغوث إذا مات، والغوث يحكم على الأقطاب، والأقطاب على الأبدال، والأبدال على الأوتاد، فإذا مات الغوث ولَّى الخضر من يكون قطبًا بمكة غوثًا، وجعل بدل مكة قطبًا، وعين مكة بدلاً، وبدل مكة رشيدًا، وهكذا أبدًا، فإن مات الخضر صلى الغوث في حجر إسماعيل تحت الميزاب، فتسقط عليه ورقة باسمه، فيصير خضرًا، ويصير قطب مكة غوثًا، وهكذا. قال: والخضر في هذا الزمان هو حسن بن يوسف الزَّبيدي من أهل زبيد اليمن. وقد أكثر عنه عبد الغفار بن نوح القوصي النقلَ في كتابه «الوحيد في سلوك أهل التوحيد»!، ولازمه كثيرًا، وبالغ في تعظيمه. وأما أبو حيان فنقل عن الرضي الشاطبيِّ: أن عبد العزيز هذا كان من أتباع ابن عربي، وأنشد عنه أبو حيان: أنه أنشده لنفسه بجامع عمرو في رجب سنة (٦٨٠):

وجدت بقائي عند فقد وجودي ... فلم يبق حد جامع لحدودي

وألفيتُ سري عن ضميري ملوحًا ... برمز إشاراتي وفك قيودي

فأصبحت مني دانيًا بمعارفي ... وقد كنت عني نائيًا لجمودي

وهذا نفسُ الاتحادية لا شكَّ فيه. وله قصيدة تسمَّى اليعسوبة، طويلة جدًّا، مات في ليلة الاثنين خامس عشر ذي الحجة سنة (٧٠٣)، وقد وجدتُ أن مولده سنة (٦٠٧)، فيكون عاش ستًّا وتسعين سنة فقط. انتهى كلام ابن حجر رحمه الله باختصارٍ. وترجم له الصفدي في «أعيان العصر» ٣/١٠٠، وفي «الوافي بالوفيات» ١٨/٣٢٢.

قلتُ: فيتبيَّن من هذا أن هذا الشيخ المنوفي كان من غلاة الصوفية، وما نقلوا عنه من السخف والباطل عن الخضر والأقطاب كافٍ للدلالة على جهله وفساد طريقته. (ت)

من هو عالم بقلة الإقامة، وقد لعبت به الدنيا وأذهلته عن أهوال يوم القيامة. قال صلوات الله عليه وسلامه: «**نجا أَوَّلُ هذهِ الأمَّة باليقين والزهد، ويهلك آخرها بالبخل والأمل**»[1]. (حديث صحيح.

قال المؤلف لهذا الكلام ـ عفا الله عنه، وعن جميع المسلمين، وأدخلنا الجنة بسلام ـ)[2]: آهِ على خلوِّ القلب من الآمال، وخلوِّ النفس من المكر والرياء والغدر والمحال، وخلوِّ اللسان من كلامٍ يسخط الملك الديان، ومن كلام الدنيا، ومن القيل والقال، وخلوِّ اليد منَ المال، والرضَى عن الله سبحانه وتعالى في كل حال، وليس ذلك بعزيز على الكبير المتعال، (فرحم الله من دعا لنا بذلك ورزقه هذه الخصال)[3].

قال الربيع بن خثيم: من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن طال أمله ساء عمله[4].

فقد تبين لك أن أعظم الطاعات لمن لم يزل الإخلاص في العمل والزهد وقصر الأمل، نسأل الله التوفيق لذلك، وحسن الخاتمة عند فروغ الأجل، وما قلنا إنَّ الزهد وقصر الأمل هما أفضل الأعمال، وبهما وصل العمال، إلا لأن الله سبحانه وتعالى خصَّ نبيه وحبيبه محمدًا ﷺ بهما، كما تقدم أنه اختار الفقر على الغنى[5].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (٢٠)، وذكره الديلمي في «مسند الفردوس» (٦٨٥٣)، والغزالي في «الإحياء» ٤/٤٥٤ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.
قال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٣٤٠): حسن لغيره.

(٢) ليست في (ق). ومراد المؤلف رحمه الله التأوُّه لوجود ما ذكره منَ الصفات في القلب والنفس واللسان واليد، لا لعدم وجودها، إلا الرضى عن الله في كلِّ حال، ثم دعا الله تعالى على ثبوت صفة الرضى، وانتفاء تلك الصفات المذمومة. ويستدرك عليه أن عدم خلوِّ اليد من المال؛ من فضل الله تعالى وإحسانه، وقد كان رسول الله ﷺ يسأل الله تعالى الغنى، ويستعيذ به من الفقر ومن الجوع.

(٣) ليست في (ق).

(٤) ذكره الثعالبي في «الجواهر الحسان» ٢/٢٧٦.

(٥) تقدم تخريجه.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: كان ﷺ إذا أهريق الماء يتيمم بالتراب فأقول: يا رسول الله، إن الماء منك قريب. فيقول: «**لعلي لا أدركه**»[1]، وباع زيدٌ جملًا له إلى شهر فقال ﷺ: «**ما أطول أمل زيد، والله ما وضعت قدمًا إلا وظننت أني لا أضع الآخر**»[2].

وروي أنه ﷺ نام على شريط فأثر الشريط في جنبه، فبكى عمر رضي الله عنه، فقال له: «**ما يبكيك؟**» قال: تذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه، وأنت رسول الله وقد أثر هذا الشريط في جنبك. قال: «**ثكلتك أمك يا عمر، أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة! ما أنا إلا كراكب استظل تحت شجرة فسار وتركها**»[3].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» ٦/١، والطبراني في «مسند الشاميين» (١٥٠٥)، وأبو نعيم في «الحلية» ٩١/٦، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥٦٤) من حديث أبي سعيد قال: اشترى أسامة بن زيدٍ من زيد بن ثابت وليدة بمئة دينارٍ إلى شهرٍ، فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ألا تعجبون من أسامة يشتري إلى شهر، إنَّ أُسامة طويل الأمل، والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي فظننت أن شفراهما يلتقيان حتى أقبض، ولا رفعت طرفي فظننت أني واضعه حتى أقبض، ولا لقمت لقمة فظننت أني أسيغها حتى أغص فيها من الموت**»، ثم قال: «**يا بني آدم إن كنتم تعقلون فافدوا أنفسكم من الموت، والذي نفسي بيده إن ما توعدون لآت، وما أنتم بمعجزين**».
قال الألباني في «الضعيفة» (٤٩٧٧): ضعيف.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ١٣٩/٣ (١٢٤١٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١١٦٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٧٨٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٣٦٢) من حديث أنس رضي الله عنه قال: دخلتُ على رسولِ الله ﷺ وهو على سريرٍ مضطجع مرمل بشريط، وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف، فدخل عليه نفر من أصحابه، ودخل عمر فانحرف رسول الله ﷺ انحرافة، فلم ير عمر بين جنبه وبين الشريط ثوبًا وقد أثَّرَ الشريط بجنب رسول الله ﷺ؛ فبكى عمر، فقال له النبي ﷺ: «**ما يبكيك يا عمر؟**» قال: والله ما أبكي إلا أن أكون أعلم أنَّك أكرم على الله عزَّ وجل من كسرى وقيصر، وهما يعبثان في الدنيا فيما يعبثان فيه، وأنت يا رسول الله بالمكان الذي أرى. فقال النبي ﷺ: «**أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟**» قال عمر: بلى. قال: «**فإنه كذاك**».

وأخرجه أحمد في «مسنده» ٣٠١/١ (٢٧٤٤)، والحاكم في «المستدرك» ٣١٠/٤،=

قال إبراهيم بن أدهم: الزهد ثلاثة أصناف: زهد فرض، وزهد فضل، وزهد سلامة. فالفرض: الزهد في الحرام. والفضل: الزهد في الحلال. والسلامة: الزهد في الشبهات(١).

ثم اعلم - رحمك الله - أنَّ الزهد هو أفضل الأعمال؛ لأنه طريق النبيِّ ﷺ، ووَصَّى به لبعض أصحابه بقوله ﷺ: **«ازهد في الدنيا يحبك الله»**(٢).

ثم اعلم أنَّ الزُّهد هو الذي ينوِّر قلب المؤمن، ويورثه قصر الأمل، ويطرد عنه التهاون في الطاعات والكسل، ويرزقه الله تعالى القوة على الطاعة والإخلاص في العمل، ويقل عليه هموم الدنيا لكثرة هموم الآخرة، وقد ملأ قلبه الرضا، لا يحزن على فقد الدنيا، ولا يحزن على مكروهٍ أصابه، ولا يتأسف على ما مضى، ما همه إلا التجهز للقاء الحبيب؛ لعلمه أنه يموت

= والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٤٥٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ دخل عليه عمر وهو على حصير قد أَثَّر في جنبه، فقال: يا نبيَّ الله، لو اتَّخذت فراشًا أَوثَرَ من هذا! فقال: **«ما لي وللدنيا، ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف، فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار، ثم راح وتركها»**.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

وقد ورد من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال الألباني في «الصحيحة» (٤٣٩): صحيح.

(١) أخرجه البيهقي في «الزهد» (٣٠)، و«شعب الإيمان» (١٠٧٧٧)، وذكره الغزالي في «الإحياء» ٤/٢٢٩.

(٢) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (٤١٠٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» ٦/١٩٣ (٥٩٧٢)، والحاكم في «المستدرك» ٤/٣١٣، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٦٤٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥٢٣) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ فقال: يا رسول الله، دلَّني على عمل إذا أنا عملته أحبَّنِي الله وأَحَبَّنِي الناس. فقال رسول الله ﷺ: **«ازهد في الدنيا؛ يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس؛ يحبوك»**.

قال الحاكم: هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الألباني في «الصحيحة» (٩٤٤): صحيح.

عن قريب، فلا تراه قط معرِضًا. والحريص بعكس ذلك كله: قد نسي الآخرة، وأظلم قلبه من قوة[1] حرصه، فلا تراه قط أبيضًا.

قال المؤلف لهذا الكتاب: كان عندي رجل من أولياء الله تعالى، وكان إذا صلى ورده في الليل ثم فرغ ينشد (هذه الأبيات ويبكي، وهي هذه الكلمات)[2]:

إلى كم يراك الله يا عبدُ عاصيًا	حريصًا على الدنيا وللموت ناسيًا
ودمعك لا يجري وقلبك قاسيًا	(ما ذاك إلا من عصيان نفسك)[3] قاسيًا

مَرَّ عيسى ابن مريم عليه السلام برجل نائم تحت ظل شجرة، فوكزه برجله وقال له: يا هذا، قم فاعبد الله. فقال: يا نبي الله، قد عبدت الله بأفضل العبادات. قال: وما هي[4]؟ قال: تركت الدنيا لأهلها. قال له: إذَنْ فنَمْ![5].

وفي الخبر ـ أيضًا ـ: أنَّ عيسى عليه السلام رأى الدنيا على صورة عجوز شمطاء، (بياض شعرها يخالطه سواده)[6]، فسألها فقالت: أنا الدنيا. فقال لها: فأين أبناؤك؟ قالت: قتلتُ البعضَ، وأنا آخذة في قتل الآخرين[7].

---

(١) في (ق): لشدة.

(٢) ليست في (ق).

(٣) ليست في (ق).

(٤) في (ق): بماذا.

(٥) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ١٠/٤٠٦، وذكره الغزالي في «الإحياء» ٤/١٩٥، والقرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» ٩/٩ بألفاظ متقاربة.

(٦) من (ب).

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (٢٧)، وذكره الغزالي في «الإحياء» ٣/٢١٤ ـ ٢١٥، والمناوي في «فيض القدير» ٢/٦٩١: أن عيسى ابن مريم عليه السلام رأى الدنيا في صورة عجوز هتماء، عليها من كل زينة، فقال لها: كم تزوجت؟ قالت: لا أحصيهم. قال: فكلهم مات عنك أو كلهم طلقك؟ قالت: بل كلهم قتلت. قال: فقال عيسى عليه السلام: بؤسًا لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين؟ كيف تهلكينهم واحدًا واحدًا، ولا يكونون منك على حذر؟!

ومرَّ عيسى عليه السلام بثلاث نفر وهم موتى، وعندهم طوبتان من ذهب، فقال عيسى لأصحابه: قتلتهم الدنيا، هؤلاء الثلاثة وجدوا هاتين الطوبتين (فدخلوا ليقتسموهما، فخرج)[1] أحدهم ليأتي بطعام فسولت له نفسه فجعل في الطعام سمًّا ليأخذ الذهب وحده، وهما أيضًا اتفقا على قتله ليأخذ كل واحدٍ طوبة، فلما أقبل بالطعام قتلاه، ثم أكلا من الطعام فماتا[2].

كان بعضهم ينشد هذه الأبيات:

قل لمن فاخر بالدنيا وحامى ... قتلتْ قبلك سامًا ثم حاما

ندفن الخل وما في دفننا ... بعده شك ولكن نتعامى

إن قدامك يومًا لو بهِ ... هُدْدت شمس الضحى صارت[3] ظلاما

فانتبه من رقدة النوم وقم ... وانف عن عيني تماديك المناما

فالعظيم القدر لو شاهدته ... لم تجد في قبره إلا عظاما

قال بعض (علماء المحققين)[4]: حقيقة الزهد ترك ما سوى الله تعالى[5].

وأنشد لبعضهم[6]:

لأخلعن[7] عذاري في محبتكم ... بحولكم لا بحولي لا ولا حيلي

---

(١) في (ق): فأخذوا يقتسموها وذهب.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/٤٤٥، وفيه قصة.

(٣) في (ق): عادت.

(٤) في (خ، ط): العلماء.

(٥) ذكره القشيري في «الرسالة القشيرية» ١/٥٦، والغزالي في «الإحياء» ٤/٢١٧، ٢٢٧، ٢٢٩.

(٦) في (خ): قال قائلهم.

(٧) في (ط): لأخلصن.

(وأترك الكون حيًّا لبغيتكم)[1]	(أنَّى أريد لذاك)[2] الترك من قبلي
الخلق خلقكم والأمر أمركم	فأي شيء أنا لا كنت من ظُلل
الحق قلتم وما في الكون غيركم[3]	أعوذ بالله من علمي ومن عملي[4]

قال المؤلف في استعاذة هذا الرجل من علمه وعمله: أي أعوذ بالله أن أُثبتَ لنفسي علمًا أو عملًا[5]؛ لأنَّ الذي جهله الآدمي أكثر مما علمه. قال المولى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]. فقد ذكر الحقُّ سبحانه أنَّ جميع من في السماوات ومن في الأرض ما أُعطوا من العلم إلا شيئًا يسيرًا، فماذا أخذتَ أنت وحدك يا من يدَّعي العلم؟! وأما العمل: فلو عاش المسلم ألف سنة يصوم النهار ويقوم الليل ما يساوي مكثَه في الجنة ساعة مع النبيين، ونظرةً لرب العالمين. قال رسول الله ﷺ: «**لن يدخل الجنة أحدٌ بعمله**». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته**»[6]. هذا وقد قام رسول الله ﷺ في خدمة مولاه حتى

---

(١) في (خ): وأترك الكون لا أراه ولا أرى.

(٢) في (خ): إن أترك.

(٣) في (خ): (في الدار غيركم).

(٤) وهذه الأبيات فيها نفس الاتحادية الذين يدَّعون أن وجود الخالق ووجود المخلوق حقيقة واحدة. ولا أظنُّ أن المؤلف رحمه الله قصد هذا المعنى أو أراده، وذكر ابن عجيبة في «إيقاظ الهمم شرح الحكم» (ص ٧٦) في شرح قول ابن عطاء الله السكندري: «مما يدلك على وجود قهره سبحانه أن حجبك عنه بما ليس بموجود معه»: قال الششتريُّ:

الخلق خلقكم والأمر أمركم	فأي شيء أنا لكنت في ظلل
ما للحجاب مكان في وجودكم	إلا بسرٍّ حروف انظر إلى الجبل
أنتم دلَلْتُم عليكم منكم ولكم	ديمومة عبَّرتْ عن غامض الأزل
وقد عرفتُ بكم هذا الخبيرَ بكم	أنتم هم يا حياةَ القلب يا أملي

(٥) في (ق): واستعادة هذا الرجل من علمه وعمله أنه لم يثبت لنفسه علمًا ولا عملًا. وفي (ب): واستعادة هذا الرجل من علمه وعمله: أي أعوذ بالله أنه يثبت لنفسه علمًا أو عملًا.

(٦) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢/٢٦٤ (٧٥٨٧)، والبخاري في «صحيحه» (٥٦٧٣)، ومسلم في «صحيحه» (٢٨١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تورَّمت قدماه[1]. وجاهد في سبيل الله تعالى وما بخلت قط يداه[2].

قال أبو سليمان الداراني: سمعت الرَّبيع يقول: كنت مقيمًا ببيت المقدس أجمع المباحات من الجبال، وكان لي أخوان بالرملة أزورهما في كل عام مرتين، فلما كان في بعض السنين خرجت لزيارتهما، فلمَّا صرت بين الجبال والأودية على ثلاثة أميال من بيت المقدس سمعت صوتًا محزونًا، وهو يقول: ما أبعدَ الطريق على من لم تكن أنت دليله، وأوحشها على من لم تكن أنت أنيسه. فقفوت الصوت واتبعت أثره، وإذا أنا بجارية وعليها خمار من صوف ومدرعة من شعر، وفي رجليها نعل من ليف، فقلت: سبحان الله، مثلك في هذا المكان بغير مَحرم! فقالت: ما أحب من يشغلني عن طاعة ربي. قال: فَرقَّ لها قَلبِي، وكان معي دريهمات فقسمتها شطرين وناولتها أحدهما، فلما رأت لمعان الدراهم تبسمت، وقالت: يا أبا الربيع، من أين لك هذه الدراهم؟ فقلت لها: إني أجمع المباحات من جبال بيت المقدس وأبيعها في المدينة. فقالت: كسب حلال لرجل ضعيف. فقلت لها: كيف تصفيني بالضعف وأنا قوي البدن؟ فقالت: أنت ضعيف اليقين لا ضعيف البدن. فقلت: فكيف السبيل إلى القوة؟ فقالت: تضع موازين القسط على جوارحك حتى يخرج كل شيء كان لغير الله، ويبقى القلب صافيًا، فيطَّلع الحق عليه فلا يرى فيه مذكورًا ولا محبوبًا سواه؛ وإذا كنت كذلك نوديت: قف بالباب، فقد كتبناك من الأحباب، وأمرنا الخزان أن لا يعصوا لك أمرًا. قلت: فما بيان ذلك؟ فقبضت كفها في الهوى، وفتحتها ووضعت في كفي دنانير. فقلت: سبحان الله ما أحسنه من كفٍّ! فسمعت قائلاً يقول:

(١) أخرجه الحميدي في «مسنده» (٧٥٩)، وأحمد في «مسنده» ٢٥١/٤ (١٨١٩٨)، والبخاري في «صحيحه» (١١٣٠)، ومسلم في «صحيحه» (٢٨١٩)، وابن ماجه في «سننه» (١٤١٩)، والترمذي في «جامعه» (٤١٢)، والنسائي في «المجتبى» ٢١٩/٣ (١٦٤٤)، وفي «الكبرى» (١٣٢٥)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١١٨٣).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٣١٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٥٠٢) من حديث أنس: أنَّ رجلاً سأل النبيَّ ﷺ غنمًا بين جبلين، فأعطاه إياه؛ فأتى قومه فقال: أي قوم، أسلموا فوالله إنَّ محمدًا ليعطي عطاءً ما يخاف الفقر.

من أطاع الله مولاه أعطاه ما تمناه[1].

وقد جاء في الأخبار: يقول الله عز وجل: من أطاعني في كل شيء أطعته في كلِّ شيء[2].

قال أحمد بن أبي الحواري: حدثتني امرأتي رابعة فقالت: دخلت على أخت لي عاتقٍ بالموصل يقال لها: راهبة. فقالت: هل تدرين ما قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٩]؟ قلت: لا. قالت: القلب السليم الذي يلقى الله تعالى وليس فيه شيء غير الله تعالى. قالت: فحدثت به أبا سلمان، فقال: ليس هذا كلام راهبة، هذا كلام الأنبياء عليهم السلام[3].

عن محمد بن الحسين قال: سمعت بعض أصحابنا يقول: كانت عزيزة امرأة أبي علي تقول: كيف لا أرغب في تحصيل ما عندك، وإليك مرجعي؟! وكيف لا أحبك وما لقيت خيرًا إلا منك؟! وكيف لا أشتاق إليك وقد شوقتني إليك؟! وحكي عنها أنها قالت: لا ينتفع العبد بشيء من أفعاله كطلب قوته من حلال[4].

---

(١) لم نقف عليه، وذكر ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٧٨٥) عن أبي سليمان الداراني قال: حدثني سعيد الإفريقي قال: كنت ببيت المقدس مع أصحاب لي في المسجد، فإذا أنا بجارية عليها درع شعر، وخمار من صوف، فإذا هي تقول: إلهي وسيدي! ما أضيق الطريق على من لم تكن دليله! وأوحش خلوة من لم تكن أنيسه! فقلت: يا جارية ما قطع الخلق عن الله عز وجل؟ قالت: حب الدنيا، إلا أن لله عز وجل عبادًا أسقاهم من نخبه شربة، فولهت قلوبهم، فلم يحبوا مع الله عز وجل غيره. ثم قالت تنشد:

تزود قرينًا من فعالك إنما ... قرين الفتى في القبر ما كان يعمل

ألا إنما الإنسان ضيف لأهله ... يقيم قليلاً عندهم ثم يرحل

(٢) ذكره ابن عجيبة الإدريسي في «البحر المديد» ٤٠٧/٦، وهو من أباطيل الصوفية.

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٢٧٨/٧٠، وذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٧٣١). وأبو سليمان هو الداراني.

(٤) ذكره الأزدي في «طبقات الصوفية» ٤١٠/١.

قال سعيد المقدسي ـ وكان من الأولياء ـ: خرجت من المسجد الأقصى طالبًا السياحة، فلما صرت بين الجبال رأيت امرأةً عليها ثوب من شعر وخمار من صوف، فظننت أنها راهبة، فقلت لها: أنت مسلمة؟ فقالت: يا سعيد ما هذا الكلام؟ فقلت لها: ما الذي أخرجك إلى هذا المكان؟ قالت: خوف القطيعة والأحزان. ثم رفعت طرفها إلى السماء، وقالت منشدة:

يا سروري إذا عدمت سروري ... أنت في سر خاطري وضميري
أنت أنت الرجاء جُد لي بعفوٍ ... وأجرني من حر نار السعير

ثم قالت: لا اعتراض عليك، اللَّهم إن كان عذابي من رضاك فعذِّب، وإن كان العفو أحب إليك فاعف. قال: فسألتها عن مسكنها رغبةً في زيارتها. فقالت: ما لي على الأرض دار، ولا لي فيها قرار. ولو وجدت سبيلاً إلى الخروج منها ما أقمت فيها فلا خير في دار لا تدوم لذتها. فقلت لها: أوصيني بشيء أنتفع به. فقالت: يا سعيد، إن أمكنك أن تخطو إلى الآخرة خطوة فافعل، وإن نالك في ذلك مشقة، فما تُنال الدرجات إلا بالصبر على المشقات. يا سعيد، ورد في الخبر أن نبينا محمدًا ﷺ دخل على فاطمة رضي الله عنها، فوجدها تطحن، فلما رأته بكت، فقال لها: يا فاطمة ما يُنال ما عند الله إلا بالصبر على المكاره[1]. ثم قالت: يا سعيد، لو باشرت الآخرة بقلبك لهان عليك ما ترى من أمور الدنيا، يا سعيد، عليك بمحبة الله والخوف من قطيعته. ثم ولت وهي تقول:

يا من به وبفضله ... طاب النعيم لأهله

---

(١) أخرجه ابن الأعرابي في «معجمه» (٤٤٥)، وذكره الغزالي في «الإحياء» ٤/٢٣٣، والسيوطي في «الدر المنثور» ٨/٥٤٣ من حديث جابر قال: دخل رسول الله ﷺ على فاطمة وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من أجلة الإبل، فلما نظر إليها بكى وقال: **«يا فاطمة تعجلي مرارة الدنيا بنعيم الآخرة»**.

قال العراقي في «تخريج الإحياء»: أخرجه أبو بكر ابن لال في «مكارم الأخلاق» بإسناد ضعيف.

كـل الـوصـال مـحـرمٌ إلا إرادة وصـلـه
إن سـرنـي فـبـفـضـلـه أو سـاءنـي فـبـعـدلـه
مـا شـاء يـفـعـل إنـنـي أرضـى بـسـائـر فـعـلـه

قالت رابعة بنت إسماعيل الشامية: إن العبد إذا عمل بطاعة الله عز وجل أطلعه الجبار على مساوئ عمله، فتشاغل به دون خلقه[1].

قال أحمد بن أبي الحواري زوج رابعة: جلست لآكل، فجعلت تذكِّرني فقلت لها: دعينا، يهنينا طعامنا. فقالت: ليس أنا وأنت ممن ينغص عليه الطعام عند ذكر الآخرة[2].

وقال أحمد: كان لرابعة أحوال شتى، فمرة يغلب عليها الحب، ومرة يغلب عليها الأنس، ومرة يغلب عليها الخوف، فسمعتها تقول في حال الحب:

حبيبٌ غاب عن بصري وشخصي ولـكـن عـن فـؤادي مـا يـغـيـب

وسمعتها في حال الأنس تقول:

ولـقـد جـعـلـتـك في الـفـؤاد مـحـدثـي وأبـحـت جـسـمـي مـن أراد جـلـوسـي
فـالـجـسـم مني لـلـجـلـيـس مـؤانـسـي وحـبـيـب قـلـبي في الـفـؤاد أنـيـسـي[3]

وسمعتها في حال الخوف تقول:

وزادي قـلـيـلٌ مـا أراه مـبـلـغـي ألـلـزاد أبـكـي أم لـطـول مـسـافـتـي
أتـحـرقـني بـالـنـار يـا غـايـة الـمـنـى فـأيـن رجـائـي فـيـك أيـن مـحـبـتـي[4]

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٨٢٣).
(٢) لم أقف عليه.
(٣) في (ط): جليسي.
(٤) ذكره ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٦٩/١١٧، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٨٢٣).

انظر - رحمك الله! - إلى أحوال هؤلاء النسوة، كيف آنسهم الحق به فاستوحشوا من غيره، قال الله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦٩]. وقد تعطى المرأة ويحرم الرجل، وقد يصيب العبد ويخطئ السيد.

خرج بعضهم من الإسكندرية وعبده خلفه، فجلس السيد على مصطبة وأمر عبده بأن يأتي بحاجة نسيها، وكان قد كشف لبعض الأولياء، فرأى علمًا من نور فوق رأس السيد وعبده ولم يعلم لمن هو، فلما ولى العبد ذهب النور معه[١].

قال المولى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٧٤]. وقال المولى الغفور: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]. وقد يناله الصغير ويحرم الكبير.

كان أمير البلدة على باب حاتم الأصم، فطلب ماءً فجاؤوا له بماء بارد، فرمى لهم شيئًا من الدنيا، فوافقه أصحابه، ففرح من في البيت، وكان لحاتم ابنة فبكت، فقيل لها: ما بالك تبكي؟ فقالت: هذا مخلوق أقبل علينا فاستغنينا به، فكيف لو أقبل الخالق علينا[٢].

وقالت رابعة يومًا: من يدلنا على محبوبنا؟ فقالت جاريتها: هو معنا، لكن حَجَبَنا عنه حب الدنيا[٣].

وقد قلت ما اتفق لهؤلاء النسوة والجواري والأطفال؛ ليعلم الجاهل أن الله سبحانه يختص برحمته من يشاء، وتوبيخًا لكثير من الرجال، ولمن يدعي الأهلية وقد شغل بالدنيا والأماني والمحال، ولم يخف من شديد المحال، فمن تفرغ من حب الدنيا وهمومها؛ أقامه الحق بين يديه، ونظر بعين كرمه إليه. قال بعض المحبين:

قلبٌ أحب سواك لا نال المنى ... وجنت عليه يد الصدود بما جنى

---

(١) لم أجده.

(٢) ذكره ابن الجوزي في «صفوة الصفوة» (١٠٢٨).

(٣) لم أجده.

كيف التعوض عن هواك بغيره ... وبنا إليك الفقر لا عنك الغنى
يا من تجلى في الوجود لناظري ... فرأيته من كل شيء أحسنا
سل عاشقًا هجر الكرى وجفا الـ ... ورى ورأى المحبة دينه فتدينا

كان الشبلي ينشد على سور عسقلان:

اطلبوا لأنفسكم ... مثل ما وجدت[1] أنا
قد وجدت لي سكنًا ... ليس يشبه السكنا
إن دنوت قربني ... وإن بعدت عنه دنا

وكان بعضهم ينشد مخبرًا عن حاله:

وحقكم ليس لي في غيركم غرض ... لأنني لم أجد لي عنكم عوض
فحبكم جوهر في القلب مسكنه ... وكل شيء سوى حبي لكم عرض
ومن جنوني بكم قالوا به مرض ... فقلت لا زال عني ذلك المرض

وقال بعض المحبين شعرًا:

قلبي يراك علىٰ بعد من الدار ... وأنت في الحب في ذكري وتذكاري
إن غاب شخصك عن عيني فلم أره ... فإن حبك معقود بإضماري
فإن تكلمت لم ألفظ بغيركم ... وإن سكتُّ فأنتم عقد إضماري

ولقد أحسن من قال:

رسول أتاني مخبرًا برضاكم ... عليّ وقلبي آمنٌ من جفاكم
فأوجد روحي راحةً ومسرةً ... وقد كان قلبي خائفًا من سطاكم
أسأنا وأحسنتم إلينا تكرمًا ... وخنًا وما خنتم وبان وفاكم
وما زال حسن العفو منكم سجية ... يجازى به من بالذنوب أتاكم

(١) في (ق): طلبت.

إذا نحن خفناكم لجأنا إليكم وليس لنا من نرتجيه سواكم
لقد خاب من يسعى إلى باب غيركم وفاز الذي والاكم واصطفاكم
وما راق لي إلا بديع جمالكم ولا هزني إلا نسيم هواكم
وإن كان جسمي غائبًا عن خيامكم[1] فإن فؤادي حاضرٌ في حماكم
عليكم سلام الله إني لبعدكم سقيم وما أُشفَى بغير لقاكم

مر الشبلي بصغار يضربون رجلًا بالأحجار، فنهاهم، فقالوا: دعنا يا شيخ نقتله فإنه كافر بالله تعالى يزعم أنه يرى الله ويتكلم معه. فجاءه الشبلي فرآه يمسح الدم عن وجهه ويطرق، ثم يرفع طرفه نحو السماء ويقول: هذا جميل منك؛ تسلط عليَّ هؤلاء الصغار! (فقلت في نفسي: هو مجنون. فقلت له: ماذا يقول عنك الصغار؟)[2]، فنظر إلى الشبلي وقال: ما يقولون يا شبلي؟ فلما افترسني[3] قلت: هو والله وليُّ الله تعالى. فقلت: يقولون عنك أنك تقول: إنك ترى الله وتخاطبه[4]. فقال: والله يا شبليُّ لو احتجب عنِّي طرفة عينٍ لتقطعت من ألم البين، ثم ولَّى وهو يقول:

خيالك في وهمي وذكرك في فمي وحبك في قلبي فكيف[5] تغيب[6]

وكان بعض المحبين لا يزال يقول: الله! الله! فوقع سهم شجَّ جبينه، فجرى الدمُ فكتب على الأرض: الله! الله![7].

---

(١) في (خ): عتابكم.
(٢) ليست في (ق).
(٣) يعني: تَفَرَّس فِيَّ وأنعم النظر.
(٤) في (خ): وتتكلم عنه.
(٥) في (ق): فأين.
(٦) لم أجده، وقد ظهر من شِعْر ذلك الرجُل أنَّه لا يعني أنه يرى الله ويخاطبه عيانًا، وإنما بحضور القلب والحب والذكر. على أنَّ إطلاق الرؤية والكلام على هذا منكرٌ، وهو من أباطيل الصوفية التي يتدرجون بها إلى وحدة الوجود، وأشدُّ نكارة من ذلك قوله: (خيالك في وهمي)، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا. (ت)
(٧) أخرجه القشيري في «الرسالة القشيرية» ٣٧٩/٢ عن جعفر بن نصير يقول: سمعت=

قال المؤلف: رأيت رجلاً قد وَلِهَ[1] بحب الله تعالى، لا يزال يقول: لا إلٰه إلا الله. ملء رأسه، ولا كان يسعه إلا رؤوس الجبال، فإذا أذن المؤذن العصر دخل الخليل[2] وصلى مع المسلمين، وجلس ينتظر سماط الخليل[3] عليه السلام، وما كان له شيء من الدنيا غير الرَّغيفين اللذين

= الجريري يقول: كان بين أَصحابنا رجلٌ يُكثر أَن يقول: الله! الله! فوقع يومًا عَلَى رأسه جذع، فانشج رأسه، وسقط الدم، فاكتتب على الأَرض: الله! الله!

قلتُ: وذكر الله تعالى بالاسم المفرد: (الله)، طريقة مبتدعة لا أصل لها في الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح، فالواجب ذكر الله عز وجل بالدعاء والاستغاثة والتسبيح والحمد والشكر والثناء الجميل ونحو ذلك من المعاني التي دلت عليها الأدعية المأثورة. (ت)

(١) الوَلَهُ: الحزن وقيل هو ذهاب العقل والتحير من شدَّة الوجد. انظر «لسان العرب»: وله.

(٢) يريد المسجد الذي ينسب إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام ويُعرف بالحرم الإبراهيمي ـ وما هو بحرم، إذا لا حرم إلا حرمُ مكة وحرم المدينة ـ وهو أقدم مساجد مدينة الخليل في فلسطين، وقد جرى فيه المسلمون على سنن من قبلهم من اليهود والنصارى في اعتقادهم أنَّ في ذلك الموضع قبرُ إبراهيم ﷺ.

(٣) السِّماطُ: ما يمدُّ ليوضع عليه الطعام في المآدب ونحوها. وتدل النصوص التاريخية على أن بعض المسلمين ابتدعوا في الخليل إطعامًا منتظمًا للفقراء، وجعلوا ذلك باسم سماط إبراهيم الخليل ﷺ.

قال ابن الحاج في «المدخل» ٢٤٦/٤ ـ وقد ذكر زيارة الخليل، ولم يوفَّق إلى إنكارها! ـ: وليحذر مما يقوله بعضهم عن العدس الذي يفرقونه فيه هذه: ضيافة الخليل عليه الصلاة والسلام! فيفردونه بالذكر، فقد يوهم ذلك أن ضيافته عليه الصلاة والسلام كانت بالعدس، ليس إلا، وكانت ضيافته عليه السلام بذبح البقر، وهذا لفظ ينبغي أن ينهى عنه قائله، وقد شاع هذا في غير ذلك الموضع من البلاد، تسمعهم ينادون على العدس المطبوخ في الأسواق: عدس الخليل! عدس الخليل! قال الله عز وجل في كتابه العزيز: ﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: ٢٦]، وإذا فعل ذلك في حق نفسه فيتعيَّن عليه أن ينصح إخوانه المسلمين، ممن يعلم أنه يقبل منه نصيحته، وإلا فليعتزلهم، وإلا فعليه بخاصة نفسه.

وقال ابن القيم في «زاد المعاد» ٣١٦/٤ ـ في سياق كلامه عن العدس ـ: وأما ما يظنه الجهال أنه كان سماط الخليل الذي يقدمه لأضيافه؛ فكذب مفترى، وإنما حكى الله عنه الضيافة بالشواء، وهو العجل الحنيذ. =

يأخذهما من سماط الخليل، فشكاه الناسُ[1] لشيخ حَرَم الخليل عليه السلام ـ ويُعرف بالجَعْبَري[2] ـ، وقالوا: هذا الفقير يؤذينا من قوة ذكره. (قال الشيخ: لا تعطوه الخبز)[3]. فمرَّ به المفرِّقُ ولم (يدفع له خبزه، فقال الفقير)[4]: لم لا تعطوني العَلَفَ؟ قالوا: الشيخ أمرنا بذلك. قال: ولم أمركم بهذا؟ قالوا: لأنك (تذكر الله وتصرخ)[5]. قال: أعطوني خبزي وأنا من اليوم أذكر الله تعالى ولا أصرخ! ثم قال: والله أنا كنت أذكر الله تعالى في القدس أقوى من هذا الذِّكر ولم ينهوني عن ذلك. ثم جاء ثاني ليلة فمسك نفسه فلم يقدر وقال: لا إلٰه إلا الله. رافعًا صوته، ثم أيس من الرغيفين، وقال لهم: أنتم في حِلٍّ من الرغيفين! فمن الناس من بكى لكلامه، ومنهم من ضحك.

فمن عمل ذلك عامدًا يكون خارجًا عن السنة مبتدعًا، ومن غلب عليه الحال يعذَرُ، (لا يكون خارجًا عن السنة)[6]، فصدِّق أحوالَ الرِّجال، ودع

= وقد ذكر عبد الرحمٰن بن محمد العليمي (ت: ٩٢٨) وصف السماط وما تعلق به من حوادث في مواضع متفرقة من كتابه: «الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل»، فيراجعه من شاء.

(١) في (خ): فشكوه.

(٢) هو الشيخ الإمام العالم المقرئ شيخ القرَّاء برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري، ثم الخليلي الشافعي، صاحب المصنفات الكثيرة في القراءات وغيرها، ولد سنة (٦٤٠) بقلعة جعبر، واشتغل ببغداد، ثم قدم دمشق وأقام ببلد الخليل نحو أربعين سنة يقرئ الناس، وشرح الشاطبية، وسمع الحديث، وكانت له إجازة من يوسف بن خليل الحافظ، وصنَّف بالعربية والعروض والقراءات نظمًا ونثرًا، وكان من المشايخ المشهورين بالفضائل والرياسة والخير والديانة، والعفَّة والصيانة، توفي يوم الأحد خامس شهر رمضان سنة (٧٣٢)، ودفن ببلد الخليل تحت الزيتونة، وله ثنتان وتسعون سنة رحمه الله. قاله ابن كثير في «البداية والنهاية» ١٨٤/١٤.

(٣) في (ق): فمنع خبزه.

(٤) في (ق): يعطه شيئًا فقال.

(٥) في (ق): تؤذي الناس بصراخك.

(٦) ليست في (ق).

عنك المراء والجدال[١].

قال المؤلف: جاءني بعضُ الأصحاب، وكان من المشايخ، ومعه إجازةٌ بالقراءات السَّبع، فقال لي: (سكنتُ مرةً بجانب الجامع الحاكمي بالقاهرة المعِزِّية)[٢] وأنا صبيٌّ (دون البلوغ)[٣]، فانتبهت في الليل، فسمعت صوتًا يقول: الله! الله! ويمدُّ صوته، فقلت في نفسي: هذا صوت مريض أو محب. فلما جاء[٤] الصبح طرقتُ الباب الذي سمعت منه الصوت، فدخلت فإذا هو شيخ صالح، فقلت له: يا سيدي لمَّا سمعتُك البارحة تقول: الله! الله! قلت في نفسي: هذا صوت مريض أو محب[٥]. فصرخ الشيخ، وقال: يا بني، أنا مريض ومحب. فبينما الشيخ جالس، وإذا برسول القاضي وقد جاء وقال: يا شيخ قم كلِّم القاضي. فقد عقد لك مجلسًا؛ (لأنه بلغه أنك قلت: أنك ترى الله. فخرج)[٦] فسمع قائلاً يقول: يا شيخُ! إذا قيل لك: هل رأيت الله؟ فقل لهم: الأعمى هو الذي لا يرى الظاهر. فإن قالوا: فكيف رأيته؟ فقل لهم: الأحمق هو الذي يكيف. فلما دخل[٧] الشيخ أجلسه القاضي إلى جانبه وقال له: يا شيخ، أنت رأيت الله؟ قال الشيخ: الأعمى

---

(١) يريد المؤلف رحمه الله أن ما حصل من ذلك الصوفي من الصراخ بذكر الله مخالف للسنة، وهو مبتدع إن تعمده، لكنه معذور إن غلبته الحال، وهذا صحيح، فيكون بمنزلة المجانين والمعتوهين، فهذه الحال شيطانية قد تكون من تلبّس الجنّ به، أو من ضعف عقله، ومرض نفسه، نسأل الله العفو والعافية.

(٢) في (خ): (سكنًا مرة بجانب الجامع بالقاهرة يُعرف بجامع الحاكم). وهو جامع الحاكم بأمر الله، بنُي عام (٣٨٠) في عهد العزيز بالله العبيدي الباطني، وأتمه ابنه الحاكم بأمر الله (٤٠٣) لذا نسب إليه. راجع خبره في «المواعظ والاعتبار» للمقريزي ٥٨/٤.

(٣) ليست في (ق).

(٤) في (ق): كان.

(٥) في (ق): محب أو ضعيف.

(٦) في (خ): وهو يفكر ماذا يكون جوابه للفقهاء، وكان الناس قد بلغوا القاضي أن الشيخ قال لهم إنه رأى الله تعالى.

(٧) في (ق): وصل.

هو الذي لا يرى الظاهر. فسكت القاضي، فقال رجل من الفقهاء: كيف رأيته؟ قال الشيخ: الأحمق هو الذي يكيِّفُ. فقام القاضي وقبَّل يدَ الشَّيخ وشيَّعه[1].

وقد جاء في الحديث الصحيح: **«الإحسانُ أن تعبد الله كأنَّك تراه، فإنْ لم تكن تراه فإنه يراك»**[2].

---

(١) لم نقف على هذه القصة، وهي من الحكايات التي وقعت للمؤلف سماعًا، وما حصل لهذا الشيخ الصوفي إنما كان من تلبيس إبليس، فقد ألقى إليه أولاً أنه يرى الله عز وجل، ثم ألقى إليه ثانيًا ما يجيب به القاضي. وقد قالت عائشة رضي الله عنها ـ كما في صحيح مسلم (٢٨٧) ـ: «من زعم أن محمدًا ﷺ رأى ربَّه فقد أعظم على الله الفرية، أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٣]، أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٥١﴾ [الشورى: ٥١]». فكيف بمن أثبت هذا لغير النبي الكريم ﷺ؟!

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢٨/١ (١٨٤)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (٢٦)، ومسلم في «صحيحه» (١)، وأبو داود في «سننه» (٤٦٩٥)، وابن ماجه في «سننه» (٦٣)، والترمذي في «جامعه» (٢٦١٠)، والنسائي في «المجتبى» ٩٧/٨ (٤٩٩٠)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٥٠٤) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سؤال جبريل للنبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان.

وأخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (١٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قلتُ: وليس في هذا الحديث ما يمكن أن يستشهد به للقصة السابقة، فإنه ﷺ قال: «كأنك تراه»، ولم يقل: «تراه» أو: «ستراه» أو: «لتراه»، ثم بيَّن انتفاء الرؤية بقوله: «فإن لم تكن تراه»، وهذا هو الواقع، فصار المراد من الكلام تقريب المعنى وتأكيده، قال النووي رحمه الله: هذا من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ، لأنا لو قدَّرنا أن أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربه سبحانه وتعالى لم يترك شيئًا مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت، واجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها؛ إلا أتى به، فقال ﷺ: اعبد الله في جميع أحوالك كعبادتك في حال العيان، فإن التتميم المذكور في حال العيان إنَّما كان لعلم العبد باطلاع الله سبحانه وتعالى عليه، فلا يقدم العبد على تقصير في هذا الحال، للاطلاع عليه، وهذا المعنى موجود مع عدم رؤية العبد، فينبغي أن يعمل بمقتضاه، فمقصود الكلام: الحثُّ على الإخلاص في العبادة، ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالى في إتمام الخشوع، والخضوع، =

وقال شيخُنا رحمه الله مرةً شيئًا غريبًا حتى أطرَب السامعين، وأخرق عقولَهم، ولقد رأيتُ في مجلسه من حُمِلَ (في كساءٍ)[1] إلى بيته، فلمَّا تكلم وفرغ، قال بعض الفقراء: يا سيدي! هذا الكلام الذي قلتَه لم أسمعه منك، بل من الله تعالى! فقال الشيخ عن نفسه: اذهب بهذه القفَّة[2] العظام من الوسط، فالمتكلم هو الله تعالى جلَّ ثناؤه وتقدَّست أسماؤه! وكان رضي الله عنه يقول:

لقد ظهرتَ فلا تخفى على أحدٍ ... إلا على أكمهٍ لا يعرف القمرا
ثم استترتَ عن الأبصار يا صمدُ ... فكيف يعرف من بالعزَّة استترا[3]

= وغير ذلك. وقد ندب أهل الحقائق إلى مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعًا من تلبسه بشيء من النقائص احترامًا لهم، واستحياء منهم؛ فكيف بمن لا يزال الله تعالى مطلعًا عليه في سره وعلانيته؟!

(١) من (خ).

(٢) قال في «المصباح المنير»: القفة القرعة اليابسة، والقفة ما يتخذ من خوص كهيئة القرعة، تضع فيه المرأة القطن ونحوه، وجمعها قفف، مثل: غرفة وغرف، والقف ما ارتفع من الأرض وغلظ، وهو دون الجبل، والجمع قفاف.
قلتُ: الظاهر أنه أراد إسقاط الواسطة، وهو نفسه، فادعى أن المتكلم هو الله عزَّ وجلَّ، تعالى الله عن قوله علوًّا كبيرًا.

(٣) ذكر ابن الملقِّن في «طبقات الأولياء» ٥١٧: الشيخ داود بن عمر بن ماخلا الكهاري السكندري المالكي، صحب تاج الدين ابن عطاء الله وشرح «حزب البحر»، فكان يتمثَّل بقوله: .. فذكر البيتين، وعنده: (وكيف يظهر).
وقال الغزالي في «إحياء علوم الدين» ٣٢٢/٤: فالناس في طلبهم معرفة الله كالمدهوش الذي يضرب به المثل إذا كان راكبًا لحماره وهو يطلب حماره، والجليات إذا صارت مطلوبة صارت معتاصة، فهذا سرُّ هذا الأمر فليحقق، ولذلك قيل:

فقد ظهرتَ فما تخفى على أحدٍ ... إلا على أكمه لا يعرف القمرا
لكن بطنت بما أظهرت محتجبًا ... فكيف يعرف من بالعرف قد سترا

قلتُ: يتبيَّن لنا من نقل ابن الملقِّن أن داود بن عمر كان يتمثَّل بقول شيخه ابن عطاء الله، وهذا عمَّن قبله من الصوفية، فابن عطاء هو صاحب القصة التي ذكرها المؤلف، ووصفه بقوله: (شيخنا)، وقد تبيَّن لنا في غير ما موضع أنه إذا قال هذه الكلمة فمراده شيخه ابن عطاء الله الصوفي. (ت)

وقال بعض العارفين: لو كُلِّفت أن أرى غير الله تعالى لما استطعت[1].

وقال رضي الله عنه: من ذاق شيئًا من خالص حب الله تعالى؛ ألهاه ذلك عن ما سواه[2]. قال رسول الله ﷺ: **«ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولاً»**[3].

قال المؤلف: من رضي بالله ربًا؛ وحَّده في الأفعال والأقوال، قال المولى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٦]، ثم يتوكل في جميع أموره عليه ولا ينظر إلا إليه.

سُئل أبو يزيد رضي الله عنه عن رفع اليدين في الصلاة، فقال: هي سنة من سنن رسول الله ﷺ؛ ولكن اجتهد أن ترفع قلبك إلى الله تعالى فهو أولى[4].

فسبحان من رفع قلوب أوليائه إليه، ورزقهم حسن الأدب بين يديه، فهم له طالبون، وفي جناته[5] راغبون، وعن ما سواه راحلون، وعلى باب

---

(١) ذكره ابن عطاء الله السكندري في «التنوير لإسقاط التدبير» في (حكم الادخار)، فقال: وقال بعضهم: لو كلفت أن أرى غيره لم أستطع، لأنه لا غير معه حتى أشهد معه! وهذا حال أقوام تولتهم الرعاية، واكتنفتهم العناية، فأي تدبير بهؤلاء؟ أم كيف يمكن هؤلاء أن يكونوا من المدخرين وهم في حضرة رب العالمين؟ وإن ادخروا لم يكونوا على ما ادخروه معتمدين، أم كيف يمكنهم أن يكونوا إلى سواه مستندين، وهم لوجود الأحدية مشاهدون؟

قلتُ: هذا من دعاوى الصوفية، يقصدون بذلك أن للوجود حقيقة واحدة، فالخالق هو المخلوق، والمخلوق هو الخالق، فكيف يرى غيره وليس في الوجود سواه؟ تعالى الله عمَّا يقولون علوًّا كبيرًا، ويظهر لي أن المؤلف ـ تجاوز الله عنا وعنه ـ لم يكن على علم بمعاني كلامهم، ومقاصد إشاراتهم. (ت)

(٢) ذكره ابن عطاء الله في: «التنوير» ونسبه لبعضهم ولم يسمِّه. (ت)

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢٠٨/١ (١٧٧٨)، ومسلم في «صحيحه» (٣٤)، والترمذي في «جامعه» (٢٦٢٣) من حديث العباس رضي الله عنه.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) في (خ): جنابه.

خدمته واقفون، فهم في الشدة صابرون، وفي النعمة شاكرون، وفي الصلاة خاشعون، وعن اللغو معرضون، ومن خشيته مشفقون، ومن هيبته مطرقون، ولعظيم كبريائه متواضعون إلى الله سبحانه افتقارهم، وبه افتخارهم، وعليه اعتمادهم، فلما أعرضوا عن غيره؛ أقبل عليهم وجعلهم للعبودية أهلاً، فهو وليهم، وسيدهم، وناصرهم وعزهم، وذخرهم وفخرهم، ومعبودهم ومقصودهم، ومعلومهم ومدبرهم، وما خاب عبد كان الله له مدبرًا، ولا خذل قطُّ من كان له منتصرًا ما عرف الله سبحانه من لم يفوض أمره إليه، ولقد جهله من لم يتوكل (في جميع أموره)[1] عليه، لا تجتمع عبودية واختيار[2]، ولا ظلم وأنوار، ولا توجه العبد لله وتوجهه للآثار، فإما الله لك، أو أنت لنفسك، فاختر على بيان، ولا تستبدل[3] الهدى بالخسران.

العجب كل العجب لمن يهرب مما لا انفكاك له عنه، ويطلب ما لا بقاء معه؛ ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، ولا ترحل من كون إلى كون، فمن رحل والمُضِرُّ معه ما رحل، فتكون كحمار الرحى يسير؛ والذي ارتحل إليه هو الذي ارتحل عنه، ولكن ارحل من الكون إلى المكون، وإلى ربك المنتهى، واسمع قوله ﷺ: «**فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه**»[4]» افهم قوله ﷺ: «**فهجرته إلى ما هاجر إليه**». وتأمل هذا الأمر إن كنت من ذوي الأفهام، واعمل على الرجوع إلى الملك العلام، فإن فاتك مقام السابقين فعسى أن

---

(١) ليست في (ق).

(٢) في (خ): ولا اختيار.

(٣) في (ق): تستند إلى.

(٤) أخرجه الحميدي في «مسنده» (٢٨)، وأحمد في «مسنده» ٢٥/١ (١٦٨)، والبخاري في «صحيحه» (١)، ومسلم في «صحيحه» (١٩٠٧)، وأبو داود في «سننه» (٢٢٠١)، وابن ماجه في «سننه» (٤٢٢٧)، والترمذي في «جامعه» (١٦٤٧)، والنسائي في «المجتبى» ٥٨/١ (٧٥)، وفي «الكبرى» (٧٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

تكون من اللاحقين، وإلا فكن في آخر الركب، أو اتبع الأثر، ولا تكن من المنقطعين فتخالف الآية والخبر، فإن منَّ عليك بالوصلة كان، وإلا فمُتْ في الطلب فتحشر مع الطالبين، وفي زمرة المشتاقين، فتكون داخلاً في قول رب العالمين: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠]. فإن لم تصلح لشيء من ذلك فاقعد على الباب، فإن طردوك فاقعد قبالته.

سمع ثلاثةٌ قائلاً يقول: يا زَعتَر بَرِّي. فتواجدوا على ذلك، فأما أحدهم فكان من الواصلين، والآخر متوسط وقد طالت عليه الطريق، والآخر مبتدئ فأسمعَ الله تعالى كل واحد شيئًا ترويحًا لقلبه: فأما الواصل فسمع: ما أوسعَ بِرِّي. وسمع المتوسط: السَّعَةَ تَرَى بِرِّي. وسمع المبتدئ: اسْعَ تَرَى بِرِّي. فكان ذلك ترويحًا لقلوبهم، وسمعوا على قدر مشروبهم[(١)].

كان بعض الصالحين يقول:

والله ما جئتكم زائرًا إلا	وجدت الأرض تطوى لي
ولا انثنى عزمي عن بابكم	إلا تعثرت بأذيالي

---

(١) أخرج القشيري في «رسالته» ٥١٦/٢: عن يحيى بن الرضى العلوي، قال: سمع أبو سلمان الدمشقي طوافًا ينادي: يا سعتر بري. فسقط مغشيًّا عليه، فلما أفاق سئل، فقال: حسبته يقول: اسع تر برِّي!

وقال الغزَّالي في «إحياء علوم الدين» ٢٨٢/٢: واجتازَ بعضُهم في السوق فسمع قائلاً يقول: يا سعتر بري. فغلبه الوجد، فقيل له: على ماذا كان وجدك؟ فقال: سمعته كأنه يقول: اسع ترى برِّي.

وقال الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين» ٥٠٩/٦: رأيتُ في كتاب «المُرْقِي في مناقب سيدي محمد الشَّرْقي» تأليف: عبد الخالق بن محمد بن أحمد بن عبد القادر ابن سيدي محمد الشرقي، ما نصُّه: كان رجل في زقاق مصر يبيع ويقول: يا سعتر بَرِّي! ففهم منه ثلاثة من العبَّاد، الأول من أهل البداية: اسع تَرَ برِّي. أي اجتهد في طاعتي ترى مواهب كرامتي. والثاني متوسط، ففهم: يا سعةَ برِّي. أي: ما أوسع معروفي وإحساني لمن أحبني وأطاعني. والثالث: من أهل النهاية، ففهم: الساعةَ ترى برِّي. أي الفتح جاء آياته، فتواجدوا جميعًا. انتهى.

من لقيته عواصف الشوق أسرعت به إلى منازل الحبيب، ومن عرف الحق سبحانه شاهده في كل شيء، ومن فنى به غاب عن كل شيء، ومن أحبه لم يؤثر عليه شيئًا، إنما حجب الحق سبحانه عنك شدة قربه منك، فاحتجب لشدة ظهوره، واحتجب عن الأبصار لعظيم نوره.

كان بعض الصالحين ينشد:

ليلي بوجهك مشرق	وظلامه في الكون سار
فالناس في سدف الظلام	ونحن في ضوء النهار

فإذا أردت ـ أيها المؤمن! ـ أن تعرف قدرك عند الله سبحانه، فانظر (ماذا يقيمك فيه)[1]، فإن رزقك الطاعة والغنى به عنها؛ فقد أسبغ نعمه عليكَ، وليس العارفُ من إذا أشار وجد الحقَّ أقرب من إشارته؛ بل العارف من لا إشارة له؛ لفنائه في وجوده، وانطوائه في شهوده[2].

والحزن على فقدان الطاعة مع عدم النهوض إليها من علامة الاغترار، والرجاء ما قاربه عمل، وإلا فهو أمنية، ويخاف على من يقول: إني لأرجو الله سبحانه وأخافه، وأظن به خيرًا. وهو لا يجتهد في الأعمال الصالحات[3]، (ونفسه غادية في جهلها ورائحة)[4]، فيقال له: كذبت، لو كنت صادقًا فيما ادعيت، لجرَّك ذلك إلى أعمال الصالحين: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [فصلت: ٢٣].

ومثل هذا كمثل من يدعي المحبة؛ وهو على الدوام يخالف ربه، وقد

---

(١) في (خ): في ماذا يقيمك.
(٢) في (ق): وجوده.
وراجع تحقيق القول في مسألة الفناء كتاب: «الرد على الشاذلي في حزبَيْه، وما صنَّفه في آداب الطريق» لشيخ الإسلام أبي العباس ابن تيمية رحمه الله.
(٣) في (خ): الصالحة.
(٤) ليست في (ق).

استولى عليه الشح فلا تراه يسمح[1] بحبه، قال أبو الليث رحمة الله عليه[2]:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه	هذا محال في الفعال بديع
لو كنت فيه صادقًا لأطعته	إن المحب لمن يحب مطيع

فمن عمل بالكتاب والسنة، فهو محب صادق خائف، قد أحسن بالله ظنه، واستوجب محبة الله والجنة. ومن لم يعمل بالكتاب والسنة خُذِل، ونُكِب، وفاته ما تقدم ذكره من الخيرات والمنة؛ لأن الكتاب والسنة من مفاتيح الجنة، فمن عمل بهما وهو خائف حزين فالجنة مقامه، وهو عند الله من الآمنين، قال الصادق الأمين ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين: «**إنَّ الله يحبُّ كلَّ قلبٍ حزينٍ**»[3].

فقد أخبر الله سبحانه عن أهل الجنة بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤]. وقال الحي القيوم: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الطور: ٢٥-٢٧]. سمعتُ عائشةُ رضي الله عنها قارئًا يقرأ هذه الآية فبكتْ، وقالتْ: ربِّ مُنَّ عليَّ وقني عذاب السَّموم[4].

ثم اعلم أنَّ الخالقَ سبحانه ما خوَّف عباده الصالحين إلا ليجمعهم عليه، وليؤمنهم يوم الوقوف بين يديه.

كان مالك بن دينار إذا صلى ورده في الليل يقول: اللَّهم خلقت

---

(١) في (خ): يسخ.

(٢) سبق ذكر البيتين، ونبهنا هناك أنهما ليسا لأبي الليث السمرقندي، وإنما من نقله.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٤٠٤٨)، وأحمد في «الزهد» ١/١٦٤، وابن راهويه في «مسنده» ٢/٤١، وأبو نعيم في «الحلية» ٢/٤٨ عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها: أنها كانت إذا قرأت: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الطور: ٢٧]، قالت: اللَّهمَّ مُنَّ عليَّ، وقني عذابَ السموم.

دارين، وخلقت لكل دارٍ أهلاً، ولا أدري من أي الدارين أنا، اللّهم حرم شيبة مالك على النار[1].

قال الفضيل: بكى ابني عليٌّ، فقلت: يا علي، ما يبكيك؟ قال: يا أبتي، أخاف أن لا تجمعنا القيامة[2].

وقال العلماء: لما اجتمع يعقوب بيوسف عليهما الصلاة والسلام، قال يوسف: يا أبت، بلغني أنك بكيت على فراقي حتى عميت، أما علمت أن الله تعالى يجمعنا يوم القيامة! قال يعقوب: يا بني خفت أن تموت على غير ملة آبائك فلا أجتمع بك في الدنيا ولا في الآخرة. فحينئذٍ قال يوسف: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١][3].

ثم اعلم بأن الخوف على قدر إيمان العبد، ومعرفته بالله عز وجل؛ ولذلك كان النبي ﷺ أعرف الناس بالله تعالى، وأكثرهم خوفًا منه، فقد روي أنه ما ضحك قهقهةً قط، بل كان ضحكه تبسمًا[4]، وكان إذا بكى يبل الأرض من دموعه[5].

---

(١) أخرجه أحمد في «الزهد» ٣٢٥/١، وأبو نعيم في «الحلية» ٣٦١/٢، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٥٢٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٣١٤/٥٦.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٢٩٧/٨، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢١٩)، والمزي في «تهذيب الكمال» ٩٨/٢١.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (١١٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٢٨٨/٤، والألوسي في «روح المعاني» ٥٧/١٣.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٦٢٠) بإسناد صحيح عن عطاء قال: دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة، فقالت لعبيد بن عمير: قد آن لك أن تزورنا. فقال: أقول يا أمَّه كما قال الأول: زر غبًّا تزدد حبًّا. قال: فقالت: دعونا من رطانتكم هذه. قال ابن عمير: أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ، قال: فسكتتْ، ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي قال: **«يا عائشة! ذريني أتعبد الليلة لربي»**، قلت: والله إني لأحب قربك، وأحب ما سرك. قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بل حجره، قالت: ثم بكى، فلم يزل يبكي حتى بلَّ لحيته، قالت: ثم بكى، فلم يزل يبكي حتى بلَّ الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: =

قال عبد الله بن عمر: من بكى من خشية الله غفر الله له، ومن تباكى ولم يبك أعطاه الله أجر المصاب الحزين(١).

وقال ﷺ: **«يا أيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا»**(٢)، أمرهم بالتشبُّه؛ لأن من تشبَّه بقوم فهو منهم، وفي الحديث: **«من تشبه بغيرنا فليس منَّا»**(٣). ليس كل أحدٍ يقدر على البكاء؛ لقساوة قلبه، ولكن يقدر على التشبه، قال المولى: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [البقرة: ٢٦٥]. وقال ﷺ: **«كل عين باكية يوم القيامة إلا عين بكت من خشية الله، حرمت النار على عين سهرت في سبيل الله، حرمت النار على عين غضت عن محارم الله»**(٤).

ورُوي: بينما عبد الله بن عمرو بن العاص يصلِّي وهو يبكي، وقد شبَّ القمر، إذ مرَّ به العلاء بن طارق، فوقف يسمع، فقال: ما يوقفك يا ابن أخي؟ أتعجب منِّي أن أبكي؟ فوالله إن هذا القمر يبكي من خشية الله، أما والله لو تعلمون علم اليقين، لبكى أحدكم حتى ينقطع صوته، وسجد حتى ينقطع صلبه(٥).

قال كعب: إن العبد لا يبكي حتى يبعث الله ملكًا فيمسح كبده، فإذا مسح كبده بكى(٦).

وقال الفضيل بن عياض: والله ما فاضت عينا عبد قط حتى يضع الله

= يا رسول الله لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟ قال: **«أفلا أكون عبدًا شكورًا؟ لقد نزلت عليَّ الليلة آيةٌ ويل لمن قرأها، ولم يتفكر فيها:** ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]» الآية كلها.

(١) زاد في (ق): (الصلاة والهدى والرحمة). والأثر لم نقف عليه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه وكيع في «الزهد» (٢٥)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٣٦٢٧)، وابن عساكر في «تاريخه» ٣١/٢٦٧، واللفظ لابن عساكر.

(٦) ذكره إسماعيل حقي في «روح البيان» ٣/٣٦١.

يده على قلبه، وما بكت عيناه إلا من فضل رحمة الله[١].

قال جارٌ لمسعر بن كدام[٢]: بكى مسعر فبكت أمُّه، فقال: ما يبكيك يا أماه؟ قالت: يا بني، رأيتك تبكي فبكيت. قال: يا أماه، لمثل ما نهجم عليه غدًا فليَطُل البكاء. قالت: وما ذاك؟ فانتحب وقال: القيامة وما فيها. ثم غلب عليه البكاء فبكى، فكان إذا دخل بكى، وإذا خرج بكى، وإن صلى بكى[٣].

قال مصعب بن المقداد: رأيت النبي ﷺ في المنام، وسفيان الثوري آخذٌ بيده، وهما يطوفان، فقال الثوري: يا رسول الله، مات مسعر بن كدام؟ قال: نعم، واستبشرت به أهل السماء[٤].

ولما احتضر سفيان الثوري صار يجود بنفسه ويبكي فقيل له: ما يبكيك؟ عليك بالرجاء. قال له: كأني أبكي على الذنوب، والله لو علمت أني أموت على الإسلام ما باليت ما ألقاه من الذنوب[٥].

قال عبد الرحمٰن بن مهدي: توضأ سفيان ليلة موته ستين مرة، فلما كان وجه السحر قال لي: يا ابن مهدي، ضع خدي على الأرض؛ فإني ميت يا ابن مهدي، ما أشدُّ كُرَب الموت. قال: خرجت لأُعْلِمَ حماد بن زيد وأصحابه، وإذا هم قد استقبلوني وقالوا: آجرك الله. فقلت: ومن

---

(١) أخرجه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٢٩٨١، ٣١٣٥).

(٢) زاد في (ط): بن سعدة. وهي زيادة مقحمة، وانظر ترجمته في: «التاريخ الكبير» للبخاري (١٩٧١)، و«الثقات» لابن حبان ٥٠٧/٧، و«تهذيب الكمال» للمزي (٥٩٠٦).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٢٤٩)، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٤٤١).

(٤) أخرجه أحمد بن حنبل في «الورع» ٩٠/١، وابن المقرئ في «المعجم» (١٠٢٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» ٢١٠/٧، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٤٤١)، والمزي في «تهذيب الكمال» ٣٦٨/٢٧ بلفظه.

(٥) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ١٢/٧، وذكره الغزالي في «الإحياء» ١٧٢/٤، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٤٤٣) بألفاظ متقاربة.

أعلمكم؟ فقالوا: ما منا من أحدٍ إلا أُتي البارحة في منامه وقيل له: ألا إن سفيان الثوري قد مات[1].

عن محمد بن يوسف قال: تأملت سفيان ليلة بكى حتى أصبح، فقلت له: أبكاؤك على الذنوب؟ قال: لا، بل خوفًا أن أسلب الإيمان[2].

قال كعب الأحبار: من بكى خوفًا من الله من ذنب غفر الله له ذلك الذنب، ومن بكى اشتياقًا إلى الله تعالى أباحه النظر إليه متى شاء[3].

قال بعض المحبين:

سهر العيون لغير وجهك باطل ... وبكاؤهن لغير هجرك ضائع

وقال قائلهم:

إذا غاب عن عيني يومًا حبيبها ... جعلت البكاء يا قوم مني[4] نصيبها
وأحرمتها طيب المنام وهكذا ... جزاء كل عين غاب عنها حبيبها

يا من يريد الوصول إلينا، أين بكاؤك علينا، أتريد أن تقبل بقلبك علينا، وما هو[5] مشتاق إلينا، أتريد نزول الأنوار بغير أذكار، هل رأيت مطرًا بغير سحاب، ولو شاء لفعل ذلك رب الأرباب، لكن هكذا اقتضت حكمته، أن جعل لكل شيء سببًا، قال بعضهم:

تقول رجال الحي تطمع أن ترى ... محاسن ليلى مت بداء المطامع

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٤٤٣) بلفظه.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ١٢/٧، وذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٤٤٣) من حديث عبد الرحمٰن بن مهدي بلفظ: مات سفيان الثوري عندي، فلما اشتد به جعل يبكي، فقال له رجل: يا أبا عبد الله، أراك كثير الذنوب. فرفع شيئًا من الأرض فقال: والله لذنوبي أهون عندي من ذا، إني أخاف أن أسلب الإيمان قبل أن أموت.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٢٠)، وذكره الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» ٢٠٠/٢.

(٤) في (ق): صاحبي من.

(٥) في (ق): وهو غير.

وكيف ترى ليلى بعين ترى بها | سواها وما طهرتها بالمدامع
(وتطمع منها بالحديث وقد جرى | حديث سواها في خروق المسامع)[1]

ثم اعلم بأن عمَّال الله تعالى على قسمين: منهم من وصل، ومنهم من هو في الطريق؛ فالواصل يبكي (خوفًا أن يصدر منه شيء)[2] يكون بسببه من المنقطعين، والمنقطع يبكي رجاء[3] أن يكون من جملة الواصلين. وفي الجملة: إن البكاء من خشية الله هو من طرق الأنبياء، ومن صفات الأولياء، ومن تشبه بهم في الدنيا حشر معهم في الآخرة، والضحك مع التخليط هو طريق الأشقياء، قال بعضهم:

ليس من لوح بالوصل له | كالذي سير به حتى وصل
لا ولا الواصل عندي كالذي | قرع الباب وفي الدار حصل
لا ولا الحاصل عندي كالذي | ساروره فهو للمسير[4] محل
لا ولا من ساروره كالذي | صار إياهم فدع عنك العلل
أخذوه منه عنه فامتحى | واثبتوه فإذا هو لم يزل

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**إن الله تبارك وتعالى قال: من آذى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى (أحبه، فإذا)[5] أحببته كنت[6] سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن (قبض نفس عبدي**

---

(١) ليست في (خ).
(٢) في (خ): لكي لا يبرز منه شيئًا.
(٣) في (خ): عسى.
(٤) في (خ): للسر.
(٥) ليست في (خ، ط).
(٦) في (خ، ط): فكنت.

المؤمن)[1]، **يكره الموت وأنا أكره مساءته**». رواه البخاري في «صحيحه»[2].

وفي «صحيح مسلم»: قال صلوات الله عليه وسلامه: «**يقول الله عز وجل: ما تقرب إليَّ المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، فبي يسمع وبي يبصر**»[3].

وفي حديث آخر: «**كنت له سمعًا وبصرًا ويدًا ومؤيدًا**»[4]. (هذا أيضًا حديث نبوي صحيح)[5].

فانظر - رحمك الله! - ماذا قد منَّ الله به على عبده المؤمن المطيع حتى صار لهذه المرتبة أهلًا، ومما يدلك على عظيم قدر المؤمن قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقوله سبحانه فيما يحكيه عنه رسوله ﷺ: «**لا تسعني أرضي ولا سمائي، ويسعني قلب عبدي المؤمن**»[6].

وكان بعض الصالحين ينشد:

إن بيتًا أنت ساكنه ... غير محتاج إلى سُرُج[7]

ومريضًا أنت عائده ... قد أتاه الله بالفرج

وجهك المأمول حجتنا ... يوم يأتي الناس[8] بالحجج

قال بعض العارفين[9]: إن لله عبادًا كلما اشتدت ظلمة الوقت؛

---

(١) في (خ): نفس المؤمن.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ليس في «صحيح مسلم»، وذكره كذلك القشيري في «الرسالة القشيرية» ١/٤١، وإسماعيل حقي في «روح البيان» ١/٣٥٤. وراجع في تخريج هذا الحديث باستيفاء: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» للألباني (١٦٤٠).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) ليست في (ق).

(٦) سبق تخريجه، وهو باطل، لا أصل له.

(٧) في (خ): السرج.

(٨) في (ق): الله.

(٩) في (ق): الصالحين.

كلما[1] قويت أنوار قلوبهم، فهم كمثل الكواكب كلما قوي ظلمة الليل قوي إشراقها، وأين أنوار الكواكب من أنوار قلوب أوليائه[2]؟! أنوار الكواكب تتكدر، وأنوار قلوب الأولياء لا انكدار لها، وأنوار الكواكب تهدي في الدنيا، وأنوار قلوب الأولياء تهدي إلى الله تعالى[3].

قال رسول الله ﷺ: «**يا عليُّ، لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك مما طلعت عليه الشمس**». وفي حديث آخر: «**خير لك من الدنيا وما فيها**». وفي حديث آخر: «**خير لك من حمر النعم**»[4].

قال صوفي يومًا بحضرة فقيه: إن لله عبادًا هم في أوقات المحن، والمحن لا تضرهم. فقال ذلك الفقيه: هذا ما لا أفهمه. فقال الصوفي: أنا أريك مثال ذلك: الملائكة الموكلون بالنار[5] هم في النار، والنار لا تضرهم قال تعالى: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]. فكأن من آمن بالله تعالى بصدْقٍ: جاء لعند إبراهيم[6] ﷺ، ولم[7] تضرَّه النار، ومن كان كاذبًا احترق[8].

ورُوي[9] عن المسافرين أنهم رأوا طيرًا له ريش أبيض من الثلج، وأنعم من الحرير، وهو يبيض في النار، ويخرج الفرخ فيها، والنار تقد دائمًا في بعض الجزائر بقدرة الله تعالى (بغير شيء يهيجها)[10]، فهذه بهيمة حرسها الله تعالى من المحن وهي في المحن، (فالحق سبحانه حفظ بهيمة؛

---

(١) ليست في (ق).

(٢) في (ق): أولياء الله تعالى.

(٣) لم أجده.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) في (خ، ب): في النار.

(٦) في (ق): يجيء لإبراهيم.

(٧) في (ق): لا.

(٨) لم أجده.

(٩) في (خ): وصح.

(١٠) ليست في (ق).

أفما يحفظ وليه؟!)[1]. وفي الحديث النبوي: «**يا معاذ، احفظ الله يحفظك**»[2].

والأولياء عليهم السلام حفظوا الله تعالى فيما استودعه إياهم وفرضه عليهم؛ فحفظهم، أي حفظ قلوبهم من البدع والأغيار، ومن الركون إلى هذه الدار، وفي الآخرة من عذاب النار، وأما البدن فقد يبتلى وقد لا يبتلى، وقد فوض القوم أمرهم إلى الله تعالى؛ إن أعطاهم شكروا، وإن ابتلاهم صبروا. قال رسول الله ﷺ: «**من عُوفي فشَكر، وابتلي فصبَر، فقد استكمل الإيمان**»[3].

ولقد ابتليت هذه الطائفة بأذى الخلق لهم خصوصًا أهل العلم الظاهر، فقلَّ أن تجد منهم من شرح الله صدره بالتصديق لوليٍّ معيَّنٍ؛ بل يقولون: نَعَمْ الأولياءُ هم موجودون، ولكن أين هم؟[4].

---

(١) في (ق): فكيف لا يحفظ أوليائه.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢٩٣/١ (٢٦٦٩)، والترمذي في «جامعه» (٢٥١٦)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٥٥٦) من حديث ابن عباس قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا فقال: «**يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**».

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقال الألباني في «المشكاة» (٥٣٠٢): صحيح.

(٣) لم أجده بهذا اللفظ، وإنما أخرجه أحمد في «مسنده» ٣٣٢/٤ (١٨٩٣٤)، ومسلم في «صحيحه» (٢٩٩٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٨٩٦) من حديث صهيب رضي الله عنه، بلفظ: «**عجبًا لأمر المؤمن! إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر؛ فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر؛ فكان خيرًا له**».

(٤) يجري المؤلف هنا على طريقة الصوفية في وصف أهل العلم بالكتاب والسنة، الذين هم فقهاء الشريعة، وورثة الأنبياء؛ بأهل العلم الظاهر. لأن الصوفية يدعون أن علومهم ـ التي هي بدع وضلالات ـ إنما هي (العلم الباطن)، وأن لا حجة لأهل العلم الظاهر عليهم، وغلاتهم لا يرون أنفسهم مخاطبين بالظاهر، لهذا ينسلخون من الشريعة، =

ولقد قال لمؤلِّف هذا الكتاب رجلٌ معه طرفٌ من العلم: أخبار الصالحين كالجن؛ نسمع بهم ولا نراهم. قال له المؤلف: أنت يا أخي من الصالحين؟ قال: لا. قال[1] له: فأنت مشتاق إليهم؟ قال: لا. (قال فقلت)[2] له: فأنت لا صالح ولا مشتاق، فكيف تراهم؟ ثم قلت له: قال شيخنا رحمة الله عليه: أولياء الله عرائس، ولا يرى العرائسَ المجرمون[3].

قال بعض العلماء: نخاف على من أنكر وجود الأولياء من سوء الخاتمة[4].

= ويستخفون بأحكامها، فلا يقومون بأوامرها، ولا ينتهون عن نواهيها. راجع مبحث (الظاهر والباطن) في كتاب: «التصوف: المنشأ والمصادر» للعلامة إحسان إلهي ظهير رحمه الله.

(١) في (خ، ب): قلت.

(٢) في (خ، ب): قلت.

(٣) هذه الكلمة قديمة عند الصوفية، فقد أخرجها القشيري في «رسالته» ٤١٨/٢ عن أبي يزيد البسطامي قال: أولياء الله عرائس الله تعالى، ولا يرى العرائس إلا المَحْرَمون [يعني: من كان محرمًا لهم]، فهم مخدَّرون عنده في حجاب الأنس، لا يراهم أحد في الدنيا، ولا في الآخرة.
ويظهر أن مشايخ الصوفية في عصر المؤلف كانوا يرددون هذه الكلمة، ومنهم ابن عطاء الله السكندري، فقد ذكره في «لطائف المنن» ص ٦٨، وصدره بقوله: (فإذا كان أهل الزمن معرضين عن الله، مؤثرين لما سوى الله، لا تجع فيهم الموعظة، ولا تميلهم إلى الله التذكرة؛ لم يكونوا أهلاً لظهور أولياء الله فيهم، ولذلك قالوا: أولياء الله عرائس، ولا يرى العرائس المجرمونَ).
وبهذا يتبيَّن أنه يعني بقوله: (قال شيخنا رحمه الله)؛ ابنَ عطاء الله السكندري.

(٤) بل من ينكر وجودهم فليس بمسلم، لأن الله تعالى قال في كتابه العزيز: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٣]، فأثبت ربنا سبحانه وجود الأولياء، ثم بيَّن صفتهم بأنهم أهل الإيمان والتقوى، ولا يصحُّ إسلامُ أحدٍ إلا بتحقق أصل الإيمان والتقوى فيه، وبهذا يُعلم أن جميع المسلمين في كل زمان ومكان هم أولياء الله عز وجل، ثم تتفاوت مراتبهم في منازل الوَلاية ودرجاتها بقدر علمهم وإخلاصهم ونيتهم وقولهم وعملهم، فالإيمان قول وعمل، يزيد وينقص. لكن الصوفية يريدون أن يخصوا بوصف (الوَلاية) من كان على طريقتهم ومذهبهم المبتدع في الاعتقادات والسلوك، ولا شكَّ أن في ذلك نفيًا لوصف الولاية عمن سواهم من المؤمنين المتقين، كما فيه تفريقًا للأمة=

قال مؤلف الكتاب: صليت الجمعة بجامع الأزهر بالقاهرة، فقال رجل لفقيه: إن رجلاً دخل على شيخه، انفتح له الحائط فدخل منه، وسلم على الشيخ، فلما خرج عاد الحائط إلى ما كان عليه. فقال الفقيه: آه، الله ينفعنا بالشيخ. فقلت له: كيف ينفعك الله به وأنت تهزأ به؟! أنا أقول لك مسألة في الفقه: ألست[1] تؤمن أن الله سبحانه وتعالى يشق الحائط للشيطان، ويجري من ابن آدم مجرى الدم؟ قال: نعم. قلت: أفتؤمن بهذا[2] في عدو من أعداء الله، وتستنكره[3] في حبيبٍ من أحبابه، وتقول بكرامات الأولياء بلسانك، فإذا سمعتها أذنك أنكرها قلبك[4].

وسئل بعض العارفين عن أولياء العدد[5] أينقصون في زمن؟ قال: لو

= وانخزالاً عنها بفرقة تدعي لنفسها تحقق الولاية في رؤوسها وأتباعها، هذا إن سلموا مما يقدح في ولايتهم أو ينقضها من الانحرافات في مسائل العلم والعمل. وراجع في هذه المسألة كتاب: «الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

(١) في (خ): أنت ما.

(٢) في (خ): تستقل هذا.

(٣) في (خ): وتستكثره.

(٤) لم يكن المؤلف رحمه الله موفقًا في هذه المحاججة، فخفة الجن في التنقل وقدرتهم على مسِّ الآدمي والدخول في جسده ثابت بالخبر الصحيح عن المعصوم ﷺ، أما كرامات الأولياء فلا بدَّ من النظر فيها من جهة ثبوتها بالخبر المعتمد من الثقات، ثم من جهة صدورها ممن حاله تدل على الإيمان والتقوى والاستقامة ولزوم السنة، فهذا هو الميزان في إثبات الكرامات، وإلا فكم من كرامة مختلقة مكذوبة يتناقلها العوام دون تثبت، وكم من خوارق وأحوال شيطانية تظهر على أدعياء التدين من ضلال الصوفية والسحرة والدجالين، وقد ذكر المؤلف فيما سبق الخوارق التي تظهر على مخالفي السنة، وسماها بالاستدراج، وحذر منها، فأصاب وأحسن. وقد تلقف المؤلف هذه الفكرة من شيخه ابن عطاء الله السكندري، الذي كان يستخدم ما يصح تسميته بالإرهاب الفكري ضد كل من ينكر خزعبلاتهم، فيدَّعي: (أن جحد الكرامة في الولي جحد لقدرة الله العزيز القدير، فكل كرامة لولي هي معجزة لذلك النبي الذي يتبعه هذا الولي، فلا تنظر إلى التابع، ولكن انظر إلى قدرة المتبوع) كما في كتابه «لطائف المنن».

(٥) كذا في النسخ، وفي «لطائف المنن»: «المدَد».

نقص منهم واحد ما أرسلت السماء قطرها، ولا أبرزت الأرض نباتها[1].
قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥٠]. فلولا الصالحون لهلك الطالحون، وفساد الوقت لا يكون بذهاب أعدادهم، ولا بنقص إِمْدَادهم، ولكن إذا فسد الوقت كان مراد الله سبحانه وقوع اختفائهم مع وجود بقائهم، فإذا كان أهل الزمن معرضين عن الله تعالى، لا تنفعهم الموعظة، ولا توقظهم[2] التذكرة، ولم يكونوا أهلاً لظهور أولياء الله فيهم. وكذلك قالوا: أولياء الله عرائس، ولا يرى العرائس المجرمون. وقد قال ﷺ: «**لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم**»[3]، فإذا كان الحق سبحانه وصّانا على لسان رسوله ﷺ أن لا نؤتي الحكمة غير أهلها، فهو أولى بهذا الخلق الجميل منا.

قال صلوات الله عليه وسلامه: «**إذا رأيت هوىً مطاعًا، وشحًّا متبعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخويصة نفسك**»[4].

---

(١) يقول ابن عطاء الله في «لطائف المنن» ص ٦٨: وقد سئل بعضُ العارفين عن أولياء المدَدِ: أينقصون في زمن واحدًا؟ فقال: لو نقص منهم واحد ما أرسلت السماء قطرها، ولا أبرزت الأرض نباتها، وفساد الوقت لا يكون بذهاب أعدادهم، ولا بنقص إمدادهم، ولكن إذا فسد الوقت كان مراد الله وقوع اختفائهم مع وجود بقائهم.

(٢) في (خ): ولا توعظهم.

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» ٤٥٨/٤٧ من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن عيسى ابن مريم قام في بني إسرائيل قال: يا معشر الحواريين، لا تحدثوا بالحكمة غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموها، والأمور ثلاثة: بَيِّنٌ رُشْده فاتبعوه، وأمر تبين لكم غيه فاجتنبوه، وأمر اختلف عليكم فيه فردوا علمه إلى الله تعالى».

وإسناده غريب كما قال ابن كثير في «البداية والنهاية»، وهو منكر مرفوعًا، والصواب أنه من كلام المسيح عليه الصلاة والسلام، مما أخذه المسلمون عن الإسرائيليات.

(٤) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (١٥٥)، وابن ماجه في «سننه» (٤٠١٤)، وأبو داود في «سننه» (٤٣٤١)، والترمذي في «جامعه» (٣٠٥٨) من حديث أبي ثعلبة رضي الله عنه بلفظه.

قال الترمذي: حديث حسن غريب.

وقال الألباني في «الضعيفة» (١٠٢٥): ضعيف.

فسمعوا وصية رسول الله ﷺ فآثروا الخفاء، بل آثر الله لهم ذلك؛ مع أنه لا بد أن يكون منهم في الوقت أئمة ظاهرون (قائمون بالحجة)[1]؛ لقوله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من ناوأهم إلى قيام الساعة**»[2].

وروى سهل بن سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في أصلاب أصلاب رجال من أصحابي رجالاً ونساءً يدخلون الجنة بغير حساب**، ثم تلا: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة: ٣ ـ ٤]»[3].
وفي حديث آخر: «**في كل قرنٍ طائفة من أمتي سابقون**»[4].

نرجع إلى ما كنا عليه من عظيم قدر المؤمن عند الله سبحانه:

قال بعض العلماء: لو كشف لك عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السماء والأرض، فما بالك بنور المؤمن الطائع[5].

---

(١) ليست في (ق).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢٧٨/٥ (٢٢٤٠٣)، ومسلم في «صحيحه» (١٩٢٠)، وأبو داود في «سننه» (٤٢٥٢)، والترمذي في «جامعه» (٢٢٢٩) من حديث ثوبان، وله شواهد من حديث جابر، والمغيرة بن شعبة، وزيد بن أرقم، وأبي أمامة، وعمران بن حصين رضي الله عنهم.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٨٨٩١)، والطبراني في «الكبير» ٢٠١/٦ (٦٠٠٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٠٩) من حديث سهل بن سعد.
قال الهيثمي ٤٠٨/١٠: إسناده جيد. وقال الألباني في «ظلال الجنة» (٣٠٩): صحيح.

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٨/١، وذكره الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» ٣٦٩/١، والديلمي في «مسند الفردوس» (٤٣٧٥) من حديث عبد الله بن عمرو، قال الألباني في «الصحيحة» (٢٠٠١): هذا إسناد جيد، رجاله ثقات معروفون من رجال «التهذيب».

(٥) ذكره الثعالبي في «الجواهر الحسان» في تفسير سورة فاطر(٣٢)، وفي الطور (٢١)، قال: قال الشيخ أبو الحسنِ الشاذليُّ: أكرم المؤمنين وإن كانوا عصاةً فاسقينَ، وَأْمُرْهُمْ بالمعروف، وانههم عن المنكر، واهجرهم رحمة بهم لا تعزُّزًا عليهم، فلو كُشِفَ عن نور المؤمن العاصي لَطَبَّقَ السماء والأرض، فما ظنّك بنور المؤمن المطيع.
والمؤلف نقل هذا بواسطة شيخه ابن عطاء الله.

وإشارة الشيخ بنور العاصي ـ والله أعلم ـ هو نور لا إلٰه إلا الله.

(عن محمد بن علي الترمذي[١] قال: يأتي العبد يوم القيامة فلا يجد لا إلٰه إلا الله)[٢] في ميزانه فيقول: لِمَ لا أجدها في ميزاني؟ فيقال له: إن الميزان لا يسعُها، ولا تسعها السماواتُ ولا الأرض[٣]. بدليل قوله ﷺ: **«وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض»**. لأنه قال: **«والحمد لله تملأ الميزان»**[٤]. فإذا امتلأ بالحمد لله لم يسع ما بعدها. وهي المخمِّدة لنار جهنم؛ لقوله ﷺ: **«أخرجوا من النار من قال: لا إلٰه إلا الله»**[٥]. وهي

---

(١) هو المعروف بالحكيم الترمذي، توفي نحو (٣٢٠هـ)، من مؤلفاته: «ختم الولاية»، و«نوادر الأصول في أحاديث الرسول».

(٢) ليست في (خ).

(٣) لم نجده، وهو بيِّن البطلان، فقد ورد في الحديث الصحيح أن كلمة التوحيد توضع في الميزان، فأخرج الترمذي في «الجامع» (٢٦٣٩) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله سيخلِّص رجلًا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًا، كل سجل مثل مدِّ البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب! فيقول: أفلك عذرٌ؟ فيقول: لا يا رب! فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنةً، فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتُخرَج بطاقةٌ فيها: أشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. فيقول: احضر وزنك. فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: إنك لا تظلم». قال: «فتوضع السجلات في كِفَّة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء»**. وراجع تخريجه في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١٣٥). (ت)

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» ٥/٣٤٣ (٢٢٩٠٨)، ومسلم في «صحيحه» (٢٢٣)، والترمذي في «جامعه» (٣٥١٧) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣/١٧٣ (١٢٧٧٢)، وعبد بن حميد في «مسنده» (١١٧٢)، والترمذي في «جامعه» (٢٥٩٣)، والحاكم في «المستدرك» ١/٧٠ من حديث أنس رضي الله عنه.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وقال الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢٥٩٣): صحيح.

ـ أيضًا ـ توجب لقائلها الجنة، قال ﷺ: **«من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»**(١).

يا من يدَّخر الفصوصَ، ومعه الكنز الأعظمُ، ولم يعرف قدْرَه، وهي: «لا إله إلا الله» التي تجدها أمامك في الشدائد عند سؤال منكرٍ ونكيرٍ، وعند اللقاء، وعند الميزان، وعند تطاير الصحف، وعند الصراط. فإذا طالبتك نفسك بما يبعدك من الله سبحانه فأكثر من قول: «لا إله إلا الله»، فمن قالها في موطنها ألبسه الله تعالى لباسًا يقيه من معصيته؛ لأنك قد استجرت بالله، ومن استجار بالله أجاره الله، وهو الذي يجير ولا يجار عليه. وقد جاء في الخبر: أن المهدي يأتي إلى القسطنطينية العظمى ـ ولا شك فيه ـ فيقول: لا إله إلا الله. فينشقُّ سورها، فيدخلها ويأخذها(٢).

فلا كانت الذنوب ولا ساعاتها، فماذا فيك ـ أيها المؤمن! ـ من الأسرار والودائع وأنت غافل؟ فلو أراد الحق سبحانه وتعالى استخراج ما فيك من الأنوار والأسرار لانكسف لها نور الشمس والقمر. قال الله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات: ٢١]. ولو استخرج ما فيك من

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٥/٢٣٣ (٢٢٣٨٤)، وأبو داود في «سننه» (٣١١٦)، والحاكم في «المستدرك» ١/٤٩٩ من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
وقال الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٧٩): صحيح.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٩٢٠)، والحاكم في «المستدرك» من حديث أبي هريرة بلفظ: أن النبي ﷺ قال: **«سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر؟»** قالوا: نعم يا رسول الله. قال: **«لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفًا من بني إسحاق، فإذا جاءوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح، ولم يرموا بسهم قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر. فيسقط أحد جانبيها»** ـ قال ثور: لا أعلمه إلا قال: الذي في البحر ـ **«ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر. فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر. فيفرج لهم فيدخلوها فيغنموا، فبينما هم يقتسمون المغانم إذ جاءهم الصريخ، فقال: إن الدجال قد خرج. فيتركون كل شيء ويرجعون»**. يقال إن هذه المدينة هي القسطنطينية.

الكمائن[١] لاندرج في ذلك ظلمة الليل، فجعلك صندوقًا لا يعرف ما فيك، ولا فائدة في ملء الصندوق وهو مغلوق.

قال بعض المريدين لشيخه: أجد بابًا يفتح في قلبي أسمع حسه، كما يسمع (باب قلعة عظيم)[٢] إذا فتح، ويدخل عليَّ منه ملَكٌ ويقول لي كذا وكذا[٣].

وتصديق ذلك قوله ﷺ: «**إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا جعل له واعظًا من قلبه**»[٤]. فلو فتح باب قلبك لرأيت العجائب والمدائن والحصون، قال الله عز وجل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

وكُشف لبعض الأولياء فرأى شيطانًا دخل على الفقراء فخرج من صدر فقيرٍ منهم سهم من نور فأحرق الشيطان، وقد قال ﷺ: «**ما سلك عمر فجًا إلا أخذ الشيطان فجًا آخر**»[٥].

وللسُّهْرَوَرْدِيِّ رحمه الله[٦]:

---

(١) في (خ، ب): الكائن.

(٢) في (خ): (لباب زويلة). وباب زُويلة من أبواب القاهرة القديمة، ويرتبط به بعض المعتقدات الصوفية.

(٣) لم أجده.

(٤) أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» من حديث أم سلمة رضي الله عنها، وإسناده جيِّد. كذا قال العراقي في «تخريج الإحياء».

أخرجه أحمد في «الزهد» ٣٠٦/١، وهناد في «الزهد» (٥٠٦)، وأبو نعيم في «الحلية» ٢٦٤/٢ عن محمد بن سيرين من قوله.

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» ١٧١/١ (١٤٧٢)، والبخاري في «صحيحه» (٣٢٩٤)، ومسلم في «صحيحه» (٢٣٩٦) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٦) هو الشيخ العالم الزاهد شهاب الدين، أبو حفص، وأبو عبد الله عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله ـ وهو عمويه ـ بن سعد بن حسين بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله ابن فقيه المدينة وابن فقيهها عبد الرحمٰن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق القرشي، التيمي، البكري، السهروردي، الصوفي، ثم البغدادي السُّهْرَوَرْدي (٥٣٩ ـ ٦٣٢هـ) فقيه شافعيٌّ، مفسِّر، واعظٌ، من كبار الصوفية. مولده في سهرورد، ووفاته ببغداد، كان شيخ الشيوخ ببغداد، وأوفده=

دواؤك فيك وما[1] تشعر   وداؤك منك وتستكثر
وتزعم أنك جزء لطيف   وفيك انطوى العالم الأكبر
ولا[2] حاجة لك في خارج   وفهمك منك هو المظهر
وأنت الكتاب المبين الذي   بآياته ينطق المضمر[3]

ولعبد القادر الكيلاني رحمة الله عليه[4]:

انظر إلى سر أسراري تجدني فيك   واستغن عن كل شيء إنني أكفيك
ترى عجائب جميع الكون أجمع فيك   أنت الحجاب فلولا أنت لم يخفيك

قال المؤلف: مراد الشيخ والله أعلم في قوله: «أنت الحجاب» أي:

= الخليفة إلى عدة جهات رسولاً، وأقعد في آخر عمره، فكان يحمل إلى الجامع في محفة، له كتب، أشهرها: «عوارف المعارف»، و«جذب القلوب إلى مواصلة المحبوب». مترجم في «سير أعلام النبلاء» ٣٧٣/٢٢ (٢٣٩)، وهذا غير الشِّهاب السُّهْرَوَرْدي (٥٤٩ ـ ٥٨٧هـ) الفيلسوف صاحب كتاب «حكمة الإشراق»، المقتول على الزندقة في مدينة حلب، بفتوى علمائها.

(١) في (ب): ولا.

(٢) في (ب): وما.

(٣) هذه الأبيات تنسب أيضًا إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والله أعلم بصحة نسبتها إليها، وقد ذكرها العاملي في «الكشكول» بهذا اللفظ:
دواؤك فيك وما تشعر   وداؤك منك وتستنكر
وتحسب أنك جِرْم صغير   وفيك انطوى العالم الأكبر
وأنت الكتاب المبين الذي   بأحرفه يظهر المضمَر
فهذه الأبيات ليست للسُّهروردي، ولكنه يكون نقلها في كتابه «عوارف المعارف»، وليس تحت يدنا الآن، فليراجع.

(٤) هو الشيخ الإمام عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي (٤٧١ ـ ٥٦١ هـ): من كبار الزهاد والعبَّاد، وإليه تنتسب الطريقة القادرية، مع أن الشيخ نفسه كان على السنة ومعتقد السلف الصالح حنبليَّ المذهب. من كتبه: «الغنية لطالب طريق الحق»، و«الفتح الرباني». مترجم في «سير أعلام النبلاء» ٤٣٩/٢٠ (٢٨٦).

لو أخلصت عملك ومحوت نفسك لأثبتك رب الأرباب، ولأذهب عنك هذا الحجاب.

وقد جاء في الحديث: «**من أخلَصَ لله أربعين صباحًا تفجَّرت ينابيعُ الحكمة من قلبه فأجراها الله على لسانه**»[١]، فسمع هذا الحديث بعض الناس فقال في نفسه: أنا أعبدُ الله أربعين صباحًا وأخلص في عبادتي لكي أصير حكيمًا. فأخلص في العبادة ولم يعط هذه السعادة، فقال في نفسه: يكون هذا الحديث غير صحيح. فرأى النبي ﷺ في منامه وقال له: الحديث صحيح وأنا قلته. انظر إلى لفظ الحديث: من أخلص لله، وأنت ما أخلصت لله، بل أخلصت لتكون[٢] حكيمًا[٣].

قال المؤلف: لو جعل التقصير من نفسه بأنها هي الكاذبة فلو صلحت لذلك لفتح عليها وصار حكيمًا، فإن الله سبحانه وتعالى لا يحب أحدًا يثبت لنفسه علمًا ولا عملاً، فخير الناس من جاء إلى الله سبحانه بالذل والإفلاس.

وفي الخبر أنه كان في زمن بني إسرائيل من عبد الله تعالى وأخلص في عبادته أربعين سنة ظللته الغمامة[٤]، فعبد رجل منهم أربعين سنة فلم (تظلله الغمامة)[٥]، فرجع يلوم نفسه بقوله: لو علم الله فيك خيرًا لظللتك

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٠١٤)، وهناد في «الزهد» (٦٧٨)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٤٦٦)، وأبو نعيم في «الحلية» ١٨٩/٥، وابن الجوزي في «الموضوعات» ١٤٤/٣.

قال السيوطي في «اللآلئ المصنوعة» ٢٧٦/٢: لا يصح.

وقال الألباني في «الضعيفة» (٣٨): ضعيف.

(٢) في (ق): لكي تكون.

(٣) لعل تلك الرؤيا كانت من حديث النفس، لأنه بات مهمومًا، فالحديث ضعيف، ولا يمكن الاعتماد في الحكم على الأحاديث على المنامات، ومراد المؤلف رحمه الله أن نية ذاك الرجل كانت مغشوشة، حيث كان قصده أن يكون حكيمًا، وهذا حال أكثر الصوفية، يجهدون أنفسهم العبادات من أجل نيل الكرامات، وذلك من حظوظ النفس، حتى قال قائلهم: الناس يعبدون الله، والصوفية يعبدون أنفسهم! (ت)

(٤) في (ق): غمامة.

(٥) في (ق): يظلله شيء.

الغمامة. فخرج في حاجته فظللته الغمامة، وأوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان أن قل لهذا العابد: توبيخه لنفسه هذه الساعة خير من عبادة أربعين سنة[1].

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله: كنت أنا وصاحب لي آوينا إلى مغارةٍ نطلب الوصول إلى الله تعالى، فكنا نقول: غدًا يفتح لنا، بعد غدٍ يفتح لنا، فدخل علينا رجلٌ له هيبة فقلنا له: من أنت؟ قال: فقال: عبد الملك. فعلمنا أنه من أولياء الله تعالى، فقلنا له: كيف حالك؟ فقال: (كيف حالك؟ كيف حالك؟)[2]، كيف حال من يقول: غدًا يفتح لي؟ بعد غدٍ يفتح لي؟ فلا وَلاية ولا فلاح يا نفس، لِمَ لا تعبدين الله لله؟ قال: فتفطَّنا من أين دخل علينا، فتبنا واستغفرنا الله تعالى ففتح لنا.

وقال أيضًا: سمعت الحديث المروي عن رسول الله ﷺ: **«من سكن خوفُ الفقر قلبَه قلَّ ما يُرفع له عمل»**[3]، فمكثت سنةً أظن أنه لا يرفع عملي أقول: ومَن يسلم من هذا؟ فرأيت الرسول ﷺ في المنام وهو يقول: يا مبارك، أهلكت نفسك، فرقٌ بين سكن وخطر.

نرجع إلى ما كنا عليه من أحوال الصالحين، وما أعد الله سبحانه في الآخرة للبكائين:

قال صلوات الله عليه وسلامه: **«سبعةٌ يظلهم الله في ظله. . .»** وذكر من جملتهم: **«ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»**[4].

وعن عقبة بن عامر الجهني قال: فيم النجاة يا رسول الله؟ قال:

---

(١) لم أجده.

(٢) ليست في (ق).

(٣) لم أجده.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢/٤٣٩ (٩٦٦٥)، والبخاري في «صحيحه» (٦٦٠)، ومسلم في «صحيحه» (١٠٣١)، والترمذي في «جامعه» (٢٣٩١)، والنسائي في «المجتبى» ٨/٢٢٢ (٥٣٨٠)، وفي «الكبرى» (٥٩٢١)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٣٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

«**أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيتك**»[1].

وعن عبد ربه القيسي وكان قرابةً لرياحٍ القيسيِّ، قال: كنت أدخل عليه المسجد وهو يبكي، وأدخل عليه بيته وهو يبكي، ورأيته في الجنازة وهو يبكي، فقلت له يومًا: أنت دهرك في مأتم؟ قال: فبكى ثم قال: يحق لأهل المصائب والذنوب أن يكونوا هكذا[2].

قال حمزة الأعمى: ذهبت بي أمي إلى الحسن فقالت: يا أبا سعيد، ابني هذا أحببت أن يلزمك لعل الله أن ينفعه بك. قال: فكنت أختلف إليه فقال لي يومًا: يا بُني، أَدِمِ الحُزْنَ على خير الآخرة لعله أن يوصلك إليه، وابك في ساعات[3] الخلوةَ لعل مولاك يطلع عليك؛ فيرحم عبرتك فتكون من الفائزين. قال: فكنت أدخل عليه منزله وهو يبكي، وآتيه مع الناس وهو يبكي، وربما جئت وهو يصلي فأسمع بكاءه ونحيبه. قال: فقلت له يومًا: يا أبا سعيد، إنك لتكثر من البكاء. قال: فبكى ثم قال: يا بني، ما يصنع المؤمن إذا لم يبك؟ يا بني، إن البكاء داعٍ إلى الرحمة، فإن استطعت أن لا

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢٥٩/٥ (٢٢٢٣٥)، والترمذي في «جامعه» (٢٤٠٦)، والطبراني في «الكبير» ٢٧٠/١٧ (٧٤١) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.
قال الترمذي: هذا حديث حسن.
وقال الألباني في «الصحيحة» (٨٩٠): صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (٩٢)، وفي «الرقة والبكاء» (١٧٣)، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٥٥٨).
قال الذهبي في «تاريخ الإسلام» ١٢٤/١١: رياح بن عمرو القيسي البصري الزاهد، أبو المهاصر. كان خاشعًا خائفًا بكاء. روى عن: مالك بن دينار، وواصل بن السائب. وقيل: إنه لقي الحسن البصري. روى عنه: سيار بن حاتم، وموسى بن داود، ويزيد بن هارون، وعمرو بن عون، وروح ابن عبد المؤمن، وطائفة. قال أبو زرعة: صدوق. وذكره أبو داود السجستاني فوهَّاه، وقال: رجل سوء. قال علي بن الحسن بن أبي مريم: قال رياح القيسي: لي نيف وأربعون ذنبًا، قد استغفرت الله لكل ذنب مئة ألف مرة. وقال سيار: حدثنا رياح قال: قال لي عتبة الغلام: من لم يكن معنا فهو علينا. وكان رياح بن عمرو يسمع منه الموعظة ويغشى عليه.

(٣) في (ق): ساعة.

تكون عمرك إلا باكيًا فافعل؛ لعله يراك على حالتك فيرحمك بها فإذا أنت قد نجوتَ من النار[1].

وعن الربيع بن صبيح قال: ما دخلت على الحسن إلا وجدته مستلقيًا يبكي[2].

وعن عبد الواحد بن زيد: لو رأيت الحسن إذا أقبل لبكيت لرؤيته من قبل أن يتكلم، ومن ذا الذي كان يقدر يملك نفسه عن البكاء عند رؤيته؟ ثم بكى عبد الواحد بكاءً شديدًا[3].

وعن أبي مودود قال: بلغنا أن عمر بن عبد العزيز قرأ ذات يوم: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا نَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ [يونس: ٦١]. فبكى بكاءً شديدًا حتى سمعه أهل الدار، فجاءت فاطمة فجلست تبكي لبكائه، وبكى أهل الدار لبكائهما، فجاء عبد الملك ودخل عليهم وهم على تلك الحالة يبكون، فقال: يا أبت ما يبكيك؟ قال: خيرًا يا بني، ودَّ أبوك أنه لم يعرف الدنيا ولم تعرفه، والله يا بني لقد خشيت أن أكون من أهل النار[4].

وعن فضيل بن عبد الوهاب قال: حدثتني أختي ـ وكانت أكبر من محمد ـ قالت: كان لمحمد بن عبد الوهاب صديق من بني تميم، فربما زاره بكرة فيأخذان في البكاء حتى ينادى لصلاة الظهر. قالت: ربما قلت لمحمد: يزورك أخوك فتبكيان (فلا يسمع أحد منكما حديث الآخر)[5]. فيقول: ويحك اسكتي، ليست الدنيا دار سرور ولا متعة تدوم، إنما خيرها لمن اتخذها بلغةً إلى الآخرة، والله لولا البكاء فإنه راحة للقلوب لظننت أن

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٣٨)، والمزي في «تهذيب الكمال» ١١٥/٦.
(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٢٣١).
(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٢٤٠).
(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٩١).
(٥) في (خ): (فلا يسمع أحد منكما بحديث ولا تذاكر)، في «مصدري التخريج»: (فلا يستمتع أحدكما من صاحبه بحديث ولا مذاكرة). وهذا أجود.

قلبي سينشق في دار الدنيا من طول غمي من كثرة التفريط. قالت: فأبكاني والله[1].

وعن أبي زياد قال: اعتمَّ يحيى بن أبي مسلم البَكَّاء بعمامة وأدارها على حلقه وجعل لها طرفين، فكان يبكي وينتحب حتى يبل هذا الطرف، ثم يبكي وينتحب حتى يبل الطرف الآخر، ثم يحلها من رأسه ويبكي حتى يبل العمامة بأسرها، ثم يبكي وينتحب حتى يبل أردانه[2].

وعن سفيان قال: كان سعيد بن السائب الطائفي لا تكاد تجف له دمعة طول دهره، فعاتبه رجل على ذلك، فبكى ثم قال: إنما ينبغي أن تعذلني وتعاتبني على التقصير والتفريط؛ فإنهما قد استوليا عليَّ. فانصرف الرجل وتركه[3].

وعن ابن ذكوان قال: كان يزيد الرقاشي إن دخل بيته بكى، وإن شهد جنازةً بكى، وإن جلس إليه[4] إخوانه بكى وأبكاهم. فقال ابنه يومًا: يا أبت، إلى كم تبكي؟ والله لو كانت النار خلقت لك وحدك ما زدت على هذا البكاء. فقال: ثكلتك أمك يا بني، وهل خلقت النار إلا لي ولأصحابي ولإخواننا من الجن؟ أما تقرأ ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ [الرحمٰن: ٣١]، أما تقرأ يا بني: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾﴾ [الرحمٰن: ٣٥]. قال: فجعل يبكي ويقرأ حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الرحمٰن: ٤٤]. قال: فجعل يجول في الدار ويصرخ ويبكي حتى غشي عليه. فقالت أم الفتى: يا بني، ما أردت بهذا من أبيك؟ قال:

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٢٣٦)، والمزي في «تهذيب الكمال» ٣٥/٢٦.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٢٢٤)، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٥٢٧).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٢٤٢)، وذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢٤٢)، والمزي في «تهذيب الكمال» ٤٥٩/١٠.

(٤) في (ق): معه.

إني والله إنما أردت أن أهوِّن عليه، لم أرد أن يقتل نفسه[١].

فانظر ـ رحمك الله تعالى! ـ ماذا أسكن الله تعالى في قلوب هؤلاء القوم[٢] من عظمته ومخافته، ونحن نرجو أن نكون معهم في الجنة مع معصية الله تعالى ومخالفته، ومع محبة هذا القلب للدنيا وقساوته.

يقال إن إبراهيم بن الحارث ما رآه أحدٌ قط رافعًا بصره إلى السماء، ولا رآه أحدٌ يخوض في أمور الدنيا[٣].

هؤلاء القوم صاروا من أبناء الآخرة، ما بقي لهم غرضٌ في الدنيا.

أما سمعت أن أبا حنيفة رحمه الله كيف ضُرب وحُبس وأهين؟[٤] فجاءت أمه إليه وهو في الحبس والترسيم[٥] فقالت: يا بني، ما كنا نريد هذا العلم. قال: يا أماه، عرضوا عليَّ الدنيا فأبيت. فلما (كسر كلام الخليفة في قوله للإمام: خذ القضاء. فأبى؛ فعزت نفسه وغضب، وسقاه سمًّا؛ فمات منه)[٦]، ومن عادة الملوك إن أحبوك استخدموك، وإن كرهوك قتلوك، (وجعل الخليفة قبل موته في حلٍّ، وذهب إلى الله سبحانه وهو طاهر من تخاليط الدنيا)[٧]، ومذهبه ـ رضي الله عنه ـ: من لا يأخذ ولا

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٢٤٨)، وابن عساكر في «تاريخه» ٦٥/٨٦، والمزي في «تهذيب الكمال» ١٠/٤٥٩.

(٢) في (ق): هذه السادة.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٤/٢١٣، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٤١٣) بلفظ: ما رأيت إبراهيم التيمي رافعًا رأسه في الصلاة ولا في غيرها، ولا سمعته يخوض في شيء من أمر الدنيا قط.

(٤) أخرجه القاضي أبو عبد الله الصيمري في «أخبار أبي حنيفة» ١/٦٧، وعبد القادر في «طبقات الحنفية» ٢/٥٠٥.

(٥) زاد في (خ): عليها. والترسيم ـ كما يفهم من كتب الفقه ـ هو: التضييق على الشخص، وتحديد حركته، بحيث لا يستطيع أن يذهب من مكان إلى آخر.

(٦) في (ب، ق): (خالف الخليفة في ذلك غضب، فسقاه سمًّا فقتله). والخبر عند القاضي أبو عبد الله الصيمري في «أخبار أبي حنيفة» ١/٩٢.

(٧) ليست في (ق).

يعطي خيرٌ ممن أخذ وأعطى. وسئل بعض العلماء في رجل يجتهد في جمع المال لأفعال البر، قال: تركه أبرُّ[1]. قال ﷺ: **«اللَّهم من أحبَّني فارزقه العفاف والكفاف»**[2]. وقال: **«اللَّهم اجعل رزق آل محمدٍ كفافًا»**[3].

(قال المؤلف: فترى)[4] أكثر المحبين فقراء، قد استجيبت فيهم دعوة (النبي ﷺ)[5].

ولقد رأيت بعض المحبين سافر بتجارة إلى بلاد التتار، فسلَّط الله عليه بعض أمرائهم، فأخذ جميع ما معه وجعله أسيرًا، ثم خلَّصه الله تعالى منه، ودخل بيت المقدس[6]، وعبَد الله تعالى حتى مات بها. وكان إذا فضل من إقامة صورته شيئًا آثَرَ[7] به (خوفًا من فتنة المال، ومن تغير الحال)[8].

وكان للمؤلف أخٌ صادق في حب الله ورسوله، أخذ بعض التتار ماله، (وذلك كله في دولة الملك الظاهر ملك مصر والشام، فلما أخذ ماله)[9]

---

(١) ذكره الغزالي في «الإحياء» ٣/٢٧١.

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٤٧٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٤/١١٦ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وفيه قصة.
قال البيهقي: عبد الله بن سعيد غير قوي في الحديث.

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٠٥٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٣٤٣) من حديث أبي هريرة بلفظه.
وأخرجه أحمد في «مسنده» ٢/٤٤٦ (٩٧٥٣)، والبخاري في «صحيحه» (٦٤٦٠)، ومسلم في «صحيحه» (١٠٥٥)، وابن ماجه في «سننه» (٤١٣٩)، والترمذي في «جامعه» (٢٣٦١) من حديث أبي هريرة بلفظ: **« اللَّهم اجعل رزق آل محمد قوتًا»**.

(٤) في (ق): ولذلك ترى.

(٥) في (خ، ط): سيد الأنبياء والأولياء والكبراء.

(٦) في (ق): القدس.

(٧) آثر: من الإيثار، وهو بذل المال للغير مع الحاجة إليه؛ يقول تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

(٨) ليست في (ق).

(٩) ليست في (ق). وهذا النص مهم للغاية لتحديد زمن هذه الحادثة، فالملك الظاهر هو بَيْبَرْس العلائي البندقداري الصالحي (٦٢٥ - ٦٧٦هـ) لُقِّب أيضًا بركن الدين، =

وجعله راعيًا لخيله قال: فطلبت الهروب. قال: فخفت، فصرت أقول (في نفسي)[1]: غدًا أهرب، أو بعد غدٍ أهربُ. وإذا برجلٍ دخل عليَّ وسلم وجلس، وقال لي: إن أباك كان يحسن إليَّ، وأنا أريد أعمل معك خيرًا، لا تقل: غدًا أهرب ولا بعد غد. أي وقت هربت أخذوك، فاصبر إلى حيث آتيك. وذهب، ثم جاء بعد أيام وقال لي: إن هربت الساعة نجوت، فتح الله بالطريق. قال: فتركت الخيل في الدشار[2] وهربت. فكنت أسير في الليل، وأختبئ[3] بالنهار في المغاير وبين الشجر، (وهذه سنة الهارب عندهم. قال)[4]: وابتليت بالجوع؛ فذهب بصري، وقلَّ سمعي، وارتخت مفاصلي وركبي. قال: فتوجهت نحو القبلة، وتشاهدت[5] وقلت (في نفسي)[6]: ما بقي بعد هذا إلا الموت. فنمت ورأيت في منامي كأن باب السماء قد فتح،

= وهو صاحب الفتوحات والأخبار والآثار، وكان عبدًا مملوكًا، اشتراه الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار، وبقي عنده، فلما قبض عليه الملك الصالح (نجم الدين أيوب) أخذ بيبرس، فجعله في خاصة خدمه، ثم أعتقه. ولم تزل همته تصعد به حتى كان (أتابك) العساكر بمصر، في أيام الملك (المظفر) قُطُز، وقاتل معه التتار في فلسطين. ثم اتفق مع أمراء الجيش على قتل قطز، فقتلوه، وتولى (بيبرس) سلطنة مصر والشام سنة (٦٥٨هـ)، وتلقَّب بالملك القاهر، أبي الفتوحات! ثم ترك هذا اللقب وتلقَّب بالملك الظاهر. وكان شجاعًا جبارًا، يباشر الحروب بنفسه. وله الوقائع الهائلة مع التتار والإفرنج الصليبيين، وله الفتوحات العظيمة، منها بلاد النوبة ودنقلة، ولم تفتح قبله مع كثرة غزو الخلفاء والسلاطين لها. وفي أيامه انتقلت الخلافة العباسية إلى الديار المصرية سنة (٦٥٩هـ)، وآثاره وعمائره وأخباره كثيرة جدًا. توفي في دمشق ومرقده فيها معروف، أقيمت حوله المكتبة الظاهرية. «الأعلام» للزركلي ٧٩/٢.

(١) ليست في (ق).

(٢) أصلها: جشار، ويقال: دشار، تسهيلاً للنطق، وجشار: من الجشر، وجمعه: جشارات، ويقال: جشير أيضًا. وتدل على الخيل والبقر التي تلازم المرعى ولا ترجع إلى الحظيرة بالليل. «تكملة المعاجم العربية» لرينهارت دوزي ٢١٥/٢.

(٣) في (ق): أكمن.

(٤) ليست في (ق).

(٥) يعني: تشَهَّدْتُ.

(٦) ليست في (ق).

ونزل منه قصعة تطماج[1]، وهي تدور في الهواء وهي نازلة، وحطَّت بين يدي. قال: فجلست وأكلت حتى شبعت، ولم أر أطيب من ذلك الطعام، فانتبهت (ورأيت بطني ملآن من ذلك الطعام، وقويت ركبي، وانفتح عيني وسمعي)[2]، فشكرت الله تعالى (الذي جعل المنام يقظةً)[3]، ومشيت بقوة[4] ذلك الطعام سبعة أيام إلى أن دخلت حلب، (وأنا كل يوم أتجشأ من قوة الشبع)[5]، فدخلت مدرسة وفي المدرسة رجلٌ صالح وهو مدرسها، فاشتغلت عليه، فجاء الجابي له بمئتي درهم، فقال المدرس وكان غريبًا، قال: ما هذه الدراهم؟ قال (الصيرفي: هذه)[6] جامكية المدرس. فقال المدرس: هذه البلاد رخية، وأنا ما لي غير زوجة، اعزل لنا عشرة دراهم ورد الباقي إلى الناظر يصرفه في مصالح المدرسة. فعادى الشيخ بعض الناس، وأعطي لبعض الإسماعيلية دراهم لكي يقتل الشيخ، فجاء بعض المحبين وقال للشيخ: إن بعض الناس يريد قتلك. فقال: يا بني، أنا ما أخاف من القتل، (وإنما أخاف)[7] أن يقتلوا قاتلي، فيصير أولاده يتامى، أبصر لي بهيمة تحملني[8] إلى دمشق. وكان للإسماعيلي بهيمةً فجاء بها إلى الشيخ، (وأعطاه الشيخ)[9] أجرته[10] وقال له: لا تصحب[11] معك شيئًا من الزاد، فإن معي كفايتك[12].

(١) تطماج، بالتاء تسهيلاً وأصله: «ططماج» وهو نوع من الأطعمة يشبه الثريد. كما في «الموسوعة التيمورية» لأحمد تيمور ٥٣.
(٢) في (ق): شبعانًا قويًا.
(٣) ليست في (ق).
(٤) في (خ): على قوة.
(٥) ليست في (ق).
(٦) ليست في (ق).
(٧) ليست في (خ).
(٨) في (خ): نكريها.
(٩) في (ق): فأعطاه.
(١٠) في (خ): كراء.
(١١) في (خ): تجيب.
(١٢) في (خ): فأنا عملت ما يكفينا.

فجاءه بحمار، وحمل عليه خُرجه وحوائجه، وركَّب زوجته، ومشى هو والإسماعيلي، فجاؤوا لمكان خالٍ من الناس وبعيد من البلدان، فنوى الإسماعيلي قتل الشيخ، فقال: يا سيدي، ما ننزل هاهنا نأكل شيئًا وتشرب الدابة من هذا الماء؟ فطلبه الشيخ وقال: يا بني، ما هذا موضع القتل، هذا قفل كبير جَيْ[1]، ومع التاجر مماليك بقسي ونشاب يروا قتيلاً فيقتلوك. فبهت الإسماعيلي، فبعد ساعة (أقبل القفل)[2] كما أخبر الشيخ، فبكى الإسماعيلي (وقال للشيخ: اعرض عليَّ الإسلام)[3]. فجدد إسلامه (وأتى بالشهادتين، وعلمه الشيخ)[4] الوضوء والصلاة، وغيَّر الله ذلك الحال ببركات الرجال، فلما دخلوا دمشق قال له الشيخ: (امض إلى)[5] أهلك. فقال: يا سيدي أكفرٌ بعد إيمان؟! (إذا رحت لهناك أفعل ما يفعلون، وقد عاهدت الله تعالى وقت أسلمت لا أفارقك إلى الموت)[6]، وصار خادمًا للشيخ (إلى أن مات رحمه الله تعالى)[7][8]، (فلما مات الشيخ خدم قبره حتى مات، فدفن الإسماعيلي بجانب الشيخ رحمة الله عليهما.

وكان صاحب المؤلف يقرأ على هذا الشيخ، وانتفع عليه، وكان يقول خلاف الأربع أئمة، وحساب الفرائض على طرف لسانه، وإذا اشترى حوائج من السوق تعجم عليه حسابهم، وكان إذا تكلم بكلام من كلام الدنيا لا يفهم الكثير من كلامه، وإذا تكلم في العلم يفهم كلامَه كله، وابتلي في آخر عمره بالفقر وبالأمراض، حتى يبست أصابع يديه ورجليه، وكان مع

---

(١) قَفَلَ من سفره: رجع، والقفل هنا بمعنى: القافلة. و(جي) بالعامية، يعني: جاءٍ وقادم.
(٢) في (خ): طويلة والقفل أقبل.
(٣) ليست في (ق).
(٤) في (ق): على يد الشيخ وتعلم.
(٥) في (خ): تمضي لعند.
(٦) في (ق): وامتنع من الذهاب.
(٧) ليست في (خ).
(٨) من هنا بداية سقط من (ق).

ذلك كله صابرًا شاكرًا ذاكرًا، وهذه علامة المحبين: صبروا على ما قضى عليهم المحبوب، فأثبتهم في مقام المحبة، وبلغهم المطلوب)[1].

وقد جاء في الحديث: أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني أحبك. (قال للرجل)[2] «**فاعتدَّ للفقر**»[3]. وقال آخر: يا رسول الله، إنِّي أحبُّ الله. فقال له: «**اعتدَّ للبلاء**»[4].

[5](وكان قد ابتلى الله تعالى هذا الشيخ العالم ببلاءٍ آخر، وهو شيطانٌ من الجن رد على الشيخ في قراءته، فلعنه الشيخ وكذَّبه، فأخذ الشيخ في عين المعاداة، فكان الشيطان لعنه الله إذا دخل الليل يرجف قلوبهم ويرمي عليهم الأحجار، فشكا ذلك للمؤلف، فإنه كان من جنسه ومن طلبته، قال: يا بني، يرمي علينا كل يوم قفتين. قال له: فكان يكسر شيئًا من الأواني أو يصيبكم أنتم؟ قال: لا، ولكن مراده أن يرجفنا. ويرميهم بالأحجار في وسط الدار، وكان للشيخ سلم، وفيه مسمار كبير، فقومه[6] وأخرجه ورما به في وجوههم، قال الشيخ: وكان عندي صندوق مقفول وفيه كتب، ففتح الصندوق ورمى كل ما فيه في وجوهنا، وكان يأخذ الغزل من بين يدي الزوجة ويغيب، ثم يرمي به على وجوهنا.

قال المؤلف: فقلت له: أنا وفلان نجيء إلى بيت سيدي ونقرأ شيئًا

---

(١) إلى هنا نهاية سقط من (ق).

(٢) في (ق): فقال له: «المرء مع من أحب».

(٣) أخرجه الترمذي في «جامعه» (٢٣٥٠)، والبغوي في «شرح السنة» ٢٦٨/١٤، وذكره الغزالي في «الإحياء» ٢٩٥/٤ واللفظ للغزالي.
قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.
وقال الألباني في «المشكاة» (٥٢٥٢): ضعيف.

(٤) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٤٧٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١١٦/٤ من حديث أبي هريرة، وفيه قصة، قال البيهقي: عبد الله بن سعيد غير قوي في الحديث.

(٥) من هنا بداية سقط من (ق).

(٦) أي الشيطان.

من كتاب الله تعالى. فجئنا وقرأنا البقرة بكمالها، ثم دعونا الله سبحانه؛ فصدَّ الحقُّ الشيطانَ ببركة القرآن، وبعد ذلك ما قرب الدار)[1].

وجاء في الحديث: «**لو كان المؤمن بذروة جبل لقيَّض الله له شيطانًا يؤذيه**»[2]. فكيف من يكون بينهم؟!

ثم اعلم بأن تسلط الخلق على الأولياء في مبدأ طرقهم سنة الله في أحبابه، والدليل على ذلك من الكتاب والسنة.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يوسف: ١١٠]، وقوله عز وجل: ﴿وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]، وقوله سبحانه: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾﴾ [القصص: ٥]. والآيات في هذا المعنى كثير.

وأما السنة فقوله ﷺ: «**ما أُوذي نبيٌّ ما أوذيتُ، وقد جعل الله تعالى لكل نبيٍّ عدوًّا من المجرمين**»[3].

فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام أشدُّ بلاءً من الأولياء، ثم الأمثل فالأمثل، فقومٌ لما ظلموا لم يلجؤوا إلى الله تبارك وتعالى في طلب الانتقام

---

(١) إلى هنا نهاية سقط من (ق).

(٢) ذكره ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» ١٨/٣٧٥، وقال: ليس هذا معروفًا من كلام النبي ﷺ.

(٣) لم نقف عليه، ولم يذكره السيوطي في «الدر المنثور» في تفسير قوله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان: ٣١]. وقال الفخر الرازي في تفسير: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾﴾ [السجدة: ٢٣]: وقوله: ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ قيل: معناه فلا تكن في شك من لقاء موسى فإنك تراه وتلقاه، وقيل: بأنه رآه ليلة المعراج، وقيل: معناه فلا تكن في شك من لقاء الكتاب فإنك تلقاه كما لقي موسى الكتاب، ويحتمل أن تكون الآية واردة لا للتقرير بل لتسلية النبي عليه السلام، فإنه لما أتى بكل آية وذكر بها، وأعرض عنها قومه حزن عليهم، فقيل له: تذكر حال موسى ولا تحزن، فإنه لقي ما لقيت وأوذي كما أوذيت.

ممن ظلمهم، ولكن فوَّضوا أمرهم إلى الله تعالى فكان هو المختار لهم، وقومٌ ـ وهي الطبقة العليا ـ وهم الذين إذا ظُلموا رحموا من ظلمهم، قال الله تعالى في حقهم: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

ومن ذلك ما اتفق لإبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى: أن جنديًا سأله عن العمران، فدلَّه إبراهيم على المقابر، فظن الجندي أن إبراهيم يهزأ به، فضربه بالدبوس فشجه، فطأطأ رأسه وقال: اضرب رأسًا طالما عصت الله. فقيل للجندي: هذا إبراهيم زاهد خراسان. فأقبل على رجليه يقبلها ويعتذر إليه، فقال له إبراهيم: والله ما رفعت يدك إليَّ لتضربني إلا وأنا أسأل الله لك المغفرة؛ لأني علمت أن الله يثيبني على ما فعلت بي، فاستحييت أن يكون حظي منك الخير، وحظك مني الشر[١].

قال بعض الصالحين: آذاني إنسان مرة فضقت بذلك ذرعًا، فنمت، فرأيت قائلاً يقول لي: من علامة الصديقية كثرة أعدائها، ثم لا تبالي بهم[٢].

فقد علم الله سبحانه وتعالى ما يقال في الأنبياء والأولياء والصالحين والصديقين، فبدأ بنفسه فقضى على قوم بالإعراض عنهم، فنسبوا إليه الزوجة[٣] والولد، وأضافوا لنبيه ﷺ الكذب والسحر والجنون، وأظهروا له العداوة والحسد، وقالوا في أزواجه الطاهرات ما قالوا، فكذَّبهم الواحد

---

(١) ذكره الغزالي في «الإحياء» ٣/ ٧٠، والقشيري في «الرسالة القشيرية» ١/ ١١١ بلفظ: أن إبراهيم بن أدهم خرج إلى بعض البراري فاستقبله جندي، فقال: أين العمران؟ فأشار إلى المقبرة، فضرب رأسه وأوضحه، فلما جاوزه، قيل له: إنه إبراهيم بن أدهم زاهد خراسان. فجاءه يعتذر إليه، قال: إنك لما ضربتني سألت الله تعالى لك الجنة. فقال: لم؟ فقال: علمت أني أؤجر عليه، فلم أرد أن يكون نصيبي منك الخير، ونصيبك مني الشر.

(٢) ذكره ابن عجيبة الإدريسي في «البحر المديد» ٢/ ٤١٤ عن أبي الحسن الشاذلي.

(٣) في (ق): الروحية. وصوابه هذا: الزوجيَّة.

الأحد، فإن قيل في وليٍّ شيئًا من ذلك فضاق منه؛ يقال له: الذي قيل فيك هو وصفك، لولا[1] حلم الله عز وجل وفضله عليك. وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١]. وقد قال الخلق في الخالق ما لا يستحقه جلاله.

ونرجع إلى مسألة من يجمع المال لأفعال البر:

قال بعض العلماء: تركه أبرُّ. فالأول هو خير، والثاني هو أفضل وخير[2].

قال المؤلف: لأن الأول ممدوح بلسان الشرع هو ودنياه، وهو قريب من سيده ومولاه. قال ﷺ: «**السخيُّ قريبٌ من الله، قريبٌ من الناس، قريبٌ من الجنة، بعيد من النار، والبخيل بعيدٌ من الله، بعيدٌ من الناس، بعيد من الجنة، قريبٌ من النار**»[3]. لأن الكرم هو صفة من صفات الله تعالى، من اتصف بها قربه الله إليه، وأسبغ نعمه عليه، والبخل ليس هو من صفات الأخيار، ولذلك بَعُدَ صاحبه من الله تعالى ومن الناس، وقَرُبَ من النار.

واعلم أنه قد جاء في الحديث أن الصدقة تدفع عن صاحبها سبعين بابًا من السوء[4]. تنوِّر قبره في الدنيا، وتكون نورًا يسعى بين يديه يوم

---

(١) في (خ): أولاً.

(٢) في (خ): وأخير.

(٣) أخرجه الترمذي في «جامعه» (١٩٦١)، والطبري في «تهذيب الآثار» (١٦٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٨٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث يحيى بن سعيد.
وقال العقيلي في «الضعفاء» (٥٩١): ليس لهذا الحديث أصل من حديث يحيى ولا من حديث غيره.
وقال الألباني في «الضعيفة» (١٥٤): ضعيف جدًا.

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» ٢٧٤/٤ (٤٤٠٢)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» ٦٨/١، وذكره الديلمي في «مسند الفردوس» (٣٨٣٥)، والمنذري في «الترغيب والترهيب» (١٢٩٨) من حديث رافع بن خديج بلفظ: «**الصدقة تسد سبعين بابًا من السوء**».
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢٨٣/٣: فيه حماد بن شعيب وهو ضعيف.
وقال الألباني في «الضعيفة» (٣٧٩٧): ضعيف.

القيامة. وتثقل الميزان، وتكون ظلاً لصاحبها يوم الطامة[1]، وتكفر الذنوب[2]، وتطفئ غضب علاَّم الغيوب[3]، وهي أفضل الأعمال[4]، وبها نجا العُمَّال. وكان الحبيب ﷺ إذا تكلم في فضائل الأعمال يقول: «**والصدقة شيء عجيب**»[5].

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» ٢٨٦/١٧ (٧٨٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٣٤٧) من حديث عقبة بن عامر بلفظ: «**إن الصدقة لتطفئ على أهلها حر القبور، وإنما يستظل المؤمن يوم القيامة في ظل صدقته**».

(٢) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (٣٩٧٣)، والترمذي في «جامعه» (٢٦١٦)، والنسائي في «الكبرى» (١١٣٩٤) من حديث معاذ بن جبل بلفظ: «**والصدقة تطفئ الخطيئة كما تطفئ الماء النار**».

قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وقال الحاكم في «المستدرك»: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وقال الألباني في «الإرواء» (٤١٣): صحيح.

(٣) أخرجه الترمذي في «جامعه» (٦٦٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٣٠٩) من حديث أنس بلفظ: «**الصدقة تطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء**».

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

قال الألباني في «الإرواء» (٨٨٥): ضعيف.

(٤) ذكره الغزالي في «الإحياء» ٢٢٦/١ بلفظ: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن الأعمال تباهت، فقالت الصدقة: أنا أفضلكن.

(٥) أخرجه البزار في «مسنده» (٤٠٧٨) من طريق: العوام بن جويرية، عن الحسن، عن أبي ذر، رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله: ما تقول في الصلاة؟ قال: «تمام العمل»، قلت: يا رسول الله، أسألك عن الصدقة، قال: «الصدقة شيء عَجَبٌ» قلت: يا رسول الله، تركت أفضل عمل في نفسي أو خيره. قال: «ما هو؟» قلت: الصوم، قال: «خير وليس هناك» قلت: يا رسول الله، فأي الصدقة أفضل؟ وذكر كلمة، قلت: فإن لم أفعل أو أقدر، قال: «بفضل طعامك»، قلت: فإن لم أفعل، قال: «بشق تمرة» قلت: فإن لم أفعل، قال: «فبكلمة طيبة» قلت: فإن لم أفعل، قال: «دع الناس من الشر، فإنها صدقة تتصدق بها على نفسك». قلت: فإن لم أفعل، قال: «فأمط الأذى» قلت: فإن لم أفعل، قال: «تريد أن لا تدع فيك من الخير شيئًا».

وقال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى بهذا اللفظ إلا عن أبي ذر بهذا الإسناد.

وقال الهيثمي في «المجمع» ٢٨٣/٣: فيه العوام بن جويرية وهو ضعيف.

وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٥٢٠).

قال المؤلف: ما صارت الصدقة من أفضل الأعمال إلا لكونها نفع متعدي[1]، وتدخل السرور على قلوب الفقراء والمساكين، وهي من أخلاق الصالحين.

ومما يدلك على عظيم قدر الصدقة أن الله سبحانه أفرد بابًا في الجنة يدخل منه المتصدقون يعرف بباب الصدقة، وأهل الصلاة والصيام والذكر وغيره كثيرون، وأهل الصدقة قليلون[2]؛ لأنه إذا عظم الشيء قلَّ فاعله، والصلاة والصوم والذكر نفعه على فاعله فقط، والصدقة نفعها على فاعلها وعلى غيره.

والصدقة تأتي من الرحمة والشفقة، وقد جاء في الحديث: «**الرحماء يرحمهم الرحمٰن؛ ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، من لا يَرحم لا يُرحم**»[3].

وأهل الخير يطلبون من الله تعالى لإخوانهم الآخرة، فكيف يبخلون عليهم بهذه الدنيا الداثرة. يحكى عن بعض الصالحين (ـ وقد ذهب عني اسمه ـ)[4] أنه كان يعمل في صنعته كل يوم بدينار يتصدق به، ويُدَرْوِز (من بابين ثلاثة)[5] كسيرات (يتعشى بهم وينام)[6].

واعلم أن الأولياء لم يحبوا البقاء في الدنيا لأجل التمتع، بل لأجل التزود، فتزودوا بالصدقة والإيثار، (والطاعة والأذكار)[7]، والذل والانكسار؛ شوقًا إلى الله عز وجل، وخوفًا من عذاب النار، ومن شرِّ يوم تتقلب فيه القلوب والأبصار، فوقاهم الله شرَّ ذلك اليوم، فتمتعوا بالخلودَ في الجنة، وبالنظر إلى الله العزيز الغفار.

---

(١) كذا، وصوابه: (لكونها نفعًا متعديًا).

(٢) في (ق): قليل.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) ليست في (ق).

(٥) ليست في (ق).

(٦) في (ق، ط): يتقوت بهم.

(٧) ليست في (ق).

فمن عرف قدر هذه العطايا والامتنان؛ اجتهد في الطاعة والإحسان، وفارق الذنوب والعصيان، لكن ليس كل قلب يصلح لمعرفته، ولا كل بدن يليق لخدمته.

يا من ترمد عينه ثلاثة أيام، فيسعى في علاجها، وترمد بصيرته أربعين سنة، فما[1] يعالجها، وما سبب ذلك إلا أنه ذاق لذة الدنيا، فيسرع في معالجة بصره، لكي لا يفوته النظر إلى مستحسناتها ومحرماتها، ولو ذاق طعم المعرفة ولذاتها وحلاوة النفوذ إلى الله تعالى لأسرع في معالجة بصيرته.

والقلوب على ثلاثة أقسام: قلب به رمد، ونسأل الله رب الأرض والسماء أن يسلمه من العمى؛ لأنه يخاف على من تمرَّد على الله تعالى بكثرة العصيان من ذهاب الإيمان، لما جاء في الحديث: «**إنَّ المعاصي بريدُ الكفر**»[2]. وقلب قد قضى عليه سيد الحكماء بالقطيعة والعمى وهو قلب الكافر، وآخر قد منَّ عليه المولى الكريم، وجاء إلى الله بقلبٍ سليم هداه للإيمان، وسلمه من الكفر والفسوق والعصيان، قال في حقه المولى الكريم: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩].

فمن أحب الفوائد هجم على الشدائد، ومن عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل، ومن علم بقرب رحيله سعى في تحصيل الزاد؛ حياءً من الله تعالى، وخوفًا من مشقة الطريق، ومن الفضيحة يوم المعاد، ومثل الإيمان مع المؤمن العاصي كشمس مكسوفة منع نورها الكسوف، أو كسراج قد غُطِي بصحفة، فإذا منَّ الله عليه بالعطاء زال هذا الغطاء، فلو عرف الإنسان قدر الإيمان لفارق العصيان، يا من إذا اطلع على خيانة وكيله عزله، وقد اطلعت على خيانة نفسك، فاجتهد في عزلها، وضيِّق عليها المسالك، إن أردت حسن الخاتمة والنجاة من الشدائد والمهالك.

---

(١) في (خ، ب): فلم.

(٢) ليس بحديثٍ، بل أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٢٢٣) عن أبي حفص قال: المعاصي بريد الكفر، كما أن الحُمَّى بريد الموت.

(مراد المؤلف من هذا الكلام: أي لا ترضى عن من سخط الله عليه)[1].

قال العلماء: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود عاد نفسك وودني[2].

ورأى بعض الصالحين الحق سبحانه في منامه، فقال: يا رب بم يتقرب إليك المتقربون؟ قال: دع نفسك وتعال[3].

فمثل من كان له نفس مخالفة خائنة وهو يشهيها في المأكل والملبس، كمثل رجل له زوجة وقد اطلع على ما تفعل من الخيانة والفجور، وهو يكرمها على ممر السنين والشهور، فحينئذٍ لا يكرمه الحق سبحانه ولا يسلمه من أهوال يوم النشور؛ لأن الملك يغضب على عبده إذا أكرم عدوه.

عدوك ـ أيها المؤمن! ـ معك، وجميع الأعداء يعملون على أذيتك، أو على ذهاب دنياك، والنفس تريد أن تقطعك عن سيدك ومولاك، فهي أولى بالمعاداة، فمن جعل له عدوًا غير نفسه فهو أحمق، قال المولى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

وبنوا آدم مع النفس على أربعة أقسام:

القسم الأول: من استولت عليه فهي تلسعه في ليله ونهاره، وهذا حال المطرودين عن باب الله تعالى؛ لأن الحق سبحانه انتخب لحضرته من يصلح لها، ومن لم يصلح رماه للكائنات، والنفس هي دهليز الشيطان.

القسم الثاني: أرباب المجاهدة، يكرون عليها وتكر عليهم، فتارةً يغلبونها، وتارةً تغلبهم.

القسم الثالث: قومٌ تمكنوا منها، فأمسكوا برأسها كما يمسك على

---

(١) ليست في (ق).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ذكره إسماعيل حقي في «روح البيان» ١/١٠.

خناق الحية، وهذا حال أهل المراقبة، ولكن يخافون أن يغفلوا عنها فتهلكهم.

الرابع: قومٌ مُنَّ عليهم فقتلوها، فلم يبق لها حركة، فلما مات عدوهم طاب عيشهم، قال المولى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]. وأي حياة أطيب ممن قد مات عدوه، فمن قتل نفسه بسيف المجاهدة أحيَى الله قلبه بالطاعة والمشاهدة.

والنفس لا تفارقك أبدًا، والشيطان يفارقك في رمضان؛ لأنه يُغلُّ في شهر رمضان، وقد رأينا من يسرق ويزني ويقتل في رمضان، فهذه المصائب من النفس؛ لأن الشيطان مغلول، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المائدة: ٣٠].

فمن تغرَّب عن الأوطان وساح في الأرض إلى بلاد الحجاز والسند والهند واليمن وديار مصر والمغرب والشام والروم وعراق العجم ونفسه معه ما رحل؛ لأن المضر معه، والراحل[١] من رحل عن نفسه، يا لها من رحلة ما أبركها؛ توصلك إلى الحبيب، ورحلة النفس هي هجران أخلاقها المشئومة وعاداتها المذمومة.

واختلف أهل الطريق فيمن يخطر له الذنب، ويجاهد نفسه ولم يفعله؛ وآخر لم يخطر له الذنب أيهما أتم؟ قالوا: الأول أتم؛ لأنه جاهد نفسه فهو أكثر أجرًا، والآخر أكثر نورًا.

سئل أبو سليمان الداراني عن الفقير (المتجرد المتوكل، والفقير)[٢] المتسبب أيهما أفضل؟ قال: المتوكل أكثر[٣] نورًا، والمتسبب أكثر أجرًا[٤]. ففيهم الفاضل، وفيهم الأفضل، ونعم الله تعالى متفاوتة المراتب.

---

(١) في (خ): والرجل. وفي (ق): والرحل.
(٢) في (ق): و.
(٣) في (ط): أكبر.
(٤) لم أجده.

والنفس موجودة، لكن منعنا من الشهود عدم وقوفنا على الحدود، وكثرة اشتغالنا بهذا الوجود؛ لأن العروس لا تجلى على فاجر، والأمر لا يخفى على قادر.

فمن تحققت ذلَّته وهب له الحق نصرته: فينصر القلب على النفس، والعقل على الهوى، والملك على الشيطان، والشرع على الطبع؛ لأن الدولة صارت للقلب، فانصلحت مدينة البدن: إذ تولاها ملك عادل، والناس على دين الملك.

وإذا أراد الله تعالى بعبدٍ خيرًا أصلح قلبه، وجعل الدولة له؛ قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهو القلب**»[1]. اللّهم أصلح قلوبنا، واغفر ذنوبنا.

مثل الجوارح كالغنم، والطاعة والمعصية كالمراعي، والقلب كالراعي؛ فإذا أطلقها في الطاعة فقد جنبها المرعى الرديء؛ (فيكون ذلك سبب نجاتها، ومن أطلقها في المعصية فقد سيَّبها في المرعى الرديء)[2]، فما أسرع هلاكها إلا من رحم الله، ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود: ٤٣].

فمثل الجوارح كالجوارح التي يصطاد بها، فمن أطلق جارحة نفسه على معصية كان كمن أطلق كلبه على خنزير، أو كمن أطلق بازه على جيفة منتنة، وثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**كلكم راعٍ وكلكم**[3] **مسؤول عن رعيته**»[4].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ليست في (ق).

(٣) في (ق): كل راع.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢/١١١ (٥٩٠١)، والبخاري في «صحيحه» (٧١٣٨)، ومسلم في «صحيحه» (١٨٢٩)، وأبو داود في «سننه» (٢٩٢٨)، والترمذي في «جامعه» (١٧٠٥)، والنسائي في «الكبرى» (٩١٧٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

لا تكن الدابة أفقه منك أيها الإنسان، يرجعها إلى مالكها الإحسان، وأنت لا تعرف ما فعل الله معك من الجود والامتنان، فترى الطير مع بهيميته يمسك الصيد، وينتظر مجيء صاحبه، ويرضى لنفسه بالضيق والقيد، فلو فهم قول من قال له: ما الذي أرجعك (إلى القيد)[1]؟ لكان يقول: أرجعني إحسان سيدي. ومن وجد الإحسان قيدًا تقيدا، فلما تعلم هذا الإحسان أكل ما جرحه من الحيوان، وإن مات قبل أن يدركه الإنسان[2].

فمن الناس من رجع إلى الله تعالى شوقًا إلى دار القرار، ومنهم من يرجع إلى الله تعالى خوفًا من عذاب النار، ومنهم من أرجعه الإحسان؛ لأنه رأى نفسه لا تترك المخالفة والعصيان، والحق سبحانه لا يقطع عنه الخير والامتنان؛ فاستحيا من الكريم الوهاب، وفي التنزيل: إن من جاء ما غاب، وصار من جملة الأحباب. قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

سمع بعض الصالحين قارئًا يقرأ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨﴾ [الفجر: ٢٧ ـ ٢٨]، فاستعادها من القارئ وقال: كم أقول لها: ارجعي. فلا ترجع! وصرخ صرخةً، وخرَّ ميتًا.

متى وردت إلى العبد الموارد الإلهية هانت عليه الشدائد، وهدمت ما كان عليه من العوائد؛ لأن الوارد يأتي من حضرة قهار، فما وجد من الأكدار أدمغه وأخرجه من الدار، قال الله سبحانه: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

واعلم أن ورود الإِمْداد على حسب الاستعداد، وإذا أراد الحق أن يخرج عبده من القطيعة والحيرة عرَّفه كيف يخرج، نسأل الله العظيم أن

---

(١) ليست في (ق).

(٢) عبارة: (ومن وجد. . . .يدركه الإنسان) كذا تقرأ في النسخ، وفيها خلل ظاهر، ولعل مراده أن الإحسان قيد يقيِّد صاحبه، مثلما يقيِّد الحيوان المعلَّم عن أكل ما صاده وإن مات قبل أن يأتي صاحبه فيأخذه، والله أعلم.

يخرجنا من ذل المعصية إلى عز الطاعة، ويدخلنا في[1] سنة صاحب المعجزات والشفاعة، وحكم الله تعالى قبل خلق السموات والأرض أن يعزَّ من أطاعه ويُذلَّ من عصاه، وإن خفق على رأسه البنود وسارت[2] حوله العساكر والجنود، وفي الخبر يقول الله عز وجل كل يوم: «**أنا العزيز، من أراد عز الدارين فليطع العزيز**»[3].

ويروى ـ أيضًا ـ: أنه ما من يوم يأتي إلا وهو يقول: ابن آدم، أنا يومٌ جديد، وأنا على ما تعمل شهيد[4]. نسأل الله تعالى أن يجعله شاهدًا لنا لا علينا.

قال العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ [الزلزلة: ٤]: أخبارها: شهادتها على بني آدم بما عملوا عليها[5].

---

(١) في (ق، ط): إلى.

(٢) في (خ، ط): سال.

(٣) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» ٦/٦٠، وفي «المتفق والمفترق» (١٢٩٣)، وابن الجوزي في «الموضوعات» ١/١١٩، وذكره ابن حجر في «لسان الميزان» ٣/٤٨. قال الخطيب في «المتفق والمفترق»: عمار وداود مجهولان كلاهما. وقال ابن الجوزي في «الموضوعات»: هذا حديث لا يصح، قال ابن حبان: داود كان يضع الحديث على أنس بن مالك. وقال ابن حجر في «اللسان»: لا نعرف لهذا المتن إسنادًا غير هذا. وقال الألباني في «الضعيفة» (٥٧٥٢): موضوع.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (٤٠٨) عن عبد الرحمن بن زبيد الإيامي مقطوعًا، و(٤٢٤) عن الحسن البصري مقطوعًا.

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢/٣٧٤ (٨٨٦٧)، والترمذي في «جامعه» (٢٤٢٩)، والنسائي في «الكبرى» (١١٦٩٣)، والحاكم في «المستدرك» ٢/٢٥٧ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ «**أتدرون ما أخبارها؟ فإن أخبارها: أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها؛ أن تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها**».

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وقال الألباني في «الضعيفة» (٤٨٣٤): ضعيف.

وكذلك شهادة الملائكة وشهادة الأعضاء كلها، وكفى بالله شهيدًا، وما كثر[1] الشهود إلا لكثرة[2] الجحود.

فإن[3] بعض من خذلهم الله تعالى: ينكرون الأعمال، ويكذبون الشهود، فحينئذٍ يختم على أفواههم؛ ويشهد عليهم أعضاؤهم؛ قال تعالى إخبارًا عنهم: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فصلت: ٢١].

فانظر ـ رحمك الله! ـ كيف انعكس الحال حتى غفل أحدنا عن هذه الأهوال، ومن أحبك نبَّهك، وإذا أبغضك قال: دعوه نائمًا. يا جبريل، أقم فلانًا، وأنم فلانًا . . . الحديث.

ولو لم ينل العصاة من العقاب سوى بعدهم من الله سبحانه وتعالى لكفى، فكيف وقد فاتهم نعيم الجنة، ومرافقة النبي المصطفى، واختلاطهم في جهنم مع من سخط الله عليه! فخالف وجفا، واسمعوا قول رب العالمين: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، فهذه الآية خوفت قلوب الصالحين، فكلٌّ منهم باكٍ حزين، والغافل يعصي ويضحك ويزعم أنه من الآمنين.

وأعقل الناس محسن خائف، وأحمق الناس مسيء آمن، هل رأيت صاحب عَمْلة يأمن؟ فكم لك من عملةٍ؟ قال المولى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨]. وقال سبحانه: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]. وقال المولى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٤].

والثكلى لا يحسن[4] لها الفرح، فالناس في أعيادهم وهي منطرحة في

(١) في (خ): أكثر.
(٢) في (خ): لقوة.
(٣) في (ق، ط): قال.
(٤) في (خ): يحق.

المقابر، تبكي على فقد ولدها[١].

رأى الشبلي امرأة خلف جنازة وهي تصيح: والله ما لي سواه. فصاح الشبلي: وامصيبتاه إن طردني من ليس لي سواه.

قال المؤلف: خرج بعض أصحابه إلى الجبانة فرأى جارية على قبر سيدتها تبكي، وتحثو التراب على رأسها، وتقول: واسيدتاه. فجلس هو الآخر يحثو التراب على رأسه ويبكي ويقول: واسيداه. لمَّا رآها تبكي على فقدها لمخلوق[٢]؛ بكى هو لفقده للخالق.

ليس التائه من تاه في البرية، التائه من تاه عن سبيل الهدى، وخرج عن طريق خير البرية، وأعظم الناس مقتًا عند الله سبحانه: من جعل نعمه فيه وهو يمحقها في مخالفته ومعاصيه، فترى هؤلاء الفاقدين ما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين، فلو أيقظ الله تعالى قلوبهم لكان أحدهم يراقب شمسه لكي لا تغيب، ولأسرع في الأعمال الصالحة التي ترضي الحبيب.

كان شيخنا رحمه الله يقول: موت الولد المدبر نعمة من الله عليه، وراحة لأبويه.

ومن العناء أن يطول عمرك مع الجناية[٣]، فلا الجناية[٤] تفرغ ولا الموت يحجز، أتريد ـ أيها المؤمن! ـ أن تبيع نفسك برخيص، وثمنك الجنة؟! بل لم يكتف لك بالجنة، حتى زادك النظر إلى وجهه الكريم، فانظر إلى هذه المنة؛ قال الله سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم العظيم[٥].

---

(١) في (ق): فقيدها.

(٢) في (ق): فقد مخلوق.

(٣) في (خ، ق): الخيانة.

(٤) في (خ): الخيانة. وفي (ق): الحياة.

(٥) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٠٥)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٣٥٨/٤ من طريق ابن عباس رضي الله عنهما. =

فلا تكن - أيها المؤمن! - كالفَرَاش؛ لا يزال يحوم حول النار، حتى يقع فيها، فلو أردت السير إلى الله تعالى لتركت[1] المحارم، و(الغدوت على)[2] الأعمال الصالحة عازم، قال تعالى: ﴿۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [التوبة: ٤٦]، وأنشدوا:

رأيتك تسعى دائمًا في قطيعتي ... ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني

إنما تعيش لتأكل، وتأكل لتعيش، فإن فعلت ذلك فمثلك على المذاود كثير، وأسبق الخيل ما ضمر، وما فجع الإنسان إلا لفقده صبر ساعة، ولخروجه عن طريق صاحب الحوض والشفاعة.

عمرك - أيها المؤمن! - كالنفس الواحد، فاحرص أن يكون لك لا عليك، ومن لم يُرد الله فلاحَه لن تنفعه الأقوال، قال تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٨٦]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ﴾ [المائدة: ٤١]. فلو كان أحدنا حيًّا لسمع، أما[3] جاء في التنزيل: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠]. وقال بعضهم:

لقد أسمعت لو ناديت حيًّا ... ولكن لا حياة لمن تنادي

فيا خيبة عبدٍ ينتخب لنفسه المآكل الطيبة؛ بل لا يرضى لدابته العلف الرديء، ولا ينتخب عملاً صالحًا لربه، (فيقلب عشرين بطيخة لتصلح له واحدة، لدهليز مرحاضه)[4]، ويعامل الله سبحانه بالمجازفة، (وربما جلس

= وللحديث شواهد كثيرة عن أنس، وأبي بكر، وكعب بن عجرة، وصهيب، وأبي بن كعب، وأبي موسى رضي الله عنهم.

(١) في (خ): أشددت.

(٢) ليست في (خ).

(٣) في (ط): أن.

(٤) ليست في (ق).

متربعًا وطوَّل في أكله)[1]، فإذا صلى نقرها نقرًا (وطواها طيًّا)[2] مع الغفلة والوسواس، (وإذا صام اغتاب ونظر لحريم الناس)[3]، فمثل من يمكِّن نفسه من كل شيء تشتهي (من المأكل والمشرب والملبس والمنكح)[4]، كمثل من في بيته حية لا يزال يسمِّنها حتى تلسعه فتقتله، أرأيت أحدًا يسمِّن عدوَّه؟ قال ﷺ: «**إن الله يبغض الحبر السَّمين**»[5].

ومن سوء عادة النفس إذا مكنتها من كل المباحات تجرُّك إلى الحرام، وتخرجك عن طريق النبي عليه أفضل الصلاة والسلام.

وكان الصحابة رضوان الله عليهم إذا رجعوا من الغزاة يقولون: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر. يعني: جهاد النفس[6].

وقال ﷺ: «**المجاهد من جاهد هواه**»[7]. فمن جاهد هواه كانت الجنة

---

(١) في (ق): ويجلس متربعًا ليأكل ويطول.

(٢) ليست في (ق).

(٣) ليست في (ق).

(٤) ليست في (ق).

(٥) سبق تخريجه.

(٦) ذكره هكذا الغزالي في «الإحياء» ٢/٢٤٤، وأخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» ١٣/٥٢٣، والبيهقي في «الزهد» (٣٧٣) من حديث جابر رضي الله عنه قال: قدم على رسول الله ﷺ قوم غزاة، فقال ﷺ: «**قدمتم خير مقدم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر**». قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: «**مجاهدة العبد هواه**».
قال البيهقي: هذا إسناد ضعيف.
قال الألباني في «الضعيفة» (٢٤٦٠): منكر.

(٧) ذكره هكذا الغزالي في «الإحياء» ٤/٧٠، والذهبي في «السير» ١٩/٣٣٨، وأخرجه أحمد في «مسنده» ٦/٢١(٢٣٩٥٨)، والحاكم في «المستدرك» ١/١١، والبيهقي في «الشعب» (١١١٢٣) من حديث فضالة بن عبيد بلفظ: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «**ألا أخبركم بالمؤمن، من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب**».
قال الحاكم: على شرط مسلم. وقال الألباني في «الصحيحة» (٥٤٩): هذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات.

مأواه، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠ ـ ٤١]، واسمع قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ولأن الجهاد مؤقت، وجهاد النفس على الدوام، فإسراع الرجل في صلاته هو من شهوات النفس لكي تتفرغ لحظوظها، ويدل ذلك على قلة المحبة، وهل يطول مجلس إلا مع الحبيب؟

فلو كنت ـ أيها المؤمن! ـ كيِّسًا فطنًا لكانت حقوق الله سبحانه عندك أحظى من (حظوظ نفسك)[١]، ولتركت مرادك لمراد سيدك، فمن أعطى نفسه حظها من المآكل والمشارب حتى يبقى[٢] بيت خلاء، ثم يريد أن يطلع على الأسرار (كيف له بذلك؟)[٣] لا يطلع على الأسرار إلا أمين، هب أنك لم تفعل شيئًا من ذلك، بل أحببت الدنيا ومن أحبها فقد خان؛ ومن خان لا يطلعه الملك على أسراره[٤].

قال ﷺ: **«حب الدنيا رأس كل خطيئة»**[٥]. وفي حديث آخر: **«الدنيا سجن المؤمن»**[٦]. ولم يقل: سجن ابن آدم. فترى المؤمن قد سجن نفسه، واستأنس بربه، وانجمع عليه لا يمشي إلا لحاجة ضرورية أو لصلاة جماعة، أو لشيء يقرِّبه الحق إليه[٧].

---

(١) في (خ، ط): حظوظك.

(٢) في (خ): يتقي.

(٣) ليست في (خ).

(٤) هذا من كلام الصوفية، حيث يدعون أن ثمرة الاستقامة الاطلاع على الأسرار، ويعنون بذلك المكاشفات والكرامات ومعرفة الغيب، وكل ذلك من تلبيس إبليس.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (٩)، وذكره الغزالي في «الإحياء» ٣/٢٠٢ عن الحسن مرسلاً، قال الألباني في «الضعيفة» (١٢٢٦): موضوع.

(٦) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢/٣٢٣ (٨٢٨٩)، ومسلم في «صحيحه» (٢٩٥٦)، وابن ماجه في «سننه» (٤١١٣)، والترمذي في «جامعه» (٢٣٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) وتمام الحديث: **«وجنة الكافر»**، قال النووي رحمه الله: معناه أن كل مؤمن مسجون ممنوع في الدنيا من الشهوات المحرمة والمكروهة، مكلف بفعل الطاعات الشاقة، فإذا=

وقوله ﷺ: «**لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب**»(١). فقال: جوف ابن آدم. ولم يقل: جوف المؤمن؛ لأن الغالب على بني آدم حب (التكاثر من)(٢) الدنيا؛ فخرج الحديث على الغالب، وأما جوف المؤمن فقد ملئ بحب الله تعالى، فما بقي فيه وسع لغيره. افهم يا من دُهي في عمره وعقله، وقد أنذره الشيب، وصافحته المنايا، وهو لا يترك اللعب والذنوب والخطايا. أما تستحيي ممن يستحيي منك؟ فقد جاء في الحديث عن خير الأنام: «**إنَّ الله يستحيي ممن شاب شيبة في الإسلام**»(٣).

ما أقبح انتقاش العجوز، ولعب الشيخ؛ لأنهما صارا بذلك مضحكة للشيطان؛ لأنه جاء في الحديث الصَّحيح: «**إنَّ للموسوسَيْن شيطانًا يضحك بهم، يقالُ له: الوَلْهان**»(٤). فالشيطان يضحك بأهل الوسوسة، أفما يضحك بأهل(٥) المعصية طالما تمرَّغت في مواطن المحن؟ فتمرغ في محابِّ الله، لا تكن كالمرأة المجنونة؛ الذي قد مات ولدها وهي تضحك، وهذا صفة من نكب في طاعة الله عز وجل، ويبست أعضاؤه عن فعل الخير وهو لا يتألم، وما ذاك إلا أن الغفلة قد أماتت قلبه؛ لأن الحي يؤلمه نَغْزُ إبرةٍ، ولو قطع الميت بالسيوف لا يتألم.

فعليك - أيها المؤمن! - بالتوبة ومجالس الحكمة، فإن وسوس لك

= مات استراح من هذا، وانقلب إلى ما أعد الله تعالى له من النعيم الدائم، والراحة الخالصة من النقصان، وأما الكافر فإنما له من ذلك ما حصل في الدنيا، مع قلته وتكديره بالمنغصات، فإذا مات صار إلى العذاب الدائم، وشقاء الأبد.

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣/١٢٢ (١٢٢٢٨)، والدارمي في «سننه» (٢٧٧٨)، ومسلم في «صحيحه» (١٠٤٨)، والترمذي في «جامعه» (٢٣٣٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٢٣٦)؛ من حديث أنس رضي الله عنه، بألفاظ متقاربة.

(٢) ليست في (ق).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه، وهو ضعيف.

(٥) في (خ): على أهل.

الشيطان: ما فائدة توبتك وأنت تنقضها؟ وتسمع كلام الحكمة، ولا تعمل بها؟ فقل: قد[1] أتوب ولا أنقض، قد[2] أتوب وأموت، على الرامي أن[3] يرمي، إن لم يصب اليوم أصاب في غد، وأنشد بعضهم:

وكم من بعيد الدار نال مراده　　وآخر جار[4] الدار وهو بعيد

ولو لم يكن في سماع الحكمة إلا الندم لكفى، ومن عصى وفرح فهو أشد مقتًا ممن عصى وندم، قال موسى عليه السلام: يا رب، إذا كان البلاء منك والشفاء منك، فما فائدة الطبيب؟ قال: يا موسى، يأكلون أرزاقهم، ويطيبون قلوب عبادي[5].

يا من إذا سمع كلام من يحبه، أو سمع منادي الملك: يا معشر الناس. ألقى إليه سمعه، وربما بطَّل شغله، ويسمع كلام الله تعالى، ولا يلقي له بالاً، ثم يدعي محبة الله هذا المنكوب! ولو كان محبًّا صادقًا لأطربه كلام المحبوب.

لو أسمعك الله حقائق[6] كلامه لتعطلت عن زوجتك ومأكلك ومشربك، ولكن أراد الحق سبحانه وتعالى أن يوفي هذه الدار حقها، ويعطيها قسطها، أما سمعت أخبار المتيمين كمجنون ليلى، وجميل بثينة في قوله:

لو يسمعون كما سمعت كلامها　　لخروا لعزته ركعًا وسجودًا

وقال الآخر وهو صاحب ليلى:

وأفرح من ليلى بما لا أناله　　ألا كل ما قرت به العين صالح

---

(١) في (خ، ب): أو.
(٢) في (خ، ب): أو.
(٣) في (خ، ب): ما.
(٤) في (خ): نائي.
(٥) لم أجده.
(٦) في (خ): متع.

إذا كان هؤلاء يتحسرون على ما فاتهم (من النصيب)[1] من محبوب مخلوق، أفما تتحسر ـ أيها المؤمن! ـ على ما فاتك من الخالق؟! فهم لو علموا لبكوا على ما فاتهم من النصيب الوافر، ولكن صغرت عقولهم.

أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود، اغسل لي وجهك ويديك وقلبك. فقال: يا رب، قد علمت بما أغسل يدي ووجهي، فبماذا أغسل قلبي؟ فقال: بالبكاء على ما فاتك مني ويفوتك. يعني[2]: أن تعطى مقام النبي المصطفى ﷺ[3].

وفي الخبر[4]: أن موسى ﷺ بكى ليلة الإسراء بكاء غبطة لا بكاء حسد[5]. كيف يدخل الجنة من أمة محمد ﷺ أكثر من أمته؟ كيف جاؤوا بعدهم ثم سبقوهم إلى الجنة؟ لأن الله تعالى حرَّم الجنة على جميع الأمم حتى يدخلها النبي ﷺ هو وأمته، فقد عظم قدر هذه الأمة لرفعة قدر نبيها[6].

دخل رجل من أهل الإسكندرية يعرف بالمكين الأسمر[7] ـ وكان من

---

(١) ليست في (ق).

(٢) زاد هنا في (خ): فإنك.

(٣) ليست في (ق)، ولم أجده.

(٤) في (ق): الحديث.

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢٠٨/٤ (١٧٨٣٥)، والبخاري في «صحيحه» (٣٢٠٧)، ومسلم في «صحيحه» (١٦٤)، والترمذي في «جامعه» (٣٣٤٦)، والنسائي في «المجتبى» ٢١٧/١ (٤٤٨)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٣٠١) من حديث مالك بن صعصعة الطويل بلفظ: «**فأتيت على موسى عليه السلام فسلمت عليه، فقال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح. فلما جاوزته بكى فنودي ما يبكيك؟ قال: رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتي**».

(٦) في (خ): متبوعها.

(٧) قال الذهبي في «تاريخ الإسلام» ١٥٧/٥٢: الإمام مكين الدين أبو محمد عبد الله بن منصور بن علي اللخمي الإسكندراني المقرئ، المعروف بالمكين الأسمر مقرئ الإسكندرية. قرأ القراءات على أبي القاسم الصفراوي، وغيره. وطال عمره، وأقرأ جماعة وحدث عن أصحاب السلفي. ولما مات شيخنا الفاضلي، وتوجعتُ لموته=

الأولياء - إلى زيارة دانيال النبيِّ عليه السلام، فكُشِف له، فرأى النبي وهو واقف يصلي، فقال المكين: أصلي مأمومًا. والنبي تأخر وقال: يا مكين الدين[1] أنتم من أمة نبي لا ينبغي لنا التقدم عليكم. قال المكين: فقلت له: فبحقه[2] عليك إلا ما صليت بي؟ قال: فلما قلت: فبحق[3] محمد عليك قرَّب فمه من فمي حتى يدخل هواء اسم النبي ﷺ[4] في فمه[5].

وقد يرفع قدر العبد لرفعة قدر سيده، ومن أكرم عبدًا فكأنما أكرم سيده، ولذلك قال ﷺ: «**من أكرم مؤمنًا أكرمه الله**»[6]، بشرط أن يكون قد

= وصف لي هذا الشيخ، وأنه قرأ على الصفراوي، فبقيت أتلهف على لقيه، ولم يكن أبي يمكنني من السفر. وكان شيخًا صالحًا، عابدًا، عارفًا بالقراءات. توفي في غرة ذي القعدة سنة (٦٩٢هـ) عن سنٍّ عالية، رحمه الله.

(١) ليست في (خ).

(٢) في (ق): بحقه.

(٣) في (ق): بحق.

(٤) في (ق): محمد.

(٥) ذكر هذه الحكاية ابن عطاء الله السكندري في «لطائف المنن» ١٦٨، قال: ولقد أخبرني مكين الدين هذا، قال: دخلت مسجد النبي دانيال بالإسكندرية بالديماس، فوجدت النبي المدفون هناك قائمًا يصلي، عليه عباءة مخططة، فقال لي: تقدم فصلِّ. فقلت له: تقدم أنت وصل. قال: تقدم أنت وصلِّ، فإنكم من أمة نبي لا ينبغي لنا التقدم عليه. قال: فقلتُ له: بحقِّ هذا النبي إلا ما تقدمت فصليت. قال: فأنا أقول «بحق هذا النبيِّ» إلا وهو قد وضع فمه على فمي إجلالاً للفظة النبي، كيلا يبرز في الهواء، قال: فتقدَّمتُ فصليت.

قلتُ: إن صحَّت هذه الحكاية فهي من تلبيس إبليس على العُبَّاد الصالحين، وقبر دانيال لا يُعرف موضعه، ففي قلعة مدينة كركوك في العراق مسجد ينسب إليه أيضًا ويدَّعون أن فيه قبره، وأشهر الأخبار في ذلك أنه وُجد في عهد عمر رضي الله عنه في تُستر - من بلاد فارس - فأمر عمر بدفنه سرًّا وإخفاء موضعه. ثم إن الحلف بحقِّ النبي ﷺ لا يجوز. (ت)

(٦) أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢١٢٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» ٣/٥٦، وفي «أخبار أصبهان» ٢/٢٦٤ من طريق: محمد بن إسحاق العكاشي، قال: حدثنا الأوزاعي، عن هارون بن رئاب، قال: سمعت قبيصة بن ذؤيب، يقول: سمعت أبا بكر الصديق، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أكرم مؤمنًا أكرمه الله، ومن=

أكرمه لأجل الدين، لا لأجل شيء آخر؛ ولا لأجل دنياه، ولكل امرئ ما (كمن في نفسه ونواه)[1]، وما فعله دانيال عليه السلام مع المكين الأسمر هو من آداب الأولياء عليهم الصلاة والسلام، وإلا فالنبي الواحد أفضل من جميع الصحابة عليهم السلام ومن التابعين ومن جميع المسلمين؛ وإن لم يكن النبي مرسلاً، ولا نزل عليه جبريل عليه السلام، فانظر إلى هذه السعادة والتفضيل.

قال ﷺ: «**أدَّبني ربي فأحسن تأديبي**»[2]. فالعاقل المصيب من يبكي على نفسه من قبل أن يبكى عليه، ويتحسر على ما فاته من الحبيب، فكل أحد يبكي على ما فاته (منك، وأنت أيضًا)[3] فابك على ما فاتك من الله تعالى، فقد[4] عاملك بالوفاء وعاملته بالجفاء، وأمرك بالاتباع فخرجت عن طريق النبي المصطفى، قال بعضهم:

ولدتك أمك باكيًا مستوحشًا[5] والناس حولك يضحكون سرورًا
فاجهد لنفسك أن تكون إذا بكوا في يوم موتك ضاحكًا مسرورًا

هب أن الله تعالى قد غفر لك، أما فاتك ثواب المحسنين؟ وثواب رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه؟ وثواب المصلين الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع؟ وثواب الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله؟ وثواب

= عظَّم مؤمنًا عظمه الله، ومن ستر مؤمنًا ستره الله».
قال أبو نُعيم: غريبٌ من حديث الأوزاعي، عن هارون لم نكتبه إلا من حديث العكاشي.
قلتُ: العكاشيُّ هذا كذَّاب يضع الحديث، لهذا قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» وقد ساق حديثه هذا: فهذا كذِبٌ بيِّنٌ. (ت)

(١) في (ق): نوى.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) ليست في (ق).
(٤) في (خ، ط): الذي.
(٥) ليست في (خ).

قوم يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون، ويخافون يومًا تتقلب فيه القلوب والأبصار؟

ثم اعلم بأن الخوف على قدر المعرفة، ولذلك كان ﷺ متواصل الحزن، طويل الفكرة، ولم ير ضاحكًا قط، بل كان ضحكه تبسمًا[١].

قال أبو حفص: الخوف سراج القلب، يبصر به ما فيه من الخير والشر[٢].

قيل للفضيل: ما لنا لا نرى خائفًا؟ فقال للقائل: لو كنت خائفًا لرأيت الخائفين، إن الخائف لا يراه إلا الخائفون، وإن الثكلى هي التي تحب أن ترى الثكلى[٣].

قال شاه الكرماني: علامة الخوف الحزن الدائم[٤].

قال الصادق الأمين: «**إن الله يحب كل قلبٍ حزين**»[٥].

وكان رسول الله ﷺ يقول قول الشاعر:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من[٦] لم تزود[٧]

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه القشيري في «الرسالة القشيرية» ٥٩/١.

(٣) أخرجه القشيري في «الرسالة القشيرية» ٥٩/١.

(٤) أخرجه القشيري في «الرسالة القشيرية» ٥٩/١.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (٢)، والبزار في «مسنده» (٤١٥٠)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١٤٨٠)، والحاكم في «المستدرك» ٣١٥/٤ من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
وقال الألباني في «الضعيفة» (٤٨٣): ضعيف.

(٦) في (ق): ما.

(٧) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣١/٦ (٢٤٠٢٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨٦٧)، والترمذي في «جامعه» (٢٨٤٨)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٨٣٣) من حديث عائشة رضي الله عنها، بألفاظ متقاربة، وللحديث طريق أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما.
=

وكان أبو علي الدقَّاق ينشد كثيرًا هذه الأبيات:

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ... ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها ... وعند صفو الليالي يحدث الكدر

قيل: لما ظهر على إبليس ما[١] ظهر؛ طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام (زمانًا طويلًا)[٢] يبكيان، فأوحى الله تعالى إليهما: ما بالكما تبكيان كل هذا البكاء؟ فقالا: يا رب، لا نأمن مكرك. قال الله تعالى: لا تأمنا مكري، ثم كونا هكذا[٣].

وفي الخبر: إذا احتضر ابن آدم شخصت له ملائكة السماء بماذا يختم له، فإذا ختم له بخير فتحت لروحه باب السماء، فتقول الملائكة: عجيب لهذه الروح، كيف سلمت في دار هلك فيها خيارنا؟ يعنون هاروت وماروت[٤].

فكن ـ أيها المؤمن! ـ على حذر، واسأل الله تعالى اللطف في القضاء والقدر، ولا تغتر بصفاء الأوقات، فإن تحتها غوامض الآفات، ولا تغتر أيضًا بموضع صالح، ولا مكان أصلح من الجنة، وقد لقي آدم عليه الصلاة والسلام فيها ما لقي. ولا مكان أفضل من مكة المشرفة، وفي الخبر: أن رجلًا وامرأة زنيا في الكعبة ومُسخا صنمين، فجعلوا أحدهما على الصفا، والآخرة على المروة؛ ليعتبر بهما[٥].

= قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وقال الألباني في «الصحيحة» (٢٠٥٧): صحيح.

(١) في (خ، ط): بما.

(٢) ليست في (ق).

(٣) ذكره الغزالي في «الإحياء» ٤/١٨١، والقشيري في «الرسالة القشيرية» ١/٦١، والذهبي في «الكبائر» ١/٢٢٧.

(٤) لم أجده بهذا اللفظ، وذكره الغزالي في «الإحياء» ٤/١٧٨ بلفظ: إذا صعدت الملائكة بروح العبد المؤمن وقد مات على الخير والإسلام تعجبت الملائكة منه، وقالوا: كيف نجا هذا من دنيا فسد فيها خيارنا.

(٥) هذا من أخبار الجاهلية التي تناقلها أهل التاريخ، ولا يعرف له أصل في السنة=

ولا تغتر بكثرة العبادة؛ فإن إبليس لعنه الله مع طول عبادته لقي ما لقي، ولا بكثرة علم؛ فإن بلعام كان يحسن الاسم الأعظم، ويرى من الفرش إلى العرش، فانظر ماذا لقي؟ فأما إبليس فإنه صار بعد الملكية[1] شيطانًا ملعونًا آيسًا من رحمة الله تعالى، وأما بلعام فإنه بعد أن كان سيدًا عظيمًا من أولي الألباب، أصبح وقد سُلب العلوم والإيمان، وشُبِّه بالكلاب.

ولا تغتر أيضًا برؤية الصالحين، فلا شخص أعظم من المصطفى عليه الصلاة والسلام، ولم ينتفع به أقاربه، ولا أعداؤه، وبعضهم صحبه ثم مات على غير دين الإسلام، وسبب ذلك كله من المعاصي والآثام، فلا كانت المعاصي ولا ساعتها. فمن أطاع الله تعالى واجتهد في ترك المخالفة والأوزار، ثم أوقعه الشيطان في ذنب؛ رجع إلى الله تعالى بالتوبة والاستغفار؛ أدخله الله الجنة، ووقاه عذاب النار.

قال المؤلف: من علامة خوف الله تعالى أن يكون العبد على حذر، فإن أوقعه الشيطان رجع إلى الله تعالى بالتوبة واعتذر، فعفا الله عنه وغفر، وقد قلنا شيئًا من صفات الخائفين عسى أن نتخلق بشيء من صفاتهم، ونغتم على ما فاتنا من مقاماتهم.

رافق بعض الفقراء قافلة، فخرج عليهم قطاع الطريق، وأخذوا

= الصحيحة، وقد أخرج البزار في «المسند» (٢٩٤) قال: حدثنا أحمد بن عبد الجبار، قال: حدثنا يونس بن بكير، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، عن عمرة، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما زلنا نسمع إساف ونائلة رجل وامرأة من جرهم زنيا في الكعبة، فمسخا حجرين.

قال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى إلا عن عائشة رضي الله عنها بهذا الإسناد.

وقال الهيثمي في «المجمع»: وفيه أحمد بن عبد الجبار العطاردي، وهو ضعيف.

وذكر محمد بن إسحاق في «السيرة»: أن إسافًا ونائلة كانا بشرين، فزنيا داخل الكعبة، فمسخا حجرين، فنصبتهما قريش تجاه الكعبة ليعتبر بهما الناس، فلما طال عهدهما عُبدَا، ثم حوِّلا إلى الصفا والمروة، فنُصبا هنالك، فكان من طاف بالصفا والمروة يستلمهما.

وذكر الأزرقي في «أخبار مكة» آثارًا في هذا المعنى، لا يصح منها شيء.

(١) في (خ): المليكة.

متاعهم، وفتحوا جرابًا فوجدوا فيه من المأكل، فجلسوا يأكلون إلا كبيرهم، قال: فقلت له: لم لا تأكل؟ قال: أنا صائم. فقلت له: تصوم وأنت على هذا الحال؟ فقال: نسد الطاقات جميعًا، ما نخلي بيننا وبين الله طويقة. قال الفقير: ثم سافرت بعد (ذلك بمدة)[1] إلى مكة المعظمة، فوجدت ذلك الحرامي وقد تغير حاله وجاور بمكة؟ فقلت له: ألست فلان كبير القوم؟ قال: نعم. توسعت تلك الطويقة ودخلنا منها.

وكذلك أنت ـ أيها المؤمن! ـ إذا كنت عاصيًا نادمًا باكيًا عسى أن يراك مولاك فيرحمك، وإن كنت عاصيًا ضاحكًا، يخاف عليك أن يراك الله سبحانه على تلك الحالة، فيغلق أبواب الرحمة دونك[2]، ويمقتك، فمن عصى الله تعالى وبكى[3] يرجى له الخير، وهو أخف ذنبًا ممن عصى وضحك، ومن عصى واستتر أخفُّ ذنبًا ممن عصى وجهر، وهذا أخف ذنبًا ممن عصى وافتخر، وليس شيء أنحس من هذا العبد إلا عبدٌ أشرك وكفر، ومنهم من حفظه الله تعالى، وهوَّن عليه العبادة، فأطاع ربه سبحانه وشكر.

والمحفوظون على طبقات: محفوظ عن الشرك والكفر بالهداية؛ ومحفوظ عن الكبائر والصغائر بالعناية، ومحفوظ عن الخطرات والغفلات بالرعاية.

قال الشيخ أبو مدين[4]: اطرح الدنيا على من أقبل عليها، وأقبل على

---

(١) في (خ، ط): مدة.

(٢) في (خ): عن وجهك.

(٣) في (ق): وهو يبكي.

(٤) أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني (ت: ٥٩٤هـ)، صوفي، من مشاهيرهم، أصله من الأندلس، أقام بفاس، وسكن بجاية، وكثر أتباعه حتى خافه السلطان يعقوب المنصور. وتوفي بتلمسان، وقد قارب الثمانين أو تجاوزها. له: «مفاتيح الغيب لإزالة الريب وستر العيب».
وليس هو بأبي مدين شعيب بن عبد الله بن سعد بن عبد الكافي، المعروف بالحريفيش (ت: ٨١٠هـ): متصوف مصري من أهل القاهرة جاور بمكة، له كتاب «الروض الفائق في المواعظ والرقائق» مطبوع في مصر قديمًا. ترجمتهما في «الأعلام» للزركلي ٣/١٦٦ و١٦٧.

مولاك، (من تفرغ من أشغال الدنيا أقامه الحق في خدمته، من لم يخلع العذار، لم ترفع له الأستار.

قال المؤلف في قول الشيخ: «اطرح الدنيا على من أقبل عليها، وأقبل على مولاك»)[1] لأن العبد إذا أقبل على مولاه حصل له كل شيء، وحرسه وتولاه، فإذا أقبل على الدنيا أعرض عن خالقه، فحرم خير الدنيا والآخرة، وخسرت يداه؛ لأن القلب له جهة واحدة، متى توجه لشيء حجب عن سواه، وصفة هذا المخذول هو الذي شغل بها عن فرائض الله تعالى، وخرج عن طريق الرسول، قال الله سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥ ـ ١٦]. فهؤلاء عبيد الدنيا، قال النبي المختار: «**تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار**»[2]. قال العلماء: عبد الدرهم والدينار هو مانع الزكاة، وقالوا أيضًا: إن قارون كان قرابة لموسى عليه السلام، وكان أعلم الناس بعلم التوراة من بعد موسى وهارون، فمنع الزكاة وأقبل على دنياه، فأعرض الله عنه، وخسف به وبماله وبجداره، وجعل النار مأواه[3].

فمن هذا القبيل زهد الأولياء في الدنيا؛ لكي لا تفسد قلوبهم، ويصيبهم ما أصاب هؤلاء الأشقياء. فمن علم أن الله تعالى قد أصلح نفسه، والدنيا في يده لا في قلبه، وهو يعمل على زيادتها، ولا يفتخر بها، ولا يتكبر على خلق الله تعالى، (ولا يتهجم على محارمه، ويخرج حق الله تعالى)[4]، ويتصدق على الفقراء والمساكين، ولا يتخلف عن الصلاة في جماعة المسلمين، ومع هذا الاحتياط العظيم يقول: ربِّ سلِّمْ، ربِّ سلِّم!

---

(١) ليست في (ق).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٥٠٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٧١٥٦)، والطبري في «تفسيره» ٦٢٩/١٩ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه قصة طويلة.

(٤) ليست في (ق).

لكي لا تغره الدنيا كما غرت غيره فيكون من الهالكين. قال ﷺ: **«هلك الأكثرون، إلا من قال في عباد الله هكذا وهكذا، وقليلٌ ما هم»**[1]. وجاء في حديثٍ آخر: **«إن الله يعطي الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب، ولا يعطي الآخرة إلا لمن يحب»**[2].

وكان في الصحابة الأغنياء، وكانت الدنيا في أيديهم لا في قلوبهم، فتعطَّفوا بها على إخوانهم ونفقوها في سبيل الله، فأخذ الله بأيديهم؛ فسلموا من عثراتها، وبلغهم إلى مطلوبهم.

وبعضهم غرق في بحر الدنيا؛ لقلة عومه، فبعد أن كان عبدًا لله وهو من الصحابة الموافقين، أصبح وقد أبعده الله من نبيه وحبيبه وصحابته، وصار من جماعة المنافقين.

والدنيا كالبحر العميق، ولا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم، فمن وسَّع الله عليه الدنيا، ورزقه الكرم والاتباع لخير الأمم، فقد أحسن الله إليه، وأسبغ عليه النعم، الذي جعل فيه صفة من صفاته، وخصصه بالاتباع لخير المخلوقات والأمم. ولذلك جاء في الحديث الصحيح: **«أن السخي**

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٠٥٤٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٥٢٧)، وأحمد في «مسنده» ٣٠٩/٢ (٨٠٨٥)، والنسائي في «الكبرى» (٢٢٢٠) من حديث أبي هريرة وأبي ذر بألفاظ متقاربة.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٦٨٧)، وأحمد في «مسنده» ٣٨٧/١ (٣٦٧٢)، والبزار في «مسنده» (٢٠٢٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٥٢٤) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، بلفظ: **«إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا من يحب...»**.

قال الدارقطني في «العلل» ٢٦٩/٥ ـ بعد أن ذكر طرقه ـ: الصحيح الموقوف.

وقال الألباني في «الصحيحة» (٢٧١٤): يظهر من هذا التخريج أن الأصح في إسناد الحديث أنه موقوف، لكن لا يخفى أنه في حكم المرفوع؛ لأنه لا يقال من قبل الرأي.

قلتُ: بل الأشبه أنَّه موقوف، استنبطه ابن مسعود رضي الله عنه من دلائل الكتاب والسنة على هذا المعنى، والله أعلم. (ت)

قريبٌ من الله»(1). وفي حديث آخر: «**نعم المال الصالح مع الرجل الصالح**»(2). وفي حديث آخر: «**الدنيا مطية المؤمن عليها يبلغ الخير، وبها ينجو من الشرّ**»(3).

فما أحب الصالحون الدنيا إلا لفعل الخيرات والطاعة، والعمل بسنة صاحب المعجزات والشفاعة، فتزودوا بهذه البضاعة، فوصلوا لمواطنهم، وسلموا من قُطَّاع الطريق، ونجوا من أهوال يوم الساعة.

فإن كنتَ - أيها الغنيُّ! - على هذه الصفات المباركة، فهي دنيا مباركة عليك التي بسببها وصل خير الآخرة إليك فالزم، واشكر الله تعالى لكي يزيدك من فضله، ويجعل هذه الخيرات نورًا يسعى بين يديك، وإياك أن يغرك الشيطان بقوله.

اعمل بما جاء في الحديث: «**ازهد في الدنيا يحبك الله**»(4). واعمل

---

(1) أخرجه الترمذي في «جامعه» (١٩٦١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٨٥١)، والطبري في «تهذيب الآثار» (١٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وله شاهد عن عائشة رضي الله عنها.
قال الترمذي: هذا حديث غريب.
وقال ابن أبي حاتم في «العلل» (٢٣٥٤): هذا حديث منكر. وفي (٢٣٥٢) قال: هذا حديث باطل، وسعيد ضعيف الحديث، أخاف أن يكون أدخل له.
وقال الدارقطني في «العلل» ٣٦٨/١٤ بعد أن ذكر طرقه: لا يثبت منها شيء على وجه.
وقال الألباني في «الضعيفة» (١٥٤): ضعيف جدًا.

(2) أخرجه أحمد في «مسنده» ١٩٧/٤ (١٧٧٦٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٩٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٢١٠) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.
صححه الألباني في «الأدب المفرد» ١٢٧/١، وقال في «السلسلة الضعيفة» ٦٢/٥: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(3) أخرجه الشاشي في «مسنده» (٣٦٣)، وابن عدي في «الكامل» ٣٠٩/١ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، بلفظ: «**لا تسبوا الدنيا؛ فنعم مطية المؤمن، عليها يبلغ الخير، وبها ينجو من الشر**».
قال الألباني في «الضعيفة» (٥٤٢٠): موضوع.

(4) سبق تخريجه.

على التجريد يهوِّن الله عليك الأمور، ويبلغك إلى ما تريد، وتكون موافقًا[1] لسيد الموالي والعبيد صلى الله عليه صلاة دائمة إلى يوم القيامة، يوم تأتي كل نفس معها سائق وشهيد، فيكون قد طاب وقت هذا العبد لمعاملته لله، ولشفقته على خلق الله، فيترك الدنيا بنفسه، فحينئذٍ يتغير حاله فكان يعطي صار يستعطي، وكان همه الرازق، صار همه طلب الرزق، فينتحس الحال لأجل الطلب من الناس ولذل[2] السؤال؛ لأنه قام بنفسه، ومن قام بنفسه سقط، ومن أقامه الحق ثبت.

وهذه الأشياء وما يقاربها من تلبيس إبليس، ثم يدخل يوسوس هذا الشيطان المريد على رجل قد انصلح حاله في الزهد والتجريد، وفي خدمة المولى المجيد فيقول: ليس الرجل من ينتظر من يطعمه، الرجل من يعمل ويأكل ويطعم، ويروي له ما كان على ذهن الرجل من الأحاديث كقوله ﷺ: «**أحل ما أكل المرء من كسب يمينه، وإن داود نبيَّ الله كان يأكل من كسب يمينه**»[3]، وما جاء عن المشايخ المتسببين كإبراهيم بن أدهم، وسري السقطي، وإبراهيم الخواص، وغيرهم، فيترك التجريد، واعتزال الخلق، ثم يدخل في أسباب الدنيا، ويختلط بأهلها، فيتكدر عليه وقته بعد أن كان صافيًا، فإنه جاء في الحديث الصحيح، يقول الله تعالى: «**إن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر، ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى، ولو أفقرته لأفسده ذلك**»[4].

---

(١) في (ط): مرافقًا.

(٢) في (ق): لذلك.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» ٦/١٥ من حديث عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل، فقال: يا محمد! ربك يقرأ عليك السلام، ويقول: إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالغنى، ولو أفقرته لكفر، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالفقر، ولو أغنيته لكفر، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالسقم، ولو أصححته لكفر، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالصحة، ولو أسقمته لكفر».

قال الألباني في «الضعيفة» (١٧٧٤): ضعيف. =

وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول: والله أنا ممن لا يصلحني إلا الغنى[١].

كان خلقه جميل، وعطاؤه جزيل[٢]، كريم الشمائل، يكرم الضيف، ولا يرد السائل. رُوي أنه نزل به ضيف، فأمر عبده أن يذبح رأسًا من الغنم، ويأتي به مشويًا لضيفه، ففعل، وأخذ العبد الرأس مشويًا على طبلية[٣] وحمله على رأسه، فعثر العبد من على السلم، ولعبد الله ولد يلعب تحت السلم، فوقع العبد[٤] والطبلية على رأسه، فمات، فخرج عبد الله ورأى العبد قد اصفرَّ من الخوف، وولده قد مات والخروف قد تمعر في التراب فلم يغضب، وقال لعبده: لا بأس عليك هذا قضاء الله، وأنت حرٌّ لوجه الله. فأعتق عبده، وأكرم ضيفه، ولم يخبر أحدًا حتى ذهب الضيف لكي يهنأ له طعامه[٥].

فمن كان صحابي الهمة فالدنيا في يده لا في قلبه، لا يفرح لوجودها، ولا يحزن لفقدها؛ بل ينفقها كما جاء في الحديث المتقدم (فإن فعل)[٦] نجا، وإن لم يفعل هلك، وكثر همه وغمه.

ومراد المؤلف بهذا الهم: همُّ الدنيا، وهو في الشرع مذموم، وفاعله من خير الآخرة محروم، وأما همُّ الآخرة والحزن عليها فمحمود،

= وأخرجه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (١)، وأبو نعيم في «الحلية» ٨/٣١٨، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٧/٩٥ من حديث أنس رضي الله عنه مطولاً.
وقال الألباني في «الضعيفة» (١٧٧٥): ضعيف جدًا.

(١) لم أقف عليه.

(٢) كذا، وصوابه: جميلاً... جزيلاً.

(٣) قال في «تاج العروس»: الطبلة: شيء من خشب، تتخذه النساء. والطبل: الربعة للطيب. وأيضًا: سلة الطعام، وهو كالخِوان، يقال أيضًا: الطبلية، والجمع الطبالي.

(٤) في (خ): الرأس.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) ليست في (خ).

ويقرب للمولى الودود؛ وقال سيد المرسلين: **«إن الله يحب كل قلب حزين»**[(1)].

وفي التوراة: إذا أحب الله عبدًا نصب في قلبه نائحة، وإذا أبغض عبدًا جعل في قلبه مزمارًا[(2)].

واعلموا - أهل الإيمان! - أن نبيكم ﷺ كان مع وجود العبادة وكثرة[(3)] الإحسان دائم الفكرة، متواصل[(4)] الأحزان، فيجب على المؤمن أن يكون صاحب خوف ووجل؛ فبسببها حصل لأهل الجنة ما حصل، فمن أراد المرافقة فعليه بالموافقة: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنفال: ٦٤].

فما فات السالك[(5)] الوصول إلا لتضييعه الأصول، وهو طاعة الله سبحانه، واتباع الرسول؛ قال المولى الكريم: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١]، فلو كان المريد في ابتداء أمره متبعًا لصار صدِّيقًا، ولحصل له ما يريد.

فاعلم - أيها المملوك! - أن ليس كل أحد يصلح لمجالسة الملوك، وإياك - أيها المؤمن! - أن تخرج من هذه الدار وما ذقت أطيب شيء فيها، وهو حلاوة حب الله ورسوله، وليس حلاوة حبهما في المأكل

---

(١) أخرجه البزار في «مسنده» (٤١٥٠)، والحاكم في «المستدرك» ٣١٥/٤، وأبو نعيم في «الحلية» ٩٠/٦. قال الحاكم: صحيح الإسناد. فتعقبه الذهبي قائلًا: مع ضعف أبي بكر منقطع. وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (١٧٢٣).

(٢) ذكره ابن القيم في «مدارج السالكين» ٥٠٧/١، وقال: أثر إسرائيلي قيل: إنه في التوراة وله معنى صحيح، فإن المؤمن حزين على ذنوبه، والفاجر لاهٍ لاعب مترنم فرح.

(٣) في (خ): كرة.

(٤) في (ق): و.

(٥) في (ق، ط): السائل.

والمشرب[1]، الذي يشارك فيهما الأنعام والدواب، أرأيت آدميًا يرضى لنفسه أن يكون هو والدابة سواء؟! فمن علامة المحبين طاعة الله سبحانه، والجمع عليه، واتباع النبي ﷺ والشوق إليه، وكثرة الصلاة عليه.

وهذه الأشياء لا يشارك المؤمن فيها إلا النبيون والصالحون والملائكة المقربون، ولو فتح لك ـ أيها المؤمن! ـ باب التودد، لرأيت العجائب؛ لكن الحق سبحانه انتخب لحضرته من يصلح لها، ومن لم يصلح رماه للكائنات، ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ١٠٥]، قال ﷺ: **«ما سبقكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة، ولكن بشيء وقره الله في صدره»**[2].

وقال بعض الصالحين: والله لا أبكي لأجل المعصية، إني لا أصلح لها، ولكن أبكي (الذي كان هذا)[3] حظي من الله تعالى.

وقيل لبعض الصالحين عند النزع: ما تشتهي؟ قال: قطعة كبد مشوية[4]. ليس المراد أن يأكلها، لكنه يشتهي قلبًا محترقًا على ما ضيعه في عمره.

وكذلك كانوا يوَرُّون في إشاراتهم بسُعْدَى، ولُبْنَى، والرَّباب، وزينب، وليلى، والمراد أنهم كانوا يصونون ذكر حبيبهم ويذكرون غيره[5]، كما قيل

---

(١) في (خ، ط): الشراب.

(٢) قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» ١/٣٠، ١٠٥: رواه الترمذي الحكيم في «النوادر» من قول بكر بن عبد الله المزني، ولم أجده مرفوعًا. وأقره الحافظ السخاوي في «المقاصد الحسنة» (٩٧٠)، وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٩٦٢): لا أصل له مرفوعًا.

(٣) في (خ): التي كانت.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) هذا من قبائح الصوفية، وذلك أنهم يذكرون قصائد العشق في وصف النساء، ويزعمون أنهم يقصدون بذلك ربَّ الأرباب سبحانه وتعالى، وما الذي دعاهم إلى (التورية)، هل هم في بلاد المشركين إذا ذكروا الله عزَّ وجلَّ عذِّبوا وأوذوا؟ وإنما قصدهم بذلك الدندنة حول اعتقادهم بوحدة الوجود، فلا فرق عندهم بين الربِّ وامرأة. قال ابن الجوزي في بيان تلبيس إبليس عليهم: ومن ذلك أنهم تلمحوا ما=

عن بعض الخلفاء أنه لما رأى مكة شرَّفها الله تعالى ترجَّل عن جواده، وخرَّ لله ساجدًا على التراب، وأنشد:

= يزعج النفوس، ويطرب القلوب، فنوَّعوا فيه الكلام فتراهم ينشدون الأشعار الرائقة الغزلية في العشق، ولبس عليهم إبليس بأننا نقصد الإثارة إلى محبة الله عز وجل، ومعلوم أن عامة من يحضرهم العوام الذين بواطنهم مشحونة بحب الهوى، فيضل القاصُّ ويُضِلُّ.

قال الصوفي الشهير ابن الفارض في «ديوانه» ـ يذكر النساء ويورِّي في إشارته إلى ربِّه ـ:

فلا تك مفتونًا بحسك معجبًا ... بنفسك موقوفًا على لبس غرةِ
وفارق ضلال الفرق فالجمع منتج ... هدى فرقة بالاتحاد تحدتِ
فكل مليح حسنه من جمالها ... معار له، أو حسن كل مليحة
بها قيس لُبْنَى هام، بل كل عاشق ... كمجنون ليلى، أو كُثيِّر عزَّة
فكلٌّ صبا منهم إلى وصف لبسها ... لصورة حسن لاح في حسن صورة
وما ذاك إلا أن بدت بمظاهر ... فظنوا سواها، وهي فيها تجلت
بدت باحتجاب، واختفت بمظاهر ... على صبغ التلوين في كل برزة
ففي النشأة الأولى تراءت لآدم ... بمظهر حوا قبل حكم الأمومة
فهام بها كيما يصير بها أبا ... ويظهر بالزوجين حكم النبوة
وما برحت تبدو وتخفى لعلة ... على حسب الأوقات في كل حقبة
وتظهر للعشاق في كل مظهر ... من اللبس في أشكال حسن بديعة
ففي مرة لُبْنى، وأخرى بثينة ... وآونة تدعى بعزة عزت
ولسن سواها، لا. ولا كن غيرها ... وما إن لها في حسنها من شريكة
كذاك بحكم الاتحاد بحسنها ... كمالي بدت في غيرها، وتزيت
بدوت لها في كل صب متيم ... بأي بديع حسنه، وبأيَّتِ

ذكر هذه الأبيات البقاعي رحمه الله في «تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي» المطبوع باسم: «مصرع التصوف»، فعلَّق عليه محقِّقه العلامة عبد الرحمٰن الوكيل رحمه الله بقوله (ص: ١٠١): يفتري سلطان الزنادقة ابن الفارض أن الذات الإلهية تتجلَّى ـ أتم وأجمل مما تتجلى ـ في صور النساء الجميلات، ويفتري أنها تجلت في صور ليلى وبثينة وعزة، وقد رمز بهن عن كل امرأة جميلة عاشقة معشوقة، ولما كان من طبيعة هذا الرب الصوفي العشق، كان لا بد له من التجلي في صور عشاق، ليعشق، ويعشق، فتجلى في صور قيس وجميل وكثير عشاق أولئك الغانيات. وقد رمز بهم عن كل فتى اختبله الحب وتيمته الصبابة، ثم يفتري أيضًا الزعم بأن العاشق ليس غير العشيقة بل هو هي، فالرب الصوفي عشق وعاشق وعشيقة، فليلى وقيس مثلاً عند ابن =

ونحن ملوك الأرض شرقًا ومغربًا   وعند حمى[1] ليلى أقل عبيدها

فسجود هذا السيد مع جلالة قدره وتعفير وجهه على التراب، هو تعظيم لرب الأرباب، والوجه هو من أعز[2] الأعضاء وأشرفها، وقد أهانه[3] في الدنيا، عسى أن يكرمه (الله تعالى)[4] في الآخرة، ويجعله من قوم قال في حقهم: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣].

ثم اعلم بأن السجود يقرب إلى الرب المعبود لقوله تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩]، ولقوله ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا[5] من الدعاء**»[6].

يا هذا، إذا فتح أهل الدنيا أكياسهم، وأنفقوا في سبيل الرحمٰن؛ افتح أنت أيضًا: (هميانَ قراءةِ القرآن، وكثرة التضرع إلى الرحمٰن، وأَكْثِرْ)[7] من ذكر الملك المعبود، وأطل الركوع والسجود، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك بها درجة، وحطَّ عنك بها خطيئة، فمن ذكر الله ذكره وبلَّغه المقصود.

= الفارض هما الرب، تعينت ذاته في صورة امرأة تعشق وتعشق هي ليلى، وفي صورة رجل يعشق ويعشق هو قيس. وليتأمل القارئ معي: فابن الفارض حين يتحدث عن الذات الإلهية باعتبارها حقًّا يحكم بأنها تظهر في صور نساء، وإذا تحدث عنها باعتبار تعينها فيه يحكم بأنها تظهر في صور رجال، يريد بهذا أن يفضل الرب المتعين فيه على الرب المتعين في غيره، أو بتعبير أبين صراحة: يفضل نفسه على الرب الذي يظهر في صورة امرأة، ويجعل من نفسه قيمًا عليه، فالرجال ـ كما لا يخفى ـ قوامون على النساء.

(١) في (ط): حب.

(٢) في (ق): أجل.

(٣) زاد في (ق) لفظ الجلالة: الله.

(٤) ليست في (ق).

(٥) في (ق): فأكثر في سجودك.

(٦) سبق تخريجه.

(٧) في (خ): (الهميانَ، وأكثِرْ من قراءة القرآن، فإن لم تحفظه فأكثِرْ). والهميانُ: كيسٌ للنفقة يشدُّ في الوسط.

فمن أراد أن يعرف حاله عند الله تعالى، فلينظر إلى صلاته: إن أسرع إليها وواظب عليها، ودخل فيها بخشوع، واطمأن[1]، وأتم السجود والركوع، فإذا فرغ من صلاته انتهى عن جميع سيئاته[2]، فهذه الصلاة تقرب المؤمن من خالقه ومولاه؛ لأن من جلس إلى صاحب مسك عبق عليه من ريحه. والصلاة هي مجالسة المؤمن لله تعالى، فمن جالس ربه ولم يحصل له ما تقدم ذكره من الجمع في صلاته، والتدبر في قراءته، والترك لسيئاته، وأتم الركوع والسجود، واطمأن في القيام والقعود، ولم يسبق الإمام ليست بصلاة؛ لما خالطها من الغفلة والخروج عن السُّنَّة والآثام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]؛ فإن لم تنه[3] صاحبها عن ذلك فليست بصلاة، فترى الغافل إذا دخل في الصلاة أخذه الوسواس، وإذا صام اغتاب الناس، فيدرج القراءة، ولا يطمئن في قيامه، ولا في ركوعه وسجوده، ويعبث بثوبه وببدنه، فيدخل الخلل في صلاته، ويخرج عن طريق خير الناس.

ومن البدع: نظر المصلي إلى ثيابه وأعطافه، ولم ينظر إلى قدرة الله تعالى وألطافه، وكذلك نظر المصلي إلى اليمين واليسار، وهو واقف بين يدي الله تعالى؛ يخاف عليه أن يحول وجهه وجه حمار. وهذه الألفاظ مأخوذة مما صح في الأخبار[4].

---

(١) في (ط): واطمئنان.

(٢) في (ط): سباته.

(٣) في (ط): ينته.

(٤) أخرج عبد الرزاق في «مصنفه» (٣٧٥١)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧٢٢٤)، وأحمد في «مسنده» ٢/٢٦٠ (٧٥٣٤)، والدارمي في «سننه» (١٣١٦)، والبخاري في «صحيحه» (٦٩١)، ومسلم في «صحيحه» (٤٢٧)، وابن ماجه في «سننه» (٩٦١)، وأبو داود في «سننه» (٦٢٣)، والترمذي في «جامعه» (٥٨٢)، والنسائي في «المجتبى» ٢/٩٦ (٨٢٨)، وفي «السنن الكبرى» (٩٠٢)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٦٠٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**أما يخشى أحدكم، ـ أو ـ لا يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام؛ أن يجعل الله رأسه رأس حمار، أو يجعل الله صورته صورة حمار**».

فلا تبخل على نفسك - أيها العبد الشحيح - بالعمل بالحديث الصحيح، فأبخل البخلاء من سرق من صلاته وخالف ربه، ولم يعمل على مرضاته.

عن زيد بن وهب قال: رأى حذيفة رضي الله عنه رجلًا لا يتم الركوع ولا السجود، فقال له: ما صليت، ولو مُتَّ؛ مُتَّ على غير الفطرة التي فطر الله عليها محمدًا ﷺ[1].

فمن صلى ولم يطمئن في ركوعه وسجوده، ويعتدل في قيامه؛ تُكره صلاته عند جماعةٍ من العلماء، وتبطل عند آخرين[2].

ويكره العبث في الصلاة (عند جماعة)[3] وإن[4] قلَّ، وإن كثر العبث بطلت صلاته عند جماعة، وتكره عند آخرين[5].

فإن اضطر المصلي إلى النظر فلينظر بمُؤَقِ[6] عينيه من غير أن يلتفت ويقتفي الآثار، ولا يخرج عن سنة النبي المختار، والمؤمنين الأخيار.

فيا أيها المملوك، ما[7] هكذا يتأدب بين يدي الملوك، كان علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إذا وقف في الصلاة تغير لونه، ولا يتغير[8] عند ملاقاة الأبطال، فقيل له في ذلك، فقال: أما تعلمون بين يدي من

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣٨٤/٥ (٢٣٢٥٨)، والبخاري في «صحيحه» (٧٩١)، والنسائي في «المجتبى» ٥٨/٣ (١٣١٢)، وفي «السنن الكبرى» (٦٠٨).

(٢) تكره عند الأحناف، وتبطل عند الشافعية والحنابلة، انظر: «حاشية الطحاوي على مراقي الفلاح» (ص ١٦٧)، «الحاوي» ١١٩/٢، «المغني» ٥٧٧/١.

(٣) ليست في (ق).

(٤) في (خ): إذا.

(٥) انظر «المغني» ٦٩٦/١.

(٦) مؤق العين - بهمزة ساكنة ويجوز التخفيف -: مؤخرها، والماق لغة فيه، وقيل: المؤق المؤخر، والماق بالألف المقدَّم، وقال الأزهري: أجمع أهل اللغة أن الموق والماق لغتان بمعنى المؤخر. «المصباح المنير» (مادة: موق).

(٧) في (خ): أما.

(٨) في (خ): ولم تتغير.

أقوم؟![1]، فمن لم يتأدب بين يدي خالقه، ويعظم شعائره فهو عبد محروم، وبالبدعة والغفلة موسوم.

رأى النبي ﷺ رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة، فقال: **«لو خشع قلبه لخشعت جوارحه»**[2].

فشهد عليه الصادق الأمين أنه[3] من الغافلين، نسأل الله تعالى اليقظة (وحسن العاقبة)[4] والخاتمة، وأن يوفقنا لطريق السعداء، ويجنبنا البدعة والردى.

ومن البدعة سبق المأموم إمامه؛ لقوله ﷺ: **«إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا كبَّر فكبِّروا، وإذا ركع فاركعوا، وإذا رفع فارفعوا، وإذا قال: سمع الله لمن حمده. فقولوا: ربنا ولك الحمد. وإذا سجد فاسجدوا»**[5].

والفاء في هذا الحديث كله للتعقيب، فاسمع وأجب إن كنت محبًّا صادقًا لقول الحبيب، ولا تخالفه حياءً من المولى الرقيب، الذي هو معك حيث كنت وأين كنت، حاضرٌ لا يغيب، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، وقال

---

(١) لم أقف عليه عن علي بن أبي طالب، وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٢١٦/٥، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٣٧٨/٤١ عن علي بن الحسين رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» ٢١٠/٣، وقال الحافظ العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» ١٥٠/١: ضعيف، والمعروف أنه من قول سعيد بن المسيب رحمه الله.
وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (١١٠): موضوع.

(٣) في (خ): أن الرجل.

(٤) ليست في (خ).

(٥) أخرجه مالك في «الموطأ» (٣٠٤) بنحوه، والحميدي في «مسنده» (١١٨٩)، وأحمد في «مسنده» ٣/ ١٦٢ (١٢٦٥٦)، وعبد بن حميد في «مسنده» (١١٦١)، والدارمي في «سننه» (١٢٥٦)، والبخاري في «صحيحه» (٦٨٩)، ومسلم في «صحيحه» (٤١١)، وابن ماجه في «سننه» (٨٧٦)، وأبو داود في «سننه» (٦٠١)، والترمذي في «جامعه» (٣٦١)، والنسائي في «المجتبى» ٨٣/٢ (٧٩٤)، وفي «السنن الكبرى» (٩٠٦).

تعالى: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٣١]. فمن لقيته عواصف الشوق أسرع إلى منازل الحبيب، قال قائلهم في المعنى:

والله ما جئتكم زائرًا إلا وجدتُ الأرض تطوى لي
ولا انثنى عزمي عن بابكم إلا تعثرت بأذيالي

فطاعة الحبيب تخفف الأثقال، فابك على نفسك إذا جررت رجليك إلى الصلاة جرًا، وهي صفة من صفات المنافقين، قال الله تعالى في حقهم: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [النساء: ١٤٢].

فترى الغافل إذا فرغ[١] من صلاته أسرع في خروجه كأنه كان في حبس، قد طال فيه مكثه، فيبطئ في دخوله إلى المسجد، ويسرع في خروجه، فيخرج ومناجاة الحق في أذنيه، وهي قوله عز وجل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥]، ومناجاة الرسول ﷺ، وهو قوله: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

فمن قال هذا فقد سلم على النبي ﷺ وعلى كل ولي لله تعالى في السموات والأرض[٢]، ثم يخرج بعد هذه النعم إلى الخروج عن طريق خير

---

(١) في (ق): أسرع.

(٢) يشير إلى الحديث الذي أخرجه أحمد في «مسنده» ١/٣٨٢ (٣٦٢٢)، والدارمي في «سننه» (١٣٤٠)، والبخاري في «صحيحه» (٨٣١)، وفي «الأدب المفرد» (٩٩٠)، ومسلم في «صحيحه» (٤٠٢)، وابن ماجه في «سننه» (٨٩٩)، وأبو داود في «سننه» (٩٦٨)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٧٠٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: كنا إذا صلينا خلف النبي ﷺ قلنا: السلام على جبريل وميكائيل، السلام على فلان وفلان. فالتفت إلينا رسول الله ﷺ فقال: «**إن الله هو السلام، فإذا صلى أحدكم فليقل: التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإنكم إذا قلتموها أصابت كل عبد لله صالح في السماء والأرض، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله**».

الأمم، فيجلس على رأس الحارات والدروب، ويكثر من الخطايا والذنوب، ويطلق نظره لمعصية علام الغيوب.

خرج رجلٌ في زمن مالك بن أنس رضي الله عنه ليصلي في المسجد مع الجماعة، فرأى محرَّمًا، فدعا على نفسه بالعمى، فعمي، فكان ولده يقوده إلى المسجد، فشغل يومًا الصبي باللعب، وأخذ الرجل بطنه فخاف الفضيحة، فدعا الله تعالى يرد بصره؛ (فردَّه الله تعالى عليه)[1]، قال الإمام مالك: رأيته بصيرًا ثم أعمى ثم بصيرًا[2].

اعلم - رحمك الله تعالى - أن الجماعة ربحٌ؛ ولذلك قال المولى الغفور: ﴿يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩]. والربح لا يكون إلا بسلامة رأس المال.

كان بعضهم يبيع الثلج، فذاب الثلج، فجلس يبكي، ويقول: ارحموا من ذاب رأس ماله[3]. وقد ذهب رأس عُمُرِ الغافل وهو يضحك، وضحك هذا المفتون مع هذه المصائب نوع من الجنون، فمثله كمثل المرأة المجنونة التي مات ولدها، وهي تضحك.

(كان بعض الصالحين لا يزال باكيًا فقيل له: أنت طول دهرك باكيًا؟ قال: فبكى وقال: يحق لأهل المصائب أن يكونوا هكذا)[4].

فإياك - أيها المؤمن! - أن تتهاون في النظر، واسأل الله تعالى اللطف في القضاء والقدر، وإياك أن يهونه الشيطان عليك ليصل شؤمه ووباله إليك بقوله: هو ذنب صغير؛ فإن الصغير بالمداومة يصير كبيرًا، ولا تنظر الذنب،

---

(١) في (ق): عليه.

(٢) أخرجه أبو بكر بن المقرئ في «معجمه» (٦٤)، واللالكائي في «كرامات الأولياء» (١٢٨). وذكره المؤلف رحمه الله في موضع سابق.

(٣) لم أقف على هذه الحكاية.

(٤) ليست في (ق). ولم أقف على هذه الحكاية، وقوله: (دهرك باكيًا) صوابه: (باكٍ).

بل انظر لمن عصيت[1]، وجاء في الحديث: «**لا صغيرة مع إصرار، ولا كبيرة مع استغفار**»[2].

اعلم أنه يشق على النفس ترك المألوف، وإن كان ذلك لا يرضي المولى الرؤوف، ومن سوء عادة النفس إذا مكنت من الذنب الصغير تجر إلى الذنب الكبير: أمارة بالسوء؛ ولا ينبئك مثل خبير، لا تسمع منها إذا قالت: اسع في زيارة الإخوان فتؤجر! وتروي لك الأخبار: لا تلقي نفسك في النار! ما هذا زمن اجتماع، قلَّ أن يجلس الرجل مجلسًا لا يعصي الله فيه، هذا زمانُ: اخف مكانك، واحفظ لسانك، وابك على خطيتك.

ولا تغبط من يكون معه من العبادة الظاهرة: كالعلم والزهد، وكثرة الصلاة، والصوم، والذكر وغيره؛ وعوائد[3] الجلوس في الطرق والأسواق؛ لخروجه عن السنة، وعن طريق كل عبد صالح ومشتاق؛ لأن هذه الأشياء لا تغني المؤمن ولا يحتاج إليها.

وقال صلوات الله عليه وسلامه: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»[4]، فلو حسن إسلام المرء ما تعرض للمحن، ولا خرج عن السنن، وقد صح في الحديث: «**إن الأسواق مجالس الشياطين**»[5]، فلذلك كرهها الله تعالى لعباده الصالحين.

---

(١) كذا في النسخ: (ولا تنظر الذنب)، والصواب: (.. إلى الذنب). وهذا من كلام السلف، فقد أخرج الخطيب في «تاريخ بغداد» ٣٢١/١ عن التابعي العابد الفاضل بلال بن سعد رحمه الله قال: لا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن انظر من عصيت.

(٢) أخرجه الشهاب القضاعي في «مسنده» (٨٥٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٤٨١٠): منكر.

(٣) في (خ): وعادة. ومراد المصنف أن المشار إليه وهو صاحب عبادة ظاهرة قد ابتلي بعادة الجلوس في الطرق والأسواق.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وقد أخرج مسلم في «صحيحه» (٦٧١)(٢٨٨)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٢٩٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها**».

ثم اعلم بأن الخير كله في جمع القلب على الله تعالى، والشرَّ كله في التفرقة عنه، والجلوس بغير حاجة في أبواب الحارات والأسواق أو الطرق والدروب؛ ففي ذلك تفرقة للقلوب، ولا ترضي علام الغيوب.

وقد أفتى الشيخُ محيي الدين النَّواويُّ[1] لسائل سأله: هل الانقطاع في برية أو قرية أفضل، أم الإقامة في المدن لأجل حضور الجماعة والجمعة، وأعياد المسلمين وشعائرهم، وحلق ذكرهم أفضل؟ فقال رضي الله عنه: أي مكان رأيت نفسك انجمعت فيه على الله تعالى، فالإقامة فيه أفضل: (في البرية أو القرية أو المدينة)[2]. فإن خاف الضرر على دينه في المدينة لا يسكنها، فإن أمن فسكنى المدينة أفضل؛ (لشهود ما تقدم ذكرهم، وحينئذٍ)[3] لا يجالس من يخاف منه ضررًا في دينه لبدعته، أو لترغيبه في الدينا وشهواتها، أو يغتاب عنده مسلمًا أو[4] غير ذلك من المفاسد: كمجالسته من تتحلى النفس بمجالسته، لعلو مرتبته أو لحسن صورته، وذلك من أنحس المقاصد.

فقد تبين لك أن (الجمع هو الأصل في العبادات)[5]، فما فات السالك الوصول إلا لتضييعه الأصول، فمتى حصلت العبادة، ولم يحصل معها الجمع، فإنما هو من عدم صدق، أو مرض في القلب، أو بدعة، أو عدم أدب، أو عجب ورياء، أو كبر. قال المولى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، **فاعتبروا يا أولي الألباب بإبليس: كيف صيَّره الله سبحانه عدوًا لأجل تكبره، وصرفه عن درجة**

---

(١) هو العلامة الفقيه المحدّث أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني النووي الشافعيُّ (٦٣١ ـ ٦٧٦ هـ) رحمه الله، مولده ووفاته في نوا ـ من قرى حوران، بسورية ـ وإليها نسبته. من مؤلفاته الشهيرة: «رياض الصالحين»، و«شرح صحيح مسلم»، و«الأذكار».

(٢) ليست في (ق).

(٣) في (ق): و.

(٤) في (خ): و.

(٥) في (خ): الأصل في العبادات هو الجمع.

الأحباب، كان ملكًا عظيمًا، فصار شيطانًا رجيمًا[(١)]**، فإن عوَّق المسلم عن الصلاة بالكلية، فقد ابتلي بمعصية عظيمة وبلية، وخالف الحق سبحانه، وخرج عن طريق خير البرية، قال الله تعالى:** ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٣١]، وقال ﷺ: «**بين أمتي والشرك والكفر ترك الصلاة**»[(٢)]. وقد صحَّ أيضًا في الخبر: «**من ترك الصلاة عامدًا متعمِّدًا فقد كفر**»[(٣)].

فانظر ـ رحمك الله! ـ إلى هذا التهديد والتوكيد الشديد، ومع ذلك كله لا ينتفع الغافل به؛ لأن القلوب بيد الله تعالى، فلا يكون أبدًا إلا ما يريد.

قال بعضهم:

قل لمن أعرض عنَّا ... إن إعراضك منَّا
لو أردناك لأضحى ... كلُّ ما فيك يردنا

ولهذا الترك سبب: وهي ذنوب سبقت؛ لأن المعاصي تسود القلب،

---

(١) لم يكن إبليسُ ـ قطُّ ـ من الملائكة، بل كان من الجنِّ بصريح القرآن، لكنه كان صالحًا مقرَّبًا ففسق عن أمر ربِّه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف: ٥٠].

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣/٣٧٠ (١٤٩٧٩)، وعبد بن حميد في «مسنده» (١٠٢٢) بنحوه، ومسلم في «صحيحه» (٨٢)، والترمذي في «جامعه» (٢٦١٨، ٢٦١٩) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، ولفظه عن النبي ﷺ قال: «**بين العبد وبين الشرك أو الكفر ترك الصلاة**». وفي بعض الألفاظ: «**بين الكفر والإيمان ترك الصلاة**». وقد ورد من غير حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٣٤٨)، ورجح الدارقطني إرساله، انظر «العلل» ١٢/٨٢، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢/٢٦: رجاله موثقون إلا محمد بن أبي داود فإني لم أجد من ترجمه، وقد ذكر ابن حبان في «الثقات»: محمد بن أبي داود البغدادي فلا أدري هو هذا أم لا. وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٢٥٠٨).

وتيبس الأعضاء، وتعوقها عن الطاعة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى: ٣٠]. وأيُّ مصيبةٍ أعظمُ من ترك الصلاة، والمخالفة لله تعالى، ومن تفرُّقِ العبد عن سيده وخالقه ومولاه.

ويجب على المسلم المواظبة على الجمعة والجماعة، ليهوِّن الله عليه أهوال يوم الساعة، ويحشره مع صاحب المعجزات والشفاعة.

اعلموا ـ أهل الإيمان! ـ أنَّ الجمعة والجماعة هي طريق رسول الله ﷺ، وطريق الصحابة، والتابعين لهم بإحسان.

سئل ابن عباس رضي الله عنه عن رجل يصوم النهار، ويقوم الليل؛ إلا أنه لا يأتي الجماعة ولا الجمعة، فقال: هو في النار[١].

عن ميمون بن [أَبي] شبيبٍ قال: تهيأت للذهاب إلى الجمعة زمن الحجاج، فقلت: أين أذهب، أُصلي خلف هذا؟ فقلت مرة: أذهب، ومرة: لا أذهب، فأجمع رأيي على الذهاب، فناداني منادٍ من زاوية البيت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩]، قال: وجلست مرةً أكتب كتابًا، فعرض لي شيء، إن أنا كتبته زيَّن كتابي؛ وقد كنت كذبت، وإن أنا لم أكتبه، كان في كتابي بعض القبح؛ وقد كنت صدقت، فقلت مرة: أكتب، ومرة: لا أكتب. فأجمع رأيي على تركه، فتركته فناداني منادٍ من زاوية البيت: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧][٢].

ولا ينبغي للمؤمن أن يتهاون بالصلاة في الجماعة؛ لأجل العيال، ويحيلهم على الكبير المتعال، لكي لا يدخل الخلل في كسبه؛ ويخرج عن

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» (٢١٨)، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي» (١٦٢).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٥٤٤٥)، وأحمد في «الزهد» (ص ٣٥١) عن ميمون بن أبي شبيب، وهو تابعي فاضل قتل في وقعة دير الجماجم سنة (٨٣) رحمه الله تعالى.

سنة نبيه فينعكس الحال، ولا يعول همهم، ويكون همه الآخرة[1]، فيكفيه[2] الحق سبحانه هم الدنيا والآخرة، كما جاء في الأخبار المتواترة: يا عبد الله، إذا كان المخلوق أبخل البخلاء، وإذا استخدم أحدًا أطعمه، أفتخدم مولاك (وهو خالق الكرم)[3] ويتركك؟! أيشبع الكافر وتجوع؟! أتكون في دار الضيافة وتضيع؟! الدنيا داره وأنت فيها كالضيف الراحل عن أيام قلائل، وقد وصانا الحق سبحانه بإكرام الضيف. والمولى الجليل هو أولى بهذا الخلق الجميل، وكان بعضهم يقول: اللَّهم إن كنت أعول همًّا غير هَمِّ الآخرة، فلا تؤمنِّي منه[4].

أين ذهب عقل من شُغل بهمِّ الدنيا عن هموم الآخرة؟ شغله همُّ ما يفنى، عن همِّ ما يبقى، فمثله كمثل من جاءه أسد ليفترسه، فشغل عنه بضرب[5] هرٍّ.

فالعاقل المصيب همُّه ما فاته من الحبيب، لكي لا يعامله[6] الله تعالى بالوفاء ويعامله هو بالمخالفة والجفاء، فعجبٌ لمن يعصي حبيبًا محسنًا بعد معرفته بأياديه وإحسانه، ويطيع عدوًّا لعينًا بعد معرفته بعداوته وطغيانه.

اعلم - رحمك الله! - أن لله سبحانه وتعالى عبادًا غيرك لا يعلمهم إلا الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨]، وأنت ليس لك رب غيره، وهو يربيك كأنه ليس له عبد سواك، وأنت تعرض عنه، كأن لك ربًّا غيره يحرسك في ليلك ونهارك من الجن، والشياطين، والحشرات، ومن جميع

---

(١) في (خ): فلا تقول همهم فيكون همك الآخرة.

(٢) في (خ): فيكفيك.

(٣) ليست في (خ، ط).

(٤) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» ٢/١٢٢ - ١٢٣ من كلام عمر بن عبد العزيز ولفظه: كل يوم أخافه دون يوم القيامة فلا وقاني الله شره.

(٥) في (خ): بصوت.

(٦) في (خ): عامله الحق.

البلايا والآفات، بعد معرفته بارتكابك أنواع المعاصي والسيئات. قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الأنبياء: ٤٢]، فلولا الحراسة من رب العالمين، لاختطف الآدميَّ الجنُّ والشياطينُ، قال الله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١].

عن ذي النون المصري قال: حصل لي همٌّ، فخرجت إلى شاطىء النيل، فرأيت عقربًا ركبت[١] ضفدعًا، فتبعتها إلى الشاطئ[٢] الآخر فنزل العقرب يمشي، وإذا شاب نائم تحت شجرة وأفعى تقصده؛ فلدغت العقرب الأفعى، والأفعى العقرب؛ فماتا جميعًا، وسلم الشاب، وكان سكرانًا، فأيقظه ذو النون، وعرفه بالقضية، فبكى، وقال: إلهي، هذا فعلك بمن عصاك، فكيف بمن أطاعك؟ فكان ذلك سبب توبة الشاب[٣].

(عجب مِنْ ربٍّ[٤] يُقبِل، ويتحبب لعبده بنعمته، ومن عبد يدبر، ويتبغض إلى الله لمخالفته)[٥]، فمن رزقه الله تعالى إيمانًا وعقلاً، ثم صرف ذلك في موافقة الطبع ومخالفته الشرع؛ لا الإيمان يعقله، ولا العقل[٦] يعقله، فالمجنون أحسن حالاً من هذا؛ لأن المجنون من أهل الجنة، والقلم مرفوع عنه، ويثاب، وهذا العاقل يعاقب ويعاب فليته كان مجنونًا، ولم يكن عاقلاً مفتونًا، وهذه العقول أكادها[٧] باريها، فلو كمل عقل ابن آدم؛ لكان يراعي شمسه لكي لا تغيب؛ ولأسرع في دوام الشكر، وفيما يرضي الحبيب؛ لأن الله تعالى قد أسبغ عليه النعم: حفظ قلبه من الكفر، وصان وجهه عن السجود للصنم، وأكرمه بالاتباع لسيد الأمم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، أهل الجود والدين والشجاعة والكرم، قال الله عز وجل: ﴿ٱلْيَوْمَ

---

(١) في (ق): حملت.
(٢) في (خ): الشط.
(٣) أخرجه ابن قدامة في «التوابين» (٨٧).
(٤) في الأصل: (عبد)، وكأنه سبق قلم على الناسخ، وما أثبتناه يقتضيه السياق.
(٥) ليست في (ق).
(٦) في (ق): الشرع.
(٧) في (ق): كادها.

أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣].

قال بعض اليهود لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو أنزلت هذه الآية علينا؛ لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا. قال عمر: والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت (فيه هذه الآية)[١] على رسول الله ﷺ: عشية عرفة في يوم جمعة، فاجتمع في ذلك اليوم عيدان[٢].

فاشكر الله - أيها المؤمن! - الذي مَنَّ عليك بذلك، وجعلك من خير الأمم، ولا تكثر المعاصي خوفًا من زوال هذه الخيرات والنعم؛ لأن الشكر هو العمل الصالح، قال الله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سبأ: ١٣]. ولما عوتب صلوات الله عليه وسلامه على كثرة اجتهاده وبكائه؛ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا؟**»[٣].

وقال الله سبحانه في حقِّ نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ [الإسراء: ٣]، قال المفسرون: كان يشكر الله على[٤] كل حال من نفع أو ضرٍ[٥].

وقال ﷺ: «**ينادى يوم القيامة: ليقم الحمادون، فتقوم زمرة، فينصب لهم لواء ويدخلون الجنة**». وقيل: وما الحمادون؟ قال: «**الذين يحمدون الله على كل حال**»[٦].

---

(١) ليست في (خ، ب).

(٢) أخرجه الحميدي في «مسنده» (٣١)، وأحمد في «مسنده» ٢٨/١ (١٨٨)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٣٠)، والبخاري في «صحيحه» (٤٥)، ومسلم في «صحيحه» (٣٠١٧)، والترمذي في «جامعه» (٣٠٤٣)، والنسائي في «المجتبى» ٢٥١/٥ (٣٠٠٢)، وفي «السنن الكبرى» (٣٩٩٧).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) في (ق): في.

(٥) انظر «تفسير ابن أبي حاتم» (١٣٥٥٦).

(٦) طَرَف من حديث أخرجه عبد بن حميد في «مسنده» (١٥٨١) من حديث أسماء بنت يزيد، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» ٦٢/٦ مطولاً من حديث عقبة بن عامر. وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٦٠١٤).

فالعاصي لا يعد من الشاكرين وإن أكثر من قول الحمد لله رب العالمين، قال المولى جل وعلا: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: ٢٨]. وكذلك حال من أكثر من الذكر وقراءة القرآن؛ وقلبه مُصر على المخالفة والعصيان، قال صلوات الله عليه وسلامه: **«من أطاع الله فقد ذكر الله؛ وإن قلَّت صلاتُه وصيامُه وتلاوتُه القرآن، ومن عصى الله فقد نسي الله وإن كثرت صلاتُه وصيامُه وتلاوته القرآن»**[١].

ثم اعلم بأن مثل الشيطان كالكلب الجائع: متى نهرته اندفع، فإذا كان عندك لحم هجم، ولم يندفع، فالشهوة إذا غلبت على القلب، استقر الشيطان فيه. واندفع الذكر إلى جوانبه وحواشيه، فلا يطمعن طامع باندفاع الشيطان عنه بمجرد الذكر، كما اندفع عن عمر بن الخطاب، فمن ظنَّ ذلك فقد أخطأ في ظنه وما أصاب. قال ﷺ: **«ما سلك عمر فجًا، إلا سلك الشيطان فجًا غيره»**[٢]. وذلك لأنهم طهروا قلوبهم من الغِلِّ، والحسد، والكبر، وحب الدنيا، والخيانة، والرئاسة، والبخل، والحرص، ومن جميع الأغيار؛ فحينئذٍ صلحت لنزول الأنوار، فلمَّا تقربوا إلى الله تعالى بهذه العبودية؛ أبعد الله عنهم الشيطان.

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، والأصل في ذلك كله: تقوى الله عز وجل، فما فات السالك الوصول، إلا لتضييعه الأصول.

---

(١) أخرجه نعيم بن حماد في زوائده على «الزهد» لابن المبارك (٧٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٧)، والواحدي في «الوسيط» ٢٣٤/١ من حديث التابعي خالد بن أبي عمران مرسلاً.
وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٤٥٥٣).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ١٧١/١ (١٤٧٢)، والبخاري في «صحيحه» (٣٢٩٤)، ومسلم في «صحيحه» (٢٣٩٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨١٣٠) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

والتقوى حِمْيَةٌ تجْلي القلب من الشهوات الفاسدة، فإذا انجلى القلب، تمكن الذكر منه، فإذا تمكن منه ذكر الحبيب، لم يبق للشيطان فيه نصيب. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ﴾ [الأعراف: ٢٠١]. فقلوب المتقين يطرقها الشيطان، إذا غفلوا عن ذكر الرحمٰن، فإذا ذكروا خنس، ولا يندفع بمجرد الذكر عن من استحوذ عليه الشيطان؛ لغفلته عن عزة الربوبية، وذلة العبودية.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر، فإذا شيطان الكافر سمين دهين، وإذا شيطان المؤمن (مهزول أشعث عارٍ)[١]، فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن: ما لك؟ قال: أنا مع رجل إذا أكل سمى؛ فأظل جائعًا، وإذا شرب سمى؛ فأظل عطشانًا، وإذا ادهن سمى؛ فأظل شعثًا، وإذا لبس سمى؛ فأظل عريانًا. فقال شيطان الكافر: إني مع رجل لا يفعل شيئًا مما ذكرت؛ فأنا أشاركه في شرابه، وطعامه، ولباسه[٢].

فانظر إلى بركة أسماء الله تعالى إذا ذكرت على شيء بورك (في ذلك الشيء)[٣]؛ ولم يكن للشيطان فيه نصيب؛ لعظمة اسم الحبيب.

وفي الخبر: أن اسم الله تعالى يصير حجابًا لذاكره من الجن، إذا دخل الخلاء والأماكن المخيفة[٤]. فسبحان مَنْ مَنَّ على عباده بهذه الخيرات اللطيفة، فانظر إلى بركة الأسماء كيف صارت حجابًا بين المؤمن وبين

---

(١) في (ق): هزيل.

(٢) ذكره الغزالي في «إحياء علوم الدين» ٣/٣٧.

(٣) في (ق): فيه.

(٤) معنى حديث أخرجه ابن ماجه في «سننه» (٢٩٧)، والترمذي في «جامعه» (٦٠٦) من حديث علي ابن أبي طالب، عن النبي ﷺ قال: «**ستر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم إذا دخل أحدهم الخلاء؛ أن يقول: بسم الله**».
قال الترمذي: هذا حديثٌ غريب، لا نعرفُه إلا من هذا الوجه، وإسناده ليس بذاك القوِي.
وصححه الألباني في «إرواء الغليل» ١/٨٧.

أعدائه في هذه الدار. وتصير إن شاء الله حجابًا في الآخرة بينه وبين النار، وقد نجَّى الله تعالى نوحًا وقومه بنصف البسملة، فكيف لا ينجِّي المؤمن بكلها؟! وكان إذا قال: بسم الله. جَرَت، وإذا قال: بسم الله. رَسَت، قال الله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ [هود: ٤١].

واعلم أن أبناء الدنيا يجعلون أسماء ملوكهم وكبرائهم على الأشياء؛ لكي لا يطمع فيها العدو، فكان الحق سبحانه يقول: عبدي إذا شرعت في عمل، فاجعل عليه اسمي، وقل: بسم الله الرحمٰن الرحيم، لكي تقع بركة اسمي عليك؛ فلا يصل عدوك إليك.

وفي الحديث: «**من رفع قرطاسًا من الأرض فيه بسم الله الرحمٰن الرحيم إجلالاً لله تعالى، كتبه الله تعالى من الصديقين، وخفف عن والديه، وإن كانا مشركين**»[١].

وكان سبب توبة بشر بن الحارث الحافي[٢]، أنه مر بقرطاس في الطريق تطؤه الأقدام فرفعه، وإذا فيه بسم الله الرحمٰن الرحيم، فمسحه وقبَّله، وكان معه درهمان لا يملك غيرهما، فاشترى بهما غالية، وطيب بها[٣] القرطاس، فرأى تلك الليلة قائلاً يقول في منامه: يا بشر، رفعت اسمنا عن الطريق وطيبته؛ لأطيبن[٤] اسمك في الدنيا والآخرة[٥].

ومعنى قول العبد: بسم الله الرحمٰن الرحيم: أي بدأت بعون الله، وبركته، وتوفيقه، وهو تعليم من الله تعالى لعبيده.

---

(١) أخرجه أحمد في «الورع» (ص ٩١)، والخطيب في «تاريخ بغداد» ٢٤١/١٢.
وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٢٦٨): موضوع.

(٢) هو العابد الزاهد بشر بن الحارث بن علي بن عبد الرحمٰن المروزي (١٥٠ ـ ٢٢٧ هـ) المعروف بالحافي: من كبار الصالحين، له في الزهد والورع أخبار، وهو من ثقات رجال الحديث، من أهل (مرو) سكن بغداد وتوفي بها.

(٣) في (خ): ومسحه في.

(٤) في (ق): لنطيبن.

(٥) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ٣٣٦/٨، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٨١/١٠ به.

وقوله: الحمد لله، معناه: أي كل حمدٍ أتى به أحد من الحامدين، أو لم يأت به؛ فهو لله سبحانه، فيدخل فيه جميع المحامد المذكورة على لسان النبيين والملائكة والخلائق أجمعين إلى أبد الآبدين، فكأنه سبحانه وتعالى يقول: الحمد لله طاعة غير متناهية، (فلا بد من مقابلتها بنعمة غير متناهية)[1]، فلهذا يستحق العبد الثواب الأبدي، والخير الدائم السرمدي، إذا راعى حقوقها، ولم يتشبه بكل عبد متمرد ردي، فمن لم يراع حقوقها؛ امتنع الفضل[2] اللائق بها، وينبغي أيضًا رعاية موضعها، فلا يقولها إذا أكل، أو شرب، أو لبس، أو فعل شيئًا حرامًا لا يسمي الله تعالى في أوله، ولا يحمده في آخره، فإن سمى الله تعالى وحمده في شيء من الحرام والعصيان يأثم، ويشاركه الشيطان.

عن سري السقطي قال: لي ثلاثون سنة أستغفر الله من قولي مرة: الحمد لله. فقيل له: كيف ذلك؟ قال: وقع الحريق ببغداد واحترق الدكاكين والدور، فأخبروني أن دكاني لم يحترق. فقلت: الحمد لله. فأنا في الاستغفار منذ ثلاثين سنة[3].

فانظر؛ لمَّا فرح بشيء لا يليق في الشرع، وقال: الحمد لله. في غير موطنه، ورثه ذلك حزن ثلاثين سنة، فلا ينبغي لأحدٍ إذا فعل شيئًا محرمًا أن يسمي الله في أوله، ولا يحمده في آخره؛ إجلالاً لله تعالى أن يذكر على فعل محرم، فمن فعل ذلك شاركه الشيطان؛ وجزاؤه جهنم.

فقد ذكرنا ما اتفق لبعض الأحباب، عسى تتأدب النفس بشيء من هذه الآداب، فتحشر معهم، ومع النبي ﷺ وعلى الآل والأصحاب.

ثم اعلم بأن الله تعالى قصَّ علينا قصص الأنبياء والأحباب[4]، فكأنه يقول: هكذا فكونوا، لأحبكم[5] كما أحببتهم، وأكرمكم كما أكرمتهم.

---

(١) ليست في (خ).

(٢) في (خ): الحمد.

(٣) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» ١٨٨/٩، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٧٥/٢٠.

(٤) في (خ): أنبيائه وأحبابه.

(٥) في (خ، ب): فأحبكم.

وقصَّ علينا أخبار أعدائه: كفرعون، وهامان، وقارون، وإبليس. وكأنه يقول: هكذا فلا تكونوا؛ فأبغضكم كما أبغضتهم، وأبعدكم كما أبعدتهم.

قال الله تعالى إخبارًا عن يونس عليه السلام: ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. وهذه وليمة عقدت ليونس عليه السلام ولم نشهدها، ولكن الله تعالى جعل لنا نصيبًا فيها؛ لأنه هو المخبر بقوله: ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. قوله: فنادى في الظلمات، يعني: في ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت. ولم يكن ذلك نقصًا لمرتبته السنية.

وأنت ـ أيها المؤمن! ـ متى غلبت عليك النفس، ورأيتها تجور، وتكثر من المعاصي والفجور، فنادي في ظلمة النفس، وظلمة الطبع، وظلمة الهوى، ففرق بينك وبينه.

ثم اعلم بأن قول يونس عليه السلام: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ تنزيه، وتسبيح، واعتراف. ومن أثنى على عزيز، فقد تعرض للطلب منه، وإن لم يطلب، ولذلك أجابه[1] الحق سبحانه وتعالى بقوله: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٨]. قال قائلهم:

إذا أثنى عليك المرء يومًا ... كفاه من تعرضه الثناء

كريم لا يغيره صباح ... عن الخلق الجميل ولا مساء

ومعنى الآية: أي من اضطر إلينا أجبناه، ومن أقبل علينا قبلناه.

فاضطر ـ أيها العبد المملوك! ـ لمولاك، وتوكل عليه، حتى يكون الغالب على ذكرك، فإن الخلائق لن يغنوا عنك من الله شيئًا، فمن أقبل بقلبه على الله تعالى؛ أقبل الله عز وجل بقلوب العباد عليه، ونظر بعين كرمه ومعرفته إليه.

---

(١) في (ق): طلبه.

قال المؤلف عفا الله عنه: أردت أن يكون هذا الكتاب جميعه في ذكر من خرج عن الشرع وابتدع، فجعل الله سبحانه بعضه في ذكر من اتبع لنبيه وحبيبه، وذلَّ لعظمته وخضع، وليس لأحد مشيئة[1] ولا اختيار، وربنا يخلق ما يشاء ويختار، وقد ذكرت أوصاف القوم، موعظة لنفسي أولاً، ولغيري ثانيًا؛ فإن ذكرهم يطرب القلوب، ورؤياهم تذكر بالله علام الغيوب، وقلت: عسى أن تتخلق النفس بشيء من أخلاقهم في الدنيا؛ فتحشر معهم في الآخرة، وإلى الآن ما شممت لذلك رائحة؛ ونفسي في جهلها وغيها غادية ورائحة. قال قائلهم:

أسفي أموت وليس لي عمل به نفسي تطيب
والغبن أني راحل ما لي من التقوى نصيب

فرحم الله من قرأ هذا الكتاب، ودعا لهذا العبد المفتون باليقظة وحسن الخاتمة، وما ذلك بعزيز على من يقول للشيء: «كُنْ» فيكون.

وقد جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يقول في دعوة المسلم لأخيه: «**مستجابة، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير؛ قال الملك الموكل به: آمين، ولك مثله**»[2]. رواية مسلم. وفي حديث آخر: «**أسرع الإجابة دعوة غائب لغائب**»[3] رواية الترمذي.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: استأذنت النبي ﷺ في العمرة، فأذن لي، وقال: «**لا تنسانا يا أخي من دعائك**». فقال: كلمة ما

---

(١) في (خ): إشاعة.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٥/١٩٥ (٢١٧٠٧)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٢٠١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٢٥)، ومسلم في «صحيحه» (٢٧٣٢)، وابن ماجه في «سننه» (٢٨٩٥) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٣) أخرجه عبد بن حميد في «مسنده» (٣٢٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٢٣)، وأبو داود في «سننه» (١٥٣٥)، والترمذي في «جامعه» (١٩٨٠) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.
قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.
وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٠٦٥).

يسرني أن لي بها الدنيا[1]، وفي رواية: «**أشركنا يا أخي في دعائك**». قال الترمذي: حديث صحيح[2].

والدعاء بظهر الغيب هو من صفة الأنبياء وحلية الأولياء، قال الله تعالى إخبارًا عن إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم: ٤١]، وعن نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [نوح: ٢٨]، وقال سبحانه في حق المؤمنين: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

فإذا مات العبد مسلمًا جمع الله تعالى له أدعية النبيين والصالحين، ومن دعا بخير كان له نصيب في ذلك الخير، ويجعل الكل في ميزانه، وذلك من فضل الله وامتنانه، وكذلك استغفار الملائكة، وإيمان العبد بالغيوب؛ الكل يوضع في الميزان زيادة على ما صنعه من الطاعة، وتكفير السيئات والذنوب. ولذلك[3] طلبنا من إخواننا أن يتصدقوا علينا بإيصال إحسانهم ودعائهم إلينا، فدعاء الأخ لأخيه المسلم مقبول، والأعمال ما ندري هل تقبل أم لا؟ لحب الدنيا ولخروجنا عن طريق الرسول.

اعلم ـ رحمك الله! ـ أن جميع ما غاب عن المؤمن وآمن به يكون في ميزانه يوم القيامة[4]:

كإيمانه بالملائكة والنبيين، والكتب المنزلة على المرسلين، وبشهادته

---

(١) زاد في (ق): وما فيها.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢٩/١ (١٩٥)، وابن ماجه في «سننه» (٢٨٩٤)، وأبو داود في «سننه» (١٤٩٨)، والترمذي في «جامعه» (٣٥٦٢).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٦٢٧٨).

(٣) في (خ): وكذلك.

(٤) هنا يبدأ المؤلف رحمه الله بختم كتابه بنبذة في أصول الإيمان ومسائل الاعتقاد، وأكثرها منقول بتقديم وتأخير، وتصرف وزيادة يسيرة من «العقيدة الطحاوية» للإمام أبي جعفر الطحاوي الحنفي (ت: ٣٢١) رحمه الله، فليرجع إليها من شاء.

أنهم كانوا على الحق المبين، وبإيمانه بوجود الجن والشياطين، وبالعرش والكرسي وبالكرام الكاتبين، وأن الحق سبحانه جعلهم علينا حافظين.

ونؤمن بالصراط ودقته، والميزان وخفته؛ لأن بين كفتي الميزان خمس مئة سنة[1]، وكذلك طول اللسان، ومع ذلك ترجحه الذرة من الإحسان، وتنقصه الذرة من الذنوب والعصيان، ويدرك العبد ببصره كفتي الميزان، ويرى ما رجح من إحسانه، وكذلك النقصان، فمن رجحت حسناته سعد سعادة لم يشق بعدها أبدًا، ومن خفَّت موازينه شقي، ووقع في الخيبة والخسران، ومن تساوت حسناته وسيئاته جعل على الأعراف، وهو مكان مرتفع بين الجنة والنيران، فمن أراد من أهل الجنة أن يكون في وقت واحد ناظرًا إلى ربه مجتمعًا بنبيه وأهله وأقاربه، وبجميع المعارف والإخوان، كان له ذلك بقدرة الواحد الديان.

والقبر روضة من رياض الجنة لكل عبد شكور، وحفرة من حفر النار لكل عبد كفور، ولو جُعِلا في قبر واحد فانتبه من رقدتك أيها المغرور! وسؤال منكر ونكير ولو مئة ألف في لحظة واحدة، وذلك عليهما يسير، وكذلك ملك الموت يأخذ أرواح العباد في جميع أقطار الأرض، ولو ألف ألف في ساعة واحدة، والله على كل شيء قدير.

---

(١) لم نقف على تعيين ما بين كفتي الميزان بمسافة خمس مئة عام، ولم يذكره الطحاوي في «عقيدته»، ولا شارحه ابنُ أبي العزِّ الحنفي، والميزان ثابتٌ في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٢ ـ ١٠٣]. قال القرطبي: قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال، لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها. قال: وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]؛ يحتمل أن يكون ثَمَّ موازين متعددة توزن فيها الأعمال، ويحتمل أن يكون المراد الموزونات، فجمع باعتبار تنوع الأعمال الموزونة، والله أعلم. والذي دلت عليه السنة: أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان. (ت)

ونؤمن أيضًا بالبعث بعد الموت، وبموت من في السموات والأرض إلا من شاء الله بنفخة إسرافيل في السور، وبنفخته الثانية يقوم من في السموات ومن في الأرض، ويبعث الله سبحانه من في القبور.

ونؤمن بإخراج أهل الكبائر من النار بشفاعة النبيِّ المختار، وبدوام العذاب على الزنادقة المعطلين والكفار، وبالخلود في الجنة لأهلها من الأنبياء والأولياء الأخيار، وزادهم الحق سبحانه النظر إلى وجهه الكريم؛ زيادةً على ما أعد لهم فيها من النعيم المقيم، صح ذلك في الأخبار.

والمعراج حقٌّ، وقد أسري بشخص النبي ﷺ في اليقظة إلى السماء إلى حيث شاء الله من العُلى، وأكرمه بما شاء وأوحى إليه ما أوحى، وأكرمه بالحوض المورود، غياثًا لأمته من العطش الأكبر، وأنطق له الجامدات، وانشق له القمر، وكلمه الذئب والبعير والشاة المسمومة، ونزل بدعائه في الحر الشديد الغيثَ والمطر، وتفل في الماء المالح فكثر بعد قلته وصار عذبًا، صحَّ ذلك في الأخبار[1].

ونؤمن بأخذ الإنسان كتابه من وراء ظهره، وبيمينه، وفي اليسار؛ هذا في وقت العرض.

ونؤمن أيضًا بتبديل السموات والأرض، وأن الله على كل شيء قدير، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، غني عن جميع الكائنات، وكل شيء إليه فقير، استوى على العرش غير محتاج إليه، فمن قال غير هذا القول فقد افترى عليه، ولا يفنى ولا يبيد، ولا يكون أبدًا إلا ما يريد.

ومن وصف الحق سبحانه بمعنى من معاني البشر فقد أخطأ وكفر، واحدٌ لا شريك له، لا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره، قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء، لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام، ولا تشبهه الأنام، خالق بلا حاجة، رازق بلا مؤنة، باعث بلا مشقة، يقرب من يشاء

---

(١) تقدم تخريج ذلك.

بفضله، ويبعد من يشاء بعدله، لا رادَّ لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره.

والقرآن العظيم أنزله على نبيه وحبيبه ﷺ، وصدَّقه المؤمنون، وتحققوا أنه منزل غير مخلوق، فمن زعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد أوعدَ الله تعالى سقَر لمن قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدثر: ٢٥]، فمن بصَّره الله اعتبر، ومن مثَّل هذا القول انزجر.

والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية.

سئل أبو حنيفة ومالك رحمة الله عليهما: كيف استوى الله سبحانه على العرش؟ قالا: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة[1].

والرؤية حقٌّ؛ لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]، ولما صحَّ في الأخبار المتواترة، وما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ فهو كما قال، ومعناه على ما أراد، لا ندخل في ذلك متأوِّلين بآرائنا، ولا متوهِّمين بأهوائنا، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله عز وجل، ولرسوله ﷺ.

ونؤمن بما جاء به رسول الله ﷺ على مراد رسول الله ﷺ، فتأويل الرؤية والاستواء والنزول والكلام وكل معنى يضاف إلى الربوبية؛ ترك التأويل ولزوم التسليم على ذلك دين المرسلين وعباد الله الصالحين، فنعتقد أن الله سبحانه اتخذ إبراهيم خليلاً وموسى كليمًا.

وأهل الإيمان هم أولياء الرحمٰن، وأكرمهم عند الله أتقاهم، وهو العامل بالسنة والقرآن، ومن خرج عن حكمهما فهو أشقاهم، قد غلب عليه الشقاء والخذلان.

فطوبى لعبد قدَّر الله تعالى على يده الخير والتقى والإحسان، والويل

---

(١) تقدم.

ثم الويل لمن قدِّر عليه الشرَّ والبدع والعصيان، ويلقى الله تعالى وهو عليه غضبان.

ثم اعلم بأن الله سبحانه خلق الجنة والنار، لا تبيدان ولا تفنيان، وخلق لهما أهلاً لا يزيدان، ولا ينقصان، فترى كل أحد يعمل لما خُلِق له، وما قدر عليه في الأزل.

والخير والشرُّ مقدران، كتب الله سبحانه مقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض حتى الكيس والمهان، والأعمال بالخواتيم.

وما من أحدٍ إلا وقد كتب مقعده من الجنة أو النيران، فالسعيد سعيد، والشقي شقي، وهم من أصلاب آبائهم، وقد جفَّ القلم بما هو كائن وما كان، فمن كان من أهل السعادة فَسَيُيَسَّرُ لعمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشر والطغيان، لا يكون شيئًا بغير قضاء الله.

وأن العبد غير زائل عن[1] قضاء الواحد الديان[2]، لا حول ولا قوة إلا بالله تفسيرها: لا حول، ولا حيلة، ولا حركة، ولا تحوُّل لأحدٍ عن معاصي الله إلا بمعونة الله تعالى، ولا قوة ولا طاقة لأحد على طاعة الله إلا بالله. ولا يثبت عليها إلا بتوفيق الله سبحانه جل ثناؤه وتقدست أسماؤه، غلبت مشيئته المشيئات، وغلب قضاؤه الحيل، والحذر لا يرد القضاء والقدر.

ونسمِّي أهل القبلة مؤمنين، ما داموا على ما جاء به رسول الله ﷺ معترفين مصدقين بكل ما قاله، وأخبر به، لا نكفر أحدًا منهم بذنب، ما لم يستحله[3]، ونرجو لمحسنهم، ونخاف على مسيئهم، ولا نؤمِّن أحدًا من أهل الطاعة، ولا نقنط أحدًا من أهل المعصية.

---

(١) في (خ): من.
(٢) في (خ): المنان.
(٣) في (ط): يستعمله.

ولا نخوض في الله عز وجل، ولا نماري في الدين، ولا نجادل في القرآن، ونعلم أنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين محمد ﷺ، وعلى جميع النبيين، وعباد الله الصالحين، ولا نقول بخلقه، ولا نخالف جماعة المسلمين وأئمة الموحدين.

ونحب أهل العدل والأمانة، ونبغض أهل الجور والخيانة.

ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين، ولا نُفْرِط في حبِّ أحدٍ منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الحق يذكرهم، محبتهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم نفاق وذنوب وطغيان، ونشهد لمن أدركته المنية وشهد له النبي ﷺ بالجنة، فمن أحسن القول في أصحاب رسول الله ﷺ وفي أزواجه وذرياته برئ من النفاق.

وعلماء السلف ومن بعدهم من أهل الدين والأثر، والفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل، فمن ذكرهم بسوء فهو مطرود عن باب الله، وهو على غير السبيل.

وسُئل أبو حنيفة ومالك رضي الله عنهما: مَن أهل السنة والجماعة؟ قالا: من قدَّم أبا بكر وعمر، وأحب عليًّا وعثمان، وأحب الحسنين، ورأى المسح على الخفين، ولم يكفر أحدًا بذنب، ولم ينطق في الله بشيء[1].

ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء.

ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن الثقات من رواياتهم.

ونؤمن بما جاء أن الله سبحانه يعجب ويغضب، ويرضى ويفرح،

---

(١) أخرجه البيهقي في «الاعتقاد» ١٣٠، وفي «القضاء والقدر» (٥٠٠) عن إبراهيم بن رستم، قال: سمعت أبا عصمة نوح بن أبي مريم يقول: سألت أبا حنيفة: من أهل الجماعة؟ قال: «من فضل أبا بكر وعمر وأحب عليًّا وعثمان، وآمن بالقدر خيره وشره من الله، ومسح على الخفين، ولم يكفِّر مؤمنًا بذنب، ولم يتكلَّم في الله بشيء».

ولم أجده عن الإمام مالك بن أنس رحمه الله.

ويضحك، لا كأحدٍ من الورى، بل كما يليق بعظمته وجلاله، بلا مثل ولا كيف.

ونؤمن بخروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء، وبطلوع الشمس من مغربها، وبخروج دابة الأرض (من موضعها)[1]. ولا نصدق كاهنًا ولا عرافًا، ولا من يدعي شيئًا بخلاف الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

ونرى الجماعة حقًّا وصوابًا، والفرقة زيغًا وعذابًا، ودين الله في السماء والأرض واحد وهو دين الإسلام، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ونسأل الله العظيم أن يثبتنا عليه، وعلى الوقوف بين يديه، ويرزقنا عملًا يرضى به عنا، ويوصلنا إليه، ويحرسنا من الأهواء المختلفة، والآراء المتفرقة، والمذاهب الرَّدية: كالرافضة، والمشبهة، والجهمية، والجبرية، والقدرية، والمبتدعة[2]، الذين ضلَّ سعيهم لمخالفتهم لخير البرية، كرماة البندق، وما شرعه كبراؤهم من الأفعال والأقوال الرَّدية، وكفتيان هذا الزمان، الذين أضافوا القبائح لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ونبرئه مما رمته به هذه الطائفة الخبيثة من المعاصي والأفعال المهوية، ونسأل الله العظيم أن يوفقنا وإياهم للطريقة المحمدية[3].

ونسأله السلام من جميع البدع، ومما تفعله الطائفة القرندلية، ومن طرق أهل الزيغ والبدع الموافقين لسنة[4] أشياخهم، الخارجين عن السنة المضيئة الموصلة إلى حضرة الصمدية، فمنه التوفيق، ومنه التعويق لهذه القضية.

---

(١) ليست في (ق)، وهي في «الطحاوية».

(٢) هذا آخر ما نقله المؤلف رحمه الله من «العقيدة الطحاوية» بتصرف وزيادة يسيرة.

(٣) في (خ، ط): الحميدية.

(٤) في (ق): لسنن.

إلهي، أنت الذي تفضلت بالإحسان من قبل توجه[1] العابدين، وأنت الجواد بالعطاء من قبل طلب الطالبين.

إلهي، اطلبني[2] برحمتك حتى أصل إليك، واجذبني بمنتك حتى أقبل عليك، يا من احتجب في سرادقات عرشه[3] عن أن تدركه الأبصار، يا من تجلى بكمال بهائه فتحققت عظمته، الأسرار كيف تخفى وأنت الظاهر؟ أم كيف تغيب وأنت الرقيب الحاضر؟

إلهي، بروزي في الآثار يوجب بُعد المزار، فاجمعني عليك بخدمة، توصلني إليك.

إلهي، ذلي قد ظهر بين يديك، وحالي لا يخفى عليك، منك أطلب الوصول إليك، وبك أستدل عليك، فاهدني بنورك إليك، وأقمني بصدق العبودية بين يديك.

إلهي، عميت عينٌ لا تراك عليها رقيبًا، وخسرت صفقة عبدٍ لم تجعل له (من حبك)[4] نصيبًا.

إلهي، أمرت بالرجوع إلى الآثار، فارجعني إليها بكسوة الأنوار، وهدى الاستبصار حتى أرجع إليك منها، كما دخلت منك إليها: مصون

---

(١) في (ب): توبة.

(٢) في (ب): أظلني.

(٣) يردُ ذكر سرادقات العرش في أثر منكر جدًا، ضعيف الإسناد، أخرجه الدارمي في «النقض على المريسي» (١١٤)، وأبو داود في «الزهد» (١٦٨)، والطبراني في «الكبير» (٨٨٨٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار، نور السموات من نور وجهه، وإن مقدار كل يوم من أيامكم عنده ثنتا عشرة ساعة، فتعرض عليه أعمالكم بالأمس أول النهار، اليوم فينظر فيها ثلاث ساعات فيطلع فيها على ما يكره، فيغيظه ذلك، فأول من يعلم بغضبه الذين يحملون العرش يجدونه يثقل عليهم، فيسبحه الذين يحملون العرش، وسرادقات العرش، والملائكة المقربون، وسائر الملائكة.

(٤) في (ق): منك.

السِّر عن النظر إليها، ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها، إنك على كل شيء قدير.

اللَّهم، الطف بنا في قضائك، وأوزعنا شكر نعمائك، وصبرنا على بلائك، واجعلنا من أحبابك.

اللَّهم، أقبل بقلوبنا عليك، واجعلنا من المستسلمين لإلهيتك، ومن الدائمين بين يديك، وأرحنا من كل تدبير لنا(١) معك أو عليك، وأخرج ظلمات التدبير من قلوبنا، وأشرق نور التفويض في أسرارنا حتى نعلم أنه لن يصيبنا إلا ما كتبت لنا، ولا نعطى إلا ما قسمت لنا، وأشهدنا حسن اختيارك لنا حتى يكون ما تقضيه فينا، وتختاره لنا، أحب إلينا من اختيارنا لأنفسنا.

اللَّهم، إنك دعوتنا إلى الانقياد إليك، وإلى الدوام بين يديك، وإنا عن ذلك عاجزون إلا أن تُقدِّرنا، وضعفاء إلا أن تقوِّينا، فوفقنا إلى ما به أمرتنا، وأعنا على الانكفاف عما عنه نهيتنا.

اللَّهم، إنك قدرت كلَّ شيء (قبل وجود كلِّ شيء)(٢)، وقد علمنا أنه لا يكون إلا ما تريد، وليس هذا العلم نافعًا لنا إلا أن تريد، فزدنا بعنايتك، واجعلنا من أهل ولايتك، يا خير الموالي دعاك بئس العبيد.

اللَّهم، اسلك بنا مسالك أولي الألباب، ورقنا إلى درجة(٣) الأحباب، واحفظ قلوبنا من الركون إلى غيرك، واحرسها من الزيغ والارتياب، وثبِّتها على طاعتك وسنة رسولك ﷺ تسليمًا كثيرًا وعلى الآل والأقارب والأصحاب، وعلى التابعين ممن أطاع ربه وعمل بسنة نبيه وحبيبه ثم أناب.

واعلم ـ أيها المؤمن! ـ أن الله سبحانه وتعالى أمرك بخدمته، وضمن لك ما قدَّره لك من قسمته، فأهملت ما أمرك به من طاعته، وشككت فيما

---

(١) في (خ): تدبيرنا.

(٢) ليست في (ق).

(٣) في (ق): درجات.

ضمن لك من قسمته، ولم يكتف لك بالضمان حتى أقسم، وما اكتفى بالقسم حتى مثَّل، وخاطب عبادًا يفهمون بقوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات: ٢٢ ـ ٢٣].

وقد اكتفى بوصفه العارفون، واحتال على كرمه الموقنون، ولو لم يكن قَسَمٌ ولا ضمان لوثق القوم بوجود الإحسان، والحقُّ سبحانه وتعالى قد رزق أهل الجحود والكفر والطغيان، فكيف لا يرزق من أطاعه من أهل الخير والإيمان.

الغارس للشجرة هو ساقيها، والممد للخليقة هو باريها، ويكفيها أنه عز وجل كافيها، أيخرجك إلى وُجُودِه، ويمنعك من جُودِه؟ أتكون في دار الضيافة وتضيع؟ الدنيا داره، وأنت فيها كالضيف الراحل عن أيام قلائل، اجعل مكان همِّك برزقه همَّك به، فهو يكفيك، وما كان لك سوف[1] يأتيك، فالحق سبحانه وتعالى ما اكتفى لعبده المؤمن بالدنيا حتى ادَّخر له مكانًا رفيعًا في الجنة، واستقل ذلك عليه، فزاده التمتع برؤيته، وبالنظر إليه، فإذا كان ـ أيها المؤمن! ـ هذا من بعض أفعاله فكيف تشك في أفضاله؟!

ولقد ظهرت الطريق لأهل التحقيق، وتبين معالم الهدى لأهل التوفيق، فأذعنوا لربوبيته مسلمين، وطرحوا أنفسهم بين يديه مفوِّضين، فعوَّضهم عوض ذلك راحةً في نفوسهم، ونورًا في قلوبهم، وتحقيقًا في أسرارهم.

أفرغ قلبك من الأغيار؛ يملأ بالمعارف والأنوار، ليس للقلب إلا وجهة واحدة، متى توجه (إليها حُجب عن غيرها)[2]، ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤].

---

(١) في (ق): فهو.

(٢) في (ق): إلى غيرها حجب عنها.

لا تستنبط من الله سبحانه الجود والنوال، ولكن استنبط من نفسك وجود الطاعة والإقبال، مَن لم يعرف قدر النِّعم في وجدانها، عرفها بوجود فقدانها، لا يدهشك واردات النعم عن القيام بحقوق شكر[1] الله تعالى، فإن ذلك مما يحط من وجود قدرك.

تمكن حلاوة الهوى من القلب هو الداء العظيم، لا يغسل الشهوة من القلب إلا خوف مزعج، أو شوق مقلق، كما أن الله سبحانه وتعالى لا يحب العمل المشترك، كذلك لا يحب القلب المشترك، من أخلص عمله لله تعالى قبله، ومن أخلص قلبه أقبل عليه[2].

بوجود الإخلاص زكت الأعمال، ووصل العُمَّال، قال المولى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]. متى حصل في القلب الإخلاص، وذهب منه البدع والأكدار، بُدِّل ليل فاعله بنهار، أي بدل ليل المعصية بنهار الطاعة، كان بعضهم يقول:

ليلي بوجهك مشرق ... وظلامه[3] في الكون ساري

فالناس في سدف الظلام ... ونحن في ضوء النهار

والأنوار على أقسام: نور أُذن له في الوصول، ونور أُذن له في الدخول[4]، وربما وردت الأنوار، فوجدت القلب قد امتلأ بصور الآثار، فارتحلت من حيث نزلت، فالنور الذي أذن له بالدخول إن وجد القلب خاليًا، وإلا أزال (ما فيه من)[5] الكدر ثم نزل؛ قال الله تعالى: ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞ﴾ [الأنبياء: ١٨]. يا عبد الله، طهِّر المنزل

---

(١) في (ق): ذكر.

(٢) في «الحكم العطائية»: «لا يخرج الشهوة من القلب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق»، «كما لا يحب العمل المشترك لا يحب القلب المشترك، العمل المشترك لا يقبله، والقلب المشترك لا يُقبل عليه».

(٣) في (ق): وكلامه.

(٤) في «الحكم العطائية»: «أنوار أذن لها في الوصول وأنوار أذن لها في الدخول».

(٥) في (ق): منه.

حتى ينزِل، يقول الله عز وجل: «**لا يسعني أرضي ولا سمائي، ويسعني قلب عبدي المؤمن**»[(١)]، ما أحببت شيئًا وانجمعت عليه إلا كنت[(٢)] عبدًا له، والحق سبحانه وتعالى لا يرضى أن تكون عبدًا لغيره، وصول العبد إلى الله تعالى أي إلى العلم به، وإلا فجَلَّ ربنا أن يتصل إليه شيء، قربك منه هو أن تكون شاهدًا لقربه؛ وإلا فمن أنت ووجود قربه؟ الحقائق تَرِد في حين التَّجلي مجملة، وبعد الوعي يكون البيان: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: ١٨ ـ ١٩]، متى وَرَدَتْ الموارد الإلهية إليك، هدمت العوائد عليك: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ [النمل: ٣٤] الآية[(٣)].

فإن قال قائل: نسلم أن الملك الكافر إذا دخل قرية أفسدها بعمارة الكنائس، وخراب المساجد، ويعصى الحبيب، ويظهر دين الصليب، فأما الملك المؤمن إذا دخل قرية أو مدينة سعى في العدل، وعمارة المساجد وخراب الكنائس، وأطاع المولى الرقيب، وأظهر دين الحبيب، فيقال للسائل: وهذا أيضًا فساد عند أهل الكفر والعناد: خراب الكنائس والبيع، وعمارة المساجد للصلوات الخمس والأعياد والجمع.

ومثل القلب كالملك العادل: متى تحكَّم في مدينة وُجُودِ المسلم، انصلح الحال، وذهب الباطل والمحال؛ لأنه يسعى في خراب كنائس الهوى وهلاك خنازير المخالفة، فتصبح أهل المدينة مطيعة لله تعالى، وهي من سطوته خائفة، ومتى تحكمت النفس في هذه المدينة يكثر فيها الظلم والفساد، فيغضب عليها الحقُّ سبحانه، ويستوجب البُعد والعذاب.

---

(١) تقدم تخريجه، وأنه لا أصل له.

(٢) في (خ): كُتِبتَ.

(٣) في «الحكم العطائية»: «وصولك إليه وصولك إلى العلم به، وإلا فجلَّ ربنا أن يتصل به شيء، أو يتصل هو بشيء»، «قربك منه أن تكون مشاهدًا لقربه، وإلا فمن أين أنت ووجود قربه؟»، «الحقائق ترد في حال التجلي مجملة، وبعد الوعي يكون البيان: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾» [القيامة: ١٨، ١٩]، «متى وردت الواردات الإلهية إليك هدمت العوائد عليك: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾».

فمن وافق نفسه مُحِي من ديوان أهل الطاعة، ومن شُغِل بها غفل عن أهوال يوم الساعة، ومن كانت هذه بضاعته فبئس والله البضاعة، ألم تسمع قول الواحد القهار: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣]. فمن سوء عادتها ونحس قاعدتها تعصي الواحد الأحد، وتبيع شهوة ساعة بنعيم الأبد؛ لأن عمر ابن آدم كساعة، ولذلك جعله الولي طاعة، فمن مَنَّ اللهُ عليه، أصلح نفسه، فتجهز للقاء ربه وسارع إليه.

ثم اعلم بأن الناس في وُرُودِ المنن على ثلاثة أقسام: فَرِحٌ بالمنن لا من حيث مهديها، ولكن لوجود متعة فيها، فهذا من الغافلين يصدق عليه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ [الأنعام: ٤٤]. وفَرِحٌ بالمنن من حيث أنه شهدها منة ممن أرسلها، أو نعمة ممن وصَّلها، يصدق عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ [يونس: ٥٨]. وفَرِحٌ بالله سبحانه لم يشغله ظاهر متعتها، ولا باطن منتها؛ بل شغله النظر إلى الله تعالى عما سواه، والجمع عليه، فلا يشهد إلا إياه، ويصدق عليه قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١]. وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود، قل للصديقين: بي فليفرحوا، وبذكري فليتنعموا. نسأل الله العظيم أن يجعل فرحنا به، وأن لا يجعلنا من الغافلين، وأن يسلك بنا مسالك المتقين، وأن يرزقنا ما رزقهم من الدين القيم والرضَى واليقين، وأن يفعل ذلك بجميع المسلمين؛ إنه[١] على كل شيء قدير[٢].

ثم اعلم بأن الحضرة الإلهية هي مأوى قلوب المتقين، إليها يأوون، وفيها يسكنون، فإن ينزلوا إلى سماء الحقوق أو أرض الحظوظ، فبالإذن والتمكين، والرسوخ في[٣] اليقين، فلم ينزلوا إلى الحقوق بسوء الأدب، والغفلة، ولا إلى الحظوظ بالشهوة والمتعة، بل دخلوا في ذلك كله بالله،

---

(١) في (خ): وهو.

(٢) هذه الفقرة في ورود المنن والأثر الإسرائيلي بتمامها من «الحكم العطائية».

(٣) في (ق): و.

ولله، ومن الله، وإلى الله: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الإسراء: ٨٠]. ينصرني على شهود نفسي، ويُغَيِّبُني[١] على دائرة حسي؛ لأنه ما وصل إلى صريح الحرية مَن عليه من نفسه بقية.

ثم اعلم: إن كان عين القلب تنظر إلى الله تعالى أنه واحد في منته، فالشريعة تقتضي أن لا بد من شكر خليقته. والناس على أقسام ثلاثة: غافل منهمك في غفلته، قويت دائرة حسه، وانطمست حضرة قُدسه، فنَظَرَ الإحسانَ من المخلوقين، ولم يشهده من رب العالمين، إما اعتقادًا؛ فشِركُه جَلِيٌّ، وإما استنادًا؛ فشِركُه خفيٌّ. وصاحب حقيقة غاب عن الخلق بشهوده الملك الحق، وفني عن الأسباب بشهوده مسبب الأسباب، هذا عبد مواجَهٌ بالحقيقة، ظهر عليه سَنَاها، سالك للطريقة، قد استولى على مداها؛ لكنه غريق الأنوار، مطموس الآثار، قد غلب سكره على صحوه، وجمعه على فرقه، وفناؤه على بقائه، وغيبته على حضوره. وأكمل من هذا عبدٌ شرب فازداد صحوًا، وغاب فازداد حضورًا، فلا جمع يحجبه عن فرقه، ولا فرق يحجبه عن جمعه، ولا فناء يحجبه[٢] عن بقائه، ولا بقاء[٣] يصده عن فنائه؛ يعطي لكل ذي قسط قسطه، ويوفي كل ذي حق حقه.

وقد قال أبو بكر الصديق لعائشة رضي الله عنه لما نزلت براءتها من الإفك على لسان رسول الله ﷺ: يا عائشة! قومي إلى رسول الله ﷺ. فقالت: والله لا أقوم إليه، ولا أشكر إلا الله تعالى[٤].

---

(١) تقرأ في النسخ: (ويعينني)، وفي «الحكم العطائية»: (ويفنيني).

(٢) في (خ، ب): فناؤه يصرفه. وفي «الحكم»: (ولا فناؤه عن بقائه يصده).

(٣) في (خ، ب) و«الحكم»: بقاؤه.

(٤) طرف من حديث الإفك أخرجه أحمد في «مسنده» ٦/١٩٤ (٢٥٦٢٣)، والبخاري في «صحيحه» (٤٧٥٠)، ومسلم في «صحيحه» (٢٧٧٠)، وأبو داود في «سننه» (٤٧٣٥) من حديث عائشة رضي الله عنها. وفيه أن القائل هو أمُّها، وسننقل لفظه قريبًا.

دلَّها أبو بكر على المقام الأكمل المثبت للآثار[1]، قال الله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤]. وقال رسول الله ﷺ: **«لا يشكر الله (من لا)[2] يشكر الناس»**[3]. وكانت هي رضي الله عنها في ذلك الوقت غائبة عن الآثار، لم تشهد غير الواحد القهار[4].

---

(١) في «الحكم»: (على مقام البقاء المقتضي لإثبات الآثار).

(٢) في (خ، ط): إلا من.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢٥٨/٢ (٧٥٠٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢١٨)، وأبو داود في «سننه» (٤٨١١)، والترمذي في «جامعه» (١٩٥٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٤٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٦٠١).

(٤) من قوله: (ثم اعلم...) إلى هنا منقول من «الحكم» لابن عطاء الله السكندري. وكلامه فيه على طريقة الصوفية في الدندنة حول معاني وحدة الوجود، وتأويله لطلب أبي بكرٍ ـ كما ذكر، والصواب: أم عائشة ـ وجواب ابنتها أم المؤمنين رضي الله عنهم؛ هو من محض خياله وتكلفه وتقوّله عليهم بغير علم، وإنَّا لنجزم أن مثل هذا الهراء لم يخطر على بالهم، ولا عرفوا تقسيمات الصوفية المخترعة، وغاية ما هنالك أنَّ عائشة رضي الله عنها وجَدَت في نفسها على رسول الله ﷺ لأنه لم يبادر إلى التكذيب الجازم لما تكلم به بعضهم من الإساءة إلى عرضه ـ وفي فعله ﷺ حكمٌ عظيمة ستأتي الإشارة إليها في كلام ابن حجر ـ، وقد بيَّنت عائشةُ ذلك في سياق حديثها في «الصحيحين»، فقالت ـ وقد ذكرت حزنها وبكاءها ـ: دخل رسول الله ﷺ فجلس، ولم يجلس عندي من يوم قيل فيَّ ما قيل قبلها، وقد مكث شهرًا لا يوحى إليه في شأني شيء، قالت: فتشهَّد ثم قال: **«يا عائشةُ! فإنه بلغني عنك كذا وكذا، فإنْ كنتِ بريئةً، فسيبرِّؤك الله، وإن كنت ألممتِ بذنب، فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه، ثم تاب تاب الله عليه»**، فلما قضى رسولُ الله ﷺ مقالته، قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرةً، وقلت لأبي: أجبْ عنِّي رسول الله ﷺ! قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ! فقلت لأمي: أجيبي عنِّي رسول الله ﷺ فيما قال! قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ! قالت: وأنا جاريةٌ حديثة السِّنِّ، لا أقرأ كثيرًا من القرآن، فقلت: إنِّي والله لقد علمتُ أنكم سمعتم ما يتحدَّث به الناس، ووَقَر في أنفسكم، وصدَّقتم به، ولئن قلتُ لكم: إني بريئة ـ والله يعلمُ أنِّي لبريئةٌ ـ لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفتُ لكم بأمر ـ والله يعلم أنِّي بريئة ـ لتصدقنِّي! والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف إذ قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]. ثم تحولَّت على فراشي، وأنا أرجو أن يبرِّئني الله، ولكن والله ما ظننتُ أن يُنزل في شأني وحيًا، ولأنا أحقر في نفسي من أن يتكلَّم بالقرآن في=

. . . .

= أمري، ولكني كنتُ أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرِّئني الله، فوالله ما رام مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت، حتى أنزل عليه الوحي، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه ليتحدَّر منه مثل الجمان من العرق في يوم شاتٍ، فلما سري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها، أن قال لي: «**يا عائشة! احمدي الله، فقد برَّأك الله**». فقالت لي أمي: قومي إلى رسول الله ﷺ! فقلت: لا واللهِ لا أقوم إليه، ولا أحمَدُ إلا الله، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ الآيات.

قال ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري»: ومعنى قوله: وصدَّقتم به. في رواية هشام بن عروة: لقد تكلمتم به، وأشربته قلوبكم. قالت هذا وإن لم يكن على حقيقته، على سبيل المقابلة، لما وقع من المبالغة في التنقيب عن ذلك، وهي كانت لما تحقَّقته من براءة نفسها ومنزلتها تعتقد أنه كان ينبغي لكلٍّ من سمع عنها ذلك أن يقطع بكذبه، لكن العذر لهم عن ذلك أنهم أرادوا إقامة الحجة على من تكلم في ذلك، ولا يكفي فيها مجرد نفي ما قالوا، والسكوت عليه، بل تعيَّن التنقيب عليه، لقطع شبههم، أو مرادُها بمن صدق به أصحاب الإفك، لكن ضمت إليه من لم يكذبهم تغليبًا.

وقال ابن حجر أيضًا: وزاد في رواية الأسود عن عائشة: وأخذ رسول الله ﷺ بيدي، فانتزعتُ يدي منه، فنهرني أبو بكر. وعُذرها في إطلاق ذلك ما ذكرته من الذي خامرها من الغضب: من كونهم لم يبادروا بتكذيب من قال فيها ما قال، مع تحققهم حسن طريقتها. قال ابن الجوزي: إنما قالت ذلك إدلالاً كما يدلُّ الحبيب على حبيبه. وقيل: أشارت إلى إفراد الله تعالى بقولها: فهو الذي أنزل براءتي؛ فناسب إفراده بالحمد في الحال، ولا يلزم منه ترك الحمد بعد ذلك، ويحتمل أن تكون مع ذلك تمسكت بظاهر قوله ﷺ لها: «احمدي الله» ففهمت منه أمرها بإفراد الله تعالى بالحمد، فقالت ذلك، وما أضافته إليه من الألفاظ المذكورة كان من باعث الغضب. وروى الطبري وأبو عوانة من طريق أبي حصين عن مجاهد قال: قالت عائشةُ ـ لما نزل عذرها فقبَّل أبو بكر رأسها ـ: فقلتُ: ألا عذَرْتني؟ فقال: أيُّ سماء تظلني، وأي أرض تقلني؛ إذا قلت ما لا أعلم!

وقال ابن القيم رحمه الله في «زاد المعاد» ٢٣٦/٣: ومن تأمَّل قول الصدِّيقة، وقد نزلت براءتها، فقال لها أبواها: قومي إلى رسول الله ﷺ، فقالت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله! علم معرفتها، وقوة إيمانها، وتوليتها النعمة لربها، وإفراده بالحمد في ذلك المقام، وتجريدها التوحيد، وقوة جأشها وإدلالها ببراءة ساحتها، وأنها لم تفعل ما يوجب قيامها في مقام الراغب في الصلح الطالب له، وثقتها بمحبة=

فانظر - رحمك الله! - ماذا وهب الحقُّ سبحانه لهؤلاء العبيد، فسبحان المولى المجيد المعطي بغير حساب، الفعَّال لما يريد، فارض - أيها المؤمن! - بقضاء سيدك، وكن متبعًا للسنة شاكرًا لأنعمه، يأتيك من الله سبحانه الخير والمزيد، ولا تكن مبتدعًا متعرضًا، فيسخط الله عليك، يوم تأتي كل نفس معها سائق وشهيد، وكان بعضهم يقول هذه الأبيات في المعنى:

كن عن همومك معرضًا	وكِل الأمور إلى القضا
وأبشر بخير عاجل	يمحى به ما قد مضى
فلرب خيرٍ في المضيق	ورب ضيق في الفضا
ولرب أمرٍ مسخط	لك في عواقبه الرضا
والله يحكم ما يريد	فلا تكن متعرضًا

غلب على بعض الصالحين الوله، فلم يشعر حتى دخل أرض العدو، فأسره بعض علوج النصارى، وجاء به لسوقهم، فبينما هم يتزايدون في ثمنه رُدَّ عقلُه إليه، فرمق بطرفه إلى السماء وقال: أوقعني حبك فيمن يزيد في موقف الذل وسوق العبيد، قد حضر البائع والمشتري، عبدك[1] راضٍ فافعل[2] ما تريد[3].

فانظر - أيدك الله تعالى! - إلى أوصاف إخوانك، صار أحدهم كالميت

= رسول الله ﷺ لها قالت ما قالت، إدلالاً للحبيب على حبيبه، ولا سيما في مثل هذا المقام الذي هو أحسن مقامات الإدلال، فوضعته موضعه، ولله ما كان أحبها إليه حين قالت: لا أحمد إلا الله، فإنه هو الذي أنزل براءتي، ولله ذلك الثبات والرزانة منها، وهو أحب شيء إليها، ولا صبر لها عنه، وقد تنكر قلب حبيبها لها شهرًا، ثم صادفت الرضى منه والإقبال، فلم تبادر إلى القيام إليه، والسرور برضاه وقربه، مع شدة محبتها له، وهذا غاية الثبات والقوة. (ت)

(١) في (خ): عبيدك.

(٢) في (ق): فاحتكم.

(٣) لم أقف على هذه الحكاية.

بين يدي غاسله[1]، لا يختار معه شيئًا[2].

---

(١) في (ق): الغاسل.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: قول بعضهم: ينبغي للمريد أن يكون بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل. هذا الكلام إذا أريد به في جانب الله أن يكون مفوّضًا إليه أموره فيما يقدر عليه، مما ليس فيه ترك واجب ولا مستحب، فهذا معنى صحيح، لكن دلالة اللفظ عليه بعيدة، وظاهرُه يُعطي أنه لا يكون له من نفسه حركة قط حتى تُحرَّك تحريكًا جبريًا، فهذا باطل ممتنع. ثم إن الممكن منه محرَّم في الدين على الإطلاق، وذلك أن الميت لا تقوم به حركةٌ ببدنه ولا إرادة تحرك بدنه، والحي ليس كذلك، فإن جسده يتحرك حركة اختيارية، وهذا أمر لا بدَّ منه، فلا بد من الحركة الاختيارية، ويمتنع أن يُحرّكَ حركةً ينتفي حكمُ إرادتِه فيها، فالأمر فيه عكس الميت من وجهين: الوجود والعدم، فإن الميت لا يتحرك بدنه في العادة باختياره، وهو يُحرَّك دائمًا بغير اختياره، وقول المطلق احتراز على المقيد ونحوه ممن غسَّل، فذاك لا فعلَ له بحالٍ، فهذا بطلانُه وامتناعُه. وأما مخالفتُه للدين والشريعة، فإن الله لم يأمرنا بعدم الإرادة والحركة، ولا مراده في دينه منَّا أن نكون مسلوبي الاختيار والحركة والعمل، وإنما المراد منَّا أن نكون مطيعين له ولرسوله، وأن تكون حركتُنا واختيارنا تبعًا لأمره الذي بعث به رسوله، فعلينا أن نختار ونعمل ما أوجب علينا عمله واختياره، وهو يحب لنا ويرضى أن نختار ونعمل ما يستحب لنا في دينه، ويعاقبنا على عدم الإرادة والعمل المستحب. وهنا قد تغلط طائفة من المتصوفة فيقولون: ما المراد؟ قد يستعملون ذلك فيما فيه ترك مستحبات، وقد يتعدَّون إلى ما فيه ترك واجبات، فيقال: ليس المراد منا الانقياد لكل حكم قاهر، ولا الاستسلام لكل ذي سلطان قادر، وإنما المطلوب منا الاستسلام لله، وإخلاص الدين له، وطاعة أمره ونهيه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾، فإن الدين: الإيمان والبر والتقوى وطاعة الله ورسوله والإحسان والعمل الصالح ونحو ذلك، هو المطلوب منا، والمراد بنا في دين الله تعالى وكتابه، فأما الحوادث التي تكون بغير أفعالنا فالأقسام فيها ثلاثة: تارةً نُؤمَر بدفعها بالباطن أو الظاهر، كما يُؤمَر بجهاد الأعداء عن الدين. وتارةً نُؤمَر بالصبر عليها، وهو ما قُضي من المصائب ولا فائدةَ في الجزع عليه، كالمصائب في الأنفس والأموال والأعراض، والرضى بهذه أعظم من الصبر. وهل هو واجب أو مستحب، على قولين أصحُهما أنه مستحب. وتارة نُخيَّر بين الأمرين بين دفعِها وقبولها، وإن كان قد يترجَّح أحدُهما، كدفع الصائل عن المال، وكالتداوي أحيانًا ونحو ذلك. وكذلك الأمور التي ليست حاصلةً عندنا، منها ما نُؤمَر بطلبه واستعانة الله عليه، كأداء الواجبات، ومنها ما نُنهَى عن طلبه كالظلم، ومنها ما نُخيَّر بين الأمرين، =

وأنت أيضًا تقول: كل ما يفعله الله تعالى بعبده هو خير له، وتزعم أنك من جملة العبيد، وأنت تتلون على الله سبحانه، لك في كل يوم لون جديد، فقد خالف قولك فعلك، يا من تدعي العبودية والرضى والتوحيد، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٢ ـ ٣]. كذلك قول بعض المخذولين في ظاهر الأمر: إن الشيطان للإنسان عدو مبين، وهو صديقه في الباطن، فمثله كمثل من قال: إن العسل مسموم، ثم مدَّ يده ليأكل منه،

= فكيف يقال مع هذا: إن العبدَ ينبغي له أن يكون كالميِّت بين يدي الغاسل؟ هذا مع الله. وأما كونه كذلك مع الشيخ ففيه تنزيلُ الشيخِ منزلةَ الرسول، وهذا على إطلاقه باطل، لكن فيه تفصيل ليس هذا موضعه. ومما يُغلَط فيه ما يُذكَر عن الشيخ أبي يزيد رضي الله عنه أنه قال في بعض مناجاته لما قيل له: ماذا تريد؟ فقال: أريد ألا أريدَ، لأني أنا المراد وأنت المريد. ويتحذلقُ بعضُهم على أبي يزيد، فيقول: فقد أراد بقوله: أريد! وهذا الاعتراض خطأ لوجهين: أحدهما: أنه من قيل له: ماذا تريد لم يُطلَب منه عدم الإرادة، وإنما طُلِب منه تعيينُ المراد. الثاني: أن انتفاء الإرادة ممتنع، وهو محرَّمٌ، بل عليه أن يريد ما أراده منه، ولا بدَّ له من ذلك. وأما قوله: أريد أن لا أريد، لأنّي أنا المراد وأنت المريد؛ فلا ينبغي أن يفهم من قوله: أن لا أريد؛ أن لا تكون لي إرادة، فإن هذا باطل محرم، وإنما أراد أن لا يكون ابتداءُ الإرادة مني، بل إرادتي تابعة لك لأنك أنت مرادي، فأريد أن لا أريد إلا إياك. وهذا حقيقة الحنيفية والإخلاص، فإذا كنتُ لا أريد إلا إياك لم أحب ولا أفعل إلا ما أمرتني به، فكان حقيقة قوله: أريد أن لا أعبد إلا إياك، ولا أريد شيئًا قطُّ إلا وجهَك الكريم، وهذا عين ما أوجبه الله لكل عبد، وهي الإرادة الدينية الشرعية. وأيضًا فقد يقول: أريد ألاَّ تكون لي إرادة إلا ما أمرتَني أن أريده، وأردتَه لي إرادةَ محبةٍ ورضًى، لجهلي وعجزي. وأريد أن أكون عبدًا محضًا، فلا أريد إلا ما تريده أنت، بحيث يكون المرادُ المختار أمرًا دينيًا وقضاءً كونيًا لا يخالف الأمر الديني. فهذا الكلام يكون إخلاصًا وتفويضًا، وكلاهما إسلام وجهه لله. وأيضًا فإنه قد يقول هذا في مقام الفناء والاصطلام، إذا غلبَ على قلبه، حتى غاب به عن شهود نفسه وإرادته، فهو يُحب هذا الفناء، لأنه متى رجع إلى نفسه أرادت بهواها، فهو يريد أن يَفنَى عن نفسه حتى يكون الحق هو الذي يريد له وبه. ثم إنه مع الفناء في نوع من الإرادة لله التي هي أعظم الإرادات، لكنه غائبٌ كغيبته عن نفسه مع وجودها. وهذا كله حسن، وإن كان البقاء أفضل ما لم يُفْضِ الأمرُ إلى ترك مأمور به جريًا مع الكوني. (جامع المسائل: ٦/٩).

فمن سبَّ الشيطان بلسانه ثم ساعده بعمله، ووافقه بما يهواه فهو عبد الشيطان لا عبد خالقه ومولاه؛ قال الله سبحانه: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]، وقال الواحد المنان: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [يس: ٦٠].

وما كثَّرنا الكلام إلا لأن طبع الآدمي ثقيل، محتاج إلى تزويق الكلام وإلى التطويل، ولو عمل بآية من كتاب الله تعالى وهو قوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨]. أو عمل بحديث من أحاديث رسول الله ﷺ ما كان يحتاج إلى غيره، وهو قوله ﷺ: «**من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»[١]، فقد علمت أن النفس ثقيلة، ولذلك يعصي الله سبحانه ويخالف أوامره الجليلة.

قال أبو يزيد: لو أن زمامي بيد كلب، كان أحب إليَّ من أن يكون زمامي بيد نفسي[٢].

وقال بعض العارفين: من ذاق طعم نفسه قلَّ فلاحه. نسأل الله العظيم الذي أذاقنا طعم أنفسنا أن يذيقنا حلاوة حبه. واعلم أنه لا يجد طعم حبِّ الواحد الخلاق إلا كل عبد تقي زاهد مشتاق.

تَمَّ كتاب اللمع في الحوادث والبدع[٣].

غفر الله لمؤلفه ولقارئه ولسامعه، ولمن عمل بالسنة واتبع، ولمن أصلح شيئًا قاله المؤلف، فخرج بذلك الشيء عن السنة، وفي البدعة وقع وخالف أهل الدين والورع.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) لم أقف عليه. وأبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي (١٨٨ ـ ٢٦١هـ)، ويقال بايزيد، زاهد مشهور، له أخبار كثيرة. نسبته إلى بسطام ـ بلدة بين خراسان والعراق ـ أصله منها، ووفاته فيها.

(٣) هنا خاتمة النسخة المصرية (ق)، ونصُّها: (تمَّ كتاب اللمع بحمد الله تعالى ومنّه غفر الله تعالى لمؤلفه وكاتبه والواقف عليه ولوالديهم ولجميع المسلمين آمين وصلى الله على محمد خير خلقه وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا).

ووافق الفراغ من تأليفه في أشرف المكان، وأبرك الزمان[1]، وذلك في مكة المعظمة، وفي شهر رمضان، في أوائل القرن الثامن من الهجرة المحمدية.

أعطانا الله تعالى خيرها وخير أهلها وخير ما فيها، وكفانا شرَّها وشرَّ أهلها وشرَّ ما فيها، وسلمنا من الأفعال والأقوال الخارجة الرَّدية.

وكان اختيار المؤلف أن يكون هذا الكتاب كله في حق من خرج عن السنة وابتدع، فجعل الله تعالى ذلك فيه، وشيئًا من التفسير، والأحاديث، والزهد، وأخبار أهل الشَّره والطمع، وكنت أريد أكتب شيئًا، فيذهب الله تعالى بذلك الشيء، ويلقى في بالي غيره، ويُسهِّل عليَّ ما سمعته من الفقهاء المرضية، ومن الفقراء المتبعين لخير البرية صلى الله عليه وعلى آله وأقاربه وأزواجه وذرياته أهل الدين، والورع والأخلاق الرضية، وعلى أصحابه: أهل الشجاعة والكرم المشبهين بالنجوم المضيئة.

الحمد لله الذي وفَّقني لجمعه، وأعانني عليه، وأسأله أن يجمع أمري على التقوى، ولا يجعله حجة عليَّ يوم أقف بين يديه، اللَّهم سهل لنا طريقًا توصلنا إليك، وارزقنا الراحة في قلوبنا بالتوكل عليك، مثبتين في[2] خدمتك، محققين بمعرفتك، متبعين لسنة رسولك، وارثين عنه، آخذين منه يا ربَّ العالمين، وافعل ذلك بالوالدين والأقربين، وبجميع الأصحاب والأحباب والمسلمين، والله على كل شيء قدير، والحمد لله رب العالمين وصلواته ورحمته وبركاته على سيد المرسلين، وعلى جميع النبيين، وعباد الله الصالحين.

من قرأ في أول هذا الكتاب، عذر المؤلف، ولم يكثر العتاب. حيث قال المؤلف:

تمسَّك بحبل الله واتَّبع الهدى ... ولا تكُ بدعيًّا لعلك تفلِحُ

(١) في (ب): المكان.

(٢) في (خ): على.

وَلُذْ بكتاب الله والسنن التي أتتْ عن رسول الله تنجُو وتربحُ
وسافر بهذا الزَّاد تلقى سلامةً وأمنًا وخيرًا حين تمسي وتصبحُ[(١)]

غفر الله لكاتبه ورحمه برحمته الواسعة، وجعل القرآن الكريم أنيسه وشافعه ومالكه وقارئه، وسامعه، وجميع المسلمين[(٢)].

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

(١) البيتان الأولان من القصيدة الحائية في العقيدة السلفية للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: ٣١٦)، ابن صاحب «السنن» الإمام المعروف رحمهما الله. ترجمته ومصادرها في «سير أعلام النبلاء» ٢٣٢/١٣. والقصيدة مشهورة، وقد عُني بها المعاصرون بالشرح والتعليق. ولفظ البيتين مطابق لرواية «الحائية» إلا قوله: «ولُذْ»، ففيها: «ودِنْ». أما البيت الثالث فليس من أبيات «الحائية»، لكن فيها:

إذا ما اعتقدتَ الدَّهر يا صاح هذه فأنتَ على خيرٍ تبيتُ وتصبحُ

ولم أقف على اللفظ الذي ذكره المؤلف، فلعله من إنشائه كما ذكر، والله أعلم.

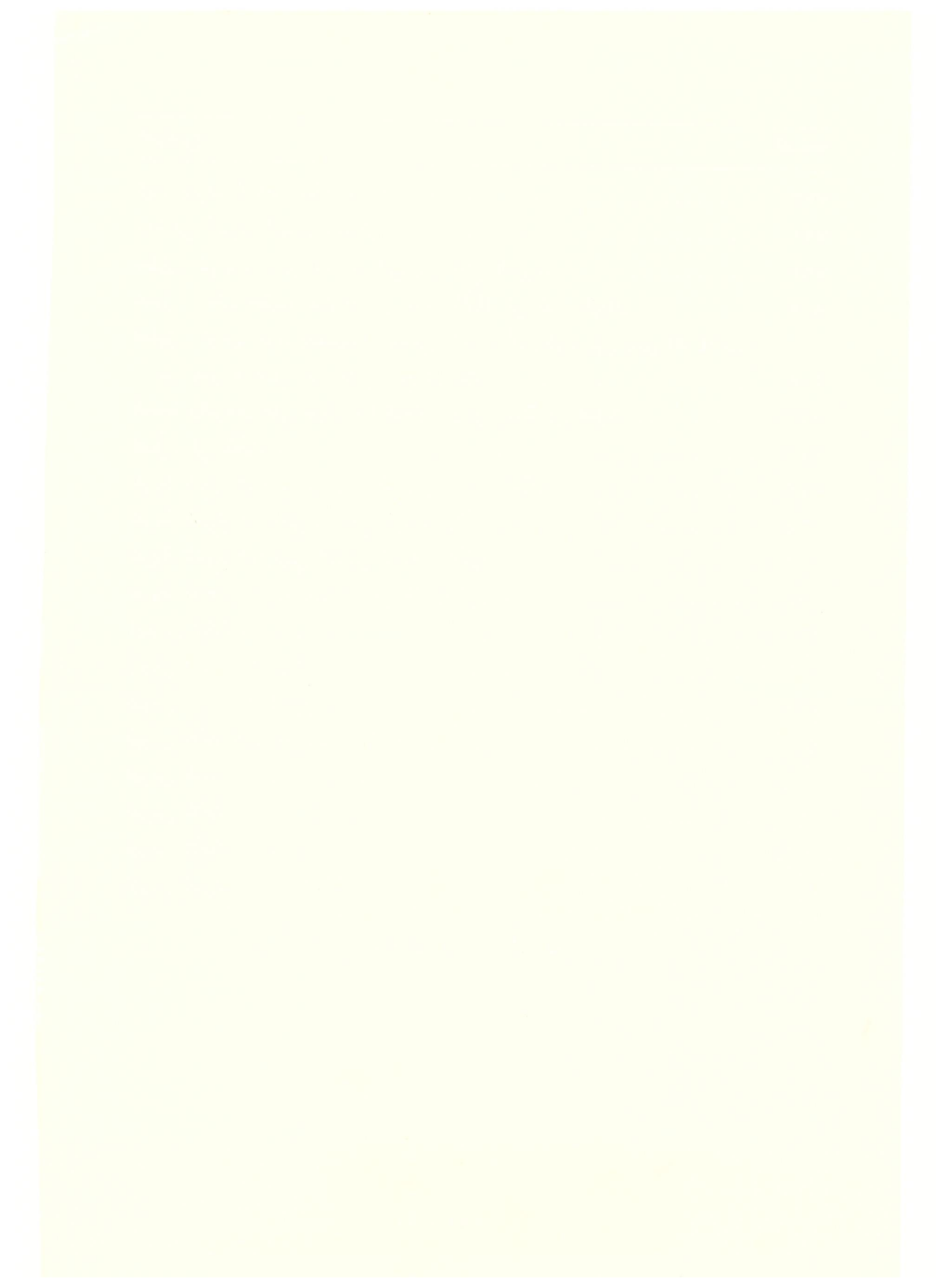
(٢) هذا آخر الكتاب في مخطوطة برلين (ب)، ومخطوطة قونية (خ)، وزاد الأخير: وذلك برسم السيد موسى الهندي بن عبد الله، وكان الفراغ من نسخه نهار السبت من شهور ذي الحجة سنة (٩٦٨)، وكاتبه: بو بكر بن الخطيب ـ بقرية تيزر ـ الشافعيُّ مذهبًا، غفر الله له ولوالديه ولمن قرأ في هذا الكتاب ورأى فيه خللًا وسدَّه، آمين.



تأليف

إدريس بن بيدكين بن عبد الله التركماني الحنفي

كان حيا سنة (٧١٠ هـ / ١٣١٠ م) رحمه الله تعالى





بسم الله الرحمن الرحيم

فصلٌ في الفتوَّة

تأليف العبد الضعيف: إدريس بن بيدكين التركماني الحنفي، عامله الله تعالى وجميع المسلمين بلطفه الخفي، وثبَّته على الدِّين الحنيفيِّ، والمذهب الحنفي، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم ما ظهر نجم وما خفي.

الفتوة هي الإيمان والهداية، قال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]، واتباع المبعوث بالرسالة، قال الله تعالى: **﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾** [آل عمران: ٣١]، وقال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنفال: ٦٤]، وقال: **﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾** [المائدة: ٩٢]، وقال سبحانه: **﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾** [النساء: ٨٠]، وفي آيةٍ أخرى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب: ٧١]، قال المفسِّرون: من يطع الله في فرائضه والرسولَ في سننه فقد فاز فوزًا عظيمًا. وقال تعالى تعظيمًا لمرتبة نبيه وحبيبه وتمكينًا: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]. فمن عمل بسنته فقد أطاعه، ومن خرج عنها فقد عصاه، فحينئذٍ يخاف على من عصاه أن تكون النار مأواه؛ لقوله صلوات الله عليه وسلامه: «**كل الناس يدخلون الجنة إلا من**

أبى» قالوا: ومن أبى؟ قال: **«من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»**[1]، والخروج عن الطريق هو عدم التوفيق، فاسلك الطرقَ ولو دارت؛ إن أردت الوصول، وائت البيوت من أبوابها إن أردت الدخول.

والاقتصاد في السنة خيرٌ من الاجتهاد في البدعة. قال ﷺ: **«عملٌ قليل في سنَّةٍ خيرٌ من كثير في بدعة»**. وطريق النبي ﷺ قريب وتوصل إلى الحبيب، فمن دخلها أدخله الله دار القرار، ومن عدل عنها سلك الأوعار، ويخاف عليه من عذاب النَّارِ وسخط الجبار، والخوارج كلاب النار. كذا ورد في الأخبار عن السيد المختار الكامل الأنوار ﷺ صلاةً دائمةً إلى يوم القرار. قال الله سبحانه: ﴿**قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ**﴾ [المائدة: ٦٨]، معناه: يا أهل كل كتاب لستم على شيء حتى تكونوا متبعين لا مبتدعين، والمبتدعين ليسوا من المتقين وأعمالهم مردودة عليهم لقول رب العالمين: ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ**﴾ [المائدة: ٢٧]، فأعمالهُم أُعميَ لهم، وأفعالهُم أفعَى لهم.

والفتى من اتبع، والشيطان من ابتدع، فمن يدعي الفتوة ويجمع الجموع والمردان، ويلبسهم لباسًا ويشد تكة بيده، ويسقهم ماءً وملحًا، ويمد لهم الخوان، فقد خرج عن السنة والقرآن، وخالف في فعله هذا جميع الأديان، واتبع طريق المغرورين الهالكين المبعودين عن رحمة رب العالمين؛ لأنهم خرجوا عن طريق سيد المرسلين والصحابة المكرمين والأئمة الراشدين، وأضافوا هذه القبائح لأمير المؤمنين، فهم مساكين حيارى، لا هم داخلون في طريق نبيهم، وخرجوا عن شرع اليهود والنصارى، قال الله سبحانه: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾**﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وكل أحد له سبيل أي طريق، والكل يبعد عن الله، والطريقُ الموصلة إلى من له الفضل والمنة هي الكتاب والسنة؛ لقوله تعالى: ﴿**وَلَا**

(١) تقدَّم تخريج هذا الحديث وبقية الأحاديث المذكورة في هذه الرسالة في تعليقاتنا على كتاب «اللمع في الحوادث والبدع»، فلا نكرر ذلك.

﴿تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾، وهذه الآيات محكمات بإجماع المفسرين لم يُنسخن بشيء، فمن عمل بهن دخل الجنة، ومن تركهن دخل النار. قال صلوات الله عليه وسلامه: «**المتمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مئة شهيد**»، فالسني في الدنيا شهيد وفي الآخرة سعيد، والمبتدع في ضلال بعيد. قال المبعوث بالرسالة: «**كل بدعة ضلالة**».

والفتوة التي تعمل في هذا الزمان هي من أقبح البدع، وهي مما ترضي الشيطان، وتغضب الرحمٰن، ما هي مذكورة في الحديث، ولا نطق بها القرآن، وقد نصحتك يا أخي والنصح من الإيمان.

ثم اعلم بأنها تشتمل على معاصي كثيرة، منها: كذبهم على الله تعالى؛ لأن كبيرهم إذا وقف يقول: وقوفي لله. ووقوفه لعلّه لا لله، ويقول: وفي طاعة الله. فكذب في الأول ولا صدق في الثاني؛ لأنه وقف يدعو الناس إلى الباطل، وبعد هذا يقول: واتباعي في هذه الفتوة لآل بيت النبوة، واللباس لفلان، والفتوة فتوة علي بن أبي طالب.

والله ما هذه صفة من هو في الله ورسوله راغب؛ لأنه كذب في الأول، ولا صدق في الثاني، وأخطأ في الثالث.

وجمعهم المردان وإخوان البطالة، وهذي الأخرى من الضلالة؛ لأن الشعبي وغيره من مشايخ الأشياخ، كلٌّ منهم نهى أن يحد الرجل النظر إلى الغلام الأمرد الحسن الوجه، ونهى أيضًا عن مجالسته، وأقام أمرد من بين يديه وأجلسه خلفه وقال: كانت خطيَّة داود النظر. فمن خالف قول النبي ﷺ وفعله فهو عبد محجوب إلا أن يتوب؛ فينال حينئذٍ المطلوب. قال بعضهم شعرًا:

ليس الشجاع الذي يحمي مطيته	يوم النِّزال ونار الحرب تشتعل
لكن فتًى غضَّ طرفًا أو ثنى قدمًا	عن الحرام فذاك الفارس البطل

وقال ﷺ: «**حرِّمت النار على عينٍ غضت عن محارم الله**».

والبدعة الأخرى شد تكة الأمرد بين جمع من المسلمين، وذلك

يوجب لهم المقت من رب العالمين، وهذه الأشياء تأتي من قلة الحياء والدين، والذي قال الصادق الأمين ﷺ وعلى آله وأصحابه صلاة دائمة إلى يوم الدين: «**الحياء من الإيمان**».

والبدعة الأخرى شربهم ماءً وملحًا، وما يفعله إلا كل مبتدع وشيطان.

يفعلون هذه المصائب ويضيفونها لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

والفتى الصادق من كان هو لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ موافقًا.

فَيَا مَنْ يدعي الفتوة وهو تارك لطريق النبوة يطعم الشبعان ويترك الجيعان ويكسو المردان ويترك العريان أفق أيها الإنسان، فقد غرك الشيطان إذ أخرجك عن طريق النبوة، فنظرك إلى الأمرد حرام، وطعامك شر طعام، وقد خرجت عن طريق النبوة فنظرك قال عليه الصلاة والسلام: «**شر الطعام طعام الوليمة يدعى لها الأغنياء ويترك المساكين**».

قال السيد الجليل سهل بن عبد الله التستري: سيكون في هذه الأمة أناس يقال لهم اللوطيون وهم على ثلاثة أصناف: صنف ينظرون، وصنف يصافحون، وصنف يعملون ذلك العمل الخبيث نعوذ بالله من ذلك كله. وقد ذم الله تعالى اللوطي ولعنه.

والفتيان هم الذين تركوا العصيان، واجتهدوا في الطاعة والإحسان، فهم يأخذون في الزيادة، وغيرهم يأخذ في النقصان، ويكفيك في الفتوة هذا البيان: ليس الفتى من ضرب بالسكين الفتى من أطعم المسكين. قال الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾ [الإنسان: ٨]، فمن أطعم اليتامى وكسا الأرامل فهو الفتى الكامل، وسيعود خير ذلك إليه في العاجل والآجل، فإن احتج أحدهم في ارتكاب هذه المحظورات لفعل الخيرات: كخلاص محبوس، أو من لزمه دين؛ وهي من أفعال البر. قال الله سبحانه: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، فيمشي الكبير على أصحابه ويقول: خلصوا أخاكم في الفتوة. جوابه: اسمع يا قليل المرُوَّة، هذا كله من تلبيس إبليس؛ مراده أن يخرجك عن طريق النبوَّة؛ فيغرك كما غر أباك لتكون النار مأواك. قال سبحانه: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: ٢٢]،

ومن غش أباك لا يكون لك ناصحًا. فأخرج أبويك من الجنة فأدركتهما المنَّةُ. قال المولى القدير: ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]. وقد أجمع العلماء أنه لا يحل لمؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتهجم على مثل هذه المحرمات لفعل الخيرات. فمن فعل ذلك فقد فعل شيئًا لم يؤمر به، وترك شيئًا أمره الله به، فيجب على المسلم ترك الكذب على آل بيت النبي ﷺ والنظر إلى ما حرَّم الله تعالى، ولا يجب عليه السعي في خلاص المحابيس المناحيس ومن بلاهم يدبرهم، فيكون مثلُ من يفعل ذلك كمثل امرأة تزني وتتصدق به، يقال لها: لو تركتي الزِّنىٰ كان أحب إلى الله تعالى من هذه الصدقة. قال بعضهم شعرًا مناسبًا لهذا:

بنى مسجدًا لله من غير حلِّه ... وجاء بحمد الله غير موفَّق
كمُطعِمة الأيتام من كدِّ فرجها ... لك الويلُ لا تزني ولا تتصدَّقي

اسع - أيها المسكين! - في خلاص نفسك أولاً من البدعة والهوى، ثم اسع في خلاص غيرك. قال ﷺ: «**ابدأ بنفسك، ثمَّ بمَن تعولُ**». ثم اعلم - رحمك الله وجميع المسلمين - أنه لا يحل لمسلم أن يسعى في خلاص مجرم، كمن يدعي الفتوة ويكذب على آل بيت النبوة، ويفسد أولاد المسلمين، ويضرب بالسكين. قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ**﴾ [المائدة: ٣٣]، قال أبو حنيفة رحمه الله: نفيهم حبسهم. ويخاف أيضًا على من سعى في خلاص هؤلاء الأشرار أن يسجنه الله تعالى غدًا في النار.

فإن قالوا: إن هذه الطريقة ما أحدثناها بل أخذها كبير عن كبير إلى الخليفة. ليس ذلك بحجة لقوله ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين**». ما قال: بسنة الخلفاء الخارجين! وكان في الخلفاء الخوارج عن السنة، وقال ﷺ: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»، فلا تطع أيها العاقل الخليفة وتعصي الشريعة الشريفة، ولا تغتر - أيها المسكين! - بمن اجتمع حولك من المدبرين وبقولهم لك: يا كبير. فيحملك ذلك بأن تفسق

عن أمر ربٍّ قدير، وتخرج عن طريق البشير النذير، فحينئذٍ يخاف عليك أن تمنع من دخول جنةٍ فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ولباس أهلها حرير. وهذا جزاء لمن عصى الناقد البصير.

ثم اعلم ـ رحمك الله! ـ أن كثيرًا من الناس كان سبب هلاكهم تعظيم الخلق لهم فمنهم من مات جاحدًا، قال الله تعالى في رؤساء مكة زادها الله شرفًا: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، ومنهم من مات فاسقًا، والفاسق من يعمل المعصية جهرًا كمن يعمل «القوصرة» ويجمع الناس على شيء يقال له: «التزكرة»[1]، فيؤتى بأمرد سبحان من خلقه وصوره، فيخلع لباسه بين يدي من حضره ويلبسه غيره، ويشد تكته بيده، وقد حرم الشرع الخلوة معه ومسه ونظره، فتمسك أيها المسكين بالشرع الشريف، ودع عنك أفعال الفجرة.

وأقبح من هذا فعله مع الرجل الكبير، وإنما يلبس الطفل لأجل صغره ثم بعد هذا البدع يشربون الماء والملح، ويضيفون هذه المصائب لآل بيت النبي ﷺ الكرام البررة ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ١٧﴾ [عبس: ١٧]. لقد افتروا الكذب على أمير المؤمنين، والذي خلق الإنسان فقدره، وشق سمعه وبصره، فسبحان الحليم الذي لا يعجل على عبده المدبر إذا خالفه فيما أمره، ويمهله ليومٍ عظيم يرجف قلبه، ويشخص بصره.

---

(١) في النسختين: (العزيزة) و(التذكرة)، والأولى صوابها ما أثبتناه كما تقدَّم في كلام السبكي (ص: ٢٢٨ و٢٤٤)، أمَّا (التذكرة) فقد ورد في كلام ابن تيمية في «الفتوة» ما يدل على أن الصواب في هذه الكلمة: «دسكرة»، ففي السؤال: ويسمون المجلس الذي يجتمعون فيه: دسكرة. وقال ابن تيمية: «وأما لفظة الدسكرة فليست من الألفاظ التي لها أصل في الشريعة فيتعلق بها حمد أو ذم، ولكن هي في عرف الناس يعبر عنها عن المجامع، كما في حديث هرقل: أنه جمع الروم في دسكرة. ويقال للمجتمعين على شرب الخمر: إنهم في دسكرة. فلا يتعلق بهذا اللفظ حمد ولا ذم، وهو إلى الذم أقرب؛ لأن الغالب في عرف الناس أنهم يسمون بذلك الاجتماعَ على الفواحش والخمر والغناء». انظر: «مجموع الفتاوى» ٨٦/١١ و٩٤، و«مجموعة الرسائل والمسائل» ١٤٧/١، و١٥١، و١٥٤. (ت)

ويجب على ولاة الأمور المسلمين منع هؤلاء المضلين الضالين المخالفين لرب العالمين الخارجين عن طريق سيد المرسلين والصحابة والمسلمين، فمن فعل ذلك فقد غنم، ومن لم يفعل فقد أثم، ثم قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠] مدح هؤلاء، وذم آخرين بقوله تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٩]، فمن عجز عن أمرهم وزجرهم فلا بدَّ من هجرهم، فإن فاتك الأجر الأول لا يفوتك الثاني. قال ﷺ: «**المهاجر من هجر ما حرم الله**». ومن لم يفعل هذه البدعة ورضي بها لم يرض الله عنه؛ لأنه رضي بشيء فيه سخط الله، وصح في الحديث: «**إن من رضي بالفاحشة كمن فعلها**». ويخاف على من كثَّر سوادهم أن لا يبلِّغهم [الله تعالى][1] مرادهم لقوله صلوات الله عليه وسلامه: «**من كثر سواد قوم فهو منهم**». وقال: «**لا تجتمع أمتي على ضلالة**»؛ **وهذه البدعُ كلها ضلالةٌ**. ومن أحبهم أبغضه الله تعالى وحشره معهم بلا محالة لقوله ﷺ: «**المرء مع من أحب**». والعبد المبارك موافق لسيده، فيحب من أحبه، ويبغض من أبغضه، ويقرِّب من قرَّبه، ويُبعد من أبعده، فقد جاء في الحديث: «**من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله؛ فقد استكمل الإيمان**».

وقال عيسى عليه السلام: يا معشر الحواريين، تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي، وتقربوا إلى الله بالتباعد عنهم، والتمسوا رضا الله بسخطهم.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: لو قام رجل بين الركن والمقام وعبد الله تعالى سبعين سنة؛ يحشره الله تعالى يوم القيامة مع من أحب.

وقال صلوات الله عليه وسلامه: «**يموت المرء على دين خليله؛ فلينظر أحدكم من يخالل**». فسيندم من أحب مبتدعًا أو كافرًا أو فاسقًا أو جعله خليلًا ندمًا لا آخر بعده. وَ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي

---

(١) الزيادة من «اللمع».

﴿ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩].

وقال ﷺ لبعض أصحابه: «**لا تصحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقي**».

وقال علي رضي الله عنه:

لا تصحب أخا الجهل وإياك وإياه
فكم من جاهل أزرى حليمًا حين آخاه

واحذر ـ أيها المسكين ـ أن يغرَّك الشيطان بصحبته لتُخلِّصه مما هو فيه من البدعة والطغيان فتؤجر على ذلك، فيخاف عليك أن تصحبه لتُخلِّصه فتشتبك أنت الآخر وذلك لقلة أدبك، ولمخالفتك لله تعالى ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، ولسماعك من الشيطان اللعين، فيكون مثلك كمثل من يدل بعومه فيرى غريقًا فينزل ليشيله من الغرق فيأخذه الغريق وينزل فيهلكا جميعًا، وقد أهلك من قوم يوشع عليه السلام ألوف لتركهم الأمر بالمعروف، وذلك لقلة أدبهم، ولمخالطتهم لأهل المعاصي ومن أسي[1] يستوحش، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٨]، وكذلك هؤلاء الفتيان المخالفين للواحد القهار، والنبي المختار، وللمؤمنين الأخيار، لن يقبل الله تعالى يوم القيامة منهم الأعذار لما نبذوا الآيات والأخبار، وأحدثوا في الدين ما ليس منه، وكذبوا على آل بيت النبي المختار، الكامل الأنوار، صلوات الله وسلامه عليه آناء الليل وأطراف النهار.

وأحدثت هذه البدعة ببغداد ثم انتشرت لبقية البلاد، فأكثر أهلها الفساد بلمسهم ونظرهم لمن لم يحل له النظر شرعًا، وبكذبهم على آل خير

---

(١) (أسي) هذه أقرب قراءة لما في النسختين، وقال (ط): «أسي: بمعنى حزن. وقد تقرأ (ابتلي) إذا اعتبرنا اللام في الأصل غير واضحة». قلتُ: ولا أرى هذا مناسبًا للسياق، وأقترح: (أساء)، والله أعلم. (ت)

العباد، فوقعوا في البدعة والقطيعة والبعاد، ومن رجع منهم بالتوبة تاب الله عليه ووصله به، وهو الكريم الجواد، فقد أوعد الله ذلك لمن تمسك بحبله واتبع سنة نبيه وهو لا يخلف الميعاد، قال بعضهم:

تمسك بحبل الله واتبع الهدى ... ولا تك بدعيًّا لعلك تفلح
ولذ بكتاب الله والسنن التي ... أتت عن رسول الله تنجو وتربح
وسافر بهذا الزاد تلق سلامةً ... وأمنًا وخيرًا حين تمسي وتصبح

تم الكتاب بحمد الله وعونه، تأليف الضعيف إدريس بن بيدكين التركماني[1] الحنفي عفا الله عنه وعن جميع المسلمين، (وحشرهم في زمرة خير المرسلين، صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وأتباعه أجمعين، في يوم الأربعاء ثاني جمادى الآخرة سنة ثمان وثمان مئة)[2].

وقد كتب عليه السادة المشايخ المفتيون في المذاهب الأربعة[3] فسح الله في مدتهم ونفع ببركتهم.

فالأول للشيخ تقيِّ الدين ابن تيمية، صورة خطِّه[4]:

الحمد لله رب العالمين.

هذا الكُرَّاسُ كلامُ رجل صادق ناصح، متبع لشريعة الإسلام، ناهٍ عما نهى الله عنه من الآثام، متبع للكتاب والسنة والأثر فيما دعا إليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، محب لله ولرسوله، راغب في طريق الله وسبيله، وما أنكره من هذه الفتوة التي تنسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه [سَقيَ][5] الماء والملح، ويتضمن من الفواحش والعدوان ما

---

(١) تقرأ في (ت): (الترجماني).
(٢) هذه الزيادة من (ل) فقط، وهي لتاريخ النسخ لا التأليف. (ت)
(٣) في النسختين: (الأربع).
(٤) في (ل): (فالأول: للشيخ تقي ال تيمية صورة خطِّه)، وفي (ت): (فالأول للشيخ ابن تيمية، صورة خطبة)، وما أثبته ملفَّق من النسختين.
(٥) بياض في الأصلين بمقدار كلمتين، والزيادة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوة=

لا يرضاه أحدٌ من أهل الإحسان، وهو فيه من أعظم المطيعين لله ولرسوله، القائمين بما أرضى الله ورسوله، ويجب على كل مسلم أن يرضى بما فعله من ذلك، ويعاونه على ذلك إذا احتاج إلى المعاونة بما يقدر عليه، وبوجود هذا وأمثاله من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر يصلح الله للمسلمين دينهم ودنياهم.

وهذه الفتوة باطلة باتفاق علماء المسلمين، لا أصل لها عن علي بن أبي طالب، ولا عن أحد ممن يقتدِي به المسلمون في دينهم، وهم لو لم يجتمعوا على محرم ولا يتعاونون على إثم وعدوان لم يكن لهم أن يحدثوا عهودًا وشروطًا غير ما عهد الله تعالى إلى خلقه، وأمرهم به من كتابه وعلى لسان رسوله، بأنه يجب على كل مسلم أن يطيع الله ورسوله فيفعل ما أمر به ويترك ما نهى عنه، فمن فعل ذلك فهو من أولياء الله المتقين، وهو مستحق لكرامة الله وثوابه من الدنيا والآخرة، ولا يحتاج مع ذلك إلى ما أحدثه المبتدعون، فكيف إذا كانت فتوة الشيطان مشتملة على الإثم والعدوان من التعصب بالباطل لأصحابهم، والعدوان على من لم يكن من أحزابهم، والسعي من أسباب الفواحش والمنكرات التي هي من أعظم المحرمات، والواجب على المسلم أن يعامل المسلم بما أمر الله به ورسوله كما قال ﷺ: **«لا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانًا»**. وقال: **«المسلم أخو المسلم، لا يسلمه، ولا يظلمه، كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه»**. وقال: **«والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه»**. وقال: **«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»**. وقال: **«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»**. وشبك بين أصابعه. وقال: **«انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»**. قيل: يا رسول الله أنصره مظلومًا فكيف أنصره ظالمًا؟ قال: **«تمنعه عن الظلم فذلك نصرك إياه»**.

= في «جامع المسائل» ١٩١/١ ط: عزير شمس، حيث قال رحمه الله: «وأما سقي الماء والملح وإلْباس السراويل ونحو ذلك فبدعة باطلة لا أصلَ لها، ولم يفعل ذلك أحدٌ من الأنبياء والصالحين، لا إبراهيم ولا علي ولا غيرهما». (ت)

وقال: «**خمس تجب للمسلم على المسلم: يُسلم عليه إذا لقيه، ويعوده إذا مرض، ويشيعه إذا مات، ويجيبه إذا دعاه، ويشمته إذا عطس**».

فهذا وأمثاله مما أمر الله به رسوله من حقوق الآدميين بعضهم على بعض، وجلب المنفعة لهم ودفع الضرر عنهم فيه كفاية وغنى وشفاء عما يحدثه المبتدعون، ويفعله المبطلون، فالواجب على المسلمين الائتمار بما أمر الله به ورسوله، والتناهي عما نهى الله عنه ورسوله، والتعاون على البر والتقوى، وترك التعاون على الإثم والعدوان، والتواصي بالحقِّ والتواصي بالصبر، واتباع سنة رسول الله ﷺ وسنة خلفائه الراشدين، واجتناب محدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، والله سبحانه أعلم.

كتبه أحمد ابنُ تيمية.

صورة خطٍّ[1] للشيخ الإمام محمد بن عبد الصمد الشافعي المعروف بالسنباطي أحد المفتين، كان رحمه الله تعالى، وراح من الأصل في التجليد، وهذا الباقي:

الفتوة أصل الأصول، منها تصاريف الوصول، واصلة بالأنبياء، شاهدة باسم العدول، فأنت رحمك الله إذا تأملت ما قاله أهل الخير والصلاح والرشد والفلاح علمت أن هؤلاء المساكين بعداء من الدين، بل هم من أكبر المبتدعين المارقين، فاجتنب مجالستهم، وابعد عن مقاعدهم، واعرب عن مقاصدهم، وامنعهم وازجرهم إن قدرت على ذلك، والله تعالى المنان أن يعصمنا من أحوال هذا الفتيان[2]، وأن يمزِّقهم كلَّ ممزقٍ في جميع البلدان، وأن يعدم آثارهم من الوجدان، وحسبنا الله ونعم الوكيل. ويجبُ على وليِّ

---

(١) في (ت): (خطبة)، وكذا في المواضع التالية، وما في (ل) هو الصواب، والمرادُ أن النص المذكور منقول من خط هؤلاء العلماء الذي قرَّظوا رسالة التركماني. (ت)

(٢) كذا تقرأ في النسختين، وأثبتها (ط): (الغثيان).

الأمر دفعهم، وكسر يدهم، ومنعهم من هذا الاجتماع المفضي إلى النيران، والحمد لله رب العالمين.

كتبه: محمد بن عبد الصمد الشافعي حامدًا لله تعالى على السلامة ومصليًا على نبيه محمد ﷺ وعلى آله.

صورة خطِّ الشيخ فخر الدين عثمان بن إبراهيم المارديني الحنفي أحد المفتين وناظر البيمارستان المنصوري، وهو من الأعيان:

اللَّهم وفق والطف وارحم.

هذا الكلام المذكور في هذه الكراسة دالٌّ على أن قائله من الناصحين لدين الله الصالحين لهداية خلق الله، الموضحين لسنة رسول الله ﷺ، ولو انتدب من أهل الحق كما انتدب هو رجال وجاهدوا بسيف الصدق وأوسعوا المجال لما شاعت هذه البدعة وأمثالها، ولأسرع تلاشيها وزوالها، والله سبحانه قد أمرنا بذلك فقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ومدحنا عليه فقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤١]، ولعن قومًا وذمهم بتركهم لذلك فقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٨ ـ ٧٩]، وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ [هود: ١١٦].

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن ربكم تعالى يقول: إياكم والتظالم، وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تسلوني فلا أعطيكم، وتدعوني فلا أستجيب لكم، وتستنصروني فلا أنصركم**». وعنه ﷺ أنه قال: «**إياكم والجلوس بالطرقات**» فقالوا: يا رسول الله، لا بد لنا من مجالسنا نتحدث

فيها. فقال عليه السلام: «**فإذا أتيتم إلى المجلس فأعطوا الطريق حقه**». قالوا: يا رسول الله، وما حق الطريق؟ فقال: «**غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر**». وتمثيلُ النبيِّ عليه السلام بالقوم الذين استهموا في السفينة معروفٌ. وما تولدت هذه الآفة وغيرها في المملكة الإسلامية إلا من فرط التهاون في إزالتها حين ظهورها، وتأخيرها من ساعتها إلى سنيها وشهورها، وقد أحسن من قال:

أرى خلال الرماد وميض نار ... ويوشك أن يكون له ضرام

فإن النار بالعودين تذكى ... وإن الحرب أوله كلام

لئن لم يطفها عقلاء قوم ... يكون وقودها جثث وهام

وهذه الفتوة المعهودة الآن بين هذه الطائفة الضالة وشروطها عندهم من البدع التي تأباها قواعد الدين، ولا أصل لها في الشرع، وقد ارتكب مُدَّعوها أمورًا يقتضي بعضها التحريم، وهو نسبة هذا الأمر إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فمن نسبه إليه فقد افترى عليه، وكذا المسُّ والنظر المحرمان شرعًا، ويقتضي بعضها التكفير وهو استحلال قتل من لا يحل قتله شرعًا، فالويل لمن رضي لنفسه بالانخلاع عن الشريعة المحمدية، واطِّراح[1] ربقة الاتباع للسنة النبوية، ولكن ما أسرع النفوس إلى قبول البدعة ونبذ السنة، وما أشد تفريطها فيما هي مكلفة به ومسئولة عنه ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]، ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٤]، نسأل الله تعالى توفيقًا نعرف به الحق فنتبعه، ونعرف به الباطل فندفعه، ونسأله قلبًا واعيًا للحق، ولسانًا متزينًا بالصدق، ناطقًا بالنصيحة للخلق بمنه وكرمه، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم.

كتبه عثمان بن إبراهيم المارديني الحنفي حامدًا لله تعالى ومصليًا على

---

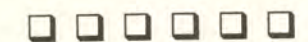
(١) غير واضحة في (ت)، وفي (ل): (والحراح). وفي (ط): (والجراح) ولعل الصواب ما أثبته. (ت)

نبيه محمد وعلى آله وصحبه ومسلمًا.

صورة خطِّ قاضي القضاة محمد المالكيِّ، الحاكم بالقاهرة ومصر المحروستين، أعزَّ الله تعالى أحكامه.

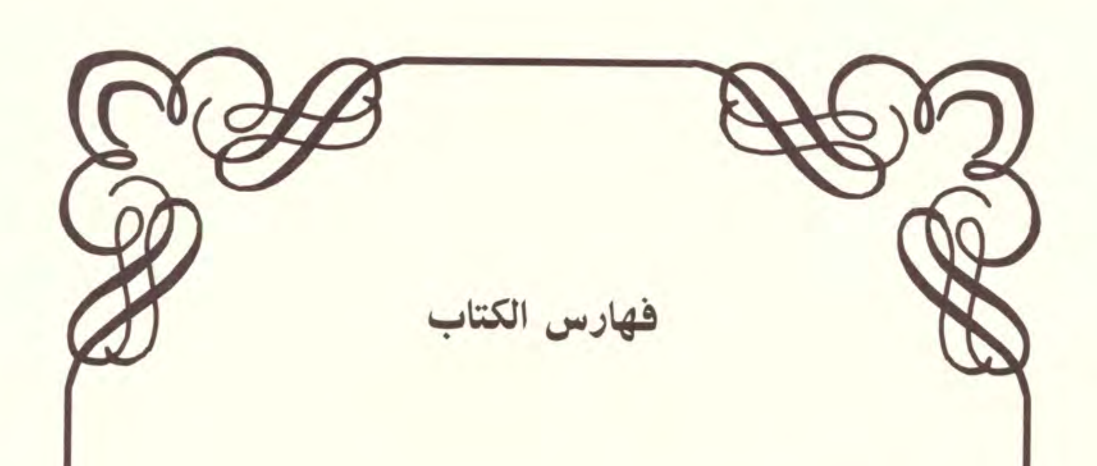
يقول العبد الفقير إلى الله سبحانه وتعالى: الحمد لله وحده، وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا دائمًا إلى يوم الدين. إن هذه المقالة بدعة وضلالة، ارتكبها أهل السخف والجهالة، يتعين على ولي الأمر منعهم من ارتكابها، وحسم هذه المفسدة وسد بابها، فإن الفتوة بذل المجهود في رضى المعبود، والإعراض عن الأكوان في رضى الرحمٰن، والغيرة للحق، والقيام فيما وجب له من حق مع ترك الالتفات في ذلك إلى الخلق، والتخلق بالأخلاق الجميلة، واجتناب كل رذيلة، والقيام بحقوق الإخوان بحسب الطاقة والإمكان، متابعًا في ذلك كله النبي المصطفى وحسبنا الله سبحانه وكفى.

(وكتبه: العبد الفقير إلى الله وهو محمد بن أبي بكر بن عيسى الإخنائيُّ المالكي عفا الله عنه بمنه وكرمه)[1].



(١) زيادة من (ل)، وفيه: (الخنائي)، وقد تقدمت الإشارة إلى ترجمة هؤلاء العلماء الأربعة في مقدمة التحقيق.

قال عبد الحق بن ملا حقِّي بن علي بن غني التركمانيُّ - غفر الله له ولوالديه وللمسلمين والمسلمات -: هذا آخر كتاب «اللمع في الحوادث والبدع»، ورسالة «الفتوة» التي ألحقناها به، وقد أتممتُ مراجعتهما وتصحيحهما واستدراك ما لزم من التخريج والتوثيق والتعليق؛ في ليلة الاثنين: ١٤٣٢/٢/٢٠هـ، الموافق: ٢٠١١/١/٢٤م، في غوطبورغ، مدينة الملك غوسطاف أدولف الكبير على نهر غوطا، غرب مملكة السويد، هدى الله أهلها إلى دين الإسلام، وأصلح من دخلها من المسلمين، وحفظ ذرِّياتهم، وجعلهم من أهل الهدى والتقوى والاستقامة؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه، له الحمد في الأولى والأخرى، وصلى الله وسلَّم على عبده ونبيِّه محمد وعلى آله وأصحابه وأنصاره إلى يوم الدين.



فهارس الكتاب

صنعةُ:

دار الكوثر للتراث





١ ـ فهرس الآيات الكريمة

رقم السورة	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
١	الفاتحة	٥	٧٧٦
٢	البقرة	٢٤	٧٥٠
٢	البقرة	٣٥	١٢٠
٢	البقرة	٤٣	٤٨٩
٢	البقرة	٤٨	٦٢٤
٢	البقرة	٥٨	١٣٧ ـ ١٣٨
٢	البقرة	٧٩	٢٥٦
٢	البقرة	٧٩	٥٤٦ ـ ٥٤٧
٢	البقرة	٩٥	٤٥٤
٢	البقرة	١٠٥	٧٤، ٥٥٣، ٧٧٠
٢	البقرة	١٤٣	٥٥٨
٢	البقرة	١٤٨	١٤١
٢	البقرة	١٥٧	٤٠٣
٢	البقرة	١٥٩	٢٤٤
٢	البقرة	١٧٢	٣٧٨
٢	البقرة	١٧٣	٣٩٠
٢	البقرة	١٨٨	٢٥٣
٢	البقرة	١٩٦	٤٠٨
٢	البقرة	٢٠١	٤٣٤

رقم السورة	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
٩	التوبة	٩٢	٨٦ ـ ٨٧
٩	التوبة	٩٥ ـ ٩٦	٤٥٢ ـ ٤٥٣
٩	التوبة	٩٧	٥٥٦
٩	التوبة	١٠٣	٦٧٧
٩	التوبة	١١٣	٤٢١، ٥٧٣
٩	التوبة	١١٤	٥٧٣
٩	التوبة	١١٧ ـ ١١٩	٤٥٢ ـ ٤٥٣
٩	التوبة	١٢٢	٧٤
٩	التوبة	١٢٨	١٢١
١٠	يونس	٣	٥٠٤
١٠	يونس	٢٢ ـ ٢٣	٦٨٥
١٠	يونس	٢٦	٧٥١
١٠	يونس	٥٨	٨١، ١٦٧، ٣٤٧، ٨٠٣
١٠	يونس	٥٩	٢٥٥
١٠	يونس	٦١	٧٣١
١٠	يونس	٦٢ ـ ٦٣	٧٢٠
١٠	يونس	٩١	٣٦٥
١١	هود	٧	١٤٢
١١	هود	١٥ ـ ١٦	٧٦٤
١١	هود	٤١	٧٨٧
١١	هود	٤٣	٧٤٧
١١	هود	٤٥ ـ ٤٦	٨٣
١١	هود	٤٨	١٢٠
١١	هود	٨١	١٢٠
١١	هود	١١٣	١٤٣، ٥٥٦، ٨٠٢
١١	هود	١٢٣	٧٢
١٢	يوسف	١٨	٨٠٥

رقم السورة	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
١٦	النحل	١٠٢	٥٠٢
١٦	النحل	١١٦	٢٥٥
١٧	الإسراء	١	١٩٢
١٧	الإسراء	٣	٧٨٤
١٧	الإسراء	٩ ـ ١٠	٤٢٥
١٧	الإسراء	٢٣	٥٧٣
١٧	الإسراء	٢٤	٥٧٣
١٧	الإسراء	٤٤	٤٢٦
١٧	الإسراء	٦٤	١٩٤
١٧	الإسراء	٧٠	٥٦٠
١٧	الإسراء	٧٢	١٣١، ٤٣٦
١٧	الإسراء	٨٠	٨٠٤
١٧	الإسراء	٨٥	٦٩٤
١٧	الإسراء	١٠٩	١٨٣
١٨	الكهف	٧ ـ ٨	٢٩٣
١٨	الكهف	١٣	٢٣٢
١٨	الكهف	١٧	٨٨، ٢٠٩، ٣٦٩، ٦٧١، ٦٨٣
١٨	الكهف	٤٦	٣١٦
١٨	الكهف	٥٠	٧٨٠
١٨	الكهف	١٠٣ ـ ١٠٤	٩٠، ٤٣١
١٩	مريم	٧	١٢٠
١٩	مريم	١٢	١٢٠، ٢٠٩
١٩	مريم	٣٩	٤٧٨
١٩	مريم	٥٩	٣٩٣
١٩	مريم	٩٥	٥٧٨، ٥٨٧
١٩	مريم	٩٦	٦٤٤

رقم السورة	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
٤٠	غافر	٢٨	٣٦٥
٤٠	غافر	٣٥	٤٦٢
٤٠	غافر	٧١ ـ ٧٢	١٣٢، ٣٥٢
٤١	فصلت	٢١	٧٥٠
٤١	فصلت	٢٣	٧١٠
٤١	فصلت	٣٠	١٢٦
٤٢	الشورى	١٣	٤٢٩
٤٢	الشورى	٢٧	٦٨٥
٤٢	الشورى	٣٠	١٦٣، ٣١٠، ٧٨١
٤٢	الشورى	٣٧	٧٤٠
٤٢	الشورى	٤٠	٤٧٧
٤٢	الشورى	٤٩	٣١٦
٤٢	الشورى	٥١	٧٠٥
٤٢	الشورى	٥٢ ـ ٥٣	٧٩
٤٣	الزخرف	١٣	٤٣٥
٤٣	الزخرف	٢٣	١٣٣، ١٣٤، ٣٥٣
٤٣	الزخرف	٤٥	٥٥٩
٤٣	الزخرف	٦٨	٦٥٥، ٦٦٣
٤٣	الزخرف	٨٣	٢٠٢
٤٥	الجاثية	٢١	٢١٢
٤٥	الجاثية	٢٣	٧٤
٤٥	الجاثية	٢٣	٢٢١، ٨١٠
٤٦	الأحقاف	٩	٨٠، ٦٥٥
٤٦	الأحقاف	٣١	٤٨٩، ٧٧٦
٤٧	محمد	٤	٧٣
٤٧	محمد	١٢	٣٩٣
٤٧	محمد	١٧	٤٣٢

رقم السورة	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
٤٧	محمد	١٩	٤٤٥
٤٧	محمد	٢٤	١٥٥، ٧٢٦
٤٧	محمد	٣٣	٤٠٧، ٤٠٨
٤٨	الفتح	١٠	٧٨
٤٨	الفتح	٢٧	٥١٣، ٥١٤
٤٨	الفتح	٢٩	١٨٣
٤٩	الحجرات	١	٨٨، ١١٣
٤٩	الحجرات	٢ ـ ٣	١٢٣
٤٩	الحجرات	١١	٤٦٨، ٤٧١، ٥٦١
٤٩	الحجرات	١٣	٥١٦، ٥٥٥، ٦٥١
٥٠	ق	٣٧	١٦٩
٥١	الذاريات	١٠	٣٢٨
٥١	الذاريات	١٧ ـ ١٨	٤٤٥، ٦٥٩
٥١	الذاريات	١٧ ـ ١٩	١٨٣
٥١	الذاريات	٢١	٧٢٥
٥١	الذاريات	٢٢ ـ ٢٣	٨٠٠
٥١	الذاريات	٢٦	٤٣٥، ٧٠٢
٥١	الذاريات	٥٦	٢٠٩
٥٢	الطور	٢١	٤٢١، ٦٢٤
٥٢	الطور	٢٥ ـ ٢٦	٦٥٨
٥٢	الطور	٢٥ ـ ٢٧	٧١١
٥٢	الطور	٢٦ ـ ٢٧	٦٥٨
٥٣	النجم	٣ ـ ٤	٧٥
٥٣	النجم	٢٣	٥٥٥
٥٣	النجم	٢٩	٦٦٧، ٦٧٨
٥٣	النجم	٣٩	٤٢١
٥٥	الرحمٰن	٩	٥٩٢

رقم السورة	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
٥٥	الرحمٰن	٢٦ ـ ٢٧	٤١١
٥٥	الرحمٰن	٣١	٧٣٢
٥٥	الرحمٰن	٣٥	٧٣٢
٥٥	الرحمٰن	٤٤	٧٣٢
٥٥	الرحمٰن	٤٦	٦٦١
٥٧	الحديد	٤	٣٦١، ٥٠٤
٥٧	الحديد	٢٣	٣٤٥، ٣٤٦
٥٧	الحديد	٢٩	١٢٢
٥٨	المجادلة	١١	٢٦٦
٥٨	المجادلة	٢٢	٣١٥
٥٩	الحشر	٧	١٤١، ١٤٥، ١٧٩، ٢٤٧، ٢٦٩، ٢٧٩، ٢٨٨، ٣٥١، ٤٩٣، ٥٤١
٥٩	الحشر	٩	١٨٣، ٧٣٤
٥٩	الحشر	١٠	٤٢١، ٧٩١
٥٩	الحشر	١٦	٦٥٧
٥٩	الحشر	٢١	١٦٤
٦٠	الممتحنة	١	٥٢٨، ٥٣٠، ٥٣٦
٦٠	الممتحنة	٤	٥٧٣
٦١	الصف	٢ ـ ٣	٥٢٢، ٨٠٩
٦٢	الجمعة	٣ ـ ٤	٧٢٣
٦٢	الجمعة	٥	١٥٨
٦٢	الجمعة	٦	٤٥٣
٦٢	الجمعة	٩	٤٨٩، ٧٨١
٦٣	المنافقون	٩	٢٠٩، ٢٢١
٦٤	التغابن	٧	٤١١
٦٤	التغابن	١٨	٧٢

رقم السورة	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
٦٥	الطلاق	١	١٢٦
٦٥	الطلاق	٢	٦٣٣
٦٥	الطلاق	٣	٦٤٤
٦٦	التحريم	٦	٤٨٥
٦٧	الملك	٢	١٤٢
٦٧	الملك	١٥	٣٨٣
٦٨	القلم	٤	٢٣٦
٦٨	القلم	٤٤	٩١، ٤٤٠
٧١	نوح	٢٨	٧٩١
٧٢	الجن	١٦	٧٥
٧٢	الجن	١٨	٢٦٨
٧٣	المزمل	١	١٢٠
٧٣	المزمل	٤	١٥٣
٧٣	المزمل	٥	٢١٨
٧٣	المزمل	١٢ ـ ١٣	٣٣٨
٧٣	المزمل	٢٠	٣٨٣
٧٤	المدثر	١	١٢٠
٧٤	المدثر	٤	٥٩٧
٧٤	المدثر	٨	١٦٩
٧٤	المدثر	٢٥	٧٩٤
٧٤	المدثر	٣١	٤٣١، ٧٨٢
٧٤	المدثر	٣٨	٢١٢
٧٤	المدثر	٤٩ ـ ٥٠	١٨١
٧٤	المدثر	٥٦	٢٥١
٧٥	القيامة	١٨ ـ ١٩	٨٠٢
٧٥	القيامة	٢٢ ـ ٢٣	٧٧٢، ٧٩٤
٧٦	الإنسان	١	٢٦٢، ٥٢٣

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

٢ ـ فهرس الأحاديث المرفوعة

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
إذا التقى الرجلان فتصافحا	عمر بن الخطاب	٥٢١
إذًا أنت من إخوان الشياطين	عطية، أبو ذر	٢٨٥
إذا حبلت المرأة من بعلها	عائشة	٣١٧
إذا دعا الرجل امرأته	أبو هريرة	٩٢
إذا دعوت فأمِّنوا	- - -	٥٧١
إذا رأيت شحًّا مطاعًا	- - -	٥٩٤
إذا رأيت هوًى مطاعًا	أبو ثعلبة	٧٢٢
إذا رأيتم الجنازة فقوموا	أبو سعيد الخدري	٤٠٧
إذا رأيتم أهل البلاء	- - -	٣٥٢، ٤٦٨
إذا رأيتم أهل البلاء اسألوا	- - -	٥٧٧
إذا رأيتم أهل البلاء فسلوا	- - -	٥٦١
إذا رزقت فلا تخبأ	أبو سعيد الخدري	٦٧٢
إذا صلَّت المرأة خمسها	أبو هريرة	٣١٧
إذا عُمِل في الأرض خطيئة	عبدالله بن مسعود	٥٧٥
إذا عُمِلت الخطيئة في الأرض	العرس بن عميرة	٥٧٥
إذا قال الرجل لأخيه يا كافر	- - -	٥١٦
إذا قال العبد يا رب ثلاثًا	أبو هريرة	٤٤٧
إذا قلت لصاحبك	أبو هريرة	٢٦٥
إذا كان أحدكم يصلي فلا يبصق	ابن عمر	٢٧٩
إذا مات ابن آدم انقطع عمله	- - -	٤٢٣، ٤٢٧
إذا مات صاحب بدعة	أنس	١٢٧
إذا مات ولد العبد يقول الله تعالى	أبو موسى	٤٠٣
إذا نزلنا بساحة قوم	أنس	١٠٠
إذا هربت المرأة	الحسن	٣١٣
اذكروا هادم اللذات	ابن عمر	٣٣٦
اذهب فغيبه	عبدالله بن الزبير	٣٦٠
اذهب فواره	علي	٥٦٤

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
لا تجعلوا بيوتكم مقابر	أبو هريرة	٤٢٧
لا تجلسوا على القبور	أبو مرثد الغنوي	٤١٤
لا تحاسدوا ولا تناجشوا	أبو هريرة	٥٠٤
لا تحقرن من المعروف شيئًا	أبو ذر	٥٢٢
لا تخصوا ليلة الجمعة	أبو هريرة	١٤٠
لا تدع شيئًا اتقاء الله إلا أعطاك	رجل من البادية	٣٠١
لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين	ثوبان، جابر، المغيرة بن شعبة، زيد بن أرقم، أبو أمامة، عمران بن حصين	٧٢٣
لا تزال نفس ابن آدم معلقة	أبو هريرة	٦٣٤
لا تزوجوا النساء لحسنهن	عبدالله بن عمرو	٢٩٢
لا تسبوا الأموات؛ فإنهم قد أفضوا	عائشة	٤١١
لا تسبوا الدنيا؛ فنعم مطية المؤمن	عبدالله بن مسعود	٧٦٦
لا تسعني أرضي ولا سمائي	- - -	٧١٨
لا تشد الرحال إلا لثلاث	أبو هريرة	٣٨٣
لا تصاحب إلا مؤمنًا	- - -	٥٤٢
لا تصحب إلا مؤمنًا	أبو سعيد	١٤٨، ٢٠٣، ٢٤٢
لا تصوم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه	أبو هريرة	٣١٢
لا تظهر الشماتة لأخيك	واثلة بن الأسقع	٤٧١، ٦٣٩
لا تقاطعوا ولا تدابروا	- - -	٥١٦
لا تقبل صلاة بغير طهور	ابن عمر، أبو المليح	٣٨٨
لا تقوم الساعة حتى يغزوها	أبو هريرة	٧٢٥
لا تكلفوهم فإنهم لحم ودم	- - -	٤٧٥
لا تلبسوا الحرير	عمر	٦١٦
لا تلقوا الحكمة على غير أهلها	- - -	٦٧١
لا تمنعه نفسها	ابن عمر	٣١٢
لا تنسانا يا أخي من دعائك	عمر بن الخطاب	٧٩٠

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
من غشَّنا فليس منا	أبو هريرة، ابن عمر	
	- - -	٥٣٢
		٦٣٠
من فارق الجماعة	أبو ذر	٢٥٦، ٤٩٣
من فجئه صاحب بلاء	ابن عمر	٤٦٩
من فرَّج عن مسلم كربة	- - -	٦٣٩
من فرَّج عن مؤمن كربة	ابن عمر، وأبو هريرة	٦٣٦، ٦٣٧
من قال أستغفر الله	أبو يسار	٤٤٦
من قال في القرآن برأيه	ابن عباس	٣٤٠
من قال في القرآن بغير علم	ابن عباس	٣٤٠
من قام من مجلسه	أبو هريرة	٢٦٨
من قتل عصفورًا	الشريد	٢٤٨
من قتل قتيلاً	أبو سعيد	٢٠٣
من قرأ القرآن ثم نسيه	سعد بن عبادة	١٦٤
من قلَّ ماله، وكثر عياله	أبو سعيد	٣١٤
من كان آخر كلامه لا إله إلا الله	معاذ بن جبل	٧٢٥
من كان حالفًا فليحلف	ابن عمر	٢٥٠
من كان في قلبه مثقال حبةٍ	عبدالله بن عمرو	٤٦٢
من كان منكم ذا طول فليتزوج	عثمان	٢٨٣
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر	جابر	٣٢٣
من كتم علمًا نافعًا	أبو سعيد الخدري	٧٢
من كثر سواد قوم فهو منهم	ابن مسعود	
	- - -	١٢٩، ٢٤١
		٥٤٥، ٥٤٦، ٥٧٥
من لا أدب فيه	- - -	٢٧٩
من لا حياء له	معاذ	٢٣٠
من لا يَرْحم لا يُرْحم	- - -	٦٣٢

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

٣ ـ فهرس الآثار عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑



٤ ـ فهرس الشِّعر

أول البيت	القافية	القائل	الصفحة
	الهمزة		
يا قوم	النائي		١٢١ ـ ١٢٢
لا تدعني	أسمائي		١٢١ ـ ١٢٢
كانت	أهوائي		٦٦٨
فصار	مولائي		٦٦٨
إذا أثنى	الثناء		٧٨٩
كريم	مساء		٧٨٩
	الباء		
النقر	واللعب		١٧٧
والمطربون	للطرب		١٧٧
إن حركوا	لمرتكب		١٧٧
قوم	العربي		١٧٧
تبا	أدب		١٧٧
ويدعي	والكذب		١٧٧
يا مدعي	الكتب		١٧٧
أو أرسل	تخب		١٧٧
ما صفق	أرب		١٧٧
بل كان	منتحب		١٧٧

التاء

الراء

أول البيت	القافية	القائل	الصفحة
يسر	بالضرر	الشافعي	٢٣٠
عجبت	القبور		٢٩٥
ومن	والنشور		٢٩٥
النار	الجاري		٢٩٧
والمرء	والنار		٢٩٧
لقمة	بزنبور	إبراهيم بن أدهم	٣٧٩
أتيت	المحتقر	مالك بن دينار	٤١٤
وأين	افتخر	مالك بن دينار	٤١٤
تفانوا	الخبر		٤١٤
فصاروا	أمر		٤١٤
تروح	الصور		٤١٤
فيا	معتبر		٤١٤
تجمل	الاعتبار		٦٠٥
فلو لبس	حمار		٦٠٥
لا تشتغل	قصير		٦٤٨
وعلام	المقدور		٦٤٨
هم لم	حقير		٦٤٨
فاشهد	صبور		٦٤٨
فإذا	وخبير		٦٤٨
أحسنت	القدر		٢٦١، ٦٦١، ٧٦١
وسالمتك	الكدر		٢٦١، ٦٦١، ٧٦١
عجبت	القبور		٦٦٢
ومن	والنشور		٦٦٢
يا سروري	وضميري		٦٩٧
أنت	السعير		٦٩٧
قلبي	وتذكاري		٧٠٠
إن	بإضماري		٧٠٠

الهاء

❏ ❏ ❏ ❏ ❏ ❏



٥ ـ فهرس الأعلام

النساء



٦ ـ فهرس الأماكن



٧ ـ فهرس الموضوعات والفوائد

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

